شرح

رياض الصالحين

الإمام

أبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي

٦٣١ - ٦٧٦هـ

نسخة محققة المتن والشروح والمسائل الفقهية

شرح فضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله

دار الغد الجديد

شرح
رياض الصالحين

للإمام النووي

شرح

لفضيلة الشيخ العلامة
محمد بن صالح العثيمين
رحمه الله

QAMAR-UL-ULOOM
QAMAR SIALVI ROAD
GUJRAT PAKISTAN
PH. 3522555

تحقيق
صلاح الدين محمود
نسخة محققة المتن والشروح والمسائل الفقهية

الجزء الثاني

عربی، اردو، اسلامی کتب لاہور ریٹ پر
مکتبہ د ... عیدیہ

دار الغد الجديد
المنصورة

Marfat.com

جميع الحقوق محفوظة
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـ

دار الغد الجديد
المنصورة - مصر

EXCLUSIVE RIGHTS
BY
DAR AL-GHAD AL-GADEED
EGYPT - AL-MANSOURA

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

دار الغد الجديد

القاهرة: ١٢ ش درب الاتراك خلف الجامع الأزهر
المنصورة: ش عبد السلام عارف أمام جامعة الأزهر
٠٠٢٠٥٠ /٢٢١٦٨٩٨
ت فاكس/ ٠٠٢٠٥٠٢٢٩٤٧٦٦
٠٠٢٠١٠٥٥٠٢٨٢٨
صندوق بريد: 35111
EMAIL: DAR-ALGHAD@YAHOO.COM

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٥٧٦٧
I.S.B.N. الترقيم الدولي
977-372-048-9

QAMAR-UL-ULOOM
QAMAR SIALVI ROAD
GUJRAT PAKISTAN
PH. 3522555

Marfat.com

٢٨ - باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ (النور: ١٩) .

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله -: (باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها)، العورة هنا هي العورة المعنوية؛ لأن العورة نوعان: عورة حسية وعورة معنوية.

فالعورة الحسية: هي ما يحرم النظر إليه كالقبل والدبر، وما أشبه ذلك مما هو معروف في الفقه.

والعورة المعنوية: وهي العيب الخلقي أو العملي.

ولا شك أن الإنسان كما وصفه الله عز وجل في قوله: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فالإنسان موصوف بهذين الوصفين: الظلم، والجهل، فإما أن يرتكب الخطأ عن عمد فيكون ظالمًا، وإما أن يرتكب الخطأ عن جهل فيكون جهولاً، هذه حال الإنسان إلا من عصم الله عز وجل ووفقه للعلم والعدل، فإنه يمشي بالحق ويهدي إلى الحق.

وإذا كان الإنسان من طبيعته التقصير والنقص والعيب، فإن الواجب على المسلم نحو أخيه أن يستر عورته ولا يُشيعها إلا من ضرورة [(١)] فإذا دعت الضرورة إلى ذلك فلا بد منه، لكن بدون ضرورة فالأولى والأفضل أن يستر عورة أخيه، لأن الإنسان بشر ربما يخطئ عن شهوة - يعني عن إرادة سيئة - أو عن شبهة، حيث يشتبه عليه الحق فيقول بالباطل أو يعمل به، والمؤمن مأمور بأن يستر عورة أخيه.

هب أنك رأيت رجلاً على كذب وغش في البيع والشراء، فلا تفضحه بين الناس، بل انصحه واستر عليه، فإن توفق واهتدى وترك ما هو عليه كان ذلك هو المراد، وإلا وجب عليك أن تبين أمره للناس لئلا يغتروا به.

وهب أنك وجدت إنسانًا مبتلى بالنظر إلى النساء، ولا يغض بصره، فاستر عليه،

---

(١) صحيح: رواه ابن ماجه (٢٥٤٦) أحمد (٢/ ٢٧٤) بلفظ من ستر عورة أخيه...، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣٤١).

Marfat.com

وانصحه وبين له أن هذا سهم من سهام إبليس، لأن النظر ـ والعياذ بالله ـ سهم من سهام إبليس يصيب به قلب العبد[١]، فإن كان عنده مناعة اعتصم بالله من هذا السهم الذي ألقاه الشيطان في قلبه، وإن لم يكن عنده مناعة أصابه السهم، وتدرج به إلى أن يصل إلى الفحشاء والمنكر والعياذ بالله.

فما دام الستر ممكنًا، ولم يكن في الكشف عن عورة أخيك مصلحة راجحة أو ضرورة ملحة، فاستر عليه ولا تفضحه.

ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [النور: ١٩].

هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة والعياذ بالله!.

ولمحبة شيوع الفاحشة في الذي آمنوا معنيان:

المعنى الأول: محبة شيوع الفاحشة في المجتمع المسلم، ومن ذلك من يبثون الأفلام الخليعة، والصحف الخبيثة الداعرة، فإن هؤلاء لا شك أنهم يحبون أن تشيع الفاحشة في المجتمع المسلم، ويريدون أن يفتتن المسلم في دينه بسبب ما يشاع من هذه المجلات الخليعة الفاسدة والأفلام الخليعة الفاسدة أو ما أشبه ذلك.

وكذلك تمكين هؤلاء مع القدرة على منعهم، داخل في محبة أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فالذي يقدر على منع هذه المجلات وهذه الأفلام الخليعة، ويمكن من شيوعها في المجتمع المسلم هو ممن يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ أي عذاب مؤلم في الدنيا والآخرة.

المعنى الثاني: محبة أن تشيع الفاحشة في شخص معين، وليس في المجتمع الإسلامي كله، فهذا أيضًا له عذاب أليم والآخرة، فمن أحب أن تشيع الفاحشة في زيد من الناس لسبب ما، هذا أيضًا له عذاب أليم في الدنيا والآخرة، ولا سيما فيمن نزلت الآية في سياق الدفع عنه، وهي أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

لأن هذه الآية في سياق آيات الإفك، والإفك هو الكذب الذي افتراه من يكرهون النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ومن يحبون أن يتدنس فراشه ومن يحبون أن يُعيَّر بأهله، من المنافقين وأمثالهم.[٢]

وقضية الإفك مشهورة، وهي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا أراد سفراً

---

(١) ضعيف: رواه الحاكم في المستدرك (٤/ ٣١٤) بلفظ النظرة سهم من سهام إبليس...، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٢٢١).

(٢) صحيح: انظر البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠).

Marfat.com

أقرع بين نسائه، وذلك من عدله عليه الصلاة والسلام، فأيتهن خرج سهمها خرج بها، فأقرع بين نسائه ذات سفرة فخرج السهم لعائشة فخرج بها.

وفي أثناء رجوعهم عرَّسُوا في الطريق ـ يعني ناموا في آخر الليل ـ فلما ناموا احتاجت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن تبرز لتقضي حاجتها، فأمر النبي ﷺ بالرحيل في آخر الليل، فجاء القوم فحملوا هودجها، ولم يشعروا أنها ليست فيه لأنها كانت صغيرة ما أخذها اللحم، فقد تزوجها النبي ﷺ ولها ست سنين، ودخل عليها ولها تسع سنين، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة، فحملوا الهودج وظنوا أنها فيه ثم ساروا.

ولما رجعت لم تجد القوم في مكانهم، ولكن من عقلها وذكائها لم تذهب يمينًا ولا شمالاً تطلبهم، بل بقيت في مكانها وقالت: سيفقدونني ويرجعون إلى مكاني.

ولما طلعت الشمس إذا برجل يقال له صفوان بن المعطل، وكان من قوم إذا ناموا لم يستيقظوا، كما هو حال بعض الناس الذين إذا ناموا لا يستيقظون، حتى ولو علت الأصوات من حوله، فكان صفوان من جملة هؤلاء القوم، فكان إذا نام تعمق في النوم فلا يمكن أن يستيقظ إلا إذ أيقظه الله عز وجل كأنه ميت.

فلما استيقظ وجاء وإذا أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ وحدها في مكان في البر ـ وكان يعرفها قبل أن ينزل الحجاب ـ فما كان منه إلا أن أناخ بعيره ولم يكلمها بكلمة، والسبب في أنه لم يتكلم هو احترامه لفراش رسول الله ﷺ، فلم يرد أن يتكلم مع أهله بغيبته رضي الله عنه، فأناخ البعير ووضع يده على ركبة البعير ولم يقل اركبي ولا تكلم بشيء، فركبت ثم ذهب بها يقودها، وما نظر إليها رضي الله عنه ولا كلمها كلمة واحدة.

ولما أقبل على القوم ضحي قد ارتفع النهار، فرح المنافقون أعظم فرح أن يجدوا مدخلاً للطعن في رسول الله ﷺ، فاتهموا الرجل بالعفاف الرزان الطاهرة التقية فراش رسول الله ﷺ اتهموه بها وصاروا يشيعون الفاحشة بأن هذا الرجل فعل ما فعل، وسقط في ذلك أيضًا ثلاثة من الصحابة الخُلَّص وقعوا فيما وقع فيه المنافقون، مسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر، وحسان بن ثابت ـ رضي الله عنهما ـ وحمنة بن جحش.

فصارت ضجة، وصار الناس يتكلمون: ما هذا، وكيف يكون؟ من مشتبه عليه الأمر، ومن منكر غاية الإنكار، وقالوا: لا يمكن يتدنس فراش رسول الله ﷺ لأنه أطهر فراش على وجه الأرض، .

• وأراد الله بعزته وقدرته وحكمته أن تمرض عائشة ـ رضي الله عنها ـ وبقيت حبيسة البيت لا تخرج، وكان النبي ﷺ من عادته إذا عادها في مرضها سأل وتكلم، أما في ذلك الوقت فكان عليه الصلاة والسلام لا يتكلم ، يأتي ويدخل ويقول: «كيف تيكم؟» أي

Marfat.com

كيف هذه، ثم ينصرف، وقد استنكرت ذلك منه - رضي الله عنها -، ولكنها ما كان يخطر ببالها أن أحدًا يتكلم في عرضها وفيما دنس فراش رسول الله ﷺ.

فقد أشاع المنافقون هذه الفرية لا كراهة لعائشة - رضي الله عنها - لذاتها؛ فإنهم يكرهون كل المؤمنين، وإنما بغضًا لرسول الله ﷺ ومحية لإيذائه والانتقام منه، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ولكن الله تعالى أنزل في هذه القصة عشر آيات من القرآن ابتدأها بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

والذي تولى كبره هو رأس المنافقين عبد الله بن أبي المنافق، فإنه هو الذي كان يشيع الخبر.

لكنه خبيث لا يشيعه بلفظ صريح فيقول مثلاً: إن فلانًا زنى بفلانة، لكنه يشيع ذلك بالتعريض والتلميح، لأن المنافقين جبناء يتسترون ولا يصرحون بما في نفوسهم، فيقول عزوجل: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ⑪ لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١١، ١٢].

وفي هذا توبيخ من الله عز وجل للذين تكلموا في هذا الأمر، يقول: هلا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا، وذلك أن أم المؤمنين أمهم فكيف يظنون بها ما لايليق، وكان الواجب عليهم لما سمعوا هذا الخبر أن يظنوا بأنفسهم خيرًا ويتبرءوا منه وممن قاله.

﴿لَّوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور: ١٣]. يعني هلا جاءوا عليه بأربعة شهداء يشهدون على هذا الأمر.

﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ولو صدقوا، ولهذا لو أن شخصًا شاهد إنسانًا يزني، وجاء إلى القاضي وقال: أنا أشهد أن فلانًا يزني، قلنا: هات أربعة شهداء فإذ لم يأت بأربعة شهداء جلدناه ثمانين جلدة، فإن جاء برجل ثان، معه جلدناهم كل واحد ثمانين جلدة، وثالث أيضًا نجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة.

فمثلاً لو جاءنا ثلاثة يشهدون بأنهم رأوا فلانا يزني بفلانة، ولم يثبت ذلك، فإننا نجلد كل واحد ثمانين جلدة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَّوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ⑬ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٣، ١٤].

لولا الفضل والرحمة من الله لأصابكم فيما أفضتم فيه العقاب المذكور.

وفي قوله: ﴿أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾ دليل على أن الحديث انتشر وفاض واستفاض واشتهر لأنه

Marfat.com

أمر جلل عظيم خطير، والعادة جرت بأن الأمور الكبيرة تنتشر بسرعة وتملأ البيوت، وتملأ الأفواه والآذان ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٤، ١٥].

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ من غير روية، ومن غير بينة ومن غير يقين ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ لأنه قذف لأطهر امرأة على وجه الأرض، هي وصاحباتها زوجات رسول الله ﷺ، فالأمر صعب وعظيم.

وفي ذلك أيضًا برسول الله ﷺ، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ٢٦].

فإذا كانت عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ ويحصل منها هذا الأمر - وحاشاها منه - فإن ذلك يدل على خبث زوجها والعياذ بالله. لأن الخبيثات للخبيثين، ولكنها - رضي الله عنها - طيبة وزوجها طيب، فزوجها محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهي الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنها - وعن أبيها.

ولهذا يقول تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ يعني إذا سمعتوه ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٦] وهذا هو الواجب عليك؛ أن تنزه الله أن يقع مثل هذا من زوج النبي ﷺ، ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾.

وتأمل كيف جاءت هذه الكلمة التي تتضمن تنزيه الله عز وجل، إذ أنه لا يليق بحكمة الله ورحمته وفضله وإحسانه أن يقع مثل هذا من زوج رسول الله ﷺ، ثم قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[النور: ١٧] يعني لا تعودوا لمثل هذا أبدًا إن كنتم مؤمنين.

ثم قال تعالى: ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[النور: ١٨].

والحمد لله على بيانه، ولهذا أجمع العلماء على أن من رمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - بما جاء في حديث الإفك فإنه كافر مرتد، كافر كالذي يسجد للصنم، فإن تاب وأكذب نفسه وإلا قتل كافرًا لأنه كذب القرآن.

على أن الصحيح أن من رمى زوجة من زوجات الرسول ﷺ بمثل هذا فإنه كافر، لا متنقص لرسول الله ﷺ، كل من رمي زوجة الرسول بما برأ الله منه عائشة فإنه يكون كافرًا مرتدًا، يجد أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل بالسيف، وألقيت جيفته في حفرة من الأرض، بدون تغسيل، ولا تكفين، ولا صلاة؛ لأن الأمر خطير.

Marfat.com

ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ١٩، ٢٠].

وسبق أن أشرنا إلى أن ثلاثة من الصحابة الخلص تورطوا في هذه القضية، وهم: حسان بن ثابت رضي الله عنه، ومسطح بن أثاثة، وهو ابن خالة أبي بكر، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، وزينب بنت جحش زوج الرسول عليه الصلاة والسلام وضرة عائشة، ومع ذلك حماها الله، لكن أختها تورطت، ولما أنزل الله براءتها أمر النبي ﷺ أن يحد هؤلاء الثلاثة حد القذف، فجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة.

أما المنافقون فلم يقم النبي ﷺ عليهم الحد، واختلف العلماء في ذلك:

فقيل: لأن المنافقين ما كانوا يجزمون وإنما يقولون: يقال، أو يذكر، أو سمعنا، أو ما أشبه ذلك.

وقيل: لأن المنافق ليس أهلاً للتطهير فالحد طهرة للمحدود، وهؤلاء المنافقون ليسوا بأهل للتطهير، ولهذا لم يجلدهم الرسول عليه الصلاة والسلام لأنه لو جلدهم لطهرهم من دنس هذا الشيء، لكنهم ليسوا أهلاً للتطهير فهم في الدرك الأسفل من النار، فتركهم وذنوبهم، فليس فيهم خير، وقيل غير ذلك.

وعلى كل حال فإن هذه القصة قصة عظيمة، فيها عبر كثيرة.

* * *

[٢٤٠/١] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً في الدُّنْيَا إلا سَتَرهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَة » رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « **لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْداً في الدُّنْيَا إلا سَتَرهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَة** ».

الستر: يعني الإخفاء، وقد سبق لنا أن الستر ليس محمودًا على كل حال، وليس مذمومًا على كل حال، فهو نوعان:

النوع الأول: ستر محمود ويكون في حق الإنسان المستقيم، الذي لم يعهد منه فاحشة، ولم يحدث منه عدوان إلا نادرًا ، فهذا ينبغي أن يستر وينصح ويبين له أنه على خطأ، فهذا الستر محمود.

والنوع الثاني: ستر شخص مستهتر متهاون في الأمور معتد على عباد الله شرير، فهذا

(٢٤٠/١) صحيح رواه مسلم (٢٥٩٠).

Marfat.com

لا يستر، بل المشروع أن يبين أمره لولاة الأمر حتى يردعوه عما هو عليه، وحتى يكون نكالاً لغيره.

فالستر يتبع المصالح، فإذا كان المصلحة في الستر فهو أولى وإن كانت المصلحة في الكشف فهو أولى، وإن تر... ان بين هذا وهذا فالستر أولى.

* * *

[٢٤١/٢] ـ وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إلا المُجَاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلِ باللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْه فَيَقُولُ: يَا فُلانُ عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّه عنه» متفقٌ عليه.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«كل أمتي معافي إلا المجاهرين»** يعني بكل الأمة أمة الإجابة الذين استجابوا للرسول ﷺ، **«معافي»** يعني قد عافهم الله عز وجل، **«إلا المجاهرين»** والمجاهرون هم الذين يجاهرون بمعصية الله عز وجل، وهم ينقسمون إلى قسمين:

لا شك أنه غير معافى وهو من المجاهرين، لأنه جر على نفسه الويل، وجره على غيره أيضًا.

أما جره على نفسه: فلأنه ظلم نفسه حيث عصى الله ورسوله، وكل إنسان يعصي الله ورسوله، فإنه ظالم لنفسه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:٥٧]. والنفس أمانة عندك يجب عليك أن ترعاها حق رعايتها، وكما أنه لو كان لك ماشية فإنك تتخير لها المراعي الطيبة، وتبعدها عن المراعي الخبيثة الضارة، فكذلك نفسك يجب عليك أن تتحرى لها المراتع الطيبة، وهي الأعمال الصالحة، وأن تبعدها عن المراتع الخبيثة وهي الأعمال السيئة.

وأما جره على غيره: فلأن الناس إذا رأوه قد عمل المعصية هانت في نفوسهم، وفعلوا مثله، وصار والعياذ بالله من الأئمة الذين يدعون إلي النار، كما قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ [القصص:٤١].

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: **«من سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»**(١) فهذا نوع من المجاهرة، ولم يذكره النبي صلي الله عليه وآله وسلم لأنه واضح، لكنه ذكر أمرًا آخر قد يخفى على بعض الناس فقال: ومن المجاهرة

(٢ / ٢٤١) صحيح: رواه مسلم (١٠١٧) وأحمد (٤ / ٣٥٧).

Marfat.com

أن يعمل الإنسان العمل السيئ في الليل فيستره الله عليه، يعمل العمل في بيته فيستره الله عليه ولا يطلع عليه أحد، ولو تاب فيما بينه وبين ربه لكان خيرًا له، ولكنه إذا قام في الصباح واختلط بالناس قال: عملت البارحة كذا، وعملت كذا، وعملت كذا فهذا ليس معافى، هذا والعياذ بالله قد ستر الله عليه فأصبح يفضح نفسه.

وهذا الذي يفعله بعض الناس أيضًا يكون له أسباب:

السبب الأول: أن يكون الإنسان غافلاً سليمًا لا يهتم بشيء، فتجده يعمل السيئة ثم يتحدث بها عن طيب قلب لا عن خبث قصد.

والسبب الثاني: أن يتحدث بها تبجحا بالمعاصي واستهتارًا بعظمة الخالق، فيصبحون يتحدثون بالمعاصي متبجحين بها كأنما نالوا غنيمة، فهؤلاء - والعياذ بالله - شر الأقسام.

ويوجد من الناس من يفعل هذا مع أصحابه، يعني أنه يتحدث به مع أصحابه فيحدثهم بأمر خفي لا ينبغي أن يذكر لأحد، لكنه لا يهتم بهذا الأمر فهذا ليس من المعافين لأنه من المجاهرين.

والحاصل: أنه ينبغي للإنسان أن يتستر بستر الله عز وجل، وأن يحمد الله على العافية، وأن يتوب فيما بينه وبين ربه من المعاصي التي قام بها، وإذا تاب إلى الله وأناب إلي الله ستره الله في الدنيا والآخرة.

* * *

[٣/ ٢٤٢] - وعنه عن النبي ﷺ قال: «إذَا زَنَتِ الأمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَت الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَت الثَّالِثَةَ فَلْيبعها وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعرٍ» متفقٌ عليه. «التَّثْرِيبُ»: التَّوْبِيخُ.

الشرح

ذكر المؤلف رحمه الله تعالى - فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب»**.

والأمة: هي المملوكة التي تباع وتشترى، فإذا زنت فليجلدها الحدَّ، وحدُّ الأمة نصف حدِّ الحرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥].

والحرة إذا كانت بكرًا وزنت تجلد مائة جلدة وتغرب سنة، والأمة نصف ذلك يعني خمسين جلدة، وأما تغريبها ففي ذلك قولان للعلماء: منهم من قال: تغرب نصف سنة. ومنهم من قال: إنها لا تغرب، لأنه قد تعلق بها حقُّ السيد.

«ثم إن زنت الثانية فليجلدها الحد ولا يثرب، ثم إن زنت» يعني في الثالثة أو الرابعة

(٣/ ٢٤٢) صحيح: رواه البخاري (٢/ ٦٨٣٩)، ومسلم (١٧٠٣).

Marfat.com

«فليبعها ولو بحبل شعر»، يعني ولا يبقيها لأنه لا خير فيها.

ففي هذا: دليل علي أن السيد يقيم الحد على مملوكه، وأما غير السيد فلا يقيم الحد.

* * *

[٤/٢٤٣] ـ وعنه قال النَّبيُّ ﷺ برَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْراً قال: « اضْرِبُوهُ »، قال أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارب ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ ،وَالضَّارِبُ بثوبه ،فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ:أَخْزَاكَ اللَّه. قالَ:« لَا تَقُولُوا هكَذَا ، لَا تُعِينُوا عَلَيْه الشَّيْطَانَ» رواه البخاري.

الشرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه «**أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْراً**».

والخمر: هي كل ما خامر العقل من أي شراب كان؛ سواء كان مما اعتيد شربه أم لا؛ وسواء كان من عصير العنب أو التمر أو الشعير أو البر أو غير ذلك من أنواع العصائر التي تسكر، فالمدار كله على الإسكار، وما أسكر كثيره فقليله حرام.

ولذلك فلما جاء إلى النبي ﷺ هذا الشارب للخمر قال: «**اضربوه**».

فقال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، ومنا الضارب بسوطه، ومنا الضارب بنعله، ولم يحدد لهم النبي ﷺ عددًا معينًا، فلما انصرف بعضهم قال له رجل: أخزاك الله، فقال النبي ﷺ: «**لا تعينوا عليه الشيطان**» لأن الخزي معناه العار والذل، فأنت إذا قلت لرجل: أخزاك الله، فإنك قد دعوت الله عليه بما يذله ويفضحه، فتعين عليه الشيطان.

وفي هذا الحديث: دليل على أن عقوبة الخمر ليس لها حدٌّ معين، ولهذا لم يحد لهم النبي ﷺ حدًا(١)، كلٌّ يضرب بما تيسر، من يضرب بيده، ومن يضرب بطرف ثوبه، ومن يضرب بعصاه، ومن يضرب بنعله، لم يحدَّ فيها حدًا، وبقي الأمر كذلك، وفي عهد أبي بكر صارت تقدر بنحو أربعين، وفي عهد عمر كثر الناس الذين دخلوا في الإسلام، ومنهم من دخل عن غير رغبة، فكثر شرب الخمر في عهد عمر ﷺ، فلما رأي الناس قد أكثروا فيها استشار الصحابة فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: أخف الحدود ثمانون وهو حد القذف، فرفع عمر رضي الله عنه عقوبة شارب الخمر إلى ثمانين جلدة.

ففي هذا: دليل على أن الإنسان إذا فعل ذنبًا وعوقب عليه في الدنيا، فإنه لا ينبغي لنا أن ندعو عليه بالخزي والعار، بل نسأل الله له الهداية، ونسأل الله له المغفرة.

* * *

(٤ / ٢٤٣) صحيح: رواه البخاري (٦٧٨١).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: والنفس تميل إلى هذا القول ـ أي أنه غير حد ـ ولو كان حدًا مقدرًا من الشارع لما ساغ لأمير المؤمنين الزيادة فيه، والله أعلم (حاشية على الروض المربع ٦٧٠).

Marfat.com

٢٩ ـ باب قضاء حوائج المسلمين

قال الله تعالى: ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الحج:٧٧).

[١/ ٢٤٤] ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِم لا يَظْلمه وَلا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ في حَاجَة أخيه كَانَ اللّه فى حَاجَته، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِم كُرْبَةً فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفقٌ عليه.

[٢/ ٢٤٥] ـ وعن أبى هُرَيرَة رضى الله عنهُ، عنِ النَّبى ﷺ قَالَ: « مَن نَفَّسَ عَنْ مُؤْمنٍ كُرْبَةً منْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّس اللّه عَنْهُ كُرْبَةً منْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وِمن يسَّرَ عَلَى مُعْسرٍ يسَّرَ الله عَلَيْه فى الدُّنْيَا وَالآخرة، وَمنْ سَتَرَ مُسْلماً سَتَرَهُ اللّه فى الدُّنْيَا وَالآخرَة، وَاللّهَ فى عَوْن الْعَبد مَا كانَ الْعَبْدُ فى عَوْن أخيه، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فيه علماً سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الْجَنَّة. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فى بَيْت من بُيوت الله تَعالى، يَتْلُونَ كتَابَ اللّه، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السكينَةُ، وَغَشيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائكَةُ، وذَكَرَهُمُ الله فيمَنْ عنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ به نَسَبُهُ » رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (باب قضاء حوائج المسلمين).

الحوائج: ما يحتاجه الإنسان ليكمل به أموره، وأما الضروريات فهي ما يضطر إليه الإنسان ليدفع به ضررًا، ودفع الضرورات واجب؛ فإنه يجب على الإنسان إذا رأى أخاه في ضرورة أن يدفع ضرورته، فإذا رآه في ضرورة إلى الطعام أو إلى الشراب أو إلى التدفئة أو إلى التبردة، وجب عليه أن يقضي حاجته، ووجب عليه أن يزيل ضرورته ويرفعها.

حتي إن أهل العلم يقولون: لو اضطر الإنسان إلى طعام في يد شخص أو إلى شرابه، والشخص الذي بيده الطعام أو الشراب غير مضطر إلى هذا الطعام أو الشراب، ومنعه بعد طلبه، ومات هذا المضطر، فإنه يضمن؛ لأنه فرط في إنقاذ أخيه من هلكة.

أما إذا كان الأمر حاجيًا وليس ضروريًا، فإن الأفضل أن تعين أخاك على حاجته، وأن تيسرها له ما لم تكن الحاجة فيها مضرته، فإن كانت الحاجة فيها مضرته فلا تعنه؛ لأن الله يقول: ﴿ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة: ٢].

فلو فرض أن شخصًا احتاج إلى شرب دخان، وطلب منك أن تعينه بدفع القيمة له أو شرائه له أو ما أشبه ذلك، فإنه لا يحل لك أن تعينه ولو كان محتاجًا، حتى لو رأيته ضائقًا

(١/ ٢٤٤) تقدم برقم (٢٣٣).

(٢/ ٢٤٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٩٩). أبو داود (٤٩٤٦) الترمذي (٤٢٥) ابن ماجه (٢٢٥).

Marfat.com

يريد أن يشرب الدخان فلا تعنه؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ حتى لو كان أباك، فإنك لا تعنه على هذا، حتى لو غضب عليك إذا لم تأت به فليغضب؛ لأنه غضب في غير موضع الغضب، بل إنك إذا امتنعت من أن تأتي لأبيك بما يضره، فإنك تكون باراً به، ولا تكون عاقاً له؛ لأن هذا هو الإحسان؛ فأعظم الإحسان أن تمنع أباك مما يضره، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**» قالوا يا رسول الله: كيف ننصره إذا كان ظالماً؟! قال: «**تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه**»(١).

وعلى هذا فإن ما ذكره المؤلف في باب قضاء حوائج المسلمين يريد بذلك الحوائج المباحة، فإنه ينبغي لك أن تعين أخاك، فإن الله في عونك ما كنت في عون أخيك.

ثم ذكر المؤلف أحاديث مر الكلام عليها، فلا حاجة إلى إعادتها، إلا أن فيها بعض الجمل تحتاج إلى كلام؛ منها قوله: «**من يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة**» فإذا رأيت مُعسراً، ويسرت عليه الأمر يسر الله عليك في الدنيا والآخرة، مثل أن ترى شخصاً ليس بيده ما يشتري لأهله من طعام وشراب، لكن ليس عنده ضرورة فأنت أيضاً إذا كنت تطلب شخصاً معسراً، فإنه يجب عليك أن تيسر عليه وجوباً؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. وقد قال العلماء ـ رحمه الله ـ: من كان له غريم مُعسر فإنه يحرم عليه أن يطلب منه الدين، أو أن يُطالبه به، أو أن يرفع أمره إلى الحاكم، بل يجب عليه إنظاره.

ويوجد بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ ممن لا يخافون الله، ولا يرحمون عباد الله، يُطالبون المُعسرين، ويُضيقون عليهم، ويرفعونهم إلى الجهات المسئولة فيحسبون ويؤذون ويمنعون من أهلهم ومن ديارهم، كلٌّ هذا بسبب الظلم، وإن كان الواجب على القاضي إذا ثبت عنده إعسار الشخص، فواجب عليه أن يرفع الظلم عنه، وأن يقول لغرمائه: ليس لكم شيء.

ثم إن بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ إذا كان لهم غريمٌ مُعسر يحتال عليه بأن يدينه مرة أخرى برباً، فيقول مثلاً: اشترِ مني السلعة الفلانية بزيادة على ثمنها وأوفني، أو أن يتفق شخص ثالث يقول: اذهب تَدَيَّن من فلان وأوفني، وهكذا حتى يُصبح هذا المسكين بين يدي هذين الظالمين كالكرة بين يدي الصبي يلعب بها والعياذ بالله.

والمهم أن عليكم إذا رأيتم شخصاً، يطالب معسراً أن تُبينوا له أنه آثم، وأن ذلك حرام عليه، وأن يجب عليه إنظاره لقول الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]. وأنه إذا ضيق علي أخيه المسلم، فإنه يوشك أن يُضيق الله عليه في الدنيا

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٤) احمد (٣/ ٩٩).

Marfat.com

أو في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة معًا، ويوشك أن يعجل له بالعقوبة، ومن العقوبة أن يستمر في مطالبة هذا المعسر وهو معسر؛ لأنه كما طالبه ازداد إثمًا.

وعلى العكس من ذلك، فإنه يوجد بعض الناس ـ والعياذ بالله ـ يماطلون بالحقوق التي عليهم، مع قدرتهم على وفائهم، فتجده يأتيه صاحب الحق فيقول: غداً، وإذا أتاه في غد قال: بعد غدٍ، وهكذا، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَطْل الغني ظلم**»(١).

وإذا كان ظلمًا فإن أي ساعة أو لحظة تمضي وهو قادر على وفاء دينه فإنه لا يزداد بها إلا إثمًا، نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية.

* * *

(١) رواه البخاري (٢٤٠٠) مسلم (١٥٦٤).

Marfat.com

٣٠ـ باب الشفاعة

قال الله تعالى : ﴿ مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا ﴾ (النساء:٨٥) .

[١/ ٢٤٦]ــ وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا أتاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أقْبَلَ عَلَى جُلَسَائه فقال : « اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا ويَقْضِى اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبيّه مَا أحَبَّ » متفقٌ عليه .

وفى رواية : « مَاشاءَ » .

[٢/ ٢٤٧]ــ وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قصَّة بَريرَةَ وَزَوجِهَا ، قال : قال لَهَا النَّبىُّ ﷺ : « لَوْ رَاجَعْتِه ؟ » قَالَتْ : يَا رَسُولَ الله ، تَأمُرُنِى ؟ قَال : « إنَّمَا أشْفَعُ » قَالَتْ : لا حَاجَةَ لى فِيهِ . رواه البُخَارى .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب الشفاعة)، والشفاعة : هي التوسط للغير؛ لجلب منفعة أو دفع مضرة.

مثال الأول: أن تتوسط لشخص عند آخر في أن يساعده في أمر من الأمور.

ومثال الثاني: أن تشفع لشخص عند آخر في أن يسامحه ويعفو عن مظلمته، حتى يندفع عنه الضرر.

ومثال ذلك في الآخرة؛ أن النبي ﷺ يشفع في أهل الموقف ليُقضى بينهم، حين يصيبهم من الكرب والغم ما لا يُطيقون (١) ، فهذه شفاعة في دفع مضرة.

ومثالها في جلب منفعة؛ أن النبي ﷺ يشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة (٢) .

والمراد بالشفاعة في كلام المؤلف: الشفاعة في الدنيا؛ وهي أن يشفع الإنسان لشخص عند آخر يتوسط له لجلب المنفعة له أو دفع المضرة عنه.

والشفاعة أقسام:

القسم الأول: شفاعة محرمة لاتجوز، وهي أن يشفع لشخص وجب عليه الحدُّ بعد أن يصل إلى الإمام، فإن هذه شفاعة محرمة لا تجوز، مثال ذلك: رجل وجب عليه حدٌ في قطع يده للسرقة، فلما وصلت إلى الإمام أو نائب الإمام، أراد إنسان أن يشفع لهذا السارق ألا تقطع يده، فهذا حرام، أنكره النبي عليه الصلاة والسلام إنكارًا عظيمًا.

(١/ ٢٤٦) صحيح: رواه البخاري (٤/ ١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧).

(٢/ ٢٤٧) صحيح: رواه البخاري (٤/ ٥٢٨٣).

(١) صحيح: انظر البخاري (٧٤١٠) ومسلم (١٩٣).

(٢) مسلم (٢٩٦).

Marfat.com

وذلك حينما أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تقطع يد المرأة المخزومية، امرأة من بني مخزوم من أشرف قبائل العرب، كانت تستعير الشيء ثم تجحده، أي: تستعيره لتنتفع به ثم تنكر بعد ذلك أنها استعارت شيئًا، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقطع يدها، فاهتمت لذلك قريش، قالوا: امرأة من بني مخزوم تقطع يدها؟ هذا عار كبير، من يشفع لنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فرأوا أن أقرب الناس لذلك أسامة بن زيد بن حارثة.

وأسامة بن زيد مولى رسول الله ﷺ؛ لأن زيد بن حارثة عبدٌ أهدته إلى رسول الله ﷺ خديجة، ثم أعتقه وكان يحبه عليه الصلاة والسلام، ويحب ابنه أسامة، فذهب أسامة إلى النبي ﷺ يشفع لهذه المرأة ألا تقطع يدها، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**أتشفع في حد من حدود الله؟**» قال ذلك إنكارًا عليه، ثم قام فخطب الناس وقال: «**يا أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله - يعني:أقسم بالله - لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**»(١).

وهذه المرأة المخزومية دون فاطمة شرفًا ونسبًا، ومع ذلك فإنه ﷺ قال: «**لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها**» لسد باب الشفاعة والوساطة في الحدود إذا بلغت الإمام.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضادَّ الله في أمره**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع**»(٣).

ولما سرق رداء صفوان بن أمية، وكان قد توسده في المسجد فجاء رجل فسرقه، فأمر النبي ﷺ أن تقطع يد السارق - انظر ماذا سرق! رداءً، فأمر النبي ﷺ أن تقطع يده - فقال: يا رسول الله، أنا لا أريد ردائي - يعني أنه رحم هذا السارق وشفع فيه ألا تقطع يده - فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «**هلا كان ذلك قبل أن تأتيني به**»(٤).

يعني لو عفوت عنه قبل أن تأتيني به لكان ذلك لك، لكن إذا بلغت الحدود السلطان فلا بد من تنفيذها، وتحرم فيها الشفاعة.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٧٣٣) مسلم (١٦٨٨).

(٢) صحيح رواه أبو داود (٣٥٩٧) وأحمد (٢/ ٧٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٩).

(٣) صحيح رواه مالك في الموطأ في الحدود (٢٩).

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٤٣٩٤) والنسائي (٤٨٧٨) وابن ماجه (٢٥٩٥) وصححه الألباني في الإرواء (٢٣١٧).

Marfat.com

القسم الثاني: أن يشفع في شيء محرم، مثل أن يشفع لإنسان معتد على أخيه، أعرف مثلاً أن هذا الرجل يريد أن يخطب امرأة مخطوبة من قبل، والمرأة المخطوبة لا يحل لأحد خطبتها، فذهب رجل ثان إلى شخص، وقال: يا فلان أحب أن تشفع لي عند والد هذه المرأة يزوّجنيها، وهو يعلم أنها مخطوبة، فهنا لا يحل له أن يشفع؛ لأن هذه شفاعة في محرم.

والشفاعة في المحرم تعاون على الإثم والعدوان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ومن ذلك أيضًا أن يأتي رجل لشخص فيقول: يا فلان، أنا أريد أن أشتري دخانًا من فلان، وقد سُمْتُه بكذا وكذا، وأبي على إلا بكذا وكذا أكثر مما سمتُه به، فأرجوك أن تشفع لي عنده ليبيعه علي بهذا السعر الرخيص، فهنا لا تجوز الشفاعة؛ لأن هذه إعانة على الإثم والعدوان.

القسم الثالث: الشفاعة في شيء مباح، وهذه لا بأس بها، ويكون للإنسان فيها أجر، مثل أن يأتي شخص لآخر فيسوم منه بيتًا ويقول له: هذا الثمن قليل، فيذهب السائم إلى شخص ثالث، ويقول: يا فلان، اشفع لي عند صاحب البيت، لعله يبيعه عليَّ، فيذهب ويشفع له، فهذا جائز، بل هو مأجور على ذلك، ولهذا كان النبي ﷺ إذا أتاه صاحب حاجة التفت إلى أصحابه وقال: **«اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله علي لسان نبيه ما شاء»** أو **«ما أحب»** فهنا يأمر عليه الصلاة والسلام أصحابه بأن يشفعوا لصاحب الحاجة.

ومثل ذلك أيضًا لو وجب لك حق على شخص ورأيت أنك إذا تنازلت عنه هكذا ربما استخف بك في المستقبل وانتهك حرمتك، فهنا لا حرج أن تقول مثلاً لبعض الناس: اشفعوا له عندي، حتى تظهر أنت بمظهر القوي ولا تجبن أمامه ويحصل المقصود.

المهم أن الشفاعة في غير أمر محرم من الإحسان إلى الغير قال تعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]

* * *

Marfat.com

٣١ ـ باب الإصلاح بين الناس

قال الله تعالى : ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء:١١٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ (النساء:١٢٨) ، وقال تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ (الأنفال:١) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ (الحجرات:١٠) .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب الإصلاح بين الناس)، الإصلاح بين الناس هو أن يكون بين شخصين معاداة وبغضاء، فيأتي رجل موفق فيصلح بينهما، ويزيل ما بينهما من العداوة والبغضاء، وكلما كان الرجلان أقرب صلة بعضهما من بعض، فإن الصلح بينهما أوكد، يعني أن الصلح بين الأب وابنه أفضل من الصلح بين الرجل وصاحبه، والصلح بين الأخ وأخيه أفضل من الصلح بين العم وابن أخيه، وهكذا كلما كانت القطيعة أعظم كان الصلح بين المتباغضين وبين المتقاطعين أكمل وأفضل وأوكد.

واعلم أن الصلح بين الناس من أفضل الأعمال الصالحة، قال الله عز وجل: ﴿ لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (النساء: ١١٤) أي: إلا نجوى من أمر بصدقة.

والنجوى: الكلام الخفي بين الرجل وصاحبه، فأكثر المناجاة بين الناس لا خير فيها إلا من أمر بصدقة أو معروف. والمعروف: كل ما أمر به الشرع، يعني أمر بخير.

﴿أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾: بين الرجل وصاحبه مفسدة، فيأتي شخص موفق فيصلح بينهما، ويزيل ما بين الرجل وصاحبه من العداوة والبغضاء.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]. فبين سبحانه في هذه الآية أن الخير حاصل فيمن أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، فهذا خير حاصل لا شك فيه، أما الثواب فقال: فأنت ـ يا أخي المسلم ـ إذا رأيت بين شخصين عداوة وبغضاء وكراهة، فاحرص على أن تسعى بينهما بالصلح حتى لو خسرت شيئا من مالك ، فإنه مخلوف عليك.

ثم اعلم أن الصلح يجوز فيه التورية، أي: أن تقول لشخص: إن فلانًا لم يتكلم فيك بشيء، إن فلانًا يحب أهل الخير وما أشبه ذلك، أو تقول: فلان يحبك إن كنت من أهل الخير، وتضمر في نفسك جملة «إن كنت من أهل الخير» لأجل أن تخرج من الكذب.

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

Marfat.com

هذه جملة عامة ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ في جميع الأمور.

ثم قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨]. إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له عند الإصلاح أن يتنازل عما في نفسه، وألا يتبع نفسه؛ لأنه إذا أتبع نفسه فإن النفس شحيحة، ربما يريد الإنسان أن يأخذ بحقه كاملاً، وإذا أراد الإنسان أن يأخذ بحقه كاملاً فإن الصلح يتعذر؛ لأنك إذا أردت أن تأخذ بحقك كاملاً وأراد صاحبك أن يأخذ بحقه كاملاً، لم يكن إصلاحًا.

لكن إذا تنازل كل واحد منكما عما يريد وغلب شحَّ نفسه، فإنه يحصل الخير ويحصل الصلح، وهذا هو الفائدة من قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ بعد قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]. فأمر الله عز وجل بالإصلاح بين المتقاتلين من المؤمنين.

المهم أن الإصلاح كله خير، فعليك - يا أخي المسلم - إذا رأيت شخصين متنازعين متباغضين متعادين، أن تصلح بينهما، لتنال الخير الكثير، وابتغ في ذلك وجه الله وإصلاح عباد الله، حتى يحصل لك الخير الكثير، كما قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] أسأل الله أن يجعلني وإياكم من الصالحين المصلحين.

* * *

[٢٤٨/١(١)] - وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سُلامَى مِنَ النَّاس عَلَيْه صَدَقَةٌ، كُلَّ يوْم تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ: تَعْدلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّته فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَة تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلاة صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» متفقٌ عليه.

ومعنى «تَعْدِلُ بَيْنَهُمَا»: تُصْلِحُ بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ.

الشرح

سبق لنا ما ذكره المؤلف من الآية الكريمة الدالة على فضيلة الإصلاح بين الناس، ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يصبح على كل سلامى من الناس صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس**» والسلامي هي العظام والمفاصل، يعني: كل يوم تطلع الشمس فعلى كل مفصل من مفاصلك صدقة.

قال العلماء من أهل الفقه والحديث: وعدد السلامىَ في كل إنسان ثلاثمائة وستون عضواً أو مفصلاً، فعلى كل واحد من الناس أن يتصدق كل يوم تطلع فيه الشمس بثلاثمائة

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤ / ٢٩٨٩) ومسلم (٩ ١٠٠).

Marfat.com

وستين صدقة، ولكن الصدقة لا تختص بالمال، بل كل ما يقرب إلى الله فهو صدقة بالمعنى العام؛ لأن فعله يدل على صدق صاحبه في طلب رضوان الله عز وجل.

ثم بين ﷺ هذه الصدقة فقال: «تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ» يعني رجلان يتخاصمان إليك فتعدل بينهما، تحكم بينهما بالعدل، وكل ما وافق الشرع فهو عدل، وكل ما خالف الشرع فهو ظلم وجور.

وعلى هذا فنقول: هذه القوانين التي يحكم بها بعض الناس وهي مخالفة لشريعة الله ليست عدلاً، بل هي جور وظلم وباطل، ومن حكم بها معتقداً أنها مثل حكم الله أو أحسن منه، فإنه كافر مرتد عن دين الله؛ لأنه كذب قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]. يعني: لا أحد أحسن من الله حكمًا، لكن لا يفهم هذا إلا من يوقن، أما الذي أعمى الله بصيرته، فإنه لا يدري، بل قد يُزَيَّنُ له سوء عمله فيراه حسنًا والعياذ بالله.

ومن العدل بين اثنين: العدل بينهما بالصلح؛ لأن الحاكم بين الاثنين سواء كان متطوعًا أو من قبل ولي الأمر، قد لا يتبين له وجه الصواب مع أحد الطرفين، فإذا لم يتبين له فلا سبيل له إلا بالإصلاح، فيصلح بينهما بقدر ما يستطيع.

وقد سبق لنا أنه لا صلح مع المشاحة، يعني أن الإنسان إذا أراد أن يعامل أخاه بالمشاحة، فإنه لا يمكن الصلح، كما قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]. يشير إلى أن الصلح ينبغي للإنسان أن يبعد فيه عن الشح، وأن لا يطالب بكامل حقه؛ لأنه إن طالب بكامل حقه، طالب الآخر بكامل حقه ولم يحصل بينهما صلح، بل لا بد أن يتنازل كل واحد منهما عن بعض حقه.

فإذا لم يمكن الحكم بين الناس بالحق، بل اشتبه على الإنسان إما من حيث الدليل، أو من حيث حال المتخاصمين، فليس هناك إلا السعي بينهما بالصلح.

قال عليه الصلاة والسلام: **«تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ».**

هذا أيضًا من الصدقات؛ أن تعين الرجل في دابته فتحمله عليها إذا كان لا يستطيع أن يركبها بنفسه، أو تحمل له عليها متاعه، تساعده على حمل المتاع على الدابة فهذا صدقة، وتُميط الأذى عن الطريق صدق؛ يعني إذا رأيت ما يؤلم المشاة فأمطته - أي أزلته - فهذه صدقة، سواء كان حجرًا، أم زجاجًا، أم قشر بطيخ، أم ثيابًا يلتوي بعضها على بعض، أو ما أشبه ذلك.

المهم كل ما يؤذي فأزله عن الطريق، فإنك بذلك تكون متصدقًا، وإذا كان إماطة

Marfat.com

الأذى عن الطريق صدقة، فإن إلقاء الأذى في الطريق سيئة.

ومن ذلك من يلقون قمامتهم في وسط الشارع، أو يتركون المياه تجري في الأسواق فتؤذي الناس، مع أن في ترك المياه مفسدة أخرى، وهي استنفاد الماء؛ لأن الماء مخزون في الأرض، قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢] والمخزون ينفد.

ولهذا نرى أن الذي يترك المياه ويسرف في صرفها ولا يُبالي في ضياعها مسيء إلى كل الأمة؛ لأن الماء مشترك ، فإذا أسأت في تصريفه وأنفقته ولم تبال به كنت مُسرفًا، والله لا يحب المسرفين، وكنت مسيئًا لتهديد الأمة في نقص مائها أو زواله، وهذا ضرر عام.

المهم أن الذين يلقون في الأسواق ومسار الناس ما يُؤذيهم هم مسيئون، والذين يُزيلون ذلك هم مُتصدقون ومُحسنون.

«**وتميط الأذى عن الطريق صدقة، والكلمة الطيبة صدق**»، وهذه ـ ولله الحمد ـ من أعم ما يكون، الكلمة الطيبة تنقسم إلى قسمين: طيبة بذاتها، طيبة بغاياتها.

أما الطيبة بذاتها: كالذكر: لا إله إلا الله، والله أكبر، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله، وأفضل الذكر قراءة القرآن.

وأما الكلمة الطيبة في غايتها: فهي الكلمة المباحة كالتحدث مع الناس، إذا قصدت بهذا إيناسهم وإدخال السرور عليهم، فإن هذا الكلام وإن لم يكن طيبًا بذاته لكنه طيبٌ في غاياته، في إدخال السرور على إخوانك، وإدخالُ السرور على إخوانك مما يُقربك إلى الله عز وجل، فالكلمة الطيبة صدقة وهذا من أعم ما يكون.

ثم قال: «**وفي كل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة**».

كل خطوة: خطوة ـ بالفتح ـ يعني خطوة واحدة تخطوها إلى الصلاة ففيها صدقة، عدا الخطا من بيتك إلى المسجد تجدها كثيرة، ومع ذلك فكل خطوة فهي صدقة لك، إذا خرجت من بيتك مسبغًا الوضوء، لا يخرجك من بيتك إلى المسجد إلا الصلاة، فإن كل خطوة صدقة، وكل خطوة تخطوها يرفع الله لك بها درجة، ويحط عنك بها خطيئة وهذا فضل عظيم.

أسبغ الوضوء في بيتك، واخرج إلى المسجد لا يُخرجك إلا الصلاة، وأبشر بثلاث فوائد:

الأولى: صدق، والثانية: رفع درجة، والثالثة: حط خطيئة.
كل هذا من نعم الله عز وجل.

* * *

Marfat.com

[٢/ ٢٤٩] ـ وعن أم كُلْثوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيط رضى الله عنها قالت : سمعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ : « لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنمِى خَيْراً ، أوْ يَقُولُ خَيْراً» متفقٌ عليه .

وفى رواية مسلم زيادة ، قالت : وَلَمْ أسْمَعْهُ يُرخِّصُ فى شَىْءٍ مما يَقُولُهُ النَّاسُ إلا فى ثَلاث ؛ تَعْنِى : الحَرْبَ ، والإصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرأتَهُ ، وَحَدِيثَ المَرْأةِ زَوْجَهَا .

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره المؤلف حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط ـ رضي الله عنها ـ، أن النبي ﷺ قال: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِى يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنمِى خَيْراً ، أوْ يَقُولُ خَيْراً» فالإنسان إذا قصد الإصلاح بين الناس وقال للشخص: إن فلانًا يثني عليك ويمدحك ويدعو لك وما أشبه ذلك من الكلمات، فإن ذلك لا بأس به.

وقد اختلف العلماء في المسألة، هل المراد أن يكذب الإنسان كذبًا صريحًا، أو أن المراد أن يوري، بمعنى أن يظهر للمخاطب غير الواقع، لكنه له وجه صحيح، كأن يعني بقوله مثلاً: فلان يُثني عليك أي على جنسك وأمثالك من المسلمين، فإن كل إنسان يُثنى على المسلمين من غير تخصيص.

أو يُريد بقوله: إنه يدعو لك؛ أنه من عباد الله، والإنسان يدعو لكل عبد صالح في كل صلاة، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنكم إذا قلتم ذلك ـ يعني السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ـ فقد سلمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض»(١) .

وقال بعضهم: إن التورية تُعد كذبًا؛ لأنها خلاف الواقع، وإن كان المُتكلم قد نوى بها معنى صحيحًا، واستدلوا على ذلك بقول النبي ﷺ : «إن إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعتذر عن الشفاعة بأنه كذب ثلاث كذبات في ذات الله»(٢) وهو لم يكذب عليه الصلاة والسلام، ولكنه ورّي.

وعلى كل حال فالإنسان المُصلح ينبغي له أن يتحرز من الكذب، وإذا كان ولابد فليتأول، ليكون بذلك موريا، والإنسان إذا كان موريا فلا إثم عليه فيما بينه وبين الله، والتورية جائزة عند المصلحة.

(٢/ ٢٤٩) صحيح: رواه البخاري (٢٦٩٢) ، ومسلم (٢٦٠٥).

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٠٢) ومسلم (٤٠٢).

(٢) هذا الحديث مروي بالمعنى وانظر البخاري (٣٣٥٧) ومسلم (٢٣٧١).

Marfat.com

أما اللفظ الثاني ففيه زيادة عن الإصلاح بين الناس، وهو الكذب في الحرب. والكذب في الحرب هو أيضًا نوع من التورية مثل أن يقول للعدو: إن ورائي جنودًا عظيمة وما أشبه ذلك من الأشياء التي يرهب بها الأعداء.

وتنقسم التورية في الحرب إلي قسمين:

قسم في اللفظ، وقسم في الفعل، مثل ما فعل القعقاع بن عمرو رضي الله عنه في إحدى الغزوات، فإنه أراد أن يرهب العدو فصار يأتي بالجيش في الصباح ثم يُغادر المكان ثم يأتي به في صباح يوم آخر وكأنه مدد جديد جاء ليُساعد المُحاربين المُجاهدين، فيتوهم العدو أن هذا مدد جديد جاء ليساعد المحاربين المُجاهدين، فيتوهم العدو فيرهب ويخاف، وهذا جائز للمصلحة.

أما المسألة الثالثة فهي أن يحدث الرجل زوجته وتحدث المرأة زوجها، وهذا أيضًا من باب التورية، مثل أن يقول له: إنك من أحب الناس إلي، وإني أرغب في مثلك، وما أشبه ذلك من الكلمات التي توجب الألفة والمحبة بينهما.

ولكن مع هذا لا ينبغي فيما بين الزوجين أن يكثر الإنسان من هذا الأمر؛ لأن المرأة إذا عثرت على شيء يخالف ما حدثها به، فإنه ربما تنعكس الحال وتكرهه أكثر مما يُتوقع، وكذلك المرأة مع الرجل.

* * *

[٣/ ٢٥٠] ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: سمع رسول الله ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بالْبَاب عَاليَةً أصْوَاتُهمَا، وإذا أحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ ويَسْتَرْفِقُهُ فى شَيْء، وهُوَ يَقُولُ: واللَّه لا أفْعَلُ، فَخرجَ عَلَيْهمَا رسولُ الله ﷺ فقال: « أيْنَ الْمُتَألِّى عَلَى الله لا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟» فقال: أنا يا رسول الله، فَلَهُ أىّ ذلكَ أحَبَّ. متفقٌ عليه.

معنى « يَسْتَوْضِعُهُ »: يَسْأَلُهُ أنْ يَضَعَ عَنْهُ بَعْضَ دَيْنِه، و « يَسْتَرْفِقُهُ »: يَسْألهُ الرِّفْقَ. و« المُتَألِّى »: الحَالِف.

الشرح

هذا الحديث ذكره المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان الصلح بين اثنين مُتنازعين فإذا رأى شخص رجلين يتنازعان في شيء وأصلح بينهما، فله أسوة برسول الله ﷺ، وقد فعل خيرًا كثيرًا، كما سبق الكلام فيه على قول الله تعالى: ﴿لاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ

(٣/ ٢٥٠) صحيح رواه البخاري (٢٧٠٥)، ومسلم (١٥٥٧).

Marfat.com

مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤] .

فالنبي ﷺ لما سمع نزاع رجلين وقد علت أصواتهما، خرج إليهما ﷺ لينظر ماذا عندهما.

وفيه: دليل على أنه لا حرج على الإنسان أن يتدخل في النزاع بين اثنين، إذا لم يكن ذلك سرًّا بينهما؛ لأن هذين الرجلين قد أعلنا ذلك، وكانا يتكلمان بصوت مرتفع، أما لو كان الأمر بين اثنين على وجه السر والإخفاء، فلا يجوز للإنسان أن يتدخل بينهما؛ لأن في ذلك إحراجًا لهما، فإن إخفاءهما للشيء يدل على أنهما لا يحبان أن يطلع عليه أحدٌ من الناس، فإذا أقحمت نفسك في الدخول بينهما أحرجتهما وضيقت عليهما، وربما تأخذهما العزة بالإثم فلا يصطلحان.

والمهم أنه ينبغي للإنسان أن يكون أداة خير، وأن يحرص على الإصلاح بين الناس وإزالة العداوة والضغائن حتى ينال خيرًا كثيرًا.

* * *

Marfat.com

٣٢ ـ باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء الخاملين

قال الله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ **(الكهف:٢٨)** .

الشرح

قال ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب فضل ضعفاء المسلمين وفقرائهم والخاملين) منهم. المراد بهذا الباب تسلية من قدر الله عليه أن يكون ضعيفًا في بدنه، أو ضعيفًا في عقله، أو ضعيفًا في ماله، أو ضعيفًا في جاهه أو غير ذلك مما يعده الناس ضعفًا، فإن الله سبحانه وتعالى قد يجعل الإنسان ضعيفًا من وجه لكنه قوي عند الله عز وجل، يحبه الله ويكرمه، وينزله المنازل العالية، وهذا هو المهم.

المهم أن تكون قويًا عند الله عز وجل، وجيهًا عنده، ذا شرف يكرمك الله به.

ثم ذكر قول الله تعالى مُخاطبًا نبيه ﷺ في قوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ (الكهف: ٢٨). ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ : أي احبسها مع هؤلاء القوم الذين يدعون الله ﴿بِالْغَدَاةِ﴾ أول النهار ﴿ وَالْعَشِيِّ﴾ آخر النهار، والمراد بالدعاء هنا: دعاد المسألة ودعاء العبادة.

فإن دعاء المسألة يعتبر دعاء كقوله تعالى في الحديث القدسي: «مَن يدعوني فأستجيب له»(١) .

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

ودعاء عبادة: وهو أن يتعبد الإنسان لربه بما شرعه لأن العابد يدعو بلسان الحال، ولسان المقال.

فالصلاة مثلاً عبادة تشتمل على قراءة القرآن، وذكر الله، وتسبيحه، ودعائه أيضًا، والصوم عبادة وإن كان في جوهره ليس فيه دعاء، لكن الإنسان لم يصم إلا رجاء ثواب الله، وخوف عقاب الله، فهو دعاء بلسان الحال.

وقد تكون العبادة دعاءًا محضًا يدعو الإنسان ربه بدعاء فيكون عابدًا له، وإن كان مجرد دعاء؛ لأن الدعاء يعني افتقار الإنسان إلى الله، وإحسان ظنه به، ورجاءه، والخوف من عقابه.

فقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ ، يدعون ربهم: أي: يسألونه حاجاتهم، ويعبدونه؛ لأن العابد داعٍ بلسان الحال، ﴿بِالْغَدَاةِ﴾ أول النهار ﴿ وَالْعَشِيِّ﴾ يعني لا يريدون عرضًا من الدنيا، إنما يريدون وجه الله عز وجل.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

Marfat.com

﴿وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ يعني لا تتجاوز عيناك إلى غيرهم، بل كن دائمًا ناظرًا إليهم، وكن معهم في دعائهم وغير ذلك، وهذا كقوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]. فقوله تعالى: ﴿وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ يعني اجعل عينيك دائمًا فيهم.

وقوله تعالى: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تنظر إلى أهل الدنيا وماتُمتعوا به من النعيم، ومن المراكب، والملابس، والمساكن، وغير ذلك.

فكل هذا زهرة الدنيا، والزهرة آخر مآلها الذبول واليبس والزوال، وهي أسرع أوراق الشجرة ذبولا وزوالاً، ولهذا قال: ﴿زَهْرَةَ﴾، وهي: زهرة حسنة في رونقها وجمالها وريحها ـ إن كانت ذات ريح ـ لكنها سريعة الذبول، وهكذا الدنيا زهرة تذبل سريعًا، نسأل الله أن يجعل لنا حظًا ونصيبًا في الآخرة.

يقول: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾، أي رزقُ الله بالطاعة، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

وكان النبي ﷺ إذا رأى شيئًا يعجبه من الدنيا قال: «**اللهم إن العيش عيش الآخرة**» كلمتان عظيمتان، فالإنسان إذا نظر إلى الدنيا ربما تعجبه فيلهو عن طاعة الله، فينبغي أن يذكر نعيم الآخرة عند ذلك، ويُقارن بينه وبين هذا النعيم الدنيوي الزائل، ثم يُوطن نفسه ويُرغبها في هذا النعيم الأخروي الذي لا ينقطع، ويقول: «**اللهم إن العيش عيش الآخرة**»(١).

وصدق الرسول ﷺ فعيش الدنيا مهما كان زائل، ومهما كان فمحفوف بالحزن، ومحفوف بالآفات، ومحفوف بالنقص، وكما يقول الشاعر في شعره الحكيم:

لا طيبَ للعيش ما دامت منغصةً لـــذاته بادكــارِ الــموت والهرم

والعيش مآله أحد أمرين:

إما الهرم حتى يعود الإنسان إلى سن الطفولة، والضعف البدني مع الضعف العقلي، ويكون عالة حتى على أهله فإنهم يملُّونه.

وإما الموت، فكيف يطيب العيش للإنسان العاقل؟ ولولا أنه يؤمل ما في الآخرة، وما يرجوه من ثواب الآخرة، لكانت حياته عبثًا.

على كل حال أمر الله نبيه ﷺ أن صبر نفسه مع هؤلاء الذين يدعون الله بالغداة

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٣٤) ومسلم (١٨٠٤).

Marfat.com

والعشي يُريدون وجهه، والآية ليست أمرًا خاصًا بالضعفاء، وإن كان سبب النزول هكذا، لكن العبرة بالعموم، الذين يدعون الله ويعبدونه سواء كانوا ضعفاء أم أقوياء، فقراء أم أغنياء كن معهم دائمًا.

لكن الغالب أن الملأ والأشراف يكونون أبعد عن الدين من الضعفاء والمستضعفين، ولهذا تجد الذين يكبدون الرسل هم الملأ من قوم صالح: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الأعراف: ٧٥] . فنسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الحق ودعاة الحق وأنصاره، إنه جواد كريم.

* * *

[١/ ٢٥٢]ـ عن حَارِثَةَ بنِ وَهْبٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ على اللهِ لأَبَرَّهُ، ألا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ» مُتفقٌ عليه.

«العُتُلُّ»: الغَليظُ الجَافِي. و«الجَوَّاظُ» بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة: وَهُوَ الجَمُوعُ المَنُوعُ، وَقِيلَ: الضَّخْمُ المخْتَالُ في مِشْيَتِهِ، وَقِيلَ: القَصِيرُ البَطِينُ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رجمه الله تعالى ـ فيما نقله عن حارثة بن وهب رضي الله عنه في باب ضعفاء المسلمين وأذلائهم أن النبي ﷺ قال: **«ألا أخبركم بأهل الجنة، كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره»** يعني هذه علامات أهل الجنة؛ أن الإنسان يكون ضعيفا متضعفًا، أي: لا يهتم بمنصبه أو جاهه، أو يسعى إلى علو المنازل في الدنيا، ولكنه ضعيفٌ في نفسه متضعف ، يميل إلى الخمول وإلى عدم الظهور؛ لأنه يرى أن المهم أن يكون له جادة عند الله سبحانه وتعالى ذا منزلة كبيرة عالية.

ولذلك نجد أهل الآخرة لا يهتمون بما يفوتهم من الدنيا إن جاءهم من الدنيا شيء قبلوه، وإن فاتهم شيء لم يهتموا به؛ لأنهم يرون أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور بيد الله، وأن تغيير الحال من المُحال، وأنه لا يمكن رفع ما وقع ولا دفع ما قُدر إلا بالأسباب الشرعية التي جعلها الله تعالى سببًا.

وقوله: **«لو أقسم على الله لأبره»** يعني لو حلف على شيء ليَسَّر له أمره، حتى يحقق له ما حلف عليه، وهذا كثيرًا ما يقع؛ أن يحلف الإنسان على شيء ثقة بالله عز وجل، ورجاء ثوابه فيبرَّ الله قسمه، وأما الحالف على الله تعاليًا وتحجرًا لرحمته، فإن هذا يُخذل والعياذ بالله.

(١/ ٢٥٢) صحيح: رواه البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).

Marfat.com

وها هنا مثلان:

المثل الأول: أن الربيع بنت النضر رضي الله عنها وهي من الأنصار، كسرت ثنية جارية من الأنصار، فرفعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ فأمر النبي ﷺ أن تُكسر ثنية الربيع؛ لقوله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالإنف والأذن بالأذن والسن بالسن﴾ [المائدة: ٤٥] فقال: أخوها أنس بن النضر: والله يا رسول الله لا تكسر ثنية الربيع، فقال ﷺ: «**يا أنس كتاب الله القصاص**» فقال: والله لا تُكسر ثنية الربيع.

أقسم بهذا ليس رءا لحكم الله ورسوله ولكنه يحاول بقدر ما يستطيع أن يتكلم مع أهلها حتى يعفوا ويأخذوا الدية، أو يعفوا مجانًا دون دية، كأنه واثق من موافقتهم، لا ردٌ لحكم الله ورسوله، فيسر الله سبحانه تعالى فعفى أهل الجارية عن القصاص، فقال النبي ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»(١).

وهنا لا شك أن الحامل لأنس بن النضر هو قوة رجائه بالله عز وجل، وأن الله سييسر من الأسباب ما يمنع كسر ثنية أخته الربيع.

أما المثل الثاني: الذي أقسم على الله تأليًا وتعارضًا وترفعًا فإن الله يُخيب آماله، ومثال ذلك الرجل الذي كان مُطيعًا لله عز وجل عابدًا، يمر على رجل عاصٍ كلما مر عليه وجده على المعصية، فقال: والله لا يغفر الله لفلان، حمله علي ذلك الإعجاب بنفسه، والتحجر بفضل الله ورحمته، واستبعاد رحمة الله عز وجل من عباده.

فقال الله تعالى: «**من ذا الذي يتألى علي - أي يحلف علي - ألا أغفر لفلان، قد غفرت له، وأحبطت عملك**»(٢)، فانظر الفرق بين هذا وهذا.

فقول الرسول ﷺ: «**إن من عباد الله**» فمن هنا للتبعيض، «**من لو أقسم على الله لأبره**»، وذلك فيمن أقسم على الله ثقة به ورجاء لما عند الله عز وجل.

ثم قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار، كل عتل جواظ مستكبر**»؛ هذه علامات أهل النار، «**عتل**»: يعني أنه غليظ جاف، قلبه حجر والعياذ بالله، كالحجارة أو أشد قسوة «**جواظ مُستكبر**» الجواظ فيه تفاسير متعددة، قيل: إنه الجموع المنوع، يعني الذي يجمع المال ويمنع ما يجب فيه.

والظاهر أن الجواظ هو الرجل الذي لا يصبر، فجواظ يعني أنه جزوع لا يصبر على شيء، ويرى أنه في قمة أعلى من أن يمسه شيء.

ومن ذلك قصة الرجل الذي كان مع رسول الله ﷺ في غزوة، وكان شجاعًا لا يدع

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٧٠٣) ومسلم (١٦٧٥).

(٢) صحيح رواه مسلم (٢٦٢١).

Marfat.com

شاذة ولا فاذة للعدو إلا قضى عليها، فقال النبي ﷺ : «**إن هذا من أهل النار**»[١] فعظم ذلك على الصحابة، وقالوا: كيف يكون هذا من أهل النار وهو بهذه المثابة! ثم قال رجل: والله لألزمنه يعني لألازمه حتى أنظر ماذا يكون حاله، فلزمه فأصاب هذا الرجل الشجاع سهم من العدو، فعجز عن الصبر وجزع ثم أخذ بذبابة سيفه فوضعه في صدره ثم اتكأ عليه حتى خرج السيف من ظهره والعياذ بالله، فقتل نفسه.

فجاء الرجل للرسول ﷺ ، فقال: يا رسول الله، أشهد إنك لرسول الله، قال: «**وم؟**» قال لأن الرجل الذي قلت: إنه من أهل النار، فعل كذا وكذا، فقال النبي ﷺ : «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجن فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**». فانظر إلى هذا الرجل جزع وعجز أن يتحمل فقتل نفسه.

فالجواظ هو الجزوع الذي لا يصبر، دائمًا في أنين وحزن وهم وغم، معترضًا على القضاء والقدر، لا يخضع له، ولا يرضى بالله ربًا.

وأما المستكبر فهو الذي جمع بين وصفين: غمط الناس، وبطر الحق؛ لأن النبي ﷺ قال: «**الكبر بطر الحق وغمط الناس**» وبطر الحق: يعني رده، وغمط الناس: يعني احتقارهم، فهو في نفسه عالٍ على الحق، وعالٍ على الخلق، لا يلين للحق ولا يرحم الخلق والعياذ بالله. فهذه علامات أهل النار، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار، وأن يُدخلنا الجنة إنه جواد كريم.

* * *

[٢/٢٥٣] ـ وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعديّ رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ على النبيّ ﷺ ، فقال لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالس: « مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا ؟ » فقال: رَجُلٌ مِنْ أشْرَافِ النَّاسِ، هذَا وَاللَّه حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أن يُشفَّعَ، فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فقال له رسول الله ﷺ: « مَا رَأْيُكَ في هذَا ؟ » فقال: يا رسول الله، هذا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلمينَ، هذَا حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ ألا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ ألا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ ألا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فقَالَ رسول اله ﷺ: « هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأرْضِ مِثْلِ هذَا » متفقٌ عليه.

قوله: « حَرِيٌّ » هو بفتحِ الحاءِ وكسر الراءِ وتشديد الياءِ: أيْ حَقِيقٌ. وقوله: «شَفَعَ» بفتح الفاءِ.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٨) ومسلم (١١٢).

(٢/ ٢٥٣) رواه البخاري (٦٤٤٧).

Marfat.com

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: مرَّ رجلٍ عند رسول الله ﷺ، فقال لرجل: «ما تقول في هذا؟» قال: رجلٌ من أشراف الناس، حريٌ إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، ثم مر رجل آخر، فسأل عنه فقال: هذا رجل من ضعفاء المسلمين، حريٌ إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يُشفع، وإن قال ألا يُسمع لقوله.

فهذا رجلان أحدهما من أشراف القوم، ومن له كلمة فيهم، وممن يجاب إذا خطب، ويُسمع إذا قال والثاني بالعكس رجلٌ من ضعفاء الناس ليس له قيمة إن خطب فلا يجاب، وإن شفع فلا يُشفع، وإن قال فلا يسمع.

فقال النبي ﷺ : «هذا خيرُ من ملء الأرض مثل هذا» أي خير عند الله عز وجل من ملء الأرض من مثل هذا الرجل الذي له شرف وجاه في قومه؛ لأن الله سبحانه وتعالى ليس ينظر إلى الشرف، والجاه، والنسب والمال، والصورة، واللباس، والمركوب، والمسكون، وإنما ينظر إلى القلب والعمل، فإذا صلح القلب فيما بينه وبين الله عز وجل، وأناب إلى الله، وصار ذاكراً لله تعالى خائفا منه، مخبتًا إليه، عاملاً بما يرضى الله عز وجل، فهذا هو الكريم عند الله، وهذا هو الوجيه عنده، وهذا هو الذي لو أقسم على الله لأبره.

فيؤخذ من هذا فائدة عظيمة: وهي أن الرجل قد يكون ذا منزلة عالية في الدنيا، ولكنه ليس له قدر عند الله، وقد يكون في الدنيا ذا مرتبة منحطة، وليس له قيمة عند الناس، وهو عند الله خيرٌ من كثير ممن سواه. نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الوجهاء، وأن يجعل لنا ولكم عنده منزلة عالية، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

[٣/ ٢٥٤]ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « احْتَجَّت الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فقالت النَّارُ : فيَّ الجَبَّارُون وَالمتكَبِّرُونَ ، وَقَالَت الجنَّةُ : فيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا : إنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمتى أَرْحَمُ بكِ مَنْ أشَاءُ ، وَإنَّكِ النَّارُ عَذَابى أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا » رواه مسلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «احتجت الجنة والنار» يعني تحاجا فيما بينهما، كل واحدة تدلي بحجتها، وهذا من الأمور الغيبية التي يجب علينا أن نؤمن بها حتى وإن استبعدتها العقول وحار

(٣/ ٢٥٤) رواه مسلم (٢٨٤٧) والرمذي (٢٥٦١).

Marfat.com

الإنسان وقال: كيف تتحاج الجنة والنار وهما جمادان!.

فإننا نقول: إن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن الأرض يوم القيامة تُحدث أخبارها بما أوحى الله إليها به، فإذا أمر الله شيئًا بأمر فإن هذا المأمور سيستجيب على كل حال. الأيدي يوم القيامة والألسن والأرجل والجلود كلها تشهد ، مع أنها جماد، وتشهد على صاحبها مع أنها أقرب الناس إليه؛ لأن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير. فالجنة احتجت على النار، والنار احتجت على الجنة، النار احتجت بأن فيها الجبارين والمتكبرين.

الجبارون أصحاب الغلظة والقسوة، والمتكبرون أصحاب الترفع والعلو، الذين يغمطون الناس ويردون الحق، كما قال النبي ﷺ في الكبر: «**إنه بطر الحق وغمط الناس**»(١) .

فأهل الجبروت وأهل الكبرياء هم أهل النار والعياذ بالله، وربما يكون صاحب النار لين الجانب للناس، حسن الأخلاق، لكنه جبارُ بالنسبة للحق، مستكبر عن الحق، فلا ينفعه لين جانبه وعطفه على الناس، بل هو موصوف بالجبروت والكبرياء ولو كان لين الجانب للناس؛ لأنه تجبر واستكبر عن الحق.

أما الجنة فقالت: إن فيها ضعفاء الناس وفقراء الناس، فهم في الغالب الذين يلينون للحق وينقادون له، وأما أهل الكبرياء والجبروت، ففي الغالب أنهم لا ينقادون.

فقضى الله عز وجل بينهما قال: «**إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء**» وقال للنار: «**إنك النار عذابي أعذب بك من أشاء**» إنك الجنة رحمتي: يعني أنها الدار التي نشأت من رحمة الله، وليست رحمة التي هي صفته؛ لأن رحمته التي هي صفته وصف قائم به. لكن الرحمة هنا مخلوق، أنت رحمتي يعني خلقتك برحمتي، أرحم بك من أشاء وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشاء كقوله تعالى: ﴿ **يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ** ﴾ [العنكبوت: ٢١]. فأهل الجنة هم أهل رحمة الله ـ نسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم ـ وأهل النار هم أهل عذاب الله.

ثم قال عز وجل: «**ولكليكما علي ملؤها**» تكفل عز وجل وأوجب على نفسه أن يملأ الجنة ويملأ النار، وفضل الله سبحانه وتعالى ورحمته أوسع من غضبه، فإنه إذا كان يوم القيامة ألقى من يلقي في النار، وهي تقول: هل من مزيد، يعني أعطوني، أعطوني، زيدوا، فيضع الله عليها رجله، وفي لفظ عليها قدمه، فينزوي بعضها على بعض، ينضم بعضها إلى بعض من أثر وضع الرب عز وجل عليها قدمه، وتقول: قط قط، يعني كفاية

(١) صحيح : رواه مسلم (٩١).

Marfat.com

كفاية، وهذا ملؤها(١) .

أما الجنة فإن الجنة واسعة، عرضها السموات والأرض يدخلها أهلها ويبقى فيها فضل زائد على أهلها، فينشئ الله تعالى لها أقوامًا فيُدخلهم الجنة بفضله ورحمته؛ لأن الله تكفل لها بملئها.

ففي هذا : دليل على أن الفقراء والضعفاء هم أهل الجنة؛ لأنهم في الغالب هم الذين ينقادون للحق، وأن الجبارين المتكبرين هم أهل النار والعياذ بالله؛ لأنهم مُستكبرون على الحق وجبارون ، لا تلين قلوبهم لذكر الله، ولا العياذ الله.

نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية.

* * *

[٤/ ٢٥٥] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّهُ لَيَأتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ الْعَظِيمُ يَومَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ » متفقٌ عليه .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: **«إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة»** ذكر المؤلف هذا الحديث في باب المستضعفين والفقراء من المسلمين؛ وذلك لأن الغالب أن السمنة إنما تأتي من البطنة أي من كثرة الأكل، وكثرة الأكل تدل على كثرة المال والغنى، والغالب على الأغنياء البطر، والأشر، وكفر النعمة، حتى إنهم يوم القيامة يكونون بهذه المثابة، يؤتي بالرجل العظيم السمين يعني كثير اللحم والشحم، عظيم كبير الجسم لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة، والبعوضة معروفة من أشد الحيوانات امتهانًا وأهونها وأضعفها، وجناحها كذلك.

وفي هذا الحديث: إثبات الوزن يوم القيامة، وقد دل على ذلك كتاب الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال جلا وعلا: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] . وقال النبي ﷺ : **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»**(١) .

فالوزن يوم القيامة وزن عدل ليس فيه ظلم، يجاري فيه الإنسان على حسب ما عنده

(١) هذا معنى الحديث انظر البخاري (٧٣٨٤) ومسلم (٢٨٤٨).

[٤/ ٢٥٥] رواه البخاري(٤٧٢٩) ومسلم (٢٧٨٥) .

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦٠٢٣) ومسلم (١٠١٦).

Marfat.com

من الحسنات والسيئات، قال أهل العلم: فمن رجحت حسناته على سيئاته فهو من أهل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته استحق[(١)] أن يُعذب في النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته كان من أهل الأعراف، الذي يكونون بين الجنة والنار لمدة ، على حسب ما يشاء الله عز وجل، وفي النهاية يدخلون الجنة.

ثم إن الوزن وزن حسي بميزان له كفتان، توضع في إحداهما السيئات وفي الأخرى الحسنات، وتثقل الحسنات وتخف السيئات إذا كانت الحسنات أكثر، والعكس بالعكس.

ثم ما الذي يوزن؟ ظاهر هذا الحديث أن الذي يوزن الإنسان، وأنه يخف ويثقل بسحب أعماله.

وقال بعض العلماء: بل الذي يوزن صحائف الأعمال تُوضع صحائف السيئات في كفة، وصحائف الحسنات في كفة، وما رجح فالعمل عليه.

وقيل: بل الذي يوزن العمل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧] . فجعل الوزن للعمل، وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧]. وقال النبي ﷺ : **«كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**[(٢)] فقوله ﷺ: **«كلمتان ثقيلتان في الميزان»** يدل على أن الذي يوزن هو العمل، وهذا هو ظاهر القرآن الكريم وظاهر السنة، وربما يوزن هذا،أي توزن الأعمال وتوزن صحائف الأعمال.

وفي هذا الحديث: التحذير من كون الإنسان لا يهتم إلا بنفسه أي بتنعيم جسده، والذي ينبغي للعاقل أن يهتم بتنعيم قلبه، ونعيم قلب الإنسان بالفطرة : وهي التزام دين الله عز وجل، وإذا نَعُم القلب نَعُم البدن ولا عكس، قد ينعم البدن ويؤتي الإنسان من الدنيا ما يؤتي من زهرتها، ولكن قلبه في جحيم والعياذ بالله.

وإذا شئت أن تتبين هذا فاقرأ قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[النحل:٩٧]. لم يقل فَلَنُنَعِّمَنَّ أبدانهم، بل فَلَنُحْيِيَنَّهُ حياة طيبة، وذلك بما يجعل الله في قلوبهم من الأنس، وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب وغير ذلك حتي إن بعض السلف قال: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف، يعني: من انشراح الصدر ونور القلب والطمأنينة والسكون.

---

(١) قال الشيخ: استحق أن يعذب، ولم يقل: من رجحت سيئاته على حسناته يعذب في النار، لأنه من الجائز أن يعفو الله عنه، ولا يعاقبه.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٦٨٢) ومسلم (٢٦٨٦).

Marfat.com

أسأل الله أن يشرح قلبي وقلوبكم للإسلام، وينورها بالعلم والإيمان إنه جودا كريم.

* * *

[٢٥٦/٥] ـ وعنه أنَّ امرَأةً سَوْدَاءَ كَـانَتْ تَقُمُّ المَسْجدَ ، أوْ شَابًا ، فَفَقَدَها رسول الله ﷺ ، فَسأَلَ عَنْهَا أوْ عَنْهُ ، فقالوا : مَاتَ ، قال : « أفلا كُنْتُمْ آذَنْتُمونى » فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا ، أوْ أمْرهُ ، فقال : « دُلُّونى عَلَى قَبْره » فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ قالَ : «إنَّ هذه القُبُور مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أهْلهَا ، وَإنَّ اللَّه تعالي يُنَوِّرُهَا لهُمْ بصَلاتى عَلَيْهِمْ » متفقٌ عليه.

قوله : « تَقُمُّ » هو بفتح التَّاء وَضَمّ القَافِ : أىْ تكْنُس . و « القُمَامَةُ » : الكُنَاسَةُ. و « آذَنْتُمونِى » بِمَدِّ الهَمْزةِ : أىْ : أعْلَمْتُمونِى .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن امرأة سوداء كانت تقم المسجد أو شابًا، وأكثر الروايات على أنها امرأة سوداء، كانت تقم المسجد يعني تنظفه وتُزيل القمامة، فماتت في الليل فصغر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ شأنها، وقالوا لا حاجة إلى أن نخبر النبي ﷺ في هذا الليل، فدفنوها، ففقدها النبي ﷺ فقالوا: إنها ماتت، فقال: **«أفلا كنتم آذنتموني»** يعني أعلمتموني حين ماتت، ثم قال: **«دلوني على قبرها»** فدلوه، فصلي عليها، ثم قال ﷺ : **«إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها وإن الله ينورها لهم بصلاتي عليهم.**

ففي هذا الحديث عدة فوائد منها: **أن النبي ﷺ إنما يعظم الناس بحسب أعمالهم، وما قاموا به من طاعة الله وعبادته.**

ومن الفوائد: **جواز تولي المرأة لتنظيف المسجد، وأنه لا يحجر ذلك على الرجال فقط، بل كل من احتسب ونظف المسجد فله أجره؛ سواء باشرته المرأة، أو استأجرت من يقم المسجد على حسابها .**

ومن فوائد هذا الحديث: **مشروعية تنظيف المساجد، وإزالة القمامة عنها، وقد قال النبي ﷺ : «عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد»(١) القذاة: الشيء الصغير، يخرجه الرجل من المسجد فإنه يؤجر عليه.**

وفي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ أمر ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف وتُطيب ، فالمساجد بيوت الله ينبغي العناية بها وتنظيفها، ولكن لا ينبغي زخرفتها

(٥ / ٢٥٦) صحيح رواه البخاري (٤٥٨) ومسلم (٩٥٦).

(١) ضعيف: الترمذي (٢٩١٦) وأبو داود (٤٦١) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٧١).

Marfat.com

وتنقيشها بما يوجب أن يلهو المصلون بما فيها من الزخرفة، فإن النبي ﷺ قال: «لتزخرفنها - يعني المساجد - كما زخرفها اليهود والنصارى»(١).

ومن فوائد هذا الحديث: أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، ولهذا قال: «دلوني على قبرها»، فإذا كان لا يعلم الشيء المحسوس فالغائب من باب أولى، فهو ﷺ لا يعلم الغيب، وقد قال الله له: ﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]. وقال له: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

ومن فوائد هذا الحديث: مشروعية الصلاة على القبر لمن لم يُصل عليه قبل الدفن؛ ولكن هذا مشروع لمن مات في عهدك وفي عصرك، أما من مات سابقًا فلا يُشرع أن تُصلى عليه؛ ولهذا لا يشرع لنا أن نُصلي على النبي ﷺ على قبره، أو على قبر أبي بكر، أو عمر، أو عثمان أو غيرهم من الصحابة، أو غيرهم من العلماء والأئمة.

وإنما تُشرع الصلاة لمن مات في عهدك فمثلاً إذا مات الإنسان قبل ثلاثين سنة وعمرك ثلاثون سنة فإنك لا تُصلي عليه صلاة الميت؛ لأنه مات قبل أن تُخلق وقبل أن تكون من أهل الصلاة، أما من مات وأنت قد كنت من أهل الصلاة، من قريب أو أحد تحب أن تُصلي عليه فلا بأس.

فلو فرض أن رجلاً مات قبل سنة أو سنتين، وأحببت أن تُصلي على قبره وأنت لم تُصل عليه من قبل فلا بأس.

ومن فوائد هذا الحديث: حُسن رعاية النبي ﷺ لأمته، وأنه كان يتفقدهم ويسأل عنهم، فلا يشتغل بالكبير عن الصغير؛ كل ما يهم المسلمين فإنه يسأل عنه ﷺ.

ومن فوائد هذا الحديث: جواز سؤال المرء ما لا تكون به منة في الغالب؛ لأن الرسول ﷺ قال: «دلُوني على قبرها» وهذا سؤال، لكن مثل هذا السؤال ليس فيه منة، بخلاف سؤال المال فإن سؤال المال محرم، يعني لا يجوز أن تسأل شخصًا مالاً وتقول: أعطني عشرة ريالات أو مائة ريال إلا عند الضرورة، أما سؤال غير المال مما لا يكون فيه منة في الغالب فإن هذا لا بأس به، ولعل هذا مخصص لما كان الرسول ﷺ يبايع أصحابه عليه حيث كان يبايعهم ألا يسألوا الناس شيئًا.

وربما يؤخذ من هذا الحديث: جواز إعادة الصلاة على الجنازة، لمن صلى عليها من قبل

---

(١) صحيح: رواه البخاري عن ابن عباس في كتاب الصلاة - باب بنيان المساجد.

Marfat.com

إذا وجد جماعة؛ لأن الظاهر أن الذين خرجوا مع النبي ﷺ صلوا معه، وعلى هذا فُتشرع إعادة صلاة الجماعة إذا صلى عليها جماعة آخرون مرة ثانية.

وإلى هذا ذهب بعض أهل العلم، وقالوا: إنه كما أن صلاة الفريضة تُعاد إذا صليتها ثم أدركتها مع جماعة أخرى، فكذلك صلاة الجنازة وبناءً على ذلك لو أن أحدًا صلى على جنازة في المسجد ثم خرجوا بها للمقبرة، ثم قام أُناس يصلون عليها جماعة، فإنه لا حرج ولا كراهة في أن تدخل مع الجماعة الآخرين فتعيد الصلاة؛ لأن إعادة الصلاة هنا لها سبب، ليست مجرد تكرار بل لها سبب، وهو وجود الجماعة الأخرى.

فإذا قال قائل: إذا صليتُ على القبر فأين أقف؟ فالجواب أنك تقف وراءه تجعله بينك وبين القبلة، كما هو الشأن فيما إذا صليت عليه قبل الدفن.

* * *

[٦/ ٢٥٧] ــ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشْعَثَ أغْبَرَ مَدْفُوعٍ بالأبْوابِ لَوْ أقسَمَ عَلَى اللهِ لأبَرَّهُ» رواه مسلم.

[٧/ ٢٥٨] ــ وعن أُسَامَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فإذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أنَّ أصْحابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ» متفقٌ عليه.

و «الجَدّ» بفتحِ الجيم: الحَظُّ وَالغِنى. وقوله: «مَحْبُوسُونَ» أيْ: لَمْ يُؤذَنْ لَهُمْ بَعْدُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله ﷺ قال: **«رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»**، وأشعث من صفات الشعر، وشعره أشعث يعني ليس له مات يدهن به الشعر، ولا ما يرجله وليس يهتم بمظهره، وأغبر: يعني أغبر اللون، أغبر الثياب، وذلك لشدة فقره.

«مدفوع بالأبواب» يعني ليس له جاه إذا جاء إلى الناس يستأذن لا يأذنون له، بل يدفعونه بالباب، أي إذا فتح صاحب البيت ووجد هذا الرجل دفع الباب في وجهه؛ لأنه ليس له قيمة عند الناس.

لكن هذا الرجل له قيمة عند رب العالمين، لو أقسم على الله لأبره، لو قال: والله لا

(٦/ ٢٥٧) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٢).

(٧/ ٢٥٨) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).

Marfat.com

يكون كذا لم يكن، والله ليكونن كذا لكان، لو أقسم على الله لأبره، لكرمه عند الله عز وجل ومنزلته.

لكن بأي شيء يحصل هذا؟ فربما يكون رجل أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله ما أبره، ورب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره، فما هو الميزان؟.

الميزان تقوى الله، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]. فمن كان أتقى لله فهو أكرم عند الله، ييسر الله له الأمر، يجيب دعاءه ويكشف ضره، ويبر قسمه.

وهذا الذى أقسم على الله لن يُقسم بظلم لأحد، ولن يجترئ على الله في مُلكه، ولكنه يُقسم على الله فيما يُرضي الله ثقة بالله عز وجل، أو في أمور مباحة ثقة بالله عز وجل.

وقد مر علينا في قصة الربيع بنت النضر وأخيها أنس بن النضر؛ فإن الربيع كسرت ثنية جارية من الأنصار، فاحتكموا إلى الرسول ﷺ، فأمر النبي ﷺ أن تكسر ثنية الربيع لأنها كسرت ثنية الجارية الأنثى، فقال أخوها أنس: يا رسول الله، تُكسر ثنية الربيع؟ قال: **«نعم، كتاب الله القصاص، السن بالسن»**، قال: والله لا تُكسر ثنية الربيع، قال ذلك ثقة بالله عز وجل، ورجاء لتيسيره وتسهيله. فأقسم هذا القسم، ليس ردًا لحكم الرسول، كلا، ولكن ثقة بالله عز وجل، فهدى الله أهل الجارية، ورضوا بالدية أو عفوا، فقال النبي ﷺ: **«إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»**(١)، لأنه يُقسم على الله في شيء يرضاه الله عز وجل، إحسانًا في ظنه بالله عز وجل.

أما من أقسم على الله تأليًا على الله، واستكبارًا على عباد الله وإعجابًا بنفسه، فهذا لا يبر الله قسمه لأنه ظالم، ومن ذلك قصة الرجل العابد الذي كان يمر برجل مسرف على نفسه، فقال: والله لا يغفر الله لفلان، أقسم أن الله لا يغفر له، لماذا يُقسم؟ هل المغفرة بيده؟ هل الرحمة بيده؟ فقال الله جل وعلا: **«من ذا الذي يتألى عليّ ألا أغفر لفلان؟»** استفهام إنكار **«قد غفرتُ له وأبطلتُ عمله»**(٢). نتيجة سيئة والعياذ بالله، لم يبر الله بقسمه، بل أحبط عمله لأنه قال ذلك إعجابًا بعمله، وإعجابًا بنفسه، واستكبارًا على عباد الله عز وجل.

أما حديث أسامة بن زيد، أن النبي ﷺ يقول: **«قمت على باب الجنة فإذا عامة من**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

Marfat.com

دخلها المساكين»، يعني أكثرهم، أكثر ما يدخل الجنة الفقراء؛ لأن الفقراء في الغالب أقرب على العبادة والخشية لله من الأغنياء، ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ [العلق:٦، ٧] . والغني يرى أنه مُستغن بماله، فهو أقل تعبدًا من الفقير، وإن كان من الأغنياء من يعبد الله أكثر من الفقراء، لكن الغالب «وأصحاب الجد محبوسون» يعني أصحاب الحظ والغنى محبوسون لم يدخلوا الجنة بعد؛ الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء، «غير أن أصحاب النار قد أُمر بهم إلى النار».

فقسم الرسول ﷺ الناس إلى أقسام ثلاثة: أهل النار: دخلوا النار ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ والفقراء: دخلوا الجنة، والأغنياء: من المؤمنين موقوفون محبوسون، إلى أن يشاء الله.

أما أهل النار فأخبر الرسول ﷺ وهو الصادق المصدوق أن عامة من دخلها النساء؛ أكثر من يدخل النار النساء؛ لأنهن أصحاب فتنة، ولهذا قال لهن الرسول ﷺ يوم عيد من الأعياد: «يا معشر النساء، تصدقن، ولو من حُليكن فإنكن أكثر أهل النار»، قالوا: يا رسول الله لم؟ قال: «لأنكن تُكثرن اللعن وتكفرن العشير»(١) ، تكثرن اللعن: أي السب والشتم؛ فلسانهن سليط، وكيدهن عظيم، وتكفرن العشير: أي المعاشر وهو الزوج ، ولو أحسن إليها الدهر كله، ثم رأت سيئة واحدة قالت: ما رأيت خيرًا قط، تكفر النعمة ولا تُقر بها.

في هذا الحديث: دليل على أنه يجب على الإنسان أن يحترز من فتنة الغنى، فإن الغنى قد يُطغي، وقد يؤدي بصاحبه إلى الأشر، والبطر، ورد الحق، وغمط الناس، فاحذر نعمتين: الغنى والصحة، والفراغ أيضًا سببٌ للفتنة، فالثلاث هذه: الغنى والصحة والفراغ، هذه ما يُغبن فيها كثيرُ من الناس، «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»(٢) والفراغ في الغالب يأتي من الغنى؛ لأن الغني منكف عن كل شيء ومتفرغ.

نسأل الله أن يُعيذنا وإياكم من فتنة المحيا والممات، وفتنة المسيح الدجال.

[٨/ ٢٥٩] ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: « لَمْ يَتَكَلَّمْ فى المَهْد إلا ثَلاثَةٌ : عيسي ابْنُ مَرْيَمَ ، وصَاحب جُرَيْج ، وكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلاً عَابداً ، فَاتَّخذَ صَوْمَعَةً فكَانَ فيهَا ، فَأَتَتْهُ أمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّى فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، فقال : يَارَبِّ ، أُمِّي وَصَلاتى فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاته فَانْصَرَفَتْ ، فَلَمَّا كَانَ منَ الْغَد أَتَتْهُ وهُو يُصلى ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، فقال : أىْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلاتِهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُو يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٤٦٢) و مسلم (٧٩).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٢) الترمذي (٢٣٠٤) أحمد (١/ ٢٥٨).
(٨ / ٢٥٩) صحيح: رواه البخاري (٣٤٣٦)، ومسلم (٢٥٥٠).

Marfat.com

فقال : أي رَبِّ أُمي وَصَلاتي فأقبلَ على صلاته ،فقالت : اللّهمَّ لا تُمتْه حتَّى ينظرَ إلى وُجُوه المُومسَات ، فتذاكَرَ بَنُو إسرائيلَ جُريجاً وعبَادته ، وكانت امرأةٌ بغيٌّ يتمثَّلُ بحسْنها ، فقالَتْ: إنْ شئتُمْ لأفْتننَّهُ ، فتعرضتْ لَهُ ، فلَم يلتفتْ إليْهَا ، فأتتْ راعياً كانَ يأوي إلَى صوْمعَته ، فأمكنَتْهُ منْ نفسها فوقَعَ عليْهَا ، فحمَلتْ ، فلمَّا ولَدتْ قالَتْ : هُوَ منْ جُريْج ، فأتوْهُ فاستنزلُوهُ وهدَمُوا صَوْمعَته ، وجعلوا يضربُونَه ، فقال : ما شأنُكُمْ ؟ قالوا : زَنَيْت بهذه البَغي فولَدتْ منكَ ، قال : أيْنَ الصبيُّ ؟ فجاؤوا به فقال : دَعُوني حتَّى أُصليَ ، فصلَّى، فلمَّا انصرَفَ أتَى الصبيَّ فطعَنَ في بطنه وقال : يا غُلامُ ، منْ أبوكَ ؟ قال : فُلانٌ الرَّاعي ، فأقبلُوا على جُريج يقبّلونهُ ويتمسَّحُونَ بهِ وقَالُوا : نَبْني لَكَ صَوْمعتَكَ منْ ذَهَب ، قال : لا ، أعيدُوهَا منْ طين كمَا كانَتْ ، ففعَلُوا . وبينَا صبيٌّ يرْضعُ منْ أُمه ، فمَرَّ رجلٌ راكبٌ على دابَّة فارهَة وشَارَة حسَنَة ، فقالت أُمُّهُ : اللّهُمَّ اجعَل ابني مثْلَ هذا ، فتركَ الثَّدْيَ وأقبلَ إليْه فنظرَ إليه فقال : اللّهُمَّ لاَ تجعلْني مثلَهُ ، ثُمَّ أقبلَ على ثديه فجعلَ يرتضعُ » فكأني أنظُرُ إلَى رسول الله ﷺ وهُوَ يحكي ارتضاعَهُ بأصبُعه السبَّابَة في فيه ، فجعلَ يمصُّهَا ، قال : « ومَرُّوا بجارية وهُمْ يضْربُونَهَا ، ويَقُولُونَ : زَنَيْت سَرَقْت ، وهي تقُولُ : حسْبيَ اللّهُ ونعْمَ الوكيلُ ، فقالت أُمُّهُ : اللّهُمَّ لا تجعَل ابني مثلَهَا ، فتركَ الرَّضاعَ ونظرَ إليْهَا فقال : اللّهُمَّ اجعَلْني مثلَهَا

فهنَالكَ تراجعَا الحَديثَ فقالت : مرَّ رجلٌ حسَنُ الهيْئة فقُلْتُ : اللّهُمَّ اجعَل ابْني مثلَهُ فقلْتَ : اللّهُمَّ لا تجعلْني مثلَهُ ، ومَرُّوا بهذه الأمَة وهُمْ يضْربُونها ويقُولُونَ: زَنَيْت سَرَقْت ، فقُلْتُ : اللّهُمَّ لا تجعَلِ ابني مثلَهَا فقلْتَ : اللّهُمَّ اجعَلْني مثلَهَا؟! قالَ : إنَّ ذلكَ الرَّجلَ كَانَ جبَّاراً فقلْتُ : اللّهُمَّ لا تجعلْني مثلَهُ ، وإنَّ هذه يقُولُونَ لهَا : زَنَيْت ، ولَمْ تَزْن ، وسَرَقْت ، ولَم تَسْرقْ ، فقُلْتُ : اللّهُمَّ اجعَلْني مثلَهَا» متفقٌ عليه .

و « المومسَاتُ » بضَم الميمِ الأولَى ، وإسكان الواو وكسر الميم الثانية وبالسين المهملة؛ وهُنَّ الزوَاني . والمُومسَةُ : الزانيَةُ . وقوله : « دابَّةٌ فارهَةٌ » بالفَاء : أيْ حاذقَةٌ نفيسَةٌ . و « الشَّارَةُ » بالشين المُعجَمَة وتخفيف الرَّاء : وهي الجمَالُ الظَّاهرُ في الهيْئَة والمَلْبَس . ومَعْنَى « تراجعَا الحَديثَ » أيْ : حدَّثَت الصَّبيَّ وحدَّثهَا ، والله أعلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن نبينا ﷺ أنه قال: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة».

أولاً: عيسى ابن مريم ﷺ ، وعيسى بن مريم آخر أنبياء بني إسرائيل، بل آخر الأنبياء قبل محمد ﷺ ، فإنه لم يكن بينه وبين النبي ﷺ نبي، كما قال الله تعالى: ﴿وإذ قال عيسى ابنُ مريم يا بني إسْرائيل إني رَسُولُ الله إليكم مُصدقًا لما بيْن يديّ من التوْراة ومُبشرًا برسُول

يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. فليس بين محمد وبين عيسى ابن مريم نبي.

وأما ما يُذكر عن المؤرخين من وجود أنبياء في العرب كخالد بن سنان، فهذا كذب ولا صحة له.

وعيسى ابن مريم كان آية من آيات الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] كان آية في منشئه، وآية في وضعه.

أما في منشئه فإن أمه مريم رضي الله عنها حملت به من غير أب، حيث أرسل الله عز وجل جبريل إليها فتمثل لها بشرًا سويًا، ونفخ في فرجها فحملت بعيسى ﷺ.

والله على كل شيء قدير، فالقادر على أن يخلق الولد من المني قادر على أن يخلقه من هذه النفخة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. لا يستعصي على قدرة الله شيء، إذا أرد شيئًا قال له: كن فكان، فحملت وولدت، وقيل: إنه لم يبق في بطنها كما تبقى الأجنة، ولكنها حملته وشب سريعًا، ثم وضعته.

وكان آية في وضعه، حيث جاء يوم مريم المخاض إلى جذع النخلة، فقالت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]. هي لم تتمن الموت لكنها تمنت أنه لم يأتها هذا الشيء حتى الموت ﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]. أي عين تمشي تحت النخلة.

ثم قال: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٥]. تهز الجذع وهي امرأة قد أتاها المخاض، فتتساقط من هزها الرطب، رطبًا جنيًا لا يفسد إذا وقع على الأرض، وهذا خلاف العادة ، فالعادة أن المرأة عند النفاس تكون ضعيفة، والعادة عند هز النخلة ألا تهز من أسفل، بل تهز من فوق، فمن الجذع لا تهتز لو هزها الإنسان، والعادة أيضًا أن الرطب إذا سقط فإنه يسقط على الأرض ويتمزق، لكن الله قال: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ ، الله أكبر! من آيات الله عز وجل، الله على كل شيء قدير.

ولما وضعت الولد أتت به قومها تحمله، تحمل طفلاً وهي لم تتزوج، فقالوا لها - يعرضونها بالبغاء - قالوا: يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء، وما كانت أمك بغيًا، يعني كأنهم يقولون: من أين جاءك الزنى - نسأل الله العافية - وأبوك ليس امرأ سوء وأمك ليست بغية، وفي هذا إشارة إلى أن الإنسان إذا زنى فقد يبتلى نسله بالزني والعياذ بالله، كما جاء

Marfat.com

في الحديث في الأثر: «من زنى زني أهله» (١).

فهؤلاء قالوا: ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أُمك بغيًا، فألهمها الله عز وجل فأشارت إلى الطفل، أشارت إليه فكأنهم سخروا بها، قالوا: كيف نُكلم من كان في المهد صبيًا؟ هذا غير معقول!.

ولكنه التفت إليهم، وقـ ـذا الكلام البليغ العجيب، قال: ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣٠ - ٣٣] سبع جمل - الله أكبر! - من طفل في المهد.

ولكن لاتتعجب فإن قدرة الله فوق كل شيء، أليست جلودنا وأيدينا وأرجلنا وألسنتنا يوم القيامة تشهد علينا بما فعلنا؟ بلي: تشهد، أليست الأرض تُحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها؟ الأرض تشهد بما عملت عليها من قول أو فعل: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾ [الزلزلة: ٤، ٥].

إذن هذا كلام عيسى ابن مريـم ، تكلم بهذه الكلمات العظيمة؛ سبع جمل وهو في المهد.

أما الثاني: فهو صاحب جريح، وجريج رجل عابد، انعزل عن الناس، والعزلة خيرٌ إذا كان في الخلطة شر، أما إذا لم يكن في الخلطة شر فالاختلاط بالناس أفضل، قال النبي ﷺ : «المؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم» (٢).

لكن إذا كانت الخُلطة ضررًا عليك في دينك، فانج بدينك، كما قال النبي ﷺ : «يُوشك أن يكون خير مال الرجل غنمٌ يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر» (٣) يعني يفر بدينه من الفتن.

فهنا جريج انعزل عن الناس، وبنى صومعة- يعني مكانًا يتعبد فيه لله عز وجل - فجاءته أمه ذات يوم وهو يصلي فنادته، فقال في نفسه: أي ربي، أمي وصلاتي: هل أجيب أمي وأقطع الصلاة، أو أستمر في صلاتي؟ فمضى في صلاته.

---

(١) موضوع رواه ابن عدي (١٥ / ٢) ضعيف الجامع (٥٦١١).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٥٠٧) وابن ماجه (٤٠٣٢) وأحمد (٢/ ٤٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٣٦).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٩) وابن ماجه (٣٩٨٠) وأحمد (٣/ ٦).

Marfat.com

وجاءته مرة ثانية، وقالت له مثل الأولى، فقال مثل ما قال، ثم استمر في صلاته، فجاءته مرة ثالثة فدعته، فقال مثل ما قال، ثم استمر في صلاته، فأدركها الغضب، وقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات، أي: الزواني، حتى ينظر في وجوه الزواني، والعياذ بالله.

والإنسان إذا نظر في وجوه الزواني افتتن؛ لأن نظر الرجل إلى المرأة فتنة، فكيف إذا كانت ـ والعياذ بالله ـ زانية بغية؟! فأشد فتنة؛ لأنه ينظر إليها على أنها تمكنه من نفسها فيفتتن، فدعت عليه أمه بذلك.

يستفاد من هذه الجملة من الحديث: أن الوالدين إذا ناداك وأنت تصلي، فإن الواجب إجابتهما، لكن بشرط ألا تكون الصلاة فريضة، فإن كانت فريضة فلا يجوز أن تجيبهما، لكن إذا كانت نافلة فأجبهما.

إلا إذا كانا ممن يقدرون الأمور قدرها، وأنهما إذا علما أنك في صلاة عذراك، فهنا أشر إليهما بأنك في صلاة، إما بالنحنحة، أو بقول: سبحان الله، أو برفع صوتك في آية تقرؤها، أو دعاء تدعو به، حتى يشعر المنادي بأنك في صلاة، فإذا علمت أن هذين الأبوين الأم والأب عندهما مرونة، يعذرانك إذا كنت تصلي ألا تجيب، فنبههما على أنك تصلي.

فمثلاً إذا جاءك أبوك وأنت تصلي سنة الفجر، قال: يا فلان، وأنت تصلي، فإن كان أبوك رجلاً مرنًا يعذرك فتنحنح له، أو قل: سبحان الله، أو ارفع صوتك بالقراءة أو بالدعاء أو بالذكر الذي أنت فيه، حتى يعذرك.

وإن كان من الآخرين الذي لا يعذرون، ويريدون أن يكون قولهم هو الأعلى، فاقطع صلاتك وكلمهم، وكذلك يقال في الأم.

أما الفريضة فلا تقطعها لأحد إلا عند الضرورة، كما لو رأيت شخصًا تخشى أن يقع في هلكة، في بئر، أو في بحر، أو في نار، فهنا اقطع صلاتك للضرورة، وأما لغير ذلك فلا يجوز قطع الفريضة.

ويستفاد من هذه القطعة: أن دعاء الوالد إذا كان بحق فإنه حريٌّ بالإجابة، فدعاء الوالد ولو كان على ولده إذا كان بحق فهو حري أن يجيبه الله، ولهذا ينبغي لك أن تحترس غاية الاحتراس من دعاء الوالدين، حتى لا تعرض نفسك لقبول الله دعاءهما فتخسر.

وفي الحديث أيضًا: دليل على أن الشفقة التي أودعها الله في الوالدين، قد يوجد ما يرفع هذه الشفقة ... هذه الدعوة من هذه المرأة عظيمة، أن تدعو على ولدها ألا يموت حتى ينظر في وجوه المومسات، لكن شدة الغضب ـ والعياذ بالله ـ أوجب لها أن تدعو بهذا الدعاء.

Marfat.com

وذكرنا أن أمه لما نادته ثلاثًا وهو يصلي فيقبل صلاته وتنصرف، دعت عليه في الثالثة فقالت: اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات. فتكلم فيه بنو إسرائيل وفي عبادته، فقالت امرأة منهم: أن أكفيكم وأفتنه إن شئتم.

وفي قصته من الفوائد غير ما سبق: أن الإنسان إذا تعرف إلى الله تعالى في الرخاء عرفه في الشدة، فإن هذا الر كان عابدًا يتعبد لله عز وجل، فلما وقع في الشدة العظيمة أنجاه الله منها. لما جاء إليه هؤلاء الذين كادوا له هذا الكيد العظيم، ذهبت هذه المرأة إلى جريج لتفتنه لكنه لم يلتفت إليها، فإذا راعى غنم يرعاها يأوي إلى صومعة هذا الرجل، فذهبت إلى الراعي فزنى بها ـ والعياذ بالله ـ، فحملت منه.

ثم قالوا: إن هذا الولد ولد زنى من جريج، رموه بهذه الفاحشة العظيمة، فأقبلوا عليه يضربونه وأخرجوه من صومعته، وهدموها، فطلب منهم أن يأتوا بالغلام الذي من الراعي، فلما أتوا به، ضرب في بطنه، وقال: من أبوك؟ ـ وهو في المهد ـ فقال: أبي فلان، يعني ذلك الراعي.

فأقبلوا إلى جريج يقبلونه، يتمسحون به، وقالوا له: هل تريد أن نبني لك صومعتك من ذهب ـ لأنهم هدموها ظلمًا ـ قال: لا، ردوها على ما كانت عليه من الطين، فبنوها له.

ففي هذه القصة أن هذا الصبي تكلم وهو في المهد، وقال: إن أباه فلان الراعي، واستدل بعض العلماء من هذا الحديث على أن ولد الزنى يلحق الزاني، لأن جريج قال: من أبوك؟ قال: أبي فلان الراعي، وقد قصها النبي ﷺ علينا للعبرة، فإذا لم ينازع الزاني في الولد واستلحق الولد فإنه يلحقه، وإلى هذا ذهب طائفة يسيرة من أهل العلم.

وأكثر العلماء على أن ولد الزنى لا يحلق الزاني، لقول النبي ﷺ: **«الولد للفراش، وللعاهر الحجر»**(١).

ولكن الذين قالوا بلحوقه قالوا: هذا إذا كان له منازع، كصحاحب الفراش، فإن الولد لصاحب الفراش، وأما إذا لم يكن له منازع واستلحقه فإنه يلحقه؛ لأنه ولده قدرًا، فإن هذا الولد لا شك أنه خلق من ماء الزاني فهو ولده قدر، ولم يكن له أب شرعي ينازعه، وعلى هذا فيلحق به.

قالوا: وهذا أولى من ضياع نسب هذا الولد؛ لأنه إذا لم يكن له أب ضاع نسبه، وصار ينسب إلى أمه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٠٥٣) مسلم (١٤٥٧).

Marfat.com

وفي الحديث: دليل على صبر هذا الرجل ـ جريج ـ حيث إنه لم ينتقم لنفسه، ولم يكلفهم شططًا فيبنون له صومعته من ذهب، وإنما رضي بما كان به أولاً من القناعة وأن تبني من الطين.

أما الثالث الذي تكلم في المهد، فهو هذا الطبي الذي مع أمه يرضع، فمر رجل على فرس فارهة وعلى شارة حسنة، وهو من أكابر القوم وأشرافهم، فقالت أم الصبي: اللهم اجعل ابني هذا مثله، فترك الصبي الثدي وأقبل على أمه بعد أن نظر إلى هذا الرجل، فقال: اللهم لا تجعلني مثله. وحكى النبي ﷺ ارتضاع هذا الطفل من ثدي أمه بأن وضع إصبعه السبابة في فمه يمصها، تحقيقًا للأمر. فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبلوا بجارية امرأة يضربونها ويقولون لا: زنيت، سرقت، وهي تقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقالت المرأة أم الصبي وهي ترضعه: اللهم لاتجعل ابن مثلها، فأطلق الثدي ، وجعل ينظر إليها، وقال اللهم اجعلني مثلها.

فتراجع الحديث مع أمه، طفل قام يتكلم معها، قالت: إني مررت أو مر بي هذا الرجل ذو الهيئة الحسنة فقلت: اللهم اجعل ابني مثله فقلت أنت : اللهم لاتجعلني مثله، فقال: نعم، هذا رجل كان جبارًا عنيدًا، فسألت الله ألا يجعلني مثله.

أما المرأة فإنهم يقولون: زنيت وسرقت، وهي تقول: حسبي الله ونعم الوكيل، فقلت: اللهم اجعلني مثلها، أي: اجعلني طاهرًا من الزنى والسرقة مفوضًا أمري إلى الله فى قولها: حسبي الله ونعم الوكيل.

وفي هذا آية من آيات الله، أن يكون هذا الصبي يشعر وينظر ويتأمل ويفكر، وعنده شيء من العلم، يقول: هذا كان جبارًا عنيدًا، وهو طفل، وقال لهذه المرأة: اللهم اجعلني مثلها، علم أنها مظلومة وأنها بريئة مما اتهمت به، وعلم أنها فوضت أمرها إلى الله عز وجل، فهذا أيضًا من آيات الله أن يكون عند هذا الصبي شيء من العلم.

والحاصل أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، فقد يحصل من الأمور المخالفة للعادة ما يكون آية من آياته، إما تأييدًا لرسوله أو تأييدًا لأحد من أوليائه.

* * *

Marfat.com

٣٣ ـ باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم، وخفض الجناح لهم

قال الله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر:٨٨)، وقال تعالى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الكهف:٢٨).

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب ملاطفة اليتامى والضعفة والبنات) ونحوهم ممن هم محل الشفقة والرحمة، وذلك أن دين الإسلام دين الرحمة، والعطف والإحسان، وقد حث الله عز وجل على الإحسان في عدة أيات من كتابه، وبين سبحانه وتعالى أنه يحب المحسنين، والذين هم في حاجة إلى الإحسان يكون الإحسان إليهم أفضل وأكمل فمنهم اليتامى.

واليتيم: هو الصغير الذي مات أبوه قبل بلوغه، سواء كان ذكرًا أو أنثى، ولا عبرة بوفاة الأم، يعني أن اليتيم هو الصغير الذي مات أبوه قبل بلوغه وإن كان له أم، وأما من ماتت أمه وأبوه موجود فليس بيتيم، خلافًا لما يفهمه عوام الناس حيث يظنون أن اليتيم هو الذي ماتت أمه وليس كذلك، بل اليتيم هو الذي مات أبوه.

ويُسمى يتيمًا ليتمه، واليتم هو الانفراد؛ لأن هذا الصغير انفرد عن كاسب، وهو صغير لا يستطيع الكسب. وقد أوصى الله سبحانه وتعالى في عدة آيات باليتامى، وجعل لهم حقًا؛ لأن اليتيم قد انكسر قلبه بموت أبيه، فهو محل للعطف والرحمة، قال الله عز وجل: ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء:٩]. وكذلك البنات والنساء محل العطف والشفقة والرحمة؛ لأنهن ضعيفات، ضعيفات في العقل، وفي العزيمة وفي كل شيء، فالرجال أقوى من النساء في الأبدان والعقول والأفكار والعزيمة وغير ذلك، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء:٣٤]. كذلك أيضًا المنكسرين، يعني الذين الذين أصابهم شيء فانكسروا من أجله، وليس هو كسر العظم، بل كسر القلب، يعنى مثلا أصابته جائحة اجتاحت ماله، أو مات أهله أو مات صديق له فانكسر قلبه، والمهم أن المنكسر ينبغى ملاطفته وبذا شرعت تعزية من مات له ميت إذا أصيب بموته يُعزي ويلاطف ويبين له أن هذا أمر الله، وأن الله سبحانه وتعالى إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون، وما أشبه ذلك.

Marfat.com

وكذلك ينبغي خفض الجناح لهم، ولين الجانب، قال الله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر: ٨٨] ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ يعني: تطامن لهم وتهاون لهم، وقال: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ ﴾ يعني: حتى لو شمخت نفسك وارتفعت في الهواء كما يرتفع الطير فاخفض جناحك، ولو كان عندك من المال ولك من الجاه والرئاسة ما يجعلك تتعالى على الخلق، وتطير كما يطير الطير فى الجو فاخفض ، اخفض الجناح حتى يكونوا فوقك، ﴿ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. وهذا أمر للرسول عليه الصلاة والسلام وهو أمر للأمة كلها.

فيجب على الإنسان أن يكون لين الجانب لإخوانه، ويجب عليه أيضًا أنه كلما رأى إنسانًا أتبع لرسول الله ﷺ فليخفض له جناحه أكثر؛ لا لأنه فلان بن فلان، لكن لأنه اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام، كل من اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام فهو حبيبنا وهو أخونا وهو صديقنا وهو صاحبنا، وكل من كان أبعد عن اتباع الرسول فإننا نبتعد عنه بقدر ابتعاده عن اتباع الرسول، هكذا المؤمن يجب أن يكون خافضًا جناحه لكل من اتبع الرسول عليه الصلاة والسلام، ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال الله تعالى لرسوله: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٢٨]. ﴿ اصْبِرْ نَفْسَكَ ﴾ احبسها مع هؤلاء القوم السادة الكرماء الشرفاء، ﴿ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ يعني: صباحًا ومساءً، لا رياء ولا سمعة، ولكنهم يريدون وجهه. يريدون وجه الله عز وجل في دعائهم له وعبادتهم له وذكرهم له وتسبيحهم له.

﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني: لا تبعد عنهم واجعلهم يرونك، لا تعد دائمًا عنهم عيناك، أي: لا تتجاوز عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا.

فمثلاً إذا كان هناك رجلان، أحدهما مقبل على طاعة الله يدعو ربه بالغداة والعشي ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم، ويحسن إلي الناس، وآخر غنى كبير عنده أموال وقصور وسيارات وخدم، أيهم أحق أن نصبر أنفسنا معه؟ الأول أحق أن نصبر أنفسنا معه، وأن نجالسه وأن نخالطه وألا نتعداه نريد زينة الحياة الدنيا. الحياة كلها ليست بشيء، بل عرض زائل، وما فيها من النعيم أو من السرور فإنه محفوف بالأحزان والتنكيد، ما من فرح في الدنيا إلا ويتلوه الترح والحزن. قال ـ أظنه ـ ابن مسعود رضي الله عنه: ما مليء بيت فرحًا إلا مليء حزنًا وترحًا، وصدق رضي الله عنه، لو لم يكن من ذلك إنهم سيموتون تباعًا واحدًا بعد الثاني، كلما مات واحد حزنوا عليه، فتكون هذه الأفراح والمسرات تنقلب إلى أحزان وأتراح، فالدنيا كلها ليست بشيء.

إذًا ﴿ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ، بل كن معهم وكن ناصرًا لهم، ولا

Marfat.com

يهمنك ما متعنا به أحدًا من الدنيا، وهذا كقوله عز وجل: ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣١، ١٣٢]. أسأل الله أن يحسن لي ولكم العاقبة وأن يجعل العاقبة لنا ولإخواننا المسلمين حميدة.

* * *

وقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾ (الضحى: ٩ ، ١٠).

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما ساقه من الآيات الكريمة في باب الحنو على الفقراء واليتامى والمساكين، وما أشبههم، قال: وقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ٦ ـ ١١] . الخطاب في قوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ ﴾ للنبي ﷺ يقرر الله تعالى في هذه الآيات أن الرسول ﷺ كان يتيمًا، فإنه عليه الصلاة والسلام عاش من غير أم ولا أب، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات وهو في السنة الثامنة من عمره ﷺ ، ثم كفله عمه أبو طالب.

فكان يتيمًا وكان ﷺ يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط، يعني على شيء يسير من الدراهم؛ لأنه ما من نبي بعثه الله إلا ورعى الغنم، فكل الأنبياء الذين أرسلوا أول أمرهم كانوا رعاة غنم(١) ، من أجل أن يعرفوا ويتمرنوا على الرعاية وحسن الولاية واختار الله لهم أن تكون رعيتهم غنمًا، لأن راعي الغنم يكون عليه السكينة والرأفة والرحمة؛ لأنه يرعى مواشي ضعيفة بخلاف رعاة الإبل، رعاة الإبل أكثر ما يكون فيهم الجفاء والغلظة؛ لأن الإبل كذلك غليظة قوية جبارة.

فنشأ ﷺ يتيمًا ثم إن الله سبحانه وتعالى أكرمه فيسر له زوجة صالحة، وهي أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، تزوجها وله خمس وعشرون من العمر، ولها أربعون سنة، وكانت حكيمة عاقلة صالحة، رزقه الله منها أولاده كلهم من بنين وبنات إلا إبراهيم فإنه كان من سريته مارية القبطية، المهم أن الله يسرها له وقامت بشئونه، ولم يتزوج سواها ﷺ حتى ماتت.

أكرمه الله عز وجل بالنبوة فكان أول ما بدئ بالوحي أن يرى الرؤيا في المنام، فإذا رأى الرؤيا في المنام جاءت مثل فلق الصبح في يومها بينة واضحة،(٢) لأن الرؤيا الصالحة جزء

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٢٦٢) واحمد (٣/ ٣٢٦).
(٢) صحيح: البخاري (٣) ومسلم (٤٧٩).

Marfat.com

من ستة وأربعين جزءًا من النبوة(١) فدعا إلى الله وبشر وأنذر وتبعه الناس، وكان هذا اليتيم الذي يرعى الغنم كان إمامًا لأمة هي أعظم الأمم، وكان راعيًا لهم عليه الصلاة والسلام راعيًا للبشر ولهذه الأمة العظيمة.

قال: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ آواك الله بعد يتمك، ويسر لك من يقوم بشئونك حتى ترعرعت، وكبرت، ومن الله عليك بالرسالة العظمى.

﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ وجدك ضالاً : يعني غير عالم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ﴾ [العنكبوت:٤٨]. وقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣]. وقال الله تعالى: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى:٥٢]. ولكن صار بهذا الكتاب العظيم عالمًا كامل الإيمان عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴾ أي: غير عالم ولكنه هداك بماذا هداه؟ هداه الله بالقرآن.

﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا ﴾ يعني فقيرًا: ﴿ فَأَغْنَىٰ ﴾ أغناك، وفتح الله عليك الفتوح حتى كان يقسم ويعطي الناس، وقد أعطى ذات يوم رجلاً غنمًا بين جبلين، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة عليه الصلاة والسلام(٢) .

ثم تأملوا قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ ما قال: فآواك، بل قال: ﴿ فَآوَىٰ ﴾ ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ ولم يقل: فهداك. ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ ولم يقل: فأغناك لماذا؟ لمناسبتين: إحداهما لفظية، والثانية معنوية.

أما اللفظية: فلأجل أن تتناسب رؤوس الآيات، كقوله تعالى: ﴿ وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ [١ ـ٥] كل آخر الآيات ألف، فقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ لو قال : فآواك اختلف اللفظ، ووجدك ضالاً فهداك اختلف اللفظ، ووجدك عائلاً فأغناك اختلف اللفظ، لكن جعل الآيات كلها على فواصل حرف واحد.

المناسبة الثانية معنوية: وهي أعظم، ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴾ هل آواه الله وحده أو آواه وآوى أمته؟ والجواب: الثاني، آواه الله وآوى على يديه أممًا لا يحصيهم إلا الله عز وجل ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾ . هل هداه وحده؟ لا، هدى به أممًا عظيمة إلى يوم القيامة، ﴿ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾ هل أغناه الله وحده؟ لا، أغناه الله وأغنى به، كم حصل للأمة

---

(١) صحيح: انظر البخاري (٦٩٨٣) ومسلم (٢٢٦٣).
(٢) صحيح مسلم (٢٣١٢) وأحمد (٣/ ١٠٨).

Marfat.com

الإسلامية من الفتوحات العظيمة ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ [الفتح: ٢٠] فأغناهم الله عز وجل بمحمد ﷺ.

إذن ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ فأواك وآوى بك، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ فهداك وهدى بك ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ فأغناك وأغنى بك، هكذا حال الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثم قال: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ اذكر نفسك حين كنت يتيمًا فلا تقهر اليتيم، بل يسر له أمره، إذا صاح فسكته، وإذا غضب فأرضه، وإذا تعب فخفف عليه، وهكذا.

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ⁽٩⁾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ السائل: يظهر من سياق الآيات أنه سائل المال الذي يقول: أعطني مالاً، فلا تنهره؛ لأنه قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ فلما أغناك، لا تنهر السائل، تذكر حالك حينما كنت فقيرًا، ولا تنهر السائل.

ويحتمل أن يراد بالسائل سائل المال وسائل العلم، حتى الذي يسأل العلم لا تنهره، بل الذي يسأل العلم القه بانشراح صدر؛ لأنه لولا أنه محتاج ولولا أن عنده خوف الله عز وجل ما جاء يسأل ، فلا تنهره، اللهم إلا من تعنت فهذا لا حرج أن تنهره. لو كنت تخبره ثم يقول لكل شيء (لماذا) هذا حرام؟ ولماذا هذا حلال ؟ لماذا حرم الله الربا وأحل؟ البيع؟ لماذا حرم الله الأم من الرضاع؟ وأشياء كثيرة من قبيل هذا. فهذا الذي يتعنت انهره ولا حرج أن تغضب عليه. كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام حين تشاجر رجل من الأنصار والزبير بن العوام، في الوادي حيث يأتي السيل، وكان الزبير رضي الله عنه حائطه قبل حائط الأنصاري فتنازعا الأنصارى يقول للزبير: لا تحبس الماء عني، والزبير يقول: أنا أعلي فأنا أحق، فتشاجرا وتخاصما عند الرسول عليه الصلاة والسلام فقال النبي ﷺ: **«اسق يا زبير، ثم أرسله إلى جارك» وهذا حكم فقال: إن كان ابن عمتك يا رسول الله، كلمه ! لكن الغضب حمله عليها والعياذ بالله، والزبير بن العوام بن صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول عليه الصلاة والسلام، فغضب الرسول ﷺ وقال: اسق يا زبير حتى يصل إلى الجدر، ثم أرسله إلى جارك»**. فالحاصل أن السائل للعلم لا تنهره بل تلقه بصدر رحب وعلمه حتى يفهم، خصوصًا في وقتنا الآن، فكثير من الناس الآن يسألك وقلبه ليس معك، تجيبه بالسؤال ثم يفهمه خطأ، ثم يذهب يقول للناس: أفتاني العالم الفلاني بكذ وكذا، ولهذا ينبغي الا تطلق الإنسان الذي يسالك حتى تعرف أنه عرف. ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ نعمة الله عليك حدث بها، قل: الحمد الله، رزقني الله علمًا، رزقني الله مالاً، رزقني الله ولدًا وما أشبه ذلك. والتحديث بنعمة الله نوعان: تحديث باللسان، وتحديث بالأركان. تحديث باللسان: كان تقول: أنعم الله علي، كنت فقيرًا فأغناني الله، كنت ما أعرف فعلمني الله، وما أشبه ذلك.

والتحديث بالأركان: أن ترى أثر نعمة الله عليك، فإن كنت غنيًا فلا تلبس ثياب

Marfat.com

الفقراء، بل البس ثيابًا تليق بك، وكذلك في المنزل، وكذلك في المركوب، في كل شيء دع الناس يعرفون نعمة الله عليك، فإن هذا من التحديث بنعمة الله عز وجل، ومن التحديث بنعمة الله عز وجل إذا كنت قد أعطاك الله علمًا أن تحدث الناس به، وتعلم الناس؛ لأن الناس محتاجون. وفقني الله والمسلمين لما يحب ويرضى.

* * *

وقال تعالى: ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾ **(الماعون:١ـ٣).**

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في سياق الآيات التي فيها الحث علي الرفق باليتامى ونحوهم من الضعفاء، قال: وقال تعالى: ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين ﴾.

﴿أرأيت﴾ يقول العلماء: إن معناها أخبرني، يعنى أخبرني عن حال هذا الرجل وماذا تكون. و ﴿بالدين﴾ الجزاء يعني يكذب بالجزاء وباليوم الآخر ، ولا يصدق به، وعلامة ذلك أنه ﴿ يدع اليتيم ﴾ يعني: يدفعه بعنف، وشدة ولا يرحمه.

﴿ ولا يحض على طعام المسكين﴾ أي: لا يحث الناس على طعام المسكين، وهو بنفسه لا يفعله أيضًا، ولا يُطعم المساكين، فحال هذا ـ والعياذ بالله ـ أسوأ حال؛ لأنه لو كان يؤمن بيوم الدين حقيقة لرحم من أوصى برحمتهم، وحض على طعام المساكين.

وفي سورة الفجر يقول الله تعالي : ﴿ كلا بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ [الفجر:١٧،١٨]. وهذا أبلغ مما في سورة الماعون؛ لأنه قال: ﴿ لا تكرمون اليتيم﴾ وإكرامه أكثر من الوقوف بدون إكرام ولا إهانة، فاليتيم يجب أن يكرم.

وتأمل قوله: ﴿ بل لا تكرمون اليتيم (١٧) ولا تحاضون على طعام المسكين﴾ فالمسكين حظه الإطعام، ودفع حاجته، أما اليتيم فالإكرام، فإن كان غنيًا فإنه يكرم ليُتمه ، ولا يطعم لغناه، وإن كان فقيرًا ـ أي: اليتيم ـ فإنه يكرم ليُتمه ويطعم لفقره، ولكن أكثر الناس لا يبالون بهذا الشيء.

واعلم أن الرفق بالضعفاء واليتامى والصغار يجعل في القلب رحمة ولينًا وعطفًا وإنابة إلى الله عز وجل، لا يدركها إلا من جرب ذلك، فالذي ينبغي لك أن ترحم الصغار وترحم الأيتام، وترحم الفقراء، حتى يكون في قلبك العطف والحنان والرحمة، و«إنما يرحم الله من عباده الرحماء». نسأل الله أن يعمنا والمسلمين برحمته وفضله، إنه كريم جواد.

* * *

Marfat.com

[١/ ٢٦٠] ـ وعن سعد بن أبي وقَّاص رضى الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ فقال المُشْرِكُونَ للنَّبِي ﷺ: اطْرُدْ هؤُلاء لا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أنا وَابْنُ مَسْعُود وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلالٌ وَرَجُلانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رسول الله ﷺ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ الله تعالى: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (الأنعام:٥٢) رواه مسلم.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: « كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ » وهذا في أول الإسلام في مكة؛ لأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، أسلم وأسلم معه جماعة.

ومن المعلوم أن من أول الناس إسلامًا أبا بكر رضي الله عنه، بعد خديجة وورقة بن نوفل، وكان هؤلاء النفر ستة، منهم ابن مسعود رضى الله عنه، وكان راعي غنم فقيرًا، وكذلك بلال بن أبي رباح، وكان عبدًا مملوكًا، وكانوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام، يجلسون إليه ويستمعون له وينتفعون بما عنده، وكان المشركون العظماء في أنفسهم الذين يجلسون مع النبي ﷺ.

فوقع في نفس النبي ﷺ ما وقع وفكر في الأمر، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام:٥٢] نهاه الله عز وجل أن يطرد هؤلاء وإن كانوا فقراء وإن لم يكن قيمته فى المجتمع، لكن لهم قيمه عند الله، لأنهم يدعون الله بالغداة والعشي، يعنى صباحًا ومساءً، يدعونه دعاء مسألة فيسألونه رضوانه والجنة، ويستعيذون به من النار.

ويدعونه دعاء عبادة فيعبدون الله، وعبادة الله تشتمل على الدعاء، ففي الصلاة مثلاً يقول الإنسان: رب اغفر لي، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وما أشبه ذلك، ثم إن العابد أيضًا إنما يعبد لنيل رضا الله عز وجل.

وفي قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ تنبيه على الإخلاص وأن الإخلاص له أثر كبير في قبول الأعمال ورفعة العمال عند الله ـ عز وجل ـ، فكلما كان الإنسان في عمله أخلص، كان أرضى لله وأكثر لثوابه، وكم من إنسان يصلي وإلي جانبه آخر يصلي معه الصلاة، ويكون بينهما من الرفعة عند الله والثواب والجزاء كما بين السماء والأرض، وذلك لإخلاص النية عند أحدهما دون الآخر.

(١/ ٢٦٠) صحيح: رواه مسلم (٢٤١٣) وابن ماجه (٤١٢٨).

Marfat.com

فالواجب على الإنسان أن يحرص غاية الحرص على إخلاص نيته لله في عبادته، وألا يقصد بعبادته شيئًا من أمور الدنيا، لا يقصد إلا رضا الله وثوابه حتى ينال بذلك الرفعة في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى في آخر الآية: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ يعني: ليس عليك شيء منهم، ولا عليهم شيء منك حساب الجميع على الله، وكل يجازي بعمله.

﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢]. الفاء هذه التي في ﴿فَتَكُونَ﴾ تعود على قوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ لا على قوله ﴿مَا عَلَيْكَ﴾ فعندنا هنا في الآية فاءان؛ الفاء الأولى ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ وهذه مرتبة على قوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾، و﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ مرتبة على قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ يعني: فإن طردتهم فإنك من الظالمين.

ويستفاد من هذا الحديث: أن الإنسان ينبغي له أن يكون جلساؤه من أهل الخير الذين يدعون الله صباحًا ومساءً، يريدون وجهه، وألا يهتم بالجلوس مع الأكابر والأشراف، والأمراء والوزراء، والحكام، بل لا ينبغي أن يجلس إلى هؤلاء إلا أن يكون في ذلك مصلحة، فإذا كان في ذلك مصلحة مثل أن يريد أن يأمرهم بمعروف، أو ينهاهم عن منكر، أو يبين لهم ما خفي عليهم من حال الأمة، فهذا طيب وفيه خير.

أما مجرد الأنس بمجالستهم، ونيل الجاه بأنه جلس مع الأكابر، أو مع الوزراء، أو مع الأمراء، أو مع ولاة الأمور، فهذا غرض لا يحمد عليه العبد، إنما يحمد على الجلوس مع من كان أتقى لله، من غني وفقير، وحقير وشريف، المدار كله على رضا الله عز وجل وعلى محبة من أحب الله.

وقد ذاق طعم الإيمان من والى من والاه الله، وعادى من عاداه الله، وأحب في الله، وأبغض في الله، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم كذلك، وأن يهب لنا منه رحمة إنه هو الوهاب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

[٢/ ٢٦١] ـ وعن أبي هُبَيْرَةَ عَائِذ بن عَمْرو المُزَنيّ وَهُوَ مِنْ أهْلِ بَيْعَة الرِّضْوَانِ رضي الله عنه، أنَّ أبَا سُفْيَانَ أتى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلالٍ في نَفَرٍ فقالوا: مَا أخَذَتْ سُيوفُ اللهِ مِنْ عَدُوِّ اللهِ مَأخَذَها، فقال أبو بكر رضي اللهُ عنه: أتَقُولُونَ هذا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ

(٢/ ٢٦١) صحيح: رواه مسلم (٢٥٠٤).

Marfat.com

فأتى النَّبيَّ ﷺ فأخبَرَهُ فقال : « يَا أبَا بَكْر ، لَعَلَّكَ أغضَبْتَهُمْ ؟ لَئِنْ كُنْتَ أغضَبْتَهُمْ لَقَدْ أغضبتَ ربَّكَ » فأتَاهُمْ فقال : يَا إخْوَتَاه آغضَبْتُكُمْ ؟ قالوا : لا ، يَغفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخَيَّ . رواه مسلم

قولُهُ : « مَأخَذَهَا » أيْ : لَمْ تَستَوفِ حقَّها منْهُ . وقولُهُ : « يا أُخَيَّ » رُوِي بفتحِ الهمزة وكسر الخاء وتخفيف الياء ، ورُوِي بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياء .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله في قضية الضعفاء والمساكين، وأنه تجب ملاطفتهم والرفق بهم والإحسان إليهم، أن أبا سفيان مر بسلمان وصهيب وبلال، وهؤلاء الثلاثة كلهم من الموالي، صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي، فمر بهم فقالوا: ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ـ يعني: يريدون أنهم لم يشفوا أنفسهم مما فعل بهم أسيادهم من قريش، الذين كانوا يعذبونهم ويؤذونهم في دين الله عز وجل ـ فكأن أبا بكر رضي الله عنه لامهم على ذلك ، وقال : أتقولون لسيد قريش مثل هذا الكلام.

ثم إن أبا بكر أخبر النبي ﷺ بذلك، فقال له: «**لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك**» يعني أغضبت هؤلاء النفر ـ مع أنهم من الموالي، وليسوا بشيء في عداد الناس وأشرافهم ـ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، فذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى هؤلاء النفر وسألهم : أأغضبتكُم؟ قالوا: لا، يَغفِرُ الله لَكَ يَا أبَا بكر.

فدل هذا على أن لايجوز للإنسان أن يترفع على الفقراء والمساكين ومن ليس لهم قيمة في المجتمع؛ لأن القيمة الحقيقية هي قيمة الإنسان عند الله، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣]. والذي ينبغي للإنسان أن يخفض جناحه للمؤمنين ولو كانوا غير ذي جاه؛ لأن هذا هو الذي أمر الله به نبيه ﷺ حيث قال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

وفي هذا : دليل على ورع أبي بكر رضي الله عنه، وعلى حرصه على إبراء ذمته، وأن الإنسان ينبغي له، بل يجب عليه إذا اعتدى على أحد بقول أو فعل أو بأخذ مال أو سب أو شتم أن يستحله في الدنيا، قبل أن يأخذ ذلك منه في الآخرة؛ لأن الإنسان إذا لم يأخذ حقه في الدنيا فإنه يأخذه يوم القيامة، ويأخذه من أشرف شيء وأعز شيء على الإنسان يأخذه من الحسنات، من الأعمال الصالحة التي هو في حاجة إليها في ذلك المكان.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**ماذا تعدون المفلس فيكم**»؟ قالوا: من ليس له درهم ولا دينار، أو قالوا: ولا متاع. فقال: «**المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال،**

Marfat.com

فيأتي وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن بقي من حسناته شيء، وإلا أخذ من سيئاتهم فطرح عليه، ثم طرح في النار»(١).

* * *

[٣/ ٢٦٢] ـ وعن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنَا وَكَافِلُ اليَتيم في الجَنَّة هكَذَا» وأشَارَ بالسَّبَّابَة وَالوُسْطَى، وفَرَّجَ بَيْنَهُمَا. رواه البخارى.

و «كَافِلُ اليتيم»: القَائمُ بأموره.

[٤/ ٢٦٣] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كَافِلُ اليَتيم لَهُ أوْ لغَيْره أنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فى الجَنَّة» وأشَارَ الرَّاوى وَهُوَ مَالكُ بْن أنَس بالسَّبَّابَة وَالوُسْطَى. رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «اليَتيمُ لَهُ أوْ لغَيْره» مَعْنَاهُ: قَريبُهُ، أوْ الأجْنَبىُّ منْهُ، فَالقَريبُ مثْلُ أنْ تَكْفُلَهُ أمُّهُ أوْ جَدُّهُ أوْ أخُوهُ أوْ غَيْرُهُم منْ قَرابَته، والله أعْلَمُ.

[٥/ ٢٦٤] ـ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ المسْكينُ الَّذى تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتَان، ولا اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَان، إنَّمَا المسْكينُ الَّذى يَتَعفَّفُ» متفق عليه.

وفى رواية فى «الصحيحين»: «لَيْسَ المسْكينُ الَّذى يطوفُ عَلَى النَّاس تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَان، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَان، وَلكنَّ المسْكينَ الَّذى لا يَجدُ غنىً يُغْنيه، ولا يُفْطَنُ به فَيُتَصدَّقَ عليْه، وَلا يَقُومُ فَيسألَ النَّاسَ».

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أنا وكافل اليتيم هكذا» وأشَارَ بالسَّبَّابَة والوُسْطَى، يعني: بالأصبع السبابة والوسطى، والأصبع السبابة هي التي بين الوسطى والإبهام، وتسمى السبابة؛ لأن الإنسان يشير بها عند السب، فإذا سب شخصًا قال هذا وأشار بها.

وتسمى السباحة؛ لأن الإنسان يشير بها أيضًا عند التسبيح، ولهذا يشير الإنسان بها في صلاته إذا جلس بين السجدتين ودعا: رب اغفر لي وارحمني، كلما دعا رفعها، يشير إلى الله عز وجل؛ لأن الله في السماء جل وعلا، وكذلك أيضًا يشير بها في التشهد إذا دعا: «السلام عليك أيها النبي، السلام علينا، اللهم صل علي محمد، اللهم بارك على محمد» في كل جملة دعائية يشير بها إشارة إلى علو الله تعالى وتوحيده.

---

(١) صحيح رواه مسلم (٢٥٨١) والترمذي (٢٤١٨) وأحمد (٢/ ٣٠٣).

(٣/ ٢٦٢) صحيح: رواه البخاري (٥٣٠٤).

Marfat.com

وفرج بينهما عليه الصلاة والسلام، يعني: قارن بينهما وفرج، يعني: أن كافل اليتيم مع النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة قريب منه، وفي هذا حث على كفالة اليتيم، وكفالة اليتيم هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه بما يصلح في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن. واليتيم حده البلوغ، فإذا بلغ الصبي زال عنه اليتم، وإذا كان قبل البلوغ فهو يتيم، هذا إن مات أبوه، وأما إذا ماتت أمه دون أبيه فإنه ليس بيتيم. وكذلك الحديث الذي بعده فيه أيضًا ثواب من قام بشئون اليتيم وإصلاحه.

أما الحديث الثالث: فإن الرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «لَيْسَ المسْكِينُ الَّذى تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ والتَّمْرَتَان، وَلا اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتَانِ، إنَّمَا المسْكِينُ الَّذى يَتَعَفَّفُ» يعني: المسكين، ليس «الشحاذ» الذي «يشحذ» الناس، ترده اللقمة واللقمتان، يعني: إذا أعطيته لقمة أو لقمتين أو تمرة أو تمرتين ردته، بل المسكين حقيقة هو الذي يتعفف كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة:٢٧٣]. هذا هو المسكين حقيقة، لا يسأل فيُعطى ولا يتفطن له فيعطى، كما يقول العامة: عافٌ كاف، ما يدري عنه، هذا هو المسكين الذي ينبغي للناس تفقده وإصلاح حاله، والحنو عليه، والعطف عليه.

وفي هذا: إشارة إلى أنه ينبغي للمسكين أن يصبر وأن ينتظر الفرج من الله، وألا يتكفف الناس أعطوه أو منعوه؛ لأن الإنسان إذا علق قلبه بالخلق وكل إليهم، كما جاء في الحديث: «من تعلق شيئًا وكل إليه»[1] وإذا وكلت إلى الخلق نسيت الخالق، بل اجعل أمرك إلى الله عز وجل، وعلق رجاءك وخوفك وتوكلك واعتمادك على الله سبحانه وتعالى، فإنه يكفيك ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ [الطلاق:٣] كل ما أمر الله عز وجل به فهو بالغك، لا يمنعه شيء، ولا يرده شيء.

فالمسكين يجب عليه الصبر، ويجب عليه أن يمتنع عن سؤال الناس، لا يسأل إلا عند الضرورة القصوى، إذا حلت له الميتة حل له السؤال، أما قبل ذلك ما دام يمكنه أن يتعفف ولو أن يأكل كسرة من خبز أو شقة من تمرة فلا يسأل، ولا يزال الإنسان يسأل الناس، ثم يسأل الناس، ثم يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة، وما في وجهه مزعة لحم[2].

وليحذر الإنسان من التشبه ببعض الذين يترددون على الناس يسألونهم وهم أغنياء، الذين إذا ماتوا وجد عندهم الآلاف، توجد عندهم الآلاف من الذهب والفضة والدراهم القديمة والأوراق.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٤٧٩) مسلم (١٠٣٩).

(٢) صحيح: الترمذي (٢٠٧٢) والنسائي (٤٠٧٩) وأحمد (٤/ ٣١١) وصححه الألباني في بلوغ المرام (٢٩٧).

Marfat.com

وهم إذا رأيتهم قلت: إن هؤلاء أفقر الناس، ثم هم يؤذون الناس بالسؤال، أو يسألون الناس وهم ليس عندهم شيء، لكن يريدون أن يجعلوا بيوتهم كبيوت الأغنياء، وسياراتهم كسيارات الأغنياء، ولباسهم كلباس الأغنياء، فهذا سفه: «**المتشبع بما لم يعط، كلابس ثوبي زور**»(١) اقتنع بما أعطاك الله، إن كنت فقيرًا فعلى حسب حالك، وإن كنت غنيًا فعلى حسب حالك.

أما أن تقلد الأغنياء وتقول: أنا أريد سيارة فخمة، وأريد بيتًا فارهًا، وأريد فرشًا، ثم تذهب تسأل الناس سواء سألتهم مباشرة قبل أن تشتري هذه الأشياء التي أردت أو تشتريها ثم تذهب تقول: أنا على دين، وما أشبه ذلك فكل هذا خطأ عظيم، اقتصر على ما عندك، وعلى ما أعطاك ربك عز وجل، واسأل الله أن يرزقك رزقًا لا يطغيك، رزقًا يغنيك عن الخلق وكفى. نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسلامة.

* * *

[٦/ ٢٦٥] ـ وعنه عن النبي ﷺ: «**السَّاعى عَلَى الأرْمَلَة وَالمسْكين كَالمجَاهد فى سَبيلِ اللهِ**» وَأحْسَبُهُ قال: «**وَكَالقَائمِ الَّذى لا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائمِ الَّذَى لاَ يُفْطِرُ**» متفقٌ عليه.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا الباب: باب الرفق باليتامى والمستضعفين والفقراء ونحوهم، قول رسول الله ﷺ: «**الساعى عَلَى الأرْمَلَة وَالمسْكين كَالمجَاهد فى سَبيلِ اللهِ**» وَأحْسَبُهُ قال: «**وَكَالقَائمِ الَّذى لا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائمِ الَّذَى لاَ يُفْطِرُ**»، والسَاعي عليهم هو الذي يقوم بمصالحهم ومئونتهم وما يلزمهم.

والأرامل هم الذين لا عائل لهم سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، والمساكين هم الفقراء، ومن هذا قيام الإنسان على عائلته وسعيه عليهم، على العائلة الذين لا يكتسبون، فإن الساعي عليهم والقائم بمئونتهم ساعٍ على أرملة ومساكين، فيكون مستحقًا لهذا الوعد ويكون كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يفطر.

وفي هذا: دليل على جهل أولئك القوم الذين يذهبون يمينًا وشمالاً ويدعون عوائلهم في بيوتهم مع النساء، ولا يكون لهم عائل فيضيعون؛ لأنهم يحتاجون إلى الإنفاق ويحتاجون إلى الرعاية وإلى غير ذلك، وتجدهم يذهبون يتجولون في القرى وربما في المدن أيضًا، بدون أن يكون هناك ضرورة، ولكن شيء في نفوسهم، يظنون أن هذا أفضل من البقاء في أهليهم بتأديبهم وتربيتهم.

---

(١) صحيح: البخارى (٥٢١٩) ومسلم (٢١٣٠).

(٦/ ٢٦٥) صحيح: رواه البخاري (٦٠٠٧)، ومسلم (٢٩٨٢).

Marfat.com

وهذا ظن خطأ، فإن بقاءهم في أهلهم، وتوجيه أولادهم من ذكور وإناث، وزوجاتهم ومن يتعلق بهم أفضل من كونهم يخرجون يزعمون أنهم يرشدون الناس وهم يتركون عوائلهم الذين هم أحق من غيرهم بنصيحتهم وإرشادهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] . فبدأ بعشيرته الأقربين قبل كل أحد.

أما الذي يذهب إلى الدعوة إلى الله يومًا أو يومين، أو ما أشبه ذلك، وهو عائد إلى أهله عن قرب فهذا لا يضره، وهو على خير: لكن كلامنا في قوم يذهبون أربعة أشهر أو خمسة أشهر أو سنة عن عوائلهم يتركونهم للأهواء والرياح تعصف بهم، فهؤلاء لا شك أن هذا من قصور فقههم في دين الله عز وجل.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»(١) فالفقيه في الدين هو الذي يعرف الأمور، ويحسب لها، ويعرف كيف تؤتي البيوت من أبوابها حتى يقوم بما يجب عليه.

* * *

[٧/ ٢٦٦] ـ وعنه عن النبي ﷺ قال: « شَرّ الطَّعَام طَعَامُ الْوَلِيمَة ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأتيها، وَيُدْعَى إلَيْهَا مَنْ يَأبَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يُجب الدَّعوَةَ فَقَدْ عَصى اللّه وَرَسُولَهُ » رواه مسلم .

وفي رواية في « الصحيحين » عن أبي هريرة من قوله : « بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَة ، يُدْعَى إلَيْها الأغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَراءُ » .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « شَرّ الطَّعَام طَعَامُ الْوَلِيمَة ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأتيها، وَيُدْعَى إلَيْهَا مَنْ يَأبَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يُجِب الدَّعوَةَ فَقَدْ عَصى اللّه وَرَسُولَهُ».

قوله عليه الصلاة والسلام: «« شَرّ الطَّعَام طَعَامُ الْوَلِيمَة » يحتمل أن يكون المراد بالوليمة هنا وليمة العرس، ويحتمل أن يكون أعم ، وأن المراد بالوليمة كل ما دعي إلي الاجتماع إليه من عرس أو غيره، وسيأتي بيان ذلك في الأحكام إن شاء الله.

ثم فسر هذه الوليمة التي طعامها شر الطعام، وهي التي يدعى إليها من يأباها، ويمنعها من يأتيها، يعني يدعي إليها الأغنياء، والغنى لا يحرص على الحضور إذا دعى، لأنه مستغن بماله، ويمنع منها الفقراء، والفقير هو الذي إذا دعى أجاب، فهذه الوليمة ليست وليمة مقربة إلى الله؛ لأنه لا يدعى إليها من هم أحق بها وهم الفقراء، بل يدعى إليها الأغنياء.

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٧١) ومسلم (١٠٣٧).

(٧/ ٢٦٦) صحيح : رواه البخاري (٥١٧٧) ومسلم (١٤٣٢).

Marfat.com

أما الوليمة من حيث هي ـ ولا سيما وليمة العرس ـ فإنها سنة مؤكدة، قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «أولم ولو بشاة»(١) فأمره بالوليمة، قال: «ولو بشاة» يعني: ولو بشيء قليل، والشاة قليلة بالنسبة لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لأنه من الأغنياء.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله» يدل على أن إجابة دعوة الوليمة واجبة؛ لأنه لا شيء يكون معصية بتركه إلا وهو واجب، ولكن لابد فيها من شروط.

الشرط الأول: أن يكون الداعي مسلمًا، فإن لم يكن مسلمًا لم تجب الإجابة ولكن تجوز الإجابة لا سيما إذا كان في هذا مصلحة، يعني: لو دعاك كافر إلى وليمة عرسه فلا بأس أن تجيب، لاسيما إن كان في ذلك مصلحة كتأليفه إلى الإسلام، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن يهوديًا دعاه في المدينة، فأجابه، وجعل له خبزًا من الشعير وإهالة سنخة، يعني ودكًا قديمًا متغيرًا(٢).

وأما شرط العدالة: يعني اشتراط أن يكون الداعي عدلاً فليس بشرط، فتجوز إجابة دعوة الفاسق إذا دعاك، مثل أن يدعوك إنسان قليل الصلاة مع الجماعة، أو حليق اللحية أو شارب دخان، فأجبه كما تجيب من كان سالمًا من ذلك.

لكن إن كان عدم الإجابة يفضي إلى مصلحة بحيث يخجل هذا الداعي ويترك المعصية التي كان يعتادها حيث الناس لا يجيبون دعوته، فلا تجب دعوته من أجل مصلحته، أما إذا كان لا يستفيد سواء أجبته أو لم تجبه، فأجب الدعوة؛ لأنه مسلم.

الشرط الثاني: أن يكون ماله حلالاً، فإن كان ماله حرامًا كالذي يكتسب ماله بالربا، فإنه لا تجب إجابته؛ لأن ماله حرام، والذي ماله حرام ينبغي للإنسان أن يتورع عن أكل ماله، ولكنه ليس بحرام، يعني: لا يحرم عليك أن تأكل من ماله من كسبه حرام؛ لأن النبي ﷺ أكل من طعام اليهود وهو يأكلون الربا، يأخذونه ويتعاملون به، ولكن الورع ألا تأكل ممن ماله حرام.

أما إذا كان في ماله حرام، يعني ماله مختلط. يتجر تجارة حلالاً ويكتسب كسبا محرمًا فلا بأس من إجابته، ولا تتورع عن ماله؛ لأنه لا يسلم كثير من الناس اليوم من أن يكون في ماله حرام، فمن الناس من يغش فيكتسب من حرام، ومنهم من يرابي في بعض الأشياء، ومنهم الموظفون، وكثر من الموظفين لا يقومون بواجب وظيفتهم، فتجده يتأخر

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٦٦) ومسلم (١٤٢٧).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٠٩٦).

Marfat.com

عن الدوام[١] أو يتقدم فيخرج قبل وقت انتهاء الدوام، وهذا ليس راتبه حلالاً، بل إنه يأكل من الحرام بقدر ما نقص من عمل الوظيفة؛ لأنه ملتزم بالعقد مع الحكومة مثلا أنه يقوم بوظيفته من كذا إلى كذا، فلو فتشت الناس اليوم لوجدت كثيرًا منهم يكون في ماله دخن من الحرام.

الشرط الثالث: ألا يكون في الدعوة منكر فإن كان في الدعوة منكر فإنه لا تجب الإجابة ، مثل لو علمت أنهم سيأتون بمغنين أو عندهم، شيش، يشربها الحاضرون ، أو عندهم شراب دخان فلا تجب إلا إذا كنت قادرًا على تغيير هذا المنكر، فإنه يجب عليهم الحضور لسببين : السبب الأول: إزالة المنكر، والسبب الثاني: إجابة الدعوة.

أما إذا كنت ستحضر ولكن لا تستطيع تغير المنكر فإن حضورك حرام.

الشرط الرابع: أن يعين المدعو، ومعنى يعينه أن يقول: يا فلان، أدعوك إلى حضور وليمة العرس، فإن لم يعينه بأن دعا دعوة عامة في مجلس فقال يا جماعة، عندنا حفل زواج، ووليمة عرس فاحضروا، فإنه لا يجب عليك أن تحضر؛ لأنه دعا دعوة عامة، وما نص عليك. فلابد أن يعينه فإن لم يعينه فإنها لا تجب، ثم إنه ينبغي للإنسان أن يجيب كل دعوة؛ لأن من حق المسلم على أخيه أن يجيب دعوته، إلا إذا كان في امتناعه مصلحة راجحة فليتبع المصلحة.

[٨/ ٢٦٧] ــ وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أنَا وَهُو كَهَاتَيْنِ » وَضَمَّ أصَابِعَهُ . رواه مسلم . « جَارِيَتَيْنِ » أيْ : بِنْتَيْنِ.

الشرح

أما هذا الحديث ففيه: فضل عول الإنسان للبنات، وذلك أن البنت قاصرة ضعيفة مهينة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها، ولا يهتمون بها، فلذلك قال النبي ﷺ: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَة أنَا وَهُو كَهَاتَيْنِ**» وضم أصبعيه السبابة والوسطى، والمعنى أنه يكون رفيقًا لرسول الله ﷺ في الجنة إذا عال الجاريتين، يعني الأنثيين من بنات أو أخوات أو غيرهما، أي: أنه يكون مع النبي ﷺ في الجنة. والعول في الغالب يكون بالقيام بمئونة البدن، من الكسوة والطعام والشراب والسكن والفراش ونحو ذلك، وكذلك يكون في غذاء الروح بالتعليم والتهذيب والتوجيه والأمر بالخير والنهي عن الشر وما إلى ذلك.

ويؤخذ من هذا الحديث ومما قبله أيضًا: أنه ينبغي للإنسان أن يهتم بالأمور التي تقربه إلى الله، لا بالأمور الشكليات، أو مراعاة ما ينفع في الدنيا فقط، بل يلاحظ هذا،

---

(١) الدوام: أي الوظيفة والعمل.

(٨/ ٢٦٧) صحيح: رواه مسلم (٢٦٣١).

Marfat.com

ويلاحظ ما ينفع في الآخرة أكثر وأكثر.

وقوله: «حتى تبلغا» يعني: حتى تصلا سن البلوغ، وهو خمس عشرة سنة، أو غير ذلك من علامات البلوغ في المرأة.

وعلامات البلوغ في المرأة أربع، هي:

الأولى: تمام خمس عشرة سنة.

الثانية: نبات العانة.

الثالثة: الاحتلام.

الرابع: الحيض. فإذا حاضت ولو كان لها أقل من خمس عشرة سنة فهي بالغ.

* * *

[٩/ ٢٦٨] ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرأةٌ ومَعَهَا ابْنَتَان لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجدْ عندي شيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ واحدَة، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا ولَمْ تَأْكُلْ منْهَ، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ فقال: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذه البَنَاتِ بشيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً من النَّارِ» متفقٌ عليه.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ عن عائشة رضي الله عنها قصة عجيبة غريبة، قالت: «دخَلَتْ عَلَيَّ امْرأةٌ ومَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ» وذلك لأنها فقيرة، قالت: «فَلَمْ تَجدْ عنْدي شَيْئاً غَيْرَ تَمْرَةٍ واحدَة» بيت من بيوت النبي عليه الصلاة والسلام لا يوجد فيه إلا تمرة واحدة! ـ قالت: «فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا» نصفين، وأعطت واحدة نصف التمرة، وأعطت الأخرى نصف التمرة الآخر، «ولَمْ تأكُلْ منْهَا».

«فَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ» على عائشة «فَأَخْبَرَتْهُ» بتلك القصة العجيبة الغريبة، فقال النبي ﷺ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذه البَنَات بشيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْراً من النَّارِ». وقوله ﷺ: «من ابتلي» ليس المراد به هنا بلوى الشر، لكن المراد: من قُدِّر له، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] يعني من قدر له ابنتان فأحسن إليهما كن له ستراً من النار يوم القيامة، يعني أن الله تعالى يحجبه عن النار بإحسانه إلى البنات؛ لأن البنت ضعيفة لا تستطيع التكسب، والذي يكتسب هو الرجل، قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤].

(٩ / ٢٦٨) صحيح: رواه البخاري (١٤١٨)، ومسلم (٢٦٢٩).

Marfat.com

فالذي ينفق على العائلة ويكتسب هو الرجل، أما المرأة فإنما شأنها في البيت، تقيمه وتصلحه لزوجها وتؤدب أولادها، وليست المرأة للوظائف والتكسب إلا عند الغرب الكفرة، ومن كان على شاكلتهم، ممن اغتر بهم فقلدهم وجعل المرأة مثل الرجل في الاكتساب وفي التجارة وفي المكاتب، حتى صار الناس يختلطون بعضهم ببعض، وكلما كانت المرأة أجمل كانت أحظى بالوظيفة الراقية عند الغرب ومن شاكلهم ومن شابههم.

ونحن ـ ولله الحمد ـ في بلادنا هذه ـ نسأل الله أن يديم علينا هذه النعمة ـ قد منعت الحكومة حسب ما قرأنا من كتاباتها أن يتوظف النساء لا في القطاع العام ولا في القطاع الخاص إلا فيما يتعلق بالنساء، مثل مدارس البنات وشبهها. لكن ـ نسأل الله الثبات وأن يزيدها من فضله ـ وأن يمنعها مما عليه الأمم اليوم من هذا الاختلاط الضار.

ومما ورد في هذا الحديث من العبر:

أولاً:بيت من بيوت رسول الله ﷺ ومن أشرف بيوته، فيه أحب نسائه إليه، لا يوجد به إلا تمرة واحدة، ونحن الآن في بلدنا هذا يقدم للإنسان عند الأكل خمسة أصناف شتى، فلماذا فتحت علينا الدنيا وأغلقت عليهم؟! ألكوننا أحب إلى الله منهم؟ لا والله هم أحب إلى الله منا، ولكن فضل الله يؤتيه من يشاء، ونحن ابتلينا بهذه النعم، فصارت هذه النعم عند كثير من الناس اليوم سببًا للشر والفساد والأشر والبطر، حتى فسقوا ـ والعياذ بالله ـ، ويخشى علينا من عقوبة الله عز وجل بسبب أن كثيرًا منا بطروا هذه النعم وكفروها، وجعلوها عونًا على معاصي الله سبحانه وتعالى، نسأل الله السلامة.

ثانيًا: وفيه أيضًا ما كان عليه الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من الإيثار، فإن عائشة ليس عندها إلا تمرة، ومع ذلك آثرت بها هذه المسكينة، ونحن الآن عندنا أموال كثيرة ويأتي السائل ونرده.

لكن المشكلة في الحقيقة في رد السائل أن كثيرًا من السائلين كاذبون، يسأل وهو أغني من المسئول، وكم من إنسان سأل ويسأل الناس ويلحف في المسألة فإذا مات وجدت عنده دراهم الفضة والذهب الأحمر والأوراق الكثيرة من النقود، وهذا هو الذي يجعل الإنسان لا يتشجع على إعطاء كل سائل، من أجل الكذب والخداع، حيث يظهرون بمظهرالعجزة والمعتوهين والفقراء وهم كاذبون.

ثالثًا: وفي الحديث أيضًا من العبر أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ يوجد فيهم الفقير كما يوجد فيهم الغني، قال الله تعالى: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]. ولولا هذا التفاوت ما اتخذ بعضنا سخريًا، ولو كنا على حد سواء،

Marfat.com

واحتاج الإنسان منا مثلاً لعمل ما كالبناء، فجاء إلى الآخر، فقال: أريدك أن تبني لي بيتًا، فقال: ما أبني، أنا مثلك، أنا غني، فإذا أردنا أن نصنع بابًا، قال الآخر: ما أصنع، أنا غني مثلك، فهذا التفاوت جعل الناس يخدم بعضهم بعضًا.

الناس للناس من بدو وحاضرة بعضٌ لبعض وإن لم يشعروا خدمُ

حتي التاجر الغني صاحب المليارات يخدم الفقير، كيف؟! يورد الأطعمة والأشربة والأكسية ومواد البناء وغيرها، يجلبها للفقير فينتفع بها، فكل الناس بعضهم يحتاج لبعض، ويخدم بعضهم بعضًا، ذلك حكمة من الله عز وجل.

رابعًا: وفي هذا الحديث أيضًا: دليل على فضل من أحسن إلى البنات بالمال، والكسوة، وطيب الخاطر، ومراعاة أنفسهن؛ لأنهن عاجزات قاصرات.

خامسًا: وفيه: ما أشرنا إليه أولاً من أن الذي يكلف بالنفقة وينفق هم الرجال، وأما النساء فللبيوت ولمصالح البيوت، وكذلك للمصالح التي لا يقوم بها إلا النساء كمدارس البنات.

أما أن يجعلن موظفات مع الرجال في مكتب واحد، أو سكرتيرات كما يوجد في كثير من بلاد المسلمين، فإن هذا لا شك خطأ عظيم، وشر عظيم، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»، وذلك لأن أولها قريب من الرجال فصار شرًا، وآخرها بعيد عن الرجال فصار خيرًا . فانظر كيف نُدب للمرأة أن تتأخر وتبتعد عن الإمام، كل ذلك من أجل البعد عن الرجال، نسأل الله أن يحمينا وإخواننا المسلمين من أسباب سخطه وعقابه.

* * *

[٢٦٩ / ١٠] ــ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني مسكينةٌ تحملُ ابْنَتَيْنِ لها، فأطعمتُها ثلاثَ تمرات، فأعطت كُلَّ واحدةَ منهُما تَمرةً ورفعتْ إلى فيها تمرةً لتأكلَها، فاستطعمتْهَا ابنتاها، فشقَّت التَّمرةَ التى كانتْ تُريدُ أنْ تأكُلَها بينهُمَا، فأعجبني شأنُها، فذكرْتُ الَّذى صنعتْ لرسول الله ﷺ فقال: «إنَّ اللهَ قدْ أوْجبَ لَها بهَا الجنَّةَ، أوْ أعتقَهَا بهَا منَ النَّار» رواه مسلم.

[٢٧٠ / ١١] ــ وعن أبي شُرَيْح خُوَيْلد بن عَمْرو الخُزَاعيّ رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «اللَّهُمَّ إنى أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعيفَيْنِ، اليَتِيمِ والمرأة» حديث حسن رواه النسائى بإسناد جيد.

(٢٦٩ / ١٠) صحيح: رواه البخاري (٥٤١٨) مسلم (٢٦٣٠).

(٢٧٠ / ١١) حسن: اخرجه النسائي في «الكبرى» (٩١٥٠) ورواه ابن ماجه (٣٦٧٨) من حديث أبي هريرة وحسنه الالباني في صحيح ابن ماجه (٢٩٦٧) والصحيحة برقم (١٠١٥).

Marfat.com

ومعنى: «أُحَرِّجُ»: أُلحقُ الحَرَجَ، وَهُو الإثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وأُحَذرُ منْ ذلكَ تَحْذيراً بَليغاً، وأزْجرُ عَنْهُ زَجْراً أكيداً.

[٢٧١/١٢] ـ وعنْ مُصْعَبِ بنِ سعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنهما قال: رأى سَعْدٌ أنَّ لَهُ فَضْلاً عَلَى مَنْ دُونَهُ، فقال النبيُّ ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إلا بِضُعَفَائكُمْ» رواه البخاري هكذا مُرسَلاً، فإنَّ مُصْعَبَ بن سعد تَابعيٌّ، ورواه الحافظُ أبو بكر البَرْقَاني في صَحيحه مُتَّصلاً عن مُصْعَب عن أبيه رضيَ اللهُ عنه.

[٢٧٢/١٣] ـ وعن أبي الدَّرْدَاء عُوَيْمر رضي الله عنه قال: سمعْتُ رسول الله يقول: «ابْغُوني الضُّعَفَاءَ، فإنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بضُعَفَائكُمْ» رواه أبو داود بإسناد جيد.

الشرح

هذه الأحاديث كلها تدل على مضمون ما سبق من الرفق بالضعفاء واليتامى والبنات وما أشبه ذلك، وفي حديث عائشة الأول قصة كحديثها السابق، لكن الحديث السابق أن عائشة رضي الله عنها أعطتها تمرة واحدة فشقتها بين ابنتيها.

أما هذا الحديث فأعطتها ثلاث تمرات فأعطت إحدى البنتين واحدة، والثانية التمرة الأخرى، ثم رفعت الثالثة إلى فيها لتأكلها فاستطعمتاها ـ يعني أن البنتين نظرتا إلى التمرة التي رفعتها الأم ـ فلم تطعمها الأم، بل شقتها بيتهما نصفين، فأكلت كل بنت تمرة ونصفًا، والأم لم تأكل شيئًا، فذكرت ذلك للرسول ﷺ وأخبرته بما صنعت المرأة، فقال: «**إن الله أوجب لها بها الجنة أو أعتقها بها من النار**» يعني لأنها لما رحمتهما هذه الرحمة العظيمة أوجب الله لها بذلك الجنة.

فدل ذلك على أن ملاطفة الصبيان والرحمة بهم من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار نسأل الله أن يكتب لنا ولكم ذلك.

وفي الأحاديث الثلاثة التالية لهذا الحديث: ما يدل على أن الضعفاء سبب للنصر وسبب للرزق، فإذا حنا عليهم الإنسان وعطف عليهم وآتاهم مما آتاه الله عز وجل كان ذلك سببًا للنصر على الأعداء، وكان سببًا للرزق؛ لأن الله تعالى أخبر أنه إذا أنفق الإنسان لربه نفقة فإن الله تعالى يخلفها عليه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ﴿يُخْلِفُهُ﴾ أي: يأتي بخلفه وبدله.

* * *

(٢٧١/١٢) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٦).

(٢٧٢/١٣) صحيح رواه أبو داود (٢٥٩٤) وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢٩٧٩) وصحيح الجامع (٤٧٠).

Marfat.com

٣٤ ـ باب الوصية بالنساء

قال الله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (النساء:١٩) ،وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء:١٢٩) .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب الوصية بالنساء) يعني الوصية على أن يرفق بهن الإنسان، وأن يتقي الله تعالى فيهن؛ لأنهن قاصرات يحتجن إلى من يجبرهن ويكملهن، كما قال الله تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٣٤].

ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ يعني: عاشروا النساء بالمعروف.

والمعاشرة: معناها المصاحبة والمعاملة فيعاملها الإنسان بالمعروف ويصاحبها كذلك.

والمعروف: ما عرفه الشرع وأقره واطرد به العرف ، والعبرة بما أقره الشرع، فإذا أقر الشرع شيئًا فهو المعروف، وإذا أنكر شيئًا فهو المنكر ولو عرفه الناس.

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ (النساء:١٢٩) . وهذا الخطاب لمن كان عنده زوجتان فأكثر، يبين الله عز وجل أن الإنسان لا يستطيع أن يعدل بين النساء ولو حرص؛ لأن هناك أشياء تكون بغير اختيار الإنسان، كالمودة والميل وما أشبه ذلك، مما يكون في القلب.

أما ما يكون بالبدن فإنه يمكن العدل فيه كالعدل في النفقة، والعدل في المعاملة بأن يقسم لهذه ليلتها، وهذه ليلتها، والكسوة، وغير ذلك فهذا ممكن لكن ما في القلب لا يمكن أن يعدل الإنسان فيه؛ لأنه بغير اختياره. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا ﴾ أي: تذروا المرأة التي ملتم عنها ﴿ كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ اي: بين السماء والأرض، ليس لها قرار؛ لأن المرأة إذا رأت أن زوجها مال مع ضرتها تعبت تعبًا عظيمًا، واشتغل قلبها، فصارت كالمعلقة بين السماء والأرض، ليس لها قرار.

ثم قال: ﴿ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ يعني: إن تسلكوا سبيل الإصلاح وتقوي الله عز وجل، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ، يعني يغفر لكم ما لا تستطيعونه، ولكنه يؤاخذكم بما تستطيعون.

وهاتان الآيتان وغيرهما من نصوص الكتاب والسنة كلها تدل على الرفق بالمرأة وملاحظتها ومعاشرتها بالتي هي أحسن، وأن الإنسان لا يطلب منها حقه كاملاً؛ لأنه لا

Marfat.com

يمكن أن تأتي به على وجه الكمال فليعف وليصفح.

* * *

[١/ ٢٧٣] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « اسْتَوْصُوا بالنِّسَاء خَيْراً؛ فإنَّ المَرْأةَ خُلِقَتْ منْ ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ مَا فى الضِّلَعِ أعْلاهُ، فإنْ ذَهبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزلْ أعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بالنِّسَاء » متفقٌ عليه.

وفى رواية فى « الصحيحين »: « المَرْأةُ كَالضِّلَعِ إنْ أقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وإنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ بها وفيها عوَجٌ ».

وفى رواية لمسلم: « إنَّ المَرْأةَ خُلِقَتْ منْ ضِلَعٍ، لَن تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَة، فَإنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وفيها عوَجٌ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقيمُهَا كَسَرْتَهَا، وكَسْرُهَا طَلاقُهَا ».

قولُهُ: « عَوَجٌ » هو بفتح العينِ والواوِ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه في معاشرة النساء أن النبي ﷺ قال: «اسْتَوْصُوا بالنِّسَاء خَيْراً» يعني: اقبلوا هذه الوصية التي أوصيكم بها، وذلك أن تفعلوا خيرًا مع النساء؛ لأن النساء قاصرات في العقول، وقاصرات في الدين، وقاصرات في التفكير، وقاصرات في جميع شئونهن، فإنهن خلقن من ضلع.

وذلك أن آدم عليه الصلاة والسلام خلقه الله من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب، ثم قال له: كن فيكون، ولما أراد الله تعالى أن يبث منه هذه الخليقة، خلق منه زوجه، فخلقها من ضلعه الأعوج، فخلقت من الضلع الأعوج، والضلع الأعوج إن استمتعت به استمتعت به وفيه العوج، وإن ذهبت تقيمه انكسر.

فهذه المرأة أيضًا إن استمتع بها الإنسان استمتع بها على عوج، فيرضى بما تيسر، وإن أراد أن تستقيم فإنها لن تستقيم، ولن يتمكن من ذلك، فهي وإن استقامت في دينها فلن تستقيم فيما تقتضيه طبيعتها، ولا تكون لزوجها على ما يريد في كل شيء، بل لابد من مخالفة ولابد من تقصير، مع القصور الذي فيها.

فهي قاصرة بمقتضى جبلتها وطبيعتها، ومقصرة أيضًا «فإن ذهبت تقيمها كسرتها»، وكسرها طلاقها، يعني: معني ذلك أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد فلا يمكن ذلك، وحينئذ تسأم منها وتطلقها، فكسرها طلاقها.

وفي هذا: توجيه من رسول الله ﷺ إلى معاشرة الإنسان لأهله، وأنه ينبغي أن يأخذ

(١/ ٢٧٣) صحيح: رواه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

Marfat.com

منهم العفو وما تيسر، كما قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ يعني: ما عفى وسهل من أخلاق الناس ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

ولا يمكن أن تجد امرأة مهما كان الأمر سالمة من العيب مائة بالمائة، أو مواتية للزوج مائة بالمائة، ولكن كما أرشد النبي عليه الصلاة والسلام استمتع بها على ما فيها من العوج.

وأيضًا إن كرهت منها خلقًا رضيت منها خلقًا آخر(١)، فقابل هذا بهذا مع الصبر، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

* * *

[٢/ ٢٧٤] ـ وعن عبد الله بن زَمْعَةَ رضى الله عنه، أنه سَمِعَ النبيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذى عقَرَهَا، فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ مَنِيعٌ فى رَهْطِه» ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ، فَوَعَظَ فيهنَّ، فَقَالَ: «يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِه» ثُمَّ وَعَظَهُمْ فى ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ وقال: «لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟» متفقٌ عليه.

و«الْعَارِمُ» بالعين الْمُهْمَلَة والراء: هُوَ الشِّرِّيرُ الْمُفْسِد، وقولُهُ: «انْبَعَثَ» أىْ: قَامَ بِسُرْعَةٍ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عبد الله بن زمعة رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يخطب على ناقته، وكان عليه الصلاة والسلام خطبه على نوعين: نوع راتب، ونوع عارض.

فالخطب الراتبة: كخطب يوم الجمعة وخطب العيدين والاستسقاء والكسوف وما أشبه ذلك.

والخطب العارضة: هي التي يكون لها سبب، فيقوم النبي ﷺ فيخطب الناس ويعظهم ويبين لهم، وأحيانًا يخطب على المنبر، وأحيانًا يخطب قائمًا على الأرض، وأحيانًا يخطب على ناقته، وأحيانًا يخطب معتمدًا على بعض أصحابه، حسب ما تقتضيه الحال في وقتها؛ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام من هديه أنه لا يتكلف، فلا يطلب المعدوم، ولا يرد الموجود إذا لم يكن في ذلك تقصير في الشرع، أو تجاوز فيه.

فكان ﷺ يخطب وسمعه عبد الله بن زمعة، ومن جملة ما خطب أنه قال: «يَعْمِدُ

---

(١) انظر مسلم (١٤٦٩).

(٢/ ٢٧٤) صحيح: رواه البخاري (٤٩٤٢)، ومسلم (٢٨٥٥).

Marfat.com

أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ» يعني يجلدها جلد شخص كأنه لا علاقة بينه وبينها، وكأنها عنده عبد أسير عان، وهذا لا يليق؛ لأن علاقة الرجل مع أهله علاقة خاصة ينبغي أن تكون مبنية علي المحبة والألفة والبعد عن الفحشاء القولية أو الفعلية.

أما أن يجلدها كما يجلد العبد ثم في آخر اليوم يضاجعها. كيف تضاجعها في آخر اليوم وتستمتع بها محبة وتلذذًا وشهوة وأنت قد جلدتها جلد العبد؟ فهذا تناقض ، ولهذا عتب النبي عليه الصلاة والسلام على هذا العمل، فإنه لا ينبغي أن يقع هذا الشيء من الإنسان، وصدق النبي عليه الصلاة والسلام، فإن هذا لا يليق بالعاقل فضلاً عن المؤمن.

ثم تحدث أيضًا عن شيء آخر وهو الضحك من الضرطة، يعني إذا ضرط الإنسان وخرجت الريح من دبره ولها صوت ضحكوا، فقال ﷺ واعظًا لهم في ذلك: **«لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ»**.

ألست أنت تضرط كما يضرط هذا الرجل؟ بلى، إذا كان كذلك فلماذا تضحك؟ فالإنسان إنما يضحك ويتعجب من شيء لا يقع منه، أما ما يقع منه، فإنه لا ينبغي أن يضحك منه، ولهذا عاتب النبي ﷺ من يضحكون من الضرطة؛ لأن هذا شيء يخرج منهم، وهو عادة عند كثير من الناس.

كثير من الناس في بعض الأعراف لا يبالون إذا ضرط أحدهم وإلى جنبه إخوانه، ولا يحتشمون من ذلك أبدًا، ويرون أنها من جنس العطاس أو السعال، أو ما أشبه ذلك ولكن في بعض الأعراف ينتقدون هذا.

لكن كونك تضحك وتخجل صاحبك، فهذا مما لا ينبغي.

وفي هذا: إشارة إلى أن الإنسان لا ينبغي له أن يعيب غيره فما يفعله هو بنفسه، إذا كنت لا تعيبه بنفسك فكيف تعيبه بإخوانك!

وبهذه المناسبة أود أن أنبه على مسألة شائعة عند العامة، فإنه من المعلوم أن لحم الإبل إذا أكل منه الإنسان وهو متوضئ انتقض وضوؤه، ووجب عليه أن يتوضأ إذا أراد الصلاة، سواء أكله نيئًا أو مطبوخًا، وسواء كان هبرًا أو كبدًا، أو مصرانًا، أو كرشًا، أو قلبًا، أو رئة، كل ما حملت البعير فإن أكله ناقض للوضوء؛ لأن النبي ﷺ لم يستثن شيئًا، وإنما قال: **«توضؤوا من لحوم الإبل»**(١) وسئل: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ فقال: **«نعم»** قال: من لحوم الغنم؟ قال: **«إن شئت»**(٢) لحم الغنم لا ينقض الوضوء، لحم البقر لا ينقض الوضوء، لحم الخيل لا ينقض الوضوء، لكن لحم الإبل ينقض الوضوء، إذا أكله نيئًا أو

---

(١) صحيح: أبو داود (١٨٤) الترمذي (٨١) ابن ماجه (٤٩٤) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٧٧).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٦٠).

Marfat.com

مطبوخًا، وجب عليك أن تتوضأ.

فأما شرب لبنها، فإن الصحيح أنه ليس بناقض للوضوء؛ لأن النبي ﷺ لما أمر العرنيين أن يخرجوا إلى إبل الصدقة، ويشربوا من أبوالها وألبانها لم يأمرهم بالوضوء، ولو كان واجبًا لأمرهم به، فإن توضأت فهو أحسن، أما الوجوب فلا.

وكذلك المرق لا يجب الوضوء منه، وإن توضأت فهو أحسن، أما اللحم فلابد، وكذلك الشحم فلابد من الوضوء منه.

يقول بعض الناس: إن السبب أن الرسول ﷺ كان في وليمة وكان لحمها لحم إبل، وأنه خرجت ريح من بعض الحاضرين ولا يدري من، فقال الرسول ﷺ: **«من أكل لحم إبل فليتوضأ»** فقام جميعهم يتوضئون.

وجعلوا هذا السبب في أن الإنسان يتوضأ من لحم الإبل، وهذا حديث باطل، لا أصل له، وإنما الرسول ﷺ أمر بالوضوء من لحم الإبل لحكمة يعلمها الله قد نعلمها نحن، وقد لا نعلمها، المهم نحن علينا أن نقول: سمعنا وأطعنا، أمرنا الرسول ﷺ أن نتوضأ من لحوم الإبل إذا أكلنا منها فسمعًا وطاعة.

* * *

[٣/ ٢٧٥] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أوْ قَالَ: «غَيْرَهُ» رواه مسلم.

وقولُهُ: «يَفْرَكْ» هو بفتح الياء وإسكان الفاء وفتح الراء معناه: يبْغض، يقالُ: فَرِكَت المَرْأةُ زَوْجَهَا، وفَرِكَهَا زَوْجُهَا، بكسر الراءِ، يَفْرَكُهَا بفتحِها: أيْ أبْغَضَهَا، والله أعلم.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ: **«لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»** الفرك: يعني البغضاء والعداوة، يعني: لا يعادي المؤمن المؤمنة كزوجته مثلاً لا يعاديها ويبغضها إذا رأى منها ما يكرهه من الأخلاق، وذلك لأن الإنسان يجب عليه القيام بالعدل، وأن يراعي المعامل له بما تقتضيه حاله، والعدل أن يوازن بين السيئات والحسنات، وينظر أيهما أكثر وأيهما أعظم وقعًا فيغلب ما كان أكثر وما كان أشد تأثيرًا، لأن هذا هو العدل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ

(٣/ ٢٧٥) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٩) وأحمد (٢/ ٣٢٩).

Marfat.com

تَعْدِلُوا﴾ [المائدة:٨] يعني: لا يحملكم بغضهم على عدم العدل، اعدلوا ولو كنتم تبغضونه، ولهذا لما بعث النبي ﷺ عبد الله بن رواحة إلى أهل خيبر ليخرص عليهم ثمر النخل، وكان النبي ﷺ قد عامل أهل خيبر حين فتحها على أن يكفوه المئونة، ويقوموا بإصلاح النخيل والزرع ولهم النصف.

فكان يبعث عليهم من يخرص عليهم الثمرة، فبعث إليهم عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم، ثم قال لهم: يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخلق إلى، قتلتم أنبياء الله عز وجل، وكذبتم على الله، وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عشرين ألف وسق من تمر، فإن شئتم فلكم، وإن أبيتم فلي، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض[1].

فالشاهد أن الرسول ﷺ أمر أن يكون الإنسان حاكمًا بالعدل، وبالقسط قال: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً» يعني: لا يبغضها لأخلاقها، إن كره منها خلقًا رضي منها خلقًا آخر.

إذا أساءت مثلاً في ردها عليك مرة، لكنها أحسنت إليك مرات، أساءت ليلة لكنها أحسنت ليالي، أساءت في معاملة الأولاد مرة ، لكن أحسنت كثيرًا. وهكذا.

فأنت إذا أساءت إليك زوجتك لا تنظر إلى الإساءة في الوقت الحاضر، ولكن انظر إلى الماضي وانظر للمستقبل واحكم بالعدل.

وهذا الذي ذكره النبي ﷺ في المرأة يكون في غيرها أيضًا ممن يكون بينك وبينه معاملة أو صداقة أو ما أشبه ذلك، إذا أساء إليك يومًا من الدهر فلا تنس إحسانه إليك مرة أخرى وقارن بين هذا وهذا، وإذا غلب على الإساءة فالحكم للإحسان ، وإن غلبت الإساءة على الإحسان فانظر، إن كان أهلاً للعفو فاعف عنه، ومن عفا وأصلح فأجره على الله، وإن لم يكن أهلاً للعفو فخذ بحقك وأنت غير ملوم إذا أخذت بحقك، لكن انظر للمصلحة.

فالحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يعامل من بينه وبينه صلة من زوجية أو صداقة أومعاملة في بيع أو شراء أو غيره أن يعامله بالعدل إذا كره منه خلقًا أو أساء إليه في معاملة أن ينظر للجوانب الأخرى الحسنة حتى يقارن بين هذا وهذا، فإن هذا هو العدل الذي أمر به ورسوله كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٤١٠) وأحمد (٣/ ٣٦٧).

Marfat.com

[٢٧٦/٤] ــ وعن عَمْرو بن الأحْوَص الجُشَمى رضى الله عنه أنه سَمِعَ النبىَّ ﷺ فى حَجَّة الْوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أنْ حَمدَ الله تعالى ، وأثْنَى عَلَيْه وذَكَّرَ وَوَعَظَ ، ثُمَّ قال : «ألا واسْتَوْصُوا بالنِّسَاء خَيْراً فَإنَّمَا هُنَّ عوَانٍ عندَكُمْ ، لَيْس تَمْلكُونَ منهُنَّ شَيْئاً غَيْرَ ذلكَ إلا أنْ يَأتينَ بفَاحشة مُبَيِّنَة ، فإن فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فى المَضَاجعِ ، وَاضْربُوهُنَّ ضَرْباً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فإنْ أطَعْنكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبيلاً ؛ ألا إنَّ لَكُمْ عَلَى نسَائكُمْ حَقّا ، ولنسَائكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَحقُّكُمْ عَلَيْهنَّ ألا يُوطئنَ فُرُشكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ ، وَلاَ يَأذَنَّ فى بُيوتكُمْ لمَنْ تَكْرَهُونَ ، ألا وحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أنْ تُحْسنُوا إلَيْهنَّ فى كسْوَتهنَّ وَطَعَامهنَّ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيحٌ .

قوله ﷺ « عوَان » أىْ : أسيرَاتٌ جَمْعُ عَانيَة ، بالعَيْنِ المُهْمَلَة ، وهىَ الأسيرةُ ، والعانى: الأسيرُ . شَبَّهَ رسولُ الله ﷺ المَرْأةَ فى دُخُولهَا تَحْتَ حُكْم الزَّوْج بالأسير و«الضَّرْبُ المبرح»: هُوَ الشَّاقُّ الشَّديدُ ، وقوله ﷺ : « فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبيلاً » أىْ : لاَ تَطْلُبُوا طَرِيقاً تَحْتَجُونَ به عَلَيْهنَّ وتُؤْذُونَهنَّ به ، والله أعلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ في خطبة الوداع يخطب، وكان ذلك في عرفة؛ لأن النبي ﷺ في حجة الوداع قدم مكة يوم الأحد الرابع من ذي الحجة، وبقي فيها إلي يوم الخميس الثامن من ذي الحجة.

وخرج يوم ضحى يوم الخميس إلى منى، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، فلما طلعت الشمس، صار إلى عرفة، فنزل بنمرة وهي مكان معروف قبل عرفة وليست من عرفة، ثم زالت الشمس وحلت صلاة الظهر، فأمر أن تُرحل له ناقته فرحلت له وركب، حتى أتى بطن الوادى ـ بطن عرنة ـ وهو شعب عظيم يحد عرفة من الناحية الغربية إلى الناحية الشمالية، فنزل ثم خطب الناس ﷺ خطبة عظيمة بليغة.

ثم قال فيها من جملة ما قال موصيًا أمته بالنساء: «اسْتَوْصُوا بالنِّسَاء خَيْراً فَإنَّمَا هُنَّ عَوَان عِنْدَكُمْ » العواني جمع عانية، وهي الأسيرة، يعني أن الزوجة عند زوجها بمنزلة الأسيرِ عند من أسره؛ لأنه يملكها، وإذا كان يملكها فهي كالأسير عنده، ثم بين ﷺ أنه لا حق لنا أن نضربهن إلا إذا أتين بفاحشة مبينة، والفاحشة هنا عصيان الزوج، بدليل قوله : ﴿ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ [النساء:٣٤]. يعني: إن أهملت الزوجة في حق

(٤ / ٢٧٦) حسن : رواه الترمذي (١١٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٠٢).

Marfat.com

زوجها عليها فإنه يعظها أولاً، ثم يهجرها في المضجع فلا ينام معها ثم يضربها ضربًا غير مبرح إن هي استمرت على العصيان.

هذه مراتب تأديب المرأة إذا أتت بفاحشة مبينة، وهي عصيان الزوج فيما يجب له: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ يعني: لا تضربوهن ولا تقصروا في حقهن؛ لأنهن قمن بالواجب.

ثم بين ﷺ الحق الذي لهن والذي عليهن، فقال: **«لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه»** يعني: لا يجعلن أحدًا يدخل عليهن على فراش النوم أو غيره وأنت تكره أن يجلس على فراش بيتك، وكأن هذا ـ والعلم عند الله ـ ضرب مثل، والمعنى ألا يكرمن أحدًا تكرهونه، هذا من المضادة لكم أن يكرمن من تكرهونه بإجلاسه على الفرش أو تقديم الطعام له، أو ما أشبه ذلك.

«وألا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون» يعني: لا يدخلن أحدًا البيت وأنت تكره أن يدخل، حتى لو كانت أمها أو أباها، فلا يحل لها أن تدخل أمها أو أباها أو أختها أو أخاها، أو عمها أو خالها، أو عمتها أو خالتها إلى بيت زوجها إذا كان يكره ذلك.

وإنما نبهت على هذا لأن بعض النساء ـ والعياذ بالله ـ شر، شر حتى على ابنتها، إذا رأت حياة ابنتها مستقرة وسعيدة مع زوجها أصابتها الغيرة ـ والعياذ بالله ـ وهي الأم! ثم حاولت أن تفسد ما بين ابنتها وزوجها، فللزوج أن يمنع هذه الأم من دخول بيته، وله أن يقول لزوجته: لا تدخل بيتي، له أن يمنعها شرعًا، وله أن يمنع زوجته من الذهاب إليها لأنها نمامة تفسد، وقد قال النبي ﷺ **«لا يدخل الجنة قتات»**(١) أي: نمام.

ثم قال ﷺ: **«ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف»**.

فالزوج هو الذي ينفق على زوجته حتى لو كانت غنية، ولو كانت موظفة، فليس له حق في وظيفتها ولا في راتبها، ليس له قرش واحد كله لها، وتلزمه بأن ينفق عليها، إذا قال: كيف أنفق عليك وأنت غنية، ولك راتب كراتبي؟ نقول: يلزمك الإنفاق عليها وإن كانت كذلك، فإن أبيت فللحاكم القاضي أن يفسخ النكاح غصبًا من الزوج وذلك لأنه ملتزم بنفقتها.

الحاصل أن خطبة حجة الوداع خطبة عظيمة قرر فيها النبي ﷺ شيئًا كثيرًا من أصول الدين ومن الحقوق حتى قال ﷺ من جملة ما قال: **«ألا وإن ربا الجاهلية موضوع تحت**

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٠٥٦) مسلم (١٠٥).

Marfat.com

قدمي هذا» كانوا في الجاهلة ـ نسأل الله العافية ـ إذا حل الدين على الفقير قالوا له: إما أن تربي وإما أن تقضي: «تقضي» يعني توفينا، «تربي» يعني نزيد عليك الدين حتى يصبح أضعافًا مضاعفة.

فقال ﷺ في حجة الوداع حاكمًا ومشرعًا: **«إن ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين»** يعني تحت رجلي ليس له قائمة، ثم قال: **«وأول ربًا أضع ربا العباس بن عبد المطلب»**(١).

الله أكبر، قوة عظيمة في تنفيذ أحكام الله، وعدل قائم، **«أول ربا أضع ربا العباس»** العباس عم الرسول ﷺ، فلا محاباة لأحد لقرابته ولا لنسبه ولا لسلطانه.

لو كان النبي ﷺ رجلاً من أهل الدنيا لحابى عمه، ولأبقى رباه على ما هو عليه، لكن الرسول ﷺ الذي هو في غاية الخلق في العدل يقول: **«أول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب»** فإنه موضوع كله، فليس لأحد ممن عليه الربا أن يوفيه، فهو ساقط كأن لم يكن، ليس للعباس إلا رأس ماله فقط.

وهذا كقوله ﷺ حينما جاء الناس يشفعون في امرأة من بني مخزوم كانت تستعير المتاع وتجحده، تستعير المتاع كالقدر والفرش وغيره، ثم إنها بعد أن تأخذ هذا المتاع كانت تنكر أنها أخذت شيئًا، فأمر النبي ﷺ أن تقطع يدها لأنها سارقة.

فاهم قريشًا شأنها لأنها امرأة من بني مخزوم ـ إحدى قبائل قريش الكبرى ـ وقدموا أسامة بن زيد يشفع عند النبي ﷺ وأسامة هو ابن عتيق الرسول زيد بن حارثة، عبد أهدته خديجة للرسول ﷺ فأعتقه ثم جاء بأسامة، وكان النبى ﷺ يحبهما أسامة وأباه زيدًا، فقالوا لأسامة: اشفع عند الرسول ﷺ.

فلما جاء يشفع أنكر عليه النبي ﷺ، وقال: **«أتشفع في حد من حدود الله»** أنكر عليه إنكار توبيخ. ثم قام فخطب الناس وقال لهم كلامًا خالدًا عظيمًا: **«أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»**. والضعيف أحق بالعفو إن كان هناك تفريق ومحاباة، ولكن ولله الحمد ليس هناك تفريق ولا محاباة في إقامة حدود الله، ثم قال النبي ﷺ **«وايم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»**.(٢) وهي أشرف من المخزومية نسبًا وقدرًا ودينًا، وهي بلا شك أفضل من المخزومة؛ لأنها سيدة نساء أهل الجنة ـ رضي الله عنها ـ.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٢١٨) أبو داود (١٩٠٥) والنسائي (٥/ ١٥٧) وابن ماجه (٣٠٧٤).
(٢) سبق تخريجه.

Marfat.com

وقوله: ﷺ : «وايم الله» حلف وإن لم يستحلف، لتأكيد هذا الحكم وبيان أهميته «لو أن فاطمة» وهي أشرف من هذه المخزومية «بنت محمد» أشرف البشر «سرقت لقطعت يدها» ليقطع كل الحجج والوساطات والشفاعات، وهذا يدل على كمال عدله ﷺ .

المهم أن الرسول ﷺ في حجة الوداع خطبة عظيمة بين فيها كثيرًا من أحكام الإسلام وآدابه، وقد قام بشرح هذه الخطبة الشيخ العلامة عبد الله بن محمد بن حميد ـ رحمة الله عليه ـ رئيس القضاة في هذه المملكة في زمنه، شرحها شرحًا موجزًا لكنه مفيد، فمن أحب فليرجع إليه.

* * *

[٥/ ٢٧٧] ـ وعن مُعَاوِيَةَ بن حَيْدَةَ رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما حَقُّ زَوْجَة أحدنا عَلَيْه؟ قال: «أنْ تُطعمهَا إذَا طَعمْتَ، وَتَكْسُوهَا إذَا اكْتَسَيْتَ، وَلا تَضْرِب الوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إلا فى البَيْتِ» حَديثٌ حَسنٌ رواه أبو داود وقال: معنى «لا تُقَبِّحْ» أى: لا تَقُلْ قَبَّحَكَ الله.

[٦/ ٢٧٨] ـ وعنْ أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أكْمَلُ المُؤْمنينَ إيمَاناً أحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خيَارُكُمْ لنسَائهمْ» رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقل عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ : ما حق امرأة أحدنا عليه، والصحابة رضي الله عنهم كانوا إذا سألوا النبي ﷺ فإنما يسألونه ليعملوا لا ليعلموا فقط، خلافًا لما عليه كثير من الناس اليوم يسألون ليعلموا، ثم لا يعمل إلا قليل منهم، وذلك أن الإنسان إذا علم شريعة الله ما علم كان حجة له أو عليه، إن عمل به فهو حجة له يوم القيامة، وإن لم يعمل به كان حجة عليه يؤاخذ به.

وما أكثر ما كان الصحابة يسألون النبي ﷺ عن أمور دينهم، ففي القرآن مسائل كثيرة: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ [البقرة:١٨٩]. ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢١٥]، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ المَحِيضِ﴾ [البقرة:٢٢٢]، كلها أسئلة يريد بها الصحابة رضي الله عنهم أن يعلموا منها حكم الله ثم يطبقوه في أنفسهم وفي أهليهم.

وهنا سأله معاوية: ما حق امرأة أحدنا عليه؟ قال: «أن تُطعمها إذا طعمت وتكسوها

(٥/ ٢٧٧) صحيح: رواه أبو داود (٢١٤٢)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٠٠).

(٦/ ٢٧٨) حسن صحيح: رواه الترمذي (١١٦٢)، أبو داود (٤٦٨٢) وقال الألباني في المشكاة (٣٢٦٤).

Marfat.com

إذا اكتسيت» يعني لا تَخُص نفسك بالكسوة دونها ولا بالطعام دونها، بل هي شريكة لك يجب عليك أن تُنفق عليها كما تُنفق على نفسك، حتى إن كثيرًا من العلماء يقول: إذا لم يُنفق الرجل علي زوجته، وطالبت بالفسخ عند القاضي فللقاضي أن يفسخ النكاح؛ لأنه قصر بحقها الواجب لها.

قال: «ولا تضرب الوجه ولا تُقبح» فلا تضربها إلا لسبب وإذا ضربتها فاجتنب الوجه وليكن ضربًا غير مُبرح.

وقد سبق لنا أن الإنسان إذا رأى من امرأته نشوزًا وترفُعًا عليه، وأنها لا تقوم بحقه وعظها أولاً، ثم هجرها في المضجع، ثم ضربها ضربًا غير مُبرح، فإذا حق له أن يضربها لوجود السبب، فإنه لا يضرب الوجه.

وكذلك غير الزوجة لا يُضرب على الوجه، فالابن إذا أخطأ لا يُضرب على الوجه؛ لأن الوجه أشرف ما في الإنسان، وهو واجهة البدن كله، فإذا ضُرب كان أذل للإنسان مما لو ضُرب غير وجهه، يعني يُضرب الرجل مع كتفه، مع عضده، مع ظهره؛ فلا يرى بذلك أن استُذل كما لو ضربته على وجهه، ولهذا نهى عن ضرب الوجه وعن تقبيح الوجه.

قوله: «لا تُقبح» يعني لا تقل: أنت قبيحة، أو قبح الله وجهك، ويشمل النهي عن التقبيح: النهي عن التقبيح الحسي والمعنوي، فلا يقبحها مثل أن يقول: أنت من قبيلة رديئة أو من عائلة سيئة أو غير ذلك.

كل هذا من التقبيح الذي نهى الله عنه، قال: «ولا تهجر إلا في البيت» يعني إذا وجد سبب الهجر فلا تهجرها علنًا وتُظهر للناس أنك هجرتها.

اهجرها في البيت؛ لأنه ربما تهجرها اليوم وتتصالح معها في الغد، فتكون حالكما مستورة، لكن إذا ظهرت حالكما للناس بأن قمت بنشر ذلك والتحديث به كان هذا خطأ، اهجرها في البيت، ولا يطلع على هجرك أحد، حتى إذا اصطلحت معها رجع كل شيء على ما يرام، دون أن يطلع عليه أحد من الناس.

أما الحديث الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه فإنه حديث عظيم، قال فيه النبي ﷺ: «أكمل الناس إيمانًا أحسنهم خلقًا».

الإيمان يتفاوت ويتفاضل كما قال الله تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]. وليس الناس في الإيمان سواء؛ من الناس من يؤمن بالغيب وكأنه يشاهده شهود عيان، يؤمن بيوم القيامة وكأنه الآن في تلك الساعات، يؤمن بالجنة وكأنها ماثلة أمامه، يؤمن بالنار وكأنه يراها بعينه، يؤمن إيمانًا حقيقيًا مطمئنًا لا يُخالطه شك.

ومن الناس من يكون مزعزع الإيمان ـ نسأل الله العافية ـ كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ

Marfat.com

مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾ [الحج:١١]. يعني على طرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ﴾ يعني إن لم يواجه أحدًا يشككه في الدين، ولم يواجه إلا صلحاء يعينونه ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ أي ركن إليه.

﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾ [الحج:١١] إن أصابته فتنة في بدنه، أو ماله، أو أهـ ... ب على وجهه واعترض على القضاء والقدر، وتسخط وهلك والعياذ بالله ﴿ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ﴾ .

فأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، وفي هذا حث عظيم على حُسن الخلق، حسن الخلق مع الله وحسن الخلق مع الناس.

أما حسن الخلق مع الله، فأن يرضى الإنسان بشريعته، وينقاد إليها مسلمًا راضيًا، مطمئنًا بها، سواء كان أمرًا يأمر به، أو نهيًا يُنهى عنه.

وأن يرضى الإنسان بقدر الله عز وجل، ويكون الذي قدر الله عليه مما يسوءه كالذي قدر الله عليه مما يسره، فيقول: يا رب كل شيء من عندك، فأنا راضٍ بك ربًا، إن أعطيتني ما يسرني شكرت، وإن أصابني ما يسوءني صبرت، فيرضى بالله، قضاءً وقدرًا وأمرًا وشرعًا؛ هذا حسن الخلق مع الله.

أما حسن الخلق مع الناس فظاهر، فكفُ الأذى وبذل الندى، والصبر عليهم وعلى أذاهم، هذا من حسن الخُلق مع الناس؛ أن تُعاملهم بهذه المعاملة تكف أذاك عنهم، وتبذل نداك. الندي يعني العطاء، سواء كان مالاً أو جاهًا أو غير ذلك، وكذلك تصبر على البلاء منهم، فإذا كنت كذلك كنت أكمل الناس إيمانًا.

ثم قال النبي ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»(١) فخير الناس هو خيرهم لأهله؛ لأن الأقربين أولى بالمعروف فإذا كان فيك خير فليكن أهلك هم أول المستفيدين من هذا الخير.

وهذا عكس ما يفعله بعض الناس اليوم، تجده سيىء الخلق مع أهله، حسن الخلق مع غيرهم، وهذا خطأ عظيم، أهلك أحق بإحسان الخلق، أحسن الخلق معهم لأنهم هم الذين معك ليلاً ونهارًا، سرًا وعلانية، إن أصابك شيء أصيبوا معك، وإن سُررت سروا معك، وإن حزنت حزنوا معك، فلتكن معاملتك معهم خيرًا من معاملتك مع الأجانب فخير الناس خيرهم لأهله.

نسأل الله أن يكمل لي وللمسلمين الإيمان، وأن يجعلنا خير عباد الله في أهلينا ومن لهم حق علينا.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧) رصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣١٤).

Marfat.com

[٧/ ٢٧٩] ــ وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تَضْرِبُوا إمَاءَ اللّه » ، فَجَاء عُمَرُ رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ فقال : ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجهنَّ ، فَرَخَّصَ في ضَرْبهنَّ ، فَأَطَافَ بآلِ رسول الله ﷺ نساءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أزوَاجَهُنَّ ، فقالَ رسولُ اللّه ﷺ : « لَقَدْ أَطَافَ بآلِ مُحَمَّدٍ نساءٌ كَثِيرٌ يشكُونَ أزوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولئكَ بخيارِكُمْ » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

قوله : « ذَئِرْنَ » هُوَ بِذَالٍ مُعْجَمَةٍ مَفْتُوحَةٍ ثُمَّ هَمْزَةٍ مَكْسُورَةٍ ثُمَّ رَاءٍ سَاكِنَةٍ ثُمَّ نُونٍ ، أي : اجْتَرأْنَ ، قوله : « أَطَافَ » أيْ : أحَاطَ .

[٨/ ٢٨٠] ــ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ » رواه مسلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله فيما يتعلق بأمر النساء، أن النبي ﷺ قال: «لا تضربوا إماء الله». يريد بذلك النساء، فيُقال أمة الله كما يُقال عبد الله، ويُقال إماء الله كما يُقال عباد الله ، ومن ذلك الحديث الصحيح: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»(١) .

نهاهم عن ضرب النساء، فكفوا عن ذلك لأن الصحابة رضي الله عنهم كانوا من الطراز الأول والجيل المفضل، الذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا فكفوا عن ضرب النساء.

والنساء قاصرات عقل وناقصات دين فلما نهى النبي ﷺ عن ضربهن، اجترأن على أزواجهن، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، إن النساء ذئرن على أزواجهن، يعني اجترأن وتعالين على الرجال، فلما سمع النبي ﷺ ما قال عمر أجاز ضربهن، فأفرط الرجال في ذلك وجعلوا يضربونهن حتى وإن لم يكن ذلك من حقهم، فطافت النساء بآل النبي ﷺ ، أي بيوته، وجعلن يتجمعن حول بيوت النبي ﷺ يشكون أزواجهن.

فقال النبي ﷺ يخاطب الناس يخبرهم بأن هؤلاء الذين يضربون أزواجهن ليسوا بخيارهم، أي ليسوا بخيار الرجال، وهذا كقوله: «خيركم خيركم لأهله» فدل هذا على أن الإنسان لا يُفرِط ولا يُفرّط في ضرب أهله، إن وجد سببًا يقتضي الضرب فلا بأس.

(٧ / ٢٧٩) صحيح : رواه أبو داود (٢١٤٦) وابن ماجه (١٩٨٥). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٨٦٣).

(٨/ ٢٨٠) صحيح : أخرجه مسلم (١٤٦٧) والنسائي (٦/ ٦٩) وابن ماجه (١٨٥٥).

(١) صحيح: البخاري (٩٠٠) مسلم (٤٤٢).

Marfat.com

وقد بين الله عز وجل مراتب ذلك في كتابه فقال: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٣٤].

المرتبة الثالثة: الضرب، وإذا ضربوهن فليضربوهن ضربًا غير مبرح.

ثم ذكر المؤلف حديث عبد الله بن عمرو، بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**» فقوله ﷺ: «**الدنيا متاع**» يعني شيء يتمتع به، كما يتمتع المسافر بزاده ثم ينتهي، وخير متاعها المرأة الصالحة، إذا وفق الإنسان لأمرأة صالحة في دينها وعقلها فهذا خير متاع الدنيا؛ لأنها تحفظه في سره وماله وولده.

وإذا كانت صالحة في العقل أيضًا، فإنها تدبر له التدبير الحسن في بيته وفي تربية أولادها، إن نظر إليها سرته، وإن غاب عنها حفظته، وإن وكل إليها أمره لم تخنه، فهذه المرأة هي خير متاع الدنيا.

ولهذا قال النبي ﷺ: «**تنكح المرأة لأربع؛ لمالها وحسبها وجمالها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»(١) يعني عليك بها، فإنها خير من يتزوجه الإنسان؛ فذات الدين وإن كانت غير جميلة الصورة، لكن يجملها خُلُقها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٤) مسلم (١٤٣٦).

Marfat.com

٣٥ـ باب حق الزوج على المرأة

قال الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ (النساء:٣٤) .

وأما الأحاديث : فَمنهَا حَديثُ عَمْرو بن الأحْوَصِ السَّابق فى البَاب قَبْلَهُ .

[١/ ٢٨١] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأتَهُ إلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأته فَبَاتَ غَضبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا المَلائكَةُ حَتَّى تُصْبحَ » متفقٌ عليه.

وفى رواية لهما: « إذا بَاتت المَرْأةُ هَاجرَةً فراشَ زَوْجهَا لعَنَتْهَا المَلائكَةُ حَتَّى تُصْبحَ ».

وفى رواية قال رسول الله ﷺ : « وَالَّذى نَفْسى بيَده ، مَا منْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرأتَهُ إلَى فرَاشه فَتَأبَى عَلَيْه إلا كان الَّذى فى السَّمَاء سَاخطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا » .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب حق الزوج علي المرأة) لما ذكر ـ رحمه الله ـ حقوق الزوجة على زوجها، ذكر حقوق الزوج على زوجته، ثم استدل بقول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.

قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ : يعني أن الرجل هو القيمُ الذي له الأمر على المرأة يدبرها ويوجهها ويأمرها فَتطيع، إلا إذا أمرها بمعصية الله فلا سمع له ولا طاعة؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مهما كان هذا المخلوق.

وفي هذا: دليل على سفه أولئك الكفار من الغربيين وغير الغربيين، الذين صاروا أذنابًا للغرب يقدسون المرأة أكثر من تقديس الرجل؛ لأنهم يتبعون أولئك الأراذل من الكفار الذين لم يعرفوا لصاحب الفضل فضله، فتجدهم مثلاً في مخاطباتهم يقدمون المرأة على الرجل فيقول أحدهم : أيها السيدات والسادة وتجد المرأة في المكان الأعلى عندهم والرجل دونها.

ولكن هذا ليس بغريب على قوم يُقدسون كلابهم، حتى إنهم يشترون الكلب بالآلاف ويُخصصون له من الصابون وآلات التطهير وغير ذلك ما يضحك السفهاء فضلاً عن العقلاء، مع أن الكلب نجس العين لا يطهر أبدًا.

فالحاصل أن الرجال هم القوامون على النساء ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا

(١/ ٢٨١) صحيح: رواه البخاري (٣٢٣٧)، ومسلم (١٤٣٦).

Marfat.com

أنفقوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، وهذا وجه آخر للقوامة على النساء، وهو أن الرجل هو الذي يُنفق على المرأة، وهو المُطالب بذلك، وهو صاحب البيت، وليست المرأة هي التي تُنفق.

وهذا إشارة إلى أن أصحاب الكسب الذين يكسبون ويعملون هم الرجال، أما المرأة فصناعتها بيتها، تبقى في بيتها تصلح أحوال زوجها، وأحوال أولادها، وأحوال البيت، هذه وظيفتها، أما أن تُشارك الرجال بالكسب وطلب الرزق ثم بالتالي تكون هي المنفقة عليه، فهذا خلاف الفطرة وخلاف الشريعة، فالله تعالى يقول: ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ فصاحب الإنفاق هو الرجل.

قال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ فالصالحات قانتات أي مُديمات للطاعة، الصالحة تقنت ليس معناها: الدعاء بالقنوت، بل القنوت دوام الطاعة كما قال تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨] أي مديمين لطاعته: ﴿قانتات حافظات للغيب بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ يعني يحفظن سر الرجل وغيبته وما يكون داخل جدرانه من الأمور الخاصة، وتحفظه بماحفظ الله، أي بما أمر الله تعالى بحفظه فهذه هي الصالحة، فعليك بالمرأة الصالحة؛ لأنها خيرٌ لك من امرأة جميلة ليست بصالحة.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت عليه لعنتها الملائكة حتى تُصبح**».

ولعن الملائكة يعني أنها تدعو على المرأة باللعنة واللعنة، هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإذا دعاها إلى فراشه ليستمتع بها بما أذن الله له فيه فأبت أن تجيء فإنها تلعنها الملائكة والعياذ بالله، أي تدعو عليها باللعنة إلى أن تُصبح.

واللفظ الثاني: أنها إذا هجرت فراش زوجها، فإن الله تعالى يغضب عليها حتى يرضى عنها الزوج، وهذا أشد من الأول؛ لأن الله سبحانه وتعالى إذا سخط فإن سخطه أعظم من لعنة الإنسان، نسأل الله العافية.

ودليل ذلك أن الله تعالى ذكر في آية اللعان أنه إذا لاعن الرجل يقول: ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [النور:٧]. وهي إذا لاعنت تقول: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور:٩] وهذا يدل على أن الغضب أشد.

وأيضًا قال في الحديث: «**إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**» أي الزوج، وهنا قال: «**حتى تُصبح**» أما هنا فعلقه برضى الزوج، وهذا قد يكون أقل، وقد يكون أكثر يعني ربما يرضى الزوج عنها قبل طلوع الفجر، وربما لا يرضى إلا بعد يوم أو يومين، المهم ما دام الزوج ساخطًا عليها فالله عز وجل ساخطٌ عليها.

وفي هذا: دليل على عظم حق الزوج على زوجته، ولكن هذا في حق الزوج القائم

Marfat.com

بحق الزوجة، أما إذا نشز ولم يقم بحقها، فلها أن تقتص منه وألا تعطيه حقه كاملاً؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤]. ولقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل:١٢٦].

لكن إذا كان الزوج مستقيمًا قائمًا بحقها فنشزت هي وضيعت حقه فهذا جزاؤها إذا دعاها إلى فراشه فأبت أن تأتي.

والحاصل أن هذه الألفاظ التي وردت في هذا الحديث هي مطلقة، لكنها مقيدة بكونه قائمًا بحقها، أما إذا لم يقم بحقها فلها أن تقتص منه وأن تمنعه من حقه مثل ما منعها من حقها؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾.

وفي هذا الحديث: دليل صريح لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة وسلف الأمة من أن الله عز وجل في السماء هو نفسه جل وعلا، فوق عرشه، فوق سبع سموات، وليس المراد بقوله في السماء أي ملكه في السماء، بل هذا تحريفٌ للكلم عن مواضعه.

وتحريف الكلم عن مواضعه من صفات اليهود والعياذ بالله الذين حرفوا التوراة عن مواضعها وعما أراد الله بها، فإن ملك الله سبحانه وتعالى في السماء وفي الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٨٩]. وقال أيضًا: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨]. وقال أيضًا: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الشورى:١٢].

كل السموات والأرض بيد الله عز وجل، كلها ملك الله، ولكن المراد هو نفسه عز وجل فوق سمواته على العرش استوى، ولذلك نجد أن المسألة فطرية لا تحتاج إلى دراسة وتعب حتى يقر الإنسان أن الله في السماء، بمجرد الفطرة يرفع الإنسان يديه إلى ربه إذا دعا ويتجه بقلبه إلى السماء، واليد تُرفع أيضًا نحو السماء.

بل حتى البهائم ترفع إلي السماء، حدثني أحد الأساتذة في الجامعة عندنا أن شخص اتصل عليه من القاهرة إبان الزلزلة التي أصابت مصر يقول: إنه قبل الزلزلة بدقائق، هاجت الحيوانات في مقرها الذي يسمونه: «حديقة الحيوانات» هاجت هيجانًا عظيمًا ثم بدأت ترفع رأسها إلى السماء، سبحان الله بهائم تعرف أن الله في السماء، وأوادم من بني آدم ينكرون أن الله في السماء والعياذ بالله، فالبهائم تدري وتعرف.

نحن نشاهد بعض الحشرات، إذا طردتها أو آذيتها وقفت ثم رفعت قوائمها إلى السماء، نشاهدها مشاهدة، فهذا يدل على أن كون الله عز وجل في السماء أمر فطري لا يحتاج إلى دليل أو تعب أو عنت، حتى الذين ينكرون أن الله في السماء ـ نسأل الله لنا

Marfat.com

ولهم الهداية ـ لو جاءوا يدعون أين يرفعون أيديهم! إلى السماء ـ فسبحان الله! أفعالهم تكذب عقيدتهم، هذ العقيدة الباطلة الفاسدة التي يخشى عليهم من الكفر بها.

وهذه جارية، أمة مملوكة في عهد النبي ﷺ، أراد سيدها أن يعتقها، فقال له النبي ﷺ: **«ادْعها»** فجاءت الجارية فقال لها النبي ﷺ: **«أين الله؟»** قالت: الله في السماء قال: **«من أنا»** قالت: أنت رسول الله. قال لسيدها: **«أعتقها فإنها مؤمنة»**(١).

وسبحان الله، إن هؤلاء الذين يعتقدون أن الله ليس في السماء، يقولون: من قال إن الله في السماء فهو كافر والعياذ بالله نسأل الله لنا ولهم الهداية.

المهم أن من عقيدتنا التي ندين الله بها أن الله عز وجل فوق كل شيء وهو القاهر فوق عباده، وأنه على العرش استوى، وأن العرش على السموات مثل القبة، كأنه قبة أي خيمة مضروبة على السموات والأرض، والسموات والأرض بالنسبة للعرش ليست بشيء.

وجاء في بعض الآثار: **«أن السموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض»**، حلقة الدرع حلقة ضيقة ما يدخل فيها مفتاح، إذا ألقيت في فلاة من الأرض ماذا تشغل من مساحة هذه الفلاة؟ لا شيء.

قال: **«وإن فضل العرش على الكرسي، كفضل الفلاة على هذه الحلقة»**(٢)، إذن الله أكبر من كل شيء، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ يعني أحاط بها فما بالك بالرب عز وجل.

فالرب عز وجل فوق كل شيء، هذه عقيدتنا التي نسأل الله تعالى أن نموت عليها ونبعث عليها، هذه العقيدة التي يعتقدها أهل السنة والجماعة بالاتفاق.

* * *

[٢/ ٢٨٢] ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «لا يَحلُّ لامْرَأة أنْ تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهِدٌ إلا بإذْنِهِ، ولا تَأذَنَ فِي بَيْتِهِ إلا بإذنه» متفقٌ عليه، وهذا لفظ البخاري.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال: **«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه»**.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧).

(٢) صحيح: انظر السلسلة الصحيحة للألباني في (١٠٩) وهو عند الذهبي في العلو مختصر الألباني برقم (١٥٠).

(٢٨٠) صحيح: رواه البخاري (٥١٩٥)، ومسلم (١٠٢٦).

Marfat.com

هذا من حقوق الزوج على زوجته، أنه لا يحل لها أن تصوم إلا بإذنه ما دام حاضرًا في البلد، أما إذا كان غائبًا فلها أن تصوم ما شاءت، لكن إذا كان في البلد فلا تصوم.

وظاهر الحديث أنها لا تصوم فرضًا ولا نفلاً إلا بإذنه، أما النفل فواضح أنها لا تصوم إلا بإذنه؛ لأن حق الزوج عليها واجب والنفل تطوع لا تأثم بتركه، ،وحق الزوج تأثم بتركه، وذلك أن الزوج ربما يحتاج إلى أن يستمتع بها، فإذا كانت صائمة وأراد الاستمتاع بها صار في نفسه حرج، وإلا فله أن يستمتع بها ويُجامعها وهي صائمة صوم تطوع إذا لم يأذن فيه من قبل ولو أفسد صومها ولا إثم عليه.

لكن من المعلوم أنه سيكون في نفسه حرج، لهذا قال النبي ﷺ : **«لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه»**.

أما صيام الفرض فإن كان قد بقي من السنة مدة أكثر مما يجب عليها، فلا يحل لها أن تصوم إلا بإذن زوجها إذا كان شاهدًا، يعني مثلاً عليها عشرة أيام من رمضان، وهي الآن في رجب، وقالت: أريد أن أصوم القضاء، نقول: لا تصومي القضاء إلا بإذن الزوج؛ لأن معك سعة من الوقت، أما إذا كان بقي في شعبان عشرة أيام فلها أن تصوم وإن لم يأذن، لأنه لا يحل للإنسان الذي عليه قضاء من رمضان أن يؤخره إلى رمضان الثاني، وحينئذ تكون فاعلة لشيء واجب فرض في الدين، وهذا لا يشترط فيه إذن الزوج ولا غيره.

فصوم المرأة فيه تفصيل: أما التطوع فلا يجوز إلا بإذن الزوج، وأما الفرض فإن كان الوقت متسعًا، فإنه لا يجوز إلا بإذن الزوج، وإن كان لا يسع إلامقدار ما عليها من الصوم، فإنه لا يُشترط إذن الزوج، هذا إذا كان حاضرًا، أما إذا كان غائبًا فلها أن تصوم.

وهل مثل ذلك الصلاة؟ يُحتمل أن تكون الصلاة مثل الصوم، وأنها لا تتطوع في الصلاة إلا بإذنه، ويحتمل ألا تكون مثل الصوم لأن وقت الصلاة قصير بخلاف الصوم، الصوم كل النهار، والصلاة ليست كذلك، الصلاة ركعتان إذا كانت تطوعًا، والفريضة معروف أنه لا يُشترط إذنه.

والظاهر أن الصلاة ليست كالصوم، فلها أن تُصلي ولو كان زوجها حاضرًا، إلا أن يمنعها فيقول : أنا محتاج إلى استمتاع، لا تُصلين الضحى مثلاً، لا تتهجدين الليلة.

على أنه لا يجوز للزوج أن يحرم زوجته الخير، إلا إذا كان هناك حاجة بأن غلبت عليه الشهوة، ولا يتمكن من الصبر، وإلا فعليه أن يكون عونًا لها على طاعة الله، وعلى فعل الخير؛ لأنه يكون مأجور بذلك كما أنها مأجورة أيضًا على الخير.

وأما إدخال أحد بيته بغير إذنه فظاهر، فلا يجوز أن تُدخل أحدًا بيته إلا بإذنه، لكن الإذن في إدخال البيت نوعان:

Marfat.com

الإذن الأول: إذنُ العرف يعني جرى به العرف مثل دخول امرأة الجيران والقريبات والصاحبات والزميلات وما أشبه ذلك، هذا جري العرف به، وأن الزوج يأذن به، فلها أن تُدخل هؤلاء إلا إذا منع وقال: لا تدخل عليك فلانة، فهنا يجب المنع، ويجب ألا تدخل.

والإذن الثاني: إذن لفظي، بأن يقول لها: أدخلي من شئتي ولا حرج عليك إلا من رأيتي منه مضرة فلا تُدخليه، فيتقيد الأمر بإذنه.

وفي هذا: دليل على أن الزوج يتحكم في بيته أن يمنع حتى أم الزوجة إذا شاء أن يمنعها، وحتى أختها وخالتها وعمتها لكنه لا يمنعها من هؤلاء إلا إذا كان هناك ضرر عليه وعلى بيته؛ لأن بعض النساء والعياذ بالله لا يكون فيها خير، تكون ضررًا على ابنتها وزوجها، تأتي إلى ابنتها وتحقنها من العداوة والبغضاء بينها وبين الزوج، حتى تكره زوجها، ومثل هذه الأم لا ينبغي أن تُترك مع ابنتها لأنها تُفسدها على زوجها، فهي كالسحرة الذين يتعلمون ما يُفرقون به بين المرء وزوجه.

* * *

[٣/ ٢٨٣] ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّته، وَالأميرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أهْلِ بَيْته؛ وَالمَرْأةُ رَاعيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِها وَوَلَدِه، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّته » متفقٌ عليه.

[٤/ ٢٨٤] ـ وعن أبى عَلِىٍّ طَلْق بن على رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِه فَلْتَأته وَإنْ كَانَتْ عَلَى التَّنور » رواه الترمذى والنسائى، وقال الترمذى: حديث حسن صَحيح.

[٥/ ٢٨٥] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « لَوْ كُنْتُ آمراً أحَداً أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأمَرْتُ المَرْأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسن صحيح.

[٦/ ٢٨٦] ـ وعن أم سَلَمَةَ رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « أيُّمَا امْرَأة مَاتَتْ، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَت الجَنَّةَ » رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٣/ ٢٨٣) صحيح: رواه البخاري (٧١٣٨)، ومسلم (١٨٢٩).

(٤/ ٢٨٤) صحيح: رواه الترمذي (١١٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٩٢٧).

(٥ / ٢٨٥) حسن صحيح: رواه الترمذي (١١٥٩)، وقال الألباني في المشكاة (٣٢٥٥): وهو حديث صحيح بشواهده، وقال في صحيح الترمذي (٩٢٦): «حسن صحيح».

(٦/ ٢٨٦) ضعيف: أخرجه الترمذي (١١٦١)، وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه (٤٠٧).

Marfat.com

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: **«كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته»**.

الخطاب للأمة جميعاً يبين فيه الرسول ﷺ أن كل إنسان راعٍ ومسئول عن رعيته، والراعي هو الذي يقوم على الشيء ويرعى مصالحه فيهيئها له، ويرعى مفاسده فيجنبه إياها، كراعي الغنم ينظر ويبحث عن المكان المربع حتى يذهب بالغنم إليه، وينظر في المكان المجدب فلا يتركها في هذا المكان.

هكذا بنوا آدم كل إنسان راع، وكل مسئول عن رعيته، فالأمير راع ومسئول عن رعيته، والأمراء يختلفون في نفوذهم وفي مناطق أعمالهم، قد يكون هذا الأمير أميرًا على قرية صغيرة، فتكون مسئوليته صغيرة، وقد يكون أميرًا على مدينة كبيرة فتكون مسئوليته كبيرة، وقد يكون مسئولاً عن أمة كالأمير الذي ليس فوقه أمير في منطقته، كالملك مثلاً هنا، وكالرؤساء في البلاد الأخرى، وكأمراء المؤمنين في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وكالخلفاء في زمن بني أمية وبني العباس وغيرهم.

المهم أن الرعاة تتنوع رعيتهم أو تتنوع رعايتهم بين مسئولية كبيرة واسعة، ومسئولية صغيرة، ولهذا قال: **«الأمير راعٍ»** يعني هو مسئول عن رعيته، الرجل راع لكن رعيته محصورة؛ هو راع في أهل بيته، في زوجته، في ابنه، في بنته، في أخته، في عمته، في خالته، كل من في بيته، هو راع في أهل بيته ومسئول عن رعيته، يجب عليه أن يرعاهم أحسن رعاية؛ لأنه مسئول عنهم.

كذلك المرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها يجب عليها أن تنصح في البيت في الطبخ، في القهوة، في الشاي، في الفرش، لا تطبخ أكثر من اللازم، ولا تسوى الشاي أكثر مما يحتاج إليه، يجب عليها أن تكون امرأة مقتصدة؛ فإن الاقتصاد نصف المعيشة، غير مُفرطة فيما ينبغي.

مسئولة أيضًا عن أولادها في إصلاحهم وإصلاح أحوالهم وشئونهم، كإلباسهم الثياب، وخلعهم الثياب غير النظيفة، وتغيير فراشهم الذي ينامون عليه، وتغطيتهم في الشتاء وهكذا مسئولة عن كل هذا، مسئولة عن الطبخ وإحسانه ونضجه، وهكذا مسئولة عن كل ما في البيت.

كذلك العبد مسئول، وراع في مال سيده، ومسئول عن رعيته، يجب عليه أن يحفظ مال سيده، وأن يتصرف فيه بما هو أحسن، وألا يفرط فيه، وألا يتعدى الحدود وهكذا، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته.

Marfat.com

أما بقية الأحاديث التي ساقها المؤلف، فكلها أحاديث تحتاج إلى نظر في صحتها، لكن مجمل ما تدل عليه عظم حق الزوج على زوجته، وأن حق الزوج على زوجته عظيم، يجب عليها أن تقوم به، كما يجب عليه أن يقوم بحقها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٢٨]. وهذا من المساواة والعدل في الحقوق والواجبات التي تمتاز به شريعتنا الإسلامية.

٧/ ٢٨٧ ـ وعن معاذ بن جبلٍ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **لا تُؤْذِى امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فى الدُّنْيَا إلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ لا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللّهُ! فَإِنَّما هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا** » رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

* * *

[٨/ ٢٨٨] ـ وعن أسامَة بن زيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: « مَا تَرَكْتُ بَعْدِى فِتْنَةً هِىَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ من النِّسَاءِ » متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**ما تركت بعدى فتنة هي أضر على الرجال من النساء**».والمعنى أن النبي ﷺ يخبر بأنه ما ترك فتنة أضر على الرجال من النساء، وذلك أن الناس كما قال الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤]. كل هذه مما زين للناس في دنياهم وصار سببًا لفتنتهم فيها، لكن أشدها فتنة النساء، ولهذا بدأ الله بها، فقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ . وإخبار النبي ﷺ بذلك يريد به الحذر من فتنة النساء، وأن يكون الناس منها على حذر؛ لأن الإنسان بشر إذا عرضت عليه الفتن فإنه يخشى عليه منها.

ويستفاد منه: سد كل طريق يُوجب الفتنة بالمرأة، فكل طريق يُوجب الفتنة بالمرأة فإن الواجب على المسلمين سده، ولذلك وجب على المرأة أن تحتجب عن الرجال الأجانب، فتغطي وجهها، وكذلك تُغطي يديها ورجليها عند كثير من أهل العلم، ويجب عليها كذلك أن تبتعد عن الاختلاط بالرجال؛ لأن الاختلاط بالرجال فتنة وسبب للشر من الجانبين، من جانب الرجال ومن جانب النساء.

ولهذا قال النبي ﷺ : «**خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها**».(١) وما ذلك إلا من أجل بُعد المرأة عن الرجال، فكلما بعدت فهو خير وأفضل.

(٨ / ٢٨٨) صحيح: رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

(١) مسلم (٤٤٠) أبو داود (٦٧٨) الترمذي (٢٢٤).

Marfat.com

وقد كان النبي ﷺ يأمر النساء أن يخرجن إلى صلاة العيد، ولكنهن لا يختلطن مع الرجال، بل يكون لهن موضع خاص، حتى إن النبي ﷺ كان إذا خطب الرجال وانتهى من خطبتهم، نزل فذهب إلى النساء فوعظهن وذكرهن، وهذا يدل على أن النساء كن في مكان منعزل عن الرجال.

وكان هذا والعصر عصر قوة في الدين وبُعد عن الفواحش، فكيف بعصرنا هذا؟

فإن الواجب توقي فتنة النساء بكل ما يُستطاع، ولا ينبغي أن يغرنا ما يدعو إليه أهل الشر والفساد من المُقلدين للكفار، من الدعوة إلى اختلاط المرأة بالرجال، فإن ذلك من وحي الشيطان والعياذ بالله، هو الذي يزين ذلك في قلوبهم، وإلا فلا شك أن الأمم التي كانت تقدم النساء وتجعلهن مع الرجال مختلطات، لا شك أنها اليوم في ويلات عظيمة من هذا الأمر، يتمنون الخلاص منه فلا يستطيعون.

ولكن مع الأسف فإن بعض النساء منا ومن أبنائنا ومن أبناء جلدتنا يدعون إلى التحلل من مكارم الأخلاق، وإلى جلب الفتن إلى بلادنا ، عن طريق التوسع في خروج المرأة، واختلاطها بالرجال، ومحاولة توظيفهن مع الرجال جنبًا إلى جنب، نسأل الله تعالى أن يعصمنا والمسلمين من الشر والفتن إنه جواد كريم.

* * *

Marfat.com

٣٦ - باب النفقة على العيال

قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ **(البقرة:٢٣٣) ، وقال تعالى :** ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ **(الطلاق: ٧) ، وقال تعالى :** ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ **(سبأ:٣٩) .**

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب النفقة على العيال).

العيال: هم الذين يعولهم الإنسان من زوجة أو قريب أو مملوك، وقد سبق الكلام على حقوق الزوجة، أما الأقارب فلهم حق، قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦].

فالقريب له حق في أن ينفق عليه، يعني أن تبذل له من الطعام والشراب والكسوة والسكنى ما يقوم بكفايته، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ المولود له هو الأب، عليه أن ينفق على أولاده وعلى زوجاته، وعلى من أرضعت ولده ولو كانت في غير حباله؛ لأنه قال: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ من أجل الإرضاع، أما إذا كانت في حباله فلها النفقة من أجل الزوجية.

وقوله: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ يشمل الأب الأدنى والأب الأعلى، كالجد ومن فوقه، فعليه أن ينفق على أولاد أولاده، وإن نزلوا.

لكن يشترط لذلك شروط:

الشرط الأول: أن يكون المُنفق قادرًا على الإنفاق، فإن كان عاجزًا فإنه لا يجب عليه الإنفاق، لقوله تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ أي إلا ما أعطاها، ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

والشرط الثاني: أن يكون المُنفق عليه عاجزًا عن الإنفاق على نفسه، فإن كان قادرًا على الإنفاق على نفسه فنفسه أولى، ولا يجب على أحد أن يُنفق عليه؛ لأنه مُستغنٍ، وإذا كان مُستغنيًا، فإنه لا يستحق أن يُنفق عليه.

والشرط الثالث: أن يكون المنفق وارثًا للمنفق عليه لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. فإن كان قريبًا لا يرث، فإنه لا يجب عليه الإنفاق.

فإذا تمت الشروط الثلاثة فإنه يجب على القريب أن ينفق على قريبه ما يحتاج إليه من طعام، وشراب، ولباس، ومسكن، ونكاح، وإن كان قادرًا على بعض الشيء دون بعض، وجب على القريب الوارث أن يكمل ما نقص لعموم قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ .

Marfat.com

ثم ذكر المؤلف ثلاث آيات، والآية الثانية الأولى: قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ الآية الثانية: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ ، والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ .

فقوله: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ ﴾ أي شيء قد أنفقتموه لله عز وجل ﴿ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ أي يُعطيكم خلفه وبدله وهو خير الرازقين.

* * *

[١/ ٢٨٩] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ» رواه مسلم.

[٢ / ٢٩٠] ـ وعن أبي عبد الله ـ ويُقالُ له: أبو عبد الرحمن ـ ثوبان بن بُجْدُد مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» رواه مسلم.

[٣/ ٢٩١] ـ وعن أم سَلَمَةَ رضي الله عنها قالَتْ: قلتُ: يا رسولَ الله، هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هكذا وهكذا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ فقال: «نعم، لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ» متفقٌ عليه.

[٤/ ٢٩٢] ـ وعن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه في حديثه الطَّوِيلِ الذي قَدَّمْنَاهُ في أوَّلِ الكتابِ في بَابِ النية أنَّ رسول الله ﷺ قال له: «وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ» متفقٌ عليه.

[٥/ ٢٩٣] ـ وعن أبي مَسْعُود البَدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ» متفقٌ عليه.

[٦/ ٢٩٤] ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول

(١/ ٢٨٩) صحيح: رواه مسلم (٩٩٥) والترمذي (١٩٦٦) وابن ماجه (٢٧٦٠).

(٢/ ٢٩٠) صحيح: رواه مسلم (٩٩٤) ابن ماجه (٢٧٦٠) بلفظ «دينار تنفقه على فرس».

(٣ / ٢٩١) صحيح: رواه البخاري (٥٣٦٩)، ومسلم (١٠٠١).

(٤/ ٢٩٢) صحيح: تقدم برقم (٦).

(٥/ ٢٩٣) صحيح: رواه البخاري (٥٥)، ومسلم (١٠٠٢).

(٦ / ٢٩٤) صحيح: رواه أبو داود (١٦٩٢)، أما رواية مسلم فهي برقم (٩٩٦).

Marfat.com

الله ﷺ : « كَفَى بالمَرْء إثماً أنْ يُضيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود وغيره .
ورواه مسلم في صحيحه بمعناه قال: « كَفَى بالمَرْء إثماً أن يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلكُ قُوتَه ».

[٧/ ٢٩٥] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَ النبي ﷺ قال : « مَا مَنْ يوْم يُصْبحُ العِبَادُ فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلان ، فيَقُولُ أحدُهُمَا : اللّهُمَّ أعْطِ مُنْفقاً خَلَفاً ، ويَقُولُ الآخَرُ : اللّهم أعْطِ مُمْسكاً تَلَفًا » متفقٌ عليه .

[٨/ ٢٩٦] ـ وعنه عن النبي ﷺ قال : « اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ منَ اليَد السُّفْلَى وَابْدأ بمنْ تَعُولُ ، وَخَيْرُ الصَّدَقَة مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى ، وَمَنْ يَسْتَعْففْ ، يُعفَّهُ اللّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنه اللّهُ » رواه البخاري .

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف في باب النفقة على الأهل ، كلها تدل على فضيلة الإنفاق على الأهل، وأنه أفضل من الإنفاق في سبيل الله، وأفضل من الإنفاق في الرقاب، وأفضل من الإنفاق على المساكين، وذلك لأن الأهل ممن ألزمك الله بهم، وأوجب عليك نفقتهم، فالإنفاق عليهم فرض عين، والإنفاق على من سواهم فرض كفاية، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية.

وقد يكون الإنفاق على من سواهم على وجه التطوع، والفرض أفضل من التطوع؛ لقول الله تعالى في الحديث القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه»(١) .

لكن الشيطان يرغب الإنسان في التطوع ويزهده في الواجب، فتجده مثلاً يحرص على الصدقة ويدع الواجب، يتصدق على مسكين أو ما أشبه ذلك ويدع الواجب لأهله، يتصدق على مسكين أو نحوه ويدع الواجب لنفسه، كقضاء الدين مثلاً، تجده مدينًا يطالبه صاحب الدين بدينه وهو لا يوفي ويذهب يتصدق على المساكين وربما يذهب للعمرة أو لحج التطوع وما أشبه ذلك ويدع الواجب، وهذا خلاف الشرع وخلاف الحكمة، فهو سفه في العقل وضلال في الشرع.

والواجب على المسلم أن يبدأ بالواجب الذي هو مُحتم عليه، ثم بعد ذلك ما أراد من التطوع بشرط ألا تكون مُسرفًا ولا مقترًا، فتخرج عن سبيل الاعتدال لقول الله تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

(٧/ ٢٩٥) صحيح : البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٨/ ٢٩٦) رواه البخاري (١٤٢٨).
(١) صحيح : رواه البخاري (٦٥٠٢).

Marfat.com

[الفرقان: ٦٧]. يعني لا إقتار ولا إسراف، بل قوامًا، ولم يقل بين ذلك فقط، بل بين ذلك قوامًا، قد يكون الأفضل أن تزيد أو أن تنقص أو بين ذلك بالوسط.

على كل حال هذه الأحاديث كلها تدل على أنه يجب على الإنسان أن يُنفق على من عليه نفقته، وأن إنفاقه على من عليه نفقته أفضل من الإنفاق على الغير.

وفي هذه الأحاديث أيضًا التهديد والوعيد على من ضيع عمن يملك قوته، وهو شامل للإنسان وغير الإنسان، فالإنسان يملك الأرقة مثلاً، ويملك المواشي من إبل وبقر وغنم فهو آثم إذا ضيع من يلزمه قوته من آدميين أو غير آدميين، **«كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوتهم»**، واللفظ الثاني في غير مسلم: **«كفى بالمرء إثمًا أن يُضيع من يقوت»**.

وفي هذا: دليل على وجوب رعاية من ألزمك الله بالإنفاق عليه.

* * *

Marfat.com

٣٧ ـ باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قال الله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران:٩٢)، وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ (البقرة:٢٦٧).

[٢٩٧/١] ـ عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رضي الله عنه أَكْثَرَ الأنْصَار بالمدينَة مَالاً منْ نَخْل، وكَانَ أحَبُّ أمْواله إلَيْه بَيْرَحَاء، وكَانَتْ مُسْتَقْبلَةَ المسْجد، وكَانَ رسَولُ اللَّه ﷺ يَدْخُلُهَا ويَشْرَبُ منْ مَاء فيهَا طَيِّب قَال أنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قَام أَبُو طَلْحَةَ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رَسول الله، إنَّ الله تَعَالَى أنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإنَّ أحبَّ مَالي إليَّ بَيْرَحَاءُ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لله تَعَالَى أرْجُو برَّهَا وَذُخْرَهَا عنْدَ الله تعالى، فَضَعْهَا يا رسول الله حَيْثُ أرَاكَ الله، فقال رَسول الله ﷺ: «بَخ! ذلكَ مَالٌ رَابحٌ، وقَدْ سَمعْتُ مَا قُلْتَ، وَإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبينَ» فقال أبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يا رسول الله، فَقَسَّمَهَا أبُو طَلْحَةَ في أقَاربه، وبَني عَمِّه. متفقٌ عليه.

قولُهُ ﷺ: «مَالٌ رَابحٌ» رُوِيَ في الصحيحين «رَابحٌ» و «رَايحٌ» بالباء الموحدة وبالياء المثناة، أيْ: رَايحٌ عَلَيْكَ نَفْعُهُ، و «بَيْرَحَاءُ»: حَديقَةُ نَخْلٍ، وروى بكسر الباء وفتحها.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (باب الإنفاق مما يُحب ومن الجيد).

لما ذكر ـ رحمه الله تعالى ـ وجوب الإنفاق على الزوجة وعلى الأقارب ذكر أنه ينبغي للإنسان أن يكون ذا همة عالية، وأن يُنفق من أطيب ماله ومما يحب من ماله، وهناك فرق بين الأطيب وبين الذي يحب، الغالب أن الإنسان لا يحب إلا أطيب ماله، لكن أحيانًا يتعلق قلبه بشيء من ماله وليس أطيب ماله فإذا أنفق من الطيب الذي هو محبوب لعامة الناس ومما يحبه هو بنفسه وإن لم يكن من الطيب، كان ذلك دليلاً على أنه صادقٌ فيما عامل الله به.

ولهذا سُميت الصدقة صدقة لدلالتها على صدق باذلها، فالإنسان ينبغي أن يُنفق من أطايب ماله، وينبغي له أن يُنفق مما يُحب، حتى يصدق في تقديم ما يحبه الله عز وجل على ما تهواه نفسه.

(١/ ٢٩٧) صحيح: رواه البخاري (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨).

Marfat.com

ثم استدل المؤلف - رحمه الله تعالى - بآيتين من كتاب الله، فقال: قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ ﴿الْبِرَّ﴾ يعني: الخير الكثير، ومنه سُمي البر للخلاء الواسع، فالبر هو الخير الكثير، يعني لن تنال الخير الكثير ولن تنال رتبة الأبرار حتى تنفق مما تحب.

والمال كله محبوب لكن بعضه أشد محبة من بعض، فإذا أنفقت مما تُحب كان ذلك دليلاً على أنك صادق، ثم نلت بذلك مرتبة الأبرار.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧]. الخبيث من كل شيء بحسبه، فالخبيث من المال يُطلق على الرديء، ويُطلق على الكسب الرديء، ويُطلق على الحرام.

فمن إطلاقه على الرديء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ هذا بقية الآية التي أولها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ والخارج من الأرض منه الطيب ومنه الرديء، قال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ أي لا تقصدوا الخبيث وهو الرديء تنفقون ﴿وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ يعني لو كان الحق لكم ما أخذتم الرديء إلا على إغماض وعلى كره، فكيف ترضون لغيركم أن تُعطوه الرديء وأنتم تأبون أن تأخذوه!

وهذا من باب الاستدلال على الإنسان بما يُقر به ويعترف به؛ لأنه لا يرضى أن يأخذ الرديء بدلاً عن الطيب فكيف يرضى أن يعطي الرديء بدلاً عن الطيب؟!

فالخبيث بمعنى الرديء، ومن ذلك أيضًا تسمية النبي ﷺ البصل والكراث الشجرة الخبيثة؛ لأنها رديئة مُنتنة كريهة، حتى إن الإنسان إذا أكل منها وبقيت رائحتها في فمه فإنه يُحرم عليه أن يدخل المسجد لا للصلاة ولا لغير الصلاة؛ لأن المسجد معمور بالملائكة فإذا دخل المسجد آذى الملائكة، والملائكة طيبون، والطيبون للطيبات، تكره الخبائث من الأعمال والأعيان، فإذا دخلت المسجد وأنت ذو رائحة كريهة آذيت الملائكة.

وكان الرجل في عهد الرسول ﷺ إذا دخل المسجد وقد أكل كراثًا أو بصلاً طردوه طردًا إلى البقيع، والبقيع تعرفون المسافة بينه وبين المسجد النبوي وأنها بعيدة، يطرد إلى البقيع ولا يقرب المسجد.

وللأسف أن بعض الناس - نسأل الله لنا ولهم الهداية والعصمة - يشرب الدخان أو الشيشة ويأتي إلى المسجد ورائحة الدخان والشيشة في فمه أو على ثيابه، مع أن هذه رائحة

---

(١) صحيح: انظر مسلم (٥٦٥) وأحمد (٢/ ٤٢٩).

Marfat.com

كريهة كل يكرهها، حتى إن بعض الناس لا يستطيع أن يُصلي جنب مثل هؤلاء، وهؤلاء يحرم عليهم أن يدخلوا المسجد والروائح الكريهة بفيهم.

وكذلك من به إصنان والإصنان رائحة كريهة تفوح من إبطيه، أو تفوح من أذنيه، أو تفوح من رأسه وتؤذي؛ فإنه لا يجوز أن يُصلي ما دامت الرائحة المؤذية فيه، لا يجوز أن يدخل المسجد بل يبتعد.

والحمد لله، فإن هذه من المصائب والبلاوي، فإذا ابتلى بمثل هذا لا يقول كيف أحرم نفسي المسجد، فهذا من الله عز وجل، فاحرم نفسك المسجد ولا تؤذي الناس والملائكة، وحاول بقدر ما تستطيع أن تتخلص من هذه الرائحة الكريهة، وبهذا يمكن أن تُعالج هذه الروائح فلا يشم منك إلا الرائحة الطيبة.

ومن إطلاق الخبيث على الكسب الرديء قول النبي ﷺ : «**كسب الحجام خبيث**»[1] الحجام الذي يُخرج الدم بالحجامة، هذا كسبه خبيث، يعني رديء، وليس المراد أنه حرام، قال ابن عباس رضي الله عنه وعن أبيه : لو كان كسب الحجام حرامًا ما أعطاه النبي ﷺ أجرته، فقد احتجم النبي ﷺ ، وأعطى الحجام أجره، ولو كانت حرامًا ما أعطاه؛ لأن الرسول لا يُقر على الحرام ولا يُعين على الحرام، لكن هذا من باب أنه كسب رديءٌ ينبغي للإنسان أن يتنزه عنه، وأن يحجم الناس إذا احتاجوا إلى حجامته تبرعًا وتطوعًا.

ومن إطلاق الخبيث على المحرم قوله تعالى في وصف النبي ﷺ : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]. يعني يحرم عليهم الخبائث وهي ضد الطيبات، مثل الميتة، لحم الخنزير، المنخنقة، الخمر، وما أشبه ذلك.

ومعنى الآية أنه لا يحرم إلا الخبائث، وليس معناها أن كل خبيث يحرمه؛ لأننا عرفنا الآن أن الخبيث يُطلق على أوصاف متعددة، لكن المعنى أنه ﷺ لا يُحرم إلا الخبائث.

فالحاصل أن الله عز وجل نهى أن يقصد الإنسان الرديء من ماله فيتصدق به، وحث على أن ينفق مما يحب ومما هو خير.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي طلحة زوج أم أنس رضي الله عنه، وأبو طلحة أكثر الأنصار حقلاً يعني أكثرهم مزارع، وكان له بستان فيه ماء طيب مُستقبل المسجد - أي مسجد الرسول ﷺ يعني أن المسجد في قبلة هذا البستان، وكان فيه ماء طيب عذب ، يأتيه النبي ﷺ ويشرب منه.

فلما نزل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. بادر

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٥٦٨) والترمذي (١٢٧٥).

Marfat.com

رضي الله عنه وسابق وسارع وجاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله، إن الله تعالى أنزل قوله: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء وهذا اسم ذلك البستان - وإني أضعها: يعني بين يديك صدقة، إلى الله ورسوله: يعني تصرفها إلى الله ورسوله ، فقال النبي ﷺ متعجبًا «**بخ بخ**» كلمة تعجب، يعني : ما أعظم هذه الهمة ، وما أعلاها «**ذاك مال رابح، ذاك مال رابح**».

وصدق الرسول ﷺ فهذا المال الرابح، فكم من حسنة يربح هذا المال إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؟ صدق النبي ﷺ : «**ذاك مال رابح ذاك مال رابح.. أرى أن تجعلها في الأقربين**». أرى أن تجعلها في الأقربين أي أقاربك، ففعل رضي الله عنه، وقسمها في أقاربه وبني عمه.

وسيأتي إن شاء الله على بعض ما يُستفاد من هذا الحديث، لكن تعجبوا كيف كانت مُبادرة الصحابة رضي الله عنهم ومسارعتهم إلى الخير، وكان ابن عمر إذا أعجبه شيء في ماله وتعلقت به نفسه تصدق به؛ لأجل أن يربحه ويلقاه فيما أمامه.

لكن ما تتمسك به فهو إما زائل عنك وإما أن تزول عنه أنت، ولابد من أحد الأمرين، إما أن يتلف أو تتلف أنت، لكن الذي تقدمه هو الذي يبقى، نسأل الله أن يعيننا والمسلمين على أنفسنا ويُعيذنا من البخل والشح.

والحقيقة أن مالك الحقيقي هو ما تقدمه، وقد ذبح آل النبي ﷺ شاة وتصدقوا بها إلا كتفها، فقدم النبي ﷺ وقال: «**ما بقي منها؟**» قالت عائشة رضي الله عنها: ما بقي منها إلا كتفها، يعني أنها تصدقت بها كلها إلا كتفها، فقال النبي ﷺ «**بقي كلها غير كتفها**»(١) ، والمعنى أن الذي أكلتم هو الذي ذهب، وأما ما تصدقتم به فهو الذي بقي لكم.

فالحاصل أن الصحابة وذوي الهمم العالية هم الذين يعرفون قدر الدنيا وقدر المال، وأن ما قدموه هو الباقي، وما أبقوه هو الفاني، نسأل الله أن يُعيذنا والمسلمين من الشح والبخل والجبن والكسل.

* * *

(١) صحيح : رواه الترمذي (٢٤٧٠) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٤٤).

Marfat.com

٣٨ ـ باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من فى رعيته بطاعة الله تعالى ، ونهيهم عن المخالفة ، وتأديبهم ، ومنعهم عن ارتكاب منهى عنه

قال الله تعالى : ﴿ وأمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاة واصْطَبْر عَلَيْهَا ﴾ (طه:١٣٢) ،وقال تعالى : ﴿ يَأيُّهَا الَّذين آمَنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وَأهْليكُمْ نَارًا ﴾ (التحريم :٦).

[١/٢٩٨] ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أخذ الحسن بن على رضى الله عَنهُمَا تَمْرَةً منْ تَمْر الصَّدَقَة فَجعَلَهَا فى فيه ، فقال رسولُ الله ﷺ : « كَخْ كَخْ ، ارْمِ بِهَا ، أمَا عَلمْتَ أنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَةَ ؟! » متفقٌ عليه .وفى رواية : « أنَّا لا تَحلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ ».

وقوله : « كَخْ كَخْ » يُقَالُ بإسْكَان الخَاء ، ويُقَالُ بكَسْرِهَا مَعَ التَّنْوِينِ . وهِىَ كَلِمَةُ زَجْرٍ للصَّبِىِّ عَنْ المُسْتَقْذَرَاتِ ، وكَانَ الحَسَنُ رضى الله عنه صبيا .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من فى رعيته بطاعة الله تعالى، ونهيهم عن المخالفة، وتأديبهم، ومنعهم عن ارتكاب منهى عنه).

ووجه المناسبة أن المؤلف ـ رحمه الله ـ ، لما ذكر ما يجب للأهل من غذاء الجسم، ذكر لهم ما يجب من غذاء الروح على أبيهم ومن له ولاية عليهم، وأولى ما يُؤمر به وأوجب وأفضل هي الصلاة، كما قال الله تعالي لنبيه محمد ﷺ : ﴿ أمُرْ أهْلَكَ بالصَّلاة واصْطَبْر عَلَيْهَا لا نَسْئَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ والْعَاقبَةُ للتَّقْوَى ﴾ [طه:١٣٢]. فأمره أن يأمر أهله بالصلاة.

والأهل كل من في البيت؛ من زوجة، وابن، وبنت، وعمة، وخالة، وأم، كل من في البيت أهل، أمره أن يأمرهم بالصلاة، وأمره أن يصطبر عليهم يعني يحض نفسه على الصبر، ولهذا جاءت التاء التي فيها زيادة البنية وفيها زيادة المعنى اصطبر؛ لأن أصلها اصتبر عليها.

وذكر الله عن إسماعيل أبي محمد ﷺ ـ إذا أنه أحد أجداده ـ أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان عند ربه مرضيًا، فالإنسان مسئول عن أهله، مسئول عن تربيتهم، حتى ولو كانوا صغارًا إذا كانوا مميزين، أما غير المميز فإنه يؤمر بما يتحمله عقله.

(١/ ٢٩٨) صحيح : رواه البخاري (١٤٩١)، ومسلم (١٠٦٩).

Marfat.com

ثم ذكر حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه أخذ تمرة من الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ : «كخ كخ» يعني أنها لا تصلح لك، ثم أمره أن يُخرجها من فيه، وقال: إننا لا تحل لنا الصدقة.

فالصدقة لا تحل لآل محمد؛ وذلك لأنه أشرف الناس، والصدقات والزكوات أوساخ الناس ولا يتناسب لأشراف الناس أن يأخذوا أوساخ الناس، كما قال النبي ﷺ لعمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: **«إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة؛ إنما هي أوساخ الناس»**(١) .

ففي هذا: دليل على أن الإنسان يجب عليه أن يؤدب أولاده عن فعل المحرم، كما يجب عليه أن يؤدبهم على فعل الواجب.

* * *

[٢/ ٢٩٩] ـ وعن أبي حَفْص عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ عبد الله بن عبد الأسد رَبيب رسول الله ﷺ قال : كُنْتُ غُلاماً في حَجْرِ رسول الله ﷺ وكَانَتْ يَدي تَطيشُ في الصَّحْفَةِ ، فقال لي رسول الله ﷺ : « ياغُلامُ ، سَمِّ الله تعالى ، وكُلْ بيَمِينكَ ، وكُلْ مِمَّا يَليكَ » فمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتي بَعْدُ . متفقٌ عليه .

وَ « تَطِيشُ » : تَدُورُ في نَوَاحِي الصَّحْفَةِ .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، وكان ربيب النبي ﷺ ؛ لأنه ابن زوجته أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنه كان مع النبي ﷺ في طعام يأكل فجعلت يده تطيش في الصحفة، يعني تذهب يمينًا وشمالاً، فقال له النبي ﷺ : **«يا غلام سم الله، وكل بيمنك ، وكل مما يليك»** فهذه ثلاثة آداب علمها النبي ﷺ هذا الغلام وهي:

أولاً: قال: **«سم الله»** وهذا عند الأكل.

فعند ابتداء الأكل يجب أن يقول الإنسان بسم الله، ولا يحل له أن يتركها؛ لأنه إذا تركها شاركه الشيطان في أكله؛ أعدى عدو له يُشاركه في الأكل إذا لم يقل بسم الله، ولو زاد الرحمن الرحيم فلا بأس؛ لأن قول الرسول ﷺ : **«سم الله»**: يعني اذكر اسم الله.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٧٢) أبو داود (٢٩٨٥).

(٢/ ٢٩٩) صحيح : رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

Marfat.com

والتسمية الكاملة هي أن يقول الإنسان: بسم الله الرحمن الرحيم كما ابتدأ الله بها كتابه، وكما أرسل بها سليمان ﷺ :﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]. فإن اقتصرت على قول بسم الله فلا حرج، وإن زدت الرحمن الرحيم فلا حرج، الأمر في هذا واسع. وأما التسمية على الذبيحة فهي شرط من شروط التذكية، إذا لم تسم على الذبيحة فهي حرام ميتة، كأنما ماتت بغير ذبح.

ولكن العلماء يقولون: لا ينبغي أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم؛ لأنه الآن يُريد أن يَذبحها فالفعل يُنافي القول بالنسبة لهذه الذبيحة، لأنها ستذبح هكذا علل بعض العلماء، ولكن لو قالها أيضًا فلا حرج.

الأدب الثاني: قوله: «**كل بيمينك**»: وهذا أمر على سبيل الوجوب، فيجب على الإنسان أن يأكل بيمينه وأن يشرب بيمينه؛ لأن النبي ﷺ نهى أن يأكل الإنسان بشماله أو أن يشرب بشماله، وقال: «**إن الشيطان يفعل هذا**»(١) فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله، وقد نهينا عن اتباع خطوات الشيطان، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور: ٢١].

ولهذا كان القول الراجح وجوب الأكل باليمين، ووجوب الشرب باليمين، وأن الأكل بالشمال أو الشرب بالشمال حرام، ثم إن الأكل بالشمال والشرب بالشمال مع كونه من هدي الشيطان فهو أيضًا من هدي الكفار؛ لأن الكفار يأكلون بشمائلهم ويشربون بشمائلهم. ثم إن بعض الناس إذا كان علي الأكل وأراد أن يشرب فإنه يمسك الكأس باليسار ويشرب، ويقول: أخشى أن تتلوث الكأس إذا شربت باليمين، فنقول: لتتلوث، فإنها إذا تلوثت فإنما تتلوث بطعام، ولم تتلوث ببول ولا غائط، تلوثت بطعام ثم تغسل.

وبإمكانك أن تمسك الكأس من الأسفل بين إبهامك والسبابة، وتجعلها كالحلقة ولا يتلوث منه إلا شيء يسير، ولا عذر لأحد بالشرب بالشمال من أجل هذا؛ لأن المسألة على سبيل التحريم، والحرام لا يجوز إلا عند الضرورة، والضرورة مثل أن تكون اليد اليمنى شلاء، لا يمكن أن يرفعها إلى فيه ، أو مكسورة لا يمكن أن يرفعها إلى فيه، فهذه ضرورة، أو تكون متجرحة لا يمكن أن يأكل بها أو يشرب. المهم إذا كان هناك ضرورة فلا بأس باليسار ، وإلا فلا يحل للمسلم أن يأكل باليسار ولا أن يشرب باليسار .

الأدب الثالث: قوله: «**وكل مما يليك**»: يعني لا تأكل من حافة غيرك، بل كل من الذي يليك؛ لأنك إذا اعتديت على حافة غيرة فهذا سوء أدب، فكل من الذي يليك.

إلا إذا كان الطعام أنواعًا، مثل أن يكون هناك لحم في غير الذي يليك فلا بأس أن تأكل، أو يكون هناك قرع، أو ما أشبه ذلك مما يقصد، فلا بأس أن تأكل من الذي لا يليك؛ لأن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أكلتُ مع النبي ﷺ : «**فكان يتتبع الدباء**

(١) صحيح : انظر مسلم (٢٠٢٠) وابو داود (٣٧٧٦).

Marfat.com

من حوالي القصعة»،(١) الدباء: القرع، يتتبعه يعني يلقطه من على الصحفة ليأكله، هذا لا بأس به.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أنه يجب على الإنسان أن يؤدب أولاده على كيفية الأكل والشرب، وعلى ما ينبغي أن يقول في الأكل والشرب، كما فعل النبي ﷺ في ربيبه، وفي هذا حسن خلق النبي ﷺ وتعليمه؛ لأنه لم يزجر هذا الغلام حين جعلت يده تطيش في الصحفة، ولكن علمه برفق، وناداه برفق: يا غلام سم الله، وكل بيمينك.

وليعلم أن تعليم الصغار لمثل هذه الآداب لا ينسى ، يعني أن الطفل لا ينسى إذا علمته وهو صغير، لكن إذا كبر ربما ينسى إذا علمته، وربما يتمرد عليك ببعض الشيء إذا كبر لكن ما دام صغيراً وعلمته يكون أكثر إقبالاً، ومن اتقى الله في أولاده اتقوا الله فيه، ومن ضيع حق أولاده ضيعوا حقه إذا احتاج إليهم.

[٣/٣٠٠] ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رعيته ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعيته ، والرَّجُلُ رَاعٍ فى أهله وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعيته ، وَالمَرْأَةُ رَاعيَةٌ فى بَيْت زَوْجها وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعيتها ، والخادمُ راعٍ فى مَال سَيده ومسؤُولٌ عن رعيته ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عن رَعيته » متفقٌ عليه .

[٤/٣٠١] ـ وعن عمرو بن شُعَيب ، عَنْ أبيه ، عن جَدّه رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مُرُوا أَوْلادَكُمْ بِالصَّلاة وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سنينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا ، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فى المَضَاجِعِ » حَديثٌ حسنٌ .رواه أبو داود بإسناد حسن .

[٥/٣٠٢] ـ وعن أبى ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بن مَعْبَد الجُهَنىِّ رضى الله عنه قالَ: قال رسول الله ﷺ : « علِّمُوا الصَّبىَّ الصَّلاة لسَبْعِ سنينَ ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سنينَ » حديث حسنٌ . رواه أبو داود ، والترمذى وقالَ : حديث حسن .وَلَفْظُ أبى دَاوُدَ : « مُرُوا الصَّبىَّ بِالصَّلاة إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ » .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٣٧٩) ومسلم (٢٠٤١).

(٣/ ٣٠٠) صحيح : رواه البخارى (٢٧٥١) مسلم (١٨٢٩) .

(٤/ ٣٠١) رواه أبو داود (٤٩٥) وقال الترمذي: «حسن صحيح». قال الألباني في المشكاة (٥٧٢) وكذا أحمد (٢/ ١٨٠، ١٨٧) وغيره سنده حسن كما حققته في صحيح أبي داود، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٦) حسن صحيح.

(٥/ ٣٠٢) حسن صحيح: رواه أبو داود (٤٩٤) والترمذي (٤٠٧) قال الألباني في المشكاة (٥٧٣): سنده حسن أيضًا كما بينته هناك (صحيح أبي داود) قال في صحيح أبي داود (٤٦٥): حسن صحيح.

Marfat.com

رسول الله ﷺ قال: «**مُروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**» وهو حديث حسن له شواهد من حديث سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه، وهذا من حقوق الأولاد على آبائهم؛ أن يأمروهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنوات، وأن يضربوبهم عليها أي على التفريط فيها وإضاعتها إذا بلغوا عشر سنين، ولكن بشرط أن يكون ذوي عقل.

فإن بلغوا سبع سنين أو عشر سنين وهو لا يعقلون، يعني فيهم جنون فإنهم لا يؤمرون بشيء ولا يضربون على شيء، لكن يمنعون من الإفساد؛ سواء في البيت أو خارج البيت.

وقوله: «**اضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين**»: المراد بالضرب الذي يحصل به التأديب بلا ضرر، فلا يجوز للأب أن يضرب أولاده ضربًا مبرحًا، ولا يجوز أن يضربهم ضربًا مكررًا لا حاجة إليه، بل إذا احتاج إليه مثل ألا يقوم الولد للصلاة إلا بالضرب فإنه يضربه ضربًا غير مبرح، بل ضربًا معتادًا؛ لأن النبي ﷺ إنما أمر بضربهم لا لإيلامهم ولكن لتأديبهم وتقويمهم.

وفي هذا الحديث: إشارة إلى أن ما ذهب إليه بعض المتأخرين ممن يدعون أنهم أصحاب تربية من أن الصغار لا يضربون في المدارس إذا أهملوا، ففي هذا الحديث الرد عليهم، وهو دليل على بطلان فكرتهم، وأنها غير صحيحة، لأن بعض الصغار لا ينفعهم الكلام في الغالب، ولكن الضرب ينفعهم أكثر، فلو أنهم تركوا بدون ضرب لضيعوا الواجب عليهم، وفرطوا في الدروس وأهملوا ، فلا بد من ضربهم ليعتادوا النظام، ويقوموا بما ينبغي أن يقوموا به، وإلا لصارت المسألة فوضى.

إلا أنه كما قلنا: لا بد أن يكون الضرب للتأديب لا للإيلام والإيجاع فيضرب ضربًا يليق بحاله، ضربًا غير مبرح، لا يفعل كما يفعل بعض المُعلمين في الزمن السابق؛ يضرب الضرب العظيم الموجع، ولا يهمل كما يدعي هؤلاء المربون الذين هم من أبعد الناس عن التربية، لايُقال لهم شيء؛ لأن الصبي لا يمتثل ولا يعرف، لكن الضرب يؤدبه.

* *

٣٩ـ باب حق الجار والوصية به

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء:٣٦).

Marfat.com

[١/ ٣٠٣] ــ وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا : قال رسولُ الله ﷺ : «مَا زَالَ جبْريلُ يُوصينى بالجَار حتَّى ظَنَنتُ أَنَّهُ سَيُورِّثُهُ» متفقٌ عليه .

[٢/ ٣٠٤] ــ وعن أَبى ذرٍّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «يَا أَبَا ذرٍّ ، إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً ، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وتَعَاهَدْ جيرانَكَ» رواه مسلم .

وفى رواية له عن أبى ذرٍّ قال : إنَّ خليلى ﷺ أَوْصَانى : «إذا طَبَخْتَ مَرقاً فَأَكْثِرْ مَاءَهُ ، ثُمَّ انظُرْ أَهْلَ بَيْت منْ جيرانكَ ، فَأَصِبْهُمْ منْهَا بمَعْرُوف» .

[٣/ ٣٠٥] ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : «والله لا يُؤْمنُ ، والله لا يُؤْمنُ ، والله لا يُؤْمنُ !» قيلَ : مَنْ يا رسول الله ؟ قال : «الَّذى لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائقَهُ !» متفقٌ عليه .

وفى رواية لمسلم : «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوائقَهُ» .

«البَوَائقُ» : الغَوائل والشُّرُور .

[٤/ ٣٠٦] ــ وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : «يَا نساءَ المُسْلمات ، لا تَحْقرَنَّ جَارَةٌ لجَارتهَا ولَوْ فرْسنَ شَاة» متفقٌ عليه .

[٥/ ٣٠٧] ــ وعنه أن رسول الله ﷺ قال : «لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فى جدَاره» . ثُمَّ يَقُولُ أبو هريرة : مَا لى أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضينَ ! والله لأَرْمِيَنَّ بها بَيْنَ أَكْتَافكُمْ. متفق عليه .

رُوى «خَشَبَهُ» بالإضَافَة والجَمْع ، ورُوى «خَشَبَةً» بالتَّنْوين على الإفْرَاد . وقوله: ما لى أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضينَ : يَعْنى عَنْ هذه السُّنَّة .

الشَرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب حق الجار والوصية به)، الجار: هو الملاصق لك في بيتك والقريب من ذلك، وقد وردت بعض الآثار بما يدل على أن الجار أربعون دارًا من كل جانب، ولا شك أن الملاصق للبيت جار، وأما ما وراء ذلك فإن صحت الأخبار بذلك عن النبي ﷺ فالحق ما جاءت به، وإلا فإنه يرجع في ذلك إلى العرف، فما عده الناس جوارًا فهو جوار.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ آية سورة النساء: ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب ﴾ ﴿ الجار ذى

[١/ ٣٠٣]: رواه البخاري (٦٠١٩)، .ومسلم (٦٢٤) من حديث عائشة رضي الله عنها، والبخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

[٢/ ٣٠٤]: رواه مسلم (٢٦٢٥) والترمذي (١٨٣٣) ابن ماجه (٣٣٦٢).

[٣/ ٣٠٥]: رواه البخاري (٦٠١٦)، ومسلم (٤٦).

[٤/ ٣٠٦]: رواه البخاري (٦٠١٧)، ومسلم (١٣٠).

[٥/ ٣٠٧]: رواه البخاري (٢٤٦٣)، ومسلم (١٦٠٩).

Marfat.com

الْقُرْبَىٰ﴾ : يعني الجار القريب ﴿الْجَارِ الْجُنُبِ﴾ : يعني الجار البعيد الأجنبي منك.

قال أهل العلم: والجيران ثلاثة:

١ ـ جار قريب مُسلم فله حق الجوار والقرابة والإسلام.

٢ ـ وجار مسلم غير قريب فله حق الجوار والإسلام.

٣ ـ وجار كافر فله حق الجوار، وإن كان قريبًا فله حق القرابة أيضًا.

فهؤلاء الجيران لهم حقوق؛ حقوق واجبة وحقوق يجب تركها.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ خمسة أحاديث؛ عن ابن عمر، وعن أبي ذر، وعن أبي هريرة.

أما حديث ابن عمر ففيه: أن النبي ﷺ قال: «**ما زال جبريل يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه**» أي سينزل الوحي بتوريثه، وليس المعنى أن جبريل يُشرع توريثه؛ لأن جبريل ليس له حق في ذلك، لكن المعنى أنه سينزل الوحي الذي يأتي به جبريل بتوريث الجار، وذلك من شدة إيصاء جبريل به النبي ﷺ.

وأما حديث أبي ذر ففيه: أن على الإنسان إذا وسع الله عليه برزق، أن يصيب منه جاره بعض الشيء بالمعروف، حيث قال ﷺ: «**إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك**»، «**أكثر ماءها**» يعني زدها في الماء لتكثر وتوزع على جيرانك منها والمرقة عادة تكون من اللحم أو من غيره مما يؤتدم به، وهكذا أيضًا إذا كان عندك طعام غير المرق، ، أو شراب كفضل اللبن مثلاً، وما أشبهه ينبغي لك أن تعاهد جيرانك به؛ لأن لهم حقًا عليك. وأما أحاديث أبي هريرة ففيها أن النبي ﷺ أقسم ثلاث مرات فقال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قالوا: من يا رسول الله؟ قال: «**من لا يأمن جاره بوائقه**» يعني غدره وخيانته وظُلمه وعدوانه، فالذي لا يأمن جاره من ذلك ليس بمؤمن، وإذا كان يفعل ذلك ويوقعه فعلاً فهو أشد.

وفي هذا: دليل على تحريم العدوان على الجار؛ سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل، أما بالقول فأن يسمع منه ما يزعجه ويُقلقه، كالذين يفتحون الراديو أو التلفزيون أو غيرهما مما يسمع فيزعج الجيران، فإن هذا لا يحل له، حتى لو فتحة على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتد عليهم، ولا يحل له أن يفعل ذلك. وأما بالفعل فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه، والتضييق عليه عند مدخل بابه، أو بالدق، أو ما أشبه ذلك مما يضره، ومن هذا أيضًا إذا كان له نخلة أو شجرة حول جدار جاره فكان يسقيها حتى يؤذي جاره بهذا السقي، فإن ذلك من بوائق الجار فلا يحل له.

إذن يحرم على الجار أن يؤذي جاره بأي شيء، فإن فعل فإنه ليس بمؤمن، والمعنى أنه ليس متصفًا بصفات المؤمنين في هذه المسألة التي خالف بها الحق.

وأما ما ذكره في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبة في جداره**» يعني إذا كان جارك يُريد أن يسقف بيته ووضع الخشب على الجدار، فإنه لا يحل لك منعه؛ لأن وضع الخشب على الجدار لا يضر، بل يزيده قوة، ويمنع السيل منه، ولا سيما فيما سبق حيث كان البناء من اللبن، فإن الخشب ويمنع هطول المطر على الجدار فيحميه، وهو أيضًا يشده ويقويه،

Marfat.com

ففيه مصلحة للجار وفيه مصلحة للجدار، فلا يحل للجار أن يمنع جاره من وضع الخشب على جداره، وإن فعل ومنع فإنه يجبر على أن يوضع الخشب رغمًا عن أنفه.

ولهذا قال أبو هريرة: مالي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم، يعني من لم يمكن من وضع الخشب على جداره وضعناه على متن جسده بين أكتافه، وهذا قاله رضي الله عنه حينما كان أميرًا على المدينة في زمن مروان بن الحكم. وهذا نظير ما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المشاجرة التي جرت بين محمد بن مسلمة وجاره، حيث أراد أن يجري الماء إلى بستانه وحال بينه وبينه بستان جاره فمنعه الجار من أن يجرى الماء على أرضه، فترافعا إلى عمر، فقال: والله لئن منعته لأجرينه علي بطنك، وألزمه أن يجري الماء؛ لأن إجراء الماء ليس فيه ضرر؛ لأن كل بُستان زرع فإذا جرى الماء الساقي، انتفعت الأرض وانتفع ما حول الساقي من الزرع وانتفع الجار، نعم لو كان الجار يُريد أن يبنيها بناء وقال: لا أريد أن يجري الماء على الأرض فله المنع، أما إذا كان يُريد أن يزرعها فالماء لا يزيده إلا خيرًا(١). وبناء على هذا فتجب مراعاة حقوق الجيران فيجب الإحسان إليهم بقدر الإمكان ويحرم الاعتداء عليهم بأي عدوان، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره»(٢).

٦/ ٣٠٨ ــ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلا يُؤْذِ جَارَهُ وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيراً أَوْ لِيَسْكُتْ» متفق عليه.

٧/ ٣٠٩ ــ وعن أبي شُرَيْح الخُزاعيِّ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إلى جَارِه، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أَوْ لِيَسْكُتْ» رواه مسلم بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه.

٨/ ٣١٠ ــ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، إنَّ لي جَارَيْنِ، فَإِلى أيِّهِمَا أُهْدِي؟ قال: «إلى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَاباً» رواه البخاري.

٩/ ٣١١ ــ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ تعالى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ تعالى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

* * *

---

(١) انظر موطأ الإمام مالك (٢/ ٧٤٦).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٤٧).

Marfat.com

٤٠ ـ باب بر الوالدين وصلة الأرحام

قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (النساء:٣٦).

وقال تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ (النساء:١) .

وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ ﴾ (الرعد:٢١).

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ (العنكبوت:٨) .

قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٣ ، ٢٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ (لقمان:١٤) .

[٣١٢/١] ـ عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : سَأَلتُ النبي ﷺ : أيُّ العَمَلِ أحبُّ إلي الله تَعَالى ؟ قال: « الصَّلاةُ عَلَى وقْتِها » قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قال « برُّ الوَالدَيْنِ » قلتُ : ثُمَّ أيٌّ ؟ قال : « الجهَادُ فى سَبِيلِ الله » متفقٌ عليه .

[٣١٣/٢] ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا يَجْزِى وَلَدٌ وَالِداً إلا أنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكاً ، فَيَشْتَرِيَهُ ، فَيَعْتِقَهُ » رواه مسلم .

٣١٤/٣ ـ وعنه أيضاً رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمنُ بالله وَاليَوْمِ الآخرِ ، فَلْيُكرِمْ ضَيفَهُ ، وَمَنْ كانَ يُؤْمنُ بالله واليَوْمِ الآخرِ ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمنِ بالله وَاليوم الآخرِ ، فَلْيَقُلْ خَيْراً أوْ ليَصْمُتْ » متفقٌ عليه .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب بر الوالدين وصلة الأرحام) الوالدان هما الأب والأم، وعبر بالبر اتباعًا لما جاء في النص، وعبر عن صلة الأرحام بالصلة لأن هكذا جاء أيضًا بالنص، والأرحام هم القرابة. وبر الوالدين من أفضل الأعمال ، بل هو الحق الثاني بعد حق الله ورسوله. وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات كثيرة في هذا المعنى كقوله

(١/ ٣١٢) صحيح: رواه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).
(٢/ ٣١٣) صحيح: رواه مسلم (١٥١٠) وأبو داود (٥١٣٧) الترمذي (١٩٠٦).
(٣/ ٣١٤) صحيح : رواه البخارى (٦٠١٨) مسلم (٤٧) .

Marfat.com

تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا به شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

وكل هذه الآيات وغيرها تدل على عظم حق الوالدين، وقد بين الله سبحانه وتعالى حال الأم، وأنها تحمل ولدها وهنًا على وهن: أي ضعفًا علي ضعف، من حين أن تحمل به إلى أن تضعه وهي في ضعف ومشقة وعناء، وكذلك عند الوضع، كما قال تعالى: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الأحقاف: ١٥] . كل هذا البيان سبب حقها العظيم.

ثم ذكر الله أشد حالة يكون عليها الوالدن فقال تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾ ؛ لأن الوالدين إذا بلغا الكبر ضعفت نفوسهما، وصارا عالة على الولد، ومع ذلك يقول لا تقل لهما أف، يعني لا تقل إني متضجر منكما، بل عاملهما باللطف والإحسان والرفق، ولا تنهرهما إذا تكلما، ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ يعني رد عليهما ردًا جميلاً لعظم الحق. ثم ذكر حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال حين سأله عبد الله بن مسعود: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «**الصلاة على وقتها**» قلت: ثم أي؟ قال: «**بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**».فجعل النبي ﷺ مرتبة البر بالوالدين مقدمة على مرتبة الجهاد في سبيل الله، قال: ولو استزدته لزادني.

وفي هذا: دليل على فضل بر الوالدين. فإن قال قائل: ما هو البر؟ قلنا: هو الإحسان إليهما؛ بالقول، والفعل، والمال بقدر المستطاع، اتقو الله ما استطعتم، وضد ذلك العقوق.

ثم ذكر الحديث الثاني وهو قول الرسول ﷺ: «**لا يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**» يعني يُعتقه بشرائه؛ لأنه فك أباه من رق العبودية للإنسان، وهذا الحديث لا يدل على أن من ملك أباه لا يعتق عليه، بل نقول: إن معناه إلا أن يشتريه فيُعتقه، أي فيُعتقه بشرائه؛ لأن الإنسان إذا ملك أباه عتق عليه بمجرد الملك، ولا يحتاج إلى أن يقول عتقته، وكذلك إذا ملك أمه تعتق بمجرد الملك، ولا يحتاج إلى أن يقول عتقتها.

* *

[٣١٥/٤] ـ وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إِنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إذا فَرَغَ مِنهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هذا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قال: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ

(٣١٥/٤) صحيح: رواه البخاري (٤٨٣١)، ومسلم (٢٥٥٤).

Marfat.com

أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قالت : بَلَى ، قال : فَذلِكَ لَكِ » ثُمَّ قال رسول الله ﷺ : « اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ (محمد:٢٢،٢٣) » متفقٌ عليه.

وفى رواية للبخارى : فقال الله تعالى : مَنْ وَصَلَكِ ، وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَكِ ، قَطَعْتُهُ».

[٣١٦/٥] ــ وعنه رضى الله عنه قال : جاءَ رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قال : « أُمُّكَ » قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال:«أُمُّكَ» قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : «أُمُّكَ» قال : ثُمَّ مَنْ ؟ قال :« أَبُوكَ » . متفقٌ عليه .

وفى رواية : يا رسول الله ، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ؟ قال : « أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أُمُّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ » .

« والصَّحَابَةُ » بمعنى : الصُّحْبَة . وقوله : « ثُمَّ أَبَاكَ » هكَذَا هُوَ منصوب بفعلٍ محذوف ، أى : ثم بِرَّ أَبَاكَ . وفى رواية : « ثُمَّ أَبُوكَ » وهذا واضح .

٣١٧/٦ ــ وعنه عن النبى ﷺ قال : « رَغِمَ أَنْفُ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْف ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْف، مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِما ، فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ » رواه مسلم .

الشرح

هذان الحديثان في بيان فضل صلة الرحم، والرحم سبق لنا أنهم هم الأقارب، وصلتهم بما جرى به العرف واتبعه الناس؛ لأنه لم يبين في الكتاب ولا السنة نوعها ولا جنسها ولا مقدارها؛ لأن النبي ﷺ لم يقيده بشيء معين؛ فلم يقيده بأن يأكلوا معك، أو يشربوا معك، أو يكتسوا معك، أو يسكنوا معك، بل أطلق ولذلك يرجع فيها للعرف، فما جرى به العرف أنه صلة فهو الصلة، وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة فهو قطيعة، هذا هو الأصل. نعم، لو فرض أن الأعراف فسدت وصار الناس لا يُبالون بالقطيعة، وصارت القطيعة عندهم صلة فلا عبرة بهذا العرف؛ لأن هذا العرف ليس إسلاميًا، فإن الدول الكافرة الآن لا تتلائم أسرها، ولا يعرف بعضهم بعضًا، حتى إن الإنسان إذا شب ولده وكبر صار مثله مثل الرجل الأجنبي الذي لا يعرف أن له أبًا، لأنهم لا يعرفون صلة الأرحام، ولا يعرفون حسن الجوار، وكل أمورهم فوضى فاسدة؛ لأن الكفر دمرهم تدميرًا والعياذ بالله، لكن كلامنا عن المجتمع المُسلم المحافظ، فما عده الناس صلة فهو صلة، وما عدوه قطيعة فهو قطيعة.

وفي حديث أبي هريرة الأول أن الله سبحانه وتعالى تكفل للرحم بأن يصل من وصلها ويقطع من قطعها، وفي هذا حث وترغيب في صلة الرحم، فإذا أردت أن يصلك

(٥/ ٣١٦) صحيح : رواه البخاري (٥٩٧١) ، ومسلم (٢٥٤٨).

(٦/٣١٧) صحيح رواه مسلم (٢٥٥١) .

Marfat.com

الله وكل إنسان يريد أن يصله ربه فصل رحمك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطع رحمك، جزاءً وفاقًا، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل كان الله له أوصل، وكلما قصر جاءه من الثواب بقدر ما عمل، لا يظلم الله أحدًا.

وذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ قوله سبحانه ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣] فبن سبحانه وتعالى أن الذين يُفسدون في الأرض ويقطعون أرحامهم ملعونون والعياذ بالله، أي: مطرودون ومبعدون عن رحمة الله، وقد أصمهم الحق، ولو رأوه لم ينتفعوا به، فسد عنهم طرق الخير؛ وأعمى أبصارهم؛ فلا يرون الحق، ولو رأوه لم ينتفعوا به، فسد عنهم طرق الخير؛ لأن السمع والبصر يُوصل المعلومات إلى القلب، فإذا انسد الطريق لم يصل إلى القلب خير والعياذ بالله.

وقد ذكر أهل العلم من جملة الصلة النفقة على الأقارب، فقالوا: إن الإنسان إذا كان له أقارب فقراء وهو غني وهو وارث لهم، فإنه يلزمه النفقة عليهم، كالأخ الشقيق مع أخيه الشقيق، إذا كان الأخ هذا يرثه لو مات فإنه يجب على الوارث أن يُنفق على أخيه ما دام غنيًا، وأخوه فقيرًا عاجزًا عن التكسب، فإن هذا من جملة الصلة.

وقالوا أيضًا: إن من جملة الإنفاق أنه إذا احتاج إلى النكاح فإنه يزوجه؛ لأن إعفاف الإنسان من أشد الحاجات.

وعلى هذا فإذا كان للإنسان أخ شقيق ولا يرثه إلا أخوه، وأخوه غني وهو فقير عاجز عن التكسب، وجب عليه أن ينفق عليه طعامًا وشرابًا وكسوة ومسكنًا ومركوبًا إذا كان يحتاجه، وأن يزوجه أيضًا إذا احتاج إلى النكاح؛ لأن الإعفاف من أشد الحاجات فيدخل في صلة الرحم.

وهذه الأمور يجب على الإنسان إذا كان لا يعلم عنها شيئًا أن يسأل أهل العلم حتى يدلوه على الحق؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

والحديث الثاني في بيان أحق الناس بحسن صحبة الإنسان، فبن النبي ﷺ أن أحق الناس بذلك الأم، فأعيد عليه السؤال فقال: «أمك» مرة ثانية، كرر ذلك ثلاث مرات، ثم بعد ذلك الأب؛ لأن الأم حصل عليها من العناء والمشقة للولد ما لم يحصل لغيرها؛ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾، وفي الليل تمهده وتهدئه حتى ينام، وإذا أتاه ما يؤلمه لم تنم تلك الليلة حتى ينام.

Marfat.com

ثم إنها تفديه بنفسها بالتدفئة عند البرد، والتبريد عند الحر وغير ذلك، فهي أشد عناية من الأب بالطفل، ولذلك كان حقها مضاعفًا ثلاث مرات على حق الأب.

ثم إنها أيضًا ضعيفة أنثى لا تأخذ بحقها، فلهذا أوصى بها النبي ﷺ ثلاث مرات، وأوصى بالأب مرة واحدة، ذلك الحث على أن يُحسن الإنسان صحبة أمه، وصحبة أبيه أيضًا بقدر المستطاع، أعان ... والمسلمين على ذلك.

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح ووصلنا والمسلمين بفضله وإحسانه.

* * *

[٧/ ٣١٨] ــ وعنه رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إنَّ لى قَرَابَةً أصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونى ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلىَّ ، وَأَحْلُمُ عنهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَىَّ ، فقال : « لَئِنْ كُنْتَ كمَا قُلْتَ ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ ، وَلا يَزالُ مَعَكَ مِنَ الله ظهيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذلكَ » رواه مسلم.

« وَتُسِفُّهُمْ » بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء ، و« المَلُّ » بفتح الميم ، وتشديد اللام وهو الرَّمَادُ الحَارُّ : أىْ كَأَنَّما تُطعمُهُم الرَّمَادَ الحَارَّ ، وَهُو تَشْبيه لما يَلْحَقُهُمْ من الإثم بمَا يَلْحقُ آكلَ الرَّمَاد الحار منَ الألم ، وَلا شَيْءَ عَلى هذا المُحْسِنِ إِلَيْهِمْ ، لكِنْ يَنالُهمْ إثْمٌ عَظيمٌ بِتَقْصِيرِهم فى حَقِّه ، وَإِدْخَالِهمُ الأذَى عَلَيْه ، والله أعلم .

[٨/ ٣١٩] ــ وعَن أنس رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « مَنْ أَحَبَّ أنْ يُبْسَطَ له فى رزْقه ، وينْسأ لَهُ فى أثَره ، فَلْيَصِلْ رحمَهُ » متفقٌ عليه .

ومَعْنَى « وينْسأ لَهُ فى أثَرِه » : أىْ يُؤَخَّر له فى أجَله وعُمره .

[٩/ ٣٢٠] ــ وعنه قالَ : كَانَ أَبو طَلْحَةَ أكْثَرَ الأنْصَار بالْمَدينَة مَالاً منْ نَخْلٍ ، وكَانَ أحَبُّ أمْوَالِه إلَيْه بَيْرحَاءَ ، وكَانَتْ مُسْتَقْبلَةَ المَسْجِد ، وكَانَ رَسولُ الله ﷺ يَدْخُلُهَا ، وَيَشْرَبُ منْ مَاء فيها طَيِّب ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذه الآيَةُ: ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران:٩٢) قَامَ أبو طَلْحَةَ إلى رسول الله ﷺ فقال :يا رسول الله ، إنَّ الله تَبارَكَ وتعالى يقول : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وَإنَّ أحَبَّ مَالى إلىَّ بَيْرحَاءُ ، وإنَّهَا صَدَقَةٌ لله تعالى ، أرْجُو برَّهَا وذُخْرَهَا عندَ الله تعالى ، فَضَعْهَا يا رسول الله حَيْثُ أرَاكَ الله

(٧/ ٣١٨) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٨/ ٣١٩) صحيح : رواه البخاري (٥٩٨٦) ، ومسلم (٢٥٥٧).

(٩ / ٣٢٠) صحيح : رواه أبو داود (٤٩٤) والترمذي (٤٠٧). وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٦٥) حسن صحيح.

Marfat.com

. فقال رسول الله ﷺ : « بَخٍ ! ذلكَ مَالٌ رَابحٌ ، ذلكَ مَالٌ رَابحٌ ! وقَدْ سَمِعْتُ ما قُلْتَ ، وَإنِّي أرَى أنْ تَجْعَلَهَا في الأقْرَبينَ » فَقَالَ أبو طَلْحَةَ : أفْعَلُ يا رسول الله ، فَقَسَمَهَا أبُو طَلْحَةَ في أقَاربه وبَني عَمِّه . متفقٌ عليه . وَسَبَقَ بَيَانُ ألفَاظه في : بَاب الإنْفَاق مماَّ يُحب .

[١٠/ ٣٢١] ــ وعن عبد الله بن عمرو بن العَاص رضى الله عنهما قال : أقْبَلَ رَجُلٌ إلى نَبيِّ الله ﷺ ، فقال : أُبَايعُكَ عَلَى الهجْرَة وَالجهَاد أبْتَغي الأجْرَ منَ الله تعالى. قال: « فَهَلْ لَكَ منْ وَالدَيْكَ أحدٌ حَيٌّ ؟ » قال : نَعَمْ بَلْ كلاهُمَا . قَال : « فَتَبْتَغي الأجْرَ منَ الله تعالى ؟ » قال : نَعَمْ . قَال : « فَارْجعْ إلى وَالدَيْكَ ، فَأحْسنْ صُحْبَتَهُمَا » متفق عليه . وهذا لَفْظُ مُسلم .

وفي رواية لَهُمَا : جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأذَنَهُ في الجهَاد فقال : « أحَيٌّ وَالدَاكَ ؟ » قال : نَعَمْ ، قال : « فَفيهمَا فَجَاهدْ » .

[١١/ ٣٢٢] ــ وعنه عن النبي ﷺ قال : « لَيْسَ الوَاصلُ بالمُكافئ ، وَلَكنَّ الوَاصلَ الذي إذا قَطَعَتْ رَحمُهُ وَصَلَهَا » رواه البخاري .

وَ« قَطَعَتْ » بفَتْح القَاف وَالطَّاء . وَ« رَحمُهُ » مَرْفُوعٌ .

[١٢/ ٣٢٣] ــ وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « الرَّحمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْش تَقُولُ : مَنْ وَصَلَني وَصَلَهُ الله ، وَمَن قَطَعَني قَطَعَهُ الله » متفقٌ عليه .

١٣/ ٣٢٤ ــ وعن أمِّ المؤمنينَ مَيْمُونَةَ بنْت الحَارث رضى الله عنها أنَّهَا أعْتَقَتْ وَليدَةً وَلَمْ تَسْتَأذن النَّبيَّ ﷺ ، فَلَمَّا كانَ يَوْمُهَا الذي يَدُورُ عَلَيْهَا فيه ، قالت : أشَعَرْتَ يا رسولَ الله أنِّي أعْتَقْتُ وَليدَتي ؟ قال : « أوَ فَعَلْت ؟ » . قالت : نَعَمْ . قال : « أما إنَّك لو أعْطَيْتهَا أخْوالَك كان أعْظَمَ لأجْرك » متفق عليه .

الشرح

هذه الأ- -ا- ث في بيان فضيلة صلة الرحم، وأن الإنسان الواصل ليس المكافيء الذي إذا وصله أقاربه وصلهم، ولكن الواصل هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، فتكون صلته لله لا مكافأة لعباد الله، ولا من أجل أن ينال بذلك مدحًا عند الناس، قال النبي ﷺ : «ليس الواصل بالمكافيء» يعني بالذي إذا وصله أقاربه وصلهم مكافأة لهم، وإنما الواصل الذي إذا قطعت رحمه

(١٠ / ٣٢١) صحيح : رواه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

(١١/ ٣٢٢) صحيح : رواه البخاري (٥٩٩١).

(١٢/ ٣٢٣) صحيح : رواه البخاري (٥٩٧٨، ٥٨٨٩)، ومسلم (٢٥٥٥) ولفظ البخاري إن الرحم شعبة فمن وصلها . . من قطعها قطعته».

(٣/ ٣٢٤) صحيح ر.راه البخارى (٢٥٩٢) مسلم (٩٩٩) .

Marfat.com

وصلها. وكذلك أيضًا في هذه الأحاديث أن الرحم متعلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله، وهذا يحتمل أن يكون خبرًا وأن يكون دعاء، يعني يحتمل أن الرحم تُخبر بهذا أو تدعو الله عز وجل به، وعلى كل حال فهو دليل علي عظم شأن الرحم وصلتها، وأنها تحت العرش تدعو بهذا الدعاء، أو تُخبر بهذا الخبر.

ثم ذكر المؤلف حديث الرجل الذي كان يُحسن إلى قرابته فيُسيئون إليه ويصلهم فيقطعونه، فقال النبي ﷺ: «إن كنت»: يعني كما تقول «فكأنما تُسفهم المل»، والمل: هو الرماد الحار، «وتُسفهم»: يعني تجعله في أفواههم، والمعنى: أنك كأنما تُرغمهم بهذا الرماد الحار عقوبة لهم: «ولا يزال لك من الله عليهم ظهير»، يعني عون عليهم ما دمت على ذلك، أي تصلهم وهم يقطعونك. فكل هذه الأحاديث وما شابهها تدل على أنه يجب على الإنسان أن يصل رحمه وأقاربه بقدر ما يستطيع، وبقدر ما جرى به العرف، ويحذر من قطيعة الرحم.

* * *

[٣٢٥/١٤] ـ وعن أَسْمَاءَ بنْت أبى بَكْرٍ الصِّدِّيق رضى الله عنهما قالت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهيَ مُشركَةٌ فى عَهْد رسولَ الله ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رسول الله ﷺ قلتُ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهيَ رَاغبَةٌ، أفَأصلُ أُمِّي؟ قال: «نَعَمْ، صلى أُمَّك» متفق عليه.

وقولُهَا: «رَاغبَةٌ» أىْ: طَامعَةٌ عندى تسأَلُنى شَيْئاً. قيلَ: كَانَتْ أُمُّهَا منَ النَّسَب، وَقيلَ: من الرَّضَاعَة والصحيحُ الأولُ.

[٣٢٦/١٥] ـ وعن زينَبَ الثَّقَفيَّة امْرَأة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وعنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاء وَلَوْ من حُليِّكُنَّ». قالت: فَرَجَعتُ إلى عبد الله بن مسعود فقلتُ له: إنَّكَ رَجُلٌ خَفيفُ ذَات اليَد، وَإنَّ رسولَ الله ﷺ قَد أمَرَنَا بالصَّدَقَة فأته، فاسألهُ، فَإن كَانَ ذلكَ يُجزئُ عَنِّى وَإلا صَرَفْتها إلى غيركُم، فقال عبدُ الله: بَل ائتيه أنتَ، فانطَلَقتُ، فَإذَا امْرَأةٌ منَ الأنصَار ببَاب رسول الله ﷺ حَاجَتى حَاجَتُهَا، وَكَانَ رَسولُ الله ﷺ قد أُلقيتْ عَلَيه المَهَابَةُ، فَخرَجَ عَلَيْنَا بلالٌ، فَقُلنَا له: ائت رسولَ الله ﷺ، فَأخبرْهُ أنَّ امرأتَين بالبَاب تَسألانك: أتُجزئُ الصَّدَقَةُ عَنهُمَا على أزْوَاجهمَا وَعلى أيتَام فى حُجُورهمَا؟ وَلا تُخبرْهُ مَنْ نحنُ، فَدَخَلَ بلالٌ عَلى رسول الله ﷺ فَسَألهُ، فقال لَهُ رسولُ الله ﷺ: «من هُمَا؟» قَالَ: امْرَأةٌ منَ الأنصَار وَزَيْنَبُ. فقال رسول الله ﷺ: «أىُّ الزَّيَانب هيَ؟» قال: امْرَأةُ عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: «لَهُمَا أجرَان: أجرُ القَرَابَة

(٣٢٥ / ١٤) صحيح: رواه البخاري (٢٦٢٠)، ومسلم (١٠٠٣).
(٣٢٦ / ١٥) صحيح: رواه البخاري (١٤٦٦)، ومسلم (١٠٠٠).

Marfat.com

وَأجْرُ الصَّدَقَةِ » متفق عليه .

الشرح

قال المؤلف فيما نقله عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها: إن أمها قدمت عليها المدينة وهي راغبة فاستفتت النبي ﷺ : هل تصلها أم لا؟ وقالت: يا رسول الله، إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ فأمرها أن تصلها.

وقولها: وهي راغبة، قال بعض العلماء معناه: وهي راغبة في الإسلام، فيكون الأمر بصلتها من أجل تأليفها على الإسلام، وقيل: بل معنى قولها وهي راغبة، أي راغبة في أن أصلها، ومُتطلعة إلى ذلك، فأمرها النبي ﷺ أن تصلها، وهذا هو الأقرب أنها جاءت تتشوق وتتطلع إلى أنت تعطيها ابنتها ما شاء الله.

ففي هذا: دليل على أن الإنسان يصل أقاربه ولو كانوا على غير الإسلام؛ لأن لهم حق القرابة، ويدل لهذا قوله تعالى في سورة لقمان: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٥]. يعني إن أمرك والداك وألحا في الطلب على أن تُشرك بالله فلا تُطعهما؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن صاحبهما في الدنيا معروفًا، أي أعطهم من الدنيا ما يجب لهم من الصلة، ولو كانا كافرين أو فاسقين؛ لأن لهما حق القرابة.

وهذا الحديث يدلُ على ما دلت عليه الآية ، وهو أن النبي ﷺ أمر أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وعن أبيها ـ أن تصل أمها مع أنها كافرة.

ثم إن صلة الأقارب بالصدقة يحصل بها أجران، أجر الصدقة وأجر الصلة ودليل ذلك حديث زينب بنت مسعود الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر النساء بالصدقة، فرجعت إلى بيتها وكان زوجها عبد الله بن مسعود خفيف ذات اليد، يعني أنه ليس عنده مال، فأخبرته، فطلب منها أن تتصدق عليه، وعلى أيتام كانوا في حاجتها، ولكنه أشكل عليه الأمر فذهبت إلى رسول الله ﷺ تستفتيه، فلما وصلت إلى بيته وجدت عنده امرأة من الأنصار، حاجتها كحاجة زينب، تُريد أن تسأل النبي ﷺ أن تتصدق على زوجها ومن في بيتها.

فخرج بلال وكان النبي ﷺ قد أعطاه الله المهابة العظيمة، كل من رآه هابه، لكنه من خالطه معاشرة أحبه وزالت عنه الهيبة، لكن أول من يراه الإنسان يهابه هيبة عظيمة، فإذا خالطه وعاشره أحبه وألفه ﷺ ، فخرج بلال فسألهما عن حاجتهما فأخبرتاه أنهما يسألان النبي ﷺ : هل تجوز الصدقة على أزواجهما ومن في بيتهما؟ ولكنهما قالتا له: لا تُخبر

Marfat.com

الرسول ﷺ من هما؛ أحبتا أن تختفيا.

فدخل بلال على النبي ﷺ وأخبره وقال: إن بالباب امرأتين حاجتهما كذا وكذا، فقال: «من هما؟» وحينئذ وقع بلال بين أمرين بين أمانة ائتمنتاه عليها المرأتان؛ حيث قالتا: لا تخبره من نحن، ولكن الرسول قال: من هما؟ قال: امرأة من الأنصار وزينب.

فقال: «أي الزيانب؟» حيث اسم زينب كثير، فقال: امرأة عبد الله، وكان عبد الله ابن مسعود خادمًا للرسول ﷺ يدخل بيته حتى بلا استئذان، وقد عرف النبي ﷺ أهله وعرف حاله.

وهو إنما أخبره مع قولهما له لا تخبره؛ لأن طاعة النبي ﷺ واجبة مُقدمة على طاعة كل أحد.

فقال: إن صدقتهما على هؤلاء صدقة وصلة، يعني فيها أجران: أجر الصدقة وأجر الصلة؛ فدل ذلك على أنه يجوز للإنسان أن يتصدق على أولاده عند الحاجة، ويتصدق على زوجته وكذلك الزوجة تتصدق علي زوجها، وأن ذلك عليهم صدقة وصلة.

أما الزكاة فإن كان يجب على الإنسان أن يدفعه فإنه لا يصلح أن يدفع إليهم الزكاة لو كانت الزكاة لدفع حاجتهما من نفقة، وهو ممن تجب عليه النفقة، وماله يحتمل، فإنه لا يجوز له أن يعطيهما من الزكاة، أما إذا كان ممن لا يجب عليه كما أن قضى دينًا عن أبيه أو عن ابنه أو زوجته، أو قضت دينًا على زوجها فإن ذلك لا بأس به إذا كان المدين حيًا، أما إذا كان المدين ميتًا فلا يقضي عنه إلا تبرعًا، أو من التركة، ولا يقضي عنه من الزكاة.

* * *

[٣٢٧/١٦] ـ **وعن أبى سُفْيانَ صَخر بن حَرْب رضى الله عنه فى حَديثِه الطَّويل فى قصَّة هِرَقْلَ: أنَّ هِرَقْلَ قال لأبى سُفْيَان: فَمَاذَا يَأمُرُكُمْ به؟ ـ يَعْنى النَّبىَّ ﷺ ـ قال: قلت: يقولُ: «اعْبُدُوا الله وَحْدَهُ، وَلا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً، واتْرُكُوا ما يَقُولُ آباؤُكُمْ، ويأمُرُنَا بالصَّلاة والصِّدْقِ، والعَفَاف، والصِّلَة» متفق عليه.**

[٣٢٨/١٧] ـ **وعن أبى ذَرٍّ رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّكُمْ ستَفْتَحُونَ أرْضاً يُذْكَرُ فيهَا القيراطُ».**

وفى روايةٍ: «ستَفْتَحُونَ مصْرَ، وهِى أرْضٌ يُسَمَّى فِيها القيرَاطُ، فَاستَوْصُوا بِأهْلِهَا

(١٦ / ٣٢٧) صحيح: رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

(١٧ / ٣٢٨) صحيح: رواه مسلم (٢٥٤٣).

Marfat.com

خَيْراً ، فَإِنَّ لَهُم ذِمَّةً وَرَحِماً » .

وفي رواية : « فإذَا افتَتَحْتُمُوهَا ، فَأَحْسِنُوا إلى أهْلِهَا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً » أو قال : «ذِمَّةً وَصِهراً » رواه مسلم .

قالَ العُلَماءُ : الرَّحِمُ التي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إسْمَاعِيلَ ﷺ مِنْهُمْ و« الصِّهْرُ » : كَوْنُ مَارِيَةَ أمِّ إبْرَاهِيمَ ابنِ رسولِ الله ﷺ منهم .

[١٨/ ٣٢٩] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نَزَلَتْ هذه الآيَةُ : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء:٢١٤) دَعَا رسولُ الله ﷺ قُرَيْشاً ، فَاجْتَمَعُوا فَعمَّ ، وخَصَّ وقال : « يَا بَني عَبْد شَمْس ، يَا بَني كَعْب بن لُؤَيٍّ ، أنقذُوا أنفُسكُمْ منَ النَّار ، يا بَني مُرَّةَ بنِ كَعْب ، أنْقذُوا أنفُسَكُم منَ النَّار ، يابَني عَبد مَنَاف ، أَنقذُوا أنفُسكُم منَ النَّار ، يَا بَني هاشمٍ أنْقذُوا أنفُسَكُمْ منَ النَّار ، يَا بَني عَبْد المُطَّلب أنقذُوا أنفُسكُمْ منَ النَّار ، يَا فَاطمَةُ أنْقذي نَفْسَك مِنَ النَّار ، فَإني لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئاً ، غَيْرَ أنَّ لَكُمْ رَحِماً سَأَبُلُّهَا بِبِلاَلِهَا» رواه مسلم .

قوله ﷺ : « ببلالهَا » هو بفتح الباء الثَّانيَة وكَسرهَا و « البلالُ » : المَاءُ ، ومعنى الحديث سأصلُها ، شَبَّهَ قَطيعَتَهَا بالحَرَارَة تُطفَأ بالمَاء ، وهَذه تُبَرَّدُ بالصِّلَة .

[١٩/ ٣٣٠] ـ وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله ﷺ جهاراً غَيْر سرٍّ يَقولُ : « إنَّ آل بَني فُلان لَيْسوا بأوْليائي ، إنَّما وَليِّيَ اللهُ وصَالحُ المُؤمنينَ ، ولَكنْ لَهُمْ رَحِمٌ أبُلُّها ببلالهَا » متفق عليهِ . واللفظُ للبخاري .

الشرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ كلها تدل على أهمية صلة الرحم أي صلة القرابة، وصدرها بحديث أبي سفيان صخر بن حرب حين وفد ومعه قومٌ من قريش على هرقل، وكان قد وفد على هرقل قبل أن يُسلم رضي الله عنه؛ لأنه أسلم عام الفتح.

وأما قدومه إلى هرقل فكان بعد صلح الحديبية، ولما سمع بهم هرقل وكان رجلاً عاقلاً، عنده علمٌ من الكتاب، وعنده علمٌ بمبعث النبي ﷺ وبما يدعو إليه؛ لأن صفة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم موجودة في التوراة والإنجيل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]. مكتوبًا بصفته ومعروفًا، حتى إنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم لا يشكون فيهم.

(١٨ / ٣٢٩) صحيح : رواه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٤).

(١٩ / ٣٣٠) صحيح : رواه البخاري (٥٩٩٠) ، ومسلم (٢١٥).

Marfat.com

فلما قدم هؤلاء الجماعة من العرب من مبعث النبي ﷺ، من الحجاز دعاهم يسألهم عن حال النبي ﷺ، وعما يأمر به، وعما ينهى عنه، وعن كيفية أصحابه، ومعاملتهم له، إلى غير ذلك مما سألهم عنه، وقد ذكره البخاري مطولاً في «صحيحه» وكان من جملة ما سألهم عنه: ماذا يأمره به؟ قالوا: كان يأمرنا بالصلة والصدق والعفاف.

الصلة يعني: صلة الرحم، والصدق: الخبر الصحيح المطابق للواقع، والعفاف عن الزنى، وعما في أيدي الناس من الأموال وكذلك الأعراض.

ثم إنه لما ذكر لهم ما ذكر قال له: إن كان ما تقوله حقًا فسيَمْلك ما تحت قدمي هاتين، يقول ذلك وهو أحد الرئيسين في الدولتين الكبريتين الروم والفرس.

يقول ذلك وهو ملك له مملكة كبيرة عظيمة، لكنه يعلم أن ما جاء به النبي ﷺ حق وأنه هو الصواب المطابق للفطرة ولمصالح الخالق، كان يأمر بالصدق والعفاف والصلة، أي صلة الأرحام. ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث في هذا المعنى، أي في صلة الأرحام، ومنها أن النبي ﷺ لما نزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. جمع قريشًا، وعمم وخص وقال: **«يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان»** يعدهم أفخاذًا أفخاذًا حتى وصل إلى ابنته فاطمة، قال: **«يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئًا»** وهذا من الصلة.

وبين أن لهم رحمًا سيبلها ببلالها، أي سيبلها بالماء؛ لأن قطيعة الرحم نار والماء يطفئ النار، وقطيعة الرحم موت والماء به الحياة؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]. فشبه الرسول ﷺ صلة الرحم بالماء الذى يبل به الشىء . وكذلك أيضا من الأحاديث التى ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ أن النبى ﷺ قال: **«إن آل بنى فلان ليسوا بأوليائي»** وذلك لأنهم كفار.

والواجب على المؤمن أن يتبرأ من ولاية الكافرين، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤]. فتبرأ منهم مع قرابتهم.

قال: **«ولكن لهم رحم أبلها ببلالها»** يعني سأعطيها حقها من الصلة، وإن كانوا كفارًا.

وهذا يدل على أن القريب له حق الصلة وإن كان كافرًا، لكن ليس له الولاية، فلا يوالي ولا يناصر لما عليه من الباطل.

ثم ذكر أيضًا من الأحاديث أن النبي ﷺ أخبر الصاحبة بأنهم سيفتحون مصر،

Marfat.com

وأوصى بأهلها خيرًا، وقال: إن لهم رحمًا وصهرًا، وذلك أن هاجر أم إسماعيل سرية إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام كانت من مصر، ولهذا قال: «إن لهم صهرًا ورحمًا»، لأنهم أخوال إسماعيل، وإسماعيل هو أبو العرب المُستعربة كلها.

فدل ذلك على أن الرحم لها صلة ولو كانت بعيدة ، ما دمت تعرف أن هؤلاء من قبيلتك فلهم الصلة ولو كانوا بعداء.

ودل أيضًا على أن صلة القرابة من جهة الأم كصلة القرابة من جهة الأب.

* * *

[٢٠/ ٣٣١] ــ وعن أبي أيُّوبَ خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله ، أخْبِرْني بعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ ، ويُبَاعِدُني من النَّار ، فقال النبيُّ ﷺ : «تَعبُدُ اللَّه وَلا تُشْرِكُ به شيْئاً ، وتُقيمُ الصَّلاَةَ ، وتؤتي الزَّكَاةَ ، وتَصِلُ الرَّحمَ »متفقٌ عليه.

[٢١/ ٣٣٢] ــ وعن سَلْمَانَ بن عامر رضي الله عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إذا أفْطَرَ أحَدُكُمْ ، فَلْيُفطرْ على تَمْرٍ ، فإنَّهُ بَرَكَةٌ ، فإنْ لَمْ يَجدْ تَمراً ، فَالمَاءُ ، فإنَّه طَهُورٌ » وقال: «الصَّدَقَةُ على المِسكينِ صدَقةٌ ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

[٢٢/ ٣٣٣] ــ وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال : كَانَتْ تَحتي امْرَأةٌ ، وكُنْتُ أُحِبُّها وكَانَ عُمَرُ يكْرَهُهَا ، فقال لي : طَلِّقْهَا ، فَأبَيْتُ ، فأتى عُمَرُ رضي الله عنه النبي ﷺ ، فَذَكَرَ ذلكَ لَهُ ، فقال النبيُّ ﷺ : « طَلِّقْهَا » رواه أبو داود ، والترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح

[٢٣/ ٣٣٤] ــ وعن أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه أن رَجُلاً أتاهُ فقال : إنَّ لي امْرَأةً وَإنَّ أمي تَأمُرُني بطَلاقها ، فقال : سَمِعْتُ رَسولَ اللَّه ﷺ يقولُ : « الْوَالِدُ أوْسَطُ أبواب الجَنَّة، فَإنْ شِئْتَ ، فَأَضِعْ ذَلِكَ البَابَ ، أوِ احْفَظْهُ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسن صحيح .

(٢٠ / ٣٣١) صحيح: رواه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣).

(٢١ / ٣٣٢) صحيح من فعله ضعيف من قوله، شطره الثاني صحيح: أخرجه الترمذي (٦٥٨، ٦٩٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (١٠١) وقال: والصحيح من فعله ﷺ وقال في الإرواء (٩٢): «وخلاصة القول أن الذي يثبت في هذا الباب إنما هو حديث أنس من فعله ﷺ أما حديثه وحديث سلمان بن عامر من قوله ﷺ فلم يثبت عندى والله أعلم» وأما شطره الثاني فصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٥٨).

(٢٢ / ٣٣٣) حسن: رواه أبو داود (٥١٣٨)، والترمذي (١١٨٩) وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٩٨)، والصحيحة برقم (٩١٨).

(٢٣ / ٣٣٤) صحيح: رواه الترمذي (١٩٠٠) ، وقال: حديث صحيح . وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٩٩) والصحيحة برقم (٩١٣).

Marfat.com

[٢٤/ ٣٣٥] ـ وعن البَراء بن عَازِب رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال : «الخَالَةُ بِمَنْزِلَة الأم » رواه الترمذى وقال : حديث حَسن صحيح .

وفى الباب أحاديث كثيرة فى الصحيح مشهورة ؛ منها حديث أصحاب الغار ، وحديث جُرَيج وَقَدْ سَبَقَا ، وأحاديثُ مشهورة فى الصحيح حَذَفْتُهَا اخْتِصَاراً ، وَمِنْ أَهَمِّهَا حديثُ عَمْرو بن عَبَسَةَ رضى الله عنه الطَّويلُ المُشْتَمِلُ عَلى جُمَلٍ كثيرة مِنْ قَوَاعِدَ الإسْلام وآدابه ، وَسَأَذْكُرُهُ بتمَامه إن شاءَ الله تعالى فى باب الرَّجَاء ، قال فيه :

دَخَلْتُ عَلى النبىِّ ﷺ بمكَةَ ، يَعْنى فى أوَّل النُبوَّة ، فَقلتُ له : مَا أنْتَ ؟ قال : «نبى » فقلتُ : وَمَا نَبِىٌّ ؟ قال : « أرْسَلَنى اللّه تعالى » فقلتُ : بأىِّ شَىْء أُرْسَلَكَ ؟ قال: « أرْسَلَنى بِصلَة الأرْحَامِ ، وكَسْرِ الأوْثَانِ ، وأنْ يُوحَّدَ اللّه لا يُشْرَكُ بِهِ شَىْءٌ » وَذَكَر تَمَامَ الحديث . واللّهَ أعلم .

الشرح

هذه الأحاديث في بيان صلة الرحم وبر الوالدين.

منها حديث خالد بن زيد الأنصاري، أنه سأل النبي ﷺ عن عمل يُدخله الجنة ويُباعده من النار، فقال له: «تعبد الله ولا تُشرك به شيئًا، وتُقيم الصلاة، وتُؤتي الزكاة، وتصل الرحم»، والشاهد هنا حيث قال: «تصل الرحم» فجعل النبي ﷺ صلة الرحم من الأسباب التي تُدخل الإنسان الجنة وتُباعده عن النار.

ولا شك أن كل إنسان يسعي إلى هذا الكسب العظيم؛ أن ينجو من النار ويدخل الجنة، فإن من زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز، وكل مُسلم يسعى إلى ذلك وهذا يحصل بهذه الأمور الأربعة:

الأول: تعبد الله لا تُشرك به شيئًا، لا شركًا أصغر ولا شركًا أكبر.

والثاني: تقيم الصلاة، وتأتي بها كاملة في أوقاتها مع الجماعة إن كنت رجلاً، ودون الجماعة إن كانت امرأة.

والثالث: تُؤتي الزكاة؛ بأن تؤدي ما أوجب الله عليك من الزكاة في مالك إلى مستحقه.

والرابع: تصل الرحم؛ بأن تؤتيهم حقهم بالصلة حسب ما يتعارف الناس، فما أعده الناس صلة فهو صلة، وما لم يعدوه صلة فليس بصلة، إلا إذا كان الإنسان في مجتمع لا يُبالون بالقرابات، ولا يهتمون بها، فالعبرة بالصلة نفسها المعتبرة شرعًا.

(٢٤ / ٣٣٥) صحيح : رواه البخاري (٢٦٩٩)، والترمذي (١٩٠٤).

Marfat.com

ثم ذكر حديث سلمان بن عامر الضبي في الإفطار على التمر، فإن لم يجد فعلى ماء، وأن الصدقة على الفقير صدقة، وعلى ذي القرابة ثنتان: صدقة وصلة .

ولهذا قال العلماء: إذا اجتمع فقيران أحدهما من قرابتك، والثاني من غير قرابتك، فالذي من قرابتك أولى؛ لأنه أحق بالصلة.

ثم ذكر حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان له امرأة يُحبها، فأمره أبواه أن يُطلقها، لكنه أبى ذلك؛ لأنه يُحبها ، فذكر عمر ذلك للنبي ﷺ ، فأمر ابن عمر بطلاقها.

وكذلك الحديث الآخر في امرأة كانت تأمر ابنها بطلاق زوجته فبين النبي ﷺ أن صلة الرحم أو بر الوالدين سبب لدخول الجنة، وهو إشارة إلى أنه إذا بر والدته بطلاق زوجته كان ذلك سببًا لدخول الجنة.

ولكن ليس كل والد يأمر ابنه بطلاق زوجته تجب طاعته؛ فإن رجلاً سأل الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله، قال: إن أبي يقول : طلق امرأتك، وأنا أحبها، قال: لا تُطلقها، قال: أليس النبي ﷺ قد أمر ابن عمر أن يُطلق زوجته لما أمره عمر، فقال له الإمام أحمد: وهل أبوك عمر؟ لأن عمر نعلم علم اليقين أنه لن يأمر عبد الله بطلاق زوجته إلا لسبب شرعي، وقد يكون ابن عمر لم يعلمه؛ لأنه من المستحيل أن عمر يأمر ابنه بطلاق زوجته ليفرق بينه وبين زوجته بدون سبب شرعي، فهذا بعيد.

وعلى هذا فإذا أمرك أبوك أو أمك بأن تطلق امرأتك وأنت تُحبها، ولم تجد عليها مأخذًا شرعيًا، فلا تطلقها؛ لأن هذه من الحاجات الخاصة التي لا يتدخل أحدٌ فيها بين الإنسان وبين زوجته.

* * *

Marfat.com

٤١ ـ باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ (محمد:٢٢،٢٣) ، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا . وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء:٢٣،٢٤) .

[١/ ٣٣٦] ـ وعن أبي بكرة نُفَيْع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ألا أُنبئُكُمْ بأكْبَرِ الكَبَائِرِ ؟ » ـ ثلاثاً ـ قُلْنَا : بَلَى يارسول الله : قال : «الإِشْرَاكُ باللّه ، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ » وكَانَ مُتَّكِئاً فَجَلَسَ ، فقال : « ألا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ » فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ . متفقٌ عليه .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب تحريم العقوق وقطيعة الأرحام).

العقوق بالنسبة للوالدين، وقطيعة الأرحام بالنسبة للأقارب غير الوالدين.

والعقوق: مأخوذ من العق وهو القطع، ومنه سميت العقيقة التي تُذبح عن المولود في اليوم السابع؛ لأنها تعق: يعني تُقطع رقبتها عند الذبح.

والعقوق من كبائر الذنوب لثبوت الوعيد عليه من الكتاب والسنة وكذلك قطيعة الرحم. قال الله تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣] يعني أنكم إذا توليتم فأفسدتم في الأرض، وقطعتم الرحم وحقت عليكم اللعنة.

﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ المراد بالأبصار هنا: البصيرة وليس بصر العين والمراد أن الله تعالى يعمي بصيرة الإنسان ـ والعياذ بالله ـ حتى يرى الباطل حقًا والحق باطلاً.

وهذه عقوبة أخروية ودنيوية:

أما الأخروية: فقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ﴾ .

وأما الدنيوية: فقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ﴾ ، يعني أصم آذانهم عن سماع الحق والانتفاع به، ﴿وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾ ، عن رؤية الحق والانتفاع به.

(١/ ٣٣٦) صحيح: رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

Marfat.com

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥]. ميثاق العهد: توكيده، فينقضون العهد، ويقطعون ما أمر الله به أن يُوصل من القرابات وغيرهم، ويُفسدون في الأرض بكثرة المعاصي ﴿أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ واللعنة تعني الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ أي سوء العاقبة.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

فأمر الله بالإحسان إلى الوالدين، وقال: إن بلغا عندك الكبر أحدهما أو كلاهما؛ إما الأم أو الأب أو الأم والأب جميعًا فزجرت منهم؛ لأن الإنسان إذا كبر قد يصل إلى الهرم وأرذل العمر فيُتعب، فقال حتى في هذه الحال ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ﴾ أي لا تقل إني متضجر منكما ﴿وَلا تَنْهَرْهُمَا﴾ أي عند القول، ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ يعني طيبًا حسنًا يدخل السرور عليهما، ويزيل عنهم الكآبة والحزن، ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ يعني ذل لهما مهما بلغت من علو المنزلة، كما تعلو الطيور، فاخفض لهما جناح الذل، وتذلل لهما رحمة بهما، ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ فارحمهما أنت، وادعُ الله أن يرحمهما.

هذا هو الذي أمر الله به بالنسبة للوالدين في حال الكبر، وأما حال الشباب؛ فإن الوالد في الغالب يكون مستغنيًا عن ولده ولا يهمه.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي بكرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟»** ـ ثلاثًا ـ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **«الإشراك بالله، وعقوق الوالدين»**، هذا من أكبر الكبائر.

فالإشراك بالله كبيرة في حق الله، وعقوق الوالدين كبيرة في حق من هم أحق الناس بالولاية والرعاية، وهما الوالدان.

وكان ﷺ متكئًا فجلس أي معتمدًا على يده ، فجلس واستقام في جلسته وقال: **«ألا وقول الزور وشهادة الزور»**.

هذا أيضًا من أكبر الكبائر وإنما جلس النبي ﷺ عند هذا لأن ضرره عظيم، وعاقبته وخيمة.

وقول الزور يعني الكذب، وشهادة الزور أي الذي يشهد بالكذب والعياذ بالله، وما أرخص شهادة الزور اليوم عند كثير من الناس، يظن الشاهد أنه أحسن إلى من شهد له،

Marfat.com

ولكنه أساء إلى نفسه ، وأساء إلى من شهد له ، وأساء إلى من شهد عليه.

أما إساءته إلى نفسه فلأنه أتى كبيرة من كبائر الذنوب والعياذ بالله، بل من أكبر الكبائر، وأما كونه أساء إلى المشهود له فلأنه سلطه على ما لا يستحق، وأكله الباطل، وأما إساءته إلى المشهود عليه فظاهر، فإنه ظلمه واعتدى عليه ، ولهذا كانت شهادة الزور من أكبر الكبائر والعياذ بالله.

ولا تظن أنك إذا شهدت لأحد زورًا أنك محسن إليه، لا والله بل أنت مسيء إليه، وللأسف فكثير من الناس الآن يشهد عند الحكومة في المسائل بأن فلان هو المستحق، ويلبسون على الحكومة، ويستعيرون أسماء ليست بصحيحة، كل هذا من أجل أن ينالوا شيئًا من الدنيا، لكنهم خسروا الدنيا والآخرة بهذ! الكذب والعياذ بالله.

وهذا الحديث يوجب للعاقل الحذر من هذه الأمور الأربعة: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور، وشهادة الزور.

* * *

[٢/ ٣٣٧] ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: الكَبَائِرُ : الإشْراكُ بِاللّهِ ، وَعقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْس ، واليمينُ الغَمُوسُ » رواه البخارى

« اليَمينُ الغمُوسُ » الَّتى يَحْلِفُهَا كَاذِباً عَامِداً ، سُمِّيَتْ غَمُوساً ، لأنَّها تَغْمِسُ الحَالِفَ فى الإِثْم .

[٣/ ٣٣٨] ـ وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « من الكَبَائِر شَتْمُ الرَّجُلِ وَالدَيْه ! » قالوا: يارسول اللّه ، وَهَلْ يَشْتُم الرَّجُلُ وَالدَيْه ؟! قال : « نَعَمْ ؛ يَسُبُّ أبا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أبَاه ، ويَسُبُّ أمَّهُ ، فيَسُبُّ أمَّهُ » متفقٌ عليه .

وفى رواية:« إنّ من أكْبَرِ الكَبَائِر أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالدَيْه !» قيلَ: يارسول اللّه ،كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ والدَيْه ؟! قال : « يَسُبُّ أَبَا الرَّجُل ، فَيَسُبُّ أبَاهُ ، وَيَسُبُّ أمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ ».

[٤/ ٣٣٩] ـ وعن أبى محمد جُبَيْرِ بنِ مُطْعِم رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ » . قال سفيان فى روايته : يَعْنى : قَاطِع رَحِم . متفقٌ عليه .

(٢ / ٣٣٧) صحيح : رواه البخاري (٦٦٧٥).

(٣/ ٣٣٨) صحيح : رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠).

(٤/ ٣٣٩) صحيح : رواه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦).

Marfat.com

[٥/ ٣٤٠] ـ وعن أبي عيسى المُغيرَة بن شُعْبَةَ رضى الله عنه عن النبىِّ ﷺ قال : «إنَّ اللَّهَ تعالى حَرَّمَ عَلَيكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهات ، ومَنْعاً وهات ، ووَأدَ البَنَات ، وكرِه لَكُمْ قِيل وقَال ، وكَثْرةَ السؤال ، وإضَاعَةَ المَال » متفقٌ عليه .

قولُهُ : « مَنعاً » مَعْنَاهُ : مَنعُ ما وَجبَ عَلَيْهِ وَ « هَات » : طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ . وَ «وأد البَنات » مَعْنَاهُ : دَفْنُهُنَّ فى الحَيَاة ، وَ « قِيل وقَالَ » مَعْنَاهُ : الحَدِيثُ بكُل مَا يَسْمَعُهُ، فَيَقُولُ : قِيلَ كَذَا ، وقَالَ فُلانٌ كَذَا مِمَّا لا يَعْلَمُ صِحَتَهُ ، ولا يَظُنُّهَا ، وكَفَى بالمَرْء كَذِباً أنْ يُحدث بكل مَا سَمِعَ . وَ « إضَاعَةُ المَالَ » : تَبْذِيرهُ وصَرْفُهُ فى غَيْرِ الوجُوه المَأذون فيهَا مِنْ مَقَاصد الآخِرَة والدُّنْيَا ، وتَرْكُ حفظه مَعَ إمْكَان الحفْظ . وَ « كَثْرَةُ السُّؤال»: الإلحَاحُ فِيمَا لاَ حَاجَةَ إلَيْه .

وفى الباب أحَادَيثُ سَبقَتْ فى البَاب قَبْلَهُ كَحَدِيث « وأقْطَعُ مَنْ قَطَعَك » وحديث «مَنْ قَطَعَنى قَطَعهُ اللّه » .

الشرح

هذه الأحاديث كلها تدل على تحريم قطيعة الرحم وعقوق الوالدين، وقد سبق لها نظائر، ومما فيه زيادة عما سبق حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» يعني سبهما ولعنهما كما جاء ذلك في رواية أخرى: «لعن الله من لعن والديه» قالوا: يا رسول الله، كيف يشتم الرجل والديه! لأن هذا أمر مستغرب، وأمر بعيد.

قال: «**نعم، يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**».

وذلك تحذير من أن يكون الإنسان سببًا في شتم والديه بأن يأتي إلى شخص فيشتم والدي الشخص، فيُقابله الشخص الآخر بالمثل ويشتم والديه، ولا يعني ذلك أنه يجوز للثاني أن يشتم والدي الرجل؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ولكنه في العادة والطبيعة أن الإنسان يجازي غيره بمثل ما فعل به، فإذا سبه سبه.

وذلك كما قال تعالى: ﴿ وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]. لذلك لما كان سببًا في سب والديه كان عليه إثم ذلك.

ثم ذكر المؤلف حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعًا وهات، ووأد البنات**» الشاهد من هذا الحديث قوله: «**عقوق الأمهات**»: وهو قطع ما يجب لهن من البر، أما «**وأد البنات**»: فهو دفنهن أحياء، وذلك لأنهم في الجاهلية كانوا يكرهون البنات، ويعيبون بقاء البنت عند الرجل، ويقولون: إن بقاء البنت عند الرجل مسبة له.

(٥/ ٣٤٠) صحيح : رواه البخاري (٥٩٧٥)، ومسلم (٥٩٣).

Marfat.com

فكانوا ـ والعياذ بالله ـ يأتون بالبنت فيحفرون لها حفرة ويدفنونها وهي حية. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨،٩] فحرم الله ذلك، وهو لا شك من أكبر الكبائر، وإذا كان قتل الأجنبي المؤمن سببًا للخلود في النار كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] فالقرابة أشد وأشد.

«ومنعًا وهات»: يعني أن يكون الإنسان جموعًا منوعًا، يمنع ما يجب عليه بذله من المال، ويطلب ما ليس له، «فهات»: يعني أعطوني المال، «ومنعًا»: أي يمنع ما يجب عليه، فإن هذا أيضًا مما حرمه الله عز وجل؛ لأنه لا يجوز للإنسان أن يمنع ما يجب عليه بذله من المال، ولا يجوز أن يسأل ما لا يستحق، فكلاهما حرام، ولهذا قال: «**إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات**».

«وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»، كره وحرم ليس بينهما فرق؛ لأن الكراهة في لسان الشارع معناه التحريم، ولكن هذا والله أعلم من باب اختلاف التعبير فقط.

«كره لكم قيل وقال» يعني نقل الكلام، وكثرة ما يتكلم الإنسان ويثرثر به، وأن يكون ليس له هم إلا الكلام في الناس، قالوا: كذا وقيل كذا، ولا سيما إذا كان هذا في أعراض أهل العلم وأعراض ولاة الأمور، فإنه سيكون أشد وأشد كراهة عند الله عز وجل.

والإنسان المؤمن هو الذي لا يقول إلا خيرًا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»(١).

وكثرة السؤال يحتمل أن يكون المراد السؤال عن العلم، ويحتمل أن يكون المراد السؤال عن المال.

أما الأول: وهو كثرة السؤال عن العلم فهذا إنما يكره إذا كان الإنسان لا يُريد إلا إعنات المسئول، والإشقاق عليه، وإدخال السآمة والملل عليه، أما إذا كان يُريد العلم فإنه لا يُنهى عن ذلك، ولا يكره ذلك، وقد كان عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كثير السؤال، فقد قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: أدركت العلم بلسانٍ سئول. وقلبٍ عقول، وبدن غير ملول.

لكن إذا كان قصد السائل الإشقاق على المسئول والإعنات عليه، وإلحاق السآمة به، أو تلقط زلاته لعله يزل فيكون في ذلك قدحٌ فيه، فإن هذا هو المكروه.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٧٥) ومسلم (٤٧).

Marfat.com

وأما الثاني: وهو سؤال المال فإن كثرة السؤال قد تلحق الإنسان بأصحاب الشح والطمع، ولهذا لا يجوز للإنسان سؤال المال إلا عند الحاجة، أو إذا كان يرى أن المسئول يمن عليه أن يسأله، كما لو كان صديقًا لك قوي الصداقة، قريبًا جدًا، فسألته حاجة وأنت تعرف أنه يكون بذلك ممنونًا، فهذا لا بأس به، أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فلا يجوز أن تسأل إلا عند الضرورة.

وأما إضاعة المال فهو بذل الإنسان له في غير فائدة لا دينية ولا دنيوية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥] فالمال قيام للناس؛ تقوم به مصالح دينهم ودنياهم، فإذا بذله الإنسان في غير ذلك فهذا إضاعة له، وأقبح من ذلك أن يبذله في محرم، فيرتكب في هذا محظورين.

المحظور الأول: إضاعة المال.

والمحظور الثاني: ارتكاب المحرم.

فالأموال يجب أن يحافظ عليها الإنسان، وألا يضعها وألا يبذلها إلا فيما فيه مصلحة له دينية أو دنيوية.

* * *

Marfat.com

٤٢ ـ باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه

[١/ ٣٤١] ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى قال : « إن أَبَرَّ البِرّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أبيه » .

[٢/ ٣٤٢] ـ وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنَّ رَجُلاً منَ الأعْرَاب لَقِيَهُ بطَرِيق مكَّةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْه عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ ، وحَمَلَهُ على حمَار كَانَ يرْكَبُهُ ، وَأعطَاهُ عمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأسه ، قال ابنُ دينَار : فَقُلْنَا لَهُ : أصْلَحَكَ اللّه ، إنَّهُمْ الأعْرَاب وَهُمْ يرْضَوْنَ باليَسير . فقال عبدُ الله بنُ عمر : إنَّ أبَا هذا كَانَ وُدّاً لعُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وإنِّى سَمعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ أبَرَّ البرّ صلَةُ الرَّجُلِ أهْلَ وُد أبيه » .

وفى رواية عن ابن دينار عن ابن عُمَرَ أنَّهُ كَانَ إذَا خَرَجَ إلى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْه إذا مَلَّ رُكُوبُ الرَّاحلة ، وَعمَامَةٌ يَشُدُّ بها رَأسَه ، فَبَيْنَا هُوَ يوماً على ذَلكَ الحمار إذْ مَرَّ به أعْرَابِيٌّ ، فقال : ألَسْتَ ابنَ فُلان بن فُلان ؟ قال : بَلَى . فَأعْطَاهُ الحمَارَ ، فقال : ارْكَبْ هذا ،وأعْطَاهُ العمَامَةَ وقال : اشْدُدْ بهَا رَأسَكَ ، فقال لَهُ بَعْضُ أصحَابه: غَفر اللّه لَكَ أعْطَيْتَ هذَا الأعْرَابِيَّ حمَاراً كُنْتَ تَرَوّحُ عَلَيْه ، وعمَامَةً كُنْتُ تَشُدُّ بها رأسَكَ؟ فقال : إنى سَمعتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ : « إنَّ منْ أبَرّ البرّ أنْ يَصلَ الرَّجُلُ أهْلَ وُد أبيه بَعْدَ أنْ يُوَلّى » وإنَّ أباهُ كَانَ صَديقاً لعُمَرَ رضى الله عنه ، روى هذه الرّوَايَات كُلَّهَا مسلم .

لشرح

لما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحكام بر الوالدين وصلة الأرحام ذكر أيضًا أحكام صلة من يصل الوالدين والأرحام، وذلك للعلاقة التي بينهم وبين أقاربه أو بينهم وبين والديه، ثم ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما وهي قصة غريبة كان ابن عمر رضي الله عنه إذا خرج إلى مكة حاجًا يكون معه حمار يتروح عليه إذا مل الركوب على الرحلة ـ أي على البعير ـ فيستريح على هذا الحمار ثم يركب الراحلة.

وفي يوم من الأيام لقيه أعرابي فسأله ابن عمر: أنت فلان بن فلان؟ قال: نعم، فنزل عن الحمار ، وقال: خذ هذا اركب عليه، وأعطاه عمامة كان قد شد بها رأسه، وقال لهذا الأعرابي : اشدد رأسك بهذا.

فقيل لعبد الله بن عمر: أصلحك الله أوغفر الله لك! إنهم لأعراب، والأعراب

(١/ ٣٤١) و (٢/ ٣٤٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٥٢) والترمذي (١٩٠٣) وابو داود (٥١٤٣).

Marfat.com

يرضون بدون ذلك، يعنون: كيف تَنْزل أنت عن الحمار تمشي على قدميك، وتعطيه عمامتك التي تشد بها رأسك، وهو أعرابي يرضى بأقل من ذلك.

فقال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه**» يعني إن أبر البر أنه إذا مات أبو الرجل أو أمه أو أحد من أقاربه أن تبر أهل وده، يعني ليس صديقه فقط بل حتى أقارب صديقه.

وإن أبا هذا كان صديقًا لعمر بن الخطاب أبيه، فلما كان صديقًا لأبيه فأكرمه برًا بأبيه عمر رضي الله عنه.

وفي هذا الحديث: دليل على امتثال الصحابة، ورغبتهم في الخير ومسارعتهم إليه؛ لأن ابن عمر استفاد من هذا الحديث فائدة عظيمة، فإنه فعل هذا الإكرام بهذا الأعرابي من أجل أن أباه كان صديقًا لعمر، فما ظنك لو رأى الرجل الذي كان صديقًا لعمر؟ لأكرمه أكثر وأكثر.

فيُستفاد من هذا الحديث: أنه إذا كان لأبيك أو أمك أحد بينهم وبينه ود فأكرمه، كذلك إذا كان هناك نسوة صديقات لأمك فأكرم هؤلاء النسوة، وإذا كان رجال أصدقاء لأبيك فأكرم هؤلاء الرجال ، فإن هذا من البر.

وفي هذا الحديث أيضًا: سعة رحمة لله عز وجل، حيث إن البر بابه واسع لا يختص بالوالد والأم فقط، حتى أصدقاء الوالد وأصدقاء الأم، إذا أحسنت إليهم فإنما بررت والديك فتُثاب ثواب البار بوالديه. وهذه من نعمة الله عز وجل، أن وسع على عباده أبواب الخير وكثرها لهم، حتى يلجوا فيها من كل جانب.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا والمسلمين من البررة، إنه جواد كريم وصلي الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

[٣٤٣/٣] ــ وعن أبي أُسَيْد ــ بضم الهمزة وفتح السين ــ مالك بن رَبِيعَةَ السَّاعدي رضي الله عنه قال: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رسول الله ﷺ إذ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فقال: يا رسول الله ، هل بقي من برّ أبويَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا به بَعْدَ مَوْتِهِمَا ؟ فقال: « نَعَمْ، الصَّلاة عَلَيْهِمَا ، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا ، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إلا بِهِمَا ، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا » رواه أبو داود .

---

(٣٤٣) ضعيف: رواه أبو داود (٥١٤٢) وقال الألباني في المشكاة (٤٩٣٦): «إسناده ضعيف» وضعفه في ضعيف أبي داود (١١٠١).

Marfat.com

[٣٤٤/٤] ـ وعن عائشةَ رضى الله عنها قالت : مَا غرْتُ علَى أحَد منْ نساء النبى ﷺ مَا غرْتُ علَى خديجةَ رضى الله عنها ، ومَا رأيْتُهَا قطّ ، ولَكنْ كَانَ يُكثرُ ذكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أعضاءً ، ثُمَّ يَبْعثُهَا فى صَدَائق خَديجة ، فرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ : كَأنْ لَمْ يَكُنْ فى الدُّنْيَا إلا خَديجَةُ ! فيقولُ : « إنها كَانَتْ وكَانَتْ وكَانَ لى منهَا وَلَدٌ » متفقٌ عليه .

وفى رواية : وإنْ كَانَ لَيَذْبحُ الشَّاءَ ، فَيُهدى فى خلائلهَا منْهَا مَا يَسَعُهُنَّ .

وفى رواية : كانَ إذَا ذَبحَ الشَّاةَ يقولُ : « أَرْسلوا بهَا إلَى أَصْدقاء خَديجَةَ » .

وفى رِوايةٍ قالت : اسْتأذنت هَالَةُ بنْتُ خُوَيْلد أُخْتُ خَديجَةَ على رسول الله ﷺ ، فَعرفَ اسْتئذَانَ خَديجَةَ ،فَارْتَاحَ لذلكَ فقالَ:« اللّهُمَّ هَالَةُ بنْتُ خُوَيْلد ».

قولُهَا : «فَارْتَاح» هو بِالحاءِ ، وفى الجَمْعِ بين الصحيحين لِلْحُمَيْدِى: « فَارْتَاعَ » بالعين ومعناه : اهْتَمَّ بِهِ .

الشرح

كذلك أيضًا يبقى من البر بعد موت الوالدين ما ذكره النبي ﷺ حين سئل هل بقي من بر أبوي شيءُ أبرهما به بعد موتهما؟ قال ﷺ : «نعم، الصلاة عليهما» يعني الدعاء لهما، وليس المراد صلاة الجنازة، بل المراد الدعاء.

فالصلاة هنا بمعنى الدعاء وهي كقوله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلِّ عليهم﴾ [التوبة:١٠٣]. وكان النبي ﷺ إذ أتته الصدقة قال: اللهم صل على آل فلان، كما قال عبد الله بن أبي أوفى أنه أتى بصدقة قومه إلى النبي ﷺ فقال: «اللهم صلى على آل أبي أوفى»(١) فدعا لهم بالصلاة عليهم.

فقول النبي ﷺ هنا: «الصلاة عليهما» يعني الدعاء لهما بالصلاة، فيقول: اللهم صل على أبوي، أو يدعو لهم بدخول الجنة والنجاة من النار وما أشبه ذلك.

الثاني «الاستغفار لهما» وهو أن يستغفر الإنسان لوالديه، وأما «إنفاذ عهدهما» يعني إنفاذ وصيتهما.

فهذ خمسة أشياء: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإكرام صديقهما، وإنفاذ عهدهما، وصلة الرحم التي لا صلة لك إلا بهما، هذه من بر الوالدين.

---

(٣٤٤) صحيح: رواه البخاري (٣٨١٨)، ومسلم (٢٤٣٥) بنحوه. والرواية الأولى أخرجها البخاري (٧/ ٣٨١٦) ، ومسلم (٢٤٣٥) (٧٤)، والرواية الثانية أخرجها مسلم (٢٤٣٥)، (٧٥)، والرواية الثالثة: أخرجها البخاري (٣٨)، ومسلم (٢٤٣٧).

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٣٥٩) ، ومسلم (١٠٧٨).

Marfat.com

أما الصدقة لهما، أو قراءة القرآن لهما، أو الصلاة ـ بأن يصلي الإنسان ركعتين ويقول لوالدي ـ فهذا لم يأمر به النبي ﷺ ولا أرشد إليه، بل قال: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»**(١) ولم يقل: ولد صالح يتصدق له، أو يُصلى له، أو يحج له، أو يعتمر له، بل قال: يدعو له، فالدعاء خيرٌ من العمل الصالح للوالدين.

لكن لو فعل الإنسان ونوى بهذا العمل لوالديه لا بأس به؛ لأن الرسول ﷺ لم يمنع سعد بن عبادة من أن يتصدق لأمه بل أذن له(٢) ، ولا الرجل الذي قال: يا رسول الله، إني أمي افتلتت نفسها، ولو تكلمت لتصدقت(٣) .

فهذه خمسة أشياء من بر الوالدين بعد موتهما.

ثم ذكر المؤلف رحمه الله ـ حديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت خديجة رضي الله عنها، والغيرة: انفعال يكون في الإنسان؛ يجب أن يختص صاحبه به دون غيره، ولهذا سميت غيرة؛ لأنه يكره أن يكون الغير حبيبًا لحبيبه، والنساء الضرات هن أشد بني آدم غيرة.

وعائشة رضي الله عنها كانت حبيبةُ رسول الله ﷺ ، ولم يحب أحدًا مثلها في حياته بعد خديجة، وكان عليه الصلاة والسلام يُحب خديجة؛ لأنها أم أولاده ـ إلا إبراهيم فمن مارية ـ ولأنها وازرته وساعدته في أول البعثة، وواسته في مالها، فذلك كان لاينساها.

فكان في المدينة إذا ذبح شاة أخذ من لحمها وأهداه إلى صديقات خديجة رضي الله عنها، ولم تصبر عائشة رضي الله عنها على ذلك ، قالت: يا رسول الله، كأن لم يكن في الدنيا إلا خديجة.

قال: **«إنها كانت وكانت»**، يعني كانت تفعل كذا، وتفعل كذا، وذكر من خصالها رضي الله عنها.

«وكان لي منها ولد» حيث كل أولاده؛ أربع بنات وثلاثة أولاد كلهم منها إلا ولدًا واحدًا هو إبراهيم رضي الله عنه، فإنه كان من مارية القبطية التي أهداها إليه ملك القبط، فأولاده كلهم من خديجة فلذلك : **«إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد»**.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١).

(٢) صحيح : رواه البخاري (٢٧٦٢).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٢٧٦٠) ومسلم (١٦٠٤) و (١٦٣٠).

Marfat.com

ويُستفاد من هذا الحديث: أن إكرام صديق الإنسان بعد موته يعتبر إكرامًا له، وبرًا به، سواء كان من الوالدين، أو من الأزواج، أو من الأصدقاء، أو من الأقارب، فإن إكرام صديق الميت يعتبر إكرامًا له.

* * *

[٥/ ٣٤٥]ــ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: خَرَجْتُ مَعَ جَرِير بن عبد اللّه الْبَجَلِيّ رضى الله عنه فى سفَر، فكَانَ يَخْدُمُنى فقلتُ لَهُ: لا تَفْعَلْ، فقال: إنِّى قَدْ رَأَيْتُ الأنْصَارَ تَصْنعُ بِرَسُول اللّه ﷺ شيْئاً آليْتُ عَلى نَفْسِى ألا أصْحَبَ أحَداً مِنْهُمْ إلا خَدَمْتُهُ. متفقٌ عليه.

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في بقية أحاديث بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه كان في سفر فجعل يخدم رفقته وهم من الأنصار، فقيل له في ذلك، يعني: كيف تخدمهم وأنت صاحب رسول الله ﷺ!.

فقال: «إنِّى رَأَيْتُ الأنْصَارَ تَصْنعُ بِرَسُول اللّه ﷺ شيْئاً آليْتُ عَلى نَفْسِى ألا أصْحَبَ أحَداً مِنْهُمْ إلا خَدَمْتُهُ» يعني: حلفت.

وهذا من إكرام من يكرم النبي ﷺ، فإكرام أصحاب الرجل إكرام للرجل، واحترامهم احترام له، ولهذا جعل رضي الله عنه إكرام هؤلاء من إكرام النبي ﷺ.

* * *

(٥/ ٣٤٥) صحيح رواه البخاري (٢٨٨٨)، ومسلم (٢٥١٣).

Marfat.com

٤٣ ـ باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٣)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (الحج:٣٢).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ (باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم).

وأهل بيت الرسول ﷺ ينقسمون إلى قسمين:

قسم كفار فهؤلاء ليسوا من أهل بيته وإن كانوا أقارب له في النسب، لكنهم ليسوا من أهل بيته؛ لأن الله قال لنوح عليه الصلاة والسلام حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود:٤٥]. وكان ابنه كافرًا قال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود:٤٦].

فالكفار من أقارب الرسول ﷺ ليسوا من أهل بيته، وإن كانوا أقارب له نسبًا.

لكن المؤمنون من قرابته هم أهل بيته، ومنهم أيضًا زوجاته، فإن زوجاته رضي الله عنهن من آل بيته، كما قال الله تعالى في سياق نساء أمهات المؤمنين: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٢، ٣٣].

وهذا نص صريح واضح جدًا بأن زوجات الرسول ﷺ من آله بيته، خلافًا للرافضة الذين قالوا: إن زوجات الرسول ﷺ ليسوا من أهل بيته، وهذا غير صحيح، فزوجاته من أهل بيته بلا شك.

ولأهل بيت الرسول ﷺ المؤمنين حقان؛ حق الإيمان وحق القرابة من الرسول ﷺ.

وزوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين، كما قال تعالى في كتابه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦].

فأزواج الرسول ﷺ أمهات للمؤمنين، وهذا بالإجماع، فمن قال: إن عائشة رضي الله عنها ليست أمًا لي فليس من المؤمنين؛ لأن الله قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ فمن قال: إن عائشة رضي الله عنها ليست أمًا للمؤمنين، فهو ليس

Marfat.com

بمؤمن؛ لا مؤمن بالقرآن ولا بالرسول ﷺ .

وعجبًا لهؤلاء ! يقدحون في عائشة ويسبونها ويبغضونها وهي أحب زوجات الرسول ﷺ إلى الرسول ﷺ ، لا يحب أحدًا من نسائه مثل ما يحبها، كما صح ذلك عنه في «البخاري» أنه قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة» قالوا: فمن الرجال؟ قال: «أبوها»(١) أبو بكر.

وهؤلاء القوم يكرهون عائشة ويسبونها ويلعنونها، وهي أقرب نساء الرسول إليه، فكيف يُقال: إن هؤلاء يحبون الرسول! وكيف يُقال: إن هؤلاء يحبون آل الرسول! ولكنها دعاوى كاذبة لا أساس لها من الصحة.

فالواجب علينا احترام آل بيت الرسول ﷺ من قرابته المؤمنين، ومن زوجاته أمهات المؤمنين، كلهم آل بيته ولهم حق.

ثم ذكر المؤلف الآية التي سقناها الآن ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]. نقاء وطهارة، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي النجس المعنوي، ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ بعد إزالة النجاسة. والتطهير: تخلية وتحلية، وقوله: ﴿تَطْهِيرًا﴾ هذا مصدر مؤكد لما سبق يدل على أنها طهارة كاملة.

ولهذا من رمى واحدة من نساء الرسول ﷺ بالزنى والعياذ بالله فإنه كافر حتى لو كانت غير عائشة.

عائشة الذي يرميها بما برأها الله منه كافر مُكذب لله، يحل دمه وماله، وأما الذي يرمي سواها بالزنى فالصحيح من أقوال أهل العلم أنه كافر أيضًا؛ لأن هذا أعظم قدح برسول الله ﷺ ، أن يكون فراشه ممن يزنين والعياذ بالله، وقد قال الله تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [النور:٢٦].

فمن رمى واحدة من زوجات الرسول ﷺ بالزنى فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم وحاشاه من ذلك جله خبيثًا نعوذ بالله لأن الله يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ وبهذه يُعرف أن المسألة خطيرة وعظيمة، وأن الواجب علينا أن نُكن المحبة الصادقة لجميع آل بيت الرسول ﷺ ؛ نسائه كلهن والمؤمنين من قرابته.

* * *

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

Marfat.com

[٣٤٦/١] ـ وعن يزيد بن حَيَّانَ قال : انطَلَقتُ أنَا وحُصَينُ بْنُ سَبْرَةَ ، وعَمرُو بنُ مُسْلم إلى زَيْدِ بْنِ أرْقَمَ رضى الله عنهم ، فَلَمَّا جلَسْنَا إلَيْه قال له حُصَيْنٌ : لَقَدْ لَقيتَ يَا زَيدُ خَيْراً كَثيراً ، رَأيْتَ رسول الله ﷺ ، وسَمعْتَ حَديثَهُ ، وغَزَوْتَ مَعَهُ ، وصَلَّيْتَ خَلْفَهُ ، لقد لَقيتَ يَا زَيْدُ خَيْراً كثيراً ، حدثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمعتَ منْ رسول الله ﷺ .قال: يَا ابْنَ أخى ، وَاللَّه لَقَدْ كَبِرَتْ سنّى ، وقَدُمَ عهْدى ، ونَسيتُ بعْضَ الَّذى كُنْتُ أعى منْ رسول الله ﷺ ، فَمَا حدَّثْتُكُمْ ، فَاقْبَلُوا ، ومَا لا فلا تُكَلِّفُونيه ثُمَّ قال : قامَ رسول الله ﷺ يَوْماً فينَا خَطيباً بماء يُدْعَى خُماً بَيْنَ مكَّةَ وَالمَدينَة ، فَحمدَ اللَّه ، وَأثْنى عليه ، ووعَظ، وذَكَّرَ ، ثُمَّ قَالَ : « أمَّا بَعْدُ ، ألا أيُّهَا النَّاسُ ، فإنَّمَا أنَا بَشَرٌ يُوشكُ أنْ يَأتىَ رسولُ ربى فَأجيبَ ، وأنا تَاركٌ فيكُمْ ثَقَلَيْن : أولُهُمَا كتابُ اللَّه ، فيه الهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بكتَاب اللَّه ، واستَمْسكُوا به » فَحثَّ على كتَاب اللَّه ورغَّبَ فيه ثُمَّ قَالَ : « وأهلُ بيتى ، أُذَكرُكُم اللَّه فى أهل بَيْتى ، أُذَكرُكُم اللَّه فى أهْل بَيْتى » فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ : ومَنْ أهْلُ بَيْته يازَيْدُ ، ألَيْسَ نسَاؤُهُ منْ أهْل بَيْته ؟ قال : نسَاؤُهُ منْ أهْل بَيْته ، ولَكنْ أهلُ بيته مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ ، قَالَ : ومَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمْ آلُ عَلىّ ، وَآلُ عقيلٍ ، وآلُ جعْفر ، وَآلُ عبَّاسٍ . قَالَ : كُلُّ هؤُلاء حُرِمَ الصَّدَقَةَ ؟ قَالَ : نعمْ .رواه مسلم .

وفى رواية : « ألا وإنِّى تارك فيكُمْ ثَقَلَيْن : أحَدُهُمَا كتابُ اللَّه وَهُوَ حَبْلُ اللَّه ، من اتَّبَعَه كَانَ عَلَى الهُدَى ، ومن تَركَهُ كَانَ عَلَى ضَلالَة » .

[٣٤٧/٢] ـ وعَن ابن عُمَرَ رضى اللَّه عنهما ، عن أبى بَكْرٍ الصديق رضى اللَّه عنه مَوْقُوفاً عليه أنَّهُ قَالَ : ارْقُبُوا محَمَّداً ﷺ فى أهْلِ بَيْته . رواه البخارى .

مَعْنى « ارْقُبُوا » : رَاعُوهُ وَاحْتَرِمُوهُ وأكْرِمُوهُ ، والله أعلم .

الشرح

هذا الحديث وهذا الأثر في بيان حق آل النبي ﷺ ، وقد سبق أن آل بيته هم زوجاته ومن كان مؤمنًا من قرابته، من آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، وهم الذين تحرم عليهم الصدقة؛ لأن النبي ﷺ قال لعمه العباس وقد سأله من الصدقة، قال: «إن هذه أوساخ الناس وإنها لا تحل لآل محمد»[1] .

(٣٤٦/١) صحيح : رواه مسلم (٢٤٨) وابن ماجه (٤٣٠٢).

(٣٤٧/٢) صحيح : رواه البخاري (٣٧٥١).

(١) صحيح : رواه مسلم (١٠٧٢) وأبو داود (٢٩٨٥).

Marfat.com

وآل محمد لهم خصائص ليست لغيرهم، ففي باب الفيء لهم حق يختصون به، كما قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١]. يعني قرابة النبي ﷺ.

ولهم كرامة وشرف وسيادة، فلا تحل لهم الصدقة ولا الزكاة الواجبة؛ لأنها أوساخ الناس، كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣]. فلا يحل لهم الصدقة؛ فهم أشرف وأعلى من أن تحل لهم الصدقة، لكن يُعطون بدلها من الخُمس.

ثم بين في حديث زيد بن أرقم أن النبي ﷺ قال يوم غدير خم؛ وهو غدير بين مكة والمدينة، نزل فيه النبي ﷺ، ووعد وذكر وحث على القرآن، وبين أن فيه الشفاء والنور، ثم حث على أهل بيته، فقال: «**أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**».

ولم يقل: إن أهل بيته معصومون، وإن أقوالهم كالقرآن يجب أن يعمل بها، كما تدعيه الرافضة، فإنهم ليسوا معصومين، بل هم يُخطئون كما يخطئ غيرهم، ويُصيبون كما يُصيب غيرهم، ولكن لهم حق قرابة النبي ﷺ كما سبق.

وقوله: «**أذكركم الله في أهل بيتي**»: يعني اعرفوا لهم حقهم، ولا تظلموهم، ولا تعتدوا عليهم، هذا من باب التوكيد، وإلا فكل إنسان مؤمن له حقٌّ على أخيه، لا يحق له أن يعتدي عليه، ولا أن يظلمه، لكن لآل النبي ﷺ حق زائد على حقوق غيرهم من المسلمين.

وإذا كان هذا في حق آل النبي ﷺ فما بالك بحق الرسول ﷺ!

حق الرسول ﷺ أعظم الحقوق بعد حق الله؛ يجب أن يُقدم على النفس والولد والأهل وعلى جميع الناس، في المحبة والتعظيم وقوب هديه وسنته ﷺ، فهو مقدم على كل أحد ﷺ. نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين من أتباعه ظاهرًا وباطنًا.

* * *

Marfat.com

٤٤ ـ باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الأَلْبَابِ ﴾ (الزمر:٩).

[١/٣٤٨] ـ وعن أبي مسعود عُقْبَةَ بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي القِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنّاً، وَلا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلا بِإِذْنِهِ» رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «فَأَقْدَمُهُمْ سِلْماً» بَدَل «سِناً» أي: إِسْلاماً.

وفي روايةٍ: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَيَؤُمُّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِناً».

وَالمُرادُ «بِسُلْطَانِهِ»: مَحَلُّ ولايتِهِ، أَو المَوْضِعُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ، و «تَكْرِمَتُهُ» بفتحِ التاءِ وكسرِ الراءِ: وَهِيَ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ مِنْ فِرَاشٍ وَسَرِيرٍ وَنَحْوِهِمَا.

[٢/٣٤٩] ـ وعنه قال: كان رسول الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنا فِي الصَّلاةِ وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «لِيَلِنِي» هو بتخفيف النُّونِ وَلَيْسَ قَبْلَهَا يَاءٌ، وَرُوِيَ بِتَشْدِيدِ النُّونِ مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا. و «النُّهَى»: العُقُولُ. و «أُولُو الأَحْلامِ»: هُمُ البَالِغُونَ، وَقِيلَ: أَهْلُ الحِلْمِ وَالفَضْلِ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب توقير العلماء، وأهل الفضل، وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم»، يعني وما يتعلق بهذا من المعاني الجليلة.

(١/ ٣٤٨) صحيح: رواه مسلم (٦٧٣) أحمد (٣/ ٢٠٧).
(٢/ ٣٤٩) صحيح: اخرجه مسلم (٤٣٢).

Marfat.com

المؤلف ـ رحمه الله ـ يريد بالعلماء علماء الشريعة الذين هم ورثة النبي ﷺ ، فإن العلماء ورثة الأنبياء، لأن الأنبياء لم يُورثوا درهمًا ولا دينارًا، فإن النبي ﷺ توفي عن بنته فاطمة وعمه العباس ولم يرثوا شيئًا، لأن الأنبياء لا يورثُّون إنما ورَّثوا العلم(١) .

فالعلم شريعة الله فمن أخذ بالعلم أخذ بحظ وافر من ميراث العلماء.

وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم، فلمن ورثهم نصيب من ذلك، أن يُبجل ويُعظم ويكرم، فلهذا عقد المؤلف رحمه الله لهذه المسألة العظيمة بابًا لأنها مسألة عظيمة ومهمة.

وبتوقير العلماء توقر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة، لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس، ذلت الشريعة التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كل إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيع الشريعة.

كما أن ولاة الأمر من الأمراء والسلاطين يجب احترامهم وتوقيرهم وتعظيمهم وطاعتهم ، حسب ما جاءت به الشريعة؛ لأنهم إذا احتقروا أمام الناس، وأذلوا ، وهون أمرهم ؛ ضاع الأمن وصارت البلاد فوضى، ولم يكن للسلطان قوة ولا نفوذ.

فهذان الصنفان من الناس: العلماء والأمراء، إذا احتقروا أمام الناس فسدت الشريعة، وفسد الأمن، وضاعت الأمور، وصار كل إنسان يرى أنه هو العالم، وكل إنسان يرى أنه الأمير، فضاعت الشريعة وضاعت البلاد، ولهذا أمر الله تعالى بطاعة ولاة الأمور من العلماء والأمراء فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

ونضرب لكم مثلاً إذا لم يعظم العلماء والأمراء، فإن الناس إذا سمعوا من العالم شيئًا قالوا: هذا هين، قال فلان خلاف ذلك.

أو قالوا: هذا هين هو يعرف ونحن نعرف، كما سمعنا عن بعض السفهاء الجهال، أنهم إذا جودلوا في مسألة من مسائل العلم، وقيل لهم: هذا قول الإمام أحمد بن حنبل، أو هذا قول الشافعي، أو قول مالك، أو قول أبي حنيفة، أو قول سفيان، أو ما أشبه ذلك قال: نعم، هم رجال ونحن رجال، لكن فرق بين رجولة هؤلاء ورجولة هؤلاء، من أنت حتى تصادم بقولك وسوء فهمك وقصور علمك وتقصيرك في الاجتهاد وحتى تجعل نفسك

(١) صحيح : انظر أبو داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وصححه الألباني وانظر كتاب الشارح العلم للشارح بتحقيق. .

Marfat.com

ندًا لهؤلاء الأئمة رحمهم الله!

فإذا استهان الناس بالعلماء لقال كل واحد: أنا العالم، أنا النحرير، أن الفهامة، أنا العلامة، أنا البحر الذي لا ساحل له، ولما بقي عالمٌ، ولصار كل يتكلم بما شاء، ويُفتي بما شاء، ولتمزقت الشريعة بسبب هذا الذي يحصل من بعض السفهاء.

وكذلك الأمراء، إذا قيل لواحد مثلاً أمر الولي بكذا وكذا، قال: لا طاعة له؛ لأنه مُخل بكذا ومُخل بكذا، وأقول: إنه إذا أخل بكذ وكذا، فذنبه عليه، وأنت مأمور بالسمع والطاعة، حتى وإن شربوا الخمور وحتى إن عانقوا الزمور، وغير ذلك ما لم نر كفرًا بواحًا عندنًا فيه من الله برهان، وإلا فطاعتهم واجبة؛ ولو فسقوا ، ولو عتوا، ولو ظلموا.

وقد قال النبي ﷺ : **«اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»**[(١)] ، قال لأصحابه فيما إذا أخل الأمراء بواجبهم، قال: **«اسمعوا وأطيعوا فإنما عليكم ما حمِّلتم وعليهم ما حملوا»**[(٢)] .

أما من يريد أن تكون أمراؤنا كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، فهذا لا يمكن ، لنكن نحن مثل الرعية في ذلك الوقت، ولنكن نحن صحابة أو مثل الصحابة حتى يكون ولاة الأمور مثل خلفاء الصحابة.

أما والشعب كما نعلم الآن، أكثرهم مفرط في الواجبات، وكثير منتهك للحرمات، ثم يُريدون أن يولي الله عليهم خلفاء راشدين، فهذا بعيد، لكن نحن علينا أن نسمع ونُطيع وإن كانوا هم أنفسهم مُقصرين فتقصيرهم هذا عليهم، ما حمُلوا وعلينا ما حُملنا.

فإذا لم يوقر العلماء ولم يوقر الأمراء ضاع الدين والدنيا، نسأل الله العافية.

ثم استدل المؤلف بقوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩]. ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي**﴾ : يعني لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؛ لأن الجاهل متصف بصفة ذم، والعالم متصف بصفة مدح، ولهذا لو تعير أدنى واحد من العامة وتقو له: أنت جاهل، غضب وأنكر ذلك؛ مما يدل على أن الجهل عيب مذموم، كل ينفر منه، والعلم خير، ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون في أي حال من الأحوال.

العالم يعبد الله على بصيرة، يعرف كيف يتوضأ، وكيف يُصلي، وكيف يُزكي، وكيف يصوم، وكيف يحج، وكيف يبر والديه، وكيف يصل رحمه.

---

(١) صحيح: انظر البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٣٤) (١٨٤٧).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٦).

Marfat.com

العالم يهدي الناس: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢] . لا يمكن أن يكون هذا مثل هذا، فالعالم نور يهتدي به، ويرفع الله به، والجاهل عالة على غيره، لا ينفع نفسه ولا غيره، بل إن أفتى بجهل ضر نفسه وضر غيره، فلا يستوي الذي يعلمون والذين لا يعلمون.

ثم استدل المؤلف بحديث عُقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»، يعني يكون إمامًا فيهم أقرؤهم لكتاب الله «فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة فإن كانوا بالسنة سواء فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلمًا» أي إسلامًا، وفي لفظ «سِنًا» أي أكبرهم سنًا.

وهذا يدل على أن صاحب العلم مقدمٌ على غيره؛ يقدم العالم بكتاب الله ثم العالم بسنة رسول الله ﷺ، ولا يُقدم من القوم في الأمور الدينية إلا خيرهم وأفضلهم.

وهذا يدل على تقديم الأفضل فالأفضل في الإمامة، وهذا في غير الإمام الراتب، أما الإمام الراتب فهو الإمام وإن كان في الناس من هو أقرأ منه؛ لقول النبي ﷺ في الحديث: «ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه» وإمام المسجد الراتب سلطان في مسجده، حتى إن بعض العلماء يقولون: لو أن أحد تقدم وصلى بجماعة المسجد بدون إذن الإمام فصلاتهم باطلة، وعليهم أن يعيدوا؛ لأن النبي ﷺ نهى عن هذه الإمامة والنهي يقتضي الفساد.

* * *

[٣/ ٣٥٠] ـ وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيَلِنِى مِنكُمْ أُولُو الأحْلام وَالنُّهى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ثلاثاً «وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأسْوَاقِ» رواه مسلم.

[٤/ ٣٥١] ـ وعن أبى يَحْيَى وَقِيلَ: أبى مُحَمَّد سَهْلِ بن أبى حَثْمَةَ ـ بفتح الحاء المهملة وإسكان الثاء المثلثة ـ الأنصارى رضى الله عَنه قال: انطَلَقَ عَبْدُ الله بن سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُود إلى خَيْبَرَ وَهِىَ يَوْمَئذ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فأتَى مُحَيِّصَةُ إلى عبد الله بن سهل وهو يَتَشَحطُ فى دَمه قَتيلاً، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قدمَ المَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرحْمنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحُوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُود إلى النَّبى ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمنِ يَتَكَلَّمُ فقال: «كَبِّرْ كَبِّرْ» وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ، فَسَكَتَ فَتَكَلَّمَا فقال: «أتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟» وَذَكَرَ تمامَ

(٣/ ٣٥٠) صحيح: رواه مسلم (٤٣٢) وأبو داود (٦٧٤) والنسائي (٢/ ٨٧، ٨٨) وابن ماجه (٩٩٤).
(٤/ ٣٥١) صحيح: رواه البخاري (٣١٧٣) ومسلم (١٦٦٩).

Marfat.com

الحَديث . متفقٌ عليه .وقوله ﷺ « كَبِّرْ كَبِّرْ » معنَاه : يتَكَلَّم الأكْبَرُ .

[٥/ ٣٥٢]- وعن جابرٍ رضى الله عنه أنَّ النبى ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ منْ قَتْلَى أُحد يَعْنى فى القَبْرِ ، ثُمَّ يقُولُ : « أَيُّهمَا أكثرُ أخْذاً للقُرآنِ ؟ » فإذَا أُشيرَ لَهُ إلى أحدِهما قَدَّمَهُ فى اللَّحْد . رواه البخارى .

[٦/ ٣٥٣] ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال : « أرَانى فى المَنَامِ أتَسوَّكُ بسوَاكٍ ، فَجَاءَنى رَجُلان ، أحدُهُمَا أكْبرُ من الآخَرِ ، فَنَاولتُ السوَاكَ الأصْغَرَ ، فقيلَ لِى : كَبِّرْ ، فَدَفعتُهُ إلى الأكْبَرِ منْهُمَا » رواه مسلم مُسْنَداً ، والبخارى تعليقاً .

[٧/ ٣٥٤]-وعن أبى موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ منْ إجْلالِ اللهِ تعالى إكْرَامَ ذى الشَّيْبَةِ المسْلمِ ، وحَاملِ القُرْآنِ غيْرِ الغَالى فيه ، والجَافى عنْهُ وإكْرَامُ ذِى السُّلْطَانِ المُقسط » . حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود .

٨/ ٣٥٥ ـ وعن عَمْرو بن شُعَيْب ، عن أبيه ، عن جده رضى الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : « لَيْسَ منَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغيرَنَا ، ويَعْرفْ شرَفَ كَبيرنَا » حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود والترمذى ، وقال الترمذى : حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ . وفى رواية أبى داود : « حقَّ كَبيرنَا » .

٩/ ٣٥٦ ـ وعن مَيْمُونَ بن أبى شَبيب رحمه الله أن عَائشَةَ رضى الله عنها مَرَّ بها سَائلٌ ، فَأعطَتْهُ كسْرَةً ، ومَرَّ بها رَجُلٌ عَلَيْه ثيابٌ وهَيْئَةٌ ، فأقْعدَتْهُ ، فأكَلَ فقيلَ لَهَا فى ذَلكَ ؟ فقالت : قال رسول الله ﷺ : « أنْزلُوا النَّاسَ مَنَازلَهُمْ » رواه أبو داود . لكنْ مَيْمُون لَمْ يُدْرك عائشَةَ . وقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلم فى أوَّل صَحيحه تَعليقاً فقال : وَذُكرَ عَنْ عائشَةَ رضى الله عنها قَالت : أمرنا رسولُ الله ﷺ أنْ نُنْزلَ النَّاسَ مَنَازلَهُمْ ، وَذَكَرَهُ الحَكمُ أبُو عبدِ اللهِ فى كتَابِه « مَعْرفَة عُلُومِ الحَديث » وقال : هو حديثٌ صحيح .

١٠/ ٣٥٧ ـ وعن ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما قال : قَدمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حصْنٍ ، فَنَزَلَ عَلَى ابن أخيه الحُرِّ بْن قَيْسٍ ، وكَانَ منَ النَّفَرِ الَّذينَ يُدْنيهمْ عُمَرُ رضى الله عنه ، وكَانَ القُرَّاءُ أصْحابَ مَجْلسِ عُمَرَ ومُشَاوَرَته ، كُهُولاً كَانُوا أوْ شُبَّاناً ، فقال عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيه : يَا بْنَ أخي ، لَكَ وَجْهٌ عنْدَ

(٥/ ٣٥٢) صحيح : رواه البخاري (١٣٤٣).

(٦/ ٣٥٣) صحيح : رواه مسلم (٢٢٧١) والبخاري (٢٤٦) تعليقًا.

(٧/ ٣٥٤) حسن : رواه أبو داود (٤٨٤٣)، وقال الألباني في «المشكاة» (٤٩٧٢): «إسناده حسن». وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٥٣).

(٨/ ٣٥٥) صحيح : رواه أبو داود (٤٩٤٣) الترمذى (١٩٢٠) وصححه الألبانى فى الصحيحين (٢١٩٦).

(٩/ ٣٥٦) ضعيف : رواه أبو داود (٤٨٤٢) وضعفه الألبانى فى الضعيفة (١٨٩٤).

(١٠/ ٣٥٧) صحيح : رواه البخارى (٤٦٤٢).

Marfat.com

هذا الأمير ، فاستأذن لى عليه ، فاستأذن له ، فأذن له عمرُ رضى الله عنه ، فلما دخل قال : هى يابن الخطاب : فوالله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم فينا بالعدل ، فغضب عمرُ رضى الله عنه حتى همّ أن يوقع به ، فقال له الحرُّ : يا أمير المؤمنين، إنّ الله تعالى قال لنبيه ﷺ : ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف:١٩٩) وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمرُ حين تلاها عليه ، وكان وقّافاً عند كتاب الله تعالى . رواه البخارى .

١١/ ٣٥٨ ـ وعن أبى سعيد سمُرة بن جُنْدب رضى الله عنه قال : لقد كُنتُ على عهد رسول الله ﷺ غلاماً ، فكنتُ أحفظُ عنهُ ، فما يمنعنى من القول إلا أنّ ههُنا رجالاً هُمْ أسنُّ منّى . متفقٌ عليه .

١٢/ ٣٥٩ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أكرم شابٌ شيْخاً لسنه إلا قيّض الله له من يُكرمُهُ عند سنّه» رواه الترمذى وقال: حديث غريب .

الشرح

هذه الأحاديث فيها الإشارة إلى ما سبق عن المؤلف ـ رحمه الله ـ بإكرام أهل العلم وأهل الفضل الكبير، فمن ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم»** قال ذلك ثلاثًا **«وإياكم وهيشات الأسواق»** وفي قوله: **«ليلني منكم»**، اللام لام الأمر، والمعنى أنه في الصلاة ينبغي أن يتقدم أولو الأحلام والنُّهى.

وأولو الأحلام: يعني الذين بلغوا الحُلم وهم البالغون، والنهي جمع نهية وهي العقل، يعني العقلاء، فالذي يجب أن يتقدم في الصلاة العاقلون البالغون، ؛ لأن ذلك أقرب إلى فهم ما يقوله النبي ﷺ أو ما يفعله من الصغار ونحوهم فلهذا حث النبي ﷺ أن يتقدم هؤلاء حتى يلوا الإمام.

وليس معنى الحديث لا يلني إلا أولو الأحلام والنهى، بحيث نطرد الصبيان عن الصف الأول، فإن هذا لا يجوز، فلا يجوز طرد الصبيان عن الصف الأول إلا أن يحدث منهم أذية، فإن لم يحدث منهم أذية فإن من سبق إلى ما لم يسبق إليه أحد أحق به.

وهناك فرق بين أن تكون العبارة النبوية لا يلني إلا أولو الأحلام، وبين قوله: ليلني

(١١/ ٣٥٨) صحيح : رواه البخارى (١٣٣٩) مسلم (٩٦٤) .

(١٢ / ٣٥٩) ضعيف : رواه الترمذى (٢٠٢٢) وضعفه الألبانى فى الضعيفة (٣٠٤) .

Marfat.com

أول الأحلام، فالثانية تحث الكبار العقلاء على التقدم، والأولى لو قدر أنها نص الحديث لكان ينهى أن يلي الإمام من ليس بالغًا، أو ليس عاقلاً.

ولهذا نقول: إن أولئك الذين يطردون الصبيان عن الصف الأول أخطئوا من جهة أنهم منعوا ذوي الحقوق حقوقهم؛ فإن النبي ﷺ قال: «**من سبق إلي ما لم يسبق إليه مسلم فهو له**»(١).

ومن جهة أخرى أنهم يكرهون الصبيان المساجد، وهذا يؤدي إلى أن ينفر الصبي عن المسجد إذا كان يُطرد عنه.

ومنها أن هذه لا تزال في نفسه عقدة من الذي طرده، فتجده يكرهه ويكره ذكره، فمن أجل هذه المفاسد نقول: لا تطردوا الصبيان من أوائل الصفوف.

ثم إننا لو طردناهم من أوائل الصفوف حصل منهم لعب، لو كانوا كلهم في صف واحد كما يقوله من يقوله من أهل العلم، لحصل منهم من اللعب ما يوجب اضطراب المسجد واضطراب أهل المسجد، ولكن إذا كانوا مع الناس في الصف الأول ومتفرقين فإن ذلك أسلم من الفوضى التي تحصل بكونهم يجتمعون في صف واحد.

وقوله ﷺ : «**ليلني منكم أولو الأحلام والنهى**» يُستفاد منه: أن الدنو من الإمام له شأن مطلوب، ولهذا قال: «**ليلني**» أي يكون هو الذي يليني.

وعلى هذا نقول: إذا كان يمين الصف بعيدًا، وأيسر الصف أقرب منه بشكل واضح ، فإن الصف الأيسر أفضل من الأيمن ، من أجل دنوه من الإمام، ولأنه لما كان الناس في أول الأمر إذا كان إمامهم واثنان معه، فإنهما يكونان عن يمينه واحد وعن شماله واحد، ولا يكون كلاهما عن اليمين، فدل هذا على مراعاة الدنو من الإمام، وتوسط الإمام من المأمومين. ولكن هذا الأمر أي كون الإمام واثنان معه يكونان في صف واحد، هذا نسخ، وصار الإمام إذا كان معه اثنان يصفان خلفه، ولكن كونه - حين كان مشروعًا - يجعل أحدهما عن اليمين والثاني عن اليسار؛ يدل على أنه ليس الأيمن أفضل مطلقًا، بل أفضل من الأيسر إذا كان مقاربًا أو مثله، أما إذا تميز بميزة بينة فاليسار مع الدنو من الإمام أفضل.

وفي حديث الرؤيا التي رآها الرسول ﷺ ، أنه كان ﷺ يتسوك بسواك فجاءه رجلان فأراد أن يعطيه الأصغر، فقيل له: كبر كبر. فيه دليل أيضًا على اعتبار الكبر، وأنه يقدم الأكبر في إعطاء الشيء.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٠٧١) وضعفه الألباني في الإرواء (١٥٥٣).

Marfat.com

ومن ذلك إذا قدمت الطعام مثلاً أو القهوة أو الشاي فلا تبدأ باليمن، بل ابدأ بالأكبر الذي أمامك؛ لأن النبي ﷺ لما أراد أن يُعطيه الأصغر قيل له كبر، ومعلوم أنه لو كان الأصغر هو الأيسر ما ذهب الرسول ﷺ يُعطيه إياه، فالظاهر أنه أعطى الأيمن من أجل التيامن، لكن قيل له: كبر أعطه الأكبر، فهذا إذا كان الناس أمامك تبدأ بالكبير، لا تبدأ باليمين، أما إذا كانوا جالسين عن اليمين وعن الشمال فابدأ باليمين.

وبهذا يُجمع بين الأدلة الدالة على اعتبار التكبير أي مراعاة الكبير، وعلى اعتبار الأيمن، أي مراعاة الأيمن، فنقول: إذا كانت القصة كما جاء عن النبي ﷺ أنه كان معه إناء يشرب منه، وعلى يساره الأشياخ وعلى يمينه غلام، فقال النبي ﷺ للغلام: «**أتأذن لي أن أعطي هؤلاء**» فقال الغلام: لا والله، لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، فأعطاه رسول الله ﷺ (١) . فإذا كان هكذا فأعطه من على يمينك، أما الذين أمامك فابدأ بالكبير، كما تدل عليه السنة، وهذا هو وجه الجمع بينهما.

ثم إن الإنسان إذا أعطى الشراب الكبير فمن يُعطي بعده؟ هل يُعطي الذي على يمين الكبير ويكون عن يسار الصاب، أم الذي عن يمين الصاب؟

نقول: يبدأ بالذي عن يمين الصاب وإن كان على يسار الكبير؛ لأننا إذا اعتبرنا التيامن بعد مراعاة الكبر، فالذي عن يمينك هو الذي عن يسار مقابلك فتبدأ به، ما لم يسمح بعضهم لبعض، ويقول أعطه فلانًا. . . أعطه فلانًا؛ فالحق لهم، ولهم أن يُسقطوه.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٣٥١) ومسلم (٢٠٣٠).

Marfat.com

٤٥ ـ باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

قال اللهّ تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ **إلى قوله تعالى :** ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ **(الكهف:٦٠:٦٦)** ، **وقال تعالى :** ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ **(الكهف:٢٨)** .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب زيارة أهل الخير ومحبتهم وصحبتهم وطلب الزيارة منهم).

أهل الخير هم أهل العلم والإيمان والصلاح، ومحبتهم واجبة؛ لأن أوثق عُرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله، فإذا كان الإنسان محبته تابعة لمحبة الله، وبغضه تابعًا لبغض الله، فهذا هو الذي ينال ولاية الله عز وجل.

وأهل الخير إذا جالستهم فأنت على خير؛ لأن النبي ﷺ مثل الجليس الصالح بحامل المسك؛ إما أن يُحذيك يعني يُعطيك، وإما أن يبيعك، يعني يبيع عليك ، وإما أن تجد منه رائحة طيبة(١) .

وكذلك ينبغي أن تطلب منهم أن يزوروك ويأتوا إليك لما في مجيئهم إليك من الخير.

ثم ذكر المؤلف قصة موسى عليه السلام مع الخضر، فإن موسى قال لفتاه: ﴿ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠]. لأن الله أخبره بأن له عبدًا من عباد الله آتاه الله رحمة وعلمه من لدنه علمًا، فذهب موسى يطلب هذا الرجل حتى لقيه، وذكر الله تعالى قصتهما مبسوطة في سورة الكهف وسيأتي الكلام عليها إن شاء الله.

* * *

[١/ ٣٦٠] ــ وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بَعْدَ وَفَاةِ رسول اللّهِ ﷺ : انْطَلِقْ بِنَا إلى أُمّ أيْمَنَ رضي الله عنها نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رسول اللّه ﷺ

(١) صحيح: انظر البخاري (٥٥٣٤) ومسلم (٢٦٢٨).

(١/ ٣٦٠) صحيح : رواه مسلم (٢٤٥٤).

Marfat.com

يَزُورُها ، فَلَمَّا انتَهيَا إليْهَا ، بكَتْ ، فَقَالا لَهَا : ما يُبكِيك أما تَعلَمينَ أنَّ مَا عندَ اللّه خيْرٌ لِرَسُول اللّه ﷺ ؟ فقالت : إنِّى لا أبكى أنِّى لا أعلَمُ أنَّ مَا عندَ اللّه تعالى خيرٌ لرسول اللّه ﷺ ، ولَكنْ أبْكِى أنَّ الوَحْىَ قَد انقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ ، فَهيَّجَتْهُمَا عَلى البُكَاءِ ، فَجعَلا يَبْكِيَانِ مَعهَا . رواه مسلم .

[٢/ ٣٦١]ــ وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه عن النبى ﷺ : « أنَّ رَجُلاً زَارَ أخاً لَهُ فى قَرْيَة أُخرَى ، فأرْصَدَ اللّه تعالى عَلى مَدْرَجَته مَلَكاً ، فلَمَّا أتَى عَلَيْه قال : أيْنَ تُريدُ ؟ قال: أُريدُ أخاً لِى فى هذه القَرْيَة ، قال : هَلْ لَكَ عَلَيْه منْ نعمَة تَرُبُّهَا عَلَيْه ؟ قال : لا، غَيْرَ أنِّى أحبَبْتُهُ فى اللّه تعالى ،قال: فَإنِّى رسول اللّه إلَيْكَ بأنَّ اللّهَ قَدْ أحَبَّكَ كَمَا أحببْتَهُ فيه » رواه مسلم .

يقال : « أرْصَدَهُ » لكَذا : إذَا وَكَّلَهُ بحفْظه ، وَ « المَدْرَجَةُ » بفتحِ المِيمِ والراء : الطَّرِيقُ ، ومعنى « تربُّهَا » : تَقُومُ بهَا ، وتَسْعَى فى صَلاَحِهَا .

[٣/ ٣٦٢]ــ وعنه قال : قال رسول اللّهﷺ : « مَنْ عَادَ مَرِيضاً أوْ زَارَ أخاً لَهُ فى اللّه، نَادَاه مُنَاد : بأنْ طبتَ ، وَطَابَ مَمْشَاكَ ، وتَبوَّأتَ منَ الجَنَّة مَنْزِلاً » رواه الترمذى وقال: حديثٌ حَسنٌ ، وفى بعض النسخ : غريبٌ .

[٤/ ٣٦٣]ــ وعن أبى موسى الأشعَرِىّ رضىَ اللّهُ عنه أن النَّبى ﷺ قال : « إنَّمَا مَثلُ الجَليس الصَّالح وَجَليسِ السُّوء ، كَحَاملِ المِسْك ، ونَافخِ الكير ، فَحَاملُ المسْك ، إمَّا أنْ يُحذيكَ ، وإمَّا أنْ تَبْتَاعَ منْهُ ، وإمَّا أنْ تَجدَ منْهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، وَنَافخُ الكِيرِ ، إمَّا أنْ يُحرقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجدَ منهُ رِيحاً مُنْتنَةً » متفقٌ عليه .

« يُحْذيكَ » : يُعْطيكَ .

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل زيارة الإخوان بعضهم لبعض والمحبة في الله عز وجل. ففي الحديث الأول في قصة الرجلين من الصحابة رضي الله عنهما، زارا امرأة كان النبي

(٢ / ٣٦١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٣ / ٣٦٢) حسن لغيره: رواه الترمذي (٣٠٠٨) وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٣٣) ، وقال في المشكاة (٥٠١٥): «إسناه ضعيف فيه أبو سنان القملى واسمه عيسى بن سنان وهو لين كما في الميزان والتقريب» ا. هـ. وقال أيضًا لكن الحديث حسن لغيره. فراجع المشكاة (٥٠١٥).

(٤ / ٣٦٣) صحيح : رواه البخاري (٢١٠٣)، ومسلم (٢٦٢٨) وفي رواية البخاري ومسلم : «ريح خبيثة».

Marfat.com

ﷺ يزورها، فزارها من أجل زيارة النبي ﷺ إياها. فلما جلسا عندها بكت، فقالا لها: ما يبكيك ؟ أما تعلمين أن ما عند الله سبحانه وتعالى خير لرسوله؟ يعني خير من الدنيا.

فقالت: إني لا أبكي لذلك ولكن لانقطاع الوحي؛ لأن النبي ﷺ لما مات انقطع الوحي، فلا وحي بعد رسول الله ﷺ ، ولهذا أكمل الله شريعته قبل أن يُتوفى، فقال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]. فجعلا يبكيان؛ لأنها ذكرتهما بما كانا قد نسياه.

وأما الأحاديث الأخرى ففيها أيضًا: فضل الزيارة لله عز وجل، وأن الله سبحانه وتعالى يُثيب من زار أخاه أو عاده في مرضه، فيقُال له: طبت وطاب ممشاك، ويُقال لمن زار أخاه لغير أمر دنيوي ولكن لمحبته في الله: إن الله أحبك كما أحببته فيه.

والزيارة لها فوائد: منها هذا الأجر العظيم، ومنها أنها تؤلف القلوب، وتجمع الناس، وتذكر الناسي، وتنبه الغافل، وتُعلم الجاهل، وفيها مصالح كثيرة يعرفها من جربها.

وأما عيادة المريض ففيها كذلك أيضًا من المصالح والمنافع الشيء الكثير، وقد سبق لنا أنها من حقوق المسلم على المسلم، أن يعوده إذا مرض، ويذكره بالله عز وجل، بالتوبة والوصية وغير ذلك مما يستفيد منه.

فهذه الأحاديث وأشباهها كلها تدل على أنه ينبغي للإنسان أن يفعل ما فيه المودة والمحبة لإخوانه؛ من زيارة وعيادة واجتماع وغير ذلك.

* * *

[٥/ ٣٦٤] ــ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: « تُنكَحُ المَرْأةُ لأَرْبَعٍ لِمَالِهَا، ولِحَسَبِهَا، ولِجَمَالِهَا، ولِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدين تَرِبَتْ يَدَاكَ » متفقٌ عليه.

ومعناه: أنَّ النَّاسَ يَقْصِدُونَ في العَادَةِ مِنَ المَرْأَةِ هذه الخِصَالَ الأَرْبَعَ، فَاحْرِصْ أَنْتَ على ذَاتِ الدِّينِ، وَاظْفَرْ بِها، وَاحْرِصْ عَلى صُحْبَتِها.

[٦/ ٣٦٥] ــ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ النبيُّ ﷺ لجبْرِيلَ: « مَا يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنَا أكْثَرَ ممَّا تَزُورُنَا ؟ » فَنَزَلَتْ: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ (مريم: ٦٤) رواه البخاري.

(٥/ ٣٦٤) صحيح : رواه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٦/ ٣٦٥) صحيح : رواه البخاري (٤٧٣١).

Marfat.com

[٣٦٦/٧] ـ وعنْ أبي سعيد الخُدْريّ رضى اللّه عنه ، عن النبى ﷺ قال : « لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً ، وَلا يَأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيٌّ » رواه أبو داود ، والترمذى بإسنادٍ لا بأس به.

[٣٦٧/٨] ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الرَّجُلُ عَلى دِينِ خَليله ، فَلْيَنْظُر أحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ » رواه أبو داود ، والترمذى بإسنادٍ صحيح ، وقال الترمذى : حديثٌ حسنٌ .

[٣٦٨/٩] ـ وعن أبي موسى الأشْعَرىّ رضى اللّه عنه أن النبى ﷺ قال : « المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ » متفقٌ عليه .

وفي رواية قال : قِيلَ للنَّبىِّ ﷺ : الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ ولَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ قال : « المَرْءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ » .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها وجمالها، ودينها، فاظفر بذات الدين**» .

يعني أن الأغراض التي تُنكح من أجلها المرأة في الغالب تنحصر في هذه الأربع:

المال: من أجل أن ينتفع به الزوج، والحسب: يعني أن تكون من قبيلة شريفة، من أجل أن يرتفع بها الزوج. والجمال: من أجل أن يتمتع بها الزوج. والدين: من أجل أن تُعينه على دينه، وتحفظ أمانته وترعى أولاده.

قال النبي ﷺ : «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**» يعني تمسك بها واحرص عليها، وحث على ذلك بقوله: «**تربت يداك**». وهذه الكلمة تُقال عند العرب للحث على الشيء.

ثم ذكر المؤلف أيضًا حديث جبريل أن النبي ﷺ قال: «**ألا تزورنا أكثر مما تزورنا**» فنزلت : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

(٧/ ٣٦٦) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٢) ، والترمذي (٢٣٩٥) ، وقال الألباني في المشكاة (٥٠١٨) «اسنده حسن». وحسنه في صحيح أبي داود (٤٠٤٥).

(٨ / ٣٦٧) حسن رواه أبو داود (٤٨٣٢) والترمذي (٢٣٧٨) وقال حديث حسن صحيح. وقال الألباني في المشكاة (٥٠١٩) «وهو كما قال: (اي حديث حسن غريب) وحسنه في الصحيحة برقم (٩٢٧).

(٩ / ٣٦٨) صحيح : رواه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١).

Marfat.com

ففي هذا الحديث: طلب زيارة أهل الخير إلى بيتك، فتطلبُ منهم أن يزوروك من أجل أن تنتفع بصحبتهم.

وكذلك في حديث أبي هريرة صحبة المرأة الدينة تعينك على دين الله.

وقد سبق أيضًا أن مثل الجليس الصالح كحامل المسك، إما أن يحذيك يعني يعطيك منه، أو يبيعك، أو تجد منه رائحة طيبة[1].

ثم ذكر المؤلف أحاديث بهذا المعنى، مثل ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» يعني أن الإنسان يكون في الدين وكذلك في الخلق علي قدر من يصاحب، فلينظر من يصاحب، فإن صاحب أهل الخير صار منهم، وإن صاحب سواهم صار مثلهم.

فالحاصل أن هذه الأحاديث وأمثالها كلها تدل على أنه ينبغي للإنسان أن يصطحب الأخيار وأن يزورهم، ويزوروه، ويطلب منهم الزيارة لما في ذلك من الخير والفوائد العظيمة.

* * *

[١٠/٣٦٩] ــ وعن أنس رضى الله عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ؟ قال رسول الله ﷺ : « ما أعْدَدْتَ لها ؟ » قال : حُبَّ اللهِ ورسولِهِ . قال : «أنْتَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ » .

متفقٌ عليه ، وهذا لفظ مسلم .

وفي رواية لهما : مَا أعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ ، وَلا صَلاةٍ ، وَلا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّى أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ .

[١١/ ٣٧٠] ــ وعن ابنِ مسعود رضى الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، كَيْفَ تَقُولُ فِى رَجُلٍ أحَبَّ قَوْماً وَلَمَّ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فقال رسول الله ﷺ: « المَرْءِ معُ مَنْ أحَبَّ » متفقٌ عليه .

[١٢/ ٣٧١] ــ وعن أبى هُريرة رضى الله عنه عن النبىّ ﷺ قال : « النَّاسُ مَعَادِن

(١) البخاري (٢١٠٣)، ومسلم (٢٦٢٨).

(١٠ / ٣٦٩) صحيح : رواه البخاري (٦١٦٧) ومسلم (٢٦٣٩).

(١١ / ٣٧٠) صحيح : رواه البخاري (٦١٦٩) ومسلم (٢٦٤٠).

(١٢ / ٣٧١) صحيح : رواه البخاري (٣٤٩٣) بلفظ: «تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» ورواه مسلم (٢٦٣٨) به، ورقم حديث الباب (١٦٠).

Marfat.com

كَمعَادن الذَّهَب وَالفضَّة ، خيَارُهُمْ فى الجَاهليَّة خيَارُهمْ فى الإسْلام إذَا فقهُوا ، وَالأرْوَاحُ جنُودٌ مُجَنَّدةٌ ، فَمَا تعَارفَ منهَا ائتَلَفَ ، ومَا تنَاكَرَ منهَا اختَلَفَ » رواه مسلم .

وروى البخارى قوله : « الأرواحُ » إلخ من رواية عائشةَ رضى اللّه عنها .

[١٣/ ٣٧٢] ــ وعن أُسَيْر بن عَمْرو ويُقَالُ : ابْنُ جابر ــ وهو بضم الهمزة وفتح السين المهملة ــ قال : كَانَ عمرُ بْنُ الخَطَّاب ، رضى الله عنه ، إذا أتى عَلَيْه أمْدادُ أهْل اليمن سألَهُمْ: أفيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عامر ؟ حتَّى أتي على أُوَيْس رضى اللّه عنه ، فقالَ له : أنْتَ أُوَيْسُ بنُ عامر ؟ قال : نَعَمْ ، قال : منْ مُراد ثم منْ قَرَن قالَ : نَعَمْ ، قال : فَكَانَ بكَ بَرَصٌ فَبرأتَ منْهُ إلاَ مَوْضعَ درْهَم ؟ قال : نَعَمْ ، قال : لَكَ وَالدَةٌ ؟ قال : نعَمْ ، قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « يأتى علَيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامر مَعَ أمْدَاد أهْل اليمَن منْ مُرَاد ، ثُمَّ منْ قَرَن كَانَ به برَصٌ ، فَبرأ منْهُ إلا مَوْضعَ درْهَم ، لَهُ وَالدَةٌ هُوَ بها برٌّ ، لَوْ أقْسَمَ عَلَى اللّه لأبرَّهُ ، فَإن استَطَعْتَ أنْ يَسْتَغْفرَ لَكَ فافعَلْ » فَاسْتَغْفر لى . فاستَغْفَرَ له ، فقالَ له عمرُ : أين تريدُ ؟ قالَ : الكُوفَةَ ، قالَ : ألا أكْتُب لَكَ إلى عَاملهاَ ؟ قال : أكُونُ فى غَبْرَاء النَّاس أحَبُّ إلَىَّ ، فَلَمَّا كَانَ منَ العَام المُقبل حَجَّ رَجُلٌ من أشْرَافهم فوافَى عُمَرَ، فسأله عن أُوَيْس ، فقالَ : تَرَكْتُه رثَّ البيت قليلَ المَتَاع ، قال : سَمعْتُ رسول اللّه ﷺ يقول : «يأتى عَلَيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عامر مَعَ أمْداد منْ أهْل اليَمَن منْ مُراد ، ثُمَّ من قَرَن كَانَ به برَصٌ ، فبرأ منْهُ إلا مَوْضعَ درْهَم ، له وَالدةٌ هُو بها برٌّ ، لَوْ أقْسَمَ على اللّه لأبَرَّهُ ، فَإن استَطَعْتَ أنْ يَستَغْفرَ لَك ، فَافْعَلْ » فَأتَى أوَيْساً ، فقال : استَغْفرْ لى قال : أنْتَ أحْدَثُ عَهْداً بسفَر صَالح ، فَاستَغْفرْ لى . قال : لَقيتَ عُمَرَ ؟ قال : نعَمْ ، فَاستَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطنَ لَهُ النَّاسُ ، فَانْطَلَقَ عَلَى وجهه . رواه مسلم .

وفى رواية لمسلم أيْضاً عن أُسَيْر بن جابر رضى اللهّ عنه أنَّ أهلَ الكُوفة وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ رضى الله عنه ، وفيهم رَجُلٌ ممَّنْ كَانَ يَسْخرُ بأُوَيْس ، فقال عُمَرُ : هَلْ هَاهُنَا أحَدٌ منَ القَرنيين ؟ فَجَاءَ ذلكَ الرَّجُلُ ، فقال عُمَرُ : إنَّ رسُولَ اللّه ﷺ قد قال : « إنَّ رَجُلاً يَأتيكُمْ منَ اليَمَن يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسٌ ، لا يَدَعُ باليَمَن غَيْرَ أمٍّ لَهُ ، قَدْ كَانَ به بَيَاضٌ فَدعا الله تعالى ، فَأذْهَبَهُ إلا مَوْضعَ الدينار أو الدرْهَم ، فَمَنْ لَقيَهُ منْكُمْ ، فَلْيَسْتَغْفرْ لَكُمْ » .

وفى رواية له عَن عمر رضى الله عنه قال : إنى سَمعْت رسول اللّه ﷺ يقول : « إنَّ خَيْرَ التَّابعين رَجُلٌ يُقَال لَهُ : أُوَيْس ، وَلَهُ والدةٌ ، وكانَ به بَيَاضٌ ، فَمرُوه فَلْيَسْتَغْفرْ لكُمْ».

(١٣ / ٣٧٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٤٢).

Marfat.com

قوله « غَبْراء النَّاس » بفتح الغين المعجمة ، وإسكان الباء وبالمد : وهم فُقَراؤهمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَف عَيْنُه منْ أخلاطِهِمْ . و « الأمْداد » : جَمْع مَدَدٍ وَهُمُ الأعْوَان وَالنَّاصِرونَ الَّذين كَانُوا يُمِدُّون المُسْلِمينَ في الجِهَاد .

[١٤/ ٣٧٣] ـ وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اسْتَأذَنْتُ النَّبيَّ ﷺ فى العُمْرَة ، فَأذِنَ لِى ، وقال : « لا تَنْسَنَا يَا أخَيَّ من دُعَائكَ » فقال كَلِمَةً مَا يَسُرُّنى أنَّ لى بها الدُّنْيا .وفى رِوَاية قال : « أشْرِكْنَا يَا أخَيَّ فى دُعَائكَ » .

حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

[١٥/ ٣٧٤] ـ وعن ابن عُمَرَ رضى الله عنهما قال : كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَزُورُ قُبَاءَ رَاكِباً وَمَاشياً ، فَيُصَلى فِيه رَكْعَتَيْن . متفقٌ عليه .

وفى رواية : كان النَّبيُّ ﷺ يَأتى مَسْجِدَ قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِباً وَمَاشِياً ، وكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ .

الشرح

هذه الأحاديث تتعلق بالباب الذي ذكره المؤلف؛ من أنه ينبغي إكرام العلماء وتوقيرهم واحترامهم ومصاحبة أهل الخير والصلاح وزيارتهم ودعوتهم للزيارة وما أشبه ذلك.

ففي الحديث الأول عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أعرابيًا قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال له النبي ﷺ : **«ماذا أعددت لها»** قال: حب الله ورسوله.

ففي هذا الحديث: دليل على أنه ليس الشأن كل الشأن أن يسأل الإنسان متى يموت، أو بأي أرض يموت، ولكن على أي حال يموت، هل يموت على خاتمة حسنة، أو على خاتمة سيئة؟ولهذا قال: **«ماذا أعددت لها»** يعني لا تسأل عنها فإنها ستأتي. قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورى: ١٧].

لكن الشأن ماذا أعددت لها، هل عملت؟ هل أنبت إلى ربك؟ هل تبت من ذنبك ؟ هذا هو المهم ، وكذلك حديث ابن مسعود وما ذكره المؤلف بعده من فضل محبة الله

(١٤ / ٣٧٣) ضعيف : رواه أبو داود (١٤٩٨)، والترمذي (٣٥٦٢) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٢).
(١٥ / ٣٧٤) صحيح : رواه البخاري (١١٩٤) .

Marfat.com

ورسوله ﷺ وأن الإنسان إذا أحب قومًا كان منهم. قال النبي ﷺ: «المرء مع من أحب».

قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذا الحديث، فأنا أحب الله ورسوله، أحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر، فالمرء مع من أحب؛ لأنه إذا أحب قومًا فإنه يألفهم، ويتقرب منهم، ويتخلق بأخلاقهم، ويقتدى بأفعالهم، كما هي طبيعة البشر.

وأما حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أراد أن يعتمر فقال له النبي ﷺ: «لا تنسنا من دعائك أو أشركنا في دعائك»، فهذا حديث ضعيف وإن صححه المؤلف، فإن المؤلف ـ رحمه الله ـ له منهجه الذي منه أنه إذا كان الحديث في فضائل الأعمال فإنه يتساهل في الحكم عليه والعمل به.

وهذا وإن كان يصدر عن حسن نية، لكن الواجب اتباع الحق؛ فالصحيح صحيح، والضعيف ضعيف، وفضائل الأعمال تدرك بغير تصحيح الأحاديث الضعيفة.

نعم أمر النبي عليه الصلاة والسلام من رأى أويسًا القرني أو القَرَني أن يطلب منه الدعاء، لكن هذا خاص به؛ لأنه كان رجلاً بارًا بأمه، وأراد الله سبحانه وتعالى أن يرفع ذكره في هذه الدنيا قبل جزاء الآخرة.

ولهذا لم يأمر النبي عليه الصلاة والسلام بأن يطلب أحدٌ من أحدٍ أن يدعو له، مع أن هناك من هو أفضل من أويس؛ فأبو بكر أفضل من أويس بلا شك، وغيره من الصحابة أفضل منه من حيث الصُّحبة، وما أمر النبي عليه الصلاة والسلام أحدًا أن يطلب الدعاء من أحد.

فالصواب أنه لا ينبغي أن يطلب أحدٌ الدعاء من غيره، ولو كان رجلاً صالحًا، وذلك لأن هذا ليس من هدي النبي ﷺ ولا من هدي خلفائه الراشدين، أما إذا كان الدعاء عامًا، يعني تريد أن تطلب من هذا الرجل الصالح أن يدعو بدعاء عام، كأن تطلب منه أن يدعو الله تعالى بالغيث أو برفع الفتن عن الناس أو ما أشبه ذلك، فلا بأس؛ لأن هذا لمصلحة غيرك، كما لو سألت المال للفقير، فإنك لا تُلام على هذا ولا تُذم.

وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام فإن سؤال الصحابة له من خصوصياته، يسألونه أن يدعو الله لهم، كما قال الرجل حين حدث النبي ﷺ عن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقام عكاشة بن محصن قال: ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال: «أنت منهم» ثم قام رجل آخر فقال ﷺ: «سبقك بها عكاشة»(١).

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢١٨).

Marfat.com

وكما قالت المرأة التي كانت تُصرع ، حيث طلبت من النبي ﷺ أن يدعو الله لها، فقال: «**إن شئت دعوتُ الله لك وإن شئت صبرت ولك الجنة**»[1] فقالت: أصبر ولكن ادع الله ألا تنكشف عورتي.

فالحاصل أن الرسول عليه الصلاة والسلام من خصوصياته أن يُسأل الدعاء، أما غيره فلا.

نعم لو أراد الإنسان أن يسأل من غيره الدعاء وقصده مصلحة الغير، يعني يُريد أن الله يثبت هذا الرجل على دعوته لأخيه، أو أن الله تعالى يستجيب دعوته؛ لأنه إذا دعا الإنسان لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله، فالأعمال بالنيات، هذا ما نوى ذلك لمصلحة نفسه خاصة بل لمصلحة أخيه الذي طلب منه الدعاء، فالأعمال بالنيات.

أما المصلحة الخاصة فهذا كما قال الشافعي ـ رحمه الله ـ يدخل في المسألة المذمومة، وقد بايع النبي ﷺ أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئًا.

* * *

(١) سبق تخريجه.

Marfat.com

٤٦ - باب فضل الحب فى الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمه

قال الله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح:٢٩) إلى آخر السورة ، وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ (الحشر:٩) .

[١/ ٣٧٥] ــ وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ : أنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أحبَّ إليْه ممَّا سواهُما ، وَأنْ يُحبَّ المَرْءَ لا يُحبُّهُ إلا للّه ، وأنْ يَكْرَهَ أنْ يَعُودَ فى الكُفْر بَعْدَ أنْ أنْقذهُ اللّهُ منْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أن يُقْذَفَ فى النَّارِ » متفقٌ عليه .

[٢/ ٣٧٦]ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « سَبْعَةٌ يُظلُّهُمُ اللّهُ فى ظلّه يَوْمَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ : إمَامٌ عَادلٌ ، وَشَابٌ نَشأ فى عبادَة الله عزَّ وَجَلَّ ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ معلَّقٌ بالمَسَاجد ، وَرَجُلانَ تَحَابَّا فى الله اجْتَمعاَ عَلَيْه ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْه ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرأةٌ ذَاتُ حُسْن وَجَمَال ، فقال : إنِّى أخافُ الله ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بصَدَقَة ؛ فأخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شمَالُهُ ما تُنْفقُ يَمينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللّه خَالياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » متفقٌ عليه .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب فضل الحب في الله والبغض فيه، وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وما يقول له إذا أعلمه).

هذه أربعة أمور، بين المؤلف ـ رحمه الله ـ الأدلة عليها.

فذكر ـ رحمه ـ قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩]. محمد رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هم أصحابه ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ ، أقوياء على الكفار، ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ يعني يرحم بعضها بعضًا.

﴿تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾ [الفتح:٢٩]. يعنى تنظر إليهم في حال الصلاة تجدهم ركعًا سُجدًا خضوعًا لله عز وجل وتقربًا إليه، لا يريدون شيئًا من

(١/ ٣٧٥) صحيح : رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
(٢/ ٣٧٦) صحيح: رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

Marfat.com

الدنيا، ولكنهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، فضلاً من الله: هو الثواب، والرضوان: هو رضا الله عنهم.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩]. يعني علامتهم في وجوههم من أثر السجود وهذه «السيما» هي نور الوجه. نور وجوههم من سجودهم لله عز وجل، وليست العلامة التي تكون في الجبهة، هذه العلامة ربما تكون دليلاً على كثرة السجود، ولكن العلامة الحقيقية هي نور الوجه.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ﴾ يعني ذلك صفتهم في التوراة، فإن الله سبحانه وتعالى نوه بهذه الأمة وبرسولها ﷺ وذكر صفاتهم في التوراة والإنجيل، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧].

﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ يعني مثلهم كمثل الزرع ﴿أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ يعني الغصن الثاني غير الغصن الأم ﴿فَآزَرَهُ﴾ يعني شدده وقواه. ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ قام وعانق الأصل، ﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾ يعني أهل الخبرة والزرع يُعجبهم مثل هذا الزرع القوي، إذا كان له شطأ مؤازراً له، مقوّ له.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي يغيظ الله بهم الكفار من بني آدم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾، مغفرة للذنوب وأجراً عظيمًا على الحسنات.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر:٩] هؤلاء الأنصار ـ رضي الله عنهم ـ وأرضاهم، ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ المدينة، أي سكنوها ﴿وَالإِيمَانَ﴾ حققوا الإيمان ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ من قبل المهاجرين، وحققوا الإيمان من قبل أن يهاجر إليهم المؤمنون؛ لأن الإيمان دخل في المدينة قبل الهجرة، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لأنهم إخوانهم ولهذا لما هاجروا آخى النبي ﷺ بينهم. أي جعلهم إخوانًا، حتى إن الواحد من الأنصار كان يتنازل عن نصف ماله لأخيه المهاجري، ﴿وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر:٩]. يعني لا يجدون في صدورهم حسدًا مما أوتي المهاجرون من الفضل والولاية والنصرة لرسول الله ﷺ.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر:٩] أي يقدمون غيرهم على أنفسهم ﴿وَلَوْ كَانَ

Marfat.com

بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]. أي ولو كانوا جياعًا، فإنهم كانوا يُجيعون أنفسهم ليشبع إخوانهم المهاجرون ـ رضي الله عنهم ـ وأرضاهم. ﴿ومن يوق شحَّ نفْسه فأولئك هم المفلِحونَ﴾ [الحشر:٩]. يعني من يقيه الله شح نفسه، ويكون كريمًا، يبسط المال ويبذل، ويحب أخاه، فأولئك هم المفلحون.

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من بعد هؤلاء وهم التابعون إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] .هؤلاء الذين جاءوا من بعدهم هم تبع لهم، قد رضي الله عنهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وهذه الآيات الثلاث ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ آيات تبين من يستحق الفيء من بيت المال، والذين يستحقون الفيء هم هؤلاء الأصناف الثلاثة، منهم الذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان.

سئل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ : هل يُعطى الرافضة من الفيء؟ قال: لا يُعطون الفيء لأن الرافضة لا يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان؛ لأن الرافضة يرون الصحابة إلا نفرًا قليلاً يرونهم كلهم كفارًا والعياذ بالله، حتى أبو بكر وعمر ، يرون أنهما كافران، وأنهما ماتا على النفاق، وأنهما ارتدا بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام. نسأل الله العافية. ولهذا قال الإمام مالك: لا يستحقون من الفيء شيئًا؛ لأنهم لايقولون : ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولكن يخصون الرحمة والمغفرة أو سؤال المغفرة والرحمة لمن يرون أنهم لم يرتدوا، وهو نفر قليل من آل البيت واثنان أو ثلاثة أو عشرة من غيرهم. فالشاهد من هذه الآية قوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]. يعني من المؤمنين ، وهذا حب فى الله ، وإلا فإن الأنصار من الأوس والخزرج ، ليس بينهم وبين المهاجرين نسب، ليسوا من قريش، لكن الأخوة الإيمانية هي التي جمعت بينهم وصاروا إخوانًا لهم، والأخوة الإيمانية هي أوثق عرى الإيمان، وأثق عُرى الإيمان هي الحب في الله والبغض في الله. ثم ذكر المؤلف حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان» «من كن فيه»** يعني من اتصف بهن **«وجد بهن»** من كل حلاوة، حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شيء، يجد انشراحًا في صدره، رغبة في الخير، حبًا لأهل الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها بعد أن حرمها.

Marfat.com

«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» وهنا قال: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولم يقل: ثم رسوله؛ لأن محبة الرسول عليه الصلاة والسلام هنا تابعة ونابعة من محبة الله سبحانه وتعالى.

فالإنسان يُحب الرسول بقدر ما يحب الله، كلما كان الله أحب، كان للرسول ﷺ أحب.

لكن مع الأسف أن بعض الناس يحب الرسول مع الله ولا يحب الرسول لله.

انتبهوا لهذا الفرق، يحب الرسول مع الله ولا يحب الرسول لله، كيف؟ تجده يحب الرسول أكثر من محبته لله، وهذا نوع من الشرك، أنت تحب الرسول لله؛ لأنه رسول الله والمحبة في الأصل والأم محبة الله عز وجل، لكن هؤلاء الذين غلوا في الرسول ﷺ، يحبون الرسول مع الله لا يحبونه لله، أي يجعلونه شريكًا لله في المحبة، بل يحبه أعظم من محبة الله، تجده إذا ذكر الرسول ﷺ اقشعر جلده من المحبة والتعظيم، لكن إذا ذكر الله إذا هو بارد لا يتأثر.

هل هذه محبة نافعة للإنسان؟ لا تنفعه، هذه محبة شركية، عليك أن تُحب الله ورسوله، وأن تكون محبتك للرسول ﷺ نابعة من محبة الله وتابعة لمحبة الله، **«أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله»** هذا الشاهد تُحب المرء لا تحبه إلا لله، لا تُحبه لقرابة، ولا لمال، ولا لجاه، ولا لشيء من الدنيا إنما تُحبه لله.

أما محبة القرابة فهي محبة طبيعية، كل يحب قريبه محبة طبيعية، حتى البهائم تُحب أولادها، تجد الأم من البهائم والحشرات تحب أولادها حتى يكبروا ويستقلوا بأنفسهم، ثم تبدأ في طردهم.

وإذا كان عندك هرة انظر إليها كيف تحنو على أولادها وتحملهم في أيام البرد، تُدخلهم في الدفء، وتُمسكهم بأسنانها، لكن لا تؤثر فيهم شيئًا؛ لأنها تُمسكهم إمساك رحمة، حتى إذا فُطموا واستقلوا بأنفسهم، بدأت تطردهم، فالله يلقي في قلبها الرحمة ما داموا محتاجين إليها، ثم بعد ذلك يكونون مثل غيرهم.

فالشاهد أن محبة القرابة طبيعية، لكن إذا كان قريبك من عباد الله الصالحين، فأحببته فوق المحبة الطبيعية فأنت أحببته لله، **«أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار»** يعني يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه.

وهذه ظاهرة فيمن كان كافرًا ثم أسلم لكن من ولد في الإسلام فيكره أن يكون في

Marfat.com

الكفر بعد أن من الله عليه بالإسلام كما يكره أن يُقذف في النار، يعني أنه لو قُذف في النار لكان أهون عليه من أن يعود كافرًا بعد إسلامه، وهذا والحمد لله حال كثير من المؤمنين، كثير من المؤمنين لو قيل له: تكفر أو نُلقيك من أعلى شاهق في البلد أو نحرقك لقال: احرقوني، ألقوني من أعلى شاهق ولا أرتد بعد إسلامي.

والمراد الردة الحقيقية التي تكون في القلب، أما من أكره على الكفر فكفر ظاهرًا لا باطنًا، بل قلبه مطمئن بالإيمان، فهذا لا يضره لقوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ [النحل:١٠٦، ١٠٧]. لما قيل لهم: نقتلكم أو اكفروا، فباعوا الآخرة بالدنيا، وكفروا ليبقوا، فاستحبوا الدنيا على الآخرة، وأن الله لا يهدي القوم الكافرين، نسأل الله لنا ولكم الهداية.

«وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«سبعة يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»** فهؤلاء سبعة وليس المراد بالسبعة العدد، يعني أنهم سبعة أنفار فقط، ولكنهم سبعة أصناف؛ لأنهم قد يكونون عددًا لا يحصيهم إلا الله عز وجل.

ونحن لا نتكلم على ما ساق المؤلف الحديث من أجله؛ لأن هذا سبق لنا وقد شرحناه فيما مضى، ولكن نتكلم على مسألة ضل فيها كثير من الجهال، وهي قوله: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»** حيث توهموا جهلاً منهم أن هذا هو ظل الله نفسه، وأن الله تعالى يُظلهم من الشمس بذاته عز وجل، وهذا فهم خاطئ منكر، يقوله بعض المتعالين الذين يقولون: إن مذهب أهل السنة إجراء النصوص على ظاهرها فيُقال أين الظاهر! وكيف يكون ظاهر الحديث وأن الرب جل وعلا يُظلهم من الشمس!.

فإن هذا يقتضي أن تكون الشمس فوق الله عز وجل، وهذا شيء منكر لا أحد يقول به من أهل السنة، لكن مُشكلات الناس ولا سيما في هذا العصر؛ أن الإنسان إذا فهم لم يعرف التطبيق، وإذا فهم مسألة ظن أنه أحاط بكل شيء علمًا.

Marfat.com

والواجب على الإنسان أن يعرف قدر نفسه، وألا يتكلم - لا سيما في باب الصفات - إلا بما يعلم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام الأئمة.

فمعنى «يوم لا ظل إلا ظله»، أو: «يُظلهم الله في ظله» يعني الظل الذي لا يقدر أحد عليه في ذلك الوقت؛ لأنه في ذلك الوقت لا بناء يُبني، ولا شجر يُغرس، ولا رمالٌ تقام ولا أحجار تصفف، ولا شيء من هذا. قال الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧].

ولا يُظل الخلائق من الشمس شيء، لا بناء، ولا شجر، ولا حجر، ولا غير ذلك، لكن الله عز وجل يخلق شيئًا يُظل به من شاء من عباده، يوم لا ظل إلا ظله، هذا هو معنى الحديث، ولا يجوز أن يكون له معنى سوى هذا.

والشاهد من الحديث لهذا الباب قوله: «رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» يعني أنهما جرت بينهما محبة، لكنها محبة في الله، لا في مال، ولا جاه، ولا نسب، ولا أي شيء، إنما هو محبة الله عز وجل، رآه قائمًا بطاعة الله، متجنبًا لمحارم الله، فأحبه من أجل ذلك، فهذا هو الذي يدخل في هذا الحديث: «تحابا في الله».

وقوله: «اجتمعا عليه وتفرقا عليه» يعني اجتمعا عليه في الدنيا وبقيت المحبة بينهما حتى فرق بينهما الموت تفرقًا وهما على ذلك.

وفي هذا: إشارة إلى أن المتحابين في الله لا يقطع محبتهم في الله شيء من أمور الدنيا، وإنما هم متحابون في الله لا يفرقهم إلا الموت، حتى لو أن بعضهم أخطأ على بعض، أو قصر في حق بعض، فإن هذا لا يهمهم؛ لأنه إنما أحبه الله عز وجل، ولكنه يصحح خطأه ويبين تقصيره؛ لأن هذا من تمام النصيحة فنسأل الله أن يجعلنا والمسلمين من المتحابين فيه، المتعاونين على البر والتقوى إنه جواد كريم.

* * *

[٣/ ٣٧٧] - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ يَوْمَ القيامَة: أيْنَ المُتحابُّونَ بِجَلالي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي» رواه مسلم.

[٤/ ٣٧٨] - وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والَّذي نَفْسي بِيَده، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تؤْمِنُوا، ولَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أوَلا أدُلُّكُمْ عَلى شَيْءٍ إذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلامَ بينكم» رواه مسلم.

(٣/ ٣٧٧) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٤/ ٣٧٨) صحيح: رواه مسلم (٥٤) أبو داود (٥١٩٣) الترمذي (٢٦٨٨) ابن ماجه (٦٨).

Marfat.com

[٥/ ٣٧٩] ـ وعنه عن النبى ﷺ: «أنَّ رَجُلاً زَارَ أخاً لَهُ فى قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأرْصَدَ اللَّهُ لَهُ على مَدْرَجَتِه مَلَكاً» وذكر الحديث إلى قوله: «إنَّ اللَّه قَدْ أحبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيه» رواه مسلم. وقد سبق بالباب قَبله.

[٦/ ٣٨٠] ـ وعن البَرَاء بن عَازِب رضى اللَّه عنهما عن النبى ﷺ أنه قال فى الأنْصارِ: «لا يُحِبُّهُمْ إلا مُؤمِنٌ، ولا يُبْغِضُهُمْ إلا مُنَافِقٌ، مَنْ أحَبَّهُمْ أحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أبْغَضَهُمْ أبْغَضَهُ اللَّه» متفقٌ عليه.

[٧/ ٣٨١] ـ وعن مُعاذ رضى اللَّه عنه قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «قَالَ اللَّهُ عزَّ وَجَلَّ: المُتَحَابُّونَ فى جَلالى، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاءُ». رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

[٨/ ٣٨٢] ـ وعن أبى إدريس الخَوْلانى رَحمَهُ اللَّه قال: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دمشقَ، فَإذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإذَا النَّاسُ مَعهُ، فإذَا اخْتَلَفوا فى شىءٍ أسْنَدُوهُ إلَيْه، وَصَدَرُوا عَنْ رأيه، فَسألْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هذا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضى اللَّهُ عنه، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغد، هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنى بالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّى، فَانْتَظَرْتُهُ حتى قَضَى صَلاتَهُ، ثم جِئْتُهُ مِن قبلِ وَجْهه، فَسَلَّمْتُ عليه، ثُمَّ قلتُ: واللَّه إنّى لأُحبُّكَ للَّه، فقال: آللَّه؟ فَقُلْتُ: اللَّه، فقال: آللَّه؟ فَقُلْتُ: اللَّه، فأخَذَنى بحَبْوَة ردَائِى، فَجَبَذَنى إلَيه، فَقَالَ: أبْشِرْ، فَإنِّى سَمِعْتُ رسولَ اللَّه ﷺ يَقُول: «قال اللَّه تعالى: وَجَبتَ مَحبتى للمُتَحَابِّينَ فِىَّ، والمُتَجَالِسِينَ فِىَّ، والمُتَزَاورينَ فِىَّ، والمُتَبَاذِلينَ فِىَّ» حديث صحيح رواه مالك فى المَوطأ بإسناده الصَّحيحِ. قَوْلُهُ: «هَجَّرْتُ»: أىْ بَكَّرْتُ، وَهُوَ بتشديد الجيم. قوله: «آللَّه؟ فَقُلْتُ: اللَّه»: الأوَّلُ بهمزة ممدودة للاستفهام، والثانى بلا مدٍّ.

[٩/ ٣٨٣] ـ عن أبى كَرِيمَةَ المِقْدَاد بن مَعْدِيكَرِبَ رضى اللَّهُ عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا أحَبَّ الرَّجُلُ أخَاهُ، فَلْيُخْبِرْهُ أنَّهُ يُحِبُّهُ» رواه أبو داود، والترمذى وقال: حديث حسنٌ.

[١٠/ ٣٨٤] ـ وعن مُعَاذ رضى اللَّه عنه، أنَّ رسول اللَّه ﷺ، أخَذَ بِيَدِه وقال: «يا مُعَاذُ، واللَّهِ لأحِبُّكَ، ثُمَّ أوصِيكَ. يا مُعَاذُ، لا تَدَعَنَّ فى دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أعِنِّى عَلى ذِكْرِكَ

(٥/ ٣٧٩) صحيح: رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٦/ ٣٨٠) صحيح: رواه البخارى (٣٧٨٣) مسلم (٧٥).

(٧/ ٣٩١) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٩٠) وصححه الألبانى فى المشكاة (٥٠١١).

(٨/ ٣٨٢) صحيح: رواه مالك في الموطأ (٥١ ـ كتاب الشعر ـ ص ٧٢٦/ ح ١٦) وقال الألباني في المشكاة (٥٠١١): «إسناده صحيح».

(٩/ ٣٨٣) صحيح: رواه أبو داود (٥١٢٤)، وصححه في صحيح الأدب المفرد (٤٢١)، والصحيحة برقم (٤١٧).

(١٠/ ٣٨٤) صحيح: رواه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي في الكبرى (٩٩٣٧). وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٢٣٦).

Marfat.com

وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ».

حديث صحيح، رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

[١١/ ٣٨٥] ـ وعن أنس، رضي الله عنه، أنَّ رَجُلاً كَانَ عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ، فَمَرَّ رَجُلٌ به، فَقَالَ: يا رسولَ الله، إنِّي لأُحبُّ هذا، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «أَأَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لا. قَالَ: «أعْلِمْهُ»، فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إنِّي أُحِبُّكَ في اللهِ، فقالَ: أحَبَّكَ الذِي أحْبَبْتَنِي لَهُ. رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

الشرح

هذه الأحاديث كلها في بيان المحبة وأن الإنسان ينبغي له أن يكون حبه لله وفي الله، وفي هذا الحديث الذي ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ حيث قال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»**

ففي هذا: دليل على أن المحبة من كمال الإيمان، وأنه لا يكمل إيمان العبد حتى يُحب أخاه، وأن من أسباب المحبة أن يُفشي الإنسان السلام بين إخوانه، أي يُظهره ويُعلنه، ويُسلم على من لقيه من المؤمنين، سواء عرفه أو لم يعرفه فإن هذا من أسباب المحبة، ولذلك إذا مر بك رجل وسلم عليك أحببته، وإذا أعرض كرهته ولو كان أقرب الناس إليك.

فالذي يجب على الإنسان؛ أن يسعى لكل سبب يوجب المودة والمحبة بين المسلمين؛ لأنه ليس من المعقول ولا من العادة أن يتعاون الإنسان مع شخص لا يحبه، ولا يمكن التعاون على الخير والتعاون على البر والتقوى إلا بالمحبة، ولهذا كانت المحبة في الله من كمال الإيمان.

وفي حديث معاذ رضي الله عنه إخبار النبي ﷺ أنه يحبه، وقوله لأنس لما قال له: إني أحب هذا الرجل: قال له: «أأعلمته» فدل هذا على أنه من السنة إذا أحببت شخصًا أن تقول: إني أحبك، وذلك لما في هذه الكلمة من إلقاء المحبة في قلبه؛ لأن الإنسان إذا علم

(١١ / ٣٨٥) حسن: رواه أبو داود (٥١٢٥) وقال الألباني في المشكاة (٥٠١٧): سنده حسن، وحسنه في صحيح أبي داود (٤٢٧٤).

Marfat.com

أنك تُحبه أحبك مع أن القلوب لها تعارف وتآلف وإن لم تنطق الألسن.

وكما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[١] لكن إذا قال الإنسان بلسانه فإن هذا يزيده محبة في القلب فتقول: إني أحبك في الله.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «**لا تدعن أن تقول في دبر كل صلاة**» يعني في آخر كل صلاة؛ لأن دبر الشيء من الشيء كدبر الحيوان، وقد ورد هذا الحديث بلفظ واضح يدل على أن الإنسان يقولها قبل أن يسلم فيقول قبل السلام: «**اللهم أعني على ذكرك وعلى شكرك وعلى حسن عبادتك**».

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٩٣) ومسلم (٢٦٣٨).

Marfat.com

أحب إلى الله من حج التطوع، كلٌّ ما كان أوجب إلى الله فهو أحب إلى الله عز وجل.

«وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه».

وفي هذا: إشارة إلى أن من أسباب محبة الله أن تكثر من النوافل ومن التطوع، نوافل الصلاة، نوافل الصدقة، نوافل الصوم، نوافل الحج، وغير ذلك من النوافل.

فلا يزال العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يُحبه الله، فإذا أحبه الله كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سأله ليعطينه، ولئن استعاذه ليُعيذنه.

«كنت سمعه» يعني أنني أسدده في سمعه، فلا يسمع إلا ما يُرضي الله، **«وبصره»** أسدده في بصره، فلا يُبصر إلا ما يحب الله، **«ويده التي يبطش بها»** فلا يعمل بيده إلا ما يُرضي الله، **«ورجله التي يمشي بها»** فلا يمشي برجله إلا لما يُرضي الله عز وجل، فيكون مُسددًا في أقواله وفي أفعاله.

«ولئن سألني لأعطينه» هذه من ثمرات النوافل ومحبة الله عز وجل؛ أنه إذا سأل الله أعطاه، **«ولئن استعاذني»** يعني استجار بي مما يخاف من شره **«لأعيذنه»** فهذه من علامة محبة الله؛ أن يسدد الإنسان في أقواله وأفعاله، فإذا سُدِّد دل ذلك على أن الله يُحبه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وذكر أيضًا أحاديث أخرى في بيان محبة الله عز وجل، وأن الله تعالى إذا أحب شخصًا نادى جبريل، وجبريل أشرف الملائكة، كما أن محمدًا ﷺ أشرف البشر.

«نادى جبريل إني أحب فلانًا فأحبه، فيُحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيُحبه أهل السماء، ثم يُوضع لها القبول في الأرض» فيُحبه أهل الأرض.

وإذا أبغض الله أحدًا - والعياذ بالله - نادى جبريل: **إني أبغض فلانًا فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يبُغض فلانًا فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء، ثم يوضع له البغضاء في الأرض** والعياذ بالله، فيبغضه أهل الأرض ، وهذا أيضًا من علامات محبة الله؛ أن يوضع للإنسان القبول في الأرض، بأن يكون مقبولاً لدى الناس، محبوبًا إليهم، فإن هذا من علامات محبة الله تعالى للعبد. نسأل الله تعالى أن يجعلنا والمسلمين من أحبابه وأوليائه.

* * *

Marfat.com

٤٨ ـ باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ (الأحزاب:٥٨) ، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ . وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ﴾ (الضحى:٩، ١٠) .

وأما الأحاديث : فكثيرة منها :

حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الباب قبل هذا : « مَنْ عَادَى لِى وَلِيًا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ » .

ومنها حديث سعد بن أبي وقاص ، رضى الله عنه السابق فى « باب ملاطفة اليتيم » وقوله ﷺ : « يا أَبَا بَكْرٍ ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُم ، لَقَدْ أغضَبْتَ رَبَّكَ » .

[١/ ٣٨٩] ـ وعن جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مَن صَلَّى صَلاةَ الصُّبحِ ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّه ، فَلا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّته بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ ، يُدْرِكْهُ ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » رواه مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب التحذير من إيذاء المسلمين والضعفاء والمساكين) ونحوهم، ثم ساق المؤلف قول الله تعالى: ﴿ والَّذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكْتسبوا فقد احْتملوا بهْتانًا وإثْمًا مُبينًا ﴾ .

والأذية : هي أن تُحاول أن تُوذي الشخص بما يتألم منه قلبيًا، أو بما يتألم منه بدنيًا؛ سواء كان ذلك بالسب، أو بالشتم، أو باختلاق الأشياء عليه، أو بمحاولة حسده، أو غير ذلك من الأشياء التي يتأذى بها المسلم. وهذا كله حرام لأن الله سبحانه وتعالى بين أن الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقدا احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا. وفهم من الآية الكريمة أن من آذى المؤمنين بما اكتسبوا فإنه ليس عليه شيء، مثل إقامة الحد على المجرم، وتغريم الظالم، وما أشبه ذلك. فهذا وإن كان فيه أذية، لكنها بكسبه، فقد قال الله تعالى: ﴿ الزَّانيةُ والزَّاني فاجْلدوا كلَّ واحد منْهما مائة جلْدة ولا تأْخذْكم بهما رأفةٌ في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوْم الآخر ولْيشْهد عذابهما طائفةٌ من المؤْمنين ﴾ [النور: ٢].

ولا حرج في أن يؤذي الإنسان شخصًا بسبب كسبه هو وجنايته على نفسه، فإن ذلك لا يؤثر عليه شيئًا.

(١/ ٣٨٩) صحيح: تقدم برقم (٢٣٣).

Marfat.com

ثم أشار المؤلف إلى أحاديث تدل علي التحذير من أذية المؤمنين، ومنها ما سبق من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه أن الله قال: **«من عادي لي وليًا فقد آذنته بالحرب»** فالذي يُعادي أحدًا من أولياء الله فإن الله تعالى يُعلن عليه الحرب، ومن كان حربًا لله تعالى فهو خاسر بلا شك.

قال أهل العلم: وأنواع الأذى كثيرة، منها أن يؤذي جاره، ومنها أن يؤذي صاحبه، ومنها أن يؤذي من كان معه في عمل من الأعمال - وإن لم يكن بينهم صداقة - بالمضايقة وما أشبه ذلك، وكل هذا حرام والواجب على المسلم الحذر منه.

* * *

Marfat.com

٤٩ - باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى

قال الله تعالى : ﴿ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ (التوبة:٥) .

[١/ ٣٩٠] ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسولَ الله ﷺ قال :« أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أنْ لا إله إلا اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً رسولُ الله ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ، ويُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذلكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّ الإِسْلام ،وحِسَابُهُمْ عَلَى الله تعالى » متفقٌ عليه .

[٢/ ٣٩١] ـ وعن أبى عبد الله طَارق بن أُشَيْم ، رضى الله عنه ، قال : سمعتُ رَسُول الله ﷺ يقولُ : « مَن قال : لا إله إلاَ اللهُ ، وكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله ، حَرُمَ مَالُهُ ودَمُهُ ، وحِسَابُهُ عَلَى الله تعالى » رواه مسلم .

[٣/ ٣٩٢] ـ وعن أبى مَعْبَد المقدَاد بن الأسْوَد ، رضى الله عنه قال ، قلت لرسُول الله ﷺ : أرأيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلاً مِنَ الْكُفَّار ، فَاقْتَتَلْنَا ، فَضَرَبَ إحْدَى يَدَىَّ بالسَّيْف ، فَقَطَعَها ، ثُمَّ لاذَ مِنِّى بشَجَرَة ، فقال : أَسْلَمْتُ لله ، أأقْتُلُهُ يا رسُولَ الله بَعْدَ أنْ قالها ؟ فَقَالَ: « لا تَقْتُلْهُ » فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله ، قَطَعَ إحْدَى يَدَىَّ ، ثُمَّ قال ذلك بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟! فقال : « لا تَقْتُلْهُ ، فَإنْ قَتَلْتَهُ ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَته قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التى قال » متفق عليه .

ومعنى « أَنَّهُ بِمَنْزِلتكَ » أى : مَعْصُومُ الدَّمِ مَحْكُومٌ بإسْلامه ، ومعنى « أَنَّكَ بِمَنْزِلَته» أى : مُبَاحُ الدَّمِ بِالْقِصَاصِ لِوَرَثَته ، لا أَنَّهُ بِمَنْزِلَته فى الكُفْرِ ؛ والله أعلم .

[٤/ ٣٩٣] ـ وعن أُسامَةَ بن زَيد ، رضى الله عنهما ، قال : بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ إلى الحُرَقَة مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ عَلَى مِيَاههمْ ، وَلَحقْتُ أنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأنصار رَجُلاً مِنْهُمْ ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قال : لا إلَهَ إلا اللهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ الأنصارِىُّ ، وطَعَنْتُهُ برُمحى حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدمْنَا المدينَةَ ، بَلَغَ ذلك النَّبىَّ ﷺ فقال لى : « يا أُسَامَةُ ، اقتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لا إله إلا اللهُ ؟! » فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَىَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّى لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلك اليومِ. متفقٌ عليه .

(١/ ٣٩٠) صحيح رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).
(٢/ ٣٩١) رواه مسلم (٢٣).
(٣/ ٣٩٢) صحيح رواه البخاري (٦٨٦٥)، ومسلم (٩٥).
(٤/ ٣٩٣) صحيح رواه البخاري (٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦).

Marfat.com

وفي روايـة : فـقـالَ رسـولُ الله ﷺ : « أقَالَ : لا إلهَ إلا الله وقَتَلْتَهُ ؟ ! » قلتُ : يا رسولَ الله ، إنَّماَ قَالها خَوْفاً منَ السِّلاحِ ، قال : « أفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حتَّى تَعْلَمَ أقَالَها أمْ لا ؟ ! » فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حتَّى تَمنَّيْتُ أنِّي أسْلَمْتُ يَوْمئذ .

« الحُرَقَةُ » بضم الحاء المهلمة وفتح الراء : بَطنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ القَبيلَةِ المَعْرُوفَةِ ، وقوله: « مُتَعَوِّذاً » أيْ : مُعْتَصِماً بِهاَ مِنَ القَتْلِ لا مُعْتَقِداً لَها .

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب حمل الناس على ظواهرهم، وأن يكل الإنسان سرائرهم إلى الله عز وجل).

اعلم أن العبرة في الدنيا بما في الظواهر، اللسان والجوارح، وأن العبرة في الآخرة بما في السرائر بالقلب.

فالإنسان يوم القيامة يُحاسب على ما في قلبه، وفي الدنيا على ما في لسانه وجوارحه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٨، ٩]. تختبر السرائر والقلوب، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩ ـ ١١].

فاحرص يا أخي على طهارة قلبك قبل طهارة جوارحك، كم من إنسان يُصلي، ويصوم، ويتصدق، ويحج، لكن قلبه فاسد.

وها هم الخوارج حدث عنهم النبي عليه الصلاة والسلام، أنهم يصلون، ويصومون، ويتصدقون، ويقرءون القرآن، ويقومون الليل، ويبكون، ويتهجدون، ويحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم، لكن قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«لا يجاوز إيمانهم حناجرهم»**(١) لا يدخل الإيمان قلوبهم.

مع أنهم صالحو الظواهر، لكن ما نفعهم، فلا تغتر بصلاح جوارحك، وانظر قبل كل شيء إلى قلبك، أسأل الله أن يصلح قلبي وقلوبكم، فإن أهم شيء هو القلب.

رُفع رجل إلى الرسول عليه الصلاة والسلام قد شرب الخمر، فجلده، ثم رفع إليه مرة أخرى فجلده، فسبه رجل من الصحابة، وقال: لعنه الله، ما أكثر ما يؤتي به الرسول عليه الصلاة والسلام.

---

(١) : رواه البخاري (٦٩٣٠).

Marfat.com

فقال له الرسول ﷺ : «لا تلعنه؛ فإنه يحب الله ورسوله»(١) فالأصل فيه أنه مسلم، وفي قلبه محبة الله ورسوله، فالأصل هو القلب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

أما في الدنيا بالنسبة لنا مع غيرنا، فالواجب إجراء الناس على ظواهرهم؛ لأننا لا نعلم الغيب، ولا نعلم ما في القلوب، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنما أقضي بنحو ما أسمع»(٢).

ولسنا مكلفين بأن نبحث عما في قلوب الناس، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. يعني المشركين إن تابو وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة؛ فخلوا سبيلهم وأمرهم إلى الله، إن الله غفور رحيم.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما : «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويُقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم، وحسابهم على الله».

وبذلك يكون العمل بالظواهر؛ فإذا شهد إنسان أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة، عُصم دمه وماله، وحسابه على الله؛ فليس لنا إلا الظاهر.

وكذلك أيضًا من قال لا إله إلا الله حرم دمه وماله، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام.

ثم ذكر المؤلف حديثين عجيبين فيهما قصتان عجيبتان.

الأول: حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه، قال يا رسول الله، إن لقيتُ رجلاً من المشركين، فقابلته، فضربني بالسيف حتى قطع يدي، ثم لاذ مني بشجرة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله. أفأقتله؟

قال: «لا تقتله» وهو مشرك قطع يد رجل مُسلم، ولاذ بالشجرة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله. قال: أأقتله؟

قال: «لا تقتله» فإن قتلته فأنت مثله قبل أن يقول هذه الكلمة، يعني تكون كافراً.

مع العلم بأني أنا وأنتم، نظن أن هذا الرجل قال: أشهد أن لا إله إلا الله خوفًا من

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٧٨٠).
(٢) سبق تخريجه.

Marfat.com

القتل، ومع ذلك يقول: لا تقتله، فعصم دمه وماله.

وفي هذا الحديث أيضًا: دليل على أن ما أتلفه الكفار من أموال المسلمين وما جنوه على المسلمين غير مضمون، يعني الكافر لو أتلف شيئًا للمسلمين، أو قتل نفسًا لا يضمن إذا أسلم، فالإسلام يمحو ما قبله.

القصة الثانية: بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد في سرية إلى الحُرَقة من جهينة، فلما وصلوا إلى القوم وغشوهم، هرب من المشركين رجل، فلحقه أسامة ورجل من الأنصار يتبعانه يريدان قتله، فلما أدركاه قال: لا إله إلا الله، أما الأنصاري فكان أفقه من أسامة، فكف عنه، تركه لما قال: لا إله إلا الله، وأما أسامة فقتله.

فلما رجعوا إلى المدينة، وبلغ ذلك النبي ﷺ قال لأسامة: **«أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله»**. قال: نعم يا رسول الله؛ إنما قال ذلك يتعوذ من القتل، يستجير بها من القتل، قال: **«أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله»** قال: نعم، قالها يتعوذ من القتل، كرر ذلك عليه، حتى قال له في رواية لمسلم: **«ما تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءتك يوم القيامة»**.

يقول أسامة رضي الله عنه: حتى تمنيتُ أي لم أكن أسلمت قبل هذا اليوم؛ لأنه لو كان كافرًا ثم أسلم عفا الله عنه، لكن الآن فعل هذا الفعل وهو مسلم، فهذا مُشكل جدًا على أسامة.

والرسول ﷺ يكرر: **«أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله»**. **«ما تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءتك يوم القيامة؟»**. مع العلم بأن الذي يغلب على الظن ما فهمه أسامة؛ أنه قالها متعوذًا من القتل، يستجير بها من القتل، لكن مع ذلك إذا قال لا إله إلا الله انتهى الأمر ويجب الكف عنه، ويُعصم بذلك دمه وماله، وإن كان قالها متعوذًا أو قالها نفاقًا حسابه على الله.

فهذا: دليل على أننا نحمل الناس في الدنيا على ظواهرهم، أما ما في القلوب فموعده يوم القيامة، تنكشف السرائر، ويحصل ما في الضمائر، ولهذا علينا أيها الأخوة أن نطهر قلوبنا قبل كل شيء ثم جوارحنا.

أما بالنسبة لمعاملتنا لغيرنا، فعلينا أن نعامل غيرنا بالظاهر، واسمع إلى قول الرسول ﷺ: **«إنكم تختصمون إلي»** يعني تخاصمون مخاصمات بينكم **«ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»** يعني افصح وأقوى دعوى **«فأقضي له بنحو ما أسمع، فمن اقتطعت له من حق أخيه شيئًا فإنما أقتطع له جمرة من نار، فليستقل أو ليستكثر»** (١).

---

(١) سبق تخريجه.

Marfat.com

فحمل النبي عليه الصلاة والسلام الأمر في الخصومة على الظاهر لكن وراءك النار إذا كنت كاذبًا في دعواك وأنك أخذت القاضي بلسانك وبشهادة الزور فإنما يقتطع لك جمرة من النار، فاستقل أو استكثر! وخلاصة ما تقدم أن الإنسان يعامل في الدنيا على الظاهر وأما يوم القيامة فعلى الباطن.

فعلينا نحن أن نعامل غيرنـا بما يظهر لنا من حاله، وأمره إلى الله، وعلينا نحـن أنفسنا أن نطهر قلوبنا، لا يكون فيها شيء؛ لا يكون فيها بلاء، كبر، حقد، حسد، شرك، شك، نسأل الله أن يُعيذنا من هذه الأخلاق، فإن هذا خطير جدًا.

نسأل الله أن يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال، لا يهدي لأحسنها إلا هو وأن يجنبنا سيئات الأخلاق والأعمال، لا يجنبنا إياها إلا هو.

* * *

[٥/ ٣٩٤]ــ وعن جُنْدُب بنِ عبد الله ، رضى الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثاً مِنَ الْمُسْلِمينَ إلى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكينَ ، وَأَنَّهُمُ الْتَقَوْا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكينَ إذا شاءَ أنْ يَقْصِدَ إلى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلمينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ ، وأنَّ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلمينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، وكُنَّا نَتَحدَّثُ أنَّهُ أُسامَةُ بْنُ زَيْد ، فَلَمَّا رفَعَ السَّيْفَ ، قال : لا إلهَ إلا اللهُ، فَقَتَلَهُ، فَجاءَ الْبَشيرُ إلى رسول الله ﷺ ، فَسَأَلَهُ ، وَأَخْبَرَهُ ، حَتَّى أخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُل كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فقال : « لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ » فَقَالَ : يا رسولَ الله ، أَوْجَعَ فى الْمُسْلمينَ ، وَقَتَل فُلاناً وفُلاناً ــ وسمَّى له نَفَراً ــ وإنِّى حَمَلْتُ عَلَيْه ، فَلَمَّا رأى السَّيْفَ قال : لا إله إلا اللهُ، قال رسول الله ﷺ : « أقَتَلْتَهُ ؟ » قالَ : نَعَمْ ، قالَ : « **فَكَيْفَ تَصنَعُ بلا إلهَ إلا اللهُ، إذا جاءَت يَوْمَ القيامَة** ؟ » قالَ : يا رسولَ الله ، اسْتَغفِرْ لِى . قال : « **فَكَيْفَ تَصنَعُ بلا إلهَ إلا اللهُ ، إذا جاءَت يَوْمَ القيامَة** ؟ » فَجعَلَ لا يَزيدُ عَلى أنْ يَقولَ : « **فَكَيْفَ تَصنَعُ بلا إلهَ إلا اللهُ ، إذا جاءَت يَوْمَ القيامَة** ؟ » رواه مسلم .

[٦/ ٣٩٥]ــ **وعن عبد الله بن عُتْبَة بن مسعُود قال : سَمعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّاب ، رضى الله عنه ، يقولُ : إنَّ نَاساً كَانُوا يُؤْخَذُونَ بالوَحْى فى عَهْد رسول الله ﷺ وإنَّ الوَحْى قَد انقَطَعَ ، وإنَّما نَأخُذُكُمُ الآنَ بمَا ظَهَرَ لَنَا منْ أعْمَالكُمْ ، فَمَنْ أظهرَ لَنا خَيْراً، أمنَّاهُ وقَرَّبْنَاهُ ، ولَيْس لَنَا مِنْ سَرِيرَته شَىْءٌ ، اللهُ يُحَاسبُهُ فى سَرِيرَته ، وَمَنْ أظْهرَ لنا سُوءاً، لَمْ نَأمَنْهُ ، ولَمْ**

(٥/ ٣٩٤) صحيح : رواه مسلم (٩٧) . (٦/ ٣٩٥) صحيح: رواه البخاري (٢٦٤١).

Marfat.com

نُصَدِّقْهُ وإنْ قالَ: إنَّ سَرِيرَتَه حَسَنَةٌ. رواه البخاري.

الشرح

قال المؤلف فيما نقله عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من رواية عبد الله بن عتبة بن مسعود؛ عمه عبد الله بن مسعود ـ الصحابي الجليل رضي الله عنه؛ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إنا نعلم» يعني عمن أسر سيريرة باطلة في وقت الوحي بما ينزل من الوحي؛ لأن أناسًا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا مُنافقين، يظهرون الخير ويُبطنون الشر، ولكن الله تعالى كان يفضحهم بما ينزل من الوحي على رسوله ﷺ، يفضحهم لا بأسمائهم، ولكن بأوصافهم التي تُحدد أعيانهم.

والحكمة من ذكرهم بالأوصاف دون الأعيان؛ أن ذلك يكون للعموم، يعني لكل من اتصف بهذه الصفات، مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: ٥٨].

ومثل قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾ [التوبة: ٧٩].

وهذا كثير في سورة التوبة التي سماها بعض السلف: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين.

لكن لما انقطع الوحي صار الناس لا يعلمون من المنافق؛ لأن النفاق في القلب والعياذ بالله.

يقول رضي الله عنه: من أظهر لنا خيرًا أخذناه بما أظهر لنا، وإن أسر سريرة ـ يعنى سيئة ـ، ومن أظهر لنا شرًا، فإننا نأخذه بشره ولو أضمر ضميرةً طيبة؛ لأننا نحن لا نُكلف إلا بالظاهر، وهذا من نعمة الله سبحانه وتعالى علينا؛ ألا نحكم إلا بالظاهر؛ لأن الحكم على الباطن من الأمور الشاقة، والله عز وجل لا يُكلف نفسًا إلا وسعها.

فمن أبدى خيرًا عاملناه بخيره الذي أبداه لنا، ومن أبدى شرًا عاملناه بشره الذي أبداه لنا، وليس لنا من نيته مسئولية، النية موكولة إلى رب العالمين عز وجل، الذي يعلم ما توسوس به نفس الإنسان.

* * *

Marfat.com

٥٠ ـ باب الخوف

قال الله تعالى: ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ (البقرة:٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ (البروج:١٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ . وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ . يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ . فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴾ (هود:١٠٢:١٠٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ (آل عمران:٢٨) وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ (عبس:٣٤:٣٧) ،وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج: ١،٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن:٤٦) الآيات ، وقال تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ . فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ . إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور:٢٥:٢٨) ، والآيات في الباب كثيرة جداً معلوماتٌ ، والغرضُ الإشارةُ إلى بعضها وقد حَصَلَ .

وأما الأحاديث : فكثيرةٌ جداً ، فنذكرُ منها طَرَفاً وبالله التوفيقُ .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ (باب الخوف)، الخوف ممن؟ الخوف من الله عز وجل؛ لأن الذي يعبد الله يجب أن يكون خائفًا راجيًا، إن نظر إلى ذنوبه وكثرة أعماله السيئة خاف، إن نظر إلى أعماله الصالحة وأنه قد يشوبها شيء من العُجب والإدلال على الله خاف، إن نظر إلى أعماله الصالحة وأنه قد ينالها شيء من الرياء خاف ، وإن نظر إلى عفو الله، ومغفرته، وكرمه، وحلمه، ورحمته، رجاء؛ فيكون دائر بين الخوف والرجاء.

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا ﴾ يعني يُعطون ما أعطوا من الأعمال الصالحة ﴿ وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ خائفة الا تقبل منهم ﴿ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

فينبغي بل يجب أن يكون سير الإنسان إلى الله عز وجل دائرًا بين الخوف والرجاء، لكن أيهما يغلب؟ هل يغلب الرجاء؟ أو يغلب الخوف؟ أو يجعلهما سواء؟

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ: ينبغي أن يكون خوفه ورجاءه واحدًا، فأيهما غلب هلك صاحبه؛ لأنه إن غلب جانب الرجاء صار من الآمنين من عذاب الله، وإن غلب جانب

Marfat.com

الخوف صار من القانطين من رحمة الله، وكلاهما سيئ، فينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدًا.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات في سياق باب الخوف، سبق بعضها ، ومنها قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران:٢٨]. يعني أن الله عز وجل يحذرنا من نفسه أن يُعاقبنا على معاصينا وذنوبنا، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج:١، ٢].

هذا أيضًا فيه أن الإنسان يجب أن يخاف هذا اليوم العظيم، الذي قال الله عنه: ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ﴾ يعني من شدة ما ترى من الأهوال ومن الأفزاع.

﴿ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ ﴾ [الحج:٢]. يعني مشدوهين، ليس عندهم عقول، ولكنهم ليسوا بسكارى. ﴿ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴾ وسبق الكلام عليها.

وقال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٤٦]. إلى آخر السورة، أي: من خاف المقام بين يدي الله عز وجل، فإنه سوف يقوم بطاعته، ويخشى عقابه، فله جنتان، وفي أثناء الآيات يقول: ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن:٦٢]. فهذه أربع جنات لمن خاف مقام الله عز وجل، ولكن الناس فيها على درجات . نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين من أهلها بمنه وكرمه.

* * *

[١/ ٣٩٦] ـ عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : حدثنا رسولُ اللهِ ﷺ ، وهو الصَّادقُ المصدوقُ : « إنَّ أحدَكُمْ يُجمَعُ خَلْقُهُ فى بَطنِ أُمِّه أرْبَعين يَوْماً نُطفَةً ، ثُمَّ يكُونُ عَلَقَةً مثْلَ ذلكَ ، ثُمَّ يكُونُ مُضْغَةً مثْلَ ذلكَ ، ثُم يُرْسَلُ المَلَكُ ، فَيَنْفُخُ فيه الرُّوحَ ، ويُؤمَرُ بأرْبَعِ كَلمَاتٍ : بكَتْبِ رزْقه ، وأجَله ، وعَمَله ، وشَقىٌّ أوْ سَعيد ، فوَالَّذى لا إلـهَ غَيْرُهُ ، إنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّة ،حتَّى مَا يَكُونُ بيْنَهُ وبيْنَهَا إلا ذراعٌ ، فَيَسْبقُ عَلَيْه الكتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وإنَّ أحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ النَّارِ ، حتَّى مَا يَكُونُ بيْنَهُ

(١/ ٣٩٦) صحيح : رواه البخارى (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

Marfat.com

وبَيْنَهَا إلا ذِراعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » متفقٌ عليه .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب الخوف والتحذير من الأمن من مكر الله، قال فيما نقله عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: « إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطنِ أُمِّهِ أرْبَعين يَوْمًا نطفةً ، ثُمَّ يكُونُ علَقَة مثلَ ذلكَ ، ثُمَّ يكونُ مُضْغَةً مثْلَ ذلكَ ، ثُم يُرْسلُ المَلَكُ ، فَيَنفُخُ فيه الروحَ ، ويُؤمَرُ بأربَع كلمَاتٍ : بكَتْب رزْقه ، وأجله ، وعَمَله ، وشَقيٌّ أوْ سَعيد ، فـوالَّذي لا إلـهَ غَيْرُهُ ، إنَّ أحَدَكُمْ ليَعْمَلُ بعمَلِ أهْلِ الجنَّة ،حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وبَيْنَهَا إلا ذراعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكتَابُ، فَيَعْمَلُ بعمَلِ أهْلِ النَّار ، فَيَدْخُلُهَا ، وإنَّ أحدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعمَلِ أهْلِ النَّار ، حتَّى مَا يكُونُ بيْنَهُ وبيْنَهَا إلا ذراعٌ ، فَيَسْبِقُ علَيْهِ الكتَابُ فَيَعْمَلُ بعمَلِ أهْلِ الجَنَّة فيَدْخُلُهَا ».

قوله رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق ، يعني الصادق فيما يقول ، والمصدوق فيما يوحى إليه من الوحي، وفيما يُقال له من الوحي، فهو صادق لا يُخبر إلا بالصدق، مصدوق لا ينبأ إلا بالصدق صلوات الله وسلامه عليه.

وإنما قدم هذه المقدمة؛ لأنه سيخبر عن أمر غيبي باطن يحدث في ظلمات ثلاث: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة» إذا جامع الرجل امرأته، وألقى في رحمها الماء بقي أربعين يومًا وهو نطفة على ما هو عليه ماء، لكنه يتغير شيئًا فشيئًا يميل إلي الحُمرة، حتى يتم عليه أربعون يومًا.

فإذا تم عليه أربعون يومًا، إذا هو قد استكمل الحُمرة وصار قطعة دم علقة، فيمضي عليه أربعون يومًا أخرى وهو علقة، يعني قطعة دم، لكنها جامدة، ولكنه يثخن ويغلظ شيئًا فشيئًا، حتى يتم له ثمانون يومًا.

فإذا تم له ثمانون يومًا فإذا هو مضغة قطعة لحم، هذه المضغة قال الله تعالي فيها: ﴿مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]. فتبقى أربعين يوما، تخلق من واحد وثمانين يومًا إلى مائة وعشرين يومًا، ولا يتبين فيها الخلق تبينًا ظاهرًا إلا إذا تم لها تسعون يومًا في الغالب.

فإذا مضى عليها أربعون يومًا وهي مضغة، أرسل الله إليها الملك الموكل بالأرحام؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. فالملائكة جنود الله عز وجل، وكل منهم موكل بشيء؛ منهم الموكل بالأرحام، ومنهم الموكل بالنفوس يقبضها، ومنهم الموكل بالأعمال يكتبها، ومنهم الموكل بالأبدان يحفظها، وظائف عظيمة للملائكة أمرهم الله عز وجل بها.

Marfat.com

فيأتي ملك الأرحام إلى كل رحم، فينفخ فيه الروح بإذن الله عز وجل ، وهذه الروح أمر لا يعلمه إلا رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥]. ينفخها في هذا البدن، الذي هو قطعة لحم في الرحم، ليس فيها حراك ولا إحساس ولا شيء، فإذا نفخ هذه الروح دخلت في هذا البدن، فتسير فيه كما تسير الجمرة في الفحمة بإذن الله، أو الطين في المدر اليابس، فتدب في هذا الجسد حتى تدخل في الجسد كله، فيكون إنسانًا، ويتحرك، وتحس الأم بتحركه بعد مائة وعشرين يومًا، وحينئذ يكون إنسانًا، أما قبل فهو ليس بشيء.

ولو سقط الجنين قبل تمام مائة وعشرين يومًا، فليس له حكم من جهة الصلاة عليه، بل يؤخذ ويدفن في أي حفرة من الأرض، ولا يصلي عليه.

أما إذا تم مائة وعشرين يومًا، يعني أربعة أشهر، حينئذ صار إنسانًا، فإذا سقط بعد ذلك، فإنه يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، ولو كان قدر اليد، فإنه يصلي عليه، ويدفن في مقابر المسلمين إن كان مسلمًا(١) .

وإن كان من أولاد النصارى، يعني أمه وأبوه من النصارى، فلا يدفن في مقابر المسلمين، بل يخرج ويدفن بدون تغسيل ولا تكفين؛ لأنه وإن كان طفلاً، فإن الرسول سئل عن أولاد المشركين فقال: «هم منهم»(٢) .المهم أنه إذا تم له أربعة أشهر يغسل، ويكفن ويُصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين، ويسمى، ويُعقُّ عنه على الأرجح ليشفع لوالديه يوم القيامة؛ لأنه يُبعث يوم القيامة. قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ويؤمر» يعني الملك **«بأربع كلمات؛ بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد»**.

فيكتب رزقه: وكتب الرزق يعني: هل هو قليل، أم كثير؟ ومتى يأتيه؟ وهل ينتقص أم لا ينتقص؟ المهم أنه يكتب كاملا . ويكتب أجله أيضا : فى أى يوم ، وفي أى مكان ؟ وفى أى ساعة ؟ وفى أى لحظة؟ وعن بُعد أم عن قرب؟ وبأي سبب من الأسباب موته؟ والمهم أنه يكتب كاملاً.

ويكتب عمله: هل هو صالح، أم سيء، أم نافع، أم قاصر على الشخص نفسه؟

---

(١) قال النووي في «شرح مسلم»: أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من الأطفال المسلمين فهو من أهل الجنة، لأنه ليس مكلفًا، وذكر ابن عبد البر في «التمهيد» الأحاديث والآثار الدالة على أن أطفال المسلمين في الجنة، وذكر أنه إجماع، وسئل الإمام أحمد عن أطفال المسلمين فقال: هو يرجي لأبيه، كيف يشك فيه، إنما اختلفوا في أطفال المشركين.

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٠١٢) ومسلم (١٧٤٥).

Marfat.com

والمهم يكتب كل أعماله.

ويكتب مآله: وما أدرك مال المآل! فيكتب هل هو شقي أم سعيد [illegible] النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا [illegible] فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ [illegible] شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٦ـ١٠٨].

كل هذا يكتب، لكن أين يكتب؟ وردت آثار أنه يكتب في جبينه على جبهته. فإن قال قائل: كيف تتسع الجبهة لكتابة هذه الأشياء كلها؟

قلنا: لا تسأل عن أمور الغيب، ومن أنت حتى تسأل عن أمور الغيب؟ قل: آمنت بالله وصدقت بالله وبرسوله، ولا تسأل : كيف.

وقد وقع الآن في وقتنا ما يشهد لمثل هذا كمبيوتر قدر اليد يكتب به الإنسان آلاف الكلمات، وهو من صنع البشر. فما بالك بصنع الله عز وجل!

والمهم أن هذا من المسائل التي يُخبر بها الرسول عليه الصلاة والسلام وأنت لا تدركها بحسك، فإن الواجب عليك أن تُصدق وتُسلم؛ لأنك لو تُصدق وتُسلم إلا بما تدركه بحسك، لم تكن مؤمنًا، وما كنت مؤمنًا بالغيب، فالذي يُومن بالغيب هو الذي يقبل كل ما جاء عن الله ورسوله، ويقول: آمنت بالله ورسوله وصدقت.

قال: «**فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها**». ولكن أبشروا فإن هذا الحديث مُقيد، بأنه يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وأما الذي يعمل بعمل أهل الجنة بقلبٍ وإخلاص فإن الله لا يخذله عز وجل، والله أكرم من العبد، فإذا عملت بعمل أهل الجنة بإخلاص ـ نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين منهم ـ فإن الله لا يخذُلك، لكن فيما يبدوا للناس.

والدليل على هذا القيد ما ثبت في «صحيح البخاري» أن رجلاً كان مع النبي في غزوة، وكان شُجاعًا مقدامًا، لا يترك للعدو شاذة ولا فاذة إلا قضى عليها، فتعجب الناس منه؛ ومن شجاعته، من إقدامه، فقال النبي ﷺ ذات يوم: «إنه من أهل النار» أعوذ بالله، هذا الشجاع الذي يفتك بالعدو من أهل النار؟ فكبر ذلك على المسلمين وعظم عليهم، وخافوا، كيف يصير هذا من أهل النار؟.

فقال رجل: والله لألزمنه أتابعه وأراقبه لأرى نهايته كيف تكون فمشى معه، وفي أثناء

Marfat.com

القتال أصاب هذا الرجل الشجاع السهم فجزع ، فأخذ بسيفه فسله، فوضعه في صدره، واتكأ عليه حتى خرج من ظهره، قتل نفسه جزعًا، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله قال: «ويم؟» قال: الرجل الذي قلت: إنه من أهل النار حصل له كذا وكذا.

فقال النبي ﷺ : «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**» الحمد لله على هذا القيد، يعمل فيما يبدو للناس بعمل أهل الجنة وهو من أهل النار، يظنون أنه صالح، ولكن في قلبه فساد، وهو من أهل النار[١] .

قال في حديث ابن مسعود: «**وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلى ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**» هذا عكس الأول.

الأول: وجدنا له شاهدًا في الواقع وهي قصة هذا الرجل.

وهذا أيضًا له شاهد في الواقع، يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها، وقع هذا في عهد الرسول ﷺ ، رجل يُقال له الأُصيرِم من بني عبد الأشهل، كافر منابذ للدعوة الإلهية ضد المسلمين، فلما كان في غزوة أحد، وخرج الناس من المدينة يغزون ، ألقى الله في قلبه الإسلام، فأسلم، وخرج يجاهد.

فلما حصل ما حصل على المسلمين، وقتل منهم من قتل، وذهب الناس ينظرون في قتلاهم، فوجدوا الأصيرم، فقال له قومه: ما الذي جاء بك؛ فقد عهدناك ضد هذه الدعوة، أحَدبٌ على قومك ـ يعني عصبية ـ أم رغبة في الإسلام؟

قال: بل رغبة في الإسلام، وأقرءوا الرسول ﷺ مني السلام، وأخبروه أني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ثم مات، فأخبروا بذلك النبي ﷺ وأظنه قال: «**إنه من أهل الجنة**»[٢] .

فهذا الرجل أمضى عمره كله في الكفر، ضد الإسلام، وضد المسلمين، وكان خاتمته هذه الخاتمة، عمل بعمل أهل النار، حتى لم يكن بينه وبينها إلا ذراع، فسبق عليه الكتاب، فعمل بعمل أهل الجنة، فكان من أهل الجنة.

ساق المؤلف هذا الحديث من أجل أن نخاف وأن نرجو، نخاف على أنفسنا من الفتنة،

---

(١) انظر البخاري (٢٨٩٨) ومسلم (١١٢).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٥٣٧) وأحمد (٥/ ٤٢٨) وحسنه الألباني.

Marfat.com

ولهذا ينبغي للإنسان أن يسأل الله دائمًا الثبات: اللهم ثبتني بالقول الثابت، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **«اللهم مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك، اللهم مصرف القلوب، صرف قلبي إلى طاعتك»**(١) . هذا وهو النبي ﷺ .

وأيضًا نأخذ من هذا الحديث: أن لا نيأس، ولا نيأس من شخص نجده على الكفر أو على الفسق، ربما يهديه الله في آخر لحظة ، ويموت على الإسلام. نسأل الله أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يتوفنا على الإيمان بمنه وكرمه.

* * *

[٢/ ٣٩٧] ــ وعنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا » رواه مسلم .

[٣/ ٣٩٨] ــ وعن النُّعْمَان بن بَشِير ، رضى الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « إنَّ أهونَ أهْلِ النَّار عذَاباً يوْمَ القيامَة لَرَجُلٌ يُوضَعُ فى أخْمَص قَدَمَيْه جمْرتَان يَغْلى منْهُما دماغُهُ ، ما يَرَى أنَّ أحَداً أشَدُّ منه عَذَاباً ، وإنَّهُ لأهْونُهُمْ عذَاباً » متفق عليه .

[٤/ ٣٩٩] ــ وعن سَمُرَةَ بن جُنْدُب ، رضى الله عنه ، أن نبىَّ الله ﷺ قال : «منهُمْ مَنْ تَأخُذُه النَّارُ إلى كَعْبَيْه ، ومنهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إلى رُكْبَتَيْه ، ومنهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إلى حُجْزَتِه ، ومنهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إلى تَرْقُوَته » رواه مسلم .

« الحُجْزَةُ » : مَعْقدُ الإزَار تحتَ السُّرَّة ، و « التَّرْقُوَةُ » بفتح التاء وضم القاف : هِىَ العَظْمُ الذى عِنْدَ ثُغْرَة النَّحْرِ ، وللإنسانِ تَرْقُوتَانِ فى جَانِبَى النَّحْرِ .

[٥/ ٤٠٠] ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالمينَ حَتَّى يَغيبَ أحَدُهُمْ فى رَشْحِهِ إلى أنْصاف أُذُنَيْه » متفقٌ عليه .

و « الرَّشْحُ » : العَرَقُ .

[٦/ ٤٠١] ــ وعن أنس ، رضى الله عنه ، قال : خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ خُطْبَةً ما

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٤).

(٢/ ٣٩٧) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٢).

(٣/ ٣٩٨) صحيح: رواه البخاري (٦٥٦٢) ، ومسلم (٢١٣).

(٤/ ٣٩٩) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٥).

(٥/ ٤٠٠) صحيح: رواه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

(٦/ ٤٠١) صحيح: رواه البخاري (٤٦٢١)، (١١/ ٦٤٨٦)، ومسلم (٢٣٥٩).

Marfat.com

سَمِعتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، فقال : « لَوْ تَعلَمُونَ مَا أعْلَمُ لَضَحِكْتُم قَليلاً ولَبَكَيْتُمْ كثيراً » فَغَطَّى أصْحَابُ رسول الله ﷺ وجُوهَهُمْ ، وَلَهُم خَنِينٌ . متفقٌ عليه .

وفي رواية : بَلَغَ رسولَ الله ﷺ عَنْ أصْحَابه شيءٌ فَخَطَبَ ، فقال : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَلَمْ أرَ كَاليوْمِ فى الخَيْرِ وَالشَّرِّ ، ولَوْ تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قَليلاً، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيراً » فَمَا أتَى عَلَى أصْحَابِ رسول الله ﷺ يَومٌ أشَدُّ مِنْهُ ، غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ .

« الخَنِينُ » بالخَاءِ المعجمة : هُوَ البُكَاءُ مَعَ غُنَّة وانْتِشاقِ الصَّوْتِ مِنَ الأنْفِ .

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ كلها أحاديث تفيد الخوف من يوم القيامة ومن عذاب النار، فذكر أحاديث منها:

أنه يؤتى يوم القيامة بجهنم، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها، وهذا يدل على عظمة هذه النار ـ نسأل الله أن يُعيذنا والمسلمين منها، ومن هول ذلك اليوم ـ لأن الله تعالى جعل سبعين ألف ملك مع كل زمام من سبعين ألف زمام يجرون بها جهنم والعياذ بالله، فهذا العدد الكبير من الملائكة يدل على أن الأمر عظيم والخطر جسيم.

وبين النبي ﷺ أن أهون أهل النار عذابًا، من يوضع في قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه، وهو يرى أنه أشد الناس عذابًا والعياذ بالله، فحينئذ يتضجر ويزداد بلاء ـ والعياذ بالله ـ ومرضًا نفسيًا، ولذلك ذكر النبي ﷺ هذا الحديث تحذيراً لأمته من عذاب النار.

وذكر أيضًا أن من الناس من تبلغ النار إلى كعبيه وإلى ركبتيه وإلى حُجْزته.

وذكر أيضًا أن الناس في يوم القيامة يبلغ العرق منهم إلى الكعبين، وإلى الركبتين، والحقوين، ومن الناس من يُلجمه العرق.

فالأمر خطير، فيجب علينا جميعًا أن نحذر من أهوال هذا اليوم، وأن نخاف الله سبحانه وتعالى، فنقوم بما أوجب علينا، وندع ما حرم علينا. نسأل الله أن يُعيننا والمسلمين على ذلك بمنه وكرمه.

* * *

Marfat.com

[٧/ ٤٠٢] ـ وعن المقداد، رضى الله عَنْهُ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ : «تُدْنَى الشَّمس يُومَ القيَامَة منَ الخَلْق حَتَّى تكُونَ منهُمْ كَمقْدَار ميل » قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامر الرَّاوى عَنْ المقْدَاد : فَوالله مَا أَدْرى ما يَعْنى بالميل ، أمَسَافَةَ الأرض أم الميلَ الَّذى تُكْتَحَلُ به العيْنُ « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْر أعْمَالهمْ فى العَرَق ، فَمنهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى كَعْبَيْه ، ومنهُم مَنْ يكونُ إلى رُكْبَتَيْه ، وَمنهُمْ مَنْ يَكُونُ إلى حَقْوَيْه ، وَمنْهُمْ مَنْ يُلْجمهُ العَرَقُ إلجاماً» وَأشَارَ رسولُ الله ﷺ بيده إلى فيه . رواه مسلم .

[٨/ ٤٠٣] ـ وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فى الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعاً ، ويُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذانَهمُ » متفقٌ عليه .

ومعنى « يَذْهَبُ فى الأرضِ » : يَنْزل ويغوص .

[٩/ ٤٠٤] ـ وعنه قال : كنـا مع رسول الله ﷺ ، إذْ سَمِعَ وَجْبَةً فقال : « هَـلْ تَدْرُونَ ما هذا ؟ » قُلْنَا : الله وَرَسُولُهُ أعْلَمُ . قال : « هذا حَجَرٌ رُمِىَ به فى النَّار مُنْذُ سَبْعين خَرِيفاً ، فَهُوَ يَهْوِى فى النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهى إلى قَعْرِهَا ، فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا » رواه مسلم .

[١٠/ ٤٠٥] ـ وعن عَدىٍّ بن حَاتم ، رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ: «مَا منْكُمْ منْ أحَد إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيس بَيْنَهُ وَبيْنَهُ تَرْجُمَان ، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ منْهُ ، فَلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، ويَنْظُرُ أشْأمَ منْهُ ، فَلا يرى إلا مَا قدَّمَ ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْه ، فَلا يَرَى إلا النَّارَ تلْقَاءَ وَجْهه ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بشقِّ تَمْرَة » متفقٌ عليه .

[١١/ ٤٠٦] ـ وعن أبى ذرٍّ ، رضى الله عنه ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «إنِّى أرَى مَا لا تَرَوْنَ ؛ أطَّت السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أنْ تَئطَّ ، مَا فيهَا مَوْضعُ أرْبع أصَابعَ إلا ومَلَكٌ وَاضعٌ جَبْهَتَهُ سَاجداً لله تَعَالى ، والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ ، لَضَحكْتُمْ قَليلاً ، ولَبَكَيْتُمْ كَثيراً، وَمَا تَلَذَّذْتُم بالنِّسَاء عَلَى الفُرُش ، وَلَخَرَجْتُمْ إلى الصُّعُدات تَجْأرُونَ إلى الله تَعَالَى » رواه

(٧/ ٤٠٢) صحيح : رواه مسلم (٢٨٦٤).

(٨/ ٤٠٣) صحيح : رواه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

(٩/ ٤٠٤) صحيح : رواه مسلم (٨٤٤).

(١٠ / ٤٠٥) صحيح : رواه البخاري (١٤١٣)، ومسلم (١٠١٦)..

(١١ / ٤٠٦) حسن: أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وقال : حديث حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٧٨) ، والصحيحة برقم (١٧٢٢).

Marfat.com

الترمذى وقال : حديثٌ حسنٌ .وَ « أطَّتْ » بفتح الهمزة وتشديد الطاء ، وَ « تئِطُّ » بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة ، والأطيطُ : صوْتُ الرَّحْلِ وَالْقتَب وَشبههما ، وَمَعْنَاهُ : أنَّ كثْرَةَ مَنْ فى السَّماء منَ المَلائكَة العَابدينَ قَدْ أثْقَلتْهَا حتَّى أطَّتْ .وَ « الصُّعُدَات » بضم الصاد والعين : الطُّرُقَاتُ . ومعنَى « تجْأرُونَ » : تَسْتغيثُونَ .

[٤٠٧/١٢] ــ وعن أبى بَرْزَةَ ــ براء ثم زايٍ ــ نَضْلَةَ بن عُبَيْد الأسْلَميِّ ، رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله ﷺ :« لا تَزُولُ قَدمَا عبْد حتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِه فيمَ أفْنَاهُ، وعَنْ علْمه فيمَ فَعلَ فيه ، وعَنْ مَاله منْ أيْنَ اكْتسَبَهُ ، وَفيمَ أنْفَقَهُ ، وَعَنْ جسْمه فيمَ أبْلاهُ» رواه الترمذى وقال : حَديثٌ حسنٌ صَحيحٌ .

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ ، كلها تدل على عظم يوم القيامة ، وأن على المؤمن أن يخاف من هذا اليوم العظيم . ذكر أحاديث فيها دنو الشمس من الخلائق بقدر ميل ، قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد : لا أدري أيريد بذلك : مسافة الأرض ، أم ميل المكحلة ، وكلاهما قريب ، وإذا كانت الشمس في أوجها في الدنيا وبعدها عنا بهذه الحرارة ، فكيف إذا كانت بهذا القرب !ولكن هذه الشمس ينجو منها من شاء الله ، فإن الله تعالى يظل أقوامًا بظله يوم لا ظل إلا ظله ، منهم من سبق ذكره وهم : السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في طاعة الله ، ورجل قلبه مُعلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه . وكذلك من أنظر معسرًا ، أو وضع عنه ،(١) المهم أن هناك أُناسًا ينجون من حر هذه الشمس ، فيظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .

وذكر أحاديث العرق ، وأن الناس يعرقون ، حتى يبلغ العرق من الأرض سبعين ذراعًا ، وحتى يلجم بعضهم إلجامًا ، وبعضهم يصلُ إلى كعبيه ، وبعضهم إلى ركبتيه ، وبعضهم إلى حقويه ، يختلف الناس حسب أعمالهم في هذا العرق . وذكر أيضًا أحاديث أخرى ، فيها التحذير من نار جنهم ، نسأل الله لنا وللمسلمين السلامة منها . والحاصل أن الإنسان إذا قرأ هذه الأحاديث وغيرها مما لم يذكره المؤلف ، فإن المؤمن يخاف ويحذر ، وليس بين الإنسان وبين هذا إلا أن ينتهي أجله في الدنيا ثم ينتقل إلى دار الجزاء ؛ لأنه ينتهي العمل . أحسن الله لنا وللمسلمين الخاتمة .

* * *

(١٢ / ٤٠٧) حسن : رواه الترمذي (٤/ ٢٤١٧) . وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٩٤٦).

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٠٧٧) مسلم (٢٩٨٣).

Marfat.com

[١٣/ ٤٠٨] ـ وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿يومئذ تُحدثُ أخْبارَهَا﴾ ثم قال: «أتَدْرُونَ مَا أخْبَارُهَا؟» قالوا: اللهُ ورَسُولُهُ أعلَمُ. قال: «فإنَّ أخْبارَهَا أنْ تَشْهَدَ عَلى كُلِّ عَبْد أوْ أمَة بِمَا عَمِلَ عَلى ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذا وَكَذا فى يَوْمِ كَذَا وكَذَا، فَهذِهِ أخْبَارُهَا» رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسنٌ.

[١٤/ ٤٠٩] ـ وعن أبى سعيد الخُدْرىِّ، رضى الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كَيْفَ أنعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ»، فَكَأنَّ ذلكَ ثَقُلَ عَلَى أصْحَابِ رسول الله ﷺ، فقال لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الوَكِيلُ» رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسنٌ. «القَرْنُ»: هُوَ الصُّورُ الذى قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ كَذَا فَسَّرَهُ رسول الله ﷺ.

[١٥/ ٤١٠] ـ وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أدْلَجَ، وَمَنْ أدْلَجَ، بَلَغَ المَنْزِلَ، ألا إنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ، ألا إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ» رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسنٌ. وَ«أدْلَجَ» بإسْكان الدَّال، ومعناه: سَارَ مِنْ أوَّلِ اللَّيْلِ، وَالمُرَادُ: التَّشْمِيرُ فى الطَّاعة. والله أعلم.

[١٦/ ٤١١] ـ وعن عائشةَ، رضى الله عنها، قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا» قُلْتُ: يا رسولَ الله، الرِّجَالُ والنِّسَاءُ جميعاً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْض!؟ قال: «يَا عائشَةُ، الأمرُ أشَدُّ من أنْ يُهِمَّهُم ذَلكَ».

وفى رواية: «الأمْرُ أهَمُّ مِن أن يَنْظُرَ بَعضُهُم إلى بَعْضٍ» متفقٌ عليه.

«غُرلاً» بضَمِّ الغَيْنِ المُعْجَمة، أى غَيْرَ مختُونينَ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب الخوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من خاف أدلج، ومن ألج بلغ المنزل» أدلج يعني مشى في الدلجة، وهي أو الليل «ومن أدلج بلغ المنزل»؛ لأنه إذا سار في أول الليل، فهو يدل على اهتمامه في المسير، وأنه جاد فيه، ومن كان كذلك بلغ المنزلة.

(١٣/ ٤٠٨) ضعيف الإسناد رواه الترمذى (٣٣٥٣) أحمد (٢/ ٣٧٤) وقال الألبانى ضعيف الإسناد.

(١٤/ ٤٠٩) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٣١) وصححه الألباني فى الصحيحين (٢٠٧٩).

(١٥/ ٤١٠) صحيح: رواه الترمذي (٢٤٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٢٢)، والصحيحة برقم (٢٣٣٥).

(١٦/ ٤١١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

Marfat.com

«ألا وإن سلعة الله غالية، ألا وإن سلعة الله الجنة». السلعة: يعني التي يعرضها الإنسان للبيع، والجنة قد عرضها الله عز وجل لعباده ليشتروها. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

فمن خاف: يعني من كان في قلبه خوف لله، عمل العمل الصالح الذي يُنجيه مما يخاف.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعتُ النبيﷺ يقول: «يُحشر الناس» يعني يجمعون يوم القيامة «حفاة» ليس لهم نعال «عراة» ليس عليهم ثياب «غرلا» غير مختونين. فالناس يخرجون من قبورهم كيوم ولدتهم أمهاتهم يعني في كمال الخلقة، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله، الرجال والنساء، يعني عراة ينظر بعضهم إلى بعض، قال: «الأمر أهم وأشد من أن يهمهم ذلك، أو من أن ينظر بعضهم إلى بعض» ، أي أن الأمر عظيم جدًا، لا ينظر أحدٌ إلى أحد﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

نسأل الله تعالى أن ينجينا والمسلمين من عذاب النار، وأن يجعلنا وإياكم ممن يخافه ويرجوه.

* * *

Marfat.com

٥١ - باب الرجاء

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ **(الزمر:٥٣)** ، **وقال تعالى :** ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ **(سبأ:١٧)** ، **وقال تعالى :** ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ **(طه:٤٨)** ، **وقال تعالى :** ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ **(الأعراف:١٥٦)** .

[١/ ٤١٢] ــ وعن عُبادةَ بن الصامت ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ شَهدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عيسى عَبْدُ الله وَرَسُولُهُ ، وكَلِمَتُهُ أَلْقاها إلى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، والجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على ما كَانَ مِنَ العملِ » متفقٌ عليه .

وفى روايةٍ لمسلم : « مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْه النَّارَ » .

[٢/ ٤١٣] ــ وعن أبى ذرٍّ ، رضى اللهُ عنه ، قال : قال النبيُّ ﷺ : « يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : مَنْ جاءَ بالحَسَنَة ، فَلَهُ عَشْرُ أمْثالها أو أزيَدُ ، وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئَة ، فَجزاءُ سيِّئَة سيِّئَة مثْلُهَا أوْ أغْفرُ ، وَمَنْ تقرَّبَ منِّى شبْراً ، تَقَرَّبْتُ منهُ ذراعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ منِّى ذراعاً تَقَرَّبْتُ منه باعاً ، وَمَنْ أتَانى يَمْشى ، أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ، وَمَنْ لَقِيَنى بقُرابِ الأرْضِ خَطيئَةً لا يُشْرِكُ بى شَيْئاً ، لَقيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفرَةً » . رواه مسلم .

معنى الحديث : « مَنْ تقرَّبَ » إلَيَّ بطَاعَتى « تَقَرَّبْتُ » إليْه برَحْمَتى ، وَإنْ زاد زدْتُ ، « فَإنْ أتَانى يَمْشى » وَأسْرَعَ فى طاعَتى « أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » أىْ : صَبَبْتُ عَلَيْه الرَّحْمَةَ ، وَسَبَقْتُه بها ، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إلى المَشْىِ الكَثيرِ فى الوُصُول إلى المَقْصُود . و« قُرَابُ الأرْضِ» بضمِّ القاف ويُقَال بكسرها ، والضمُّ أصحُّ ، وأشهر ، ومعناه : ما يُقَارِبُ ملأها ، واللهُ أعلم .

[٣/ ٤١٤] ــ وعن جابر ، رضىَ اللهُ عنه ، قالَ : جاءَ أعْرَابىٌّ إلى النبىِّ ﷺ فقال : يا رَسُولَ الله ، ما المُوجِبَتَان ؟ فَقَالَ : « مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ بالله شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يَشْركُ بِهِ شَيْئا ، دَخَلَ النَّارَ » رواه مُسلم.

(١/ ٤١٢) صحيح : رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٢/ ٤١٣) صحيح : رواه مسلم (٢٦٨٧).

(٣/ ٤١٤) صحيح : رواه مسلم (٢٦٨٧).

Marfat.com

[٤/ ٤١٥] ــ وعن أنَس ، رضى الله عنهُ ، أنَّ النَّبىَّ ﷺ ، ومُعاذٌ رَديفُهُ على الرَّحْلِ قالَ : « يا مُعاذُ » قال : لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ ، قالَ : « يا مُعاذُ » قالَ : لَبَّيْكَ يا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ ، قالَ : « يَا مُعاذُ » قال : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ ، ثلاثاً ، قالَ : « ما منْ عبْد يَشْهَدُ أنْ لا إله إلا الله ، وأنَّ مُحمداً عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صدْقاً منْ قَلْبه إلا حَرَّمَهُ اللَّهُ علَى النَّار » قالَ : يَا رسُولَ الله ، أفَلا أُخْبرُ بها الناسَ فَيَسْتَبْشروا ؟ قال : « إذاً يَتَّكلُوا » فأخْبَرَ بها مُعَاذٌ عنْدَ مَوْته تأثُّماً . متفقٌ عليه .

وقوله : « تأثماً » أيْ : خَوْفاً منَ الإثم فى كَتْم هذا العلْم .

الشرح

لما ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ باب الخوف ذكر (باب الرجاء)، وكأنه ـ رحمه الله ـ يغلب جانب الخوف، أو يقول: إذا رأيت الخوف قد غلب عليك، فافتح باب الرجاء.

ثم ذكر المؤلف آيات وأحاديث؛ منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

هذه الآية نزلت في التائبين، فإن من تاب تاب الله عليه، وإن عظم ذنبه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ـ ٧٠].

فمن تاب من أي ذنب، فإن الله يتوب عليه مهما عظم ذنبه، لكن إن كانت المعصية في أمر يتعلق بالمخلوقين فلابد من إيفائهم حقهم في الدنيا قبل الآخرة، حتى تصح توبتك.

أما غير التائبين، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]. فغير التائبين إن كان عملهم كفرًا، فإنه لا يُغفر، وإن كان سوى الكفر، فإنه تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذب عليه، وإن شاء غفر له، لكن إن كان من الصغائر، فإن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر، وببعض الأعمال الصالحة.

ثم ذكر المؤلف أحاديث متعددة في هذا الباب، وكلها أحاديث تُوجب للإنسان قوة الرجاء بالله عز وجل، حتى يلاقي الإنسانُ ربه وهو يرجو رحمته، ويغلبها على جانب الخوف.

(٤/ ٤١٥) صحيح : رواه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢).

Marfat.com

وفيها أحاديث مُطلقة مقيدة بنصوص أخرى، مثل ما ذكره ـ رحمه الله ـ في أن من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئًا دخل الجنة، ومن لقيه يُشرك به شيئًا دخل النار، المراد بهذا: الشرك وكذلك الكفر؛ ككفر الجحود والاستكبار وما أشبه ذلك، فإنه داخل في الشرك الذي لا يغفر. نسأل الله أن يجعلنا ممن يرجون رحمته ويخافون عذابه.

* * *

٥/٤١٦ ــ وعَنْ أبى هريرةَ ــ أوْ أبى سعيد الخُدْرى ــ رضىَ اللهُ عنهما ــ شَكَّ الرَّاوى ، ولا يَضرُّ الشَّكُّ فى عينِ الصَّحَابىِّ : لأنهم كُلُّهُمْ عُدُولٌ ، قال : لما كانَ غزْوَةُ تَبُوكَ ، أصابَ الناسَ مَجاعَةٌ ، فقَالُوا : يا رَسُولَ الله ، لَوْ أذنتَ لَنَا فنَحرْنَا نَوَاضحنَا ، فأكلْنا وادَّهَنَّا ؟ فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « افْعَلُوا » ، فَجاءَ عُمَرُ رَضىَ الله عنهُ ، فقالَ : يا رَسُولَ الله ، إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ ، ولَكنِ ادعُهُمْ بفَضْلِ أزْوَادهِمْ ، ثُمَّ ادعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْها بالبَركَة لَعَلَّ اللهَ أنْ يجْعَلَ فى ذلكَ البَرَكَةَ ، فقَالَ رسُولُ الله ﷺ : « نَعَمْ » ، فَدعَا بنطْعٍ فَبسَطَهُ ، ثُمَّ دعَا بفَضْلِ أزْوَادهِمْ ، فَجعَلَ الرَّجُلُ يجىءُ بكَفِّ ذُرَةٍ ، ويجىءُ الآخرُ بكَفِّ تَمْرٍ ، ويجىءُ الآخرُ بِكسْرةٍ حتى اجْتَمعَ عَلَى النطْعِ منْ ذلكَ شَىءٌ يَسيرٌ ، فَدعَا رسُولُ الله ﷺ بالبَرَكَة ، ثُمَّ قالَ : « خُذُوا فى أوعيتكُمْ » فأخذُوا فى أوعيتهمْ حتى ما تركُوا فى العَسكَرِ وعاءً إلا مَلَؤوهُ وأكَلُوا حتَّى شبعُوا وفَضلَ فضلَة ، فقال رَسُولُ الله ﷺ : «أشْهَدُ أنْ لاَ إله إلا اللهُ ، وأنّى رَسُولُ الله ؛ لاَ يَلْقَى اللهَ بهما عَبْدٌ غيْرُ شاكٍّ ؛ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّة » رواه مسلم .

[٦/٤١٧] ــ وعَنْ عتْبَانَ بنِ مالك ، رضى الله عنه ، وهو ممَّنْ شهدَ بَدْراً ، قالَ : كُنْتُ أُصَلى لقَوْمى بَنى سالم ، وكَانَ يَحُولُ بَيْنى وبَيْنَهُم واد إذا جاءَت الأمْطَارُ ، فَيشُقُّ علَىَّ اجْتيَازُهُ قَبلَ مَسْجدهمْ ، فَجئتُ رَسُولَ اللّه ﷺ ، فقلتُ لـه : إنِّى أنْكرْتُ بَصرى، وإنَّ الوَادىَ الَّذى بَيْنى وبَينَ قَوْمى يَسيلُ إذا جاءَت الأمْطارُ ، فَيَشُقُّ علَىَّ اجْتيازُهُ ، فَوَددْتُ أنَّكَ تَأتى ، فَتُصَلى فى بَيْتى مكاناً أتَّخذُهُ مُصلًى ، فقال رسُول الله ﷺ : «سَأفْعَلُ»، فَغَدا علَىَّ رَسُولُ الله ، ﷺ ، وأبُو بَكرٍ ، رَضىَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهارُ، واسْتَأذَنَ رسُولُ الله ﷺ فَأذنْتُ لهُ ، فَلَمْ يَجْلسْ حتىَ قال : « أينَ تُحبُّ أنْ أُصَلىَ منْ بَيْتكَ ؟ » فَأشَرْتُ لَهُ إلى المَكانِ الَّذِى أُحبُّ أنْ يُصلىَ فيه ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَكَبَّرَ وصَفَفْنا وراءَهُ ، فَصلَّى

(٥/٤١٦) صحيح : رواه مسلم (٢٧) .

(٦/ ٤١٧) صحيح: رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

Marfat.com

رَكْعَتَيْن ، ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنا حين سَلَّمَ ، فَحَبَسْتُهُ عَلى خَزيرة تُصْنَعُ لَهُ ، فَسَمِعَ أهْلُ الدَّار أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ في بَيْتي ، فَثَابَ رِجالٌ منهم حتَّى كَثُرَ الرِّجالُ في البَيْت ، فَقَالَ رَجُلٌ : ما فَعلَ مَالكٌ لا أراهُ ! فَقَالَ رَجُلٌ : ذلكَ مُنَافِقٌ لا يُحبُّ اللّهَ ورَسُولَهُ ، فقالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : « لاَ تَقُلْ ذلكَ ، ألا تَرَاهُ قالَ : لا إله إلا اللّه يَبْتَغي بذلكَ وَجْهَ اللّه تَعالى ؟! » فَقَالَ : اللّهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمْ ، أمّا نَحْنُ فَواللّه ما نَرَى وُدَّهُ، وَلاَ حَدِيثَهُ إلا إلى المُنَافِقينَ ! فقالَ رسولُ اللّه ﷺ : « فَإنَّ اللّه قَدْ حَرَّمَ عَلى النَّار مَنْ قَالَ : لا إله إلا اللّهُ يَبْتَغي بذَلكَ وجْهَ اللّه » متفقٌ عليه.و « عتْبَان » بكسر العين المهملة ، وإسكان التاء المُثَنَّاة فَوْقُ وبَعْدَها باءٌ مُوَحَّدَةٌ . و«الخَزيرَةُ » بالخاء المُعْجَمَة ، والزَّاي : هي دَقيقٌ يُطبَخُ بِشَحْمٍ . وَقوله : « ثاب رِجالٌ » بالثَّاء المُثلَّثة ، أيْ : جَاؤوا واجْتَمَعُوا .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، وكان يؤم قومه بني سالم، وكان بينه؛ أي بين بيته وبين قومه واد يعني شعيب يجري فيه السيل.

فإذا جاء السيل شق عليه عبوره.

وأضف إلى ذلك أن بصره ضعفُ فصار يشق عليه مرتين؛ من جهة المشي، ومن جهة البصر والنظر. فجاء فأخبر النبي ﷺ بذلك، وطلب منه أن يأتي إلى بيته ليُصلي في مكان من البيت، يتخذه عتبان مُصلى يُصلي فيه، وإن لم يكن مسجداً.

فقال النبي ﷺ : «سأفعل» ثم خرج هو وأبو بكر رضي الله عنه حين اشتد النهار، وكان أبو بكر رفيقه حضرًا وسفرًا، لا يُفارقه، كثيرًا ما يكون معه، وكثيرًا ما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «جئت أنا وأبو بكر وعمر»، «ذهبت أنا وأبو بكر وعمر»، «رجعت أنا وأبو بكر وعمر»(١) .

فهما صاحباه ووزيراه ـ رضي الله عنهما ـ صاحباه في الدنيا، وصاحباه في البرزخ، وقريناه يوم القيامة، هؤلاء الثلاثة يقومون لله رب العالمين من مكان واحد، من البيت الذي دفن فيه الرسول عليه الصلاة والسلام، والذي أصبح الآن في قرار المسجد النبوي.

انظر إلى الحكمة: اختار الله عز وجل أن يكون البيت الذي دُفن فيه الرسول داخل المسجد، ليقوم هؤلاء الثلاثة يوم القيامة من وسط المسجد، مسجد النبي عليه الصلاة والسلام.

وعلى هذا لا تكره شيئًا اختاره الله، قد يختار الله شيئًا فيه مصلحة عظيمة لا تدري عنها

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٧).

Marfat.com

أنت، كره الناس أن يكون بيت الرسول الذي دفن فيه في وسط المسجد، وقالوا: هذا شبهه لعباد القبور الذين يبنون المساجد على القبور. ولكن ليس في ذلك شبهة؛ لأن المسجد لم يبن على القبر، وإنما امتد المسجد وبقي القبر في البيت مستقلاً عن المسجد، ليس فيه حجة لأي إنسان إلا رجلاً مُبطلاً، يقول كما قال إبليس: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. لكن انظر الحكمة؛ أن يكون خروجهم يوم القيامة من مكان واحد، من جوف المسجد النبوي، سبحان الله العظيم، حكمة تغيب عن كثير من الناس.

المهم أن النبي ﷺ خرج حين اشتد النهار، يعني حين ارتفعت الشمس إلى دار بني مالك، فاستأذن، فأذن له، فدخل ولم يجلس، بل قال: أين تُريد أن أُصلي؛ لأنه جاء لغرض، فأحب أن يبدأ بالغرض الذي جاء من أجله قبل أى شيء، وهذا من الحكمة، أنك إذا أردت شيئًا لاتعرج إلى غيره حتى تنتهي منه من أجل أن تضبط الوقت ويبارك لك فيه.

كثير من الناس تضيع عليه الأوقات بسبب أنه يتلقف الأشياء، وأضرب لهذا مثلا: هب أنك تريد أن تراجع مسألة من مسائل العلم فى كتاب من الكتب تقرأ الفهرس، لأجل أن تعرف أين مكان هذه المسألة، ثم تمر بك مسألة فتقول: أريد أن أطلع على هذه المسألة، ثم تطلع على الأخرى، ويفوتك المقصود الذي من أجله راجعت هذا الكتاب. لكن ابدأ أولاً بما أردت قبل أي شيء، ثم بعد ذلك ما زاد فهو فضل.

فصلى النبي ﷺ بالمكان، وصلوا معه جماعة؛ لأن هذه جماعة عارضة لا دائمة.

ثم لما فرغ من صلاته، إذا هو قد أعد له طعامًا زهيدًا، فسمع أهل الدار - الدار هو ما نسميه عندنا بالحى والحارة - سمع أهل الدار أن رسول الله ﷺ عند عتبان بن مالك. فثاب إليه أناسٌ يعني اجتمعوا يريدون أن يهتدوا بالنبي عليه الصلاة والسلام ويسمعوا من قوله، ويأخذوا من سنته، فاجتمعوا فقالوا: أين فلان، قالوا: ذاك منافق، ذاك منافق. فأنكر النبي ﷺ على من قال ذلك وقال: **«لا تقل ذلك، ألا تراه قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**.

فقال الرجل: الله ورسوله أعلم؛ لأن من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله فهو مؤمن ليس مُنافقًا، والمُنافق يقولها رياء وسمعة، لا تدخل قلبه والعياذ بالله، أما من قالها يبتغي بها وجه الله، فإنه مؤمن بها مصدق، تدخل قلبه.

ثم إن النبي ﷺ قال: **«إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله»**. فكل من قالها يبتغي وجه الله، فإن الله يحرمه على النار، لماذا؟ لأنه إذا قالها يبتغي بها وجه الله، فإنه سيقوم بمقتضاها، ويعمل بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، من أداء الواجب، وترك المحرم، والإنسان إذا أدى الواجب وترك المحرم؛ أحل الحلال، وحرم الحرام، وقام بالفرائض، واجتنب النواهي، فإن هذا من أهل الجنة، يدخل الجنة ويحرم عليه النار.

وليس في هذا الحديث دليل على أن تارك الصلاة لا يكفر؛ لأننا نعلم علم اليقين مثل

Marfat.com

الجيد. ، حبسه: يعني قال له: انتظر حتى ينتهي الطعام، ويقدمه إلى رسول الله ﷺ ، وهذا لا شك أن فيه تواضعًا من رسول الله ﷺ .

وهي من أكبر فوائد هذا الحديث، أن من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، فإن الله يحرم عليه النار «**فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**» يعني يطلب وجه الله.

ومعلوم أن الذي يقول هذا طالبًا وجه الله، فسيفعل كل شيء يقربه إلى الله، من فروض ونوافل، فلا يكون هذا دليل للكسالى والمهملين؛ يقولون: نحن نقول لا إله إلا الله نبتغي بذلك وجه الله. نقول: لو كنتم صادقين ما أهملتم العبادات الواجبة عليكم.

* * *

[٧/ ٤١٨] ــ وعن عمَر بن الخطّاب ، رضىَ اللّهُ عنه ، قال : قَدِمَ رسُولُ اللّه ﷺ بسَبْي فإذا امْرأةٌ منَ السَّبْي تسْعَى ، إذْ وَجدتْ صَبيًا فى السَّبْي أخَذَتْهُ ، فألْزَقَتْهُ ببطنها ، فأرْضَعَتْهُ ، فقال رَسُولُ اللّه ﷺ : « أتُرَوْنَ هذه المرْأةَ طَارِحةً وَلَدَهَا فى النَّارِ؟» قُلْنا : لا وَاللّه . فقَالَ : « لَلّهُ أرْحَم بعباده منْ هذه بولَدها » متّفقٌ عليه .

[٨/ ٤١٩] ــ وعن أبى هريرة ، رضىَ اللّهُ عنه ، قال : قال رسُولُ اللّه ﷺ : « لمّا خَلَقَ اللّهُ الخَلْقَ ، كَتَبَ فى كتَاب ، فَهُوَ عنْدَهُ فَوْقَ العَرْش : إنَّ رَحْمَتى تَغْلبُ غَضَبى»

وفى رواية : « غَلَبَتْ غَضَبى » وفى رواية : « سَبَقَتْ غَضَبى » متفقٌ عليه .

[٩/ ٤٢٠] ــ وعنه قال : سمعْتُ رسُولَ اللّه ، ﷺ ، يقول : « جَعَلَ اللّهُ الرَّحْمَةَ مائَةَ جُزْء ، فأمْسَكَ عندَهُ تسْعَةً وتسْعينَ ، وأنْزَلَ فى الأرْضِ جُزْءاً واحداً ، فَمنْ ذلكَ الجُزْء يَتَراحَمُ الخلائقُ حتّى تَرْفَعَ الدَّابّةُ حَافرَها عَنْ وَلَدها خَشْيَةَ أنْ تُصيبَهُ » .

وفى رواية : « إنَّ للّه تعالى مائةَ رَحْمَة أنْزَلَ منهَا رَحْمَةً وَاحدَةً بَيْنَ الجنِّ والإنْس وَالبهائم وَالهوامِّ فَبهَا يتَعاطَفُونَ ، وبهَا يتَراحمُونَ ، وبهَا تَعْطفُ الوَحْشُ عَلى وَلَدها ، وأخَّرَ اللّهُ تسْعاً وتسْعينَ رَحْمَةً يَرْحمُ بها عبادَهُ يوْمَ القيامَة » متفقٌ عليه .

ورواه مسلم أيضاً من رواية سَلْمَانَ الفَارسيّ،رضى الله عنه قال:قالَ رسُولُ اللّهﷺ: « إنَّ للّه تَعالَى مائَةَ رَحمَة،فَمنْها رَحْمَةٌ يَتَراحَمُ بهَا الخَلْقُ بيْنَهُمْ ،وتَسعٌ وتسْعُونَ ليَوم القيَامة».

(٧/ ٤١٨) صحيح: رواه البخاري (٥٩٩٩)، ومسلم (٢٧٥٤).

(٨/ ٤١٩) صحيح: رواه البخاري (٧٥٥٣ ، ٧٥٥٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٩/ ٤٢٠) صحيح: رواه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٢٧٥٢).

Marfat.com

وفى رواية :« إنَّ اللّه تعَالَى خلَقَ يوْمَ خَلَقَ السَّموات والأرْضَ مائةَ رَحْمَة كُلُّ رَحْمَة طبَاق مَا بيْنَ السَّمَاء إلى الأرْض ، فَجعَلَ منها فى الأرْض رَحْمَةً ، فبهَا تعْطفُ الوالدَةُ على ولَدهَا ، والوَحْشُ والطَّيْرُ بَعْضُهَا على بعْض ، فإذَا كان يوْمُ القيامَة ،أكْملَهَا بهَذه الرَّحْمَة».

[١٠/ ٤٢١] ــ وعنه عن النبى ، فيمَا يحكى عَن ربّه ، تبَاركَ وتَعَالى ، قال : «أذنَبَ عبْدٌ ذنباً ، فقالَ : اللّهُمَّ اغفرْ لى ذنبى ، فقالَ اللّهُ تبَاركَ وتعالى : أذْنَبَ عبدى ذنْباً ، فَعلمَ أنَّ لَهُ ربًا يَغْفرُ الذَّنْبَ ، ويَأخُذُ بالذَّنْب ، ثُمَّ عَادَ فَأذْنَبَ ، فقال : أىْ ربِّ ، اغفرْ لى ذَنبى، فقال تَبَاركَ وتَعَالى : أذنبَ عَبْدى ذَنْباً ، فَعلمَ أنَّ لهُ ربًّا يَغفرُ الذَّنبَ ، ويَأخُذُ بالذَّنب، ثُمَّ عَادَ فَأذْنَبَ ، فقالَ : أى ربِّ ، اغْفرْ لى ذَنْبى ، فقَالَ ، تبَاركَ وتَعالى: أذْنَبَ عبْدى ذنْباً ، فعَلمَ أن لَهُ ربًا يَغفرُ الذنْبَ ويَأخُذُ بالذَّنْب ، قَد غَفَرْتُ لعَبْدى فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ »متفقٌ عليه.

وقوله تعالى : « فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ » أى : مَاد دَامَ يَفعَلُ هكَذَا ، يُذنبُ ويَتُوبُ أغفرُ لَهُ، فإنَّ التَّوبَةَ تَهدمُ ما قَبْلَهَا .

[١١/ ٤٢٢] ــ وعنه قال: قال رسول اللّه : « والَّذى نَفْسى بيَده ، لَوْ لَمْ تُذْنبوا، لَذَهَبَ اللّهُ بكُمْ ، ولَجَاءَ بقَوْم يُذْنبُونَ ، فَيَسْتَغْفرُونَ اللّهَ تعالى ، فَيَغْفرُ لَهُمْ » رواه مسلم .

[١٢/ ٤٢٣] ــ وعَن أبى أيُّوبَ خَالد بْن زَيْد ، رَضىَ اللّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يقُولُ : « لَوْلا أنَّكُمْ تُذنبُون ، لَخَلَقَ اللّه خَلْقاً يُذنبُونَ ، فَيَسْتَغْفرُون فَيَغْفرُ لَهُمْ » رواهُ مُسْلم .

[١٣/ ٤٢٤] ــ وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : كُنَّا قُعُوداً مَعَ رسول اللّه ، مَعَنَا أبُو بكْر وعُمَرُ ، رضى اللّه عنهما فى نَفَر ، فَقَامَ رسول اللّه ، منْ بيْن أظْهُرنَا ، فَأبْطأ عَلَيْنَا ، فَخَشينَا أنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا ؛ فَفَزعْنَا ، فَقُمْنَا ، فَكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزعَ ، فَخَرَجتُ أبْتَغى رسولَ اللّه ﷺ، حتَّى أتيْتُ حَائطاً للأنْصَار ــ وذَكَرَ الحَديثَ بطُوله إلى قوله : فقال رسول اللّه ﷺ : « اذْهَبْ فَمَنْ لَقيتَ وَرَاءَ هذَا الحَائط يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا اللّهُ ، مُسْتَيْقناً بهَا قَلبُهُ فَبشِّرْهُ بالجَنَّة » رواه مسلم .

[١٤/ ٤٢٥]ــ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضى الله عنهما ، أن النبى

(١١/ ٤٢٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٩).

(١٢ / ٤٢٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٤٨).

(١٣ / ٤٢٤) صحيح: رواه مسلم (٣١).

(١٤ / ٤٢٥) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢).

Marfat.com

تَلا قَول اللّه عزَّ وَجلَّ فى إبراهيم ﷺ: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾(إبراهيم:٣٦) ، وَقَولَ عيسى ﷺ: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(المائدة:١١٨) ، فَرَفَعَ يَدَيْه وقال : « اللّهمَّ أُمَّتى أُمَّتى » وبَكَى، فقال اللّهُ عزَّ وَجلَّ : يَا جبريلُ اذْهَبْ إلى مَحمَّد ورَبُّكَ أعْلمُ ؛ فَسَلْه ما يُبْكيه؟ ، فَأتاهُ جبريلُ ، فأخْبَرَهُ رسولُ اللّه ﷺ بمَا قال . وَهو أعْلَمُ . فقال اللّهُ تعالى : يا جبريلُ ، اذهَب إلى مَحَمَّد فَقُل : إنَّا سَنُرضِيكَ فى أُمَّتِك وَلا نَسُوؤكَ . رواه مسلم .

الشرح

هذه الأحاديث في باب الرجاء، ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ وهي كثيرة جداً منها: أن الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الوالدة بولدها، ودليل ذلك قصة هذه المرأة التي كانت في السبي فرأت صبيًا، فأخذته وألصقته على صدرها وأرضعته فقال النبي ﷺ : «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار». قالوا: لا. قال: «فالله أرحم بعباده من هذه بولدها». وهذا من تمام رحمته سبحانه وتعالى.

وآيات ذلك كثيرة، منها: هذه النعم التي تترى علينا، وأعظمها نعمة الإسلام، فإن الله تعالى أضل عن الإسلام أممًا، وهدى عباده المؤمنين لذلك، وهي أكبر النعم.

ومنها: أن الله أرسل الرسل إلى الخلق مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس حجةٌ بعد الرسل.

وكذلك ذكر المؤلف الأحاديث التي فيها أن رحمة الله سبقت غضبه، ولهذا يعرض الله عز وجل على المذنبين أن يستغفروا ربهم، حتى يغفر لهم، ولو شاء لأهلكهم، ولم يرغبهم في التوبة.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[فاطر: ٤٥]. ولهذا قال في الحديث الذي رواه مسلم، قال: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ، فيستغفرون الله، فغفر لهم».

وهذا ترغيب في أن الإنسان إذا أذنب، فليستغفر الله، فإنه إذا استغفر الله عز وجل بنية صادقة، وقلب موقن، فإن الله تعالى يغفر له، ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣].

ومنها: أن النبي ﷺ لما تلا قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الأصنام : ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[إبراهيم: ٣٦]،

Marfat.com

وقول عيسى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]. رفع ﷺ يديه وبكى، وقال: «يا رب أمتي أمتي» فقال الله سبحانه وتعالى لجبريل: «اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك».

وقد أرضاه الله عز وجل في أمته، بأن جعل لهذه الأمة أجرها مُضاعفًا، كما جاء في الحديث الصحيح: «أن مثل هذه الأمة مع من سبقها، كمثل رجل استأجر أجراء، من أول النهار إلى الظهر، فأعطاهم على دينار دينار، وأستأجر أجراء من الظهر إلى العصر وأعطاهم علي دينار دينار، واستأجر أجراء من العصر إلى الغروب وأعطاهم على دبنارين دينارين، فاحتج الأولون وقالوا: كيف تُعطينا على دينار دينار ونحن أكثر منهم عملاً وتعطي هؤلاء على دينارين دينارين. فقال لهم الذي استأجرهم: هل ظلمتكم شيئًا؟ قالوا: لا»[1]. إذا لا لوم عليه في ذلك؛ ففضل الله على هذه الأمة كثير.

وقد أرضاه الله في أمته ـ ولله الحمد ـ من عدة وجوه منها كثرة الأجر، وأنهم الآخرون السابقون يوم القيامة، وأنها فضلت بفضائل كثيرة، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «أعطيت خمسًا لم يُعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأُحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي».

فهذه الخصائص له ولأمته عليه الصلاة والسلام. فالحاصل أن هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ كلها أحاديث رجاء، تحملُ الإنسان علي أن يعمل العمل الصالح، يرجو بذلك ثواب الله ومغفرته.

* * *

[١٥/ ٤٢٦]ــ وعن مُعاذ بن جَبَل ، رضى الله عنه ، قال : كُنتُ رِدْفَ النبىّ ، ﷺ، على حمار فقال : « يا مُعاذ ، هَل تَدرى مَا حَقُّ الله عَلى عباده ، ومَا حَقُّ العباد عَلى الله ؟ » قلت : اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَم . قال : « فَإنّ حَقّ الله عَلَى العبَاد أَنْ يَعْبدُوهُ ، وَلاَ يُشْرِكُوا به شَيئاً وَحقَّ العبَاد على الله الا يُعَذّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ به شَيئاً » ، فَقلتُ : يا رسولَ الله ، أفَلاَ أُبشّرُ النَّاسَ ؟ قالَ : « لا تُبَشّرْهم فَيَتّكلوا » متفقٌ عليه .

[١٦/ ٤٢٧]ــ وعن البرَاء بن عازب ، رضى الله عنهما ، عن النبى ، ﷺ قال : «المُسلمُ إذَا سُئِلَ فى القَبْر يَشْهَدُ أن لا إلــهَ إلا الله ، وَأنَّ مَحَمَّداً رسولُ الله ، فَـذلكَ قولُه

(١٥ / ٤٢٦) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٢٨٥٦) ، ومسلم (٣٠).

(١٦ / ٤٢٧) صحيح: رواه البخاري (٤٦٩٩) ، ومسلم (٢٨٧١).

Marfat.com

تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ (إبراهيم:٢٧) » متفقٌ عليه .

[١٧/ ٤٢٨] ــ وعن أنس ، رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ الكَافرَ إذَا عَملَ حَسَنَةً ، أُطعمَ بهَا طُعمةً مِنَ الدنْيَا ، وأمَّا المُؤمنُ ، فَإنَّ الله تعالى يَدَّخرُ لَهُ حَسَنَاته فى الآخرَة ، ويُعْقبُهُ رزْقاً فى الدنْيَا عَلى طَاعَته » .

وفى رواية : « إنَّ الله لا يَظْلمُ مُؤْمناً حَسَنَةً يُعْطَى بهَا فى الدنْيَا ، ويُجْزى بهَا فى الآخرَة وأمَّا الكَافرُ ، فَيُطعَمُ بحَسَنَات مَا عَملَ للّه تعالى فى الدنْيَا حَتَّى إذَا أفْضَى إلى الآخرَة ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجزَى بهَا » رواه مسلم .

[١٨/ ٤٢٩] ــ وعن جابرٍ ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كمَثَلِ نَهرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلى بَابِ أحَدِكُمْ يَغتَسِلُ منْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرات» رواه مسلم . « الغَمْرُ » الكَثير .

[١٩/ ٤٣٠] ــ وعن ابن عَبَّاس ، رضى الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « مَا منْ رَجُلٍ مُسلمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلى جَنَازَته أرْبَعُونَ رَجُلاً لا يُشْرِكُونَ باللّه شَيْئاً إلا شَفَّعَهُمُ اللّهُ فيه » رواه مسلم .

[٢٠/ ٤٣١] ــ وعن ابنِ مسعود ، رَضىَ الله عنه ، قال : كُنَّا مَعَ رسول الله ﷺ فى قُبَّة نحواً منْ أرْبَعينَ ، فقال : « أتَرضَوْنَ أنْ تَكونُوا رُبُعَ أهْلِ الجَنَّة ؟ » قُلنَا: نَعَم ، قال: « أتَرضَوْنَ أنْ تكونوا ثُلُثَ أهلِ الجَنَّة ؟ » قلنا : نَعَمْ ، قال : « وَالَّذى نَفْسُ مُحَمَّد بيَده ، إنى لأرجو أن تكونوا نصفَ أهْلِ الجَنَّة ، وَذلكَ أنَّ الجَنَّةَ لا يَدخُلُهَا إلا نَفْسٌ مُسْلمَةٌ ، وَمَا أنْتُم فى أهْلِ الشِّرك إلا كَالشَّعرة البَيْضَاء فى جلد الثَّورِ الأسود ، أوْ كَالشَّعْرَة السَّوداء فى جلد الثَّورِ الأحمرِ » متفقٌ عليه .

[٢١/ ٤٣٢] ــ وعن أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه ، قال : قال رسولُ الله، ﷺ : « إذَا كَانَ يَوْمُ القيَامَة دَفَعَ اللّهُ إلى كُلِّ مُسْلمٍ يَهُوديا أو نَصرَانيا فَيَقُولُ : هذَا فكَاكُكَ

(١٧ / ٤٢٨) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٨). (١٨/ ٤٢٩) صحيح: رواه مسلم (٦٦٨) .

(١٩ / ٤٣٠) صحيح: رواه مسلم (٩٤٨).

(٢٠ / ٤٣١) صحيح: رواه البخاري (٦٥٢٨، ٦٦٤٢)، ومسلم (٢٢١).

(٢١ / ٤٣٢) صحيح: رواه مسلم (٢٧٦٧).

Marfat.com

مِنَ النَّارِ » .

وفى رواية عن النبى ﷺ قال : « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللّه لهم » رواه مسلم .

قوله : « دفَعَ إلى كُل مُسْلمٍ يَهْودِيًا أَوْ نَصْرَانيًا فَيَقُولُ : هذا فكَاكُكَ مِنَ النَّارِ » مَعْنَاهُ مَا جَاءَ فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه: « لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِى الجَنَّة ، ومَنْزِلٌ فى النَّارِ ، فالمُؤْمنُ إذَا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ فى النَّارِ ، لأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لذلكَ بكُفْره » .

ومَعْنَى « فكَاكُكَ » : أنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضاً لدُخُول النَّارِ ، وَهذَا فكَاكُكَ ، لأنَّ اللّه تعالى قَدَّرَ للنَّارِ عَدَداً يمْلَؤُهَا ، فَإِذَا دَخَلَهَا الكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وكُفْرِهِم ، صَارُوا فى مَعنى الفكَاكِ للمُسْلمينَ. واللّه أعلم .

[٢٢/ ٤٣٣] ـ وعن ابن عمر رضىَ اللّه عنهما قال : سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: « يُدْنَى المُؤْمنُ يَومَ القيامَة من رَبه حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيه ، فَيُقَرِّرُهُ بذُنُوبه ، فَيقولُ : أتعرفُ ذَنبَ كَذَا ؟ أتعرفُ ذَنبَ كَذَا ؟ فيقول : رَبِّ أعْرِفُ ، قالَ : فَإِنِّى قَد سَتَرتُهَا عَلَيكَ فى الدُّنيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُها لَكَ اليومَ ، فيُعطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاته » متفقٌ عليه .كَنَفُهُ : سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ .

الشرح

هذه الأحاديث المتعددة كلها في باب الرجاء، ولكن الرجاء لابد أن يكون له عمل يُبنى عليه.

أما الرجاء من دون عمل يُبنى عليه، فإنه تمن لا يستفيد منه العبد، ولهذا جاء في الحديث: «**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت؛ والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**»(١) . فلا بد من عمل يتحقق به الرجاء.

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث معاذ بن جبل، أنه كان رديف النبي ﷺ على حمار. فقال له: «**أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد علي الله؟**» قال: الله ورسوله أعلم. وهذا من آداب طالب العلم، إذا سئل عن شيء؛ أن يقول: الله أعلم، ولا يتكلم فيما لا يعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله ألا يعذب من لا يُشرك به شيئًا**».

يعني: ألا يعذب من عبده وهو لا يُشرك به شيئًا؛ لأن نفي الشرك يدل على الإخلاص والتوحيد، ولا إخلاص وتوحيد إلا بعبادة.

(٢٢ / ٤٣٣) صحيح : رواه البخاري (٢٤٤١) (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

(١) ضعيف : رواه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٥٣١٩).

Marfat.com

فقلت : يا رسول الله، أفلا أبشر الناس؟ فقال: **«لا تُبشرهم فيتكلوا»**.

يعني لا تبشرهم فيتكلوا على ما يجب، ولا يقوموا بما ينبغي أن يقوموا به من النوافل، ولكن معاذًا رضي الله عنه أخبر بها عند موته تأثمًا . يعني خوفًا من إثم كتمان العلم فأخبر بها.

ولكن قول الرسول: **«لا تبشرهم فيتكلوا»** فيه إنذار من الاتكال على هذا، وأن الإنسان يجب أن يعلم أنه لابد من عبادة.

وكذلك الأحاديث التي ذكرها المؤلف كلها في سياق الرجاء، منها أن المؤمن يُسأل في القبر، فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله. قال النبي ﷺ : هذا هو القول الثابت الذي قال الله فيه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]. شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

والميت في قبره يُسأل عن ثلاث: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ.

وكذلك أيضًا ما ذكره ـ رحمه الله ـ من صفة محاسبة العبد المؤمن، أن الله عز وجل يأتي يوم القيامة، فيخلو بعبده المؤمن، ويضع عليه كنفه يعني ستره، ويقول: فعلت كذا وفعلت كذا، ويقرره بالذنوب، فإذا أقر قال: **«كنت سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطي كتاب حسناته باليمين»**.

ومن ذلك أيضًا أن المؤمنين كل واحد منهم يعطي يهوديًا أو نصرانيًا يوم القيامة، ويُقال: هذا فكاكك من النار، يعني هذا يكون بدلك في النار، وأما أنت فقد نجوت.

فنحن يوم القيامة إن شاء الله تعالى كل واحد منا يجعل بيده يهودي أو نصراني يُلقى في النار بدلاً عنه، يكون فكاكًا له من النار.

ولا يلزم من هذا أن يكون اليهود والنصارى على قدر المسلمين، فالكفار أكثر من المسلمين بكثير، من اليهود والنصاري والمشركين وغيرهم؛ لأن بني آدم تسعمائة وتسعة وتسعون كلهم في النار وواحد في الجنة.

وذكر المؤلف أيضًا حديثًا أن الرسول عليه الصلاة والسلام عرض على الصحابة فقال: **«أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، ثلث أهل الجنة؟»** قالوا: بلى، قال: **«إني لأرجوا أن تكونوا نصف أهل الجنة»** يعني نصف أهل الجنة من هذه الأمة، والنصف الباقي من بقية الأمم

---

(١) سبق تخريجه.

Marfat.com

كلها، وهذا يدل على كثرة هذه الأمة؛ لأنها آخر الأمم وهي التي ستبقى إلي يوم القيامة.

وقد جاء في «السنن» و«المسند» أن صفوف أهل الجنة مائة وعشرون ، منها ثمانون من هذه الأمة، فتكون هذه الأمة ثلثي أهل الجنة، وهذا من رحمة الله عز وجل، ومن فضل الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن الرسول ﷺ يُعطى أجر كل من عمل بسنته وشريعته.

* * *

[٢٣/ ٤٣٤] ــ وعن ابن مسعود ، رضى الله عنه ، أنَّ رَجُلاً أصابَ من امْرأة قُبْلَةً ، فَأتى النَّبيَّ ﷺ ، فأخبره ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَات ﴾ (هود:١١٤) فقال الرجل :أَلِيَ هذا يا رسول الله ؟ قال : « لِجَمِيع أُمَّتِى كُلِهِمْ » متفقٌ عليه .

[٢٤/ ٤٣٥] ــ وعن أنس ، رضى الله عنه ، قال : جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله ، أَصَبْتُ حدّاً ، فَأقِمْهُ عَلَيَّ ، وَحَضَرَت الصَّلاةُ ، فَصَلَّى مَعَ رسول الله ﷺ ، فَلَمَّا قَضى الصَّلاةَ قال : يا رسولَ الله ، إنِّى أَصَبْتُ حدّاً ، فأقِمْ فِيَّ كتابَ الله ، قال: « هَلْ حَضَرْتَ معنا الصَّلاةَ ؟ » قال :نعم ،قال :« قد غُفِرَ لَكَ » متفقٌ عليه.

وقوله : « أَصَبْتُ حَدّاً » معناه : مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعزير ، ولَيسَ المُرادُ الحَدَّ الشَّرْعِيَّ الحَقِيقيَّ كَحَدِ الزنَا والخمر وغَيْرِهِمَا ، فإنَّ هَذِه الحُدُود لا تَسْقُطُ بِالصلاةِ ، ولا يجوزُ لِلإمام تَرْكُهَا .

[٤٣٦/ ٢٥] ــ وعنه قال : قال رسول اللهﷺ : « إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عن العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأكْلَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عليها ، أوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيها » رواه مسلم .

« الأكْلَةُ » بفتح الهمزة وهى المرةُ الواحدةُ مِنَ الأكْلِ كَالْغدوَةِ والعشْوَةِ ، والله أعلم.

[٤٣٧/٢٦] ــ وعن أبى موسى ، رضى الله عنه ، عن النبىﷺ ، قال : « إنَّ الله تعالى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ حتَّى تَطْلَعَ الشمسُ مِنْ مَغْرِبها » رواه مسلم .

(٢٣ / ٤٣٤) صحيح : رواه البخاري (٥٢٦) ، ومسلم (٢٧٦٣).
(٢٤ / ٤٣٥) صحيح : رواه البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤).
(٢٥ / ٤٣٦) صحيح : رواه مسلم (٢٧٣٤).
(٢٦ / ٤٣٧) صحيح : رواه مسلم (٢٧٥٩).

Marfat.com

[٢٧/٤٣٨] ـ وعن أبى نَجيح عَمرو بن عَبَسَةَ ـ بفتح العين والباء ـ السُّلَمى ، رضىَ اللهُ عنه ، قال : كنتُ وأنَا فى الجَاهليَّة أظنُّ أنَّ النَّاسَ عَلى ضَلالَة ، وأنَّهُمْ لَيسُوا على شىء ، وهُمْ يَعْبُدُونَ الأوْثَانَ ، فَسَمعْتُ برَجُلٍ بمكَّةَ يُخبرُ أخْبَاراً ، فَقَعَدْتُ عَلى راحلتى ، فَقَدمْتُ عَلَيْه ، فإذَا رسول الله ﷺ مُسْتَخفياً ، جُرآءُ عليه قَوْمُهُ ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْه بمكَةَ ، فقلْتُ له : ما أنتَ ؟ قال : « أنَا نَبِىٌّ » قُلْتُ : وما نَبِىٌّ ؟ قال: « أرْسَلَنى اللهُ » قلت : وبأىِّ شَىْءٍ أرْسَلَكَ ؟ قال : « أرْسَلَنى بصلَةِ الأرْحَام ، وكسْر الأوْثَان ، وأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكُ به شَىْءٌ » قلت : فَمَنْ مَعَكَ عَلى هَذَا ؟ قال : «حُرٌ وعَبْد » ومعه يَوْمَئذ أبو بكر وبلالٌ رضى الله عنهما ، قلت : إنِّى مُتَّبعُكَ ، قال : «إنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ ذلكَ يَوْمَكَ هذَا ؛ ألا تَرَى حَالى وحالَ النَّاس ؟ وَلَكن ارْجعْ إلى أهْلكَ فَإذَا سَمعْتَ بى قَد ظَهَرْتُ فَأتنى » قال : فَذَهَبْتُ إلى أهلى وَقَدمَ رسول الله ﷺ المدينة ، وكنتُ فى أهْلى ، فَجعَلْتُ أتخبَّرُ الأخْبَارَ ، وَأسألُ النَّاسَ حينَ قَدمَ المدينة حتَّى قَدمَ نفرٌ من أهلى المدينة ، فقلتُ : مَا فَعَلَ هذا الرَّجُلُ الذى قَدمَ المدينةَ ؟ فقالوا : النَّاسُ إليه سرَاعٌ ، وقَدْ أرادَ قَوْمُه قَتْلَهُ ، فَلَمْ يَسْتَطيعُوا ذلكَ ، فَقَدمْتُ المدينَةَ ، فَدَخَلْتُ عليه ، فقلتُ : يَا رسول الله ، أتَعْرفُنى ؟ قال: « نَعم ، أنتَ الَّذى لَقيتَنى بمكَةَ » قال : فقلت: يَا رَسُولَ الله ، أخبرنى عمَّا علمك اللهُ وأجهلهُ ، أخبرنى عن الصلاة ؟ قال : « صلِّ صَلاة الصُّبْح ، ثُمَّ أقصُرْ عَن الصَّلاة حتى ترتَفعَ الشمس قيد رمح ، فإنها تطلع حين تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَى شَيْطَان ، وَحينَئذ يَسْجُد لها الكُفَّارُ ، ثُمَّ صَل ، فَإنَّ الصَّلاةَ مشهُودةٌ مَحْضُورَةٌ حتى يستَقلَّ الظلُّ بالرُّمح ، ثُمَّ اقْصُر عن الصَّلاة ، فإنه حينَئذ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ ؛ فإذا أقبلَ الفىءُ فصَل ؛ فإنَّ الصَّلاةَ مَشهودةٌ مَحضورةٌ حتى تُصَلِّىَ العصرَ ، ثم اقْصُرْ عن الصلاة حتى تغْرُبَ الشمسُ ، فإنها تَغرُبُ بين قَرنَىْ شيطان ، وَحينَئذ يسجدُ لها الكُفَّارُ قال : فقَال : يا نَبىَّ الله ؛ فالوضوءُ حَدِّثنى عنه ؟ فقال : « ما منكُم رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءهُ ، فَيَتَمَضْمَضُ ويسْتَنْشقُ فَيَنْتَثرُ ، إلا خَرَّتْ خطايَا وجهه وفيه وخَيَاشيمه ، ثم إذا غَسَلَ وجهَهُ كما أَمرَهُ اللهُ، إلا خَرَّت خَطايا وجهه منْ أطراف لحْيَته مع الماء ، ثم يَغْسلُ يَدَيْه إلى المرفَقَين إلا خَرَّت خطايا يديه من أنامله مَعَ المَاء ، ثم يَمْسَحُ رَأسَهُ ، إلا خَرَّتْ خطَايَا رَأسه من أطراف شَعْره مع الماء ، ثم يَغسلُ قَدَميْه إلى الكَعْبَيْن ، إلا خَرَّتْ خطايا رجْلَيه من أنامله مع الماء ، فإن هو قَامَ فصلَّى ، فَحمدَ اللهَ تعالى ، وأثنى عليه ومَجَّدَهُ بالذى هو له أهلٌ ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ للّه تعالى ، إلا انصرفَ من خَطيئَته كَهَيْئَته يوم وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

(٢٧/٤٣٨) صحيح : رواه مسلم (٨٣٢).

Marfat.com

فحدّثَ عَمْرُو بن عَبَسَةَ بهذا الحديث أبَا أُمامَةَ صَاحبَ رسول اللّه ﷺ ، فقال له أبو أمَامَةَ: يا عَمْرُو بن عَبَسَةَ ، انظُر ما تقولُ ! فى مقام واحد يَعطى هذا الرَّجُلُ ؟ فقال عَمْرُو: يا أبا أمامَةَ ، لقَدْ كبِرَتْ سنى ، ورَقَّ عَظْمى ، واقْتَرَبَ أجَلى ، وما بى حَاجَةٌ أنْ أكذِبَ على الله تعالي ولا على رَسول الله ﷺ، لو لَم أسْمَعْهُ من رسول الله ﷺ، إلا مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ أو ثلاثاً ، حتَّى عَدَّ سبعَ مَرَّاتٍ ، ما حَدَّثتُ أبداً به ، ولكنى سمِعْتُهُ أكثر من ذلك. رواه مسلم .

الشرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ كلها أيضًا فيها من الرجاء ما فيها، فمن ذلك أن الصلوات الخمس تكفر السيئات التي قبلها، كما في قصة الرجل الذي أصاب من امرأة قبلة، والذي أصاب حدًا وطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يُقيمه عليه، فإن الصلاة هي أفضل أعمال البدن وهي تذهب السيئات، قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

ولكن لا بد أن تكون الصلاة على الوجه الذي يرضاه الله عز وجل، كما جاء في حديث عمرو بن عبسة أن لها أوقات محددة، وهناك أوقات ينهى الإنسان أن يُصلي فيها.

ثم أرشد النبي ﷺ عمرو بن عبسة إلى صفة الوضوء الصحيحة؛ لأن الإنسان إذا توضأ على هذه الصفة خرجت خطاياه، وإذا صلى وقد فرغ قلبه لله كفر الله عنه.

فلا بد من ملاحظة هذا القيد؛ لأن من الناس من يصلي ولكنه ينصرف من صلاته ما كتب إلا عشرها أو أقل؛ لأن قلبه غافل وكأنه ليس في صلاة بل كأنه يبيع ويشتري أو يعمل أعمالاً أخرى حتى تنتهي الصلاة.

ومن وساوس الشيطان أن الإنسان يُصلي فإذا كبر للصلاة انفتحت عليه الهواجس من كل مكان، فإذا سلم زالت عنه، مما يدل على أن هذا من الشيطان، يُريد أن يخرب عليه صلاته حتى يحرم من هذا الأجر العظيم.

وفي حديث عمرو بن عبسة فوائد كثيرة منها: أن النبي ﷺ بدأ غريبًا خائفًا متخفيًا عليه الصلاة والسلام، جاءه عمرو بن عبسة وقد رأى ما عليه أهل الجاهلية وأنهم ليسوا علي شيء، فصار يتطلب الدين الصحيح الموافق للفطرة، حتى سمع بالنبي ﷺ في مكة، فجاء إليه، فوجده مستخفيًا في بيته، لم يتبعه إلا حر وعبد ـ أبو بكر وبلال ـ لم يتبعه أحد.

وفي هذا: دليل على أن أبا بكر رضي الله عنه أول من آمن بالرسول عليه الصلاة

Marfat.com

والسلام، ثم آمن من بعده من الأحرار علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ومن حكمة النبي ﷺ أنه قال لعمرو: «**إنك لا تستطيع أن تعلن إسلامك في هذا اليوم، ولكن اذهب فإذا سمعت أني خرجت فأتني**» فذهب وأتى إليه بعد نحو ثلاث عشرة سنة في المدينة، بعد أن هاجر، وقال له: أتعرفني؟ قال: «**نعم**». وأخبره أنه يعرفه، لم ينس طوال هذه المدة.

ثم أخبره مما يجب عليه لله عز وجل من حقوق، وبين له أن الإنسان إذا توضأ وأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جميع أعضائه، وأنه إذا صلى فإن هذه الصلاة تكفر عنه، فدل ذلك على أن فضل الله عز وجل أوسع من غضبه، وأن رحمته سبقت غضبه. نسأل الله أن يرحمنا وإياكم برحمته إنه جواد كريم.

[٢٨/ ٤٣٩] ــ وعن أبي موسى الأشعَرى ، رضى اللّه عنه ، عن النبى ﷺ قال : «**إذا أرادَ اللّه تعالى رحمة أُمَّة ، قَبَضَ نَبيَّها قبلَها ، فجعَلَهُ لها فَرَطاً وسلَفاً بين يَدَيها ، وإذا أراد هَلَكَةَ أُمَّة ، عذَّبها ونبيُّهَا حَيٌّ فَأهْلَكَهَا وهوَ حَيٌّ ينظُرُ ، فأقَرَّ عينَهُ بِهَلاكِها حين كذَّبوهُ وعَصَوا أمْرَهُ**» رواه مسلم .

* * *

(٢٨/ ٤٣٩) صحيح : رواه مسلم (٢٢٨٨).

Marfat.com

٥٢ ـ باب فضل الرجاء

قال الله تعالى ــ إخباراً عن العبد الصَّالِح ــ : ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ . فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ (غافر:٤٤،٤٥) .

[١/ ٤٤٠] ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنهُ قال : «قال اللّهُ عزَّ وجلَّ : أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدى بى وأنا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنى ، وَاللهِ لَلّهُ أفْرَحُ بتَوْبَة عَبْده منْ أحَدكُمْ يَجدُ ضَالَّتَهُ بالفَلاة ، وَمَنْ تقرَّبَ إلَىَّ شبْراً ، تَقَرَّبْتُ إلَيْه ذراعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إلَى ذراعاً ، تَقرَّبْتُ إليه بَاعاً ، وإذا أقْبَلَ إلَىَّ يَمْشى ، أقبلتُ إليه أُهَرْولُ »

متفقٌ عليه ، وهذا لفظ إحدى رِوَايَاتِ مسلم . وتقدَّم شرحُهُ فى الباب قبله.

وروى فى الصحيحين : « وأنا معه حينَ يَذْكُرُنى » بالنون ، وفى هذه الرواية «حَيْثُ» بالثاء وكلاهما صحيح .

[٢/ ٤٤١] ــ وعن جابر بن عبد الله رضىَ اللّهُ عنهما ، أنَّهُ سمعَ النبىَّ ﷺ قبْلَ موْته بثلاثَة أيَّام يقولُ : « لا يمُوتَنَّ أحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسن الظَّنَّ باللّه عزَّ وجلَّ » رواه مسلم .

[٣/ ٤٤٢] ــ وعن أنس ، رضى الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول : «قال اللّه تعالى : يَابْنَ آدَمَ ، إنَّكَ مَا دَعَوْتَنى ورَجَوْتَنى غفَرتُ لَكَ عَلى مَا كَانَ منكَ ولا أُبَالى، يَابْنَ آدَمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماء ، ثم اسْتَغْفَرْتَنى غفَرتُ لَكَ ، يَابْنَ آدمَ ، إنَّكَ لَوْ أتيْتَنى بِقُرَابِ الأرْض خطايا ، ثُمَّ لَقيتَنى لا تُشرِكُ بى شَيْئاً ، لأتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » رواه الترمذى . وقال : حديث حسن .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب فضل الرجاء) لما ذكر ـ رحمه الله ـ النصوص الدالة علي الرجاء وعلى سعة فضل الله وكرمه، ذكر فضل الرجاء، وأن الإنسان ينبغي له أن يكون طامعًا في فضل الله عز وجل راجيًا ما عنده.

ثم ذكر قول العبد الصالح وهو الرجل المؤمن من آل فرعون الذي يكتم إيمانه، وكان

(١/ ٤٤٠) صحيح رواه البخاري (١٣ / ٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).بدون: «والله افرح بتوبة عبده من احدكم يجد ضالته بالفلاة». وقد رواه مسلم (٢٧٤٧) (٧) من حديث أنس (٤١٨).

(٢/ ٤٤١) صحيح رواه مسلم (٢٨٧٧).

(٣/ ٤٤٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٤٠)، وقال : حديث غريب، وصححه الالباني في صحيح الترمذي (٢٨٠٥).

Marfat.com

ناصحًا لقومه، يناصحهم ويُبين لهم بالبراهين ما هم عليه من الباطل، وما عليه موسى من الحق، وفي النهاية قال لهم: ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ﴾ يعني أجعله مفوضًا إليه، لا أعتمد علي غيره، ولا أرجو إلا إياه ﴿ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ قال الله تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ أي سيئات مكرهم ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٥].

ثم ذكر حديث أبي هريرة أن الله تعالى قال في الحديث القدسي: **«أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حيث يذكرني»** **«أنا عند ظن عبدي بي»**: يعني أن الله عند ظن عبده به؛ إن ظن به خيرًا فله، وإن ظن به سوى ذلك فله، ولكن متى يكون العبد محسنًا الظن بالله عز وجل؟

يكون كذلك إذا فعل ما يوجب فضل الله ورحمته، فيعمل الصالحات ويُحسن الظن بأن الله تعالى يقبله، أما أن يحسن الظن وهو لا يعمل؛ فهذا من باب التمني على الله، ومن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني فهو عاجز.

حسن الظن بأن يوجد من الإنسان عمل يقتضي حسن الظن بالله عز وجل، فمثلاً أحسن الظن بالله بأن الله يقبلها منك، إذا صمت فكذلك، إذا تصدقت فكذلك، إذا عملت عملاً صالحًا أحسن الظن بأن الله تعالى يقبل منك، أما أن تحسن الظن بالله مع مبارزتك له بالعصيان فهذا دأب العاجزين الذين ليس عندهم رأس مال يرجعون إليه.

ثم ذكر أن الله سبحانه وتعالى أكرم من عبده، فإذا تقرب الإنسان إلى الله شبرًا، تقرب الله منه ذراعًا، وإن تقرب منه ذراعًا، تقرب منه باعًا، وإن أتاه يمشي أتاه يهرول عز وجل، فهو أكثر كرمًا وأسرع إجابة من عبده.

وهذه الأحاديث وأمثالها مما يؤمن به أهل السنة والجماعة على أنه حق حقيقة لله عز وجل، لكننا لا ندري كيف تكون هذه الهرولة، وكيف يكون هذا التقرب، فهو أمر ترجع كيفيته إلى الله ، وليس لنا أن نتكلم فيه، لكن نؤمن بمعناه ونفوض كيفيته إلي الله عز وجل.

ثم ذكر المؤلف أحاديث في هذا المعنى كلها تدل على أنه يجب على الإنسان أن يحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، ولكن مع فعل الأسباب التي توجب ذلك. نسأل الله أن يوفقنا والمسلمين لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

* * *

Marfat.com

٥٣ - باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعلَمْ أنَّ المُختَارَ للعبْد في حَال صحتَّه أن يكُونَ خَائفاً راجياً ، ويَكونَ خوفُهُ ورجاؤُه سواءٌ ، وفي حال المَرَضِ يُمَحّضُ الرَّجَاءَ . وقواعدُ الشَّرْعِ من نُصُوص الكتَابِ والسُّنَّة وغَيْرِ ذلك مُتظاهِرةٌ علَى ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ فلا يأمنُ مكرَ الله إلاَّ القومُ الخاسرُون ﴾ ، (الأعراف:٩٩) ، وقال تعالى : ﴿ إنَّهُ لا ييأسُ من روْحِ الله إلاَّ القومُ الكافرُون ﴾ (يوسف:٨٧) ،وقال تعالى : ﴿ يوم تبيضُ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ ﴾ (آل عمران:١٠٦) ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ ربَّكَ لسريع العقاب وإنه لغفورٌ رحيمٌ ﴾ (الأعراف:١٦٧) ، وقال تعالى : ﴿ إنَّ الأبرار لفي نعيم . وإنَّ الفجار لفي جحيم ﴾ (الانفطار:١٣،١٤) ، وقال تعالى : ﴿ فأمَّا من ثقُلت موازينُه . فهو في عيشة راضية . وأمَّا من خفَّت موازينُه. فأمُّهُ هاوية ﴾ (القارعة:٦:٩) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة . فيَجْتَمعُ الخوْفُ والرجاءُ في آيتَيْنِ مُقْترنَتَيْنِ أوْ آيات أو آية .

[١/ ٤٤٣] ـ وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال : « لَوْ يَعْلمُ المُؤمنُ ما عنْدَ الله منَ العقُوبَة ، ما طَمِعَ بجنَّته أحَدٌ ، ولَو يَعْلَمُ الكافرُ مَا عنْدَ الله منَ الرَّحْمَة ، مَا قَنطَ منْ جنَّته أحَدٌ » رواه مسلم .

[٢/ ٤٤٤]ـ وعن أبي سَعيد الخدري ، رضي الله عنهُ ، أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «إذا وُضعَت الجَنَازَةُ واحتَمَلَهَا النَّاسُ أو الرجالُ علَى أعْنَاقهمْ ، فَإنْ كانَتْ صالحَةً قالَتْ : قَدِّمُونى قَدِّمُونى ، وإنْ كانَت غيرَ صالحة ، قالَتْ : يا ويْلَها ! أيْنَ تَذهَبُونَ بها ؟ يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيءٍ إلا الإنْسانُ ، ولَوْ سَمعَهُ صَعقَ » رواهُ البخارى .

[٣/ ٤٤٥]ـ وعن ابنِ مسعود ، رضيَ الله عنه ، قالَ : قالَ رسُولُ الله ﷺ : «الجَنَّةُ أقْرَبُ إلى أحَدكُمْ منْ شرَاك نَعْله ، والنَّارُ مثْلُ ذَلكَ » رواه البخاري .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب الجمع بين الخوف والرجاء وتغليب الرجاء في حال المرض).

(١/ ٤٤٣) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٥).
(٢/ ٤٤٤) صحيح: رواه البخاري (١٣١٤).
(٣/ ٤٤٥) صحيح: رواه البخاري (٦٤٨٨).

Marfat.com

هذا الباب قد اختلف فيه العلماء، هل الإنسان يغلب جانب الرجاء أو جانب الخوف فمنهم من قال: يغلب جانب الرجاء مطلقا، ومنهم من قال: يغلب جانب الخوف مطلقًا.

ومنهم من قال: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه سواءً، لا يغلب هذا على هذا، ولا يهذا على هذا؛ لأنه إن غلب جانب الرجاء أمن مكر الله، وإن غلب جانب الخوف يئس من رحمة الله.

وقال بعضهم: في حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحدًا كما اختاره النووي رحمه الله في هذا الكتاب، وفي حال المرض يغلب الرجاء أو يمحضه.

وقال بعض العلماء أيضًا: إذا كان في طاعة فليغلب الرجاء وأن الله يقبل منه، وإذا كان عند فعل المعصية فليغلب الخوف؛ لئلا يقدم على المعصية.

والإنسان يجب عليه أن يكون طبيب نفسه، إذا رأى من نفسه أنه أمن من مكر الله، وأنه مقيم على معصية الله، ومتمن على الله الأماني، فليعدل عن هذا الطريق، وليسلك طريق الخوف.

وإذا رأى أن فيه وسوسة، وأنه يخاف بلا موجب، فليعدل عن هذا الطريق، وليغلب جانب الرجاء حتى يعتدل خوفه ورجاؤه.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات جمع الله فيها ذكر ما يوجب الخوف وذكر ما يوجب الرجاء، ذكر فيها أهل الجنة وأهل النار، وذكر فيها صفته عز وجل وأنه شديد العقاب وأنه غفور رحيم.

وتأمل قوله تعالى ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [المائدة: ٩٨، ٩٩]. حيث إنه في مقام التهديد والوعيد قدم ذكر شدة العقاب ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

وفي حال تحدثه عن نفسه وبيان كمال صفاته قال: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. فقدم ذكر المغفرة على ذكر العذاب؛ لأنه يتحدث عن نفسه عز وجل، وعن صفاته الكاملة ورحمته التى سبقت غضبه ثم ذكر المؤلف أحاديث في هذا المعنى تدل على أنه يجب على الإنسان أن يجمع بين الخوف والرجاء مثل قول النبي ﷺ : **«لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد».** والمراد لو يعلم علم حقيقة، وعلم كيفية لا أن المراد لو يعلم علم نظر وخبر؛ فإن المؤمن يعلم ما عند الله من العذاب لأهل الكفر والضلال، لكن حقيقة هذا لا تُدرك الآن، لا يدركها إلا من وقع في ذلك أعاذنا الله وإياكم من عذابه.

Marfat.com

«**ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قنط من جنته أحد**»، والمراد حقيقة ذلك، وإلا فإن الكافر يعلم أن الله غفور رحيم، ويعلم معنى المغفرة، ويعلم معنى الرحمة.

وذكر المؤلف أحاديث في معنى ذلك مثل قوله: «**الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك**». شرا عل يُضرب به المثل في القرب؛ لأن الإنسان لابسٌ نعله، فالجنة أقرب إلى أحدنا من شـ نعله؛ لأنها ربما تحصل للإنسان بكلمة واحدة، والنار مثل ذلك، ربما تحدث النار بسبب كلمة يقولها القائل، مثل الرجل الذي كان يمر على صاحب معصية فينهاه ويزجره، فلما تعب قال: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله تعالى: «**من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان، قد غفرت له وأحبطت عملك**»، قال أبو هريرة: تكلم بكلمة أو بقيت دنياه وآخرته، (١) نعوذ بالله.

فالواجب على الإنسان أن يكون طبيب نفسه في كونه يغلب الخوف أو الرجاء، إن رأى نفسه تميل إلى الرجاء وإلى التهاون بالواجبات وإلى انتهاك المحرمات استنادًا إلى مغفرة الله ورحمته فليعدل عن هذه الطريق، وإن رأى أن عنده وسواسًا، وأن الله لا يقبل منه، فإنه يعدل عن هذا الطريق إلى ما يصلحه في حال الصحة وفي حال المرض.

* * *

---

(١) صحيح رواه مسلم (٢٦٢١).

Marfat.com

٥٤ ـ باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه

قال الله تعالى : ﴿ ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا ﴾ (الإسراء:١٠٩)،وقال تعالى : ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون . وتضحكون ولا تبكون ﴾ (النجم:٥٩ ، ٦٠) .

[١/ ٤٤٦] ــ وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قالَ : قال لي النبيُّ ﷺ : « اقرأ عليَّ القرآنَ » قلتُ : يا رسولَ الله ، أقرأُ عليكَ ، وعليكَ أُنزلَ ؟! قالَ : « إني أحبُّ أنْ أسمعَهُ منْ غيْرِي » فقرأتُ عليه سورةَ النساءِ ، حتى جئتُ إلى هذه الآية : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ (النساء:٤١) .

قال : « حسبُكَ الآن » فالتفتُّ إليه ، فإذا عيْناهُ تذرفَان . متفقٌ عليه .

[٢/ ٤٤٧] ــ وعن أنس ، رضيَ الله عنه ، قالَ : خطَبَ رسُولُ الله ﷺ ، خُطبَةً ما سَمعتُ مثلَها قطُّ ، فقالَ : « لوْ تعلَمُونَ ما أعلَمُ لَضحكتُمْ قليلاً ولَبكيْتم كثيراً » قال : فغطَّى أصْحَابُ رسُولِ الله ﷺ ، وجُوهَهُمْ ، ولهُمْ خنينٌ . متفقٌ عليه ، وسَبَقَ بيانُهُ في باب الخوْف.

[٣/ ٤٤٨] ــ وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه قَالَ : قال رسُولُ الله ﷺ : « لا يَلجُ النَّارَ رَجُلٌ بكَى منْ خشْيَةِ الله حتَّى يَعُودَ اللبَنُ في الضَّرْعِ ، ولا يَجتَمعُ غُبارٌ في سَبيلِ الله ودُخانُ جهنَّمَ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

[٤/ ٤٤٩] ــ وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سَبْعةٌ يُظلّهُمُ الله في ظلّه يوْمَ لا ظلَّ إلا ظلُّهُ : إمامٌ عادلٌ ، وشاب نَشأ في عبادَة الله تعالى ، ورَجلٌ قلبُهُ معلَّقٌ في المَساجد ، ورَجُلان تَحابَّا في الله ، اجْتمَعا عليه ، وتفرَّقا علَيْه ، ورجلٌ دعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ منْصب وجَمال ، فقال : إنِّي أخاف الله ،ورجُلٌ تَصدَّقَ بصدَقة فأخْفاها حتَّى لا تعْلَمَ شمَالُهُ ما تُنْفقُ يَمينه ، ورَجُلٌ ذكرَ الله خالياً ففاضَتْ عيْناهُ » متفقٌ عليه .

(١/ ٤٤٦) صحيح : رواه البخاري (٢٥٨٤)، ومسلم (٨٠٠).

(٢/ ٤٤٧) صحيح تقدم برقم (٤٠١).

(٣/ ٤٤٨) صحيح: رواه الترمذي (٢٣١١) والنسائي (٦/ ١٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٣٣٣).

(٤/ ٤٤٩) صحيح : تقدم برقم (٣٧٦).

Marfat.com

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب فضل البكاء من خشية الله عز وجل)، يعني خوفًا منه وشوقًا إليه تبارك وتعالى، وذلك أن البكاء له أسباب: تارة يكون الخوف، وتارة يكون الألم وتارة يكون الشوق وغير ذلك من الأسباب التي يعرفها الناس.

ولكن البكاء من خشية الله إما خوفًا منه وإما شوقًا إليه تبارك وتعالى، فإذا كان البكاء من معصية فعلها الإنسان، فهذا البكاء سببه الخوف من الله عز وجل، وإذا كان بعد طاعة فعلها ، كان هذا البكاء شوقًا إلى الله سبحانه وتعالى.

وذكر المؤلف رحمه الله آيتين، آية فيها الثناء على الذين يكون من خشية الله وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ﴾ [الإسراء:١٠٧]. أي: أوتوا العلم من قبل القرآن وهم أهل الكتاب، ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء:١٠٧، ١٠٨]. يعني : إن وعد ربنا واقع لا محالة، فإن هنا للتوكيد.

﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾. ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ يعني عليها. والمراد المبالغة في السجود، حتى تكاد أذقانهم تضرب بالأرض من شدة المبالغة في سجودهم، ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ خشوعًا في القلب يظهر أثره وعلامته على الجوارح.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم:٥٩، ٦٠]. وهذا ذم لهم، أن يضحك الإنسان من القرآن ويعجب منه عجب استنكار وسخرية ولا يبكي منه. والقرآن أعظم واعظ، يعظ الله به القلوب، لكنه إذا ورد على قلوب كالحجارة والعياذ بالله فإنها لا تلين ولكنها تزداد صلابة، نسأل الله العافية.

ثم ذكر المؤلف حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ طلب منه أن يقرأ عليه القرآن، فقال: يا رسول الله، كيف أقرؤه عليك وعليك أنزل؟ يعني فأنت أعلم به مني، فكيف أقرؤه عليك؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**». هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام.

وفيه: دليل على أن الإنسان قد يكون إنصاته لقراءة غيره أخشع لقلبه مما لو قرأ هو، وهو كذلك أحيانًا، فأحيانًا إذا سمعت القرآن من غيرك خشعت وبكيت، لكن لو قرأته أنت ما حصلت لك هذه الحال.

فقرأ عليه سورة النساء، فلما بلغ هذه الآية العظيمة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ

Marfat.com

بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [النساء: ٤١]. يعني: ماذا تكون حالك؟ وماذا تكون حالهم؟

كيف هنا للاستفهام، والاستفهام يشد النفس وينبه القلب ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ يوم القيامة. والشهداء طائفتان من الناس: الطائفة الأولى الأنبياء والرسول عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى ﴿ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة: ١٤٣].

والثانية: أهل العلم الذين ورثوا الأنبياء فإنهم شهداء بعد أن يموت الأنبياء، فالشهداء على الخلق هم العلماء بعد الرسل، يشهدون بأن الرسل بلغوا ويشهدون على الأمة بأن الرسالة قد بلغتهم، وياله من ميزة عظيمة لأهل العلم أن يكونوا هم شهداء الله في أرضه.

يقول: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾، وقد ذكر الله في سورة الجاثية ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ على ركبها ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ كتاب الأعمال، أو إلى كتابها الذي نزل عليها بالوحي ﴿اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾.

يقول: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك﴾ يعني يا محمد ﴿على هؤلاء﴾ الأمة ﴿شهيدا﴾ ماذا تكون الحال، فقال النبي ﷺ له: «**حسبك الآن**» قال ابن مسعود: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان، يبكي عليه الصلاة والسلام خوفًا من هذه الحال الرهيبة العظيمة.

ففي هذا: دليل على البكاء من سماع القرآن أو عند قراءته.

وذكر المؤلف حديثًا آخر سبق لنا شرحه، وهو قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**» يعني لو تعلمون ما أعلم من حقائق الأمور التي أخفاها الله عنكم وعلمها الرسول ﷺ لكنه أخفاها عن الخلق رحمة بهم، وعلمها النبي ﷺ ولكنه لم يؤمر بإبلاغها للناس.

ولما قال ﷺ: «**تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا**» غطى الصحابة وجوهم ولهم خنين. يعني أصوات بكاء،، يبكون لأن المراد بقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**لو تعلمون ما أعلم**» التحذير مما علمه عليه الصلاة والسلام فجعلوا يبكون رضي الله عنهم وأرضاهم وهذا يدل على كمال إيمانهم وكمال تصديقهم بما أخبر به الرسول ﷺ.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي هريرة المشهور، وقد سبق أيضًا: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» وذكر منهم: «**رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» ذكر الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأحكامه وآياته، ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، إما شوقًا إليه، وإما خوفًا منه، فهذا من الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

Marfat.com

والمراد بالظل هنا: ظل يخلقه الله عز وجل يوم القيامة يُظلل فيه من شاء من عباده وليس المراد ظل نفسه جلا وعلا؛ لأن الله نور السماوات والأرض، ولا يمكن أن يكون الله ظلاً من الشمس، فتكون الشمس فوقه وهو بينها وبين الخلق، ومن فهم هذا الفهم فهو بليد أبلد من الحمار؛ لأنه لا يمكن أن يكون الله عز وجل تحت شيء من مخلوقاته، فهو العلي الأعلى، ثم هو نور السموات والأرض.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**حجابه**» يعني حجاب الله «**النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»، يعني لو كشف هذا الحجاب ـ والحجب أيضًا من نور، لكنها نور دون نور الباري عز وجل ـ لو كشف الله هذا النور «**لأحرقت سبحات وجهه**» يعني بهاؤه وعظمته ونوره «**ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[1] ، وبصره ينتهي إلى كل شيء.

والمعنى لو كشفه لأحرق هذا النور كل شيء، كيف يكون المراد بالظل ظل الرب عز وجل! لكن كما قلت: فبعض الناس أجهل من الحمار، لا يدري ما يترتب على قوله الذي يقوله في تفسير كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، ولا يمكن أن يريد الرسول عليه الصلاة والسلام هذا.

حتى الرواية التي وردت في ظل عرشه فيها نظر[2] ؛ لأن المعروف أن العرش أكبر من السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم ، والسموات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة،[3] فكيف يكون العرش تحت الشمس يظل الناس!.

لو صح الحديث لقلنا: ربما يكون طرف العرش مثلاً، والله عز وجل على كل شيء قدير،لكن هذه اللفظة في صحتها نظر، والصواب أنه ظل يخلقه الله في ذلك اليوم، إما من الغمام أو غير ذلك، فالله أعلم به، لكنه ظل يستر الله به من شاء من عباده من حر الشمس.

وإنما قال: «**يوم لاظل إلا ظله**»؛ لأننا في الدنيا نستظل بالبناء الذي نبنيه، ونستظل بالأشجار التي تغرس، ونستظل بسفوح الجبال، وبالجدران، وبغير ذلك. نستظل بأشياء نحن نصنعها بأيدينا وبأشياء خلقها الله عز وجل.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٧٩) وابن ماجه (٩٦) وأحمد (٤/ ٤٠١).
(٢) البيهقي في الأسماء والصفات (٣٧١).
(٣) سبق تخريجه.

Marfat.com

لكن في الآخرة ليس هناك ظل، قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [طه:١٠٥]. كل الجبال تنسف مهما عظمت، أكبر الجبال وأعظمها تُنسف؛ تكون رملاً، هباءً منثورًا، تطير في الجو: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٨٨]. تطير في الهواء وإن كنت تظنها جامدة لا تتحرك.

وقد سمعت عن بعض الناس المتأخرين يقول: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ يعني في الدنيا، وأن هذا دليل على أن الأرض تدور، وعلل ذلك بأن يوم القيامة يقين ليس فيه شيء من الحسبان.

وهذا من جهله وعدم معرفته؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾ [الحج:١، ٢]. هذا من يراهم على خلاف الواقع، فالأمر إذا ذهل الإنسان ولو كان أمامه شيء متيقن، فإنه تضيع حواسه وإدراكاته.

المهم أن قوله: «يوم لا ظل إلا ظله» أي إلا الظل الذي يخلق الله عز وجل، يظللُ به من شاء من عباده، وهذا هو الشاهد.

قوله: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه». فأنت - يا أخي - إذا ذكرت الله فاذكر ربك خالي القلب، لا تفكر في شيء، إن فكرت في شيء لم يحصل لك البكاء من خشية الله أو الشوق إليه؛ لأنه لا يمكن أن يبكي الإنسان وقلبه مشغول بشيء آخر، كيف تبكي شوقًا إلى الله وخوفًا منه، وقلبك مشغول بغيره! ولهذا قال: «ذكر الله خاليًا» يعني خالي القلب مما سوى الله عز وجل، خالي الجسم أيضًا، ليس عنده أحد حتى يكون بكاؤه رياءً وسمعة، فهو مخلص حاضر القلب، فهذا أيضًا ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. أسأل الله أن يُظلني والمسلمين في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

* * *

[٥/ ٤٥٠] ـ وعن عبد الله بن الشِّخِّير، رضيَ الله عنه، قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ

(٥/ ٤٥٠) صحيح: رواه أبو داود (٩٠٤)، والترمذي في «الشمائل» (٣٠٧) وقال الألباني في «مختصر الشمائل» (٢٧٦): «إسناده صحيح وصححه جمع كما بينته في صحيح أبي داود برقم (٨٣٩)»، صحيح أبي داود (٧٩٩).

Marfat.com

وهوَ يُصلّى ،ولجَوْفه أزيزٌ كأزيز المِرْجَلِ منَ البُكاءِ . حديث صحيح رواه أبو داود ، والترمذى فى الشَّمائلِ بإسنادٍ صحيحٍ .

[٦/ ٤٥١] ـ وعن أنس ، رضى اللهُ عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ لأُبَىِّ بن كَعْب رضىَ اللهُ عنه : « إنَّ الله ، عزَّ وجلَّ ، أمرَنى أنْ أقرأ علَيْكَ : ﴿ لم يكُن الذين كفروا ﴾» قالَ وَسَمَّانى ؟ قالَ : « نعَمْ » فبكى أُبَىٌّ ، متفق عليه .

وفى رِوايةٍ : فَجعَلَ أُبَىٌّ يَبْكى .

[٧/ ٤٥٢] ـ وعنهُ قال : قال أبو بكْرٍ لعمرَ ، رضىَ اللهُ عنهما ، بعدَ وفاة رسُول الله ﷺ : انْطَلَقْ بنا إلى أُمِّ أيمَنَ ، رضىَ اللهُ عنَّها ، نَزُورُها كما كانَ رسولُ الله ﷺ يزُورُها، فَلَمَّا انْتهَيْنَا إلَيْها بكَتْ ، فقالا لها : ما يُبْكيك ؟ أمَا تَعْلَمين أنَّ ما عنْدَ الله تعالى خيْرٌ لرسُول الله ﷺ ! قالتْ : إنى لا أبْكى ، أنِّى لا أعْلَمُ أنَّ ما عنْدَ الله خيْرٌ لرسُول الله ﷺ ، ولكنِّى أبْكِى أنَّ الوَحْىَ قَد انْقطَعَ منَ السَّمَاء ؛ فَهيَّجتْهُما علَى البُكاء ، فَجعَلا يَبْكيانِ معَها . رواهُ مسلم وقد سبق فى باب زيارة أهل الخير .

[٨/ ٤٥٣] ـ وعن ابن عمرَ ، رضىَ اللهُ عنهما ، قال : لَمَّا اشْتدَّ برسُول الله ﷺ وَجَعُهُ قيلَ لَهُ فى الصَّلاة ، فقال : « مُرُوا أبا بكْرٍ فَلْيُصلِّ بالنّاسِ » فقالت عائشةُ ، رضىَ اللهُ عنها إنَّ أبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقيقٌ ، إذا قَرأ القُرآنَ غَلَبَهُ البُكاءُ ، فقالَ : « مُرُوهُ فَلْيُصلِّ » .

وفى رِوايَة عن عائشةَ ، رضىَ اللهُ عنها ، قَالتْ : قلتُ : إنَّ أبا بكْرٍ إذا قامَ مَقَامَكَ لمْ يُسْمِعِ النَّاسَ منَ البُكاء . متفقٌ عليه .

[٩/ ٤٥٤] ـ وعن إبراهيمَ بنِ عبد الرَّحمن بن عَوف أنَّ عبدَ الرَّحمن بنَ عوْف ، رَضىَ اللهُ عنهُ ، أُتىَ بطَعَام وكانَ صائماً ، فقال : قُتلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَير رضىَ اللهُ عنه ، وَهُوَ خَيْرٌ منِّى ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ ما يُكَفَّنُ فيه إلا بُرْدَةٌ إنْ غُطِّىَ بها رأسُهُ بَدتْ رِجْلاهُ ، وإنْ غُطِّىَ بها رِجْلاهُ بَدَا رأسُهُ ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيا ما بُسِطَ ـ أو قالَ : أُعْطينا منَ الدُّنْيَا ما أُعْطينَا ـ قدْ

(٦/ ٤٥١) صحيح: رواه البخاري (٤٩٥٩، ٤٩٦٠) ، ومسلم (٧٩٩).
(٧/ ٤٥٢) صحيح: تقدم برقم (٣٦٠).
(٨/ ٤٥٣) صحيح: أما رواية ابن عمر فرواها البخاري (٦٨٢). أما رواية عائشة فرواها البخاري (٢/ ٧١٣)، ومسلم (٤١٨).
(٩/ ٤٥٤) صحيح: رواه البخاري (٣/ ١٢٧٥).

Marfat.com

خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنا عُجِّلَتْ لنا ، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ . رواه البخاري .

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها في باب المؤلف في باب البكاء من خشية الله أو من الشوق إليه سبحانه وتعالى، ذكر فيها عدة أحاديث ، منها [حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه أنه أتى النبي ﷺ وهو يُصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء.

المرجل: القدر يغلي على النار وله صوت معروف، وأزيز صدر النبي ﷺ كان من خشية الله بلا شك، فهذا بكاء من خشية الله].

وذكر حديث أنس أن النبي ﷺ قال لأُبي بن كعب: «**إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك** : ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة: ١]» **فقال: وسماني لك؟ قال «نعم». فبكى أبي.**

لكن هذا البكاء يحتمل أن يكون شوقًا إلى الله تعالى؛ لأن أمر نبيه ﷺ أن يقرأ هذه السورة على أبي تدل على رفعة أُبي بن كعب رضي الله عنه، ويحتمل أن يكون ذلك من الفرح؛ فإن الإنسان ربما يبكي إذا فرح ، كما أنه يبكي إذا حزن.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث كلها تدل على البكاء بسبب الحزن على ما مضى، منها حديث أم أيمن رضي الله عنها حين زارها الصحابيان أبو بكر وعمر، أتيا إليها كما كان النبي ﷺ يزورها ، فلما أتيا بكت فقالا لها: «**ما يبكيك؛ أما علمت أن ما عند الله خير لرسوله ﷺ** ـ ؟ قالت: **بلى إني لا أبكي إني لأعلم**» يعني بل أنا أعلم، «**ولكن أبكي لأن الوحي قد انقطع من السماء**» انقطع الوحي «**فهيجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها**».

وكذلك حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه حين جيء إليه بالطعام وهو صائم، والصائم يشتهي الطعام عادة، ولكنه رضي الله عنه تذكر ما كان عليه الصحابة الأولون، وهو رضي الله عنه من الصحابة الأولين من المهاجرين رضي الله عنهم، لكنه قال احتقارًا لنفسه: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني.

وكان مصعبٌ رجلاً شابًا، كان عند والديه بمكة وكان والداه أغنياء، وكانا يُلبسانه من خير لباس الشباب والفتيان، وقد دللاه دلالاً عظيمًا فلما أسلم هجراه وأبعداه وهاجر مع النبي ﷺ ، فكان مع المهاجرين، وكان عليه ثوب مرقع بعد ما كان في مكة عند أبويه يلبس أحسن الثياب، لكنه ترك ذلك كله مهاجرًا إلى الله ورسوله.

وأعطاه النبي ﷺ الراية يوم أحد، فاستشهد رضي الله عنه، وكان معه بردة ـ أي ثوب

Marfat.com

ـ إذا غطوا به رأسه بدت رجلاه ـ وذلك لقصر الثوب ـ وإن غطوا رجليه بدا رأسه، فأمر النبي ﷺ أن يستر به رأسه وأتستر رجلاه بالإذخر (١) ـ نبات معروف ـ.

فكان عبد الرحمن بن عوف يذكر حال هذا الرجل، ثم يقول: إنهم قد مضوا وسلموا مما فتح الله به من الدنيا على من بعدهم من المغانم الكثيرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ [الفتح: ١٩].

ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «**قد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا**» لأن الكافر يجزى على حسناته في الدنيا وله في الآخرة عذاب النار، والمؤمن قد يجزى في الدنيا وفي الآخرة، لكن جزاء الآخرة هو الأهم.

فخشي رضي الله عنه أن تكون حسناتهم قد عجلت لهم في هذه الدنيا، فبكى خوفًا وفرقًا، ثم ترك الطعام رضي الله عنه.

ففي هذا: دليل على البكاء من خشية الله ومخافة عقابه.

[١٠/ ٤٥٥] ـ وعن أبى أُمامة صُدَىِّ بنِ عجلانَ الباهلىِّ ، رضىَ الله عنه ، عن النبىِّ ﷺ قال : « **لَيْسَ شيءٌ أحبَّ إلى الله تعالى من قطرَتيْنِ وأثرَيْنِ : قَطرةُ دُمُوعٍ من خَشية الله ، وقَطرةُ دمٍ تُهرَاقُ فى سَبيلِ الله ، وأَمَّا الأثرَانِ : فأثَرٌ فى سبيلِ الله تعالى، وأثَرٌ فى فَرِيضةٍ من فَرائض الله تعالى** » رواه الترمذى وقال : حديثٌ حسنٌ .

وفى الباب أحاديثُ كثيرةٌ ، منها :

[١١/ ٤٥٦] ـ حديث العرباضِ بن سارِيةَ ، رضى الله عنه ، قال : وَعَظَنَا رسولُ اللهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ منها القُلُوبُ ، وذَرَفت منْهَا العُيُونُ .

* * *

---

(١) صحيح: انظر البخاري (١٢٧٦) ومسلم (٩٤١).

(١٠ / ٤٥٥) حسن : رواه الترمذى (١٦٦٩) وحسنه الألبانى فى المشكاة (٣٨٣٧).

(١١/ ٤٥٦) صحيح : رواه أبو داود (٤٦٠٧) الترمذى (٤٧٧٦) ابن ماجه (٤٢) .وصححه الألبانى فى الإرواء (٢٤٥٥) .

Marfat.com

٥٥ ـ باب فضل الزهد فى الدنيا والحث على التقلل منها ، وفضل الفقر

قال اللهُ تعالى : ﴿ إنما مثلُ الحياة الدُنيا كماء أنزلناه من السَّماء فاختلط به نباتُ الأرض مما يأكلُ الناسُ والأنعامُ حتى إذا أخذت الأرضُ زخرفها وازَّينت وظنَّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نُفصلُ الآيات لقوم يتفكرون ﴾ **(يونس:٢٤)** .

وقال تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلَ الحياة الدنيا كماء أنزلناهُ من السَّماء فاختلط به نباتُ الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياحُ وكان الله على كل شيء مقتدرا . المالُ والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خيرٌ عند ربك ثوابا وخيرٌ أملا ﴾ **(الكهف:٤٥ ، ٤٦)** .

وقال تعالى : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذابٌ شديدٌ ومغفرةٌ من الله ورضوانٌ وما الحياة الدنيا إلا متاعُ الغرور ﴾ **(الحديد:٢٠)** .

وقال تعالى: ﴿ زين للناس حبُ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المُقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاعُ الحياة الدنيا والله عنده حُسنُ المآب ﴾ **(آل عمران:١٤)** .

وقال تعالى : ﴿ يأيها الناسُ إنَّ وعد الله حقٌ فلا تغرنَّكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنَّكم بالله الغرور ﴾ **(فاطر:٥)**..

وقال تعالى: ﴿ ألهاكمُ التكاثرُ . حتى زرتمُ المقابر . كلاَّ سوف تعلمون . ثمَّ كلاَّ سوف تعلمون . كلاَّ لو تعلمون علم اليقين ﴾ **(التكاثر :١:٥)** .

وقال تعالى : ﴿ وما هذه الحياةُ الدنيا إلاَّ لهوٌ ولعبٌ وإن الدارَ الآخرة لهي الحيوانُ لو كانُوا يعلمُون ﴾ **(العنكبوت:٦٤)** .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب فضل الزهد في الدنيا والحث علي التقلل منها وفضل الفقر).

الدنيا: هي حياتنا هذه التي نعيش فيها، وسميت دنيا لسببين:

Marfat.com

السبب الأول: أنها أدنى من الآخرة لأنها قبلها كما قال تعالى: ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ [الضحى: ٤].

والثاني: أنها دنيئة ليست بشيء بالنسبة للآخرة، لما روى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ من حديث المستورد بن شداد أن النبي ﷺ قال: **«موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها»**(١) موضع السوط: موضع العصى القصيرة الصغيرة في الجنة خير من الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها، فهذه هي الدنيا.

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات عديدة كلها تفيد أنه لاينبغي للعاقل أن يركن إلى الدنيا، أو يغتر بها، أو يلهو بها عن الآخرة، أو تكون مانعًا له من ذكر الله عز وجل، منها قوله تعالى: ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ﴾ يعني المطر ﴿ فاختلط به نبات الأرض ﴾ يعني أنبتت الأرض منه نباتًا متنوعًا ملتفًا متقاربًا، ليس بينه فجوات ليس فيها نبات، كل الأرض نباتات بأنواع الأعشاب من كل زوج بهيج ﴿ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت ﴾ أي كملت ﴿ وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ﴾ كأن لم تكن.

وهذه هي الحياة الدنيا، واعتبر ذلك أنت في واقعك، فكم من أناس عشت معهم عاشوا في هذه الدنيا عيشة راضية، وفي رفاهية وأنس وأولاد وزوجات وقصور وسيارات، ثم انتقلوا عنها كأن لم يكونوا بالأمس، انتقلوا عنها أو يأتي دنياهم شيء يتلفها، فكم من إنسان غني عنده أموال عظيمة أصبح فقيرًا يسأل الناس.

فهذه هي الدنيا، وإنما ضرب الله هذا المثل لئلا نغتر بها، فقال: ﴿ كذلك ﴾ يعني هذا التفصيل والتبيين ﴿ نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ لمن عندهم تفكير في الأمور، ونظر في العواقب. ثم قال: ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ [يونس: ٢٥]. أي فرق بين هذه وهذه، دار السلام: هي الجنة، وسميت كذلك لأنها سالمة من كل كدر، ومن كل تنغيص، ومن كل أذى، فإلى أيهما تركن أيها العاقل؟ لا شك أن العاقل يركن إلى دار السلام، ولا تهمه دار الفناء والنكد والتنغيص، فهو سبحانه وتعالى يدعو كل الخلق إلى دار السلام ﴿ ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ .

والهداية مقيدة، فإنه لم يقل: كل أحد، ولكن قال: ﴿ ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ فالحقيق والجدير بهداية الله هو من أناب إلى الله عز وجل، كما قال تعالى

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٨٩٢) والترمذي (١٦٤٨) وأحمد (٢/ ٣١٥).

Marfat.com

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]. كل من كان عنده نية طيبة وخالصة لابتغاء وجه الله والدار الآخرة، فهذا هو الذي يهديه الله عز وجل، وهو داخل في قوله: ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

ثم ذكر المؤلف آيات أخرى مثل قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف: ٤٥]. معناه: أن الحياة الدنيا كماء نزل على أرض فأنبتت، فأصبح هشيمًا تذروه الرياح، يبس وصارت الرياح تطير به، هكذا أيضًا الدنيا، وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠].

هذه خمسة أشياء كلها ليس بشيء: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، مثالها: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] أعجب الكفار، لأن الكفار هم الذي يتعلقون بالدنيا وتسبي عقولهم، فهذا نبات نبت من الغيث فصار الكفار يتعجبون من حسنه ونضارته ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ [الحديد: ٢٠] يزول وينتهي ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ [الحديد: ٢٠].

فأيهما تريد؟ هناك عذابٌ شديدٌ لمن آثر الحياة الدنيا على الآخرة، وهناك مَغْفِرَةٌ مِّنَ الله وَرِضْوَانٌ لمن أثر الآخرة على الدنيا، والعاقل إذا قرأ القرآن وتبصر عرف قيمة الدنيا، وأنها ليست بشيء، وأنها مزرعة للآخرة، فانظر ماذا زرعت فيها لآخرتك؟ إن كنت زرعت خيرًا فأبشر بالحصاد الذي يرضيك، وإن كان الأمر بالعكس فقد خسرت الدنيا والآخرة، نسأل الله لنا ولكم السلامة والعافية.

* * *

وأمَّا الأحاديث فأكثرُ مِنْ أنْ تُحْصَرَ فَنُنَبِّهُ بطَرَفٍ منها على ما سواه.

[١/٤٥٧] ــ عن عمرو بنِ عوف الأنصاريِّ، رضيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ أبا عُبيدةَ بنَ الجرَّاحِ، رضيَ الله عَنه، إلى البَحْرَيْنِ يَأتي بجزْيَتِها، فَقَدِمَ بمالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأنصارُ بقُدومِ أبي عُبَيْدَةَ، فَوافَوْا صلاةَ الفَجْرِ مَعَ رسولِ الله ﷺ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ انصرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ رآهُمْ، ثُمَّ قالَ: «

(١/ ٤٥٧) صحيح رواه البخاري (٣١٥٨)، مسلم (٢٩٦١).

أظنُّكم سمعتُم أنَّ أبَا عُبَيْدَةَ قَدمَ بشَيْء منَ البَحْرَيْنِ ؟ » فقالوا : أجَل يا رسول الله ، فقال : « أبْشرُوا وأمِّلُوا ما يَسرُّكُمْ ، فوالله ماَ الفقْرَ أخْشَى عَلَيْكُمْ ، ولكنِّي أخْشَى أنْ تُبْسطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُم كما بُسطَتْ عَلى مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافسُوها كَمَا تَنَافَسُوها ؛ فَتُهْلككُمْ كَمَا أهْلَكَتْهُمْ» متفقٌ عليه .

[٢/ ٤٥٨] ـ وعن أبي سعيد الخدريِّ ، رَضيَ اللهُ عنه ، قالَ : جَلَسَ رسول الله ﷺ علي المنْبَر ، وَجَلَسْنَا حوْلَهُ ، فقال : « إنَّ ممَّا أخَافُ عَلَيْكُم منْ بَعْدي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ من زَهْرَة الدُّنْيَا وَزينَتهَا » متفقٌ عليه .

[٣/ ٤٥٩] ـ وعنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضرَةٌ وإنَّ اللهَ تعالى مُسْتَخْلفُكُم فيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ » رواه مسلم .

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب الزهد في الدنيا والترغيب فيه، وقد ذكر قبل ذلك آيات متعددة كلها تدل على أن هذه الدنيا ليست بشيء بالنسبة للآخرة، وأنها ممر ومزرعة للآخرة، فإن قال قائل: يقال ورع، ويقال زهد، فأيهما أعلى؟ وما الفرق بينهما؟

فالجواب: أن الزهد أعلى من الورع، والفرق بينهما أن الورع ترك ما يضر، والزهد ترك ما لا ينفع ، فالأشياء ثلاثة أقسام: منها ما يضر في الآخرة، ومنها ما ينفع ، ومنها ما لا يضر ولا ينفع.

فالورع: أن يدع الإنسان ما يضره في الآخرة، يعني أن يترك الحرام.

والزهد : أن يدع ما لا ينفعه في الآخرة، فالذي لا ينفعه لا يأخذ به، والذي ينفعه يأخذ به، والذي يضره لا يأخذ به من باب أولى، فكان الزهد أعلى حالاً من الورع، فكل زاهد ورع، وليس كل ورع زاهدًا.

ولكن حذر النبي عليه الصلاة والسلام من أن تفتح علينا الدنيا كما فتحت على من كان قبلنا فتهلك كما هلكوا.

لما قدم أبو عبيدة بمال من البحرين، وسمع الأنصار بذلك، جاءوا إلى النبي ﷺ فوافوه في صلاة الفجر، فلما انصرف من الصلاة تعرضوا له، فتبسم عليه الصلاة والسلام؛

(٢/ ٤٥٨) صحيح : رواه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

(٣/ ٤٥٩) صحيح : رواه مسلم (٢٧٤٢) والترمذي (٢١٩١) واحمد (٦/ ٣٦٤).

Marfat.com

يعني ضحك بدون صوت، تبسم لأنهم جاءوا متشوقين للمال فقال لهم: «**أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟**» قالوا : أجل يا رسول الله، يعني سمعنا بذلك وجئنا لننال نصيبنا. فقال عليه الصلاة والسلام: «**أبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله ما الفقر أخشى عليكم**» فالفقر لا يخشاه علينا النبي ﷺ .

والفقر قد يكون خيرًا للإنسان، كما جاء في الحديث القدسي الذي يروي عن النبي ﷺ أن الله قال: «**إن من عبادي من لو أغنيته لأفسده الغنى**» يعني أطغاه وأضله وصده عن الآخرة والعياذ بالله ففسد «**وإن من عبادي من لو أفقرته لأفسده الفقر**»(١).

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**ما الفقر أخشى عليكم** » يعني لا أخشى عليكم من الفقر ، لأن الفقير في الغالب أقرب إلى الحق من الغني.

وانظروا إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ من الذي يكذبهم؟ يكذبهم الملأ الأشرار الأغنياء، وأكثر من يتبعهم الفقراء، حتى النبي عليه الصلاة والسلام أكثر من اتبعه الفقراء.

فالفقر لا يخشى منه، بل الذي يخشى منه أن تبسط الدنيا علينا، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم**».

وهذا هو الواقع، وانظر إلى حالنا نحن، لما كان الناس إلى الفقر أقرب، كانوا لله أتقى، وأخشع، ولما كثر المال، كثر الإعراض عن سبيل الله، وحصل الطغيان، وصار الإنسان الآن يتشوف لزهرة الدنيا وزينتها: سيارة، بيت، فرش، لباس، يباهي الناس بهذا كله، ويعرض عما ينفعه في الآخرة.

وصارت الجرائد والصحف وما أشبهها لا تتكلم إلا عن الرفاهية وما يتعلق بالدنيا، وأعرضوا عن الآخرة، وفسد الناس إلا من شاء الله.

فالحاصل أن الدنيا إذا فتحت ـ نسأل الله أن يقينا وإياكم شرها ـ أنها تجلب الشر وتطغي الناس ﴿ كَلَّا إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وقد قال فرعون لقومه: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥١]. افتخر بالدنيا، لذلك فالدنيا خطيرة جدًا.

وفي هذه الأحاديث أيضًا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن الدنيا حلوة خضرة**» حلوة المذاق، خضرة المنظر، تجذب وتفتن، فالشيء إذا كان حلوًا ومنظره طيبًا فإنه يفتن

(١) ضعيف رواه البيهقي في الأسماء والصفات (١٢١) وضعفه الألباني في الضعيفة (١٧٧٤).

Marfat.com

الإنسان، فالدنيا هكذا حلوة خضرة.

ولكن «إن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعلمون» يعني جعلكم خلائف فيها؛ يخلف بعضكم بعضًا، ويرث بعضكم بعضًا، «فينظر كيف تعملون» هل تقدمون الدنيا أو الآخرة؟ ولهذا قال: «فاتقوا الدنيا واتقوا النساء». ولكن إذا أغنى الله الإنسان، وصار غناه عونًا له على طاعة الله، ينفق ماله في الحق، وفي سبيل الله، صارت الدنيا خيرًا.

ولهذا كان رجل الدنيا ينفق ماله في سبيل الله، وفي مرضاة الله عز وجل، في منزلة العالم الذي أتاه الله الحكمة والعلم وصار يعلم الناس.

فهناك فرق بين الذي ينهمك في الدنيا ويعرض عن الآخرة، وبين الذي يغنيه الله، ويكون غناه سببًا لسعادته والإنفاق في سبيل الله ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

* * *

[٤/ ٤٦٠] ــ وعن أنسٍ، رضيَ الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إلا عَيْشَ الآخِرَة» متفقٌ عليه.

[٥/ ٤٦١] ــ وعنهُ عن رسول الله ﷺ قال: «يَتْبَعُ المَيِّتَ ثلاثَةٌ: أهْلُهُ وَمَالُهُ وعَمَلُهُ، فَيرْجِعُ اثْنَانِ، ويَبْقَى واحِدٌ: يَرْجِعُ أهْلُهُ ومَالُهُ ويَبْقَى عَمَلُهُ» متفقٌ عليه.

[٦/ ٤٦٢] ــ وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُؤْتَى بأنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيَا من أهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فى النَّارِ صَبْغَة، ثُمَّ يُقَالُ: يابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأيْتَ خَيْراً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ نَعيمٌ قَطُّ؟ فيَقُولُ: لا واللهِ يا رَبِّ. ويُؤْتَى بأشَدِّ النَّاس بُؤْساً فى الدُّنْيَا من أهْلِ الجَنَّة؛ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فى الجَنَّة؛ فَيُقَالُ لَهُ: يابْنَ آدم هَلْ رَأيْتَ بُؤْساً قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بكَ شدَّةٌ قطّ؟ فيقولُ: لا، واللهِ، مَا مَرَّ بى بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأيْتُ شدَّةً قَطُّ» رواه مسلم.

[٧/ ٤٦٣] ــ وعن المُسْتَوْرِد بن شَدَّادٍ رضيَ الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا

(٤/ ٤٦٠) صحيح: رواه البخاري (٣٧٩٥، ٣٧٩٦)، ومسلم (١٨٠٥).

(٥/ ٤٦١) صحيح: رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).

(٦/ ٤٦٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٠٧)، وأحمد (٣/ ٢٠٣).

(٧/ ٤٦٣) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥٨)، والترمذي (٢٣٢٣).

Marfat.com

الدُّنيا في الآخرةِ إلا مثلُ ما يجعلُ أحدُكُمْ أُصبُعَهُ في اليمِّ ، فلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ ؟ » رواه مسلم.

[٨/ ٤٦٤] ـ وعن جابر ، رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بالسُّوق ، والنَّاسُ كَنَفَتَيْه ، فمَرَّ بجَدْيٍ أسكَّ ميِّتٍ ، فتناوَلَهُ ، فأَخَذَ بأُذُنه ، ثُمَّ قال : « أيُّكُمْ يُحبُّ أنْ يكُونَ هذا لَهُ بدرْهَمٍ ؟ » فقالوا : ما نُحبُّ أنَّهُ لَنا بشَيْءٍ وما نَصْنَعُ به ؟ ثم قال : «أتُحبُّونَ أنَّهُ لكُمْ ؟ » قالوا : واللهِ لَوْ كانَ حيًا كانَ عَيْباً ؛ إنَّهُ أسَكُّ ، فكَيْفَ وهو مَيِّتٌ ! فقال : « فَواللهِ لَلدُّنْيَا أهْوَنُ علَى الله منْ هذا علَيْكُمْ » رواه مسلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث في بيان الزهد في الدنيا، وأن النعيم هو نعيم الآخرة، منها: عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»** يعني : العيشة الهنية الراضية الباقية هو عيش الآخرة، أما الدنيا فإنه مهما طاب عيشها فمآلها للفناء، وإذا لم يصحبها عمل صالح فإنها خسارة، ولهذا ذكر في ضمن هذه الأحاديث **«أنه يؤتى بأنعم أهل الدنيا في الدنيا»** يعني: أشدهم نعيمًا في بدنه وثيابه وأهله ومسكنه ومركوبه وغير ذلك، **«فيصبغ في النار صبغة»** يعني: يغمس في النار غمسة واحدة، ويقال له: **«يا بن آدم هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب»**، لأنه ينسى كل هذا النعيم، هذا وهو شيء يسير، فكيف بمن يكون مخلدًا فيها والعياذ بالله أبد الآبدين.

وذكر أيضًا في حديث جابر أن النبي ﷺ مر في السوق بجدي أسك. والجدي من صغار الماعز، وهو أسك مقطوع الأذنين، فأخذه النبي عليه الصلاة والسلام ورفعه وقال: **«أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟»** قالوا: يا رسول الله؛ ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به.

ثم قال ﷺ : **«أتحبون أنه لكم؟»** فقالوا: والله لو كان حيًا كان عيبًا إن أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: **«فو الله إن الدنيا أهون علي الله تعالى من هذا عليكم»**.

فهذا جدي ميت لا يساوي شيئًا ومع ذلك فالدنيا أهون وأحقر عند الله تعالى من هذا الجدي الأسك الميت، فهي ليست بشيء.

ومع ذلك فإن من عمل فيها عملاً صالحًا صارت مزرعة له في الآخرة، ونال

(٨/ ٤٦٤) صحيح : رواه مسلم (٢٩٥٧).

Marfat.com

السعادتين؛ سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

أما من غفل وتغافل وتهاون ومضت الأيام عليه وهو لم يعمل، فإن يخسر الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وكل بني آدم خاسر إلا هؤلاء الذين جمعوا هذه الأوصاف الأربعة: آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر، جعلنا الله والمسلمين منهم.

* * *

[٩/ ٤٦٥] ــ وعن أبى ذر رَضِىَ الله عنه، قال: كُنْتُ أَمْشى مَعَ النبىِّ ﷺ، فى حَرَّة بالمدينة، فَاستَقْبَلَنَا أُحُدٌ فقال: «يا أبَا ذَرٍّ». قلت: لَبَّيْكَ يا رسول الله. فقال: «مَا يَسُرُّنى أنَّ عِنْدَى مِثْلَ أُحُد هذا ذَهباً تَمْضى عَلَىَّ ثَلاثَةُ أيَّامٍ وَعِنْدى مِنْهُ دينَارٌ، إلا شَىْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ، إلا أنْ أقُولَ بِهِ فى عباد الله هكَذَا وهكَذَا وَهكَذَا» عن يَمِينه وعن شماله وعن خلفه؛ ثم سَار فقال: «إنَّ الأكثَرِينَ هُمُ الأقَلُّونَ يومَ القيامة إلا مَنْ قالَ بالمَال هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينه، وعن شماله، ومنْ خَلْفه «وَقَليلٌ مَا هُم»، ثم قال لى: «مَكَانَكَ لا تَبْرَحْ حَتَّى آتيَكَ»، ثم انْطَلَقَ في سَوَاد اللَّيل حتى تَوارَى، فَسَمعْتُ صَوْتاً قد ارْتَفعَ، فَتَخوَّفْتُ أنْ يَكُونَ أحَدٌ عَـرَضَ للنَّبىِّ ﷺ، فَـأَرَدْتُ أنْ آتيَهُ فَذَكَرْتُ قوله: «لا تَبْرَحْ حَتَّى آتيَكَ» فلم أبْرَحَ حَتَّى أتَانى، فَقُلْتُ: لقد سَمعْتُ صَوْتاً تَخَوَّفْتُ منه، فَذَكَرْتُ له، فقال: «وَهَلْ سَمعْتَهُ؟» قلت: نَعَم، قال: «ذَاكَ جبريلُ أتانى فقال: مَن مات منْ أُمَّتكَ لا يُشركُ بالله شيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ» قلتُ: وإنْ زَنَى وَإنْ سَرَقَ؟ قال: «وَإن زَنَى وَإن سَرَقَ» متفقٌ عليه، وهذا لفظُ البخارى.

[١٠/ ٤٦٦] ــ وعن أبى هريرة، رضى الله عنه، عنْ رسول الله ﷺ قال: «لو كان لى مثْلُ أُحُد ذَهباً؛ لَسَرَّنى أنْ لا تَمرَّ عَلَىَّ ثَلاثُ لَيَالٍ وَعِندى منه شَىْءٌ إلا شَىْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ» متفقٌ عليه.

(٩/ ٤٦٥) صحيح: رواه البخاري (٦٤٤٤)، ومسلم (٩٩١).

(١٠/ ٤٦٦) صحيح: رواه البخاري (٢٣٨٩)، ومسلم (٩٩١).

Marfat.com

[١١/ ٤٦٧] ـ وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « انْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلا تَنْظُرُوا إلى مَنْ هُوَ فَوقَكُمْ فَهُو أجْدَرُ أَلاَ تَزْدرُوا نعمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ » متفق عليه وهذا لفظ مسلم .

وفي رواية البخارى : « إذا نَظَر أحَدُكُمْ إلى مَنْ فُضِّلَ عليهِ في المالِ وَالخَلْقِ ؛ فَلْيَنْظُرْ إلى مَنْ هو أسْفَلَ منْهُ » .

[١٢/ ٤٦٨] ـ وعنه عن النبى ﷺ ، قال : « تَعس عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالقَطِيفَةِ وَالخَميصَةِ ؛ إنْ أُعْطِىَ رضىَ ، وإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ » رواه البخارى .

[١٣/ ٤٦٩] ـ وعنه ، رضى الله عنه ، قال : « لَقَدْ رَأيْتُ سَبْعينَ مِنْ أهْلِ الصُّفَّةِ ، مَا منْهُمْ رَجُلٌ عليه رداءٌ ، إمَّا إزارٌ ، وإمَّا كساءٌ ، قَد رَبَطُوا في أعْنَاقهِمْ ، فَمنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْن ، وَمنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ ، فَيَجْمَعُهُ بِيَده كَرَاهِيَةَ أنْ تُرَى عَوْرَتُهُ » رواه البخارى .

[١٤/ ٤٧٠] ـ وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ» رواه مسلم .

الشرح

هذه الأحاديث التي ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ كلها تدل على الزهد في الدنيا .

فمنها حديث أبى ذر وأبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا تمضي علي ثلاثة أيام وعندي منه دينا، إلا شيء أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا» عن يمينه وعن شماله ومن خلفه.

وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان أزهد الناس في الدنيا، لأنه لا يريد أن يجمع المال إلا شيئًا يرصده لدين، وقد توفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير أخذه لأهله(١).

ولو كانت الدنيا محبوبة إلى الله عز وجل ما حرم منها نبيه ﷺ : «فالدنيا ملعونة

(١١ / ٤٦٧) صحيح: رواه مسلم ((٢٩٦٣) رقم الحديث في الباب (٩) ورواية البخاري رقمها (١١ / ٦٤٩٠). وقول المصنف وفي رواية البخاري: «إذا نظر أحدكم...» الحديث فقد رواها مسلم أيضًا باللفظ المذكور «٢٩٦٣).

(١٢ / ٤٦٨) صحيح: رواه البخاري (٢٨٨٦).

(١٣ / ٤٦٩) صحيح: رواه البخاري (٤٤٢).

(١٤ / ٤٧٠) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٦). والترمذي (٢٣٢٤) وأحمد (٢/ ١٩٧).

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٩١٦) ومسلم (١٦٠٣).

Marfat.com

معلون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالمًا ومتعلمًا»[١] وما يكون في طاعة الله عز وجل.

ثم ذكر في حديث أبي ذر «أن المكثرين هم المقلون يوم القيامة» يعني: المكثرين من الدنيا هم المقلون من الأعمال الصالحة يوم القيامة، وذلك لأن الغالب على من كثر ماله في الدنيا أن يستغني ويتكبر ويعرض عن طاعة الله، لأن الدنيا تلهيه، فيكون مكثرًا في الدنيا مقلاً في الآخرة، وقوله: «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا» يعني: في المال وصرفه في سبيل الله عز وجل.

وفي حديث أبي ذر أن من مات لايشرك بالله شيئًا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق، وهذا لا يعني أن الزنى والسرقة من الأمور السهلة، بل هي صعبة، ولهذا استعظمها أبو ذر وقال: وإن زنى وإن سرق! قال: «وإن زنى وإن سرق».

وذلك لأن من مات على الإيمان وعليه معاصٍ من كبائر الذنوب، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

قد يعفو الله عنه ولا يعاقبه، وقد يعاقبه، لكن إن عاقبه فمآله إلى الجنة لأن كل من كان لا يشرك بالله ولم يأت شيئًا مكفرًا؛ فإن مآله إلى الجنة.

أما من أتى مكفرًا كالذي لا يصلي والعياذ بالله، فهذا مخلد في النار؛ لأنه كافر مرتد حتى ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وآمنت بالله واليوم الآخر وهو لا يصلي، فإنه مرتد، لأن المنافقين كانوا يقولون للرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]. وكانوا يذكرون الله ولكن لا يذكرون الله إلا قليلاً ويصلون ولكن ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [النساء: ١٤٢]. ومع ذلك فهم في الدرك الأسفل من النار.

وكذلك الأحاديث التي تلت ما رواه أبو ذر رضي الله عنه، كلها تدل على الزهد في الدنيا، وأن الإنسان لا ينبغي أن تتعلق نفسه بها، وأن تكون الدنيا بيده لا بقلبه، حتى يقبل بقلبه علي الله عز وجل، فإن هذا هو كمال الزهد، وليس المعنى أنك لا تأخذ شيئًا من الدنيا، بل خذ من الدنيا ما يحل لك، ولا تنس نصيبك منها، ولكن اجعلها في يديك ولا تجعلها في قلبك، وهذا هو المهم، نسأل الله لنا وللمسلمين العافية والسلامة.

* * *

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٣٢٢) وابن ماجه (٤١١٢) وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٧٩٧).

Marfat.com

[١٥ / ٤٧١] ـ وعن ابن عمر، رضى الله عنهما، قال: أخذ رسول الله ﷺ بمَنْكِبِيَّ، فقال «كُنْ في الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيبٌ، أوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وكَانَ ابنُ عمرَ، رضى الله عنهما، يقول: إذَا أمْسَيْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإذَا أصْبَحْتَ، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوتِكَ. رواه البخاري.

قالوا فى شرح هذا الحديث: معناه: لا تَركَن إلى الدُّنْيَا ولَا تَتَّخِذْهَا وطَناً، ولا تُحدِّثْ نَفْسَكَ بطُول البَقَاء فيهَا، ولا بالاعْتِنَاء بها، ولا تَتَعَلَّقْ منْهَا إلا بمَا يَتَعلَّقُ به الغَرِيبُ فى غَيْرِ وَطَنه، ولا تَشْتَغِلْ فيهَا بِمَا لا يَشْتَغِلُ به الغَرِيبُ الَّذى يُرِيدُ الذَّهَابَ إلى أهْلِه. وَبِاللهِ التَّوْفيقُ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب الزهد في الدنيا حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أخذ النبي ﷺ بمنكبي، وأخذ بمنكبه من أجل أن يستعد لما يلقيه عليه فينتبه فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» يحتمل أن هذا من باب الشك، أي أن الراوي شك، هل قال رسول الله ﷺ الأول أو الثاني.

ويحتمل أن من باب التنويع يعني كن كالغريب الذي يداخل الناس ولا يهتم بهم، ولا يعرف بينهم، أو كأنك عابر سبيل تريد أن تأخذ ما تحتاجه في سفرك وأنت ماش.

وهذا التمثيل الذي ذكر النبي ﷺ هو الواقع؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا مسافر، فالدنيا ليست دار مقر، بل هي دار ممر، سريع راكبة لا يفتر ليلاً ولا نهاراً، فالمسافر ربما ينزل منزلاً، فيستريح، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل، هو دائمًا في سفر كل لحظة فإنك تقطع بها شوطًا من هذه الدنيا لتقرب من الآخرة.

فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير، أليس ينتهي بسرعة؟ بلى ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات: ٤٦].

والإنسان عليه أن يقيس ما يستقبل من عمره بما مضى، فالذي مضى كأنه لا شيء، حتى أمسك الأدنى، كأنك لم تمر به أو كأنه حلم، وكذلك فما يستقبل من دنياك، فهو كالذي تقدم، ولهذا لا ينبغي الركون إلى الدنيا ولا الرضى بها، وكأن الإنسان مخلد فيها.

ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنه يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذ أصبحت فلا

(١٥ / ٤٧١) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٦) و الترمذي (٢٣٣٣) وابن ماجه (٤١١٤).

Marfat.com

تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

١٦/ ٤٧٢ ــ وعن أبى العبَّاسِ سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعدىِّ، رضى اللهُ عنهُ، قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ الله، دُلَّنى علَى عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أحبَّنى اللهُ، وأحبَّنى النَّاسُ، فقال: «ازهَدْ فى الدُّنْيا يُحِبَّكَ اللهُ، وازهَدْ فيما عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ» حديثٌ حسنٌ رواه ابن مَاجَه وغيره بأسانيد حسنة.

١٧/ ٤٧٣ ــ وعن النُّعْمَان بن بَشيرٍ، رضىَ اللهُ عنهما، قالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخطَّاب، رضى الله عنه، مَا أصابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فقال: لَقَدْ رأيْتُ رسول الله ﷺ، يظَلُّ اليَوْمَ يلْتَوى مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَملأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم «الدَّقَلُ» بفتح الدال المهملة والقاف: رَدِيءُ التَّمْرِ.

١٨/ ٤٧٤ ــ وعن عائشةَ، رضىَ الله عنها، قالت: تُوُفِّىَ رَسولُ الله ﷺ، ومَا فى بَيْتى مِنْ شَىْءٍ يَأكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلا شَطْرُ شَعيرٍ فى رَفٍّ لى، فَأكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَال عَلَىَّ، فكِلْتُهُ فَفَنِىَ. متفقٌ عليه. «شَطْرُ شَعيرٍ» أىْ: شَىْءٌ مِنْ شَعيرٍ، كَذَا فَسَّرَهُ التِّرْمذىُّ.

١٩/ ٤٧٥ ــ وعن عمرو بن الحارث أخى جُوَيْرِيَةَ بنْت الحَارث أُمِّ المُؤمنينَ، رضى الله عنهما، قال: مَاتَرَكَ رسولُ الله ﷺ عندَ مَوْتِه ديناراً، ولا درْهَماً، ولاَ عَبْداً، ولا أمَةً، ولا شيْئاً إلا بَغْلَتَهُ البَيْضَاءَ الَّتى كَانَ يرْكَبُهَا، وَسِلاحَهُ، وأرْضاً جعلَهَا لابْنِ السَّبيلِ صَدَقَة. رواه البخارى.

[٢٠/ ٤٧٦] ــ عن خَبَّاب بن الأرَتِّ، رضى الله عنه، قال: هَاجَرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ، نَلْتَمسُ وَجْهَ الله تعالى؛ فوَقَعَ أجْرُنَا على الله، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ ولَمْ يأكُلْ مِنْ أجْره شيْئاً، منْهُمْ مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ، رضى الله عنه، قُتِلَ يومَ أُحُد، وتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إذَا غَطَّيْنَا بها رأسَهُ، بَدَتْ رِجْلاهُ، وإذَا غَطَّيْنَا بهَا رجْلَيْه، بَدَا رَأسُهُ، فأمَرَنَا رسولُ الله ﷺ، أنْ نُغَطِّىَ رأسَهُ، ونَجْعَلَ على رِجْلَيْه شيْئاً منَ الإذْخِرِ، ومِنَّا مَنْ أيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا. متفقٌ عليه.

[٢١/ ٤٧٧] ــ وعن سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعدىِّ، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَو كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عنْدَ الله جنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافراً منْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ». رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(١٦/ ٤٧٢) صحيح: رواه ابن ماجه (٤١٠٢) وصححه الالبانى فى الصحيحين (٤٧٥).

(١٧/ ٤٧٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٧٨).

(١٨/ ٤٧٤) صحيح: رواة البخارى (٣٠٩٧) مسلم (٢٩٧٢).

(١٩/ ٤٧٥) صحيح: رواه البخارى (٢٧٣٩).

(٢٠/ ٤٧٦) صحيح: رواة البخاري (١٢٧٦)، ومسلم (٩٤١).

(٢١/ ٤٧٧) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب، وصححه الالباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٨) والصحيحة برقم (٦٨٦)، (٢٤٨٢).

Marfat.com

الشرح

هذه الأحاديث كلها تدور على ما سبق من الحث على الزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة. فذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه في قصة مصعب بن عمير، وهو من المهاجرين الذين هاجروا لله عز وجل ابتغاء وجهه، وكان شابًا مدللاً من قبل والديه في مكة، ولما أسلم طرده أبواه لأنهما كانا كافرين، فهاجر رضي الله عنه وقتل في أحد في السنة الثالثة من الهجرة، فلم يمض على هجرته إلا ثلاثة أعوام أو أقل، فقتل شهيدا رضي الله عنه، وكان صاحب الراية، ولم يكن معه شيء إلا بردة ـ ثوب واحد ـ إن غطوا به رأسه بدت رجلاه، وإن غطوا به رجليه بدا رأسه، فأمر النبي ﷺ أن يغطى رأسه، ويجعل على رجليه شيء من الإذخر، وهو نبات معروف تأكله البهائم، فأمر النبي ﷺ أن يجعل على رجليه لأجل أن يغطيهما.

قال: «ومنا»: يعني المهاجرين «من أينعت له ثمرته» أينعت: يعني استوت وأثمرت «فهو يهدبها» أي: يجنيها ويقطفها ويتمتع بها، ويقول ذلك شوقًا إلى العهد الأول، وإلى ما كانوا عليه من زهد قبل أن تفتح عليهم الدنيا فيشتغل بها البعض.

* * *

[٢٢/ ٤٧٨] ـ وعن أبي هُريرةَ، رضى الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقول: « ألا إنَّ الدُّنيَا مَلعُونَةٌ، مَلعُونٌ مَا فيها، إلا ذِكْرَ الله تَعالى، ومَا والاهُ، وعَالماً ومُتَعلِّماً » رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسنٌ.

٢٣/ ٤٧٩ ـ وعن عَبْد الله بنِ مسعودٍ، رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تَتَّخِذُوا الضَّيعَةَ فَتَرْغَبُوا فى الدُّنْيَا » رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسنٌ.

[٢٤/ ٤٨٠] ـ وعن عبد الله بن عمرو بنِ العاصِ، رضى الله عنهما، قال: مرَّ علَيْنَا رسولُ الله ﷺ، ونَحنُ نعالجُ خُصًا لَنَا فقال: « ما هذا ؟ » فقُلْنَا: قَدْ وَهَى، فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ فقال: « ما أرَى الأمرَ إلا أعْجَلَ مِنْ ذلك ».

رواه أبو داود، والترمذى بإسناد البخارى ومسلم، وقال الترمذى: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٢٢ / ٤٧٨) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٢٨)، وقال الألباني في المشكاة (٥١٧٨): «إسناده جيد»، والضيعة هي القرية والبستان والمزرعة. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٩٧).

(٢٣/ ٤٧٩) صحيح: رواه الترمذى (٢٣٢٨) وصححه الألبانى فى الصحيحين (١٢).

(٢٤ / ٤٨٠) صحيح: رواه أبو داود (٥٢٣٦)، والترمذي (٢٣٣٥). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٥٦)، وصحيح أبي داود (٤٣٦٢).

Marfat.com

[٢٥/ ٤٨١] ـ وعن كَعْب بن عِيَاض ، رضى الله عنه ، قالَ : سمعتُ رسولُ الله ﷺ ، يقول : « إنَّ لكُلِّ أُمَّة فتْنَةً ، وَفتْنَةُ أُمَّتى المَالُ » رواه الترمذى وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

[٢٦/ ٤٨٢] ـ وعن أبى عَمْرو ، ويقالُ : أبو عبد الله ، ويقال : أَبُو لَيْلى ، عُثْمَان ابن عفَّانَ ، رضى الله عنه أنَّ النبىَّ ﷺ قال : « لَيْسَ لابْنِ آدَم حَقٌّ فى سوى هذه الخصَال: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ ، وثَوْبٌ يُوارى عوْرَتَهُ ، وجِلْفُ الخُبْزِ والمَاء » رواه الترمذى وقال : حَدَيثٌ صحيح .

قال الترمذى : سَمعتُ أَبَا داوُدَ سُلَيْمَانَ بنَ سَالم البَلخىَّ يقولُ : سَمعْتُ النَّضرَ بنَ شُمَيْلٍ يقولُ : الجلفُ : الخُبزُ لَيْس مَعَهُ إدامٌ . وقَالَ غيْرُهُ : هُوَ غَلِيظُ الخُبزِ . وَقَالَ الهرَوِىُّ : المُرَادُ بِه هُنَا وِعَاءُ الخُبْزِ ؛ كالجَوَالقِ وَ الخُرْجِ ، والله أعلم .

[٢٧/ ٤٨٣] ـ وعنْ عبد الله بن الشِّخِّير ـ بكسر الشينِ والخاء المشدَّدة المعجمتين ـ رضى الله عنه ، أنَّهُ قالَ : أتَيْتُ النَّبىَّ ﷺ وهُوَ يقْرأُ : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴾ قالَ : « يَقُولُ ابنُ آدَم : مَالى ، مَالى ، وهَل لكَ يَا بنَ آدَمَ منْ مالكَ إلا ما أكلتَ فَأفْنَيْت ، أوْ لبسْتَ فَأبْلَيْتَ، أوْ تَصَدَّقْتَ فَأمْضَيْتَ ؟ ! » رواه مسلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ هذه الأحاديث للتحذير من فتنة الدنيا، فذكر حديث كعب ابن عياض رضي الله عنه أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: **«إن لكل أمة فتنة، وفتنة أمتي المال»**، إذا كثر المال عند الناس نسوا الآخرة، ولهذا نهى ﷺ عن اتخاذ الضياع يعني: الحدائق والبساتين، فإن الإنسان يلهو بها عما هو أهم منها من أمور الآخرة. والحاصل أن الإنسان يجب عليه أن يكون زاهدًا في الدنيا راغبًا في الآخرة، وإذا رزقه مالاً فيجعله عونًا على طاعة الله، وليجعل الدنيا في يده لا في قلبه، حتى يفوز بخيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

(٢٥ / ٤٨١) صحيح : رواه الترمذي (٢٣٣٦)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي(١٩٠٥).

(٢٦ / ٤٨٢) ضعيف: رواه الترمذي(٢٣٤١) ، وقال الألباني في «المشكاة» (٥١٨٦): «إسناده ضعيف والصحيح أنه عن رجل من أهل الكتاب كما ذكره الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ » وضعفه في ضعيف الترمذي (٤٠٦) ، والضعيفة برقم (١٠٦٣).

(٢٧ / ٤٨٣) صحيح: رواه مسلم (٢٩٥٨).

Marfat.com

وقرأ النبي ﷺ قول تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ١، ٢]. ﴿أَلْهَاكُمُ﴾ : يعني شغلكم عن المقابر، وعن الموت وما بعده، حتى ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: حتى أصبحتم من أهل القبور بعد موتكم، ثم قال رسول الله ﷺ : «يقول ابن آدم مالي مالي» يفتخر به «وهل لك يا بن آدم، من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت»، هكذا قال النبي عليه الصلاة والسلام وهو كذلك، فالإنسان ما له من ماله إلا هذه الأشياء، إما أن يأكل طعامًا وشرابًا، وإما أن يلبس من أنواع اللباس، وإما أن يتصدق، والباقي له هو ما يتصدق به، أما ما يأكله وما يلبسه؛ فإن كان يستعين به على طاعة الله كان خيرًا له، وإن كان يستعين به على معصية الله وعلى الأشر والبطر كان محنة عليه والعياذ بالله .

* * *

[٤٨٤/٢٨] ــ وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ ، رضى الله عنه ، قال : قال رَجُلٌ للنَّبىِّ ﷺ : يا رسولَ الله ، والله إنِّى لأُحبُّكَ ، فقال : « انْظُرْ ماذا تَقُولُ ؟ » قال : وَالله إنِّى لأُحبُّكَ ، ثلاثَ مرات ، فقال : « إنْ كُنْتَ تُحبُّنى فَأعد للفَقْرِ تجفافاً ، فإنَّ الفَقْرَ أسْرَعُ إلى من يُحبُّنى مِنَ السَّيْلِ إلَى مُنْتَهاهُ » رواه الترمذى وقال : حَديث حسن .

« التِّجْفَافُ » بكسر التاء المثناة فوقُ وإسكانِ الجيمِ وبالفاءِ المكررة ، وَهُوَ شَىْءٌ يُلْبَسُهُ الفَرَسُ ، ليُتَّقَى بِهِ الأذَى ، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الإنْسَانُ .

[٤٨٥/٢٩] ــ وعن كَعب بن مالك ، رضىَ الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « مَاذئْبَانِ جَائعَانِ أُرْسلا فى غَنَم بِأفسَدَ لَهَا ، مِنْ حِرصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ ، لِدِينه » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

[٤٨٦/٣٠] ــ وعن عبد الله بن مَسْعُود ، رضى الله عنه ، قال : نَامَ رَسُولُ الله ﷺ على حَصِير ، فَقَامَ وَقَدْ أثَّرَ في جَنْبه . قُلْنَا : يا رَسُولَ الله ، لو اتَّخَذنَا لَكَ وِطَاءً ! فقال : « مَالى وَللدُّنْيَا ؟ مَا أنا فى الدُّنْيَا إلاَ كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

(٢٨ / ٤٨٤) ضعيف: رواه الترمذي (٢٣٥٠) وقال : حديث حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٠٩) ، والضعيفة برقم (١٦٨١).

(٢٩/ ٤٨٥) صحيح : رواه الترمذى (٢٣٧٦) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٢٠) .

(٣٠ / ٤٨٦) صحيح: رواه الترمذي (٤/ ٢٣٧٧) ، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣١٧)، والصحيحة برقم (٤٣٩) ، (٤٤٠) . وفي صحيح الترمذي (١٩٣٦).

Marfat.com

[٣١/ ٤٨٧] ـ وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «يَدْخُلُ الفُقَراءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأغْنِيَاءِ بِخَمْسمائَةِ عَامٍ » رواه الترمذى وقال : حديث صحيح .

[٣٢/ ٤٨٨] ـ وعن ابنِ عبَّاس ، وعمْرَانَ بن الحُصَيْن ، رضيَ الله عنهم ، عن النبي ﷺ قال : « اطَّلَعْتُ في الجَنَّةَ فرَأيْتُ أكْثَرَ أهلهَا الفُقَراءَ ، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فرَأيْتُ أكْثَرَ أهلهَا النِّسَاءَ » متفقٌ عليه من روايه ابن عباس .

ورواه البخارى أيضاً من رواية عمْرَانَ بن الحُصَيْن .

[٣٣/ ٤٨٩] ـ وعن أُسامةَ بن زيد ، رضىَ الله عنهما ، عن النبى ﷺ قال : «قُمْتُ عَلى بَابِ الجنَّة ، فكَانَ عَامَّةَ مَنْ دَخَلَهَا المسَاكِينُ ، وأصحَابُ الجَدِّ محبُوسُونَ ، غيْرَ أنَّ أصحَابَ النَّار قَد أُمِرَ بهم إلى النَّار » متفقٌ عليه .

و « الجَدُّ » : الحَظُّ والغِنَى . وقد سبق بيان هذا الحديث فى باب فضل الضَّعَفَة .

[٣٤/ ٤٩٠] ـ وعن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ ، قال : « أصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ : ألا كُلُّ شَىْءٍ ما خَلا الله باطلُ » متفق عليه .

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب الزهد في الدنيا ، منها حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي : والله إني لأحبك فقال النبي ﷺ : «انظر ماذا تقول» قال: والله إني لأحبك، فردها ثلاثًا، فقال النبي ﷺ : «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا، فإن الفقر أسرع إلى من يحبني من السيل إلى منتهاه» لأن السيل إذا كان له منتهى وقد جاء من مرتفع يكون سريعًا.

ولكن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ ، لأنه ارتباط بين الغنى ومحبة النبي ﷺ فكم من إنسان غني يحب الرسول ﷺ ، وكم من إنسان فقير أبغض ما يكون إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، فهذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ .

(٣١ / ٤٨٧) حسن صحيح: رواه الترمذي (٤/ ٢٣٥٣) . وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية الترمذي: «خمسمائة عام نصف يوم» وقال الألباني في صحيح ابن ماجة برقم (٣٣٢٦) . وصحيح الترمذي برقم (١٩١٨): حسن صحيح.

(٣٢ / ٤٨٨) رواية ابن عباس رواها مسلم (٧٣٧) ، وعلقها البخاري في كتاب الرقاب باب فضل الفقر (ج / ص ٢٨٧) . وأما رواية عمران بن الحصين فرواها البخاري (٥١٩٨) (٦٤٤٩)

(٣٣/ ٤٨٩) صحيح: رواه البخاري (٦٥٤٧)، ومسلم (٢٧٣٦).

(٣٤ / ٤٩٠) صحيح: رواه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

Marfat.com

فعلامة محبة الرسول ﷺ أن يكون الإنسان أشد اتباعًا له، وأشد تمسكًا بسنته كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

فالميزان هو اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، ومن كان للرسول أتبع فهو له أحب، وأما الفقر والغنى فإنه بيد الله عز وجل.

وكذلك أيضًا من الزهد في الدنيا ما كان عليه النبي ﷺ، من شظف العيش وقلة ذات اليد، حيث كان ينام على الحصير حتى يؤثر في جنبه، فيقال له: ألا نجعل لك وطاءً، يعني فراشًا تطؤه وتنام عليه؟ فقال: **«مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»**.

فالرسول ﷺ ليس له تطلع إلى الدنيا، بل كان ينفق ماله كله في سبيل الله، ويعيش عيشة الفقراء. ثم ذكر المؤلف أحاديث تدل على الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء، وأن الفقراء أكثر أهل الجنة، وذلك لأن الفقراء ليس عندهم، ما يطغيهم، فهم متمسكون خاضعون.

ولهذا إذا تأملت الآيات وجدت أن الذين يكذبون الرسول هم الملأ الأشراف والأغنياء، وأن المستضعفين هم الذين يتبعون الرسل، فلهذا كانوا أكثر أهل الجنة، وكانوا يدخلون الجنة قبل الأغنياء بتقادير اختلفت فيها الأحاديث، عن النبي ﷺ، ويجمعها أن السير يختلف، فقد يكون السير في عشرة أيام لشخص مسرع يسيره الآخر في عشرين يومًا مثلاً.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه يومًا قال: **«أصدق كلمة قالها شاعر؛ كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل»** كل شيء سوى الله فهو باطل ضائع لا ينفع، وأما ما كان لله فإنه ينفع صاحبه ويبقى له. ومن ذلك الدنيا فإنها باطل، كما قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠]. إلا ما كان فيها من ذكر الله وطاعته، فإن حق وخير.

وفي هذا الحديث: إشارة إلى أن الحق يقبل حتى لو كان من الشعراء، فالحق مقبول من كل أحد جاء به، حتى لو كان كافرًا وقال بالحق فإنه يقبل منه، ولو كان شاعرًا أو فاسقًا وقال بالحق فإنه يقبل منه. وأما من قال بالباطل فقوله مردود ولو كان مسلمًا، يعني العبرة بالمقالات لا بالقائلين، ولهذا يجب على الإنسان أن ينظر إلى الإنسان من خلال فعله لا من شخصه.

* * *

Marfat.com

٥٦ - باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قال الله تعالى : ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا . إلاَّ من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا ﴾ (مريم:٥٩ ، ٦٠)، وقال تعالى : ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم . وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ﴾ (القصص:٧٩ ، ٨٠) ، وقال تعالى : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ (التكاثر:٨) ، وقال تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ﴾ (الإسراء:١٨) . والآياتُ فى الباب كثيرةٌ معْلُومَةٌ .

[٤٩١/١] ــ وعن عائشَةَ ،رضى الله عنها ، قالت: مَا شَبعَ آلُ مُحمَّد ﷺ منَ خُبْزِ شَعير يوْمَيْنِ مُتَتَابِعَين حتَّى قُبِضَ . متفقٌ عليه .

وفى رواية : مَا شَبِعَ آل محمد ﷺ ، مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طعامِ البُرِّ ثَلاثَ لَيَالٍ تباعاً حتَّى قُبِضَ .

[٤٩٢/٢] ــ وعن عُرْوَةَ عَنْ عائشة ، رضى الله عنها ، أنَّها كَانتْ تَقُولُ : وَاللَّه يَا ابْنَ أُخْتِى إنْ كُنَّا لَنَنظُرُ إلى الهلال ، ثُمَّ الهلال : ثَلاثَةَ أهلَّة فى شَهْرَيْنِ ، ومَا أُوقدَ فى أبيات رسول الله ﷺ نارٌ ، قُلْتُ : يَا خالَةُ ، فَمَا كَانَ يُعيشكُمْ ؟ قالت : الأسْوَدَان : التَّمرُ والماءُ ، إلا أنَّهُ قَدْ كانَ لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنْصَارِ ، وكَانَتْ لَهُمْ مَنَائح ، وكانُوا يُرْسلُونَ إلى رسول اللهِ مِنْ ألبَانها فَيسْقينَا . متفق عليه .

[٤٩٣/٣] ــ وعن أبى سعيد المَقْبُرىّ عَنْ أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه مَرَّ بقَوْم بيْنَ أيْديهمْ شاةٌ مَصْلَيَّةٌ ، فَدَعَوْهُ فأبَى أنْ يَأكُلَ ، وقال : خَرج رسول الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا ولَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعيرِ . رواه البخارى .

(١/ ٤٩١) صحيح: رواه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠) واللفظ له. والرواية الثانية رواها البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠)..

(٢/ ٤٩٢) صحيح: رواه البخاري (٢٥٦٧).، ومسلم (٢٩٧٢).

(٣/ ٤٩٣) صحيح: رواه البخاري (٥٤١٤).

Marfat.com

الشرح

هذا الباب ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ بعد باب الزهد في الدنيا، يبين فيه أن على الإنسان ألا يكثر من الشهوات في أمور الدنيا، وأن يقتصر على قدر الحاجة فقط، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك، وذكر آيات فيها بيان عاقبة الذين يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات، فذكر قول الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا . إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: من بعد الأنبياء الذين ذكروا قبل هذه الآية ، خلف من بعدهم خلف لم يتبعوا طريقتهم وإنما ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ .

وإضاعة الصلاة يعني: التفريط فيها، وفي شروطها: كالطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة.

وفي أركانها كالطمأنينة في الركوع ، والسجود، والقيام، والقعود.

وفي واجباتها: كسؤال المغفرة بين السجدتين، والتسبيح في الركوع ، والسجود، والتشهد الأول، وما أشبه ذلك.

وأشد من هذا الذين يضيعونها عن وقتها، فلا يصلون إلابعد خروج الوقت، فإن هؤلاء إما أن يكون لهم عذر من نوم أو نسيان، فصلاتهم مقبولة ولو بعد الوقت، وإما ألا يكون لهم عذر فصلاتهم مردودة لا تقبل منهم، ولو صلوا ألف مرة.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ يعني: ليس لهم همٌّ إلا الشهوات؛ ما تشتهيه بطونهم وفروجهم، فهم ينعمون أبدانهم ويتبعون ما تتنعم به الأبدان، ويضيعون الصلاة والعياذ بالله.

ثم قال تعالى مبينًا جزاءهم: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ وهذا وعيد لهم، لأن الجزاء من جنس العمل: ﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ .

ثم ذكر المؤلف حديث عائشة رضي الله عنها في بيان عيش النبي ﷺ ، وأنه ما شبع من خبز الشعير ليلتين تباعًا، لقلة ذات يده عليه الصلاة والسلام، وأنه كان يمضي عليه الشهران في ثلاثة أهلة ما يوقد في بيته نار، وإنما هو الأسودان : التمر والماء مع أنه ﷺ لو شاء لصارت الجبال معه ذهبًا، ولكنه ﷺ اقتصر من الدنيا على الضروري منها فقط، وادخر حظه في الآخرة.

* * *

Marfat.com

٤/ ٤٩٤ـ وعن أنسٍ رضي الله عنه ، قال : لمْ يأكُلِ النَّبيُّ ﷺ علَى خِوانٍ حتَّى مَات ، ومَا أكَلَ خُبْزاً مُرقَّقاً حتَّى مَاتَ . رواه البخاري .

وفي روايةٍ له : ولا رأى شاةً سَمِيطاً بِعيْنِه قطُّ .

٥/ ٤٩٥ـ وعن النُّعمانِ بن بشيرٍ رضي الله عنهما قال : لَقَدْ رأيْتُ نبيَّكُمْ ﷺ ، وَما يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ ما يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ . رواه مسلم . « الدَّقَلُ » : تَمرٌ رَدِيءٌ .

٦/ ٤٩٦ـ وعن سهل بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال : ما رأى رَسُولُ اللَّه ﷺ النَّقيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تعالى حتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تعالى ، فَقِيلَ لَهُ : هَلْ كانَ لَكُمْ في عَهْدِ رسول اللَّه ﷺ مَناخِلُ ؟ قالَ : ما رأى رسولُ اللَّه ﷺ مُنْخُلاً منْ حينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تعالى حتَّى قَبَضهُ اللَّه تعالى ، فَقِيل لَهُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تأكُلُونَ الشَّعيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ ؟ قالَ : كُنَّا نطْحَنُهُ ، ونَنْفُخُهُ ، فَيَطِيرُ ما طارَ ، وما بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ . رواه البخاري .

قوله :« النَّقيّ » :هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء ، وهُوَ الْخُبْزُ الحُوَّارَى ، وهُوَ : الدَّرْمَكُ . قوله : « ثَرَّيْناهُ » هُوَ بثاءٍ مُثَلَّثَةٍ ، ثُمَّ راءٍ مُشَدَّدَةٍ ، ثُمَّ ياءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تحت ثمَّ نون ، أيْ : بَلَلْناهُ وعَجنَّاهُ .

٧/ ٤٩٧ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال : خرجَ رسُولُ اللَّه ﷺ ذاتَ يَوْمٍ أوْ لَيْلَةٍ ، فإذا هُوَ بأبي بكْرٍ وعُمَرَ رضي اللَّهُ عنهما ، فقال : « ما أخْرَجَكُما مِنْ بيُوتكُما هذه السَّاعَةَ ؟ » قالا : الجُوعُ يا رسُولَ اللَّه . قال : « وأنا ، والَّذي نَفْسي بيَدِه ، لأخْرَجَني الَّذي أخْرَجَكُما ، قُوما » فَقاما مَعَهُ ، فَأتَى رَجُلاً مِنَ الأنْصارِ ، فإذا هُوَ لَيْسَ في بَيْتِه ، فَلَمَّا رأتْهُ المَرْأةُ قالَتْ : مَرْحَباً وأهْلاً ، فقال لها رَسُولُ اللَّه ﷺ :« أيْنَ فُلان؟ » قالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعذِبُ لَنَا الماءَ ، إذْ جاءَ الأنْصارِيُّ ، فَنَظَرَ إلى رَسُولِ اللَّه ﷺ وصَاحِبَيْه، ثُمَّ قالَ: الحَمْدُ لله ، ما أحَدٌ اليَوْمَ أكْرَمَ أضْيافاً مِنِّي ، فانْطَلَقَ فَجاءَهُمْ بِعذْقٍ فيه بُسْرٌ وتَمْرٌ ورُطَبٌ ، فقال : كُلُوا ، وأخَذَ المُدْيَةَ ، فَقَالَ لَهُ رسُولُ اللَّه ﷺ : « إيَّاكَ والحَلُوبَ» فَذَبحَ لهُمْ ، فَأكَلُوا مِنَ الشَّاةِ ومِنْ ذلكَ العِذْقِ وشَرِبُوا . فَلَمَّا أنْ شَبِعُوا ورَوُوا قال رسولُ اللَّه ﷺ لأبي

(٤/ ٤٩٤) صحيح :رواه البخاري (٦٤٥٠) .
(٥/ ٤٩٥) صحيح :رواه مسلم (٢٩٧٨) الترمذي (٢٣٧٢) .
(٦/ ٤٩٦) صحيح :رواه البخاري (٥٤١٣) الترمذي (٢٣٦٤).
(٧/ ٤٩٧) صحيح :رواه مسلم (٢٠٣٨) .

Marfat.com

بكر وعُمَرَ رضى الله عنهما : « وَالَّذى نَفْسى بيَده ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هذَا النَّعيمِ يَوْمَ القيامة ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتكُمْ الجوعُ ، ثُمَّ لم تَرْجِعوا حتى أَصَابَكُمْ هذَا النَّعيمُ » رواه مسلم.

قَوْلُها : « يَسْتَعْذِبُ » أَيْ : يَطْلُبُ الماءَ العَذْبَ ، وهوَ الطَّيبُ . و « العِذْقُ » بكسر العين وإسكان الذال المعجمة : وَهُو الكِباسَةُ ، وهيَ الغُصْنُ . و « المُدْيَةُ » بضم الميم وكسرها : هى السكّينُ . و « الحَلُوبُ » : ذات اللبَنِ . وَالسؤال عَنْ هذا النعيم سُؤالُ تَعْديد النِّعم لا سُؤالُ تَوْبيخٍ وتَعْذيبٍ . واللهُ أَعْلَمُ . وهذا الأنصارى الذى أَتَوْهُ هُوَ أَبو الهيثَمِ بْن التَّيِّهان رضى الله عنه ، كَذا جاءَ مُبَيَّناً فى رواية الترمذى وغيره .

٨/ ٤٩٨ ــ وعن خالد بن عُمَرَ العَدَوى قال : خَطَبَنا عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ ، وكانَ أميراً عَلَى البَصْرَة ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى علي ، ثُمَّ قال : أمَّا بَعْدُ ؛ فإنَّ الدُّنْيا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ ، ووَلَّتْ حَذَّاءَ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْها إلا صُبَابَةٌ كَصُبابَةِ الإناء يَتَصَابّها صاحبُها ، وإنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْها إلى دارٍ لا زَوَالَ لَهَا ، فانتَقِلُوا بخَيْرِ ما بحَضْرَتكُمْ ، فإنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنا أنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفيرِ جَهَنَّم فَيَهْوى فيها سَبْعينَ عاماً ، لا يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً ، واللهِ لَتُمْلأنَّ . أَفَعَجِبْتُم ؟! ولَقَدْ ذُكِرَ لَنا أنَّ ما بَيْنَ مِصْراعَيْنِ مِنْ مَصاريعِ الجَنَّة مَسيرَةَ أَرْبَعينَ عاماً ، ولَيَأتينَّ عَلَيْه يَوْمٌ وهُوَ كَظيظٌ مِنَ الزِّحَامِ ، ولَقَدْ رَأيْتُنى سابع سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ما لَنا طَعامٌ إلا وَرَقُ الشَّجَرِ ، حتى قَرِحَتْ أَشْداقُنا ، فالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُها بَيْنى وبَيْنَ سَعْدِ بن مالك ، فاتَّزَرْتُ بنصفها ، واتَّزَرَ سَعْدٌ بنصفها ، فَما أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إلا أَصْبَحَ أَميراً عَلَى مِصْرٍ مِن الأَمْصارِ ، وإنى أَعُوذُ باللهِ أَنْ أَكُونَ فى نَفْسى عَظيماً ، وعِنْدَ اللهِ صَغيراً . رواه مسلم .

قوله : « آذَنَتْ » هُوَ بمَدِّ الألف ، أيْ : أَعْلَمَتْ . وقوله : « بِصَرْمٍ » : هو بضم الصاد ، أى : بانقطاعها وفَنائها . وقوله : « وَوَلَّتْ حَذَّاءَ » : هو بحاء مهملة مفتوحة ، ثمَّ ذال معجمة مشدَّدة ، ثم ألف ممدودة ، أيْ : سَريعَةً . وَ « الصُّبَابَةُ » بضم الصاد المهملة : وهيَ البَقيَّةُ اليَسيرَةُ . وقولُهُ : « يَتَصابُّها » هو بتشديد الباء قبل الهاء ، أيْ : يجمَعُها . و « الكَظيظُ » : الكَثيرُ المُمتَلئُ . وقوله : « قَرِحَتْ » : هو بفتح القاف وكسر الراء ، أى : صارتْ فيها قُروحٌ .

٩/ ٤٩٩ ــ وعن أبى موسى الأشعَرىّ رضى اللهُ عنه قال : أخْرَجَتْ لنا عائشَةُ رضىَ اللهُ عنها كِساءً وإزاراً غَليظاً قالَتْ : قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فى هذين . متفقٌ عليه .

١٠/ ٥٠٠ ــ وعنْ سَعد بن أبى وَقَّاصٍ ، رضى الله عنه ، قال : إنى لأوَّلُ العَرَبِ رَمَى بِسهْمٍ فى سَبيلِ اللهِ ، ولَقَدْ كُنا نَغْزُو مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ ما لَنَا طَعامٌ إلا وَرَقُ الحُبْلَةِ ،

(٨/ ٤٩٨) صحيح : رواه مسلم (٢٩٦٧) أحمد (٤/ ١٧٤) .

(٩/ ٤٩٩) صحيح : رواه البخارى (٥٨١٨) مسلم (٢٠٨٠) .

(١٠/ ٥٠٠) صحيح : رواه البخارى (٨٧٢٨) مسلم (٢٩٦٦).

Marfat.com

وَهذا السَّمُرُ ، حتى إنْ كانَ أحدُنا لَيَضَعُ كما تَضَعُ الشاةُ ما لَهُ خَلْطٌ . متفقٌ عليه .

« الحُبْلَة » بضم الحاء المهملة وإسكان الباء الموحدة : وهىَ والسَّمُرُ ، نَوْعَانِ مَعْرُوفانِ مِنْ شَجَرِ البَادِيَةِ .

١١/ ٥٠١ ـ وعن أبى هُرَيْرَةَ ، رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : «اللهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحمد قوتاً » متفقٌ عليه .

قال أهلُ اللغَة والغَرِيبِ : مَعْنَى « قُوتاً » أىْ : مَا يَسُدّ الرَّمَقَ .

١٢/ ٥٠٢ ـ وعن أبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه قال : والله الذى لا إله إلا هُوَ ، إنْ كُنْتُ لأعتَمدُ بِكَبِدى عَلى الأرْضِ مِنَ الجُوعِ ، وَإنْ كُنْتُ لأشُدُّ الحَجَرَ عَلى بَطْنى مِنَ الجُوعِ، ولَقَدْ قَعَدْتُ يَوْماً على طَرِيقِهِمُ الذى يَخْرُجُونَ مِنْهُ ، فَمَرَّ بى النبىُّ ، ﷺ ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنى ، وعَرَفَ مَا فى وجْهى وَما فى نَفسى ، ثُمَّ قال : « أبـا هـرّ » قلت : لَبَّيْكَ يا رسولَ الله ، قال : « الحَقْ » وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ ، فَدَخَلَ فَاستَأذَنَ ، فَأذنَ لى فَدَخَلْتُ ، فَوَجَدَ لَبَناً فى قَدَح فـقال : « منْ أيْنَ هذَا اللَّبَنُ ؟ » قالوا : أهْداهُ لَكَ فُلانٌ ـ أوْ فُلانَةُ ـ قال: « أبا هرّ » قلتُ : لَبَّيْكَ يا رسول الله ، قال : « الحَقْ إلى أهْلِ الصُّفَّة فَادْعُهُمْ لى». قال : وَأهْلُ الصُّفَّة أضْيافُ الإسْلامِ ، لا يَأوُونَ على أهْلٍ ، ولا مَالٍ ، ولا عَلى أحَد ، وكَانَ إذَا أتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئاً ، وَإذَا أتَتْهُ هَدِيَّةٌ أرسَلَ إلَيْهِمْ ، وَأصابَ مِنْهَا ، وَأشْرَكَهُمْ فِيهَا ، فَسَاءَنى ذلكَ فَقُلْتُ : وَمَا هذا اللَّبَنُ فى أهْلِ الصُّفَّة ! كُنْتُ أحَقَّ أنْ أُصيبَ مِنْ هذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أتقَوَّى بِهَا ، فَإذَا جَاؤُوا أمَرَنى فَكُنْتُ أنَا أُعْطِيهِمْ؛ وَمَا عَسَى أنْ يَبْلُغَنى مِنْ هذا اللَّبَنِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَة الله وَطَاعَة رسوله، ﷺ بُدٌّ ، فَأتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ ، فَـأقبَلُوا وَاستَأذَنُوا ، فَـأذنَ لَـهُمْ وَأخَذُوا مَجالِسَهُمْ مِنَ البَيْت قال : « يا أبا هرّ» قلتُ : لَبَّيْكَ يا رسولَ الله قال : « خُذْ فَأعْطِهِمْ » قال : فَأخَذْتُ القَدَحَ فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى ، ثُمّ يَرُدُّ عَلَىَّ القَدَحَ فَأعطيه الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حتَّى يَرْوَى ، ثمّ يردُّ علىَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَروى ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَىَّ القَدَحَ حتَّى انْتَهَيْتُ إلى النَّبىِّ ﷺ ، وَقَدْ رَوِىَ القَوْمُ كُلُّهمْ ، فَأخذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ على يده ، فَنَظَرَ إلىَّ فَتَبَسَّمَ ، فقال : « أبَا هِرّ» قلتُ :لَبَّيْكَ يا رسول الله ، قال:« بَقِيتُ أنَا وَأنْتَ» قلتُ: صَدَقْتَ يا رسول الله ،

(١١/ ٥٠١) صحيح : رواه البخارى (٦٤٦٠) مسلم (١٠٥٥) .
(١٢/ ٥٠٢) صحيح : رواه البخارى (٦٤٥٢) .

Marfat.com

قال : «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فقعدتُ فَشَرِبْتُ : فقال : «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ : «اشْرَبْ» حتَّى قُلْتُ : لا وَالَّذِى بَعَثَكَ بالحَقّ ما أجدُ لَهُ مَسْلكاً ! قال : «فَأَرِنى» فَأَعْطَيْتُه القَدَحَ ، فَحَمِدَ اللّه تعالى ، وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ . رواه البخارى.

١٣/ ٥٠٣ ـ وعن مُحَمَّدِ بن سِيرين عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، قال : لَقَدْ رَأَيْتُنى وَإِنِّى لأخرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسول الله ﷺ إلى حُجْرَةِ عَائشَةَ ، رضى الله عنها ، مَغشيًا عَلَيَّ ، فَيَجىء الجَائى ، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلى عُنُقى ، ويَرى أنِّى مَجْنُونٌ وَمَا بى مِنْ جُنُونٍ ، ما بى إلا الجُوعُ . رواه البخارى .

١٤/ ٥٠٤ ـ وعن عائشة ، رضى الله عنها ، قالتْ : تُوُفِّى رسولُ اللّه ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يهُودِىّ فى ثَلاثينَ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ . متفقٌ عليه .

١٥/ ٥٠٥ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : رَهَنَ النَّبىُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ ، وَمَشَيْتُ إلى النَّبىِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ ، وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : «مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلا أَمْسَى» وَإِنَّهُم لتِسعَةُ أبيَاتٍ . رواه البخارى .

«الإهَالَةُ» بكسر الهمزة : الشَّحْمُ الذَّائبُ . و «السَّنِخَةُ» بالنون والخاء المعجمة ؛ وهى : المُتَغَيِّرَة .

١٦/ ٥٠٦ ـ وعن أبى هُرَيْرَةَ ، رضى الله عنه ، قال : لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، ما مِنْهُم رجُلٌ عَلَيْهِ رِداءٌ ، إمَّا إزارٌ وَإمَّا كِساءٌ ، قَدْ رَبَطُوا فى أعناقهم ، مِنهَا ما يَبْلُغُ نِصفَ السَّاقَيْن ، وَمِنهَا ما يَبلُغُ الكَعْبَيْنِ ، فَيَجمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهيةَ أنْ تُرَى عَوْرَتُهُ .

رواه البخارى .

١٧/ ٥٠٧ ـ وعن عائشةَ رضى الله عنها قالت : كَانَ فِرَاشُ رسول اللّه ﷺ مِنْ أدمٍ حَشْوُهُ لِيفٌ . رواه البخارى .

(١٣/ ٥٠٣) صحيح : رواه البخارى (٧٣٢٤) .
(١٤ / ٥٠٤) صحيح : رواه البخارى (٢٩١٦) مسلم نحوه (١٦٠٣) .
(١٥ / ٥٠٥) صحيح : رواه البخارى (٢٥٠٨) أحمد (٣ / ٢٣٨) .
(١٦ / ٥٠٦) صحيح : رواه البخارى (٤٤٢) .
(١٧ / ٥٠٧) صحيح : رواه البخارى (٦٤٥٦) أحمد (٦ / ٧٣) .

Marfat.com

١٨/٥٠٨ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كُنَّا جُلُوساً مَعَ رسول الله ﷺ، إذ جاءَ رَجُلٌ مِنَ الأنصَارِ ، فَسَلَّمَ عَلَيه ، ثُمَّ أدبر الأنصَارِيُّ ، فقال رسول الله ﷺ : «يَا أخَا الأنصَار ، كَيْفَ أخِي سعْد بْنُ عُبادَةَ ؟ » فقال : صَالِحٌ ، فقال رسول الله ﷺ : «مَنْ يَعُودُهُ منكُم ؟ » فقَامَ وقُمْنَا ، ونَحنُ بضعْةَ عشَرَ ، ما علَينا نعَالٌ ، وَلا خفافٌ ، ولا قَلانسُ ، وَلا قُمُصٌ ، نَمشى فى تلكَ السِّبَاخِ ، حتَّى جئنَاهُ ، فَاستَأخرَ قَومُهُ مِنْ حَوله حتَّى دَنَا رسول الله وَأصْحَابُهُ الَّذينَ مَعَهُ . رواه مسلم .

١٩/٥٠٩ــ وعن عمْران بنِ الحُصَينِ رضى الله عنهما ، عن النبى ﷺ أنه قال : «خيْرُكُمْ قَرنى ، ثُمَّ الَّذينَ يلُونَهُم ، ثُمَّ الَّذينَ يلُونَهُم » . قال عمرَانُ : فَمَا أدرى قال النبى ﷺ مرَّتَين أو ثَلاثاً « ثُمَّ يكُونُ بعدَهُمْ قومٌ يَشهَدُونَ ولا يُستَشْهَدُونَ ، وَيخُونُونَ وَلا يُؤتَمَنُون وَيَنذرُونَ وَلا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ » متفقٌ عليه .

٢٠/٥١٠ــ وعن أبى أُمامة رضى الله عنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : « يَابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أنْ تَبذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وأن تُمْسكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلا تُلامُ عَلى كَفَافٍ ، وَابدأ بِمَنْ تَعُولُ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

٢١/٥١١ــ وعن عُبَيد الله بن محْصَنٍ الأنصَارىّ الخَطمىّ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ أصبحَ منكُم آمناً فى سربه ، مُعافًى فى جَسده ، عنْدَهُ قُوتُ يَومه ، فَكَأنَّمَا حيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بحذَافيرِها » رواه الترمذى وقال : حديثٌ حسَنٌ .

« سِربه » بكسر السِّين المهملة ، أى : نَفسِه ، وقيلَ : قَوْمِه .

٢٢/٥١٢ــ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « قَدْ أفْلَحَ مَنْ أسلَمَ ، وكَانَ رِزقُهُ كفَافاً ، وقَنَّعَهُ الله بمَا آتَاهُ » رواه مسلم .

٢٣/٥١٣ــ وعن أبى مُحَمَّدٍ فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ الأنصَارِى رضى الله عنه ، أنَّهُ سَمعَ

(١٨ / ٥٠٨) صحيح :رواه مسلم (٩٢٥) .

(١٩/ ٥٠٩) صحيح :رواه البخارى (٢٦٥١) مسلم (٢٥٣٥) .

(٢٠/ ٥١٠) صحيح :رواه مسلم (١٠٣٦) الترمذى (٢٣٤٣) .

(٢١/ ٥١١) حسن :رواه الترمذى (٢٣٤٦) ابن ماجة (٤١٤١) وحسنه الألبانى فى الصحيحين (٢٣١٨).

(٢٢ / ٥١٢) صحيح :رواه مسلم (١٠٥٤) الترمذى (٢٣٤٨) أحمد (٢/ ١٦٨) .

(٥١٣/٢٣) صحيح :رواه الترمذى (٢٣٤٩) أحمد (١٩/٦) وصححه الألبانى فى الصحيحين (١٥٠٦).

Marfat.com

رسول الله ﷺ يَقُولُ : « طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إلى الإِسْلامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافاً ، وَقَنِعَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح :

٢٤/ ٥١٤ ـــ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيالي المُتَتابِعَةَ طَاوِياً ، وأَهْلُهُ لا يَجِدُونَ عَشَاءً ، وكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ . رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيح .

٢٥/ ٥١٥ ـــ وعن فَضالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كَانَ إذَا صَلَّى بالنَّاسِ ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ في الصَّلاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ ـــ وَهُمْ أصْحَابُ الصُّفَّةِ ـــ حَتَّى يَقُولَ الأعْرَابُ :هؤلاءِ مَجَانِينُ ، فإذا صلى رسول الله ﷺ انْصَرَفَ إلَيْهِمْ ، فقال : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تعالى ، لأَحْبَبْتُم أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً » رواه الترمذي ، وقال حديثٌ صحيحٌ .

« الخَصَاصَةُ » : الفَاقَةُ والجُوعُ الشَّدِيدُ .

٢٦/ ٥١٦ ـــ وعن أبي كَرِيمَةَ المِقْدَامِ بن مَعْدِ يكْرِبَ رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ : « مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرّاً مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَه ، فَإِنْ كَانَ لاَ مَحَالَةَ ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ » .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

« أُكُلاتٌ » أي : لُقَمٌ .

٢٧/ ٥١٧ ـــ وعن أبي أُمَامَةَ إِيَاسِ بن ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيِّ الحَارِثِي رضي الله عنه قال : ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسولِ اللهِ ﷺ يَوماً عِنْدَهُ الدُّنْيَا ، فقال رسول الله ﷺ : « أَلا تَسْمَعُونَ؟ أَلا تَسْمَعُونَ ؟ إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ ، إنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ » يَعْنِي : التَّقَحُّلَ. رواه أبو داود .

(٢٤/ ٥١٤) حسن : رواه الترمذي (٢٣٦٠) ابن ماجة (٣٣٤٧) وحسنه الألباني في الصحيحين (٢١١٩).

(٢٥/ ٥١٥) صحيح : رواه الترمذي (٢٣٦٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٦٥).

(٢٦/ ٥١٦) صحيح : رواه الترمذي (٢٣٨٠) ابن ماجه (٣٣٤٩) وصححه الألبني في الصحيحين (٢٢٦٥).

(٢٧ / ٥١٧) صحيح : رواه أبو داود (٤١٦١) وصححه الألباني في صحيح أبو داود .

Marfat.com

« البَذاذَةُ » بِالبَاء المُوحَّدَةِ وَالذَّالَيْنِ المُعْجَمَتَيْنِ : وَهِيَ رَثَاثَةُ الهيْئَة ، وتَرْكُ فَاخِرِ اللِّبَاسِ . وأمَّا « التَّقَحُّل » فَبِالقَاف والحَاء ؛ قال أهلُ اللُّغَة : المُتَقَحِّلُ : هُوَ الرَّجُلُ اليَابِسُ الجلد مِنْ خُشُونَةِ العَيْش ، وتَرْكِ التَّرَفُّه .

٥١٨/٢٨ ــ وعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : بَعَثَنَا رسول الله ﷺ ، وأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رضى الله عنه ، نَتَلَقَّى عِيراً لِقُرَيْشٍ ، وزَوَّدَنَا جِرَاباً مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ ، فَكَانَ أبو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً ، فَقِيلَ : كَيْفَ كُنْتُم تَصْنَعُونَ بِها؟ قال : نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصبيُّ ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ المَاء ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إلى اللَّيْلِ، وكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاء فَنَأْكُلُهُ ، قال : وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ ، فَرُفِعَ لَنَا على سَاحِلِ البَحْرِ كَهَيْئَةِ الكَثِيبِ الضَّخْمِ ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى العَنْبَرَ ، فقال أبو عُبَيْدَةَ : مَيْتَةٌ ، ثُمَّ قال : لا ، بَلْ نحنُ رُسُلُ رسُول الله ﷺ ، وفى سبيل الله وَقَد اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا ، فَأَقَمْنَا عَلَيْه شَهْراً ، وَنَحْنُ ثَلاثُمائَة ، حَتى سَمِنَّا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِه بِالقِلالِ الدُّهْنَ وَنَقْطَعُ مِنْهُ الفِدَرَ كالثَّوْرِ أوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ ، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أبو عُبَيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً فَأَقْعَدَهُم فى وَقْبِ عَيْنِه وَأَخَذَ ضِلَعاً مِنْ أضْلاعه فأقامها ثُمَّ رَحَل أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِه وَشَائِقَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أتيْنَا رسول الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذلكَ له ، فقال : « **هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا** ؟ » فَأَرْسَلْنَا إلى رسول الله ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ . رواه مسلم .

« الجِرَابُ » : وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ بكسر الجيم وفتحها ، والكسرُ أفْصَحُ . قوله : « نَمَصُّهَا » بفتح الميمِ . « والخَبَطُ » : وَرَقُ شَجَرٍ مَعْرُوف تَأْكُلُهُ الإبلُ . «وَالكَثِيبُ»: التَّلُّ مِنَ الرَّملِ . « والوَقْبُ » : بفتح الواو وإسكان القاف وبعدها باءٌ موحدةٌ، وَهُوَ نُقْرَةُ العَيْن . « وَالقِلالُ » : الجِرَارُ . « وَالفِدَرُ » بكسرِ الفاء وفتح الدال : القِطَعُ . « رَحَلَ البَعِيرَ » بتخفيف الحاء : أىْ جَعَلَ عَلَيْه الرَّحْلَ . « الوَشَائِقُ » بالشينِ المعجمة وَالقَاف : اللَّحْمُ الَّذى اقْتُطِعَ لِيُقَدَّدَ منه ، والله أعلم .

٥١٩/٢٩ ــ وعن أسْمَاءَ بنْتِ يَزِيدَ رضى الله عنها قالت : كانَ كُمُّ قَمِيصِ رسولِ

(٢٨/ ٥١٨) صحيح : رواه مسلم (١٩٣٥).

(٢٩/ ٥١٩) ضعيف : رواه أبو داود (٤٠٢٧) الترمذى (١٧٦٥) وضعفه .

Marfat.com

الله ﷺ إلى الرُّصْغِ ، رواه أبو داود ، والترمذى ، وقال : حديث حسن .

« الرُّصْغ » بالصادِ وَالرُّسْغُ بالسينِ أيضاً : هوَ المَفْصِلُ بَيْنَ الكَفِّ والسَّاعِدِ .

٣٠/ ٥٢٠ ـ وعن جابر رضى الله عنه قال : إنَّا كُنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَاؤوا إلى النبى ﷺ فقالوا : هذه كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فى الخَنْدَقِ ، فقال : «أنا نَازِلٌ » ثُمَّ قَامَ ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ ، وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أيَّامٍ لا نَذُوقُ ذَوَاقاً فأخذَ النَّبىُّ ﷺ المِعْوَلَ ، فضَرَبَ فَعَادَ كَثِيباً ، أهْيَلَ ، أوْ أهْيَمَ ، فقلتُ : يا رسول الله ،ائْذَنْ لى إلى البَيتِ ، فقلتُ لامْرَأتى : رأيتُ بالنبىِّ ﷺ شَيْئاً ما فى ذلكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَىْءٌ ؟ فقالت : عِنْدى شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ ، فَذَبحْتُ العَنَاق وطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللحمَ فى البُرْمَةِ ، ثُمَّ جِئْتُ النبىَّ ﷺ ، وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ ، والبُرمَةُ بَيْنَ الأثَافِىِّ قَد كَادَت تَنْضجُ ، فقلتُ : طُعَيِّمٌ لى ، فَقُمْ أنْتَ يا رسول الله وَرَجُلٌ أو رَجُلانِ ، قال : « كَمْ هُوَ ؟ » فَذَكَرْتُ له فقال : « كثيرٌ طَيِّبٌ ، قُل لَها لا تَنْزِعِ البُرْمَةَ ، ولا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتى » فقال : «قُومُوا فقام المُهَاجِرُونَ وَالأنْصارُ ، فدخَلْتُ عليها فَقُلْتُ : وَيْحَكِ جاءَ النبى ﷺ وَالمُهاجِرُونَ وَالأنْصارُ وَمَنْ مَعَهُم ! قالت : هل سَأَلَكَ ؟ قلتُ : نعم ، قال : ادْخُلُوا ولا تَضَاغَطوا » فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ ، وَيَجعَلُ عَلَيْهِ اللَّحمَ ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إذا أخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إلى أصْحَابِهِ ثمَّ يَنْزِعُ ، فَلَمْ يَزَل يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا ، وَبَقِىَ منه ، فقال : «كُلِى هذا وَأهدِى ، فَإنَّ النَّاسَ أصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ » متفقٌ عليه .

وفى رواية : قال جابر : لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأيْتُ بِالنبىِّ ﷺ خَمَصاً ، فَانْكَفَأْتُ إلى امْرَأتى فقلتُ : هل عِنْدَكِ شَىْءٌ ؛ فَإنِّى رَأيْتُ بِرسول الله ﷺ خَمَصاً شَدِيداً ؟ فأخْرَجَتْ إلىَّ جِراباً فيه صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ فَذَبَحْتُهَا ، وطَحَنَت الشَّعِير ، فَفَرغَتْ إلى فَرَاغِى ، وَقَطَّعتُها فى بُرْمَتِهَا ، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رسول الله ﷺ ، فَقَالَتْ : لا تَفْضَحْنى بِرسول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ ، فَجِئْتُهُ فَسارَرْتُهُ فقُلْتُ : يا رسول الله ، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا ، وَطَحَنَتْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ ، فَتَعالَ أنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ ، فَصَاحَ رسول الله ﷺ فقال : « يا أهْلَ الخَنْدَقِ ، إنَّ جابراً قَدْ صَنَعَ سُؤْراً فَحَيَّهَلا بِكُمْ » فقال النبىُّ ﷺ : « لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ ولا

(٣٠/ ٥٢٠) صحيح : رواه البخارى (٤١٠١) مسلم (٢٠٣٩).

Marfat.com

تخبزنَّ عجينكُمْ حتَّى أجيءَ » فجئتُ ، وجاءَ النبىُّ ﷺ يقدُمُ النَّاسَ ، حتَّى جئتُ امرأتى فقالَتْ : بكَ وبكَ ! فقلتُ : قدْ فعلتُ الَّذى قُلت ، فأخرجَتْ عجيناً ، فبسَقَ فيه وبارَكَ، ثُمَّ عمدَ إلى بُرْمَتنا فبصقَ وبَارَكَ ، ثُمَّ قال : « ادْعى خَابزَةً فلْتَخبزْ معَك ، واقْدَحى من بُرْمَتكُم ولا تُنْزلُوها » وهُمْ ألفٌ ، فأُقسمُ باللهِ لأكلُوا حتَّى تركُوهُ وانحرفُوا ، وإنَّ بُرْمَتَنا لتغطُّ كمَا هىَ ، وإنَّ عجينَنَا ليُخبَز كمَا هُوَ .

قَوْلُه : « عرَضَت كُدْيَةٌ » بضم الكاف وإسكان الدال وبالياء المثناة تحت : وهى قطعةٌ غَليظةٌ صُلْبَةٌ منَ الأرضِ لا يَعْمَلُ فيهَا الفَأسُ . و« الكَثيبُ » أصلُهُ تلُّ الرَّملِ ، والمُرادُ هنا : صارتْ تُراباً ناعماً ، وهُو معنَى « أهْيَلَ » . و « الأثَافىُّ » : الأحجارُ الَّتى يكونُ علَيْها القدرُ . و « تضَاغَطُوا » : تزَاحمُوا . و « المَجاعَةُ » : الجُوعُ ، وهو بفتح الميم . و « الخَمَصُ » بفتحِ الخاءِ المعجمة والميم : الجوعُ . و « انْكفَأتُ » : انقَلَبْتُ ورَجَعْتُ. و « البُهَيمَةُ » بضم الباء : تصغير بَهْمَة ، وهىَ العَناقُ ــ بفتح العين ــ . و«الدَّاجِنُ» : هىَ الَّتى ألفت البَيتَ . و « السُّؤْر » : الطَّعامُ الَّذى يُدْعَى النَّاسُ إلَيْه ، وهُوَ بالفارسيَّة ، و « حَيَّهلا » أى : تعَالَوا . وقَولُها : « بكَ وبكَ » أى : خَاصمَتْهُ وسَبَّتْهُ ، لأنها اعتقدَتْ أنَّ الذى عندهَا لا يكفيهم ، فَاستَحْيتْ وخَفِى علَيْها مَا أكرَمَ اللهُ سبحانهُ وتعالى به نبيَّهُ ﷺ منْ هذه المعجزَة الظَّاهرَة والآيَة البَاهرَة . « بَسَقَ » أى : بَصقَ؛ ويُقالُ أيضاً : بَزَقَ ــ ثلاثُ لُغَاتٍ ــ . و « عمَدَ » بفتحِ الميم : أى : قصدَ. و« اقْدَحى » أى: اغرفى ؛ والمقْدَحَةُ : المِغْرَفَةُ . و « تَغطُّ » أى : لغَلَيَانهَا صَوْتٌ ، والله أعلم .

٣١/ ٥٢١ ــ وعن أنس رضى الله عنه قال : قال أبو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْم : قَد سَمعتُ صَوتَ رسول الله ﷺ ضَعيفاً أعرفُ فيه الجُوعَ ، فَهَل عندكِ من شَىء ؟ فقالت : نَعَمْ ، فأخرَجَتْ أقراصاً مِن شَعِير ، ثُمَّ أخذَتْ خماراً لهَا ، فَلَفَّتِ الخُبزَ ببعضه ثُمَّ دسَّتْهُ تحتَ ثَوبى ورَدَّتنى ببعضه ، ثُمَّ أرسَلَتنى إلى رسول الله ﷺ ، فذَهبتُ به ، فوَجدْتُ رسُولَ الله ﷺ جالساً فى المَسْجد ، ومَعَهُ النَّاسُ ، فقمتُ علَيْهِمْ ، فقال لى رسولُ الله ﷺ : «أرسَلَكَ أبو طَلْحَةَ ؟ » فقلت : نعَمْ ، فقال : « ألطعَامٍ » فقلت : نعَم ، فقال رسُولِ الله ﷺ : « قُومُوا » فانطَلَقُوا وانطَلَقتُ بَيْنَ أيديهم حتَّى جئتُ أبا طَلْحَةَ فأخبرتُهُ، فقال أبُو طَلْحَةَ : يَا أُمَّ سُلَيم ، قَد جَاء رسول الله بالنَّاسِ ولَيْس عندنَا ما نُطعمُهُم ؟ فقالتْ : اللهُ ورَسُولُهُ اعلَم . فَانطَلَقَ أبو طَلْحَةَ حتَّى لَقِىَ رسولَ الله ﷺ ، فأقبَلَ رسولُ الله ﷺ معَه

(٣١ / ٥٢١) صحيح : رواه البخارى (٥٤٥٠) مسلم (٢٠٤٠) .

Marfat.com

حَتَّى دَخَلا ، فقال رسولُ الله ﷺ : « هَلُمِّي ما عِنْدَكِ يا أُمَّ سُلَيْم » فَأَتَتْ بذلك الخُبْزِ ، فَأَمَرَ بِهِ رسولُ الله ﷺ فَفُتَّ ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ ، ثُمَّ قال فِيهِ رسولُ اللهِ ﷺ ما شاء اللهُ أنْ يَقُولَ ، ثُمَّ قال : « ائذن لِعَشَرَة » فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثم قال : « ائذَن لِعَشَرَة » فَأَذِنَ لَهُم ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثم خَرَجوا ، ثُمَّ قال : « ائذَنْ لِعَشَرَة » فَأَذِنَ لَهُم حَتَى أكل القَوْمُ كُلُّهُم وَشَبِعُوا ، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلاً أو ثَمَانُونَ . متفقٌ عليه . وفي رواية : فما زال يَدْخُلُ عَشَرَةٌ وَيَخْرُجُ عَشَرَةٌ ، حتى لم يَبْقَ منهم أحَدٌ إلا دَخَلَ ، فَأَكَلَ حتى شَبِعَ ، ثم هيَّأَهَا فإذَا هِيَ مِثْلَهَا حِينَ أكَلُوا منها . وفي رواية : فَأَكَلُوا عَشَرَةً عَشَرَةً ، حتى فَعَلَ ذلكَ بِثَمانِينَ رَجُلاً ، ثم أكَلَ النبيُّ ﷺ بعد ذلك وَأَهْلُ البَيْت ، وَتَرَكُوا سُؤراً . وفي روايةٍ : ثم أفضَلُوا مَا بَلَغُوا جِيرَانَهُم .

وفي روايةٍ عن أنس قال : جِئْتُ رسولَ الله ﷺ يَوْماً ، فَوَجَدْتُهُ جَالِساً مَعَ أصحابِه ، وَقد عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ ، فقلتُ لِبَعْضِ أصحَابِه : لِمَ عَصَبَ رسولُ اللهِ ﷺ بَطْنَهُ ؟ فقالوا: مِنَ الجُوعِ ، فَذَهَبْتُ إلى أبي طَلْحَةَ ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيمٍ بنتِ مِلحَانَ ، فقلتُ : يَا أبَتَاه ، قد رَأيتُ رسولَ الله ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابةٍ ، فَسَألتُ بَعْضَ أصحَابِهِ ، فقالوا: مِنَ الجُوعِ ، فَدَخَلَ أبو طَلحَةَ على أُمِّي فقال : هَل مِن شَيْءٍ ؟ قالت : نعم عِندي كِسَرٌ مِن خُبزٍ وَتَمَراتٌ ، فإنْ جَاءَنا رسول الله ﷺ وَحدَهُ أشْبَعْنَاهُ ، وإن جاءَ آخَرُ معه قَلَّ عنهم ، وَذَكَرَ تمام الحديث .

٥٧ ـ باب القناعة والعفاف والاقتصاد
في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قال الله تعالى:﴿ وَمَا من دابَّةٍ في الأرْض إلاَّ عَلَى اللَّهِ رزْقُهَا ﴾ (هود:٦) ،وقال تعالى : ﴿ للْفُقَراء الَّذينَ أُحْصرُوا في سبيل اللَّه لا يسْتطيعُونَ ضرْبًا في الأَرْضِ يحْسبُهُمُ الْجاهلُ أغْنياء من التَّعفُّف تعْرفُهم بسيماهُمْ لا يسْأَلُون النَّاس إلْحافًا ﴾ (البقرة:٢٧٣)، وقال تعالى :﴿ والَّذين إذا أنفقُوا لمْ يُسْرفُوا ولمْ يقْتُرُوا وكان بيْن ذلك قوامًا ﴾ (الفرقان:٦٧) ، وقال تعالى : ﴿وما خلقْتُ الْجنَّ والإنس إلاَّ ليعْبُدُون . ما أُريدُ منْهُم من رزْقٍ وما أُريدُ أن يُطْعمُون ﴾(الذاريات: ٥٦، ٥٧) .

وأما الأحاديثُ : فَتَقَدَّمَ مُعظَمُهَا في البَابَينِ السَّابِقَين ، وَممَّا لم يَتَقَدَّم :

Marfat.com

١/ ٥٢٢ ـ عن أبى هُرَيْرَةَ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لَيسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ ، ولَكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفسِ » متفقٌ عليه« العَرَضُ » بفتح العين والراء : هُوَ المَالُ .

٢/ ٥٢٣ ـ وعن عبد الله بنِ عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « قَدْ أفلَحَ مَنْ أسلَمَ ، ورُزِقَ كَفَافاً ، وقَنَّعَهُ اللهُ بما آتاهُ » رواه مسلم .

[٣/ ٥٢٤] ـ وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال : سَألتُ رسول الله ﷺ فَأعطَانى ، ثم سَألتُهُ فأعطانى ، ثم سَألتُهُ فَأعطَانى ، ثم قال : « يا حكيمُ ، إنَّ هذا المَالَ خَضِرٌ حُلوَةٌ ، فَمَن أخذَهُ بسَخَاوةِ نَفسٍ بُورِكَ له فيه ، وَمَن أخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَم يُبارَكْ لَهُ فيه ، وكَانَ كَالَّذى يَأكُلُ وَلا يَشْبَعُ ؛ واليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفلَى » .

قال حَكيمٌ : فقلتُ : يارسول الله ، والَّذى بَعَثَكَ بالحق لا أرزأُ أحَداً بَعدَك شيئاً حَتَّى أُفارِقَ الدُّنيا . فَكَانَ أبو بكر رضى الله عنه يَدْعُو حكيماً لِيُعطِيَهُ العَطَاءَ ، فيأبَى أنْ يَقبَلَ منهُ شيئاً ، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رضى الله عنه دعَاهُ لِيُعطِيَهُ ، فَأبى أن يَقبَلَهُ ، فقال : يا مَعْشَرَ المُسلمينَ ، أُشْهِدُكُم عَلى حَكيمٍ أنى أعْرِضُ عَلَيه حَقَّهُ الَّذى قَسَمَهُ اللهُ لهُ فى هذا الفىءِ فيأبى أنْ يأخُذَهُ ، فَلَمْ يرزأ حكيمٌ أحَداً مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبىِّ ﷺ حَتَّى تُوفِّىَ. متفقٌ عليه .

٤/ ٥٢٥ ـ وعن أبى بُردَةَ عن أبى موسى الأشعَرىِّ رضى الله عنه قال : خَرَجْنا مَعَ رسولِ الله ﷺ فى غَزَاة ، ونحنُ ستَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنا بَعيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَنَقِبَتْ أقدامُنا وَنَقِبَتْ قَدَمى ، وسَقَطَتْ أظفارى ، فكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أرجُلِنا الخِرَقَ ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقاعِ لما كُنَّا نَعْصِبُ عَلى أرجُلِنا من الخِرَقِ . قال أبو بُرْدَةَ : فَحَدَّثَ أبو مُوسَى بهذا الحَديث ، ثُمَّ كَرِهَ ذلك ، وقَالَ : ما كنتُ أصنَعُ بأنْ أذكُرَهُ ! قال : كأنَّهُ كَرِهَ أنْ يكونَ شيئاً مِنْ عَمَلِه أفشاهُ. مُتَّفقٌ عليه .

٥/ ٥٢٦ ـ وعن عمرو بن تَغْلِبَ ـ بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام ـ رضى اللهُ عنه ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِىَ بمَالٍ أوْ سَبىٍ فَقَسَّمَهُ ، فَأعطَى رجالاً، وتَرَكَ رجالاً . فَبَلَغَهُ أنَّ الَّذينَ تَرَكَ عَتَبُوا ؛ فَحَمِدَ اللهَ ، ثُمَّ أثنَى عَلَيْه ، ثُمَّ قالَ: « أمَّا بَعْد ؛ فَوَ اللهِ إنى لأعْطِى الرَّجلَ وأدَعُ الرَّجُلَ ، والَّذى أدَعُ أحبُّ إلَىَّ مِنَ الَّذى أُعْطِى ، وَلكنّى إنَّما أُعْطِى أقْواماً لمَا أرَى فى قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ ، وأكِلُ أقْواماً إلَى ما جَعَلَ اللهُ فى قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ ، مِنهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ » قال عَمرُو بنُ تَغْلِبَ : فَوالله ما أُحِبُّ أنَّ لى بِكَلِمَةِ رسُولِ الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ . رواه البخارى .

(٥٢٢/١) صحيح : رواه البخارى (٦٤٤٦) مسلم (١٠٥١).

(٥٢٣/٢) صحيح : رواه مسلم (١٠٣٥) أحمد (١٦٨/٢ ، ١٧٣).

(٣/ ٥٢٤) صحيح : رواه البخارى (١٤٧٢) مطولاً، ومسلم (١٠٣٥) مختصرًا . .

(٥٢٥/٤) صحيح : رواه البخارى (٤١٢٨) مسلم (١٨١٦).

(٥/ ٥٢٦) صحيح : رواه البخارى (٧٥٣٥).

Marfat.com

[٥٢٧/٦] ـ وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اليَدُ العُلْيا خيرٌ من اليَد السُّفْلى، وابدأ بمن تَعولُ، وخيرُ الصَّدَقة عن ظَهرِ غِنىً، ومن يَستَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومن يَستَغنِ يُغنِه اللهُ» متفق عليه.

[٥٢٨/٧] ـ وعن أبي سُفيانَ صَخر بن حَرْب رضيَ اللهُ عنهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُلحفُوا في المسْألَة، فوالله لا يَسألُني أحدٌ منكُم شيئاً، فتُخرجَ لَهُ مَسألَتُهُ منِّي وأنا لَهُ كارهٌ، فيُبارَكَ لَهُ فيما أعطَيْتُه» رواه مسلم.

٥٢٩/٨ ـ وعن أبي عبد الرحمن عوْف بن مالك الأشجَعيِّ رضيَ اللهُ عنه قال: كُنَّا عندَ رسولُ الله ﷺ تسعَةً أو ثمانيَةً أو سبْعَةً، فقَالَ: «ألا تُبَايعُونَ رَسولَ الله ﷺ؟» وكُنَّا حَديثي عَهْد ببيْعَة، فقُلْنَا: قَدْ بَايعْنَاك يا رسُولَ الله، ثمّ قَالَ: «ألاَ تُبَايعون رَسُولَ الله؟» فَبسطْنَا أيْدينا وقُلْنَا: قَدْ بَايعْنَاكَ يا رسُولَ الله، فعَلامَ نُبَايعُكَ؟ قال: «علَى أنْ تَعبُدُوا اللهَ ولا تُشركُوا به شيْئاً، والصَّلَوات الخَمْس وتُطيعُوا» وأسرَّ كَلمةً خَفيَّةً: «ولا تَسألُوا النَّاس شيْئاً» فلَقَدْ رأيْتُ بَعْض أولئكَ النَّفر يَسقُطُ سَوْطُ أحَدهمْ فمَا يَسألُ أحَداً ينَاولُهُ إيَّاهُ. رواه مسلم.

[٥٣٠/٩] ـ وعن ابن عمر رضيَ اللهُ عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تَزالُ المَسألَةُ بأحَدكُمْ حتَّى يَلْقى الله تعالى ولَيْسَ في وَجْهه مُزْعَةُ لَحْم» متفقٌ عليه.

«المُزْعَةُ» بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة: القطْعَة.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن حكيم بن حزام رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ فأعطاه؛ أي: مالاً فأعطاه ثم سأله فأعطاه، ثم سأله فأعطاه. وكان من هدي النبي ﷺ وكرمه وحسن خلقه أنه لا يرد سائلاً شيئًا، فما سئل شيئًا على الإسلام إلا أعطاه عليه الصلاة والسلام؛ ثم قال لحكيم: «إن هذا المال خضر حلو» خضر يسر الناظرين حلو يسر الذائقين، فتطلبه وتحرص عليه. «فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه». فكيف بمن أخذه بسؤال؟ يكون أبعد وأبعد، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب: «ما جاء من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»(١) يعنيك ما جاءك بإشراف نفس وتطلع وتشوف فلا تأخذه، وما جاءك بسؤال فلا تأخذه.

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام لحكيم بن حزام: «اليد العليا خير من اليد السفلى» اليد

(٦/ ٥٢٧) صحيح: رواه البخاري (١٤٢٧) ومسلم (١٠٣٤).

(٧/ ٥٢٨) صحيح: رواه مسلم (١٠٣٨) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٨/ ٥٢٩) صحيح: رواه مسلم (١٠٤٣).

(٩/ ٥٣٠) صحيح: رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠)، ولفظ البخاري «ما يزال الرجل يسأل الناس».

(١) صحيح: رواه البخاري (٧١٦٣، ٧١٦٤) ومسلم (١٠٤٥).

Marfat.com

العليا هي يد المعطي، واليد السفلى هي يد الآخذ، فالمعطي يده خير من يد الآخذ، لأن المعطي فوق الآخذ، فيده هي العليا كما قال النبي ﷺ.

فأقسم حكيم بن حزام رضي الله عنه بالذي بعث النبي ﷺ بالحق ألا يسأل أحدًا شيئًا، فقال: **«يا رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدًا بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا»**.

فتوفي الرسول عليه الصلاة والسلام، وتولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه، فكان يعطيه العطاء فلا يقبله، ثم توفي أبو بكر، فتولى عمر فدعاه ليعطيه، فأبى، فاستشهد عمر عليه، فقال: اشهدوا أني أعطيه من بيت مال المسلمين فلا يقبله، قال ذلك رضي الله عنه لئلا يكون له حجة على عمر يوم القيامة بين يدي الله، وليتبرأ من عهدته أمام الناس، ولكن مع ذلك أصر حكيم رضي الله عنه ألا يأخذ منه شيئًا حتى توفي.

وفي اللفظ الآخر الذي ساقه المؤلف أن الرسول ﷺ قال: **«اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول»** فالإنسان يبدأ بمن يعول، يعني بمن يلزمه نفقته. فالإنفاق على الأهل أفضل من الصدقة على الفقراء، لأن الإنفاق على الأهل صدقة وصلة وكفاف وعفاف، فكان ذلك أولى، والإنفاق على نفسك أولى من الإنفاق على غيرك، كما جاء في الحديث: **«ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك»**(1). وذكر المؤلف رحمه الله حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم»** يأتي وليس عليه إلا عظام تلوح أمام الناس يوم القيامة، نسأل الله العافية. وهذا وعيد شديد يدل على تحريم كثرة السؤال، ولهذا قال العلماء: لا يحل لأحد أن يسأل شيئًا إلا عند الضرورة، إذا اضطر الإنسان فلا بأس أن يسأل، أما أن يسأل للأمور الكمالية لأجل أن يسابق الناس فيما يجعله في بيته، فإن هذا لا شك في تحريمه، ولا يحل له أن يأخذ شيئًا، حتى الزكاة ولو أعطيها فلا يأخذها لإنفاقها في الأمور الكمالية التي لا يريد منها إلا أن يسابق الناس ويماريهم، أما الشيء الضروري فلا بأس به. والله أعلم.

* * *

١٠/ ٥٣١ ــ وعنه أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال وهو على المِنْبَرِ، وذَكَرَ الصَّدَقَةُ والتَّعَفُّفَ عَنِ المَسألَة: **« اليَد العُليَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلى، وَاليَد العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَة، وَالسُّفْلى هِيَ السَّائلَة »** متفق عليه.

[١١/ ٥٣٢] ــ **وعن أبي هُريرة رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تكَثُّراً فَإِنَّما يَسْأَلُ جَمْراً؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أوْ لِيَسْتَكْثِرْ »** رواه مسلم.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٩٧) والنسائي (٢٥٤٦).

(١٠/ ٥٣١) صحيح: رواه البخاري (١٤٢٩) مسلم (١٠٣٣).

(١١/ ٥٣٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٤١) وابن ماجه (١٨٣٨).

Marfat.com

٥٨ ـ باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

[١/ ٥٣٨] ـ عَنْ سالمِ بنِ عبد الله بن عُمَرَ ، عَنْ أبيه عبد الله بن عُمَرَ ، عَنْ عُمَرَ رضى اللهُ عنهم قال : كان رسول الله ﷺ يُعْطِينى العَطَاءَ ، فَأقُولُ : أعطه مَنْ هُوَ أفقرُ إليه منِّى ، فقال : « خُذْهُ ؛ إذَا جاءكَ من هذاَ المَالِ شَىْءٌ ، وأَنتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ ولا سَائِلٍ ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ فَإنْ شئتَ كُلْهُ ، وإن شئتَ تَصدَّقْ به ، ومَا لا ، فَلا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ » قال سَالِمٌ: فَكَانَ عَبدُ الله لا يَسألُ أحداً شيأ ، ولَا يردُّ شيئاً أُعْطِيَهُ . متفقٌ عليه .

« مشرفٌ » بالشين المُعْجمَة ، أىْ : مُتطَلِّعٌ إلَيْه .

٥٩ ـ باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قال الله تعالى : ﴿ فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِى الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ (الجمعة:١٠) .

[١/ ٥٣٩] ـ عن أبى عَبْد الله الزُّبَيْر بن العَوَّام رضىَ الله عنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ: « لأنْ يَأخُذَ أحَدُكُمْ أحبلَه ثُمَّ يأتى الجَبَلَ ، فَيأتى بحُزْمَة مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِه فَيبيعهَا، فَيَكُفَّ الله بها وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أن يَسألَ النَّاسَ ، أعطَوْهُ أوْ مَنَعُوهُ» رواه البخارى.

[٢/ ٥٤٠] ـ وعن أبى هُرَيرة رضى الله عنه قالَ : قال رسولُ الله ﷺ : « لأنْ يَحْتَطِبَ أحَدُكُم حُزمَةً عَلَى ظَهرِه، خَيْرٌ لَهُ من أنْ يَسألَ أحَداً ، فَيُعْطِيَهُ أو يَمنَعَهُ » متفق عليه.

[٣/ ٥٤١] ـ وعنه عن النبىِّ ﷺ قال : « كانَ دَاوُدُ عليه السَّلامُ لا يَأكُلُ إلا مِن عَمَلِ يَدِهِ » رواه البخارى .

[٤/ ٥٤٢] ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « كَانَ زَكَرِيَّا عليه السلامُ نَجَّاراً » رواه مسلم .

[٥/ ٥٤٣] ـ وعن المِقْدَام بن مَعْد يكْرِبَ رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « مَا أكَلَ أحَدٌ طَعَاماً قَطُّ خَيْراً مِن أن يَأكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ ، وإنَّ نَبىَّ الله دَاوُدَ ﷺ كانَ يَأكُل مِن

(١/ ٥٣٨) صحيح: رواه البخاري (١٤٧٣)، ومسلم (١٠٤٥).
(١/ ٥٣٩) صحيح: رواه البخاري (١٤٧١ ، ٢٣٧٣) و أحمد (١/ ١١٦٧).
(٢/ ٥٤٠) صحيح: رواه البخاري (٢٣٧٤)، ومسلم (١٠٤٢).
(٣/ ٥٤١) صحيح: رواه البخاري (٢٠٧٣).
(٤/ ٥٤٢) صحيح: رواه مسلم (٢٣٧٩) واحمد (٢/ ٢٩٦ ، ٤٠٥).
(٥/ ٥٤٣) صحيح : رواه البخاري (٢٠٧٢).

Marfat.com

عَمَلِ يَدِهِ » رواه البخاري .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه).

يعني أن الإنسان لا ينبغي له أن يعلق نفسه بالمال فيتطلع إليه أو يسأل، لأن ذلك يؤدي إلى أن يكون لهم هم إلا الدنيا، والإنسان إنما خلق في الدنيا من أجل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧].

فلا ينبغي للإنسان أن يعلق نفسه بالمال أو يهتم به. إن جاءه من غير تعب ولا سؤال ولا استشراف نفس فيقبله، وإلا فلا.

ثم ذكر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يعطيه العطاء فيقول: أعطه من هو أفقر مني فيقول له الرسول عليه الصلاة والسلام: «**خذه؛ إذا جاءك من هذا المال شيء وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، فتموله فإن شئت كله، وإن شئت تصدق به وما لا فلا تتبعه نفسك**».

فكان ابن عمر رضي الله عنهما لا يسأل أحدًا شيئًا، وإذا جاءه شيء من غير سؤال قبله، وهذا غاية ما يكون من الأدب، ألا تذل نفسك بالسؤال، ولا تستشرف للمال وتعلق قلبك به.

وإذا أعطاك أحد شيئًا فاقبله، لأن رد العطية والهدية قد يحمل من أعطاك على كراهيتك، فيقول: هذا الرجل مستكبر، هذا الرجل متغطرس، وما أشبه ذلك.

فالذي ينبغي أن من أعطاك بغير مسألة تقبل منه، إلا إذا كان الإنسان يخشى ممن أعطاه أن يمن به عليه في المستقبل فيقول: أنا أعطيتك، أنا فعلت معك كذا وكذا وما أشبه ذلك، فهنا يرده، لأنه إذا خشي أن يقطع المعطي رقبته بالمنة عليه، فليَحْمِ نفسه من هذا.

ثم ذكر المؤلف: (باب الحث على الأكل من عمل يده)، وذكر الآيات والأحاديث التي تبين فضيلة أن يأكل الإنسان من عمل يده ويتعفف عن السؤال وأن يكتسب ويتجر.

فذكر قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] أي: في أنحائها ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ أي ابتغوا الرزق من فضل الله عز وجل.

Marfat.com

وقال الله تعالى: ﴿فإذا قُضيت الصلاةُ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة: ١٠].

ولكن لا ينسيك ابتغاؤك من فضل الله ذكر ربك، ولهذا قال: ﴿وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة: ١٠]. ثم ذكر ـ رحمه الله ـ ما ثبت في «صحيح البخاري» أن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يده وكان داود يصنع الدروع كما قال تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ [الأنبياء: ٨٠].

أما زكريا فكان نجارًا يعمل ويأخذ الأجرة على ذلك.

وهذا يدل على أن العمل والمهنة ليست نقصًا؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يمارسونها، ولا شك أن هذا خير من سؤال الناس، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**لأن يأخذ أحدكم حزمة من حطب على ظهره فيبيعها**» يعني ويأخذ ما كسب منها: «**خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**».

ولا شك أن هذا هو الخلق النبيل، ألا يخضع الإنسان لأحد، ولا يذل له، بل يأكل من كسب يده، من تجارته أو صناعته أو حرثه، وقال تعالى: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله﴾ [المزمل: ٢٠].

* * *

Marfat.com

٦٠ ـ باب الكرم والجود والإنفاق فى وجوه الخير ثقة بالله تعالى

قال الله تعالي : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ (سبأ:٣٩)، وقال تعالي : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٢٧٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٧٣) .

[١/ ٥٤٤] ــ وعَن ابنِ مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « لا حَسَدَ إلا فى اثْنَتَين : رَجـلٌ آتاهُ اللهُ مَـالاً ، فَسَلَّطَهُ عَلى هَلَكتـِه فى الحَـقِّ ، ورَجـلٌ آتاه اللهُ حِكْمَةً ، فَهوَ يَقْضى بِهَا ويُعَلِّمُها » متفقٌ عليه .

معناه : يَنْبَغى ألا يُغْبَطَ أحَدٌ إلا على إحدَى هَاتَينِ الخَصْلَتَيْن .

[٢/ ٥٤٥] ــ وعنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « أيُّكُم مَالُ وَارثـه أحَبُّ إليه من مَاله؟ » قالوا : يا رَسولَ الله ، مَا منَّا أحَدٌ إلا مَالُه أحَبُّ إليه ، قال : « فَإنَ مَالَه ما قَدَّمَ ومَال وَارثه ما أخَّرَ » رواه البخارى .

[٣/ ٥٤٦] ــ وعَن عَدىِّ بنِ حاتمٍ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اتَّقُوا النَّارَ ولَوْ بشقِّ تَمرَة » متفقٌ عليه .

[٤/ ٥٤٧] ــ وعن جابرٍ رضى الله عنه قال : ما سُئلَ رسولُ الله ﷺ شيئاً قَطُّ فقالَ: « لا » . متفقٌ عليه .

[٥/ ٥٤٨] ــ وعن أبى هُريرة رضى الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « مَا من يَوْمٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلا مَلَكَان يَنْزِلان ، فَيَقُولُ أحَدُهُما : اللَّهُمَّ أعط مُنْفقاً خَلَفاً ، ويَقُولُ الآخَرُ : اللَّهُمَّ أعطِ مُمْسكاً تَلَفاً » مَتفقٌ عليه .

[٦/ ٥٤٩] ــ وعنه أن رسول الله ﷺ قال : « قالَ اللهُ تعالى : أَنفقْ يَابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ » متفقٌ عليه .

(١/ ٥٤٤) صحيح : رواه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٦).
(٢/ ٥٤٥) صحيح : رواه البخاري (٦٤٤٢).
(٣/ ٥٤٦) صحيح : رواه البخاري (٦٠٢٣)، ومسلم (١٠١٦).
(٤/ ٥٤٧) صحيح : رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).
(٥/ ٥٤٨) صحيح : رواه البخاري (١٤٤٢)، ومسلم (١٠١٠).
(٦/ ٥٤٩) صحيح : رواه البخاري (٥٣٥٢)، ومسلم (٩٩٣).

Marfat.com

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى).

المال الذي أعطاه الله بني آدم، أعطاهم إياه فتنة، ليبلوهم؛ هل يحسنون التصرف فيه أم لا. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥] فمن الناس من ينفقه في شهواته المحرمة، وفي لذائذه التي لا تزيده من الله إلا بعدًا، فهذا يكون ماله وبالاً عليه والعياذ بالله.

ومن الناس من ينفقه ابتغاء وجه الله فيما يقربه إلى الله على حسب شريعة الله، فهذا ماله خير له.

ومن الناس من يبذل ماله في غير فائدة، ليس في شيء محرم ولا في شيء مشروع، فهذا ماله ضائع عليه، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال[1].

وينبغي للإنسان إذا بذل ماله فيما يرضي الله أن يكون واثقًا بوعد الله سبحانه وتعالى حيث قال في كتابه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ أي يعطيكم خلفًا عنه.

وليس معناه فهو يَخْلُفُهُ، إذ لو كان المراد فهو يَخلُفه، لكان معنى الآية: أن الله يكون خليفة، وليس الأمر كذلك، بل فهو يُخْلِفه أي يعطيكم خلفًا عنه.

ومنه الحديث: «اللهم أجرني في مصيبتي واخْلفْ لي خيرًا منها»[2] ولا تقل: واخْلُفْ لي خيرًا منها، بل وأخلف أي ارزقني خلفًا عنها خيرًا منها.

فالله عز وجل وعد في كتابه أن ما أنفقه الإنسان فإن الله يخلفه عليه، يعطيه خلفًا عنه، وهذا يفسره قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الأحاديث التي ساقها المؤلف مثل قوله ﷺ: **«ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا تلفًا»** يعني: أتلف ماله.

والمراد بذلك من يمسك عما أوجب الله عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك يُدعى عليه، بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما أوجب الله ، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بأن الله يتلفه ويتلف ماله.

---

(١) جز من حديث رواه البخاري (٧/ ٢٤٠٨).

(٢) صحيح رواه مسلم (٩١٨)، واحمد (٤/ ٢٧).

Marfat.com

والتلف نوعان: تلف حسي، وتلف معنوي:

١ ـ **التلف الحسي:** أن يتلف المال نفسه، بأن يأتيه آفة تحرقه أو يسرق أو ما أشبه ذلك.

٢ ـ **والتلف المعنوي:** أن تنزع بركته، بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حياته، ومنه ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال لأصحابه: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا وماله أحب إليه. فمالك أحب إليك من مال زيد وعمرو وخالد، ولو كان من ورثتك، قال: «**فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر**».

وهذه حكمة عظيمة ممن أوتي جوامع الكلم ﷺ، فمالك الذي تقدمه لله عز وجل تجده أمامك يوم القيامة، ومال الوارث ما يبقي بعدك من مالك فينتفع به ويأكله الوارث، فهو مال وارثك على الحقيقة. فأنفق مالك فيما يرضي الله، وإذا انفقت فإن الله يخلفه، وينفق عليك، كما قال رسول الله ﷺ: «**قال الله تعالى: أنفق يا بن آدم يُنفق عليك**».

وهذه الأحاديث كلها وكذلك الآيات تدل على أنه ينبغي للإنسان أن يبذل ماله حسب ما شرع الله عز وجل، كما جاء في الحديث الذي صدر به المؤلف هذا الباب؛ أن الرسول ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين**» يعني لا غبطة، ولا أحد يغبط على ما أعطاه الله سبحانه وتعالى من مال وغيره إلا في اثنتين فقط:

الأولى: رجل أعطاه الله مالاً، فسلطه على هلكته في الحق، صار لا يبذله إلا فيما يرضي الله، هذا يُحسد لأنك الآن تجد التجار يختلفون، منهم من ينفق أمواله في سبيل الله، في الخيرات، في أعمال البر، إعانة فقير، بناء مساجد، بناء مدارس، طبع كتب، إعانة على الجهاد، وما أشبه ذلك، فهذا سلط علي هلكته في الحق.

ومنهم من يسلطه على هكلته في اللذائذ المحرمة والعياذ بالله، يسافر إلى الخارج فيزني، ويشرب الخمر، ويلعب القمار، ويتلف ماله فيما يغضب الرب عز وجل، فالذي سلطه الله على هلكة ماله في الحق يغبط، لأن الغالب أن الذي يستغني يبطر ويمرح ويفسق، فإذا رؤي أن هذا الرجل الذي أعطاه الله المال ينفقه في سبيل الله فهو يغبط.

والثانية: رجل آتاه الله الحكمة يعني العلم، الحكمة هنا العلم كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]. «**فهو يقضي بها ويعلمها**» يقضي بها في نفسه وفي أهله، وفي من تحاكم عنده، ويعلمها الناس أيضاً، لا يقتصر على أن يأتيه الناس فيقول: إذا جاءوني حكمت وقضيت، بل يقضي ويعلم، ويبدأ الناس بذلك، فهذا لا شك أنه مغبوط على ما آتاه الله عز وجل من الحكمة.

Marfat.com

والناس في الحكمة ينقسمون إلى أقسام.

قسم: آتاه الله الحكمة فبخل بها حتى على نفسه، لم ينتفع بها في نفسه، ولم يعمل بطاعة الله، ولم ينته عن معصية الله، فهذا خاسر والعياذ بالله، وهذا يشبه اليهود الذين علموا الحق واستكبروا عنه. وقسم آخر: آتاه الله الحكمة فعمل بها في نفسه، لكن لم ينفع بها عباد الله، وهذا خير من الذي قبله، لكنه ناقص. وقسم آخر: أعطاه الله الحكمة فقضى بها وعمل بها في نفسه وعلمها الناس، فهذا خير الأقسام. وهناك قسم رابع: لم يؤت الحكمة إطلاقًا فهو جاهل، وهذا حرم خيرًا كثيرًا، لكنه أحسن حالاً ممن أوتي الحكمة ولم يعمل بها، لأن هذا يرجى إذا علم أن يتعلم ويعمل، بخلاف الذي أعطاه الله العلم، وكان علمه وبالاً عليه والعياذ بالله.

٧/ ٥٥٠ ــ وعن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاصِ رضى الله عنهما أنَّ رَجلاً سأَلَ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خيرٌ ؟ قَالَ: « **تُطعِمُ الطَّعَامَ، وتَقرأُ السلامَ عَلى مَنْ عَرفتَ ومَنْ لَم تَعْرِفْ** » متفقٌ عليه.

٨/ ٥٥١ ــ وعنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: « **أربَعونَ خَصلَةً أعلاهَا منِيحةُ العَنْز ما من عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصلَة منها رَجَاءَ ثَوابِهَا وتَصْديقَ مَوْعُودهَا إلا أدْخَلَهُ اللهُ تعالى بهَا الجَنَّةَ** » رواهُ البخارى. وقدْ سبقَ بيانُ هذا الحديث فى باب بَيَان كثْرَة طُرق الخَيرِ.

٩/ ٥٥٢ ــ وعن أبى أُمَامَةَ صُدَىِّ بن عَجْلانَ رضى الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: « **يَابْنَ آدمَ إنَّكَ أن تَبذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لكَ، وأن تُمسكَهُ شرٌّ لكَ، ولا تُلامُ على كَفَافٍ، وَابْدأ بمَنْ تَعُولُ، واليَدُ العُليَا خَيْرٌ منَ اليَد السُّفْلَى** » روَاه مسلم.

[١٠/ ٥٥٣] ــ **وعن أنسٍ رضى الله عنه قَال: ما سُئلَ رسولُ الله ﷺ على الإسلامِ شَيْئاً إلا أعطاه، ولَقَد جَاءَهُ رجُلٌ، فأعطَاه غنَماً بينَ جبَلَين، فَرَجَعَ إلى قَومه فقَالَ: يَا قَوْمِ أسْلمُوا؛ فَإنَّ مُحمَّداً يُعطى عطَاءَ مَنْ لا يَخْشَى الفقْرَ، وإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلمُ مَا يُريدُ إلا الدُّنيَا، فَمَا يَلْبَثُ إلا يَسيراً حتَّى يكُونَ الإسْلامُ أحبَّ إلَيه منَ الدُّنيَا ومَا عَلَيْها. رواه مسلم.**

١١/ ٥٥٤ ــ وعن عُمَرَ رضىَ الله عنه قال: قَسَمَ رسولُ الله ﷺ **قَسْماً**، **فَقُلْتُ**: يا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلاءِ كَانُوا أحَقَّ بِهِ منهُم ؟ قال: « **إنَّهُمْ خَيَّرُونى أن يَسألُونى بالفُحْشِ، أوْ**

(٧/ ٥٥٠) صحيح: رواه البخارى (١٢) مسلم (٣٩).
(٨/ ٥٥١) صحيح: رواه البخارى (٢٦٣١).
(٩/ ٥٥٢) صحيح: رواه مسلم (٩٩٣).
(١٠/ ٥٥٣) صحيح: رواه مسلم (٥٥٨) وفيه: «وقال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا الخ».
(١١/ ٥٥٤) صحيح: رواه مسلم (١٠٥٦).

Marfat.com

يُبَخِّلُونى ، ولَستُ بِبَاخِلٍ » رواه مسلم .

١٢/ ٥٥٥ ــ وعن جُبَيْرِ بنِ مُطعِمٍ رضىَ الله عنه أنه قال : بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبىِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِن حُنَيْنٍ ، فَعَلِقَهُ الأعرَابُ يَسْألُونَهُ ، حتَّى اضْطَرُّوهُ إلى سَمُرَةٍ ، فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبىُّ ﷺ فقال : « أعْطُونى رِدَائى ، فَلَوْ كَانَ لى عَدَدُ هذه العِضَاه نَعَماً ، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ، ثم لا تَجِدُونى بَخِيلاً وَلا كَذَّاباً وَلا جَبَاناً » رواه البخارى .

« مَقْفَلَهُ » أى : حَال رُجُوعه . وَ« السَّمُرَةُ » : شَجَرَةٌ . وَ« العضاةُ » : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ .

[١٣/ ٥٥٦] ــ وعن أبى هُرَيرة رضى اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « مَا نَقَصَت صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْداً بِعَفْوٍ إلا عِزًا ، وَمَا تَوَاضَعَ أحَدٌ لله إلا رَفَعَهُ الله عزَّ وَجَلَّ » رواه مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا على الإسلام إلا أعطاه؛ لأنه ﷺ كان أكرم الناس، وكان يبذل ماله فيما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى. ومن ذلك أنه ﷺ إذا سأله شخص على الإسلام ـ يعني على التأليف على الإسلام والرغبة فيه ـ إلا أعطاه، مهما كان هذا الشيء، حتى إنه سأله أعرابي فأعطاه غنمًا بين جبلين، أي أنها غنم كثيرة أعطاه إياه الرسول عليه الصلاة والسلام لما يرجو من الخير لهذا الرجل ولمن وراءه. ولذلك ذهب الرجل إلى قومه فقال: «**يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر**»، عليه الصلاة والسلام، يعني يعطي عطاءً جزيلاً، عطاء من لا يخشى الفقر، فانظر إلى هذا العطاء كيف أثر في هذا الرجل هذا التأثير العظيم، حتى أصبح داعية إلى الإسلام. وهو إنما سأل كغيره من الأعراب فالأعراب أهل طمع، يحبون المال ويسألونه ولكنه لما أعطاه الرسول عليه الصلاة والسلام هذا العطاء الجزيل صار داعية إلى الإسلام، فقال: «**يا قوم أسلموا**» ولم يقل: أسلموا تدخلوا الجنة وتنجوا من النار، بل قال: «**أسلموا؛ فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر**». يعني سيعطيكم ويكثر.

ولكن إذا أسلموا من أجل المال، فإنهم لا يلبثون يسيرًا إلا ويصير الإسلام أحب شيء إليهم، أحب من الدنيا وما فيها، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعطي الرجل تأليفًا له على الإسلام حتى يسلم، وإن كانت نيته للمال، إلا أنه إذا دخل في الإسلام

(١٢/ ٥٥٥) صحيح: رواه البخارى (٢٨٢١) .

(١٣ / ٥٥٦) صحيح رواه مسلم (٢٥٨٨) واحمد (٢/ ٢٣٥، ٣٨٦).

Marfat.com

وتعلم محاسن الإسلام وقر الإيمان في قلبه. ويؤخذ من هذا الحديث وأمثاله: أنه لا ينبغي لنا أن نبتعد عن أهل الكفر وعن أهل الفسوق، وأن ندعهم للشياطين تلعب بهم، بل نؤلفهم، ونجذبهم إلينا بالمال واللين وحسن الخلق حتى يألفوا الإسلام، فها هو الرسول عليه الصلاة والسلام يعطي الكفار، يعطيهم حتى من الفيء.

بل إن الله جعل لهم حظًا من الزكاة ، نعطيهم لنؤلفهم على الإسلام، حتى يدخلوا في دين الله، والإنسان قد يسلم للدنيا إذا ذاق طعم الإسلام رغب فيه، حتى يكون أحب شيء إليه.

قال بعض أهل العلم: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا لله ، فالأعمال الصالحة لابد أن تربي صاحبها على الإخلاص لله عز وجل، والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام.

وإذا كان هذا دأب الإسلام فيمن يعطي على الإسلام ويؤلف، فإنه ينبغي لنا أن ننظر إلى هذا نظرة جدية، فنعطي من كان كافرًا إذا وجدنا فيه قربًا من الإسلام، ونهاديه ونحسن له الخلق، فإذا اهتدى يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم.

وهكذا أيضًا الفساق هادهم، انصحهم باللين، وبالتي هي أحسن، ولا تقل: أنا أبغضهم لله، ابغضهم لله وادعهم إلى الله، بغضك إياهم لله لا يمنعك أن تدعوهم إلى الله عز وجل وإن كانت تكرههم، فلعلهم يكونون من أحبابك في الله يومًا من الأيام.

ثم ذكر المؤلف الحديث الآخر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: **«ما نقصت صدقة من مال»** إذا تصدق الإنسان فإن الشيطان يقول له: إذا تصدقت نقص مالك، عندك مائة ريال إذا تصدقت بعشرة لم يكن عندك إلا تسعون، إذن نقص المال فلا تتصدق، كلما تصدقت ينقص مالك.

ولكن من لا ينطق عن الهوى يقول: **«ما نقصت صدقة من مال»** قد تنقصه كمًا، لكنها تزيده كيفًا وبركة، وربما هذه العشرة يأتي بدلها مائة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩]. أي يجعل لكم خلفًا عنه عاجلاً، وأجرًا وثوابًا آجلاً، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقد كان النبي ﷺ أجود الناس وكان أكرم الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة[١] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦) ومسلم (٢٣٠٧).

Marfat.com

الريح المرسلة التي أمرها الله وأرسلها فهي عاصفة سريعة، ومع ذلك فالرسول عليه الصلاة والسلام أسرع بالخير في رمضان من هذه الريح المرسلة، فينبغي لنا أن نكثر من الصدقة والإحسان وخصوصًا في رمضان، فنكثر من الصدقات والزكوات وبذل المعروف وإغاثة الملهوف وغير ذلك من أنواع البر والصلة.

ويزيد العامة على قوله ﷺ : «**ما نقصت صدقة من مال**» قولهم: «**بل تزده بل تزده**» وهذه لا صحة لها، فلم تصح عن الرسول عليه الصلاة والسلام، وإنما الذي صح عنه ﷺ : «**ما نقصت صدقة من مال**».

والزيادة التي تحصل بذل الصدقة إما كمية وإما كيفية.

مثال الكمية: أن الله تعالى يفتح لك بابًا من الرزق ما كان في حسابك.

ومثال الكيفية: أن ينزل الله لك البركة فيما بقي من مالك.

ثم قال ﷺ : «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا**» إذا جنى عليك أحد وظلمك في مالك، أو في بدنك، أو في أهلك، أو في حق من حقوقك، فإن النفس شحيحة تأبى إلا أن تنتقم منه، وأن تأخذ بحقك، وهذا لك. قال تعالى:

﴿... اعتدى عليكم ...﴾ [البقرة:١٩٤]. وقال تعالى:

﴿...﴾ [النحل:١٢٦].

ولا يلام الإنسان على ذلك، لكن إذا هم بالعفو وحدث نفسه بالعفو، قالت له نفسه الأمارة بالسوء: إن هذا ذل وضعف، كيف تعفو عن شخص جني عليك أو اعتدى عليك!

وهنا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا**» والعز ضد الذل، وما تحدثك به نفسك أنك إذا عفوت فقد ذللت أمام من اعتدى عليك، فهذا من خداع النفس الأمارة بالسوء ونهيها عن الخير، فإن الله يثيبك على عفوك هذا عزًا ورفعة في الدنيا والآخرة.

ثم قال ﷺ : «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه**». والتواضع من هذا الباب أيضًا، فبعض الناس تراه متكبرًا ويظن أنه إذا تواضع للناس نزل، ولكن الأمر بالعكس، إذا تواضعت للناس فإنك تتواضع لله أولاً، ومن تواضع لله فإن الله يرفعه ويعلي شأنه.

وقوله: «**تواضع لله**» لها معنيان:

المعنى الأول: أن تتواضع لله بالعبادة وتخضع وتنقاد لأمر الله.

المعنى الثاني: أن تتواضع لعباد الله من أجل الله وكلاهما سبب للرفعة، سواء تواضعت لله بامتثال أمره واجتناب نهيه وذللت له وعبدته أو تواضعت لعباد الله من أجل

Marfat.com

الله لا خوفًا منهم، ولا مداراة لهم، ولا طلبًا لمال أو غيره، إنما تتواضع من أجل الله عز وجل، فإن الله تعالى يرفعك في الدنيا وفي الآخرة.

فهذه الأحاديث كلها تدل على فضل الصدقة والتبرع ، وبذل المعروف والإحسان إلى الغير، وأن ذلك من خلق النبي ﷺ .

١٤/ ٥٥٧ـ وعن أبي كَبْشَةَ عُمَرَ بن سَعد الأنماريَّ رضى الله عنه أنه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « ثلاثةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُم حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالُ عبد من صَدَقَة، ولا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إلا زَادَهُ الله عزاً ، وَلا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مسألة إلا فتحَ اللهُ عليه بَابَ فَقْرٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا ، وَأُحَدِّثُكُم حَدِيثاً فَاحْفَظُوهُ » قال : « إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ :

عَبد رَزَقَه الله مَالاً وَعِلْماً ، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ ، وَيَعْلَمُ لله فيه حَقًّا ، فَهَذَا بأفضل المَنَازِل .

وَعَبْد رَزَقَهُ الله علماً ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً ، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ : لَو أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلان ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ .

وَعَبْد رَزَقَهُ اللهُ مَالاً ، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلماً ، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيرِ عِلمٍ ، لا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلا يَعْلَمُ لله فيه حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِل .

وَعَبْد لَمْ يَرْزُقْهُ الله مَالاً وَلا عِلماً ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلان، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

١٥/ ٥٥٨ـ وعن عَائشَةَ رَضِيَ الله عنها أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً ، فقال النبيُّ ﷺ : « مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت : ما بقى منها إلا كَتِفُهَا ، قال : « بقي كُلُّهَا غَيرَ كَتِفِهَا » رواه الترمذى وقال : حديث صحيح . ومعناه : تَصَدَّقُوا بها إلا كَتِفَهَا . فقال : بَقِيَتْ لَنَا فى الآخِرَةِ إلا كَتِفَهَا .

١٦/ ٥٥٩ـ وعن أسماءَ بنتِ أبى بكرِ الصديق رضى الله عنهما قالت : قال لى رسولُ الله ﷺ : « لا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ » .

وفى رواية : « أَنفِقِي أو انْفَحِي ، أو انْضَحِي ، وَلا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ ، وَلا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ » متفقٌ عليه .

وَ« انْفَحِي » بالحاء المهملة : وهو بمعنى « أَنفِقِي » وكذلك : « انْضَحِي » .

(١٤/ ٥٥٧) صحيح :رواه الترمذى (٢٣٢٥) ، الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٢٤).

(١٥/ ٥٥٨) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٧٠) وصححه الألبانى فى الصحيحين (٢٥٤٤).

(١٦/ ٥٥٩) صحيح: رواه البخارى (١٤٣٣) مسلم (١٠٢٩).

Marfat.com

١٧/ ٥٦٠ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقُولُ : «مَثَلُ البَخيل والمُنفق ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ من حَديد من ثُدِيِّهِمَا إلى تَرَاقيهمَا ، فَأَمَّا المُنفقُ، فَلا يُنْفقُ إلاَ سبَغَتْ ، أَوْ وفَرَتْ على جلده حتى تُخْفِىَ بَنَانَهُ ، وتَعفُوَ أَثَرَهُ ، وأَمَّا البَخيلُ فَلاَ يُرِيدُ أَنْ يُنْفقَ شيْئًا إلاَّ لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَة مَكانَهَا فَهُوَ يُوسعُهَا فَلاَ تَتَّسعُ» متفقٌ عليه .

وَ «الجُنَّةُ» الدِّرعُ ؛ ومَعنَاهُ : أن المُنفقَ كُلَّمَا أَنفَقَ سبَغَتْ ، وطَالَتْ حتى تَجُرَّ وَرَاءَهُ، وتُخفِى رِجلَيه وأثَرَ مَشيه وخُطُوَاته .

١٨/ ٥٦١ ـ وعنه قال : قالَ رسولُ الله ﷺ : «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَة من كَسْب طَيِّب ، ولا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطَّيِّبَ ، فَإِنَّ الله يَقْبَلُهَا بِيَمِينِه ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كما يُرَبِّى أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حتَّى تكونَ مثلَ الجبلِ» متفقٌ عليه .

«الفَلُوُّ» بفتحِ الفاء وضَمِّ اللام وتشديد الواو ، ويقال أيضاً : بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو : وهو المُهرُ .

١٩/ ٥٦٢ ـ وعنه عنِ النبى ﷺ قال : «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشى بفَلاة من الأرض ، فَسَمِعَ صَوتاً فى سَحَابَة : اسق حَديقَةَ فُلان ، فَتَنَحَّى ذلك السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فى حَرَّة ، فإذا شَرْجَةٌ من تلكَ الشِّرَاجِ قَد اسْتَوعَبَتْ ذلكَ الماءَ كُلَّهُ ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ ، فإذا رَجُلٌ قَائمٌ فى حَديقته يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاته ، فقال له : يَا عَبْدَ الله ، ما اسْمُك ؟ قال : فُلانٌ للاسمِ الَّذى سَمِعَ فى السَّحَابَة ، فقالَ له : يا عَبْدَ الله ، لِمَ تَسْأَلُنى عَنِ اسْمى ؟ فَقَال : إنِّى سَمِعْتُ صَوتاً فى السَّحَابِ الذى هَذَا مَاؤُهُ يقُولُ : اسق حَديقَةَ فُلان لاسمكَ ، فما تَصنَعُ فيها ؟ فقال : أما إذْ قُلتَ هذَا ، فَإنِّى أَنْظُرُ إلى ما يَخرُجُ مِنْها ، فَأَتَصَدَّقُ بثُلُثه ، وآكُلُ أنا وعِيالى ثُلُثاً ، وأَرُدُّ فيها ثُلُثَهُ» رواه مسلم .

«الحَرَّةُ» : الأرضُ المُلَبَّسَةُ حِجَارَةً سَودَاءَ . و «الشَّرجَةُ» بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجيم : هىَ مَسِيلُ الماءِ .

* * *

(١٧/ ٥٦٠) صحيح : رواه البخارى (٢٧١٩) مسلم (١٠٢١).

(١٨/ ٥٦١) صحيح : رواه البخارى (١٤١٠) مسلم (١٠١٤) .

(١٩/ ٥٦٢) صحيح : رواه مسلم (٢٩٨٤) أحمد (٦/ ٢٩٦).

Marfat.com

باب النهي عن البخل والشح

قال الله تعالى : ﴿وأما من بخل واستغنى . وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى . وما يغني عنه ماله إذا تردى﴾ **(الليل:٨:١٠) وقال تعالى :** ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ **(التغابن:١٦)** .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه رياض الصالحين: (باب النهي عن البخل والشح).

والبخل: هو منع ما يجب وما ينبغي بذله.

والشح: هو الطمع فيما ليس عنده، وهو أشد من البخل؛ لأن الشحيح يطمع فيما عند الناس ويمنع ما عنده، والبخيل يمنع ما عنده مما أوجب الله عليه من زكاة ونفقات، ومما ينبغي بذله فيما تقتضيه المروءة.

وكلاهما ـ أعني البخل والشح ـ خلقان ذميمان، فإن الله سبحانه وتعالى ذم من يبخلون ويأمرون الناس بالبخل، فقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله ـ بآيتين من كتاب الله.

الآية الأولى: وهي في البخل وهي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ . وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ . وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ [الليل: ٨ ـ ١١]. وهذه الآيات قسيم الآيات التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧].

فالإنسان المصدق بالحق المعطي لما يجب إعطاؤه وبذله من علم، ومال وجاه، المتقي لله عز وجل، هذا يُيسر لليسرى، أي ييسره الله تعالى لأيسر الطرق في الدنيا والآخرة.

وقد أجاب النبي ﷺ أصحابه حينما حدثهم فقال: **«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومن النار»** يعني أنه أمر مفروغ منه، قالوا: **«يا رسول الله، أفلا نتكل وندع العمل؟»** **يعني** نتكل على ما كتب لنا وندع العمل ـ قال: **«لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له»**(١) **ثم قرأ** قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ـ ١٠]

---

(١) صحيح: **رواه البخاري (٦٦٠٥) ومسلم (٢٦٤٧).**

Marfat.com

فأنت فكر في نفسك، هل عندك تصديق وإعطاء وبذل لما يجب بذله وتقوى لله عز وجل، فإنك موفق ميسر لليسرى، والعكس بالعكس.

الشاهد من هذه الآية في الباب قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ بخل بما يجب بذله من ماله أو جاه أو علم.

ومن ذلك ما جاء في الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**البخيل إذا ذكرت عنده لم يصل علي**»(١) عليه الصلاة والسلام، وهذا بخل بما يجب على الإنسان إذا سمع ذكر نبيه عليه الصلاة والسلام الذي هداه الله علي يديه، وكان الأولى به والأجدر أن يبادر بالصلاة والسلام عليه.

وقوله: ﴿وَاسْتَغْنَىٰ﴾ أي استغنى بنفسه وزعم أنه مستغن عن رحمة الله والعياذ بالله، فلا يعمل ولا يستقيم على أمر الله.

﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي كذب بالكلمة الحسنى وهي قول الحق، وهي ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ تعسر عليه الأمور التي تسهل على المتقي، فلا تسهل عليه الطاعات، يجد الطاعات ثقيلة؛ الصلاة ثقيلة، والصدقة ثقيلة، والصيام ثقيل، والحج ثقيل، كل شيء متعسر عنده.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾ يعني أي شيء يغني عنه ماله إذا هلك؟ والجواب: أنه لا يغني عنه شيئًا، فهذا المال الذي بخل به لا يحميه من عذاب الله وعقابه ولا يغني عنه شيئًا.

وأما الآية الثانية: فهي في الشح، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعني من يقيه الله شح نفسه فلا يطمع فيما ليس له فهذا هو المفلح.

* * *

[١/ ٥٦٣]ـ وعن جابر رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القيامَة، واتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُم على أن سَفَكُوا دِمَاءَهم واستَحَلُّوا مَحَارِمَهُم» رواه مسلم.

---

(١) صحيح: رواه الترمذي (٣٥٤٦) وأحمد (١/ ٢٠١) وصححه الألباني في المشكاة (٩٣٣).
(١/ ٥٦٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٧٨).

Marfat.com

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب رياض الصالحين في باب النهي عن البخل والشح فيما رواه جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»** اتقوا الظلم بمعنى احذروه ، واتخذوا وقاية منه وابتعدوا عنه.

والظلم: هو العدوان على الغير، وأعظم الظلم وأشده الشرك بالله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[لقمان: ١٣].

ويشمل الظلم ظلم العباد ، وهو نوعان: ظلم بترك الواجب لهم، وظلم بالعدوان عليهم بأخذ أو انتهاك حرماتهم.

فمثال الأول: ما ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: **«مطل الغني ظلم»** (١) يعني ممانعة الإنسان الذي عليه دين عن الوفاء وهو غني قادر علي الوفاء ظلم، وهذا منع ما يجب لأن الواجب على الإنسان أن يبادر بالوفاء إذا كان له قدرة، ولا يحل له أن يؤخر، فإن أخر الوفاء وهو قادر عليه كان ظالمًا والعياذ بالله.

والظلم ظلمات يوم القيامة، وكل ساعة أو لحظة تمضي على المماطل فإنه لا يزداد بها إلا إثمًا والعياذ بالله، وربما يعسر الله عليه أمره فلا يستطيع الوفاء إما بخلاً وإما إعدامًا، لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[الطلاق: ٤].

فمفهوم الآية أن من لا يتقي الله لا يجعل له من أمره يسرًا، ولذلك يجب علي الإنسان القادر أن يبادر بالوفاء إذ طلبه صاحبه ، أو أجله وانتهى الأجل.

ومن الظلم أيضًا اقتطاع شيء من الأرض، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«من اقتطع شبرًا من الأرض ظلمًا طوقه يوم القيامة من سبع أرضين»** (٢).

ومن الظلم الاعتداء على الناس في أعراضهم بالغيبة أو النميمة أو ما أشبه ذلك، فإن الغيبة ذكرك أخاك بما يكره في غيبته ، فإن كان في حضرته فهو سب وشتم، فإذا ظلم الناس بالغيبة بأن قال: فلان طويل. فلان سيئ الخلق. فلان فيه كذا، فهذه غيبة وظلم يحاسب عليها يوم القيامة.

---

(١) صحيح رواه البخاري (٢٤٠٠) ومسلم (١٥٦٤).

(١) صحيح رواه البخاري (٣١٩٨) ومسلم (١٦١٢).

Marfat.com

وكذلك أيضًا إذا جحد ما يجب عليه جحوداً، بأن كان لفلان عليه حق، فيقول: ليس له على حق ويكتم، فإن هذا ظلم، لأنه إذا كانت المماطلة ظلمًا فهذا أظلم، كمن جحد شيئًا واجبًا عليه، فإنه ظالم.

وعلى كل حال؛ اتقوا الظلم بجميع أنواعه، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، يكون على صاحبه ـ والعياذ بالله ـ ظلمات بحسب الظلم الذي وقع منه؛ الكبير ظلماته كبيرة، والكثير ظلماته كثيرة، كل شيء بحسبه، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وفي هذا: دليل على أن الظلم من كبائر الذنوب، لأنه لا وعيد إلا على كبيرة من كبائر الذنوب، فظلم العباد وظلم الخالق عز وجل رب العباد؛ كله من كبائر الذنوب.

ثم قال ﷺ: **«واتقوا الشح»** يعني الطمع في حقوق الغير. اتقوه أي احذروا منه، واجتنبوه **«فإنه أهلك من كان قبلكم»** يعني من الإثم **«حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»** فكان هلاكهم بذلك ـ والعياذ بالله ـ.

* * *

Marfat.com

٦٢ ـ باب الإيثار والمواساة

قال الله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر:٩)، وقال تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الإنسان:٨) إلى آخر الآيات.

الشرح

(باب الإيثار والمواساة)، ذكر المؤلف هذا الباب عقب باب النهي عن البخل والشح لأنهما متضادان، فالإيثار: أن يقدم الإنسان غيره على نفسه، والمواساة: أن يواسي غيره بنفسه، والإيثار أفضل ولكن ليعلم أن الإيثار ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول: ممنوع، والثاني: مكروه أو مباح، والثالث: مباح.

القسم الأول: وهو الممنوع: وهو أن تؤثر غيرك بما يجب عليك شرعًا فإنه لا يجوز أن تقدم غيرك فيما يجب عليك شرعًا.

ومثاله: إذا كان معك ماء يكفي لوضوء رجل واحد، وأنت لست على وضوء، وهناك صاحب لك ليس على وضوء والماء لك، لكن إما أن يتوضأ به صاحبك وتتيمم أنت، أو تتوضأ أنت ويتيمم صاحبك، ففي هذه الحال لا يجوز أن تعطيه الماء وتتيمم أنت؛ لأنك واجد الماء والماء في ملكك، ولا يجوز العدول على الماء إلى التيمم إلا لعادم.

فالإيثار في الواجبات الشرعية حرام، ولا يحل، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عليك.

القسم الثاني: وهو المكروه أو المباح: فهو الإيثار في الأمور المستحبة، وقد كرهه بعض أهل العلم وأباحه بعضهم، لكن تركه أولى لا شك إلا لمصلحة.

ومثاله: أن تؤثر غيرك في الصف الأول الذي أنت فيه، مثل أن تكون أنت في الصف الأول في الصلاة، فيدخل إنسان فتقوم عن مكانك وتؤثره به، فقد كره أهل العلم هذا، وقالوا: إن هذا دليل على أن الإنسان يرغب عن الخير، والرغبة عن الخير مكروهة، إذ كيف تقدم غيرك على مكان فاضل أنت أحق به منه!

وقال بعض العلماء: تركه أولى إلا إذا كان فيه مصلحة، كما لو كان أبوك وتخشى أن يقع في قلبه شيء عليك فتؤثره بمكانك الفاضل، فهذا لا بأس به.

القسم الثالث: وهو المباح: وهذا المباح قد يكون مستحبًا، وذلك أن تؤثر غيرك في أمر غير تعبدي، أي تؤثر غيرك وتقدمه على نفسك في أمر غير تعبدي.

ومثاله: أن يكون معك طعام وأنت جائع، وصاحب لك جائع مثلك، ففي هذه الحال إذا آثرته فإنك محمود على هذا الإيثار، لقول الله تبارك وتعالى في وصف الأنصار: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر:٩].

Marfat.com

ووجه إيثارتهم على أنفسهم أن المهاجرين لما قدموا المدينة تلقاهم الأنصار بالإكرام والاحترام والإيثار بالمال، حتى إن بعضهم يقول لأخيه المهاجري: إن شئت أن أتنازل عن إحدي زوجتي لك فعلت؛ يعني يطلقها فيتزوجها المهاجري بعد مضي عدتها، وهذا من شدة إيثارهم رضي الله عنهم لإخوانهم المهاجرين.

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. يعني: يطعمون الطعام وهم يحبونه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، ويتركون أنفسهم هذا أيضًا من باب الإيثار.

* * *

[١/ ٥٦٤] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي مَجْهُودٌ، فَأرسَلَ إلى بَعضِ نسائه، فَقَالت: والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عنْدي إلا مَاءٌ، ثم أرْسَلَ إلى أُخْرى، فَقَالَتْ مثْلَ ذلكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهنَّ مثلَ ذَلكَ: لا والَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عنْدي إلا ماءٌ. فقال النبيُّ ﷺ: «من يُضيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟» فقال: رَجُلٌ من الأنْصَار: أنَا يا رسُولَ الله، فَانْطَلَقَ به إلى رَحْله، فَقَالَ لامْرَأته: أكرمي ضَيْفَ رسول الله ﷺ.

وفي رواية: قال لامرأته: هل عنْدَكِ شَيءٌ؟ فَقَالَتْ: لا، إلا قُوتَ صبياني، قال: عَلِّليهم بشَيءٍ، وإذا أرادُوا العَشاءَ فَنَوِّميهم، وإذا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأطفئي السِّرَاجَ، وأريه أنَّا نَأكُل؛ فَقَعَدُوا وأكَلَ الضَّيفُ وبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أصبَح، غَدَا على النَّبيِّ ﷺ، فقال: «لَقَد عَجِبَ الله مِن صَنِيعِكُمَا بِضَيفكُمَا اللَّيْلَةَ» متفقٌ عليه.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب الإيثار والمواساة هذا الحديث العظيم العجيب؛ الذي يبين حال رسول الله ﷺ وأصحابه حيث جاءه رجل فقال: **«يا رسول الله، إني مجهود»** يعني مجهد من الفقر والجوع، وهو ضيف على رسول الله ﷺ، فأرسل النبي ﷺ إلى زوجاته واحدة تلو الأخرى يسألها هل عندها شيء، فكانت كل واحدة تقول: **«لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا الماء»**.

تسعة أبيات للرسول عليه الصلاة والسلام ليس فيها إلا الماء، مع أن النبي ﷺ لو شاء أن يسير الله الجبال معه ذهبًا لسارت، لكنه عليه الصلاة والسلام كان أزهد الناس في الدنيا، كل بيوته التسعة ليس فيها إلا الماء.

(١/ ٥٦٤) صحيح: رواه البخاري (٣٧٨٩)، ومسلم (٢٠٥٤).

Marfat.com

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «من يضيف هذا الليلة» يعني هذا الضيف.

فقال رجل من الأنصار: «أنا يا رسول الله» أنا أضيفه. «فذهب بالرجل إلى رحله، وقال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا؛ إلا طعام صبياني» يعني ليس عندها في البيت إلا العشاء لهم تلك الليلة فقط. فقال: «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ» وأمرها أن تشغل أولادها وتلهيهم.

حتى إذا جاء وقت الطعام نومتهم، فأطفأت المصباح، وأرت الضيف أنهم يأكلون معه ففعلت، هدأت الصبيان وعللتهم ونومتهم.

فناموا على غير عشاء، ثم إن العشاء لما قدم أطفأت المصباح وأرت الضيف أنها تأكل هي وزوجها، وهما لا يأكلان، فشبع الضيف وباتا طاويين، يعني غير متعشيين إكرامًا لضيف الرسول ﷺ.

ثم إنه أصبح فغدا إلى رسول الله ﷺ فأخبره الرسول عليه الصلاة والسلام أن الله قد عجب من صنيعهما تلك الليلة، والعجب هنا عجب استحسان، استحسن عز وجل صنيعهما تلك الليلة.

ففي هذا الحديث من الفوائد ما يلي:

أولاً: بيان حال رسول الله ﷺ وما كان عليه من شظف العيش وقلة ذات اليد، مع أنه عليه الصلاة والسلام أكرم الخلق على الله، ولو كانت الدنيا تساوي عند الله شيئًا، لكان أبر الناس بها وأحقهم رسول الله ﷺ، ولكنها لا تساوي شيئًا.

قال ابن القيم:

لو ساوت الدنيا جناح بعوضة   لم يسق منها الرب ذا الكفران
لكنهـا والله أحـقر عنـــده   من ذا الجناح القاصر الطيران

أحقر من جناح البعوضة عند الله، فليست بشيء.

ثانيًا: حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ، فإن هذا الأنصاري رضي الله عنه قال لزوجته: «أكرمي ضيف رسول الله ﷺ» فلم يقل أكرمي ضيفنا مع أن الذي أضافه في الحقيقة هو هذا الرجل، لكنه أضافه نيابة عن الرسول عليه الصلاة والسلام، فجعله ضيفًا لرسول الله ﷺ.

ثالثًا: أنه يجوز عرض الضيافة على الناس، ولا يعد هذا من المسألة المذمومة، أولاً لأنه لم يعين، فلم يقل: يا فلان، ضيف هذا الرجل حتى نقول: إنه أحرجه، وإنما هو على سبيل العموم، فيجوز للإنسان مثلاً إذا نزل به ضيف وكان مشغولاً، أو ليس عنده ما يضيفه به، أن يقول لمن حوله: من يضيف هذا الرجل؟ ولا حرج في ذلك.

Marfat.com

رابعًا: الإيثار العظيم من هذا الرجل الأنصاري، حيث بات هو وزوجته وصبيته من غير عشاء إكرامًا لهذا الضيف الذي نزل ضيفًا على رسول الله ﷺ .

خامسًا: أنه ينبغي للإنسان ألا يشعر ضيفه أنه مانٌ عليه، أو أن الضيف مضيق عليه، ومحرج له، لأن الرجل أمر بإطفاء المصباح حتى لا يظن الضيف أنه ضيق عليه وحرمهم العشاء، وهذا مأخوذ من أدب الخليل إبراهيم عليه السلام حين نزلت، به الملائكة ضيوفًا ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦]. مشوي، لكنه راغ إلى أهله أي ذهب بسرعة وخفية لئلا يخجل الضيف.

سادسًا: أنه يجوز للإنسان أن يؤثر الضيف ونحوه على عائلته، وهذا في الأحوال النادرة العارضة، وإلا فقد قال النبي ﷺ : «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[(١)] .

ولكن إذا عرضت مثل هذه الأحوال فلا حرج على الإنسان أن يقدم الضيف أو نحوه يجب عليه إكرامه.

ومن تأمل الرسول عليه الصلاة والسلام وهديه وهدي أصحابه وجد فيها من مكارم الأخلاق ومعالي الآداب ما لو سار الناس عليه لنالوا بذلك رفعة الدنيا والآخرة، وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير في الدنيا والآخرة.

* * *

[٢/ ٥٦٥] ــ وعنه قَالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « طَعَامُ الاثْنَيْنِ كافى الثَّلاثَةِ ، وطَعَامُ الثَّلاثَةِ كافى الأربَعَةِ » متفقٌ عليه .

وفى رواية لمسلم عن جابر رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « طَعَامُ الوَاحِدِ يَكفى الاثْنَيْنِ ، وطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكفى الأَربَعَةَ ، وطَعَامُ الأربعَةِ يَكفى الثَّمَانيَةَ » .

[٣/ ٥٦٦] ــ وعن أبى سَعيد الخُدرىِّ رضى الله عنه قال : بينَمَا نَحْنُ فى سَفَرٍ مَعَ النَّبىِّ ﷺ إذ جاءَ رَجُلٌ عَلي رَاحلَةٍ لَهُ ، فَجَعَلَ يَصرفُ بَصَرَهُ يَميناً وَشمَالاً ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهرٍ فَلْيَعُدْ به عَلى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ ، وَمَنْ كانَ لَهُ فَضْلٌ من زَاد ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلى مَن لا زَادَ لَهُ » فَذَكَرَ من أصْنَافِ المَالِ ما ذَكَرَ حَتَّى رَأينا أنَّهُ لا حَقَّ لأحَدٍ مِنَّا فى فَضْلٍ . رواه مسلم .

(١) صحيح : رواه مسلم (٩٧٧) والنسائي (٢٥٤٦).
(٢/ ٥٦٥) صحيح : رواه البخاري (٥٣٩٢)، ومسلم (٢٠٥٨). أما الرواية الأخرى فرواها مسلم (٢٠٥٩).
(٣/ ٥٦٦) صحيح : رواه مسلم (١٧٢٨).

Marfat.com

[٤/ ٥٦٧] ـ وعن سَهلِ بن سَعْد رضي الله عنه أنَّ امرأةً جاءَت إلى رسول الله ﷺ ببُردَة منسُوجَة، فقالت: نَسجتُها بيدَيَّ لأكسُوكَها، فأخَذَهَا النبيُّ ﷺ مُحتاجاً إليها، فخرجَ إلينا وإنَّها لإزارُهُ، فقال فُلانٌ: أكسُنيها ما أحسنَها! فقالَ: «نعَمْ» فجلَسَ النَّبيُّ ﷺ في المَجلس، ثُمَّ رجَعَ فطوَاهَا، ثمَّ أرسلَ بهَا إليْه. فقَالَ لَهُ القَوْمُ: ما أحسَنتَ! لَبسَهَا النَّبيُّ ﷺ مُحْتَاجاً إليها، ثُمَّ سَألتَهُ، وعَلمتَ أنَّهُ لا يَرُدُّ سَائلاً، فقَالَ: إنِّي والله ما سَألتُهُ لألبسَهَا، إنَّمَا سَألتُهُ لتكُونَ كفَني. قال سَهْلٌ: فكانت كَفَنَهُ. رواه البخاري.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ هذه الأحاديث في (باب الإيثار) وهي حديث أبي هريرة وجابر وأبي سعيد.

ففي الحديثين الأولين بين النبي ﷺ أن طعام الواحد يكفي الاثنين، وأن طعام الاثنين يكفي الأربعة، وأن طعام الأربعة يكفي الثمانية، وهذا حث منه على الصلاة والسلام علي الإيثار، يعني أنك لو أتيت بطعامك الذي قدرت أنه يكفيك، وجاء رجل آخر فلا تبخل وتقول: هذا طعامي وحدي، بل أعطه منه حتى يكون كافيًا للاثنين.

وكذلك لو جاء اثنان بطعامهما، ثم جاءهما اثنان، فلا يبخلان ويقولان هذا طعامنا، بل يطعمانهما، فإن طعامهما يكفيهما ويكفي الاثنين، وهذكا الأربعة مع الثمانية.

وإنما ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام هذا من أجل أن يجود الإنسان بفضل طعامه على أخيه.

وكذلك أيضًا حديث أبي سعيد في قصة الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ على رحل له فجعل يلتفت يمينًا وشمالاً، وكأن النبي ﷺ فهم أن الرجل محتاج، فقال: عليه الصلاة والسلام: **«من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له»**.

وذكر أنواعًا ولم يعين فيقول: من كان له فضل زاد مثلاً لئلا يخجل الرجل، بل قال: **«من كان له فضل ظهر»**، والرجل لا يحتاج إلى الظهر لأنه كان على راحلته، لكن هذا من حسن خطاب النبي ﷺ.

يقول الراوي: **«حتى ظننا أنه لا حق لأحد منا في فضل»** يعني أن الإنسان يبذل كل ما عنده حتى لا يبقي معه فضل، يعنى من الطعام والشراب والرحل وغير ذلك وهذا كله من باب الإيثار.

(٤/ ٥٦٧) صحيح: رواه البخاري (١٢٧٧)، (٢٠٩٣).

Marfat.com

وأما الحديث الرابع حديث سهل بن سعد، فإن امرأة جاءت وأهدت إلى النبي ﷺ بردة، وكان ﷺ لا يرد الهدية، بل يقبل الهدية ويثيب عليها صلوات الله وسلامه عليه، وهذا من كرمه وحسن خلقه، فتقدم رجل إليه فقال: ما أحسن هذه، وطلبها من النبي ﷺ ففعل الرسول عليه الصلاة م، خلعها وطواها، وأعطاها إياها.

فقيل للرجل: كيف تصب من النبي ﷺ وأنت تعلم أنه لا يرد سائلاً؟ فقال: والله ما طلبتها لألبسها، ولكن لتكون كفني، فأبقاها عنده فصارت كفنه.

ففي هذا إيثار النبي ﷺ على نفسه، لأنه آثر هذا الرجل بهذه البردة التي كان محتاجًا إليها لأنه لبسها بالفعل، مما يدل على شدة احتياجه إليها.

* * *

[٥/٥٦٨] ـ وعن أبى موسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إنَّ الأشْعَرِيِّينَ إذَا أرمَلُوا فى الغَزْوِ، أو قَلَّ طَعَام عِيَالهم بالمدِينَة، جَمَعُوا ما كَانَ عندَهُم فى ثوبٍ وَاحد، ثمَّ اقتَسَمُوهُ بيْنَهُم فى إنَاء وَاحد بالسَّوِيَّة، فَهُم مِنِّى وَأنَا منهُم » متفقٌ عليه.

« أرملُوا »: فَرَغَ زَادُهُم، أو قَارَبَ الفَرَاغَ.

* * *

(٥/ ٥٦٨) صحيح: رواه البخاري (٢٨٤٦)، ومسلم (٢٥٠٠).

Marfat.com

٦٣ ـ باب التنافس فى أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قال الله تعالى : ﴿ وَفِى ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين:٢٦) .

[٥٦٩/١] ـ وعن سهلِ بن سعد رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ أُتِىَ بشَرَاب ، فشَرِبَ منْهُ ، وعَن يَمينه غُلامٌ ، وعَنْ يَسَارِه الأشْيَاخُ ، فقال للغُلام : « أتَأذَنُ لِى أن أُعْطِى هؤُلاءِ ؟ » فَقَالَ الغُلامُ : لا وَالله يا رسُولَ الله لا أُوثِرُ بِنَصيبِى مِنْكَ أحَداً ، فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ فى يَدِه . متفقٌ عليه .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في آخر باب فضل الإيثار ، حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وأصحابه الذين هم من الأشعريين من أهل اليمن ، كانوا يتساعدون في أمورهم ، فإذا أتاهم شيء من المال جمعوه ثم اقتسموه بينهم بالسوية ، قال النبي ﷺ : **«فهم مني وأنا منهم»** قال ذلك تشجيعًا لما يفعلونه .

وهذا الحديث أصل في الجمعيات التعاونية التي يفعلها بعض الناس اليوم ، تجتمع القبيلة على أن يضعوا صندوقًا يجمعون فيها ما تيسر من المال ؛ إما بالنسبة وإما بالاجتهاد والترشيح ، فيتفقون مثلاً على أن كل واحد منهم يدفع اثنين في المائة من راتبه أو من كسبه أو ما أشبه ذلك ، ويكون هذا الصندوق معدًا للجوائح والنكبات التي تحصل على واحد منهم .

فهذا أصل حديث أبي موسى رضي الله عنه ، فإذا جمع الناس صندوقًا على هذا النحو ليتساعدوا فيه على نكبات الزمان من الحوادث وغيرها ، فإن لذلك أصلاً في السنة ، وهو من الأمور المشروعة . ولكن ينبغي أن نعلم أن هذا الصندوق قد يكون لمن يقع عليه الحادث ، وقد يكون لمن يقع منه الحادث .

أما الأول: فأن يوضع الصندوق للناس لمساعدة الناس الذين يحصل عليهم جوائح؛ مثل جوائح تتلف زروعهم ومواشيهم ، أو أمطار تهدم بيوتهم ، أو حوادث تحدث على سياراتهم من غيرهم ، فيحتاجون إلى المساعدة ، فهذا طيب ولا إشكال فيه .

أما الثاني: فهو للحوادث التي تقع من الشخص ، فإذا فعل شخص حادثًا إذا دعس أحدًا أو ما أشبه ذلك ، فينبغي أن ينظر في هذا الأمر لأننا إذا وضعنا صندوقًا لهذا فإن السفهاء قد يتهورون ولا يهمهم أن تقع الحوادث منهم ، فإن قدر أننا وضعنا صندوقا لهذا الشيء فليكن ذلك بعد الدراسة ؛ دراسة ما حصل من الشخص دراسة عميقة وأنه لم يحصل منه تهورًا ولم يحصل منه تفريطًا ، وإلا فلا ينبغي أن توضع الصناديق لمساعدة هؤلاء السفهاء الذين يومًا يدعسون شخصًا ، ويومًا يصدمون

(٥٦٩ /١) صحيح: رواه البخاري (٢٣٥١) ، ومسلم (٢٠٣٠).

Marfat.com

سيارة وما أشبه ذلك وربما يقع ذلك عن حال غير مرضية كسكر، أو عن حال يفرط فيها الإنسان كالنوم مثلاً.

المهم أن هذه الصناديق تكون على وجهين:

الوجه الأول: مساعدة من حصل عليه الحادث، فهذا طيب ولا إشكال فيه.

والوجه الثاني: أن يكون ممن يحصل منه الحادث، فهذا إن وضع - ولا أحبذ أن يوضع، لكن إن وضع - فإنه يجب التحرز والتثبت من كون هذا الرجل الذي حصل منه الحادث لم يحصل منه تفريط ولا تعد.

ثم إن هذا المال الذي يوضع في الصندوق ليس فيه زكاة مهما بلغ من القدر؛ وذلك لأنه ليس له مالك، ومن شروط وجوب الزكاة أن يكون المال له مالك، وهذا الصندوق ليس له مالك، بل من حصل عليه حادث فإنه يساعد منه، وأما أصحاب الصندوق الذي وضعوا هذه الفلوس فيه فإنهم لا يملكون نقدها، لأنهم قد أخرجوها من أموالهم للمساعدة، وعلى هذا فلا يكون فيها زكاة.

ثم ها هنا مسألة يسأل عنها الكثير من الناس، وهي أن يجتمع أناس من الموظفين مثلاً ويقولون: سنخصم من كل راتب من رواتب هؤلاء النفر ألف ريال على كل واحد، أو عشرة في المائة من راتبه، يعني إما بالنسبة أو بالتعيين، ونعطيها واحداً منا، وفي الشهر الثاني نعطها الثاني، وفي الشهر الثالث نعطيها الثالث، وفي الشهر الرابع نعطيها الرابع، حتى تدور عليهم ثم ترجع للأول المرة الثانية، فبعض الناس يسألون عن ذلك.

والجواب على هذا أن نقول: إن هذا صحيح ولا بأس به، وليس فيه حرج، ومن توهم أنه من باب القرض الذي جر نفعًا فقد وهم، لأني إذا سلفتُ هؤلاء الإخوان الذين معي شيئًا فأنا لا آخذ أكثر مما أعطيت، وكونهم يقولون سوف يرجع إليه مال كثير نقول: نعم، ولكن لم يرجع إليه أكثر مما أعطى، فغاية ما فيه أنه سلف بشرط أن يوفي وليس في هذا شيء. فهذا وهم من بعض طلبة العلم الذين يظنون أن هذا من باب الربا؛ لأنه ليس فيه ربا إطلاقًا، بل هو من باب التساعد والتعاون، وكثيرًا ما يحتاج بعض الناس إلى أموال حاضرة تفك مشاكله، ويسلم من أن يذهب أحد يتدين منه ويربي عليه، أو يذهب إلى بنك يأخذ منه بالربا أو ما أشبه ذلك، فهذه مصلحة وليس فيها مفسدة بأي وجه من الوجوه.

٢/ ٥٧٠ ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النَّبِي ﷺ قالَ: « بَيْنَا أَيُّوبُ عليه السلام يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْه جَرَادٌ من ذَهَب، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحثِى فى ثَوبه، فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّوبُ، أَلَم أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قال: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لا غِنَى بى عَن بَرَكَتِكَ » رواه البخارى.

(٢/ ٥٧٠) صحيح: رواه البخارى (٢٧٩) احمد (٢ / ٣١٤).

Marfat.com

٦٤ ـ باب فضل الغنى الشاكر
وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه فى وجوهه المأمور بها

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ . وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ (الليل:٥:٧) ،وقال تعالى﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى . الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ . وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ . إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ. وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾ (الليل:١٧:٢١) ، وقال تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٧١) ، وقال تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٩٢) والآيات فى فضل الإنفاق فى الطاعات كثيرةٌ مَعْلُومَةٌ .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب فضل الغني الشاكر)، وهو الذي يأخذ المال بحقه ويصرفه في حقه.

فالغني هو الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى ما يستغني به عن غيره من مال أو علم أو جاه أو غير ذلك، وإن كان الأكثر استعمالاً أن الغني هو الذي أعطاه الله المال الذي يستغني به عن غيره.

والله سبحانه وتعالى يبتلي عباده بالمال يعني بالغنى والفقر، فمن الناس من لو أغناه الله لأفسده الغني، ومن الناس من لو أفقره الله لأفسده الفقر، والله عز وجل يعطي كل أحد بحسب ما تقتضيه الحكمة ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وإذا أعطى الله الإنسان المال فإنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: من يعطيه الله المال يكتسبه من طريق حرام: كالمرابي والكذاب والغشاش في البيع والشراء ومن أكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك، فهذا غناه لا ينفعه لأنه غنى في الدنيا ، ولكنه فقر ـ والعياذ بالله ـ في الدنيا والآخرة.

إذ إن هذا الشيء الذي دخل عليه من هذا الوجه سوف يعاقب عليه يوم القيامة وأعظمه الربا، فإن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

Marfat.com

خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩].

القسم الثاني: من الأغنياء من أغناه الله بمال لكن عن طريق الحلال، يبيع بالبيان والنصح والصدق، ويأخذ كذلك، ولا يكتسب إلا المال الحلال، فهذا هو الذي ينفعه غناه، لأن من كان كذلك فالغالب أن الله يوفقه لصرفه فيما ينفع.

فهذا هو الغني الشاكر الذي يأخذ المال بحقه، ويصرفه في حقه على الوجه الذي شرعه الله له.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات في هذا المعنى، فذكر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ـ٧].

﴿أَعْطَىٰ﴾ يعني بذل المال في وجهه، واتقى الله سبحانه وتعالى في بذله وفي جمعه، فهذا ييسر لليسرى.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ٨ـ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾ يعني: النار ﴿الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ١٧ـ٢١]. يعني سيجنب هذه النار ﴿الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ﴾ يعني: على وجه يتزكى به، وعلى وجه يقربه إلى الله عز وجل.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾ يعني ليس يعطي المال من باب المكافآت على قضاء مصالحه الشخصية ولكنه يعطي المال لله ولهذا قال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ﴾ فهو يعطي المال ابتغاء وجه ربه الأعلى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بما يجازيه الله به.

فعلى المؤمن إذا أغناه الله عز وجل أن يكون شاكرًا لله قائمًا بما أوجب الله عليه من بذل المال في حقه على الوجه الذي يرضي الله عز وجل.

* * *

[١/ ٥٧١]ـ وعن عبدِ الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا

(١/ ٥٧١) صحيح: رواه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦).

Marfat.com

حَسَدَ إلا فى اثنَتين : رَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً ، فَسَلَّطَهُ على هَلَكَته فى الحَقِّ ، ورجُلٌ آتاه الله حِكْمَةً فَهُو يَقضِى بها ويُعَلِّمُهَا » متفقٌ عليه وتقدم شرحه قريباً .

[٢/ ٥٧٢]ـ وعن ابْن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : قال : « لا حَسَدَ إلا فى اثنَتين : رَجُلٌ آتاهُ الله القُرآنَ ، فهو يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيلِ وآنَاءَ النَّهارِ ،ورَجُلٌ آتاهُ الله مَالاً ، فهوَ يُنْفقهُ آناءَ اللَّيْلِ وآنَاءَ النَّهارِ » متفقٌ عليه .

« الآنَاءُ » : السَّاعَاتُ .

[٣/ ٥٧٣] ـ وعَن أبى هُريرة رضىَ الله عنه أنَّ فُقَرَاءَ المُهَاجِرينَ أتَوْا رسول الله ﷺ فقَالوا : ذَهَبَ أهلُ الدُّثُور بالدَّرجات العُلَى ، والنَّعيمِ المُقيم ، فَقَالَ : « وَما ذَاكَ ؟ » فَقَالُوا : يُصلُّونَ كَمَا نُصَلِّى ،ويَصُومُونَ كما نَصُومُ ، ويَتَصدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ ، ويعتقُونَ ولا نَعتقُ ، فقال رسولُ الله ﷺ: « أفَلا أُعلِّمُكُمْ شَيْئاً تُدركُونَ به مَنْ سَبَقَكُمْ ، وتَسبقُونَ به مَنْ بَعْدَكُمْ ، ولا يكُونُ أحَدٌ أفْضَلَ منكُم إلا مَنْ صَنَعَ مثلَ ما صَنَعْتُم ؟ » قالوا : بَلَى يا رسولَ الله ، قَالَ : « تُسبِّحُونَ ، وتَحمَدُونَ وتُكبِّرُونَ ، دبُرَ كُلِّ صَلاة ثلاثاً وثَلاثينَ مرَّةً » فَرجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجرين إلى رسول الله ﷺ، فَقَالُوا : سمعَ إخْوانُنَا أهلُ الأموال بمَا فَعلْنَا فَفعلوا مثْلَهُ ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: « ذلكَ فَضلُ الله يُؤْتيه مَن يَشَاءُ» متفق عليه ، وهذا لفظ روايةِ مسلم .

« الدُّثُورُ » : الأموالُ الكَثيرَةُ ، والله أعلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث في بيان الذين ينفقون أموالهم ويجودون بها في سبل الله، ففي حديث عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما بيان أنه لا حسد إلا في اثنتين، يعني لا أحد يُغبط غبطة حقيقية إلاهذان الصنفان:

الأول: من أتاه الله العلم وهو الحكمة ، فكان يعمل بها ويعلمها الناس، فهذا هو الذي يغبط، لأنك إذا قارنت بني حال هذا الرجل وحال الجاهل عرفت الفرق بينهما، الجاهل يعبد الله على جهل، ولا يعرف من شريعة الله إلا ما فعله الناس؛ فتجده يتبع الناس على الصواب والخطأ ، وهذا نقص كبير في عبادة الرجل، لأن الإنسان إذا عبد الله على غير بصيرة صارت عبادته ناقصة.

(٢/ ٥٧٢) صحيح: رواه البخاري (٥٠٢٥) و(٧٥٢٩) ومسلم (٨١٥).

(٣/ ٥٧٣) صحيح: رواه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥).

Marfat.com

كذلك إذا قارنت بين رجل آتاه الله العلم ولكنه لم يعمل به ورجل آتاه الله العلم فعمل به وعلمه الناس، تجد الفرق العظيم بين هذا وهذا، فالذي يغبط حقيقة هو الذي آتاه الله العلم فعمل به وعلمه الناس.

والثاني: رجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه في سبيل الله، في كل ما يرضي الله ليلاً ونهارًا، فهذا هو الذي يغبط، أما من آتاه الله المال ولكنه لم ينفقه في مرضاة الله، فلا غبطة فيه، ولا يغبط علي ما أوتي ؛ لأن هذا المال إن انتفع به انتفع به في الدنيا فقط، لأنه لا ينفقه لله ولا في سبيل الله.

وكذلك إذا كان رجلاً فقيرًا لم يؤت مالاً فهو أيضًا لا يغبط، فلا يغبط من ذوي المال إلا من أتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، فيما يرضي الله عز وجل.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه حين جاء فقراء المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: **يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور»** جمع أجر «**بالدرجات العلى والنعيم المقيم**» قال: «**وما ذاك**» قالوا: «**يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق**» يعني فهم أفضل منا، لأن الله من عليهم بالمال فبذلوه في طاعة الله، وفيما يرضي الله.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟**» فقالوا: «**بلى يا رسول الله**». قال: «**تسبحون وتحمدون وتكبرون، دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة**».

يعني تقولون : سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين ، فصاروا يفعلون ذلك، ولكن الأغنياء سمعوا بهذا فصاروا يقولونه؛ يسبحون ويكبرون ويحمدون ثلاثًا وثلاثين دبر كل صلاة.

فرجع الفقراء مرة ثانية إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالوا: «**يا رسول الله، سمع إخواننا أهل الأموال بما صنعنا فصنعوا مثله**»، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**» يعني أن الله سبحانه وتعالى أغناهم وأعطاهم المال فبذلوه في طاعة الله، وهذا فضل الله.

وفي هذا : دليل على أنه الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتسابقون إلى الخير ، فالأغنياء لما سمعوا بما أرشد إليه النبي عليه الصلاة والسلام الفقراء بادروا إليه وفعلوه، والفقراء جاءوا يشكون أنهم لا يستطيعون بعض العبادات المالية لقلة ذات أيديهم، فأرشدهم النبي ﷺ لما

Marfat.com

يدركون به من سبق، ويسبقون به من بعدهم.

ففعلوا ذلك إلا أنهم أتوا مرة أخرى يشكون أن إخوانهم الأغنياء لما سمعوا بذلك بادروا بفعله، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**».

والخلاصة أنه يجب على الإنسان إذا ما آتاه الله المال أن يبذله فيما يرضي الله، فإن هذا هو الذي يحسد، يعني يغبط في ما آتاه الله من المال.

* * *

Marfat.com

٦٥ ـ باب ذكر الموت وقصر الأمل

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ **(آل عمران:١٨٥)** .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في رياضة الصالحين: (باب ذكر الموت وقصر الأمل)، هذا الباب يذكر فيه المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه يجب على العاقل أن يتذكر الموت وأن يقصر الأمل في الدنيا ، وليس الأمل في ثواب الله عز وجل وما عنده من الثواب الجزيل لمن عمل صالحًا.

لكن المراد أنك لا تطيل الأمل في الدنيا، فكم من إنسان أمل بعيدًا فإذا الأجل يفجؤه؟! وكم من إنسان يُقَدِّر ويفكر سيفعل ويفعل ويفعل ، فإذا به قد انتهى أجله وترك ما أمله، وانقطع حبل الأمل، وحضر الأجل!

فالذي ينبغي للإنسان العاقل كلما رأى من نفسه طموحًا إلى الدنيا وانشغالاً بها واغترار بها أن يتذكر الموت، ويتذكر حال الآخرة، لأن هذا هو المآل المتيقن، وما يؤمله الإنسان في الدنيا فقد يحصل وقد لا يحصل ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ ﴾ [الإسراء:١٨]. لا ما شاء هو، بل ما يشاء الله عز وجل: ﴿مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٨، ١٩].

ثم ذكر الآيات ومنها قوله تعالي: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، فكل نفس منفوسة من بني آدم وغير بني آدم ذائقة الموت، لابد أن تذوق الموت، وعبر بقوله: ﴿ذَائِقَةُ﴾ ؛ لأن الموت يكون له مذاق مر يكرهه كل إنسان.

لكن المؤمن إذا حضره أجله وبشر بما عند الله عز وجل أحب لقاء الله ولا يكره الموت حينئذ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي تعطونها وافية كاملة يوم القيامة.

وإن أوتي الإنسان أجره في الدنيا فإنه ليس هذا هو الأجر فقط، بل الأجر الوافي الكامل الذي به يستوفى الإنسان كل أجره يكون يوم القيامة، وإلا فإن المؤمن قد يثاب على أعماله الصالحة في الدنيا ، وليس هـو الأجـر الكامل الذي فيه التوفية الكاملة، لأن هذه

Marfat.com

إنما تكون يوم القيامة ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ زحزح يعني: أبعد عن النار ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ لأنه نجي من المكروه وحصل له المطلوب، نجي من المكروه وهو دخول النار، وحصل له المطلوب وهو دخول الجنة، وهذا هو الفوز العظيم الذي لا فوز مثله.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]. صدق الله عز وجل؛ الدنيا متاع الغرور يعني متاع ليس دائمًا، بل كما يكون للمسافر متاع يصل به إلى منتهى سفره، ومع ذلك فهي متاع غرور تغر الإنسان، تزدان له وتزدهر وتكتحل وتتحسن وتكون كأحسن شيء، ولكنها تغره.

كلما كثرت الدنيا وتشبث الإنسان بها بعدُ من الآخرة، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«والله ما الفقر أخشى عليكم، وإنما أخشى عليكم أن تفتح عليكم الدنيا كما فتحت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»**(١).

ولهذا نجد أن الإنسان أحيانًا يكون في حال الضيق أو الوسط خيرًا منه في حال الغير، لأنه يغره الغنى ويطغيه والعياذ بالله، ولهذا قال: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ يعني فلا تغتروا بها، وعليكم بالآخرة التي إذا زحزح فيها الإنسان عن النار وأدخل الجنة فإنه بذلك يفوز فوزًا لا فوز مثله.

* * *

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان:٣٤)، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل:٦١).

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب ذكر الموت وقصر الأمل فيما ساقه من آيات الله عز وجل، ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]. وهذه إحدى مفاتيح الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]. ومفاتيح الغيب هي الخمس المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

فهذه الخمس لا يعلمها إلا الله عز وجل، فعلم الساعة لا يعلمه أحد، حتى إن جبريل

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٤٢٥) ومسلم (٢٩٦١).

Marfat.com

وهو أشرف الملائكة سأل رسول الله ﷺ وهو أعلم البشر فقال: **«أخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل»**(١) . فلا يعلمها إلا الله عز وجل.

﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ ﴾ والمنزل للغيث يعلم متى ينزل، فهو سبحانه وتعالى هو الذي يعلم متى ينزل الغيث وهو الذي ينزله، والغيث هو المطر الذي يحصل به نبات الأرض وزوال الشدة.

وليس كل مطر يسمي غيثًا، فإن المطر أحيانًا لا يجعل الله فيه بركة فلا تنبت به الأرض كما قال عليه الصلاة والسلام: **«ليس السنة ألا تمطروا»** يعنى ليس الجدب ألا تمطروا **«بل السنة أن تمطروا ولا تنبت الأرض شيئًا»**(٢) .

وهذا يقع أحيانًا، فأحيانًا تكثر الأمطار ولا يجعل الله تعالى فيها بركة، فلا تنبت الأرض ولا تحيا، وهذا الحديث الذي سقته في «صحيح مسلم» : **«إنما السنة أن تمطروا فلا تنبت الأرض شيئًا»**.

فالذي ينزل الغيث هو الله ، والمنزل له عالم متى ينزل، وأما ما نسمعه في الإذاعات من أنه يتوقع مطر في المكان الفلاني وما أشبه ذلك ، فهو ظن بحسب ما يتبادر من احتمال المطر بمقياس الجو، وهو مقاييس دقيقة يعرفون بها هل الجو متهيئ للمطر أو لا ، ومع ذلك فهم يخطئون كثيرًا فلا يعلم متى ينزل المطر إلا الله عز وجل.

﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ﴾ لا يعلم ما في الأرحام إلا الله ، والأجنة التي في الأرحام لها أحوال ، منها ما يعلم إذا وجد ولو كان الإنسان في بطن أمه، ومنها ما لا يعلم أبدًا، فكونه ذكرًا أو أنثى يعلم وهو في بطن أمه ولكنه لا يعلم إلا إذا خلق الله تعالى فيه علامات الذكورة أو علامات الأنوثة.

وأما متى يولد، وهل يولد حيًا أو ميتًا، وهل يبقى في الدنيا طويلاً أو لا يبقى إلا مدة قصيرة، وهل يكون عمله صالحًا ، أو عمله سيئًا، وهل يختم له بالسعادة أو بالشقاوة، وهل يبسط له في الرزق أو يُقدر عليه رزقه، فكل هذا لا يعلمه إلا الله.

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان: ٣٤]. يعني ماذا تكسب في المستقبل؟ فلا تدري نفس ماذا تكسب، هل تكسب خيرًا أو تكسب شرًا، أو تموت قبل غد، أو يأتي غد وفيه ما يمنع العمل، وما أشبه ذلك؟ فالإنسان يظل يقول: سأفعل كذا، سأفعل كذا، لكنه قد لا يفعل، فهو لا يعلم ماذا يكسب غدًا علمًا يقينيا، ولكنه يقدر وقد تختلف الأمور.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٠) ومسلم (٨).
(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٩٠٤).

Marfat.com

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ، ولا يدري الإنسان بأي أرض يموت ، هل يموت بأرضه، أو بأرض بعيدة عنها، أو قريبة منها، أو يموت في البحر، أو يموت في الجو؟ لا يدري، ولا يعلم ذلك إلا الله.

فإذا كنت لا تدري بأي أرض تموت، وأنت يمكنك أن تذهب يمينًا وشمالاً، فكذلك لا تعلم متى تموت، لا تدري في أي وقت تموت، هل ستموت في الصباح، في المساء، في الليل، في وسط النهار، في الشهر القريب، في الشهر البعيد؟ لا تدري متى تموت ولا بأي أرض تموت.

فإذا كنت كذلك فأقصر الأمل، لا تمد الأمل طويلاً لا تقل أنا شاب وسوف أبقى زمانًا طويلاً، فكم من شاب مات في شبابه، وكم من شيخ عمر، ولا تقل: إني صحيح البدن والموت بعيد، كم من إنسان مرض بمرض يهلكه بسرعة، وكم من إنسان حصل عليه حادث وكم من إنسان مات بغتة، ولذلك لا ينبغي للإنسان أن يطيل الأمل، بل عليه أن يعمل، وللدنيا عملها وللآخرة عملها، فيسعى للآخرة سعيها بإيمان بالله عز وجل واتكال عليه.

فقد قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ إذا جاء أجل الإنسان لا يمكن أن يتأخر فلماذا تجعل الأمل طويلاً؟

فالإنسان لا يعلم متى يموت، ولا يعلم بأي أرض يموت، وقد حدثني أحد إخواني الثقات قال: إنهم كانوا في سفر الحج على الإبل، وكان معهم رجل معه أمه يمرضها، فتأخر عن القوم في آخر الليل، فارتحل الناس ومشوا وبقي مع أمه يمرضها، ولما أصبح وسار خلف القوم لم يدركهم ولم يدر إلي أين اتجهوا لأنهم في مكة.

يقول: فسلك طريقًا بين هذه الجبال، فإذا هو واقف على بيت من الشعر فيه عدد من الناس قليلين ، فسألهم: أين طريق نجد؟ قالوا: أنت بعيد عن الطريق، لكن نوخ البعير واجلس استرح ثم نحن نوصلك، يقول فنزل فنوخ البعير وأنزل أمه، يقول: فما هي إلا أن اضطجعت على هذه الأرض فقبض الله روحها، كيف جاء من القصيم إلى مكة مع الحجاج، وأراد الله أن يتيه هذا الرجل حتى ينزل بهذا المكان ، لا يعلم هذا إلا الله عز وجل.

وكذلك أيضًا في الزمن، كم بلغنا من أناس تأخروا قليلاً فجاءهم حادث فماتوا به، ولو تقدموا قليلاً لسلموا منه، كل هذا لأن الله تعالى قد قدر كل شيء بأجل محدود، فالإنسان يجب عليه أن يحتاط لنفسه، وألا يطيل الأمل، وأن يعمل للآخرة، وكأنه يموت قريبًا لأجل أن يستعد لها، فهذه الآيات كلها تدل علي أن الإنسان يجب عليه أن يقصر الأمل وأن يستعد للآخرة.

Marfat.com

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ . وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ . وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ **(المنافقون:٩:١١) ،وقال تعالى :** ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ . فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ . فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ . أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ **إلى قوله تعالى :** ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ . قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ . أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴾ **(المؤمنون:٩٩:١١٥) .**

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه رياض الصالحين في باب ذكر الموت وقصر الأمل قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ .

أمر الله بالإنفاق مما رزقنا، أي مما أعطانا، وحذرنا مما لا بد منه ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ وحينئذ يندم الإنسان على عدم الإنفاق ويقول: ﴿رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ يتمنى أن الله يؤخره إلى أجل قريب ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ يعني فبسبب تأخيرك إياي أتصدق وأكن من الصالحين.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ إذا جاء الأجل لا يمكن أن يتأخر الإنسان لحظة واحدة، بل لا بد أن يموت في المدة التي عينها الله عز وجل حسب ما تقتضيه حكمته.

فمن الناس من يطول بقاؤه في الدنيا، ومن الناس من يقصر، كما أن من الناس من يكثر رزقه، ومنهم من يقل، ومنهم من يكثر علمه ومنهم من يقل، ومنهم من يقوي فهمه، ومنهم من يضعف، ومنهم من يكون طويلاً، ومنهم من يكون قصيراً، فالله عز وجل خلق عباده متفاوتين في كل شيء.

وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]. نهى الله تعالى أن تلهينا أموالنا وأولادنا، عن ذكر الله، وبين أن من ألهته هذه الأشياء عن ذكر الله فهو خاسر مهما ربح . لو ربح

Marfat.com

أموالاً كثيرة، وكان عنده بنون ، وكان عنده أهل، ولكنه قد تلهى بهم عن ذكر الله فإنه خاسر.

فالرابح من اشتغل بذكر الله عز وجل. وذكر الله ليس هو قول لا إله إلا الله فقط، بل كل قول يقرب إلى الله فهو ذكر له، وكل فعل يقرب إلى الله فهو ذكر له، كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ولأن الإنسان إذا قال قولاً يتقرب به إلى الله أو فعل فعلاً يتقرب به إلى الله، فهو حين النية ذاكر لله عز وجل، فذكر الله يشمل كل قول أو فعل يقرب إليه.

قال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ أي إذا جاء أحد المكذبين للرسل ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ارجعون إلى الدنيا ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ولم يقل لعلي أتمتع في قصورها وحبورها ونسائها وغير ذلك، بل قال: ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ أي فيما تركت من المال الذي بخلت به حتى أنفقه في سبيل الله.

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ يعني: لا رجوع ولا يمكن ، لأنه إذا جاء الأجل ﴿ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩].

ثم قال: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ هذه الكلمة يؤكد الله عز وجل أنه يقولها وهي قوله: ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]. يعني من أمام هؤلاء الذين حضرتهم الوفاة ﴿ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ .

والبرزخ هو الفاصل بين الدنيا وبين قيام الساعة، سواء كان الإنسان مدفونًا في الأرض أو على ظهر الأرض تأكله السباع وتتلفه الرياح، أو كان في قاع البحار؛ كل هذا يسمى برزخًا ﴿ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يعني يخرجون من القبور لله عز وجل في يوم القيامة.

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وذلك عند قيام الساعة ﴿ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ ، والنفخ في الصور مرتان:

النفخة الأولى: يكون فيها الفزع والصعق يعني الموت، فينفخ إسرافيل في الصور نفخة يكون لها صوت عظيم مزعج جدًا، فيفزع الناس ثم يموتون كلهم إلا ما شاء الله.

والنفخة الثانية: ينفخ في الصور فتخرج الأرواح من الصور وتعود إلى أجسادها،

Marfat.com

وهذه التي يكون بها الحياة الأبدية التي لا موت بعدها.

﴿فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١]. يعني بعد أن يُبعثوا من قبورهم لا تنفعهم الأنساب والقرابات ﴿وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يسأل بعضهم عن بعض، بل إن الله تعالى يقول: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ ـ ٣٧].

فالأنساب في ذلك الوقت لا تنفع، والقرابات لا يتساءلون عن بعضهم، بينما في الدنيا يسأل بعضهم عن بعض، ما الذي حصل لهذا؟ ماذا فعل فلان؟ أما في الآخرة فـ ﴿لكل امريء منهم يومئذ شأن يغنيه﴾ [عبس : ٢١].

قال تعالى : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢]. فينقسم الناس في ذلك اليوم إلى قسمين: قسم تثقل موازينه فهذا مفلح فائز بما يجب ناج مما يكره.

والموازين: جمع ميزان وقد وردت في الكتاب والسنة مجموعة ومفردة، فقال الله تعالى هنا: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ، وقال النبي ﷺ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»(١) ، فقال في الميزان ولم يقل في الموازين، فجمعت مرة وأفردت أخري، وذلك لكثرة ما يوزن، فلكثرة ما يوزن جمعت، ولكون الميزان واحدًا ليس فيه ظلم ولا بخس أفردت.

وأما الذي يوزن فقد قال بعض العلماء: إن الذي يوزن هو العمل، وقال بعض العلماء: الذي يوزن صحائف العمل.

وقال بعض العلماء: الذي يوزن العامل نفسه، وذلك لأن كلا منها جاءت به أحاديث.

أما الذين يقولون: إن الذي يوزن هو العمل، فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧،٨]. فجعل الوزن للعمل، ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان». فجعل الثقل للكلمتين وهما العمل.

والذين قالوا: إن الذي يوزن صحائف العمل استدلوا بحديث صاحب البطاقة، الذي يأتي يوم القيامة فيمد له سجل ـ يعني: أوراقًا كثيرة ـ مد البصر كلها سيئات، حتى إذا رأي أنه قد هلك قال الله له: «إن لك عندنا حسنة فيؤتي ببطاقة فيها لا إله إلا الله»(١) . قالها

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٧٥٦٣) ومسلم (٢٦٩٤).

(١) صحيح : رواه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجه (٤٣٠٠) .
وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥) ورواه أحمد (١/ ٤٢٠ ، ٤٢١).

Marfat.com

من قلبه، فتوضع البطاقة في كفة، وتلك السجلات في كفة، فترجح البطاقة بها، فهذا يدل على أن الذي يوزن هو صحائف العمل.

وأما الذين قالوا: إن الذي يوزن هو العامل نفسه، فاستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وبأن النبي ﷺ قال حين ضحك الناس على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وكان رضي الله عنه نحيفًا، فقام إلى شجرة أراك في ريح شديدة، فجعلت الريح تهزه هزًا فضحك الناس من ذلك، فقال النبي ﷺ : «**أتضحكون - أو قال - ﷺ : أتعجبون - من دقة ساقيه، والذي نفسي بيده إنهما في الميزان لأثقل من جبل أحد**» وهذا يدل على أن الذي يوزن هو العامل نفسه.

والمهم أنه يوم القيامة توزن الأعمال أو صحائف الأعمال أو العمال، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ إنما قال خسروا أنفسهم لأنهم أخرجوا إلى الدنيا وجاءتهم الرسل وبينت لهم الحق، ولكنهم والعياذ بالله عاندوا واستكبروا فخسروا أنفسهم ولم يستفيدوا من وجودهم في الدنيا شيئًا، قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

ثم قال تعالى مبينًا أنهم كما يعذبون بدنيًا، فإنهم يعذبون قلبيًا، فيقرعون ويوبخون فيقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فقد تليت عليهم آيات الله، وبينت لهم، وجاءتهم الرسل بالحق، ولكنهم كفروا والعياذ بالله وكذبوا بهذه الآيات.

قالوا في الجواب: ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ يعني إن عدنا إلى التكذيب ﴿فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ، فيقرون العياذ بالله بأن الشقاوة غلبت عليهم وأنهم ضلوا الضلال المبين الذي أوصلهم إلى هذه النار، نسأل الله أن يعيذنا وإياكم منها.

قال الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ أي ابقوا فيها أذلاء صاغرين، ﴿وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ وهذا أشد ما يكون عليهم والعياذ بالله أن يوبخهم الله هذا التوبيخ فيقول: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾ فإنهم لو كلموا الله لن يستجيب لهم، لأنه قضى عليهم بالخلود في النار.

Marfat.com

ثم قال تعالى مبينًا حالهم مع أوليائه: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ ، وهؤلاء المؤمنون بالله ورسله يقولون: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ أي آمنا بك وبرسلك وبما جاءوا به من الحق ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ اغفر لنا ذنوبنا حتى لا ندخل النار، وارحمنا بالقبول حتى ندخل الجنة.

﴿ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ فلا أحد أرحم بعباد الله من ربهم عز وجل، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لله بعباده أرحم من الوالدة بولدها»(١) .

﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٠]. يعني أنكم تسخرون بهؤلاء المؤمنين الذين يؤمنون بالله ويسألونه المغفرة والرحمة، فكنتم تسخرون منهم وتستهزءون بهم، ﴿حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ أي حتى كان سخريتكم واستهزاؤكم بهم منسية لكم ذكري.

﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ يعني في الدنيا كانوا يضحكون بالمؤمنين ويستهزءون بهم.

ولكن الله قال في سورة المطففين: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٣٤]. وهذا الضحك الذي لا بكاء بعده، أما ضحك الكفار من المسلمين في الدنيا، فإنه سيعقبه البكاء الدائم والعياذ بالله.

﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ يعني جزى الله تعالى المؤمنين بما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصيته، وصبروا على أقداره ﴿ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾. الذين فازوا بهذا اليوم فأدركوا المطلوب ونجوا من المرهوب، وإنما ذكر الله هذا لهؤلاء المكذبين زيادة في حسرتهم وندامتهم، كأنه يقول عز وجل: لو كنتم مثلهم لنلتم هذا الثواب، فيزدادون بذلك حسرة إلى حسرتهم والعياذ بالله.

كيف أصبح حال هؤلاء الذين كانوا يسخرون بهم في الدنيا ويضحكون منهم؟ وكيف كان حالهم وهم في نار جهنم؟

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢، ١١٣]. انظر: جاءتهم الرسل وعمروا عمرًا يتذكر فيه من تذكر، ولكنهم - والعياذ بالله - لم ينتفعوا بهذا، ورأوا أنهم كأنها لبثوا ساعة أو بعض ساعة ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾ اسأل العادين منا، فإننا لا نرى أننا لبثنا إلا يومًا أو بعض يوم.

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٧٥٤).

Marfat.com

قال الله تعالى: ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ يعني ما لبثتم إلا قليلاً في الدنيا وآل بكم الأمر إلى الآخرة التي تبقون فيها أبد الآبدين معذبين ﴿قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يعني لو أنكم كنتم من ذوي العلم لعلمتم مقدار تكذيبكم للرسل ومقدار أعمالكم التي خسرتموها.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ يعني أتظنون أننا ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ هم ظنوا كذلك، ظنوا هذا الظن ولكن الله وبخهم على هذا الظن، هل من حكمة الله أن ينشيء هذه الخليقة، ويرسل إليها الرسل، وينزل عليها الكتب ثم تكون النهاية الموت والفناء بدون بعث أو رجوع؟ هذا لا يمكن ، لكن هذا ظن الذين كفروا ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:٢٧].

ثم قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ تعالى يعني ترفع عز وجل عن كل نقص وعن كل سوء وعلا بذاته فوق عرشه سبحانه وتعالى، ﴿فتعالى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ الملك يعني ذو الملك والسلطان والعظمة، ﴿الْحَقُّ﴾ : الذي كان ملكه وملكوته حقًا وليس بباطل.

﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ أي لا معبود حق إلا الله عز وجل، ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ إلى آخر السورة.

فهذه الآيات تبين أن الإنسان يجب عليه أن ينتهز فرصة العمر وألا يخسر عمره كما خسره هؤلاء، لأنه سوف يبعث ويجازي ويحاسب على عمله.

* * *

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد:١٦).

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

[١/ ٥٧٤] ـ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِمَنكِبِي فَقَالَ: « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أو عَابِرُ سَبِيلٍ ».
وَكَانَ ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: إذَا أمسَيتَ، فَلا تَنتَظِرِ الصَّبَاحَ، وإِذَا أَصْبَحْتَ

(١/ ٥٧٤) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٦).

Marfat.com

، فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ ، وَخُذْ مِن صِحَّتِكَ لِمَرضِك ، وَمِن حَياتِكَ لِمَوتِكَ . رواه البخارى .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب ذكر الموت وقصر الأمل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]. يعني ألم يأت الوقت الذي تخشع قلوب المؤمنين لذكر الله عز وجل؟

والخشوع معناه الخضوع والذل ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني عنده ذكره، فإن المؤمنين ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقوله: ﴿لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي لتذكر الله وعظمته ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي ويخشعون لما نزل من الحق، وهو ما كان في كتاب الله سبحانه وتعالي، فإن هذا الكتاب جاء بالحق، والنبي ﷺ الذي نزل عليه هذا الكتاب جاء بالحق، فيحق للمؤمن أن يخشع قلبه لذكر الله وما نزل من الحق.

قال: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦] يعني ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل وهم اليهود والنصارى، فاليهود أوتوا التوراة، والنصارى أوتوا الإنجيل، ومع ذلك فإن اليهود كفروا بالإنجيل، والنصارى كفروا بالقرآن، فصار الكل كفارًا، ولذلك كان اليهود قبل بعثة النبي ﷺ مغضوبًا عليهم، لأنهم علموا الحق وهو ما جاء به عيسى، ولكنهم استكبروا عنه وأعرضوا عنه.

أما بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام فكان اليهود والنصارى كلهم مغضوبًا عليهم، وذلك لأن النصارى علموا الحق فهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك استكبروا عنه، فكانوا كلهم مغضوبًا عليهم؛ لأن القاعدة في المغضوب عليهم أنهم الذين علموا الحق ولم يعملوا به كاليهود والنصارى بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام.

هؤلاء الذين أوتوا الكتاب ﴿طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ أي : الوقت. ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لأن النبي ﷺ بعث بعد عيسى بستمائة سنة، وهي فترة طويلة انحرف فيها من انحرف من أهل الكتاب، ولهذا قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ، ولم يقل : أكثرهم فاسقون، ولم يقل: كلهم فاسقون، فكثير منهم فاسقون خارجون عن الحق.

فحذر الله عز وجل ونهى أن نكون كهؤلاء الذين أوتوا الكتاب ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ .

Marfat.com

وإذا نظرت إلى الأمة الإسلامية ، وجدت أنها ارتكبت ما ارتكبه الذين أوتوا الكتاب من قبل، فإن الأمة الإسلامية في هذه العصور التي طال فيها الأمد من بعثة الرسول ﷺ ، قست قلوب كثير منهم وفسق كثير منهم، واستولى على المسلمين من ليس أهلاً للولاية لفسقه بل ومروقه عن الإسلام، فإن الذين لا يحكمون بكتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ، ويرون أن الحكم بالقوانين أفضل من حكم الله ورسوله كفار بلا شك ومرتدون عن الإسلام.

ولكن الله سبحانه وتعالى يبلو الناس بعضهم ببعض، وإذا صبر المؤمن واحتسب وانتظر الفرج من الله عز وجل، وعمل الأسباب التي توصل إلى المقصود يسر الله له الأمر.

فالمهم أن الله نهانا أن نكون كالذين أوتوا الكتاب من قبل فقست قلوبهم، ولكن صار الكثير منا في الوقت الحاضر متشبهًا بهؤلاء الذين قست قلوبهم، وكثير من هؤلاء أيضًا فسقوا عن أمر الله ، وخرجوا عن طاعة الله.

ثم قال المؤلف: والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة.

وأما الأحاديث فمنها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**أخذ النبي ﷺ بمنكبي**» يعني أمسك به، والمنكب هو أعلى الكتف، أخذ به من أجل أن ينتبه ابن عمر لما سيلقي إليه الرسول عليه الصلاة والسلام من القول.

وهذا من حسن تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام؛ فإنه عليه الصلاة والسلام كان إذا تكلم اتخذ الأسباب التي توجب انتباه المخاطب، إما بالفعل كما هنا، وإما بالقول كما في قوله: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله**»(١) .

ثم قال النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**» سبحان الله! أعطى الله نبيه جوامع الكلم، هاتان الكلمتان يمكن أن تكونا نبراسًا يسير الإنسان عليه في حياته «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**».

والفرق بينهما أن عابر السبيل ماشٍ يمر بالقرية وهو ماش منها.

وأما الغريب فهو مقيم فيها حتى يرتحل عنها، يقيم فيها يومين أو ثلاثة أو عشرة أو شهرًا، وكل منهما لم يتخذ القرية التي هو فيها وطنًا وسكنًا وقرارًا.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٩٧٦) ومسلم (٨٧).

Marfat.com

فيقول: الرسول عليه الصلاة والسلام: كن في الدنيا كهذا الرجل، إما غريب أو عابر سبيل.

فالغريب وعابر السبيل لا يستوطن ، يريد أن يذهب إلى أهله وإلى بلده ، لو أن الإنسان عامل نفسه فيْ هذه الدنيا بهذه المعاملة لكان دائمًا مشمرًا للآخرة، لا يريد إلا الآخرة، ولا يكون أمام عينيه إلا الآخرة حتى يسير إليها سيرًا يصل به إلى مطلوبه.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: «**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**» المعنى لا تؤمل أنك إذا أصبحت أمسيت، وإذا أمسيت أصبحت، فكم من إنسان أصبح ولم يمس! وكم من إنسان أمسى ولم يصبح! وكم من إنسان لبس ثوبه ولم يخلعه إلا الغاسل! وكم من إنسان خرج من أهله قد هيئوا له غداءه أو عشاءه ولم يأكله! وكم من إنسان نام ولم يقم من فراشه! المهم أن الإنسان لا ينبغي له أن يطيل الأمل بل يكون حذرًا حاذقًا كيسًا ، هذا معنى قوله: «**إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**».

«**وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك**» الإنسان الصحيح منشرح الصدر، منبسط النفس، واسع الفكر، عنده سعة في الوقت والصحة، ولكن ما أكثر الذين يضيعون هذا، لأنه يؤمل أن هذه الصحة سوف تبقى وتدوم، وأنه سوف تطول به الدنيا، فتجده قد ضيع هذه الصحة.

فابن عمر رضي الله عنهما يقول: «**خذ من صحتك لمرضك**».

المرض تضيق به النفس، ويتعب به الجسم، وتضيق عليه الدنيا ولا يستطيع أن يعمل العمل الذي يعمله في حال الصحة، فليأخذ من صحته لمرضه، ومن حياته لموته، قس ما بين حياتك وموتك أيهما أطول؟ لا شك أن الحياة لا تنسب للموت ، كم للرسول عليه الصلاة والسلام ميتا ؟ كم لمن قبله وحياتهم قليلة بالنسبة لموتهم، فكيف إلى الآخرة.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يأخذ من حياته ـ ما دام الله قد أحياه ـ لموته إذا عجز عن العمل، لأن النبي ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(١) فخذ من حياتك لموتك.

* * *

[٢/ ٥٧٥] ـ وعنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « ما حَقُّ امْرِئٍ مُسلِمٍ ، لَهُ شَيْءٌ يُوصى

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) وابو داود (٢٨٨٠) واحمد (٢/ ٣٧٢).

(٢/ ٥٧٥) صحيح: رواه البخاري (٢٧٣٨) ، ومسلم (١٦٢٧).

Marfat.com

فِيهِ ، يَبِيتُ لَيْلَتَينِ إلا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » متفقٌ عليه . هذا لفظ البخاري .

وفي رواية لمسلم : « يَبِيتُ ثَلاثَ لَيَالي » قال ابن عمر : مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ قال ذلكَ إلاَّ وَعِنْدِي وَصِيتي .

الشرح

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» يعني ما حقه أن يبيت ليلتين إلا وقد كتب وصيته التي يريد أن يوصي بها وكان ابن عمر رضي الله عنهما منذ سمع هذا الكلام من رسول الله ﷺ لا يبيت ليلة إلا وقد كتب وصيته.

والوصية: معناها العهد ، وهي أن يعهد الإنسان بعد موته لشخص في تصريف شيء من ماله، أو يعهد لشخص بالنظر على أولاده الصغار، أو يعهد لشخص في أي شيء من الأعمال التي يملكها بعد موته فيوصي به، هذه هي الوصية.

مثل أن يكتب الرجل: وصيتي إلى فلان بن فلان بالنظر على أولادي الصغار.

وصيتي إلا فلان بن فلان بتفريق ثلث مالي أو ربعه أو خمسه في سبيل الله، وصيتي إلى فلان في أن ينتفع بما خلفت من عقار أو غيره أو ما أشبه ذلك.

المهم أن الوصية هي العهد ، عهد الإنسان بعد موته إلى شخص بشيء يملكه.

والوصية أنواع: واجبة، ومحرمة، وجائزة.

أولا: الوصية الواجبة: وهي أن يوصي الإنسان بما عليه من الحقوق الواجبة، لئلا يجحدها الورثة، لا سيما إذا لم يكن عليها بينة.

مثل أن يكون على الإنسان دين أو حق لغيره، فجب أن يوصي به لا سيما إذا لم يكن فيه بينة، لأنه إذا لم يوص به فإن الورثة قد ينكرونه، والورثة لا يلزمون أن يصدقوا كل من جاء من الناس وقال: إن لي على ميتكم كذا وكذا، لا يلزمهم أن يصدقوا، فإذا لم يوص الميت فإنه ربما يكون ضائعًا، فمن عليه دين ـ يعني حق في ذمته لأحد ـ فإنه يجب عليه أن يوصي به. كذلك أيضًا يجب أن يوصي لأقاربه غير الوارثين بما تيسر لقول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠]. يعني: مالاً كثيراً ﴿الْوَصِيَّةُ﴾ هذه نائب فاعل ﴿لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ فخرج من الوالدين والأقربين من كانوا ورثة، فإن الورثة لا يوصي لهم، وبقيت الآية محكمة فيما عدا الوارثين.

هكذا دلالة الآية، وبها فسرها ابن عباس رضي الله عنهما، وذهب إلى ذلك كثير من أهل العلم، أن الإنسان يجب أن يوصي إذا كان عنده مال كثير بما تيسر لأقاربه غير

Marfat.com

الوارثين، أما الوارث فلا يجوز أن يوصي له، لأنه حقه من الإرث يكفيه، فهذان أمران تجب فيهما الوصية.

الأول: إذا كان عليه دين يعني حقًا للناس.

والثاني: إذا ترك مالاً كثيرًا، فإنه يلزمه أن يوصي لأقاربه من غير الوارثين.

ثانيًا: الوصية المحرمة: وهي محرمة إذا أوصى لأحد من الورثة، مثل أن يوصي لولده الكبير بشيء من بين سائر الورثة، أو يوصي لزوجته بشيء من بين سائر الورثة، فإن هذا حرام عليه، حتى ولو قدر أن الزوجة كانت تخدمه في حياته وتطيعه وتحترمه، وأراد أن يكافئها فإنه لا يحل له أن يوصي لها بشيء، وكذلك إذا كان أحد أولاده يبر به ويخدمه ويسعى في ماله، فأراد أن يوصي له بشيء، فإن ذلك حرام عليه[1].

وكذلك ما يفعله بعض الناس إذا كان له أولاد عدة وزوج الكبير أوصى للصغار بمثل المال الذي زوج به الكبير، فإن هذا حرام أيضًا، لأن التزويج دفع حاجة كالأكل والشرب، فمن احتاج إليه من الأولاد وعند أبيهم قدرة وجب عليه أن يزوجه، ومن لم يحتج إليه فإنه لا يحل له أن يعطيه شيئًا مثل ما أعطى أخاه الذي احتاج للزواج.

وهذه مسألة تخفي على كثير من الناس حتى على طلبة العلم، يظنون أنك إذا زوجت ولدك، فإنك يجب أن توصي للأولاد الصغار بمثل ما زوجته به، وهذا ليس بصحيح، فالوصية للوارث لا تجوز مطلقًا.

فإن قدر أن أحدًا جاهلاً وأوصى لأحد الورثة بشيء، فإنه يرجع إلى الورثة بعد موته، إن شاءوا نفذوا الوصية، وإن شاءوا ردوها.

ثالثًا: الوصية المباحة: فهي أن يوصي الإنسان بشيء من ماله لا يتجاوز الثلث، لأن تجاوز الثلث ممنوع، لكن ما دون الثلث أنت حر فيه، ولك أن توصي فيه لمن شئت إلا الورثة.

ولكن هل الأفضل الثلث أو الربع أو ما دون ذلك؟ نقول: أكثر شيء الثلث لا تزد عليه، وما دون الثلث فهو أفضل منه، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع، فإن النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص: «**الثلث والثلث كثير**»[2]، وكان أبو بكر رضي الله عنه أوصى بخمس ماله، وقال: أرضى بما رضى الله لنفسه، فأوصى بخمس ماله، وهذا أحسن ما يكون.

---

(١) قد ورد هذا المعنى عند البخاري (٢٥٨٦) ومسلم (١٦٢٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٧٣٨) ومسلم (١٦٢٨).

Marfat.com

وليت أن طلبة العلم والذين يكتبون الوصايا ينبهون الموصين على أن الأفضل الوصية بالخمس لا بالثلث، وقد شاع عند الناس الثلث دائمًا، وهذا الحد الأعلى الذي حده الرسول عليه الصلاة والسلام وما دونه أفضل منه، فالربع أفضل من الثلث، والخمس أفضل من الربع.

وإذا كان الورثة محتاجين فترك الوصية أولى لأنهم أحق من غيرهم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس»** فإذا كان الورثة الذين يرثونك تعرف أن حالهم، وسط والمال شحيح عندهم، وأنهم إلى الفقر أقرب، فالأفضل ألا توصي.

ففي هذا الحديث: الإشارة إلى الإنسان يوصي، ولكن الوصية تنقسم إلى أقسام كما أشرنا؛ منها واجبة ومنها محرمة، ومنها مباحة.

فالواجبة: أن يوصي الإنسان بما عليه من الحقوق الواجبة لئلا يجحدها الورثة، فيضيع حق من هي له، لا سيما إذا لم يكن عليها بينة ، وكذلك وصية من ترك مالاً كثيرًا لأقاربه الذين لا يرثون بدون تقدير، على ألا تزيد على الثلث.

والمحرمة: نوعان أيضًا: أن تكون لأحد من الورثة، وأن تكون زائدة على الثلث.

والمباحة: ما سوى ذلك، ولكن الأفضل أن تكون من الخمس فأقل، وإن زاد إلى الربع فلا بأس، وإلى الثلث فلا بأس، ولا يزيد علي الثلث.

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما العمل بالكتابة، لقوله ﷺ : **«إلا ووصيته مكتوبة عنده»** فدل هذا على وجوب العمل بالكتابة.

وفي قوله: «مكتوبة» اسم مفعول: إشارة إلى أنه لا فرق بين أن يكون هو كاتبها، أو غيره ممن تثبت الوصية بكتابتهم، فلا بد أن تكون الكتابة معلومة، إما بخط الموصي نفسه، أو بخط شخص معتمد، وأما إذا كانت بخط مجهول فلا عبرة بها ولا عمل عليها.

وفي قوله: «عنده»: إشارة إلى أنه ينبغي أن يحتفظ الإنسان بالوثائق وألا يسلط عليها أحدًا، بل تكون عنده في شيء محفوظ محرز كالصندوق وغيره؛ لأنه إذا أهملها فربما تضيع منه، أو يسلط عليها أحدًا يأخذها ويتلفها أو ما أشبه ذلك.

المهم في هذا: الاعتناء بالوصية، وأن يحتفظ بها الإنسان حتى لا تضيع.

وفيه أيضًا: سرعة امتثال الصحابة لأمر النبي ﷺ ؛ ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما بعد ما سمع هذا الحديث من النبي ﷺ : **«ما مرت علي ليلة منذ سمعت النبي ﷺ يقول هذا إلا ووصيتي مكتوبة عندي»**.

Marfat.com

فالذي ينبغي للإنسان أن يهتم بهذا الأمر حتى لا يفجأه الموت، وهو قد أضاع نفس، وأضاع حق غيره.

* * *

٣/ ٥٧٦ ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطاً فقال : « **هذا الإنسَانُ، وَهذَا أجَلُهُ، فَبَيْنَما هُوَ كَذلكَ إذ جَاءَ الخَطُّ الأقْرَبُ** » رواه البخارى .

٤/ ٥٧٧ ـ وعن ابنِ مسعُود رضيَ اللهُ عنه قال : خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خطًا مُرَبَّعاً، وَخَطَّ خطًا فى الوَسَطِ خَارِجاً مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطاً صِغَاراً إلى هذا الَّذى فى الوَسَطِ مِنْ جَانِبِه الَّذى فى الوَسَطِ، فَقَال: « هذا الإنسَانُ، وَهذا أجَلُهُ مُحِيطاً به ـ أو قَد أحَاطَ بِه ـ وَهذا الَّذى هُوَ خَارِجٌ أملُهُ، وَهذِه الخُطَطُ الصِّغَارُ الأعْرَاض، فَإن أخْطَأهُ هذا، نَهَشَهُ هذا، وَإنْ أخْطأهُ هذا، نَهَشَهُ هذا » رواه البخارى .

[٥/ ٥٧٨] ـ وعن أبى هريرة رضىَ اللهُ عَنهُ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال : « **بادرُوا بالأعْمَال سَبْعاً، هَل تَنْتظرُونَ إلا فَقْراً مُنْسياً، أو غنيً مُطْغياً، أوْ مَرَضاً مُفْسداً، أو هَرَماً مُفَنِّداً، أو مَوتاً مُجْهزاً، أو الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غائبٍ يُنْتَظَرُ، أوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أدْهَى وأمَرُّ؟!» رواه الترمذى وقال : حديثٌ حسنٌ.**

الشرح

هذا الحديث ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب ذكر الموت وقصر الأمل، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال سبعًا**» يعني اعملوا قبل أن تصيبكم هذه السبع التي ذكرها النبي ﷺ، فبادروا بها. ثم ذكر هذه السبع وأنها.

إما «**فقرًا منسيًا**» بأن يصاب الإنسان بفقر ينسيه ذكر ربه، لأن الفقر ـ أعاذنا الله وإياكم منه ـ شر درع يلبسه العبد، فإنه إذا كان فقيرًا يحتاج إلى أكل وشرب ولباس وسكن وزوجته، فلا يجد من ذلك شيئًا، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، ويذهب يتطلب ليحصل على شيء من ذلك فينسي ذكر الله عز وجل ولا يتمكن من أداء العبادة علي وجهها.

وكذلك يفوته كثير من العبادات التي تستوجب أو التي تستلزم الغنى، كالزكاة، والصدقات، والعتق والحج، والإنفاق، في سبيل الله، وما أشبه ذلك.

(٣/ ٥٧٦) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٨) .

(٤/ ٥٧٧) صحيح: رواه البخارى (٦٤١٧) .

(٥/ ٦٧٨) ضعيف: رواه الترمذي (٢٣٠٦) وتقدم برقم (٩٣).

Marfat.com

«أو غني مُطغيًا» بأن يغني الإنسان ويفتح عليه من الدنيا فيطغي بذلك ، ويرى أنه استغنى عن ربه عز وجل، فلا يقوم بما أوجب الله عليه، ولا ينتهي عما نهاه الله عنه. قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

كذلك «أو مرضًا مفسدًا» مرض يفسد على الإنسان حياته، لأن الإنسان ما دام في صحة فهو في نشاط وانشراح صدر، والدنيا أمامه مفتوحة، فإذا مرض ضعف البدن، وضعفت النفس وضاقت، وصار الإنسان دائمًا في هم وغم فتفسد عليه حياته.

كذلك أيضًا الهرم المفند: «أو هرمًا مُفندًا» يعني كبرًا يفند قوته ويحطمها، كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤].

فالإنسان ما دام نشيطًا شابًا يعمل العبادة بنشاط، يتوضأ بنشاط، يصلي بنشاط، يذهب إلى العلم بنشاط، لكن إذا كبر فهو كما قال الله عز وجل عن زكريا: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [مريم: ٤]. أي: ضعف العظم، والعظم هو الهيكل الذي ينبني عليه الجسم، فيضعف وتضعف القوة ولا يستطيع أن يفعل ما كان يفعله في حال الشباب، كما قال الشاعر:

ألا ليت الشباب يعود يومًا فأخبره بما فعل الشيب

«أو موتًا مجهزًا» هذا أيضًا ما ينتظر ، وإذا مات الإنسان انقطع علمه ولم يتمكن من العمل. «مجهزًا» سريعًا، وكم من إنسان مات من حيث لا يظن أنه لا يموت، كم من إنسان مات وهو في شبابه وصحته في حوادث احتراق، أو انقلاب سيارة، أو سقوط جدار عليه، أو سكتة قلبية، أشياء كثيرة يموت الإنسان بسببها ولو كان شابًا.

فبادر هذا لأنك لا تدري ربما تموت وأنت تخاطب أهلك، أو تموت وأنت على فراشك، أو تموت وأنت على غدائك، أو تموت وأنت في سيارتك، أو في سفرك، إذن بادر.

ومن ذلك أيضا قوله: «أو الدجال؛ فشر غائب ينتظر» يعني أو تنتظرون الدجال، وهو الرجل الخبيث الكذاب المموه الذي يبعث في آخر الزمان يدعو الناس إلى عبادته ويوهمهم، فيفتتن به الخلق إلا من شاء الله.

وهذا أمرنا أن نستعيذ بالله منه في كل صلاة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إذا

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٧٧) ومسلم (٥٨٨).

Marfat.com

تشهد أحدكم التشهد الأخير فليقل: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[(١)] .

والمسيح الدجال رجل من بني آدم، لكنه أعور خبيث كافر متمرد، وقد كتب بين عينيه كافر، يقرؤه المؤمن ولو كان غير قارئ، ولا يقرؤه الكافر ولو كان قارئًا.

وهذه آية من آيات الله عز وجل.

وهذا الدجال يدعو الناس إلى عبادته فيقول: أنا ربكم، فإن أطاعوه أدخلهم جنته وإن عصوه أدخلهم ناره، لكن ما هي جنته وناره؟ قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار»[(١)] .

لكنه يوهم الناس ويموه عليهم فيحسبون أن هذا الذي أطاعه أدخله الجنة، وأن هذا الذي عصاه أدخله النار، والحقيقة بخلاف ذلك.

كذلك يأتي إلى القوم في البادية، يأتي إليهم مُمحلين، ليس في ضروع مواشيهم لبن، ولا في أرضهم نبات، فيدعوهم، فيقول: أنا ربكم، فيستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، يقول للسماء: أمطري؛ فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، يقول: يا أرض أنبتي؛ فتنبت، فيصبحون على أخصب ما يكون، ترجع إليهم مواشيهم أسبغ ما يكون ضروعًا؛ ضروعها مملوءة، وأطول ما يكون ذري، أسنمتها رفيعة من الشبع والسمن، فيبقون علي عبادته، فيسعدون في الدنيا مدة يسيرة، ولكنهم في الحقيقة خسروا الدنيا والآخرة لأنهم اتخذوا الدجال ربًا من دون الله.

فالدجال يقول عنه الرسول ﷺ : إنه «شر غائب ينتظر». أعاذنا الله وإياكم من فتنته.

ثم قال: «أو الساعة» يعني أو تنتظرون الساعة، أي قيام الساعة، «فالساعة أدهى وأمر» يعني أشد داهية وأمر مذاقًا، قال الله تبارك وتعالى : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

والحاصل أن الإنسان لن يخرج عن هذه السبع. وهذه السبع كلها تعيقه عن العمل، فعليه أن يبادر ما دام في صحة، ونشاط وشباب، وفراغ، وأمن، قبل أن يفوته ذلك كله فيندم حيث لا ينفع الندم.

٦/ ٥٧٩ ـ وعنه قالَ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « أكثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ » يَعنى

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٣٣٨) ومسلم (٢٩٣٦).

(٦/ ٥٧٩) حسن صحيح: رواه الترمذى (٢٣٠٧) ابن ماجه (٤٢٥٨) وقال الألبانى فى الإرواء (٦٨٢) حسن صحيح.

Marfat.com

المَوْتَ ، رواهُ الترمذى وقال : حديثٌ حسنٌ .

٧/ ٥٨٠ ـــ وعن أبىٍّ بنِ كعبٍ رَضىَ اللهُ عنه : كانَ رَسولُ اللهِ ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيلِ ، قامَ فقالَ : « يَأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا الله ، جاءَتِ الرَّاجفَةُ ، تَتْبَعُها الرَّادفَةُ ، جاءَ المَوْتُ بما فيه ، جاءَ المَوْتُ بما فيه » قلتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، إنِّى أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ فكَمْ أجْعَلُ لكَ من صَلاتى ؟ قال : « ما شِئْتَ » قُلْتُ : الرُّبُعَ ؟ قال : « ما شِئْتَ ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ : فَالنِّصْفَ ؟ قال : « ما شِئْتَ ، فَإنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ : أجْعَلُ لكَ صَلاتى كُلَّها ؟ قال : « إذاً تُكْفَى هَمَّكَ ، ويُغْفَرَ لكَ ذَنْبُكَ » رواهُ الترمذى وقال: حديث حسن .

* * *

(٧ / ٥٨٠) حسن : رواه الترمذى (٢٤٥٧) وحسنه الألبانى فى الصحيحة (٩٥٤).

Marfat.com

٦٦ ـ باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر

[١/ ٥٨١] ـ عن بُرَيْدَةَ ، رضيَ اللهُ عنه ، قال : قال رسُولُ الله ﷺ : « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيارَةِ القُبُورِ فَزورُوها » رواهُ مسلم .

[٢/ ٥٨٢] ـ وعن عَائِشَةَ رضيَ اللهُ عنها قالت : كان رسُولُ الله ﷺ ، كُلَّما كانَ لَيْلَتها منْ رَسول الله ﷺ يخْرُجُ منْ آخر اللَّيْل إلى البَقيع ، فَيَقُولُ : « السَّلامُ علَيْكُمْ دارَ قَوْم مؤمنينَ ، وأتاكُمْ ما تُوعَدُونَ ، غَداً مُؤَجَّلُونَ ، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ » رواهُ مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين: «باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر».

زيارة القبور: أي الخروج إليها امتثالاً واتباعًا لرسول الله ﷺ ، والقبور هي دور الأموات، وذلك أن الإنسان له أربعة دور:

الد ار الأولى: في بطن أمه.

والثانية: الدنيا.

والثالثة: القُبُور.

والرابعة: الآخرة وهي المقر وهي النهاية والغاية جعلنا الله من الفائزين فيها.

هذه الدار ـ أعني دار القبور ـ كان النبي ﷺ نهى عن زيارتها؛ خوفًا من الشرك بأهل القبور، لأن الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية، فنهى عنها رسول الله ﷺ سدًا لذرائع الشرك؛ لأن الشرك لما كان أمره عظيمًا سد النبي ﷺ كل ذريعة وكل باب يوصل إليه.

وكلما كانت المعصية عظيمة كانت وسائلها أشد منعًا، الزني مثلاً فاحشة، فوسائله من النظر والخلوة وما أشبه ذلك محرمة.

وكذلك فإن الشرك أعظم الظلم، كما سئل النبي ﷺ : أي الذنب أعظم؟ قال: «أن

(١/ ٥٨١) صحيح: رواه مسلم (٩٧٧)، والترمذي (١٠٥٤).

(٢/ ٥٨٢) صحيح: رواه مسلم (٩٧٤).

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٠٠١) مسلم (٨٦).

Marfat.com

تجعل لله نداً وهو خلقك»(١) .

فلما كان الناس يعظمون القبور، نهاهم النبي ﷺ عن ذلك، فلما استقر الإيمان في قلوبهم أذن لهم فقال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها فإنها تذكر الآخرة**».

فرفع النبي ﷺ النهي وأباح الزيارة، بل رغب فيها لقوله: «**فإنها تذكر الآخرة**» . والذي يذكر الآخرة ينبغي للإنسان أن يعمل به، لأن القلب إذا نسي الآخرة غفل واشتغل بالدنيا، فأضاع الدنيا والآخرة، لأن من أضاع الآخرة فقد أضاع الدنيا والآخرة.

فينبغي أن نزور القبور؛ ولكن نزورها لنفعها أو للانتفاع بها؟ نزورها لنفعها، لندعو للأموات لا لندعوهم، فيخرج الإنسان ويسلم علي القبور، كما فعل النبي ﷺ ، وقالت عائشة: إن النبي ﷺ إذا كان عندها، خرج من آخر الليل فسلم على أهل البقيع وقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**».

ثم يقول: «**اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»: بقيع الغرقد: هو مقبرة أهل المدينة، وهذه الدعوة يرجي أن تشمل من كان من أهل بقيع الغرقد إلى يوم القيامة، ويحتمل أن يراد بهم أهل بقيع الغرقد الذين كانوا أهله في عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام فقط، فلا يشمل من يأتي بعدهم.

ولكن من كان من أهل الرحمة فهو من أهل الرحمة، سواء حصلت له هذه الدعوة أم لم تحصل، ومن كان من أهل الشقاء فإنه لا تشمله هذه الدعوة ولا ينتفع بها.

المهم أن الإنسان ينبغي له أن يزور القبور في كل وقت، في الليل، في النهار، في الصباح، في المساء، في يوم الجمعة، في غير يوم الجمعة، ليس لها وقت محدد، وكلما غفل قلبك واندمجت نفسك في الحياة الدنيا، فاخرج إلى القبور، وتفكر في هؤلاء القوم الذين كانوا بالأمس مثلك على الأرض يأكلون ويشربون ويتمتعون، والآن أين ذهبوا؟ صاروا مرتهنين بأعمالهم، لم ينفعهم إلا ما قدموا، كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال: «**يتبع الميت ثلاثة: ماله، وأهله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله**»(١) .

ففكر في هؤلاء القوم، ثم سلم عليهم: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين**» والظاهر والله أعلم أنهم يردون السلام، لأنه يسلم عليهم بصيغة الخطاب: «**السلام عليكم**» ويحتمل

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٥١٤) مسلم (٢٩٦٠).

Marfat.com

أن يراد بذلك السلام مجرد الدعاء فقط، سواء سمعوا أم لم يسمعوا، أجابوا أم لم يجيبوا.

فعلى كل حال على الإنسان أن يدعو لهم ويقول مقرراً المصير الحتمي: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» إن شاء الله هذه تعود إلى وقت اللحوق وليس إلى اللحوق، لأن اللحوق متيقن، والمتيقن لا يقيد بالمشيئة لكن تعود إلى وقت اللحوق، لأن كل واحد منا لا يدري متى يلحق، فيكون معني قوله: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**» أي وإنا متى شاء الله بكم لاحقون، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس: ٢٢، ٢٣].

ثم يدعو لهم بالدعاء الذي جاءت به السنة، فإن لم يعرف شيئًا منه، دعا بما تيسر: اللهم اغفر لهم، اللهم ارحمهم، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم، ثم ينصرف. هكذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام يزور المقبرة.

وأما ما يفعله بعض الجهال من البقاء هناك، والتمرغ على التراب، والطواف بالقبر وما أشبه ذلك، فكله أمر منكر وبدعة محظورة، فإن اعتقد أن هؤلاء الأموات ينفعون أو يضرون كان مشركًا والعياذ بالله خارجًا عن الإسلام، لأن هؤلاء الأموات لا ينفعون ولا يضرون، لا يستطيعون الدعاء لك، ولا يشفعوا لك إلا بإذن الله.

وليس هذا وقت الشفاعة أيضًا، وقت الشفاعة يوم القيامة، فلا ينفعك شيء منهم إذا دعوتهم أو سألتهم الشفاعة أو قضاء الحاجات وتفريج الكربات.

فالواجب على إخواننا الذين يوجد مثل هذا في بلادهم أن ينصحوا هؤلاء الجهال، وأن يبينوا لهم أن الأموات لا ينفعونهم، حتى الرسول عليه الصلاة والسلام ما ينفع الناس وهو ميت وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا أصابهم الجدب في عهد الرسول وفي حياته جاءوا إليه وقالوا: استسق الله لنا، فيستقي الله لهم.

لكن لما مات ما جاء الصحابة إلى قبره يقولون: ادع الله أن يسقينا، وقبره إلى جانب المسجد ليس بعيدًا، لكن لما أجدبت الأرض في عهد عمر، وحصل القحط قال: اللهم إنا كنا نستسقي إليك بنبينا فتسقينا ـ أي: أنهم كانوا يسألون الرسول أن يدعو لهم بالسقيا فيسقون ـ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، ثم يقوم العباس فيدعو الله[1].

(١) صحيح: رواه البخاري (١٠١٠).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١) وابو داود (٢٨٨٠) واحمد (٢/ ٣٧٢).

Marfat.com

ولم يقل: يا رسول الله، ادع الله أن يسقينا، ادع الله أن يرفع عنا القحط، لأنه ﷺ يعلم أن ذلك غير ممكن، والإنسان إذا مات انقطع عمله، ولا يمكن أن يعمل أي عمل كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث»**(٢) فلا يستطيع الميت أن يستغفر لك ولا أن يدعو لك؛ لأنه انقطع عن العمل.

فالحاصل أن زيارة القبور لمنفعة أهل القبور لا لمنفعة الزائر، إلا فيما يناله من الأجر عند الله عز وجل، أما أن ينتفع بهم بزيارته إياهم فلا.

لكن ينتفع بالأجر الذي يحصل له، وينتفع بالموعظة التي تحصل لقلبه إذا وفقه الله تعالى للاتعاظ.

٣/ ٥٨٣ــ وعن بُرَيْدَةَ رضيَ اللهُ عنهُ، قال: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إذا خَرَجُوا إلى المَقابِرِ أنْ يَقُولَ قَائِلُهُم: **«السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنينَ والمُسْلِمينَ، وإنَّا إنْ شاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، أسْألُ اللهَ لَنَا ولَكُمُ العافِيَةَ»** رواهُ مسلم.

٤/ ٥٨٤ــ وعنِ ابنِ عبَّاس، رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: مَرَّ رسُولُ اللهِ ﷺ بِقُبُورِ بالمدينَةِ فَأقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فقالَ: **«السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنا ولَكُمْ أنْتُم سَلَفُنَا ونحْنُ بالأثَرِ»** رواهُ الترمذي وقال: حديث حسن.

* * *

(٣/ ٥٨٣) صحيح: رواه مسلم (٩٧٥) ابن ماجه (١٥٤٧).

(٤/ ٥٨٤) ضعيف: رواه الترمذي (١٠٥٣) ضعفه الألباني في المشكاة (١٧٦٥).

Marfat.com

٦٧ ـ باب كراهة تمني الموت بسبب ضر نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين

[١/ ٥٨٥] ـ عَنْ أبي رضيَ اللهُ عنه أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قال: « لا يَتَمَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ إما مُحْسِناً ، فَلَعَلَّه يَزْدادَ ، وَإمَّا مُسيئاً فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ » متفقٌ عليه ، وهذا لفظ البخاري.

وفي روايةٍ لمسلم عن أبي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنه عن رسُول اللهِ ﷺ قال: « لا يَتَمَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ ، وَلا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُ ؛ إنَّهُ إذا ماتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَإنَّهُ لا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُه إلا خيراً » .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب كراهية تمني الموت لضر نزل به) يعني من مرض أو نحوه، وأما إذا كان لخوف فتنة في الدين فلا بأس بتمني الموت، هكذا قال المؤلف رحمه الله ، فالإنسان إذا نزل به الضر فلا يتمن الموت، فإن هذا خطأ وسفه في العقل، وضلال في الدين.

أما كونه سفهًا في العقل؛ فلأن الإنسان إذا بقي في حياته فإما محسنًا فيزداد ، وإما مسيئًا فيستعتب ويتوب إلى الله عز وجل، وكونه يموت فإنه لا يدري، فلعله يموت على أسوأ خاتمة والعياذ بالله، لهذا نقول: لا تفعل فإن هذا سفه في العقل.

أما كونه ضلالاً في الدين فلأنه ارتكاب لما نهى عنه النبي ﷺ ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «لا يتمن أحدكم الموت» ، والنهي هنا للتحريم، لأن تمني الموت فيه شيء من عدم الرضا بقضاء الله، والمؤمن يجب عليه الصبر، إذا أصابته الضراء، فإذا صبر على الضراء نال شيئين مهمين:

الأول: تكفير الخطايا، فإن الإنسان لا يصيبه هم ولا غم ولا أذى ولا شيء إلا كفر الله به عنه حتى الشوكة يشاكها؛ فإنه يكفر بها عنه.

الثاني: إذا وفق لاحتساب الأجر من الله وصبر يبتغي بذلك وجه الله، فإنه يثاب، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

(١/ ٥٨٥) صحيح: رواه البخاري (٥٦٧٣) ، ومسلم (٢٦٨٢).

Marfat.com

أما كونه يتمنى فهذا يدل على أنه غير صابر على ما قضى الله عز وجل ولا راضٍ به، وبين الرسول عليه الصلاة والسلام أنه إما أن يكون من المحسنين، فيزداد في بقاء حياته عملاً صالحًا.

ومن المعلوم أن التسبيحة الواحدة في صحيفة الإنسان خير من الدنيا وما فيها؛ لأن الدنيا وما فيها تذهب وتزول، والتسبيح والعمل الصالح يبقى، قال الله عز وجل: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾ [الكهف: ٤٦]. فأنت إذا بقيت ولو على أذى ولو على ضرر؛ فإنك ربما تزداد حسنات.

وإما مسيئًا قد عمل سيئًا، فلعله يستعتب أي يطلب من الله العتبى أي الرضا والعذر، فيموت وقد تاب من سيئاته، فلا تتمن الموت لأن الأمر كله مقضي، وربما يكون في بقائك خير لك أو خير لك ولغيرك، فلا تتمن الموت، بل اصبر واحتسب، فإن الله سجعل بعد العسر يسرًا.

* * *

[٢/ ٥٨٦] ـ وعن أنس رضيَ اللهُ عنه قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: « لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُم المَوْتَ لِضُرٍّ أصابَهُ، فإنْ كان لا بُدَّ فاعلاً، فليَقُلْ: اللَّهُمَّ أحْيِنِي ما كانَتِ الحَياةُ خَيْراً لي، وتَوَفَّنِي إذَا كانَت الوَفاةُ خَيراً لي » متفقٌ عليه.

[٣/ ٥٨٧] ـ وعَنْ قَيسِ بنِ أبي حازمٍ قالَ: دَخَلْنا عَلى خَبَّابِ بنِ الأرَتِّ رضيَ اللهُ عنهُ نَعُودُهُ وقد اكْتَوى سَبْعَ كَيَّاتٍ فقال: إنَّ أصْحابَنا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، ولَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيا، وإنَّا أصَبْنَا ما لا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعاً إلا التُرابَ ولَوْلا أنَّ النَّبي ﷺ نهانَا أنْ ندعوَ بالمَوْتِ لَدَعَوْتُ به، ثُمَّ أتَيْناهُ مَرَّةً أُخرى وهُوَ يَبْني حائطاً لَهُ، فقال: إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ في كُلِّ شيءٍ يُنْفِقُهُ إلا في شَيءٍ يَجْعَلُهُ في هذا الترابِ. متفقٌ عليه. وهذا لفظ رواية البخاري.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب كراهة تمني الموت لضر نزل به إلا أن يكون لفتنة في الدين، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه» مثل أن يصاب الإنسان بمرض شديد أو بفقر شديد، أو بدين متعب، فيقول: اللهم أمتني حتى أستريح من هذه الدنيا، فإن هذا حرام ولا يجوز، لأنه لو مات

(٢/ ٥٨٦) صحيح: رواه البخاري (٥٦٧١)، ومسلم (٢٦٨٠).
(٣/ ٥٨٧) صحيح: رواه البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).

Marfat.com

فإنه لن يستريح، ربما ينتقل من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة أشد وأشد.

ولهذا نهى النبي عليه الصلاة والسلام أن تتمنى الموت للضر الذي ينزل بك ، ولكن قابل هذه المصائب بالصبر والاحتساب وانتظار الفرج، واعلم أن دوام الحال من المحال، والله عز وجل يقدر الليل والنهار، ويخلف الأمور على وجه لا يحتسبه الإنسان ولا يظنه، لأن الله إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، فلا تتمن الموت لضر نزل بك.

أما ما يتعلق بفتنة الدين، إذا افتتن الناس في دينهم وأصابتهم فتنة؛ إما في زخارف الدنيا أو غيرها من الفتن، أو أفكار فاسدة، أو ديانات منحرفة أو غير ذلك، فهذا أيضًا لا يتمنى بسببه الإنسان الموت، ولكن يقول: اللهم اقبضني إليك غير مفتون، فيسأل الله أن يُثَبِّته وأن يقبضه إليه غير مفتون.

وإلا فليصبر لأنه ربما يكون بقاؤه مع هذه الفتن خيرًا للمسلمين؛ يدافع عنهم ويناضل، ويساعد المسلمين ويقوي ظهورهم، لكن يقول: الله إن أردت بعبادتك فتنة ؛ فاقبضني إليك غير مفتون.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**فإن كان لابد فاعلاً، فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خير لي**»؛ فأنت لا تدري وجه الخير في ذلك، فاجعل الأمر إلى الله: «**اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي**» يعني إذا كانت. «**وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**».

فإذا دعوت الله بهذا الدعاء، فإن الله سبحانه وتعالى يستجيب دعاءك.

وفي هذا الحديث: دليل علي جواز الشرط في الدعاء، أن تشترط على الله عز وجل في الدعاء، وقد جاء ذلك في نصوص أخرى؛ مثل: آية اللعان فإن الزوج يقول في الخامسة: إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، وهي تقول في الخامسة: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين فالشرط في الدعاء لا بأس به.

ثم ذكر المؤلف حديث قيس بن حازم حين دخلوا على خباب بن الأرت رضي الله عنه وهو من الصحابة الأجلاء، دخلوا يعودونه بعد أن فتحت الدنيا على المسلمين.

والمسلمون كانوا في العهد الأول فقراء، ولكن الله أغناهم بالغنائم الكثيرة التي غنموها من الكفار بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ٢٠]. وقال: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ١٩].

فلما فتح الله على المسلمين كثرت الأموال عندهم، فزادت ونمت، فحصل لبعضهم ترف، وصار بعضهم إذا قدم له الغداء أو العشاء يبكي على ما كانوا عليه من ضحالة العيش وقلة ذات اليد. دخلوا على خباب بن الأرت رضي الله عنه وهو مريض وقد اكتوى سبع

Marfat.com

كيات.

والكي: أحد الأدوية النافعة بإذن الله، ثلاثة أشياء نص عليها الرسول عليه الصلاة والسلام وبين أن بها الشفاء بإذن الله: «الكي والحجامة والعسل»[(١)] ؛ هذه الثلاثة من أنفع ما يكون بإذن الله عز وجل، وهناك بعض العلل ما ينفع فيها إلا الكي، فمثلاً ذات الجنب، وهو داء يصيب الرئة فتتجلط وتلصق بالصدر ويموت الإنسان منها إلا أن يشفيه الله عز وجل بأسباب. هذا النوع من الأمراض لا ينفع فيه إلا الكي، كم من مريض يصاب بذات الجنب يذهب إلى الأطباء ويعطونه الإبر والأدوية وغيرها ولا ينفع، فإذا كوى برئ بإذن الله. كذلك هناك أشياء تصيب الأمعاء تسمى عند أطباء العرب الطير؛ لأنها تتفرق في الجسد، هذه أيضًا لا ينفع فيها إلا الكي، مهما أعطيت المريض من الأدوية لا ينفع فيها إلا الكي. هناك أيضًا شيء ثالث يسمى عند الناس الحبة، ورم يظهر في الفم أو في الحلق، وإذا انفجر هلك الإنسان، هذا أيضًا لا ينفع فيه إلا الكي، وأشياء كثيرة ما ينفع فيها إلا الكي. خباب بن الأرت رضي الله عنه كوي سبع كيات، ثم جاءه أصحابه يعودونه فأخبرهم أن النبي ﷺ يعني في البناء لأن البناء إذا اقتصر الإنسان على ما يكفيه، فإنه لا يحتاج إلى كبير نفقته. يبني له حجرة تكفيه هو وعائلته كما كان الرسول ﷺ وهو أشرف الخلق، كانت بيوته حجرًا، لكل زوجة من زوجاته حجرة، وليس فيها أكثر من ذلك، وعند قضاء الحاجة يخرجون إلى الخلاء ويقضون حاجتهم فيه. لكن تتطور الناس، ومن علامات الساعة: «أن ترى الحفاة العراة العالة» يعني الفقراء «يتطاولون في البنيان»[(٢)] في علو السماء أو في تذويقه وتحسينه، فهذا المال الذي يجعل في البناء لا يؤجر الإنسان عليه، اللهم إلا بناء يجعله للفقراء يسكنونه، أو فيه أجر، بل ربما إذا زاد الإنسان فيه حصل له وزر، مثل ما يفعل بعض الفقراء الآن.

الآن عندنا فقراء يستدين الإنسان منهم إلى عشر سنين أو خمسة عشر وإن طال الأجل إلى عشرين سنة، من أجل أن يرصع بنيانه بالأحجار الجميلة، أو من أجل أن يضع له أقواسًا أو شرفات، وهو مسكين يعمل هذا العمل المنهي عنه ويستدين على نفسه الديون الكثيرة.

وأما البنيان الذي يكون علي حسب العادة ، وليس فيه تفاخر ولا سرف ولا استدانة من أحد، فهذا لا بأس به وليس فيه إثم إن شاء الله.

---

(١) صحيح: انظر البخاري (٥٦٨١)، وابن ماجه (٣٤٩١) بلفظ «الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية نار..»..

(١) صحيح: رواه مسلم (٨) والترمذي (٢٦١٠).

Marfat.com

٦٨ ـ باب الورع وترك الشبهات

قال اللهُ تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور:١٥) ، وقالَ تعالى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ (الفجر:١٤).

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ (باب الورع وترك الشبهات).

الورع والزهد يشتبه معناهما عند كثير من الناس، لكن الفرق بينهما كما قال ابن القيم رحمه الله في كتاب «الروح»: الورع ترك ما يضر في الآخرة، والزهد ترك ما لا ينفع، فمقام الزهد أعلى من مقام الورع، لأن الورع أن يترك الإنسان ما يضر، والزهد أن يترك ما لا ينفع، لأن الأشياء ثلاثة أقسام: ضار ونافع وما ليس بضار ولا نافع.

فالزاهد يترك شيئين من هذا: يترك الضار، ويترك ما ليس بنافع ولا ضار، ويفعل ما هو نافع.

والورعُ يترك شيئًا واحدًا منها وهو ما كان ضارًا، ويفعل النافع الشيء الذي ليس فيه نفع ولا ضرر.

وبهذا صارت منزلة الزاهد أرفع من منزلة الورع، وربما يطلق أحدهما على الآخر؛ فالورع ترك ما يضر، ومن ذلك ترك الأشياء المشتبهة؛ المشتبهة في حكمها، والمشتبهة في حقيقتها، فالأول اشتباه في الحكم، والثاني اشتباه في الحال، فالإنسان الورع هو الذي إذا اشتبه عليه الأمر تركه إن كان اشتباهًا في تحريمه، وفعله إن كان اشتباهًا في وجوبه لئلا يأثم بالترك.

ثم إن المؤلف ـ رحمه الله ـ ذكر آيتين في هذا الباب، ذكر قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور:١٥]. ﴿وَتَحْسَبُونَهُ﴾ الضمير يعود على ما تلقاه الناس في الحديث الإفك الكذب في حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[١] وذلك أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كانت زوج النبي ﷺ ، وكان المنافقون يتربصون بالنبي ﷺ أن يشوهوا سمعته،ويدنسوا عرضه فحصلت غزوة من الغزوات ، فلما قفل النبى ﷺ راجعًا منها نام في أثناء الطريق، وكان لنساء النبي ﷺ رجال يساعدون في ترحيلهن.

فلما كان في آخر الليل ذهبت عائشة رضي الله عنها لقضاء حاجتها، فجاء الذين

(١) صحيح: رواه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠).

Marfat.com

يحملون الهودج الذي تركب فيه فحملوه على البعير وشدوه عليه، وظنوا أنها بداخله لأنها كانت في ذلك الوقت صغيرة السن خفيفة الوزن.

ثم سار الركب، فلما رجعت عائشة رضي الله عنها إلى المكان وجدت الناس قد رحلوا، فكان من ذكائها وثبات جأشها وطمأنينتها أن بقيت في المكان، ما ذهبت تتجول يمينًا وشمالاً، لأنها لو ذهبت ربما ضاعت وضيعوها، لكنها بقيت في مكانها، وكان رجل من خيار الصحابة يقال له صفوان بن المعطل نائمًا وكان من قوم إذا ناموا لم يستيقظوا إلا إذا شبعوا من النوم، فلو أيقظت أحدهم قبل أن يأخذ كفايته من النوم لم يستيقظ.

فاستيقظ صفوان رضي الله عنه فوجد الناس قد رحلوا، ورأى هذا الشبح؛ هذا السواد، فأقبل إليها، فإذا هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وكان يعرفها قبل أن ينزل الحجاب، فماذا صنع هذا الرجل؟

أناخ البعير، ولم يتكلم بأي كلمة احترامًا لفراش رسول الله ﷺ لا يريد أن يتكلم مع زوجته في مثل هذا المكان، أناخ البعير، ووضع رجله على ساق البعير، فركبت عائشة رضي الله عنها فأخذ الزمام وجعل يقود البعير. ليجعل عائشة خفله .

فلما أقبل على القوم تكلم المنافقون، ورأوا في ذلك فرصة، وقالوا فى أم المؤمنين ما هم فيه كاذبون ، امرأة فى سفر مع رجل تتأخر عن القوم فصاروا يتكلمون في عرض عائشة، وهم لا يريدون عرض عائشة، لا تهمهم فتاة عند زوجها ، الذي يهمهم تدنيس فراش رسول الله ﷺ : ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

فجعلوا يتكلمون ، وكان من حكمة الله عز وجل أن عائشة لما قدموا المدينة مرضت وبقيت فبي بيتها، وكان النبي ﷺ يدخل عليها لكنها لم تر منه ما كانت تراه في السابق، كان يمر ويقول: «كيف تيكم؟» ، يعني : كيف هذه ؟ يسأل هكذا سؤالاً عابرًا، لا يستقصي في السؤال فيقول مثلاً: كيف هي اليوم؟ عساها أحسن من أمس، وما أشبه ذلك، ولكنه يقول هذه الكلمة لأن كلام المنافقين قد شاع في المدينة وصار عند بعض المؤمنين تردد والرسول عليه والصلاة والسلام كان لا يشك في أهله، ويرى أن الله عز وجل يأبي بحكمته أن يدنس فراش نبيه ﷺ .ولم يكن ليصدق بهذا أبدًا لكن مع كثرة الكلام وكثرة القرع وكثرة الإرجاف تردد الرسول ﷺ في الأمر، وبعد أن مضى نحو شهر خرجت عائشة رضي الله عنها وخالتها أم مسطح بن أثاثة ، خرجت تقضي حاجتها، وكانوا في هذا الوقت ليس عندهم مراحيض في البيوت، إذا أراد الواحد أن يقضي حاجته خرج إلى الخلاء وبحث عن مكان مطمئن نازل وقضى فيه حاجته.

Marfat.com

فخرجت مع أم مسطح إلى مكان قضاء الحاجة، فعثرت أم مسطح، فقالت: تعس مسطح، فتعجبت عائشة: كيف تقول لرجل من المهاجرين شهد بدرًا تقول فيه: تعس مسطح، وهو كذلك ابنها؟ فسألتها عائشة عن سبب قولها ذلك.

فإن تعس معناها: خسر وهلك، فقالت: أما علمت بكذا وكذا وكذا، وأخبرتها بقصة الإفك، وأن مسطحًا كان ممن صدقوا تلك الفرية، فازدادت عائشة رضي الله عنها مرضًا إلى مرضها، وصارت تبكي ليلاً ونهارًا لا يرقأ لها دمع، ولا تهنأ بعيش.

وبينما الأمر كذلك حتى انتهى نفاق المنافقين إلى الرأس، أنزل الله فيها هذه الآيات الكريمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ يعني طائفة منكم ﴿لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ سبحان الله!! هذا الإفك والرمي بالفاحشة لا تحسبه شرًا! نعم لا نحسبه شرًا، بل هو خير لرسول الله ﷺ وزوجه والمؤمنين؛ لأنه حصل به من تمحيص الذنوب ورفعة المقامات، والدفاع عن عرض الرسول عليه الصلاة والسلام وفراشه ما هو خير.

﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ﴾ كل واحد تكلم في هذا الأمر له ما اكتسب من الإثم ﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

أعظمهم إثمًا الذي قاد هذه الفتنة وأوقد نارها والعياذ بالله.

ثم ساق الله تعالى الآيات إلي قوله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥].

وكان الورع والتقي ألا يتكلموا في هذا الأمر، وأن يسألوا أنفسهم: من أين مصدره؟ من المنافقين الذين هم أكذب الناس!.

ولهذا من علامات النفاق الكذب، استمعوا إلي قول الله عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ شهادة مؤكدة بإن واللام. قال الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ حق إنك رسوله ومع ذلك: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

شهادة بشهادة أيهما أعظم؛ قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أم قول الله ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾! لا شك أن قول الله أصدق، فهو يشهد عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ وفي قولهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾.

هذه الفاحشة التي أشيعت مصدرها من المنافقين، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، لكن الخبيث ما كان ليتكلم صراحة، يأتي إلى الناس ويقول: أما سمعتم ما قيل في

Marfat.com

عائشة، قيل كذا وكذا.

وهناك أناس من المؤمنين تكلموا بهذا صراحة، منهم مسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت رضي الله عنهما ، وحمنة بنت جحش، تكلموا لأنهم بشر، وأقسم أبو بكر رضي الله عنه ألا ينفق علي مسطح بن أثاثة وهو ابن خالته، لكنه أقسم ألا ينفق عليه، لا لأنه قال في ابنته، بل قال في رسول الله ﷺ ما لا يليق.

فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٢].

﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ : أي لا يحلف ، والمراد بذلك أبو بكر. ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢٢]. يعني بذلك مسطحًا، فلا ينبغي لأهل الفضل أمثال أبي بكر رضي الله عنه أن يمتنعوا عن الإنفاق على أولى القربى والمساكين والمهاجرين، وإن هم أخطئوا في بعض الأمور.

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]. لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر: بلى والله، نحب أن يغفر الله لنا، فرد النفقة على مسطح، فامتثل أبو بكر هذا الامتثال العظيم.

ثم أمر النبي ﷺ أن يجلد مسطح وحسان وحمنة، كل واحد منهم ثمانين جلدة حد القذف، لكن عبد الله بن أبي ما أمر بجلده، لأنه خبيث ما كان يصرح، ولأن الحد تطهير للمحدود، وعبد الله بن أبي ليس أهلاً للطهارة، لأنه نجس خبيث.

فالحاصل أن من الورع ألا يتكلم إلا بما يعلم، وهذا الاستشهاد الذي اشتهد به المؤلف ينطبق تمامًا على زماننا الآن، ما أكثر الذين يتكلمون في ولاة الأمور بغير علم، ما أكثر الذين يتكلمون في العلماء بغير علم، ما أكثر الذين يتكلمون في طلبة العلم بغير علم، ما أكثر الذين يتكلمون في المحسنين من ذوي الأموال بغير علم.

فليس عند أكثر الناس ورع، يتكلم الإنسان بما جاء على لسانه من غير أن يتحقق، وهذا من الظلم والعدوان على من تكلم فيه. لما قال الرسول عليه الصلاة والسلام في الغيبة إنها: «ذكرك أخاك بما يكره» قالوا: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[1] .

* * *

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٨٩) أبو داود (٤٨٧٤). الترمذي (١٩٣٤).

Marfat.com

[٥٨٨/١] ـ وعن النُّعمان بن بَشير رضيَ اللهُ عنهما قال : سَمعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقُولُ : « إنَّ الحَلالَ بيِّنٌ ، وإنَّ الحَرامَ بيِّنٌ ، وبَيْنَهُما مُشْتَبهاتٌ لا يَعْلَمهُنَّ كثيرٌ منَ النَّاس ، فَمَن اتَّقى الشُّبهات ، استَبْرأ لدينه وعرْضه ، ومَنْ وقَعَ فى الشُّبهات ، وقَعَ فى الحَرامِ ، كالرَّاعى يَرْعى حَوْلَ الحمَى يُوشكُ أنْ يَرْتَعَ فيه ، ألا وإنَّ لكُلِّ مَلك حمًى ، ألا وإنَّ حمى الله مَحَارمُهُ ، ألا وإنَّ فى الجَسَد مُضْغَةً إذا صَلَحت صَلَحَ الجَسدُ كُلُّهُ ، وإذا فَسدَتْ فَسدَ الجَسَدُ كُلُّهُ : ألا وهىَ القَلْبُ » متفقٌ عليه . ورَوَياه منْ طُرُق بألفاظ مُتَقاربَة .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ فيما نقله عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: **«إن الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس»** قسم النبي ﷺ الأمور إلى ثلاثة أقسام: حلال بين، وحرام بين، ومشتبه.

الحلال البين كحل بهيمة الأنعام ، والحرام البين كتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، وكل ما في القرآن من كلمة «أحل» فهو حلال، ومن كلمة «حرم» فهو حرام ، فقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة:٢٧٥]. هذا حلال بين، وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥]. هذا حرام بين.

هناك أمور مشتبهات تخفي على الناس، وأسباب الخفاء كثيرة، منها ألا يكون النص ثابتًا عند الإنسان فيتردد هل يصح عن الرسول عليه الصلاة والسلام أو لا يصبح، ثم إذا صح قد تشتبه دلالته هل يدل علي كذا أو لا يدل؟ ثم إذا دل على شيء معين فقد يشتبه : هل له مخصص إن كان عامًا؟ هل له مقيد إن كان مطلقًا، ثم إذا تبين قد يشتبه هل هو باقٍ أو منسوخ.

المهم أن أسباب الاشتباه كثيرة، فما هو الطريق إلى حل هذا الاشتباه؟ الطريق بينه النبي عليه الصلاة والسلام فقال: **«فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه »** من اتقاها يعني تجنبها إلي الشيء الواضح البين فقد استبرأ لدينه وعرضه.

«استبرأ لدينه» : حيث سلم من الوقوع في المحرم، **«ولعرضه»**: حيث سلم من كلام الناس فيه، لأنه إذا أخذ الأمور المشتبهة صار عرضة للكلام فيه، كما إذا أتي الأمور البينة الواضح تحريمها.

ثم ضرب النبي ﷺ مثلاً لذلك بالراعي الذي يرعى الغنم، أو الإبل أو البقر «يرعى

(٥٨٨ /١) صحيح : رواه البخارى (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

Marfat.com

حول الحمى» يعني حول الحمى الذي حماه أحد من الناس لا يرعى فيه أحد، ومعلوم أنه إذا حمي ازدهر وكثر عشبه أوكثر زرعه، لأن الناس لا ينتهكونه بالرعي، فالراعي الذى يرعى حول الحمى، يوشك أن يقع فيه، لأن البهائم إذا رأت الخضرة في هذا لمحمي، ورأت العشب، فإنها تنطلق إليه وتحتاج إلى ملاحظة ومراقبة كبيرة.

ولو لاحظ الإنسان وراقب، فإنه قد يغفل ، وقد تغلبه هذه البهائم، فترتع في هذا الحمي «**كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه**».

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا وإن لكل ملك حمى**» وهذا يحتمل أن الرسول ﷺ قال ذلك إقرارًا له، وأن الملك له أن يحمي مكانًا معينًا يكثر فيه العشب لبهائم المسلمين، وهي البهائم التي تكون في بيت المال، كإبل الصدقة، وخيل الجهاد وما أشبه ذلك.

وأما الذي يحمي لنفسه فإن ذلك حرم عليه، لا يحل لأحد أن يحمي شيئًا من أرض الله يختص بها دون عباد الله، فإن ذلك حرام عليه، لأن النبي ﷺ قال: «**المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار**»[1] .

فالكلأ لا يجوز لأحد أن يحميه فيضع عليه الشيك، أو يضع عنده جنودًا يمنعون الناس من أن يراعوا فيه، فهو غصب لهذا المكان، وإن لم يكن غصبًا خاصًا، لأنه ليس ملكًا لأحد لكنه منع لشيء يشترك فيه الناس جميعًا، فهذا لا يجوز، ولهذا قال أهل العلم: يجوز للإمام أن يتخذ حمى مرعيً لدواب المسلمين بشرط ألا يضرهم أيضًا.

فقول الرسول ﷺ : «**ألا وإن لكل ملك حمى**» يُحتمل أنه إقرار، فإن كان كذلك فالمراد به ما يحميه الملك لدواب المسلمين كخيول الجهاد، وإبل الصدقة، وما أشبه ذلك.

ويحتمل أنه إخبار بالواقع وإن لم يكن إقرارًا له، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد يخبر بالشيء الواقع أو الذي سيقع من غير إقرار له، أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أننا سنركب سنن اليهود والنصارى. فقال: «**لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبًا لدخلتموه**» قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن**»[2] فهذا ليس إقرارًا ولكنه تحذير.

علي كل حال فالملك له حمي سواء بحق أو بغير حق، فإذا جاء الناس يرعون حول الحمى، حول الأرض المعشبة المخضرة فإنهم لا يملكون منع البهائم أن ترتع فيها.

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٧٧) وابن ماجه (٢٤٧٢) وصححه الألباني في الإرواء (١٥٥٢).
(٢) صحيح: رواه أحمد (٤/ ١٢٥) وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٤٨).

Marfat.com

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا وإن حمى الله محارمه**» الله عز وجل أحاط الشريعة بسياج محكم، حمى كل شيء محرم يضر الناس في دينهم ودنياهم، وإذا كان الشيء مما تدعو النفوس إليه شدد السياج حوله.

انظر مثلاً إلى الزنى والعياذ بالله، الزنى سببه قوة الشهوة وضعف الإيمان، لكن النفوس تدعو إليه، لأنه جبلة وطبيعة، فجعل حوله سياجًا يبعد الناس عنه فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ [الإسراء: ٣٢]. لم يقل ولا تزنوا ، قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ يشمل كل ذريعة توصل إلى الزنى من النظر واللمس والمحادثة وغير ذلك.

كذلك الربا حرمه الله عز وجل، ولما كانت النفوس تطلبه لما فيه من الفائدة حرم كل ذريعة إليه، فحرم الحيل على الربا ومنعها، وهكذا جعل الله عز وجل للمحارم حمى له تمنع الناس من الوقوع فيها.

ثم قال ﷺ : «**ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**»، «**مضغة**» يعني: قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغه الإنسان، لكن شأنها عظيم، هي التي تدير الجسد «**إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**» ليست العين ولا الأنف ، ولا اللسان، ولا اليد، ولا الرجل، ولا الكبد، ولا غيرها من الأعضاء، إنما هي القلب، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام.

يقول: «**اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك**»(١) .

فالإنسان مدار صلاحه وفساده على القلب، ولهذا عليك أيها المسلم أن تعتني بصلاح قلبك، فصلاح الظواهر وأعمال الجوارح طيب، ولكن الشأن كل الشأن في صلاح القلب، يقول الله عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]. ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ من الهيئة الحسنة، وحسن عمل الجوارح، وإذا قالوا قولاً تسمع له من حسنه وزخرفته، لكن قلوبهم خربة والعياذ بالله، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]. ليس فيها خير.

فاعتن يا عبد الله بصلاح قلبك، وانظر قلبك هل فيه شيء من الشر؟ هل فيه شيء من كراهة ما أنزل الله؟ هل فيه شيء من كراهة عباد الله الصالحين؟ هل فيه شيء من الميل إلى الكفار؟ هل فيه شيء من موالاة الكفار؟ هل فيه شيء من الحسد، هل فيه شيء من

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٥٤) والترمذي (٣٥٢٢).

Marfat.com

الغل؟ هل فيه شيء من الحقد؟ أو غير ذلك من الأمراض العظيمة الكثيرة فإذا كان فيه من ذلك فطهر قلبك من هذا وأصلحه ، فإن المدار عليه.

﴿أفلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات:٩، ١٠]، هذا في يوم القيامة، العمل يكون على الباطن، في الدنيا العمل يكون على الظاهر، ما لنا إلا ظواهر الناس، لكن في الآخرة العمل علي الباطن، أصلح الله قلوبنا وقلوبكم .

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق:٩]. يعني: تختبر البواطن فمن كان من المؤمنين ظهر إيمانه، ومن كان من أهل النفاق ظهر نفاقه والعياذ بالله.

لذلك أصلح قلبك يا أخي ، لا تكره شريعة الله، لا تكره عباد الله الصالحين، لا تكره أي شيء مما أنزل الله، فإن كراهتك لشيء مما أنزل الله كفر بالله تعالى، ودليل علي عدم إيمانك، ودليل على أن الإيمان لم يتمكن من قلبك.

* * *

٢/ ٥٨٩ ــ وعن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً في الطَّرِيقِ ، فقالَ: « لَولا أنِّي أخافُ أنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لأكَلْتُها » متفقٌ عليه .

[٣/ ٥٩٠] ــ وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمعانَ رضيَ الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال : « البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ ، وَالإثمُ ما حاكَ في نَفْسِكَ ، وكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عليهِ النَّاسُ » رواهُ مسلم .

« حَاكَ » بالحاءِ المهملة والكاف ، أيْ : تَرَدَّدَ فيه .

[٤/ ٥٩١] ــ وعن وابصةَ بن معبد رضيَ اللهُ عنه قال : أتيْتُ رسُولَ الله ﷺ فقال: « جئْتَ تَسْألُ عَنِ البرِّ ؟ » قلت : نعم ، فقال : « اسْتَفتِ قَلْبَكَ ، البرُّ : ما اطْمَأنَّتْ إلَيْهِ النَّفْسُ ، واطمَأنَّ إلَيْهِ القَلْبُ ، والإثمُ ما حاكَ في النَّفْسِ وتَرَدَّدَ في الصَّدْرِ ، وإنْ أفْتَاكَ النَّاسُ وأفْتَوكَ» حديثٌ حسن ، رواهُ أحمدُ ، والدَّارِميُّ في « مُسْنَدَيْهِما » .

الشرح

قال المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين في (باب الورع وترك الشهوات): عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «البر حسن

(٢/ ٥٨٩) صحيح : رواه البخارى (٢٠٥٥) مسلم (١٠٧١) .

(٣/ ٥٩٠) صحيح : رواه مسلم (٢٥٥٣) وأحمد (٤/ ١٨٢).

(٤/ ٥٩١) حسن : رواه أحمد (٤/ ٢٢٨) ، والدارمي (٢/ ٢٤٦) والبخاري في التاريخ وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٤٨).

Marfat.com

الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

فقوله عليه الصلاة والسلام: «البر حسن الخلق» يعني أن حسن الخلق من البر الداخل في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وحسن الخلق يكون في عبادة الله، ويكون في معاملة عباد الله.

فحسن الخلق في عبادة الله: أن يتلقي الإنسان أوامر الله بصدر منشرح، ونفس مطمئنة، ويفعل ذلك بانقياد تام، بدون تردد، وبدون شك، وبدون تسخط، يؤدي الصلاة مع الجماعة منقادًا لذلك، يتوضأ في أيام البرد منقادًا لذلك، يتصدق بالزكاة من ماله منقادًا لذلك، يصوم رمضان منقادًا لذلك، يحج منقادًا لذلك. وأما في معاملة الناس بأن يقوم ببر الوالدين، وصلة الأرحام وحسن الجوار، والنصح بالمعاملة وغير هذا، وهو منشرح الصدر، واسع البال، لا يضيق بذلك ذرعًا، ولا يتضجر منه، فإذا علمت من نفسك أنك في هذه الحال، فإنك من أهل البر. أما الإثم فهو أن الإنسان يتردد في الشيء، ويشك فيه ، ولا ترتاح له نفسه، وهذا فيمن نفسه مطمئنة راضية، بشرع الله. وأما أهل الفسوق والفجور فإنهم لا يترددون في الآثام، تجد الإنسان منهم يفعل المعصية منشرحًا بها صدره والعياذ بالله، ولا يبالي بذلك، لكن صاحب الخير الذي وفق للبر هو الذي يتردد الشيء في نفسه، ولا تطمئن إليه، ويحيك في صدره، فيعلم ذلك أنه إثم، وموقف الإنسان من هذا أن يدعه، وأن يتركه إلى شيء تطمئن إليه نفسه، ولا يكون في صدره حرج منه، وهذا هو الورع، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «وإن أفتاك الناس وأفتوك» حتى لو أفتاك مفت بأن هذا جائز، ولكن نفسك لم تطمئن ولم تنشرح إليه فدعه، فإن هذا من الخير والبر. إلا إذا علمت أن في نفسك مرضًا من الوسواس والشك والتردد فيما أحل الله، فلا تلتفت لهذا، والنبي عليه الصلاة والسلام إنما يخاطب الناس، أو يتكلم على الوجه الذي ليس فيه أمراض، أي ليس في قلب صاحبه مرض، فإن البر هو ما اطمأنت إليه نفس صاحب هذا القلب الصحيح، والإثم ما حاك في صدره وكره أن يطلع عليه الناس.

* * *

[٥/٥٩٢] ــ وعن أبي سِرْوَعَةَ ــ بكسر السين المهملة ونصبها ــ عُقْبَةَ بن الحَارث رضيَ الله عنهُ أنَّهُ تزوَّجَ ابنَةً لأبي إهابِ بنِ عَزِيزٍ ، فأتتْهُ امرأةٌ فقالتَ : إنِّي أرْضَعْتُ عُقْبَةَ

(٥ / ٥٩٢) صحيح: رواه البخاري (٢٦٤٠).

Marfat.com

وَالَّتى قَدْ تزَوَّجَ بها ، فقال لَها عُقْبَةُ : ما أعْلَمُ أنَّك أرْضَعْتنى ولا أخْبَرْتنى ، فَرَكِبَ إلى رَسُولِ الله ﷺ بالمدينة ، فَسَأَلَهُ ، فقال رَسُولُ الله ﷺ : « كَيْفَ ، وَقَدْ قِيلَ ؟ ! » فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحتْ زَوْجاً غَيرَهُ . رواهُ البخارى . « إهَابٌ » بكسر الهمزة ، وَ « عَزِيزٌ » بفتح العين وبزاى مكرَّرة .

[٦/ ٥٩٣] ـ وعن الحَسَنِ بن علىّ رضىَ اللهُ عنهما ، قال : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ : « دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى مَالا يَرِيبُكَ » رواه الترمذى وقال : حديث حسَن صحيح .

الشرح

هذان الحديثان ذكرهما المؤلف ـ رحمه الله ـ في (باب الورع وترك الشبهات). فالأول: في مسألة الرضاع: حديث عقبة، والثاني في ترك المتشابه: حديث الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما. أما الأول: فإن عقبة تزوج امرأة ابن أبي أهاب، فلما تزوجها جاءت امرأة فقالت: إني أرضعته هو والمرأة التي تزوجها، يعني فيكون أخًا لها من الرضاع، وأخوها من الرضاع يحرم عليها كما يحرم عليها أخوها من النسب، لقول النبي ﷺ : «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»(١) ولكن لابد لهذا من شروط:

الشرط الأول: أن يكون اللبن من آدمية، فلو اشترك طفلان في الرضاع من شاة أو من بقرة أو من بعير، فإنهما لا يصيران أخوين، لأنه لابد أن يكون الرضاع من آدمية لقوله تعالى: ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

الشرط الثاني: لابد أن يكون الرضاع خمس رضعات فأكثر، فإن كان مرة واحدة أو مرتين أو ثلاث مرات أو أربع مرات، فإنه ليس بشيء، ولا يؤثر ، فلو أن امرأة أرضعت طفلاً أربع مرات في أربعة أيام كل مرة يشبع، فإنه لا يكون ابنا لها ، لابد من خمس ، ولو أرضعته خمس مرات ولو لم يشبع فإنها تكون أما له ، ويكون الرضاع محرمًا.

الشرط الثالث: لابد أن يكون في زمن الإرضاع، وهو ما قبل الفطام في الحولين، فإن لم يكن في هذا الزمن بأن أرضعته وهو كبير، فإن ذلك لا يؤثر، فلو أن طفلاً له خمس سنوات رضع من امرأة خمس مرات أو عشر مرات، فإنه لا يكون ابناً لها من الرضاع، لأنه ليس في زمن الإرضاع.

فهذه شروط ثلاثة، وإذا ثبت التحريم فإنه ينتشر إلى المرتضع وذريته فقط، ولا ينتشر

(٦/ ٥٩٣) صحيح : رواه الترمذي (٢٥١٨). وصححه الألباني في الإرواء (٢٠٧٤).

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٦٤٥)،، ومسلم (١٤٤٧).

Marfat.com

إلى إخوانه وآبائه وأمهاته، وعلى هذا فيجوز لأخي الطفل الراضع أن يتزوج أخت أخيه من الرضاع، وأن يتزوج أم أخيه من الرضاع، لأنه لا تأثير في الرضاع إلا علي المرتضع وذريته يعني فروعه.

فأما أصوله وحواشيه : أصوله من آباء وأمهات، وحواشيه من إخوة، وأعمام، وأبنائهم، وبناتهم، فإنه لا تأثير لهم في الرضاع، سواء كان أكبر منه أو أصغر منه، وما اشتهر عند العامة من أن إخـوته الذين هم أصغر منه يلحقهم حكم الرضاع، فإنه لا صحة له .

بعض العوام يقول: إذا رضع طفل من امرأة صار ابنًا لها وصار إخوته الذين من بعده أبناءً لها وهذا غير صحيح، بل جميع إخوته ليس لهم فيها تعلق بوجه من الوجوه.

وأما حديث الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فإنه سمع النبي ﷺ وحفظ منه هذه الجملة المفيدة العظيمة التي تعتبر قاعدة في الورع وهي: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**» يريبك: أي يحصل لك به ريب وشك، فدعه ولا تأخذ إلا بما تيقنته أو غلب على ظنك، إن كان مما يفيد فيه غلبة الظن.

وأما ما شككت فيه فدعه، وهذا أصل من أصول الورع، ولهذا رأى النبي ﷺ تمرة في الطريق فلم يأكلها وقال: «**لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها**»(١) وهذا يدخل في هذا الحديث: «**دع ما يربك إلى ما لا يريبك**».

ومن ذلك ما إذا كان بينك وبين شخص محاسبة، وحصل زيادة لك من أجل هذه المحاسبة، وشككت فيها فدعها، وإذا شك فيها صاحبك وتركها فتصدق بها تخلصًا منها، أو تجعلها صدقة معلقة؛ بأن تقول: اللهم إن كانت لي فهي صدقة أتقرب بها إليك، وإن لم تكن لي فهو مالٌ أتخلص بالصدقة به من عذابه.

والحاصل أن هذا الحديث حديث عظيم في باب الورع: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**» ما تشك فيه اتركه وخذ بالشيء الذي لا يلحقك به قلق ولا شك ولا اضطراب.

* * *

[٧/ ٥٩٤] ـ وعن عائشةَ رضىَ اللهُ عنها ، قالت : كان لأبى بكْرٍ الصِّدِّيق ، رَضىَ اللهُ عنهُ ، غُلامٌ يُخرِجُ لَهُ الخَراجَ وكانَ أبو بكْرٍ يَأكُلُ مِنْ خرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوماً بِشَيءٍ ، فأكَلَ

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٣١) ومسلم (١٠٧١).
(٧/ ٥٩٤) صحيح: رواه البخاري (٣٨٤٢).

Marfat.com

منهُ أبو بكرٍ ، فقَالَ لَهُ الغُلامُ : تَدْرى مَا هذا ؟ فَقَالَ أبو بكر : ومَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لإنسان فى الجاهليَّة ومَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ إلا أنِّى خَدَعْتُهُ ، فَلَقِيَنِى ، فَأعْطَانى بذلكَ هذا الذى أكلتَ مِنْهُ ، فَأدْخَلَ أبو بكْرٍ يَدَه فَقَاءَ كُلَّ شَىْءٍ فى بَطنِهِ . رواه البخارى.

الشرح

نقل الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب الورع وترك الشبهات عن عائشة رضي الله عنها أن غلامًا كان لأبي بكر، وكان أبو بكر يخارجه ـ أي يدعه يشتغل ويضرب عليه خراجًا معينًا ـ ويقول: أنت لي كل يوم بكذا وكذا وما زاد فهو لك.

وهذه المخارجة جائزة بالنسبة للعبيد، إذا كان الإنسان عنده عبيد وقال لهم: اذهبوا اشتغلوا وائتوني كل يوم بكذا وكذا من الدراهم وما زاد فهو لكم، فإن هذا جائز، لأن العبيد ملك للسيد، فما حصلوه فهو له سواء خارجهم على ذلك أم لم يخارجهم.

لكن فائدة المخارجة أن العبد إذا حصل ما اتفق عليه مع سيده فإن له أن يبقي من غير عمل ، يذهب في طلب العلم، يبقى مستريحًا في بيته أو أن يشتغل ويأخذ ما زاد.

أما بالنسبة للعمال الذي يجلبهم الإنسان إلى البلاد ويقول: اذهبوا وعليكم كل شهر كذا وكذا من الدراهم، فإن هذا حرام وظلم ومخالف لنظام الدولة، والعقد على هذا الوجه باطل، فليس لصاحب العمل شيء مما فرضه على هؤلاء العمال، لأن العامل ربما يكدح ويتعب ولايحصل ما فرضه عليه كفيله وربما لا يحصل شيئًا أبدًا، فكان في هذا ظلم.

أما العبيد فهم عبيد الإنسان، ما لهم وما في أيديهم فهو له.

هذا الغلام لأبي بكر قد خارجه على شيء معين يأتي به إليه كل يوم، وفي يوم من الأيام قدم هذا الغلام طعامًا لأبي بكر فأكله فقال: أتدري ما هذا؟ قال: وما هو؟ قال: هذا عوض عن أجرة كهانة تكهنت بها في الجاهلية وأنا لا أحسن الكهانة، لكني خدعت الرجل فلقيني فأعطاني إياها.

وعوض الكهانة حرام، وسواء كان الكاهن يحسن صنعة الكهانة أو لا يسحن؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن «حلوان الكاهن»[١] .

فلما قال لأبي بكر هذه المقالة، أدخل أبو بكر يده في فمه فقاء كل ما أكل، وأخرجه من بطنه، لئلا يتغذى بطنه بحرام، وهذا مال حرام لأنه عوض عن حرام، وقد قال النبي

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٢٣٧) ومسلم (١٥٦٧).

Marfat.com

ﷺ : «**إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه**» (١) .

فالأجرة على فعل الحرام حرام، ومن ذلك تأجير بعض الناس دكاكينهم على الحلاقين الذين يحلقون اللحى، فإن هذه الأجرة حرام ولا تحل لصاحب الدكان، لأن استؤجر منه لعمل محرم.

ومن ذلك أيضًا تأجير البنوك في المحلات ، فإن تأجير البنوك حرام؛ لأن البنك معاملته كلها أو غالبها حرام، وإذا وجد فيه معاملة حلال فيه خلاف الأصل الذي من أجله أنشيء هذا البنك، فالأصل في إنشاء البنوك أنها للربا، فإذا أجر الإنسان بيته أو دكانه للبنك ، فتعامل فيه بالربا فإن الأجرة حرام، ولا تحل لصاحب البيت أو صاحب الدكان.

وكذلك من أجر شخصًا يبيع المجلات الخليعة أو المحتوية علي الأفكار الرديئة ومصادمة الشرع، فإنه لا يجوز تأجير المحلات لمن يبيع هذه المجلات؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وتأجير المحلات لهؤلاء معونة لهم، وقال النبي ﷺ: «**إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه**».

وفي هذا الحديث: دليل علي شدة ورع أبي بكر رضي الله عنه، فهو جدير بهذا لأنه الخليفة الأول على هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، ولهذا كان قول أهل السنة والجماعة أن أبا بكر رضي الله عنه أفضل هذه الأمة، لأنه الخليفة الأول.

ولأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد خطب في مرضه وقال: «**إنه ليس من الناس أحدٌ أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر**»، ثم قال: «**ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر، ولكن خلة الإسلام أفضل**»(٢) .

والنصوص في هذا كثيرة متواترة ، حتى أمير المؤمنين على بن أبي طالب القائل بالصدق وبالقسط والعدل، كان يقول على منبر الكوفة وقد تواتر ذلك عنه: «**خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر**»(٣) هكذا يقول رضي الله عنه، وقال: «**لا أوتي برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته المفتري**» يعني جلد القذف والكذب ، وهذا من تواضعه رضي الله عنه في الحق وقول الصدق.

وفيه: رد ظاهر على الروافض الذين يفضلون عليًا على أبي بكر وعمر رضي الله

---

(١) صحيح : رواه أبو داود (٣٤٨٨) وأحمد (١/ ٢٤٧) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
(٢) صحيح : رواه البخاري (٤٦٧) ومسلم (٢٣٨٢).
(٣) انظر كنز العمال (٣٢٦٨٤) والعقيلي في الضعفاء (٣/ ١٨١).

Marfat.com

عنهما، بل بعضهم يفضل عليًا على رسول الله ﷺ، ويقول: علي أفضل من محمد وأحق بالرسالة، ولكن جبريل خان الأمانة وانصرف بالرسالة عن علي إلى محمد، ولا شك أنهم على ضلال بين والعياذ بالله، نسأل الله لنا ولهم الهداية.

والحاصل أن أبا بكر رضي الله عنه كان من أهل الورع والزهد والبعد عن المتشبهات؛ ولذلك فقد قاء كل ما في بطنه بعد أن أكله؛ حتى لا يتغذى بطنه على شيء جاء من حرام أو من طريق شبهة.

* * *

[٨/ ٥٩٥]ــ وعن نافعٍ أنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كانَ فَرَضَ للمهاجرينَ الأوَّلينَ أربعةَ آلافٍ وفرضَ لابنه ثلاثةَ آلاف وخمسمائة، فقيل له: هو من المهاجرين فَلِمَ نَقَصَهُ؟ فقال: إنَّمَا هَاجَرَ به أَبُوهُ، يقُولُ: لَيسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِه. رواهُ البخاري.

[٩/ ٥٩٦]ــ وعن عَطِيَّةَ بنِ عُرْوَةَ السَّعْديِّ الصَّحَابيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ «لا يَبْلُغُ العَبْدُ أنْ يكُونَ مِنَ المُتَّقينَ حتَى يَدَعَ ما لا بَأْسَ بِهِ، حَذَراً لِمَا بِهِ بَأْسٌ». رواهُ الترمذي وقال: حديث حسن.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب الورع وترك الشبهات فيما نقله عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فرض للناس أعطيانهم من بيت المال، فجعل للمهاجرين أربعة آلاف وجعل لابنه عبد الله ثلاثة آلاف وخمسمائة.

وابنه عبد الله مهاجر، فنقصه عن المهاجرين خمسمائة من أربعة الاف، فقيل له: إنه من المهاجرين فلماذا نقصته؟ قال: **«إنه هاجر به أبوه ولم يهاجر هو بنفسه، وليس من هاجر به أبوه كمن هاجر بنفسه»**. وهذا يدل دلالة عظيمة على شدة ورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وهكذا يجب على من تولى شيئًا من أمور المسلمين الا يحابي قريبًا لقرابته، ولا غنيًا لغناه، ولا فقيرًا لفقره، بل ينزل كل أحد منزلته، فهذا من الورع والعدل، ولم يقل عبد الله بن عمر: يا أبت أنا مهاجر ولو شئت لبقيت في مكة، بل وافق على ما فرضه له أبوه.

(٨/ ٥٩٥) صحيح: رواه البخاري (٧/ ٣٩١٢).

(٩ : ٥٩٦) ضعيف: رواه الترمذي (٢٤٥١) وابن ماجه (٤٢١٥) قال الألباني: إسناده ضعيف كما بينه في «تخريج الحلال» ح (١٧٨). وضعفه في ضعيف الترمذي (٤٣٥)، وفي غاية المرام (١٧٨).

Marfat.com

وأما الحديث الأخير في هذا الباب فهو أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتي يدع ما لا بأس به حذراً لما به بأس**» وهذا فيما إذا اشتبه مباح بمحرم، وتعذر التمييز بينهما، فإنه من تمام اليقين والتقوى أن تدع الحلال خوفًا من الوقوع في الحرام.

وهذا أمر واجب كما قاله أهل العلم: إنه إذا اشتبه مباح بمحرم وجب اجتناب الجميع، لأن اجتناب المحرم واجب، ولا يتم إلا باجتناب المباح، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

لكن لو اضطر إلى أحدهما فله أن يتحرى في هذه الحال ويأخذ بما غلب على ظنه، ولنفرض أنه اشتبه طعام غيره بطعام نفسه، ولكنه مضطر إلى الطعام، ففي هذه الحال يتحرى ويأكل ما يغلب علي ظنه أنه طعامه.

* * *

Marfat.com

٦٩ - باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قال الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات:٥٠) .

[٥٩٧/١] ـ وعن سعد بن أبي وقَّاص رضى الله عنه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُول : « إنَّ اللهَ يحبُّ العَبدَ التَّقِيَّ الغَنيَّ الخَفيَّ » رواه مسلم .

والمُرَاد بـ « الغَنيِّ » : غَنِيُّ النَّفْسِ ، كما سَبَقَ فى الحديث الصحيح .

[٥٩٨/٢] ـ وعن أبي سعيد الخُدرىِّ رضى الله عنه قال : قال رَجُلٌ : أيُّ النَّاسِ أفضلُ يا رسُولَ الله ؟ قال : « مُؤْمِنٌ مجاهِدٌ بنَفْسه ومَاله فى سبيلِ الله » قال : ثم من ؟ قال : « ثم رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ في شعْب من الشِّعَاب يَعْبُدُ ربَّهُ » .

وفى رواية : « يَتَّقى اللهَ ، وَيَدَع النَّاسَ من شَرِّه » متفقٌ عليه .

[٥٩٩/٣] ـ وعنه قالَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « يُوشكُ أنْ يكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبعُ بهَا شَعَفَ الجبَالِ ، ومَوَاقِعَ القَطْرِ ، يَفِرُّ بدِينِه من الفِتَنِ » رواه البخارى .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ (باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان وخوف الفتنة) .

واعلم أن الأفضل هو المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، هذا أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ، ولكن أحيانًا أمور تكون العزلة فيها خيرًا من الاختلاط بالناس؛ من ذلك إذا خاف الإنسان على نفسه فتنة، مثل أن يكون في بلد يطالب فيها بأن ينحرف عن دينه ، أو يدعو إلى بدعة، أو يرى الفسوق الكثير فيها، أو يخشى على نفسه من الفواحش، فهنا تكون العزلة خيرًا له .

ولهذا أمر الإنسان أن يهاجر من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، ومن بلد الفسوق إلي بلد الاستقامة، فكذلك إذا تغير والزمان ، ولهذا صح عن النبي ﷺ أنه قال: **«يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»**.

فهذا هو التقسيم؛ تكون العزلة هي الخير إن كان في الاختلاط شر وفتنة في الدين،

(١/ ٥٩٧) صحيح : رواه مسلم (٢٩٦٥)، احمد (١/ ١٦٨).

(٢/ ٥٩٨) صحيح : رواه البخاري (٢٧٨٦)، ومسلم (١٨٨٨).

(٣/ ٥٩٩) صحيح : رواه البخاري (١٩).

Marfat.com

وإلا فالأصل أن الاختلاط هو الخير، يختلط الإنسان مع الناس فيأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى حق، يبين السنة للناس، فهذا خير.

لكن إذا عجز عن الصبر وكثرت الفتن، فالعزلة خير ولو أن يعبد الله على رأس جبل أو في قعر وادٍ.

وبين النبي عليه الصلاة والسلام صفة الرجل الذي يحبه الله عز وجل فقال: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي».

التقي: الذي يتقي الله عز وجل، فيقوم بأوامره، ويجتنب نواهيه؛ يقوم بأوامره من فعل الصلاة وأدائها في جماعة، يقوم بأوامره من أداء الزكاة وإعطائها مستحقيها، يصوم رمضان، يحج البيت، يبر والديه، يصل أرحامه، يحسن إلي جيرانه، يحسن إلى اليتامى، إلى غير ذلك من أنواع التقى والبر وأبواب الخير.

الغني: الذي استغنى بنفسه عن الناس، غني بالله عز وجل عمن سواه، لا يسأل الناس شيئًا، ولا يتعرض للناس بتذلل، بل هو غنى عن الناس، مستغن بربه ، لا يلتفت إلى غيره.

الخفي: هو الذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه بالبنان، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد، ومن مسجده إلى بيته، ومن بيته إلى أقاربه وإخوانه، يخفي نفسه.

ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علمًا أن يتقوقع في بيته ولا يعلم الناس، هذا يعارض التقي، فتعليمه الناس خير من كونه يقعد في بيته ولا ينفع أحدًا بعلمه، أو يقعد في بيته ولا ينفع الناس بماله.

لكن إذا دار الأمر بين أن يلمع نفسه ويظهر نفسه ويبين نفسه، وبين أن يخفيها، فحينئذ يختار الخفاء، أما إذا كان لابد من إظهار نفسه فلا بد أن يظهرها، وذلك عن طريق نشر علمه في الناس وإقامة دروس العلم وحلقاته في كل مكان ، وكذلك عن طريق الخطابة في يوم الجمعة والعيد وغير ذلك، فهذا مما يحبه الله عز وجل.

* * *

[٤/ ٦٠٠] ــ وعَنْ أبى هُريرة رضى الله عنه ، عَن النَّبىّ ﷺ قال : « مَا بَعَثَ اللّه نَبيًا

(٤/ ٦٠٠) صحيح : رواه البخاري (٢٢٦٢).

Marfat.com

إلا رَعَى الغَنَمَ » فَقَالَ أصْحابُه : وأنتَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ ، كُنْتُ أرْعَاهَا عَلَى قَرارِيطَ لأهْلِ مَكَّةَ» رواه البخاري .

[٥/ ٦٠١] ــ وعنه عَنْ رسول اللّه ﷺ أنَّهُ قال : « منْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسه في سَبِيلِ اللَّه ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنه ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أوْ فَزْعَةً ، طارَ عَلَيْه يَبْتَغِي القَتْلَ ، أو المَوْتَ مظَانَّهُ ، أوْ رَجُلٌ في غُنَيْمَةٍ في رأسِ شَعَفَةٍ من هذه الشَّعَفِ ، أوْ بَطنِ وادٍ من هذه الأوديَة ، يُقيمُ الصَّلاةَ ، ويُؤتِي الزَّكَاةَ ، ويَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأتِيَهُ اليَقِينُ ، ليسَ مِنَ النَّاسِ إلا فِي خَيْرٍ » رواه مسلم .

« يَطِيرُ » : أيْ يُسْرِعِ . وَ « مَتْنُهُ » : ظَهْرُهُ . و « الهَيْعَةُ » : الصوتُ للحربِ .

الشرح

هذان الحديثان في باب استحباب العزلة عند فساد الناس: الأول حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم»، يعني ما من نبي من الأنبياء أرسله الله عز وجل إلى عباده إلا رعى الغنم، قالوا: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»، حتى النبي عليه الصلاة والسلام رعى الغنم، قال العلماء: والحكمة من ذلك أن يتمرن الإنسان على رعاية الخلق وتوجيههم إلي ما فيه الصلاح، لأن الراعي للغنم تارة يوجهها إلى وادٍ مزهر مخضر، وتارة إلى وادٍ خلاف ذلك، وتارة يبقيها واقفة، فالنبي عليه الصلاة والسلام سيرعي الأمة ويوجهها إلى الخير عن علم وهدى وبصيرة، كالراعي الذي عنده علم بالمراعي الحسنة، وعنده نصح وتوجيه للغنم إلى ما فيه خيرها، وما فيه غذاؤها وسقاؤها.

واختيرت الغنم لأن صاحب الغنم متصف بالسكينة والهدوء والاطمئنان، بخلاف الإبل؛ الإبل أصحابها في الغالب عندهم شدة وغلظة، لأن الإبل كذلك فيها الشدة والغلظة، فلهذا اختار الله سبحانه وتعالى لرسله أن يرعوا الغنم، حتى يتعودوا ويتمرنوا على رعاية الخلق.

فرسول الله ﷺ رعاها على قراريط لأهل مكة ، وموسى عليه الصلاة والسلام رعاها مهرًا لابنه صاحب مدين، فإنه قال: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾ [القصص:٢٧].

وأما الحديث الثاني: ففيه أيضًا: دليل على أن العزلة خير فيكون الإنسان ممسكًا بعنان

(٥/ ٦٠١) صحيح: رواه مسلم (١٨٨٩).

Marfat.com

فرسه، يطير عليه كلما سمع هيعة ، فهو بعيد عن الناس يحمي ثغور المسلمين، مهتم بأمور الجهاد على أتم استعداد للنفور والجهاد كلما سمع هيعة ركب فرسه فطار به، أي مشى مشيًا مسرعًا.

وكذلك من كان في مكان من الأودية والشعاب منعزلاً عن الناس، يعبد الله عز وجل، ليس من الناس إلا في خير، فهذا فيه خير.

ولكننا سبق أن قلنا: إن هذه النصوص تحمل على ما إذا كان في الاختلاط فتنة وشر، وأما إذا لم يكن فيه فتنة وشر، فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.

* * *

عربی، اردو، اسلامی کتب لاہور ریٹ پر
مکتبہ علمیہ سعیدیہ
مقابل الفلاح بینک شاہ حسین روڈ گجرات
CELL: 0302-6293760

Marfat.com

٧١ ـ باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قال الله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ **(الشعراء:٢١٥) ،وقال تعالى :** ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ **(المائدة:٥٤) ، وقال تعالى :** ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ **(الحجرات:١٣) ، وقال تعالى:** ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ **(النجم:٣٢) ، وقال تعالى :** ﴿ **وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ . أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ** ﴾ **(الأعراف:٤٨ ، ٤٩) .**

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب رياض الصالحين: (باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين).

التواضع: ضد التعالي وهو ألا يرتفع الإنسان ولا يترفع على غيره، بعلم ولا نسب ولا مال ولا جاه ولا إمارة ولا وزارة ولا غير ذلك، بل الواجب على المرء أن يخفض جناحه للمؤمنين، أن يتواضع لهم كما كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة عند الله؛ رسول الله ﷺ يتواضع للمؤمنين، حتى إن الصبية لتمسك بيده لتأخذه إلى أي مكان تريد فيقضي حاجتها عليه الصلاة والسلام.

وقول الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]. وفي آية أخرى: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ : أي تواضع؛ وذلك أن المتعالي والمترفع يرى نفسه أنه كالطير يسبح في جو السماء فأمر أن يخفض جناحه وينزل للمؤمنين الذين اتبعوا النبي ﷺ وعلم من هذا أن الكافر لا يخفض له الجناح وهو كذلك بل الكافر ترفع عليه واعلُ عليه، واجعل في نفسك في موضع أعلى منه، لأنك مستمسك بكلمة الله، وكلمة الله هي العليا.

ولهذا قال الله عز وجل في وصف النبي ﷺ وأصحابه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، يعني أنهم على الكفار أقوياء ذوو غلظة ، أما فيما بينهم فهم رحماء.

ثم ساق المؤلف الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ

Marfat.com

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. أي من يرجع منكم عن دينه فيكون كافراً بعد أن كان مؤمنًا.

وهذا يقع من الناس، أن يكون الإنسان داخلاً في الإسلام عاملاً به، ثم يزيغه الشيطان والعياذ بالله حتى يرتد عن دينه، فإذا ارتد عن دينه، فإنه لا يكون وليًا للمؤمنين، ولا يكون معينًا للمؤمنين، ولهذا قال: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ يعني بقوم مؤمنين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فهم في جانب المؤمنين أذلة لا يترفعون عليهم، ولا يأخذون بالعزة عليهم، ولكنهم يذلون لهم، أما على الكفار فهم أعزة مترفعون، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه**»(١) إذلالاً لهم، وخذلانًا لهم، لأنهم أعدى أعداء لك، وأعداء لربك، وأعداء لرسولك، وأعداء لدينك، وأعداء لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وفي هذه الآية: دليل على إثبات المحبة من الله عز وجل، وأن الله يُحب ويُحب ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. وهذا الحب حبٌ عظيم لا يماثله شيء، تجد المحب لله عز وجل ترخص عنده: الدنيا، والأهل، والأموال، بل والنفس، فيما يرضى الله عز وجل، ولهذا يبذل ويعرض رقبته لأعداء الله، محبة في نصرة الله عز وجل ونصرة دينه، وهذا دليل على أن الإنسان مقدم ما يحبه الله ورسوله على ما تهواه نفسه.

ومن علامات محبة الله: أن الإنسان يديم ذكر الله، يذكر ربه دائمًا بقلبه ولسانه وجوارحه.

ومنها: أن يحب من أحب الله عز وجل من الأشخاص، فيحب الرسول ﷺ، ويحب الخلفاء الراشدين ويحب الأئمة، ويحب من كان في وقته من أهل العلم والصلاح.

ومنها: أن يقوم الإنسان بطاعة الله، مقدمًا ذلك على هواه، فإذا أذن المؤذن يقول: حي على الصلاة، ترك عمله وأقبل إلى الصلاة، لأنه يحب ما يرضي الله أكثر من محبته ما ترضي به نفسه.

ولمحبة الله علامات كثيرة، إذا أحب الإنسان ربه فالله عز وجل أسرع إليه حبًا، لأنه

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٧) وأبو داود (٥٢٠٥) والترمذي (١٦٠٢).

Marfat.com

قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[١] وإذا أحبه الله فهذا هو المقصود الأعظم.

ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ولم يقل: فاتبعوني تصدقوا الله، بل قال: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ؛ لأن هذه هي الثمرة أن يحب الرب عز وجل عبده، فإذا أحب عبده نال خيري الدنيا والآخرة، جعلني الله وإياكم من أحبابه.

وفي قوله: ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾ : دليل علي إثبات محبة العبد لربه، وهذا أمر واضح واقع مشاهد، يجد الإنسان من قلبه ميلاً إلي ما يرضي الله، وهذا يدل على أنه يحب الله عز وجل.

والإنسان المؤمن الموفق لهذه الصفة العظيمة، تجده يحب الله أكثر من نفسه، أكثر من ولده، أكثر من أمه، أكثر من أبيه، يحب الله أكثر من كل شيء، ويحب الشخص لأنه يحب الله ، ومعلوم أن المحب يحب أحباب حبيبه، فتجد هذا الرجل لمحبته لله يحب من يحبه الله عز وجل من الأشخاص، وما يحبه من الأعمال، وما يحبه من الأقوال.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. يخاطب الله عز وجل الناس كلهم مبينًا أنه خلقهم من ذكر وأنثى، أي من هذا الجنس أو من هذا الشخص.

يعني إما أن يكون المراد بالذكر والأنثى آدم وحواء.

أو أن المراد الجنس أي أن بني آدم خلقوا كلهم من ذكر وأنثى، وهذا هو الغالب، وهو الأكثر.

وإلا فإن الله خلق آدم من غير أم ولا أب، خلقه من تراب، من طين، من صلصال كالفخار ، ثم نفخ فيه من روحه، خلق له روحًا فنفخها فيه فصار بشرًا سويًا.

وخلقق الله حواء من أب بلا أم.

وخلق الله عيسى من أم بلا أب.

وخلق الله سائر البشر من أم وأب.

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

Marfat.com

والإنسان أيضًا كما أنه أربعة أنواع من جهة مادة خلقه، كذلك هو أربعة أنواع من جهة جنس الخلق، يقول الله عز وجل: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى:٤٩، ٥٠].

هذه أيضًا أربعة أقسام:

﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ بلا ذكور، يعني يوجد بعض الناس يولد له الإناث ولا يولد له ذكورًا أبدًا كل نسله إناث.

﴿وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ فيكون كل نسله ذكورًا بلا إناث.

﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ يزوجهم أي يصنفهم، لأن الزوج يعني الصنف، كما قال تعالى: ﴿وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص:٥٨]. أي أصناف، وقال: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات:٢٢]. أي: أصنافهم وأشكالهم، يزوجهم أي يصنفهم ذكرانًا وإناثًا، هذه ثلاثة أقسام.

القسم الرابع: ﴿وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى:٥٠]. لا يولد له لا ذكر ولا أنثى، لأن الله سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء، ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم.

يقول جل ذكره: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ﴾، الشعوب: الطوائف الكبيرة كالعرب والعجم وما أشبه ذلك، والقبائل: ما دون ذلك، جمع قبيلة، فالناس بنو آدم شعوب وقبائل.

شعوب: أمم عظيمة كبيرة، كما تقول: العرب بجميع أصنافهم، والعجم بجميع أصنافهم، كذلك القبائل، دون ذلك، كما نقول: قريش بنو تميم، وما أشبه ذلك، هؤلاء القبائل.

﴿لِتَعَارَفُوا﴾: هذه هي الحكمة من أن الله جعلنا شعوبًا وقبائل من أجل أن يعرف بعضنا بعضًا، هذا عربي، وهذا عجمي، هذا من بني تميم، هذا من قريش، هذا من خزاعة، وهكذا.

فالله جعل هذه القبائل من أجل أن يعرف بعضنا بعضًا، لا من أجل أن يفخر بعضنا على بعض، فيقول: أنا عربي وأنت عجمي، أنا قبيلي وأنت خضيري، أنا غني وأنت فقير، هذا من دعوى الجاهلية والعياذ بالله، لم يجعل الله هؤلاء الأصناف إلا من أجل

Marfat.com

التعارف فقط، لا من أجل التفاخر، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب**»(١).

فالفضل في الإسلام بالتقوى، أكرمنا عند الله هو الأتقى لله عز وجل، فمن كان أتقى لله فهو عند الله أكرم.

ولكن يجب أن نعلم أن بعض القبائل أو بعض الشعوب أفضل من بعض، فالشعب الذي بعث فيه الرسول عليه الصلاة والسلام هو أفضل الشعوب، شعب العرب أفضل الشعوب لأن الله قال في كتابه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال النبي ﷺ: «**الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**»(٢).

ولايعني هذا إهدار الجنس البشري بالكلية، لا. لكن التفاخر هو الممنوع، أما التفاضل فإن الله يفضل بعض الأجناس على بعض، فالعرب أفضل من غيرهم، جنس العرب أفضل من جنس العجم، لكن إذا كان العربي غير متقٍ والعجمي متقيًا فالعجمي عند الله أكرم من العربي.

ثم ساق المؤلف الآيات الآخرى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾. ﴿لا تزكوها﴾: أي لا تصفوها بالزكاة افتخارًا، وأما التحدث بنعمة الله علي العبد مثل أن يقول القائل: كان مسرفًا على نفسه، كان منحرفًا فهداه الله ووفقه ولزم الاستقامة، تحدثًا بنعمة الله لا تزكية لنفسه؛ فإن هذا لا بأس به ولا حرج فيه أن يذكر الإنسان نعمة الله عليه في الهداية والتوفيق، كما أنه لاحرج أن يذكر نعمة الله عليه بالغنى بعد الفقر.

وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ هو أي الرب عز وجل: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾، وكم من شخصين يقومان بعمل أو يدعان عملاً وبينهما في التقى مثل ما بين السماء والأرض، ولهذا قال: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾، تجد الشخصين يصليان كل واحد جنب الآخر، لكن بين ما في قلوبهما من التقوى مثل ما بين السماء والأرض، ولهذا قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) حسن: رواه أبو داود (٥١١٦) والترمذي (٣٩٥٦) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي..

(٢) حسن: رواه البخاري (٣٤٩٦) ومسلم (٢٥٢٦).

Marfat.com

ثم ذكر المؤلف آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، أصحاب الأعراف: قوم تساوت حسناتهم وسيائتهم، فلا يدخلون الجنة ولا يدخلون النار، يحشر أهل النار إلى النار، ويساق المتقون إلى الرحمن وفدًا، إلى الجنة زمرًا ، فيدخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، وأصحاب الأعراف في مكان مرتفع.

فالأعراف: جمع عرف وهو المكان المرتفع، لكن ليسوا في الجنة وليسوا في النار، وهم يطلعون إلى هؤلاء وإلى هؤلاء، وفي النهاية يدخلون الجنة، لأنه ليس هناك إلا جنة أو نار، هما الباقيتان أبدًا، وأما ما سواهما فيزول.

فيقول الله تعالى: وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴿ ﴾ أي بعلاماتهم معرفة تامة، ﴿قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني جمعكم المال والأولاد والأهل، ما أغنى عنكم هؤلاء، وما أغنى عنكم جمعكم من الناس الذين هم جنودكم ، تجمعونهم إليكم وتستنصرون بهم، ما أغنوا عنكم شيئًا، ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ يعني وما أغني عنكم استكباركم على الحق.

﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف:٤٩]. يعني الضعفاء، وكان الملأ المكذبون للرسل يسخرون من المؤمنين ويقولون: ﴿أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا﴾ [الأنعام:٥٣]. يقولون أهؤلاء أصحاب الرحمة؟ أهؤلاء أهل الجنة؟ يسخرون منهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ [المطففين: ٢٩-٣١].

فيقولون لهم:﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ يعني قد قيل لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ .

إذن تواضعهم للحق واتباعهم الرسل هو الذي بلغهم هذه المنازل العالية، أما هؤلاء المستكبرون الذين فخروا بما أغناهم الله به من الجمع والمال؛ فإن ذلك لم يغن عنهم شيئًا؛ فدل ذلك على فضل التواضع للحق.

* * *

[٦٠٢/١] ـ وعن عِياض بن حمَار رضى الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ الله أوحَى إليَّ أنْ تَوَاضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أحَدٌ على أحَدٍ، ولا يَبغِي أحَدٌ على أحَدٍ» رواه مسلم.

---

(٦٠٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) وأبو داود (٤٨٩٥).

Marfat.com

[٢/ ٦٠٣] ـ وعَنْ أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ، وما زادَ اللهُ عَبداً بِعَفْوٍ إلا عزا، ومَا تَوَاضَعَ أحَدٌ للهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ » رواه مسلم.

٣/ ٦٠٤ ـ وعن أنس رضى الله عنه أنَّهُ مَرَّ عَلى صِبيانٍ فَسَلَّم عَلَيْهِم وقال: كان النَّبيُّ ﷺ يَفعَلُهُ. متفقٌ عليه.

[٤/ ٦٠٥] ـ وعنه قال: إنْ كانَتِ الأمَةُ مِن إمَاءِ المَدِينَةِ لَتَأخُذُ بِيَدِ النبي ﷺ، فَتَنطَلِقُ بِهِ حَيثُ شَاءَتْ. رواه البخاري.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتاب رياض الصالحين في باب التواضع؛ فمنها حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله أوحى إلى أن تواضعوا»** يعني أن يتواضع كل واحد للآخر ولا يترفع عليه، بل يجعله مثله أو يكرمه أكثر، وكان من عادة السلف رحمهم الله، أن الإنسان منهم يجعل من هو أصغر منه مثل ابنه، ومن هو أكبر مثل أبيه، ومن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى ما هو أكبر نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحد على أحد وهذا من الأمور التي يجب علي الإنسان أن يتصف بها، أي بالتواضع لله عز وجل ولإخوانه من المسلمين.

وأما الكافر فقد أمر الله تعالى بمجاهدته والغلظة عليه وإغاظته وإهانته بقدر المستطاع، لكن من كان له عهد وذمة فإنه يجب علي المسلمين أن يفوا له بعهده وذمته، وألا يخفروا ذمته، وألا يؤذوه ما دام له عهد.

ثم ذكر المؤلف حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ما نقصت صدقة من مال»** يعني أن الصدقات لا تنقص الأموال كما يتوهمه الإنسان، وكما يعد به الشيطان، فإن الشيطان كما قال الله عز وجل: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨].

الفحشاء: كل ما يستفحش من بخل أو غيره، فهو يعد الإنسان الفقر، إذا أراد الإنسان

(٢/ ٦٠٣) صحيح: رواه مسلم (٢٥٨٨) وأحمد (٢/ ٢٣٥).
(٣/ ٦٠٤) صحيح: رواه البخاري (٦٢٤٧) مسلم (٢١٦٨).
(٣/ ٦٠٥) صحيح: رواه البخاري (٦٠٧٢) وابن ماجه (٤١٧٧).

Marfat.com

أن يتصدق قال: لا تتصدق هذا ينقص مالك، هذا يجعلك فقيراً، لا تتصدق، أمسك، ولكن النبي ﷺ أخبرنا بأن الصدقة لا تنقص المال، فإن قال قائل: كيف لا تنقص المال، والإنسان إذا كان عنده مائة فتصدق بعشرة صار عنده تسعون، فيقال : هذا نقص كم، ولكنها تزيد في الكيف، ثم يفتح الله للإنسان أبوابًا من الرزق ترد عليه ما أنفق ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩]، أي يجعل بدله خلفًا. فلا تظن أنك إذا تصدقت بعشرة من مائة فصارت تسعين أن ذلك ينقص المال، بل يزيده، بركة ونماء، وترزق من حيث لا تحتسب.

«وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً» يعني أن الإنسان إذا عفا عمن ظلمه فقد تقول له نفسه: إن هذا ذل وخضوع وخذلان، فبين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الله ما يزيد أحدًا بعفو إلا عزًا، فيعزه الله ويرفع من شأنه، وفي هذا حث علي العفو، ولكن العفو مقيدًا بما إذا كان إصلاحًا لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

أما إذا لم يكن إصلاحًا بل كان إفسادًا فإنه لا يؤمر به، مثال ذلك اعتدى شخص شرير معروف بالعدوان على آخر ، فهل نقول للآخر الذي اعتدى عليه: اعف عن هذا الشرير؟ لا نقول: اعف عنه، لأنه شرير، إذا عفوت عنه تعدى على غيرك من الغد، أو عليك أنت أيضًا، فمثل هذا نقول: الحزم والأفضل أن تأخذه بجريرته، يعني أن تأخذ حقك منه، وألا تعفو عنه، لأن العفو عن أهل الشر والفساد ليس بإصلاح، بل لا يزيدهم إلا فسادًا وشرًا.

فأما إذا كان في العفو خير وإحسان، وربما يخجل الذي عفوت عنه ولا يتعدى عليك ولا على غيرك فهذا خير.

«وما تواضع أحدًا لله إلا رفعه» هذا الشاهد من الحديث: «ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله».

والتواضع لله له معنيان:

المعنى الأول: أن تتواضع لدين الله، فلا تترفع عن الدين ولا تستكبر عنه وعن أداء أحكامه.

والثاني: أن تتواضع لعباد الله من أجل الله، لا خوفًا منهم، ولا رجاء لما عندهم،

Marfat.com

ولكن لله عز وجل.

والمعنيان صحيحان. فمن تواضع لله، رفعه الله عز وجل في الدنيا وفي الآخرة، وهذا أمر مشاهد، أن الإنسان المتواضع يكون محل رفعة عند الناس وذكر حسن، ويحبه الناس، وانظر إلي تواضع الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أشرف الخلق، حيث كانت الأمة من إماء المدينة تأتي إليه، وتأخذ بيده، وتذهب به حيث شاءت ليعينها في حاجتها، هذا وهو أشرف الخلق، أمة من الإماء تأتي وتأخذ بيده تذهب به حيث شاءت ليقضي حاجتها، ولا يقول: أين تذهبين بي، أو يقول: اذهبي إلى غيري، بل كان يذهب معها ويقضي حاجتها، لكن مع هذا زاده الله عز وجل بذلك إلا عزاً ورفعة صلوات الله وسلامه عليه.

* * *

[٥/ ٦٠٦] ــ وعن الأسوَد بن يَزيدَ قال: سُئلَتْ عَائشَةُ رضيَ الله عنها: ما كانَ النَّبيُّ ﷺ يَصنَعُ فى بيْته؟ قالت: كانَ يكُون فى مِهْنَةِ أَهْلِه ــ يَعْنى: خِدمَة أهلِه ــ فإذا حَضَرَت الصَّلاة، خَرَجَ إلَى الصَّلاة. رواه البخارى.

[٦/ ٦٠٧] ــ وعن أبى رِفَاعَةَ تَميمِ بن أُسَيد رضى الله عنه قال: انْتَهيْتُ إلى رسول الله ﷺ وهو يَخْطُبُ، فقلتُ: يا رسولَ الله، رجُلٌ غَريبٌ جاءَ يَسألُ عن دينه لا يدرى ما دينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَلىَّ رسولُ الله ﷺ، وتَرَكَ خُطْبَتَهُ حتى انْتَهى إلىَّ، فأُتى بكُرْسىٍّ، فَقَعَدَ عَلَيه، وجَعَلَ يُعَلِّمُنى مِمَّا عَلَّمَه الله، ثم أَتى خُطْبَتَهُ، فَأَتَمَّ آخرَهَا. رواه مسلم.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في بيان تواضع النبي ﷺ منها أنه كان يسلم على الصبيان إذا مر عليهم، يسلم عليهم مع أنهم صبيان غير مكلفين، واقتدى به أصحابه رضي الله عنهم فعن أنس رضي الله عنه أنه كان يمر بالصبيان فيسلم عليهم، يمر بهم في السوق يلعبون فيسلم عليهم، ويقول: إن النبي ﷺ كان يفعله أي يسلم على الصبيان إذا مر عليهم، وهذا من التواضع وحسن الخلق، ومن التربية وحسن التعليم والإرشاد والتوجيه، لأن الصبيان إذا سلم الإنسان عليهم، فإنهم يعتادون ذلك، ويكون ذلك كالغريزة في نفوسهم.

(٣/ ٦٠٤) صحيح: رواه البخاري (٦٢٤٧) ومسلم (٢١٦٨).

(٥/ ٦٠٦) صحيح. رواه البخاري (٦٧٦) وأحمد (٦/ ١٢٦).

(٦/ ٦٠٧) صحيح: رواه مسلم (٨٧٦).

Marfat.com

إن الإنسان إذا مر على أحد سلم عليه، وإذا كان هذا يقع من النبي ﷺ على الصبيان، فإننا نأسف لقوم يمرون بالكبار البالغين ولا يسلمون عليهم والعياذ بالله، قد لا يكون ذلك هجرًا أو كراهة، لكن عدم مبالاة، عدم اتباع للسنة، جهل، غفلة، وهم وإن كانوا غير آثمين لأنهم لم يتخ لك هجرًا، لكنهم قد فاتهم خير كثير.

فالسنة أن تسلم على كل لقيت، وأن تبدأه بالسلام ولو كان أصغر منك، لأن النبي ﷺ كان يبدأ من لقيه بالسلام، وهو عليه الصلاة والسلام أكبر الناس قدرًا ومع ذلك كان يبدأ من لقيه بالسلام.

وأنت إذا بدأت من لقيته بالسلام حصلت على خير كثير، منه اتباع الرسول ﷺ ومنه أنك تكون سببًا لنشر هذه السنة التي ماتت عند كثير من الناس، ومعلوم أن إحياء السنن يؤجر الإنسان عليه مرتين، مرة على فعل السنة، ومرة على إحياء السنة، ومنه أنك تكون السبب في إجابة هذا الرجل وإجابته فرض كفاية، فتكون سببًا في إيجاد فرض الكفاية من هذا الرجل.

ولهذا كان ابتداء السلام أفضل من الرد، وإن كان الرد فرضًا وهذا سنة، لكن لما كان الفرض ينبني علي هذه السنة، كانت السنة أفضل من هذا الفرض، لأنه مبني عليها.

وهذه من المسائل التي ألغز بها بعض العلماء وقال: عندنا سنة أفضل من الفريضة؛ لأنه من المتفق عليه أن الفرض أفضل، مثلاً: صلاة الفجر ركعتان أفضل من راتبتها ركعتين، لأنها فرض والراتبة سنة، لكن ابتداء السلام سنة، ومع ذلك صار أفضل من رده، لأن رده مبني عليه.

فالمهم أنه ينبغي لنا إحياء هذه السنة، أعني إفشاء السلام، وهو من أسباب المحبة، ومن كمال الإيمان، ومن أسباب دخول الجنة، قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم علي شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»**(١).

ومن تواضع النبي عليه الصلاة والسلام، أنه كان في بيته في خدمة أهله، يحلب الشاة، يخصف النعل يخدمهم، في بيتهم، لأن عائشة سئلت ماذا كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: **«كان في مهنة أهله»** يعني في خدمتهم عليه الصلاة والسلام.

فمثلاً الإنسان إذا كان في بيته فمن السنة أن يصنع الشاي مثلاً لنفسه، ويطبخ إذا كان

(١) صحيح: رواه مسلم (٥٤) وأحمد (٢/ ٣٩١) وأبو داود (٥١٩٣) والترمذي (٢٦٨٨) وابن ماجه (٦٨).

Marfat.com

يعرف، ويغسل ما يحتاج إلي غسله، كل هذا من السنة، أنت إذا فعلت ذلك تثاب عليه ثواب سنة، اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام وتواضعًا لله عز وجل، ولأن هذا يوجد المحبة بينك وبين أهلك، إذا شعر أهلك أنك تساعدهم في مهنتهم أحبوك، وازدادت قيمتك عندهم، فيكون في هذا مصلحة كبيرة.

ومن تواضع الرسول عليه الصلاة والسلام أنه جاءه رجل وهو يخطب الناس، فقال: «رجل غريب جاء يسأل عن دينه» فأقب إليه النبي عليه الصلاة والسلام وقطع خطبته، حتى انتهى إليه، ثم جيء إليه بكرسي فجعل يعلم هذا الرجل، لأن هذا الرجل جاء مشفقًا محبًا للعلم، يريد أن يعلم دينه حتي يعمل به، فأقبل إليه النبي عليه الصلاة والسلام وقطع الخطبة، ثم بعد ذلك أكمل خطبته، وهذا من تواضع الرسول عليه الصلاة والسلام وحسن رعايته. فإن قال قائل: أليست المصلحة العامة أولى بالمراعاة من المصلحة الخاصة؟ وحاجة هذا الرجل خاصة، وهو ﷺ يخطب في الجماعة؟ قلنا: نعم لو كانت مصلحة العامة تفوت لكان المصلحة العامة أولى، لكن مصلحة العامة لا تفوت ، بل إنهم سيستفيدون مما يعلمه الرسول ﷺ لهذا الرجل الغريب، والمصلحة العامة لا تفوت. وهذا الغريب الذي جاء يسأل عن دينه إذا أقبل إليه الرسول عليه الصلاة والسلام وعلمه كان في هذا تأليف لقلبه علي الإسلام، ومحبة للإسلام، ومحبة للرسول ﷺ ، وهذا من حكمة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه. وفق الله الجميع لما يحبه ويرضى.

* * *

[٦٠٨/٧] ـ وعن أنس رضىَ اللّه عنه أنَّ رسولَ اللّه ﷺ كان إذا أكَلَ طَعَاماً لَعقَ أصَابعهُ الثَّلاثَ. قال : وقال : « إذا سَقطَتْ لُقْمَةُ أحَدكُمْ ، فَليمطْ عَنْها الأذى ، وليَأكُلها ، وَلا يَدَعْها للشَّيْطَانِ » وَأمَرَ أنْ تُسلَتَ القَصْعَةُ قالَ : « فَإنَّكُمْ لا تَدْرُون فى أى طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ » رواه مسلم .

٦٠٩/٨ ـ وعن أبى هُريرة رضى اللّه عنه ، عن النبىَّ ﷺ قال : « ما بَعَثَ اللّهُ نَبياً إلا رعَى الغَنَمَ » قال أصحابُه : وأنت ؟ فقال : « نَعَمْ كُنْتُ أرْعَاهَا عَلى قَرَارِيطَ لأهْلِ مَكَّةَ» رواهُ البخارى .

[٦١٠/٩] ـ وعنهُ عن النبىّ ﷺ قال : « لَوْ دُعِيتُ إلى كُرَاعٍ أوْ ذِرَاعٍ لأجَبْتُ ، ولَوْ أُهدىَ إلىَّ ذِراعٌ أو كُراعٌ لَقَبلْتُ » رواه البخارى .

(٦٠٨/٧) صحيح : رواه مسلم (٢٠٣٤) وأحمد (٣/ ١٠٠) وأبو داود (٣٨٤٥).
(٦٠٩/٨) صحيح : رواه البخارى (٢٥٦٨) .
(٦١٠/٩) صحيح : رواه البخاري (٢٥٦٨). .

Marfat.com

[١٠/ ٦١١] ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : كانَتْ نَاقَةُ رَسُول الله ﷺ العَضْباءُ لا تُسْبَقُ ، أوْ لا تَكَادُ تُسْبَقُ ، فَجَاءَ أعْرابيٌّ على قَعُود لَهُ ، فَسَبَقَها ، فَشَقَّ ذلكَ على المُسْلمينَ حَتَّى عرَفَهُ ، فَقالَ : « حَقٌّ على الله أنْ لاَ يَرْتَفِعَ شيءٌ منَ الدنْيا إلا وَضَعَهُ » . رواهُ البخارى.

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في (باب التواضع)، فمنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من الأكل لعق أصابعه الثلاث، لعقها: أي لحسها حتي يكون ما بقي من الطعام فيها داخلاً في طعامه الذي أكله من قبل، وفيه فائدة ذكرها بعض الأطباء؛ أن الأنامل تفرز عند الأكل شيئًا يعين على هظم الطعام.

فيكون في لعق الأصابع بعد الطعام فائدتان.

فائدة شرعية: وهي الاقتداء بالنبي ﷺ .

وفائدة صحية طبية: وهي هذا الإفراز الذي يكون بعد الطعام يعين علي الهضم والمؤمن لا يجعل همه فيما يتعلق بالصحة البدنية، أهم شيء عند المؤمن هو اتباع الرسول ﷺ ، والاقتداء به؛ لأن فيه صحة القلب، وكلما كان الإنسان للرسول ﷺ أتبع كان إيمانه أقوى.

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام : «**إذا سقطت لقمة أحدكم**» يعني علي الأرض أو على السفرة «**فليمط عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان**» فإذا سقطت اللقمة، أو التمرة، أو ما أشبه ذلك على السفرة، فخذها وأزل ما فيها من الأذى إن كان فيها أذى من تراب، أو عيدان وكلها؛ تواضعًا لله عز وجل، وامتثالاً لأمر النبي ﷺ ، وحرمانًا للشيطان من الأكل معك، لأنك إذا تركتها أكلها الشيطان.

والشيطان ربما يشارك الإنسان في أكله في مثل هذه المسألة، وفيما إذا أكل ولم يسم، فإن الشيطان يشاركه في أكله.

والثالث: أمره بإسلات الصحن أو القصعة ، وهو الإناء الذي فيه الطعام، فإذا انتهيت فأسلته، بمعنى أن تتبع ما علق فيه من طعام بأصابعك وتلعقها.

فهذا أيضًا من السنة التي غفل عنها كثير من الناس مع الأسف حتى من طلبة العلم أيضًا ، إذا فرغوا من الأكل وجدت الجهة التي تليهم ما زال الأكل باقيًا فيها، لا يلعقونه

(١٠ / ٦١١) صحيح : رواه البخاري (٢٨٧٢).

Marfat.com

الصحفة، وهذا خلاف ما أمر به النبي ﷺ ، ثم بين الرسول عليه الصلاة والسلام الحكمة من ذلك فقال: «**فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة**» قد تكون البركة من هذا الطعام في هذا الذي سلته من القصعة.

وفي هذا الحديث: حسن تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنه إذا ذكر الحكم ذكر الحكمة منه، لأن الحكمة مقرونًا بالحكم يفيد فائدتين عظيمتين.

الفائدة الأولى: بيان سمو الشريعة، وأنها شريعة مبنية علي المصالح، فما من شيء أمر الله به ورسوله ﷺ إلا والمصلحة في وجوده وما من شيء نهي عنه الله ورسوله ﷺ ، إلا والمصلحة في عدمه.

الفائدة الثانية: زيادة اطمئنان النفس، لأن الإنسان بشر قد يكون عنده إيمان وتسليم بما حكم الله به ورسوله، لكن إذا ذكرت الحكمة ازداد إيمانًا وازداد يقينًا ، ونشط على فعل المأمور، أو ترك المحظور.

ثم ذكر المؤلف حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الأعرابي الذي جاء بقعود له، ناقة ليست كبيرة أو جمل ليس بكبير، وكانت ناقة النبي ﷺ العضباء - وهي غير القصواء التي حج عليها، هذه ناقة أخرى - وكان من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام أن يسمي دوابه، وسلاحه، وما أشبه ذلك.

فالعضباء هذه كان الصحابة رضي الله عنهم يرون أنها لا تسبق أو لا تكاد تسبق، فجاء هذا الأعرابي بقعوده فسبق العضباء، فكأن ذلك شق على الصحابة رضي الله عنهم فقال النبي ﷺ لما عرف ما في نفوسهم: «**حقٌ على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه**».

فكل ارتفاع يكون في الدنيا فإنه لابد أن ينزل إلى انخفاض ، فإن صحب هذا الارتفاع ارتفاع في النفوس وعلو في النفوس ، فإن الوضع إليه أسرع ، لأن الوضع يكون عقوبة، أما إذا لم يصحبه شيء، فإنه لابد أن يرجع ويوضع ، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ﴾ [يونس: ٢٤]. أي ظهر فيه من كل نوع.

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]ذهبت كلها،كل هذه للزينة وكل هذه النبات الذي اختلط من كل صنف، كله يزول كأن لم يكن، وهكذا الدنيا كلها تزول كأن

Marfat.com

لم تكن، حتى الإنسان نفسه يبدو صغيرًا ضعيفًا ، ثم يقوي. فإذا انتهيت قوته عاد إلى الضعف والهرم، ثم إلى الفناء والعدم فما من شيء ارتفع من الدنيا إلا وضعه الله عز وجل.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «من الدنيا» دليل على أن ما ارتفع من أمور الآخرة فإنه لا يضعه الله ، فقوله تعالي: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة:١١]. فهؤلاء لا يضعهم الله عز وجل ما داموا على وصف العلم والإيمان، فإنه لا يمكن أن يضعهم الله، بل يرفع لهم الذكر، ويرفع درجاتهم في الآخرة.

❊ ❊ ❊

Marfat.com

٧٢ ـ باب تحريم الكبر والإعجاب

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص:٨٣) ،وقال تعالى :﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (الإسراء:٣٧) ، وقال تعالى : ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان:١٨) . ومعنى « تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ » أي : تميلُه وتعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّراً عَلَيْهِمْ . و « المَرَح » التَّبَخْتُر .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾(القصص:٧٦) . إلى قوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ الآيات .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : (باب تحريم الكبر والإعجاب).

والكبر: هو الترفع واعتقاد الإنسان نفسه أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلاً عليهم.

والإعجاب: أن يرى الإنسان عمل نفسه فيعجب به، ويستعظمه، ويستكثره.

فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس، وكلاهما خلق مذموم.

والكبر نوعان: كبر على الحق، وكبر على الخلق، وقد بينهما النبي ﷺ في قوله: «الكبر بطر الحق وغمط الناس»(١) «فبطر الحق» يعني :رده والإعراض عنه، وعدم قبوله، «وغمط الناس» يعني احتقارهم وازدراءهم، وألا يرى الناس شيئًا ويرى أنه فوقهم.

وقيل لرجل: ماذا ترى الناس؟ قال: لا أراهم إلا مثل البعوض؟ فقيل له: إنهم لا يرونك إلا كذلك.

وقيل لآخر: ما ترى الناس؟ قال: أرى الناس أعظم مني، ولهم شأن ولهم منزلة، فقيل له: إنهم يرونك أعظم منهم، وأن لك شأنًا ومحلاً.

فأنت إذا رأيت الناس علي أي وجه فالناس يرونك بمثل ما تراهم به، إن رأيتهم في محل الإكرام والإجلال والتعظيم، ونزلتهم منزلتهم عرفوا لك ذلك، ورأوك في محل الإجلال والإكرام والتعظيم ونزلوك منزلتك، والعكس بالعكس.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٩١) والترمذي (١٩٩٩).

Marfat.com

أما «بطر الحق»: فهو رده، ألا يقبل الإنسان الحق بل يرفضه ويرده اعتداداً بنفسه ورأيه، فيرى والعياذ بالله أنه أكبر من الحق، وعلامة ذلك أن الإنسان يؤتى إليه بالأدلة من الكتاب والسنة، ويقال: هذا كتاب الله، هذه سنة رسول الله، ولكنه لا يقبل، بل يستمر على رأيه، فهذا ردٌّ الحق والعياذ بالله. وكثير من الناس ينتصر لنفسه، فإذا قال قولاً لا يمكن أن يتزحزح عنه، ولو رأى الصواب في خلافه، ولكن هذا خلاف العقل وخلاف الشرع.

والواجب أن يرجع الإنسان للحق حيثما وجده ، حتى لو خالف قوله فليرجع إليه، فإن هذا أعز له عند الله وأعز له عند الناس، وأسلم لذمته وأبرأ.

فلا تظن أنك إذا رجعت عن قولك إلى الصواب أن ذلك يضع منزلتك عند الناس، بل هذا يرفع منزلتك ، ويعرف الناس أنك لا تتبع إلا الحق، أما الذي يعاند ويبقي على ما هو عليه ويرد الحق ، فهذا متكبر والعياذ بالله.

وهذا يقع من بعض الناس والعياذ بالله حتى من طلبة العلم، يتبين له بعد المناقشة وجه الصواب وأن الصواب خلاف ما قاله بالأمس، ولكنه يبقى على رأيه، يملي عليه الشيطان أنه إذا رجع استهان الناس به، وقالوا عنه: إنه إمعة كل يوم له قول، وهذا لا يضر إذا رجعت إلى الصواب، فليكن قولك اليوم خلاف قولك بالأمس، فالأئمة الأجلة كان يكون لهم في المسألة الواحدة أقوال متعددة.

وهذا هو الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ إمام أهل السنة، وأرفع الأئمة من حيث اتباع الليل وسعة الاطلاع ،نجد أن له في المسألة الواحدة في بعض الأحيان أكثر من أربعة أقوال، لماذا لأنه إذا تبين له الدليل رجع إليه، وهكذا شأن كل إنسان منصف عليه أن يتبع الدليل حيثما كان.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات تتعلق بهذا الباب بين فيها ـ رحمه الله ـ أنها كلها تدل على ذم الكبر، وآخرها الآيات المتعلقة بقارون.

وقارون رجل من بني إسرائيل من قوم موسى، أعطاه الله سبحانه وتعالى مالاً كثيراً، حتى إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة يعني مفاتيح الخزائن تثقل وتشق علي العصبة أي الجماعة من الرجال أول القوة لكثرتها.

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ فإن هذا الرجل بطر والعياذ بالله وتكبر، ولما ذكر بآيات الله ردها واستكبر ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ ، فأنكر فضل الله عليه ، وقال: أنا اكتسبته بنفسي، وقوتي، وبعلم أدركت به هذا المال.

وكانت النتيجة أن الله خسف به وبداره الارض ، وزال هو وأملاكه ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ

Marfat.com

ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين﴾ ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا﴾ [القصص:٨٢]. فتأمل نتيجة الكبر والعياذ بالله والعجب والاعتداد بالنفس، وكيف كان عاقبة ذلك من الهلاك والدمار.

ثم ذكر المؤلف عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣]. الدار الآخرة هي آخر دور بني آدم، لأن ابن آدم له أربعة دور كلها تنتهي بالآخرة.

الدار الأولى: في بطن أمه.

الدار الثانية: إذا خرج من بطن أمه إلى دار الدنيا.

والدار الثالثة: البرزخ، ما بين موته وقيام الساعة.

والدار الرابعة: الدار الآخرة: وهي النهاية، وهي القرار هذه الدار، قال الله تعالى عنها: ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣]. لا يريدون التعلي على الحق، ولا التعلي على الخلق، وإنما هم متواضعون، وإذا نفى الله عنهم إرادة العلو والفساد، فهو من باب أولى ألا يكون منهم علو ولا فساد، فهم لا يعلون في الأرض و لا يفسدون ، ولا يريدون ذلك، لأن الناس ينقسمون إلى ثلاث أقسام:

١ ـ قسم علا وفسد وأفسد، فهذا اجتمع في حقه الإرادة والفعل.

٢ ـ وقسم لم يرد الفساد ولا العلو فقد انتفى عنه الأمران.

٣ ـ وقسم ثالث يريد العلو والفساد ولكن لا يقدر عليه. وهذا الثالث بين الأول والثاني، لكن عليه الوزر لأنه أراد السوء، فالدار الآخرة إنما تكون ﴿ لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ﴾ أي تعليًا على الحق أو علي الخلق ﴿ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

فإن قال قائل : ما هو الفساد في الأرض؟ فالجواب أن الفساد في الأرض ليس هدم المنازل ولا إحراق الزروع، بل الفساد في الأرض بالمعاصي، كما قال أهل العلم رحمهم الله في قوله تعالى: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا ﴾ [الأعراف:٥٦]. أي: لا تعصوا الله؛ لأن المعاصي سبب الفساد.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]. فلم يفتح عليهم بركات من السماء ولا من الأرض، فالفساد في الأرض يكون بالمعاصي نسأل الله العافية.

Marfat.com

وقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨].

يعني: لا تمش مرحًا متبخترًا متعاظمًا في نفسك ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. يعني: مهما كنت فأنت لا تقدر أن تنزل في الأرض ولا تتباهى حتى تساوي الجبال، بل إنك أنت أنت. أنت ابن آدم حقير ضعيف، فكيف تمشي في الأرض مرحًا.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. تصعير الخد للناس: أن يعرض الإنسان عن الناس، فتجده والعياذ بالله مستكبرًا لاويًا عنقه، وهو يحدثك وقد صد عنك، وصعر خده.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ ، يعني : لا تمش تبخترًا وتعاظمًا وتكبرًا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. المختال في هيئته، والفخور بلسانه ، والله تعالى لا يحب هذا، إنما يحب المتواضع الغني الخفي التقي، هذا هو الذي يحبه الله عز وجل.

* * *

[١/ ٦١٢] ـ وعن عَبد الله بن مسعُود رضى اللهُ عنه ، عن النبيِّ ﷺ قال : « لاَ يَدْخُلِ الجَنَّةَ مَنْ كانَ فى قَلْبه مثْقالُ ذَرَّةٍ منْ كبْرٍ » فقَال رَجلٌ : إنَّ الرَّجُلِ يُحبُّ أنْ يَكُونَ ثوْبُه حَسناً ونَعْلُه حَسَنَةً ؟ قال : « إنَّ اللهَ جَميلٌ يُحبُّ الجَمالَ ، الكِبْرُ بطَرُ الحَقِّ وغَمْطُ النَّاس » رواه مسلم .بطَرَ الحقّ : دَفعُه وردّهُ عَلَى قائله ، وغَمْطُ النَّاسِ : احْتقَارهُمْ .

[٢/ ٦١٣] ـ وعنْ سلمةَ بن الأكوعِ رضيَ اللهُ عنه أنَّ رَجُلاً أكَلَ عنْدَ رسول الله ﷺ بشمَاله ، فقالَ : « كُلْ بِيمينكَ » قال : لاَ أسْتَطِيعُ ! قال : « لا اسْتَطعْتَ » مَا مَنَعهُ إلا الكِبْرُ . قالَ : فَما رفَعهَا إلى فيه . رواه مسلم .

الشرح

ذكر الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في (باب تحريم الكبر والعجب) ، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**».

وهذا الحديث: من أحاديث الوعيد التي يطلقها الرسول ﷺ تنفيرًا عن الشيء، وإن كانت تحتاج إلى تفصيل حسب الأدلة الشرعية.

(١/ ٦١٢) صحيح : رواه مسلم(٩١) والترمذي (١٩٩٩) وقال النووي (١/ ٢٦٨): غمص وغمط بمعنى واحد ومعناه احتقارهم وأما بطر الحق فهو دفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا.

(٢/ ٦١٣) صحيح : رواه مسلم (٢٠٢١).

Marfat.com

فالذي في قلبه كبر، إما أن يكون عن الحق وكراهة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة، لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٩]. ولا يحبط العمل إلا بالكفر لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢١٧].

وأما إذا كان كبرًا على الخلق وتعاظمًا علي الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولاً كاملاً مطلقًا لم يسبق بعذاب، بل لا بد من عذاب على ما حصل من كبره وعلوائه على الخلق ثم إذا ظهر دخل الجنة.

ولما حدث النبي ﷺ بهذا الحديث قال رجل: يا رسول الله، الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة ـ يعني فهل هذا من الكبر؟ ـ فقال النبي ﷺ : **«إن الله جميل يحب الجمال»** جميل في ذاته، جميل في أفعاله، جميل في صفاته، كل ما يصدر عن الله عز وجل فإنه جميل وليس بقبيح ، بل حسن تستحسنه العقول السليمة وتستسيغه النفوس.

وقوله: **«يحب الجمال»** أي يحب التجمل بمعنى أنه يحب أن يتجمل الإنسان في ثيابه، وفي نعله، وفي بدنه، وفي جميع شئونه ، لأن التجمل يجذب القلوب إلى الإنسان، ويحببه إلى الناس بخلاف التشوه الذي يكون فيه الإنسان قبيحًا في شعره أو في ثوبه أو في لباسه، فلهذا قال: **«إن الله جميل يحب الجمال»** أيي يحب أن يتجمل الإنسان.

وأما الجمال الخلقي الذي من الله عز وجل، فهذا إلى الله سبحانه وتعالى ، ليس للإنسان فيه حيلة وليس له فيه كسب، وإنما ذكر النبي ﷺ ما للإنسان فيه كسب وهو التجمل.

أما الحديث الثاني: فهو حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند النبي ﷺ بيده اليسرى، فقال: **«كل بيمنك»** قال: **«لا أستطيع»**، ما منعه إلا الكبر، فقال النبي ﷺ : **«لا استطعت»** لأن الرسول ﷺ عرف أنه متكبر، فقال: **«لا استطعت»** أي دعا عليه بأن الله تعالى يصيبه بأمر لا يستطيع معه رفع يده اليمنى إلى فمه، فلما قال النبي ﷺ له ذلك أجاب الله دعوته فلم يرفعها إلى فمه بعد ذلك، صارت والعياذ بالله قائمة كالعصا، لا يستطيع رفعها لأنه استكبر على دين الله عز وجل.

وفي هذا دليل: علي وجوب الأكل باليمين والشرب باليمين، وأن الأكل باليسار حرام، يأثم عليه الإنسان، وكذلك الشرب باليسار حرام يأثم عليه الإنسان ، لأنه إذا فعل

Marfat.com

ذلك أي أكل بشماله أو شرب بشماله شابه الشيطان وأولياء الشيطان، قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله**»(١) .

وإذا نظرنا الآن إلى الكفار، وجدنا أنهم يأكلون بيسارهم ويشربون بيسارهم، وعلى هذا فالذي يأكل بشماله أو يشرب بشماله متشبه بالشيطان وأولياء الشيطان.

ويجب على من رآه أن ينكر عليه، لكن بالتي هي أحسن، إما أن يُعرض إذا كان يخشى أن يخجل صاحبه أو أن يستنكف ويستكبر فيقول: من الناس من يأكل بشماله أو يشرب بشماله، وهذا حرام.

أو إذا كان معه طالب علم سأله طالب العلم وقال له: ما تقول فيمن يأكل بالشمال ويشرب بالشمال، حتى ينتبه الآخر، فإن انتبه فهذا المطلوب، وإن لم ينتبه قيل له ـ ولو سرًا ـ لا تأكل بشمالك ولا تشرب بشمالك، حتى يعلم دين الله تعالى وشرعه.

يوجد بعض المترفين، يأكل باليمين ويشرب باليمين، إلا إذا شرب وهو يأكل فإنه يشرب بالشمال، يدعي أنه لو شرب باليمين لوث الكأس، فيقال له: المسألة ليست هينة، وليست علي سبيل الاستحباب حتى تقول الأمر هين، بل أنت إذا شربت بالشمال فأنت عاص لأنه محرم والمحرم لا يجوز إلا للضرورة ، ولا ضرورة للشرب بالشمال خوفًا من أن يتلوث الكأس بالطعام. ثم إنه يمكن أن تمسكه بين الإبهام والسبابة من أسفله وحينئذ لا يتلوث ، والإنسان الذي يريد الخير والحق يسهل عليه فعله، أما المعاند أو المترف أو الذي يقلد أعداء الله من الشيطان وأوليائه، فهذا له شأن آخر.

* * *

[٣/ ٦١٤] ـ وعنْ حَارِثَةَ بن وهْب رضى الله عنه قال : سَمعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ : « ألا أُخبِرُكُمْ بأهْلِ النَّار ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِر » متفقٌ عليه .

وتقدَّمَ شرحُه فى باب ضَعَفَة المسلمين .

[٤/ ٦١٥] ـ وعن أبى سعيد الخُدرىّ رضىَ الله عنه ، عن النَّبىّ ﷺ قال : «احتَجَّت الجَنَّةُ والنَّارُ ، فقالتِ النَّارُ : فىَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكبِّرُونَ ، وقالَتِ الجَنَّةُ : فىَّ ضُعَفاءُ النَّاسِ

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٢٠) والترمذي (١٧٩٩).
(٣/ ٦١٤) صحيح: رواه البخاري (٤٩١٨) ومسلم (٢٨٥٣).
(٤/ ٦١٥) صحيح: رواه مسلم (٢٨٤٧)، واحمد (٣/ ٧٩).

Marfat.com

ومَسَاكِينُهُمْ. فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بكِ مَنْ أشاءُ، وإنَّكِ النَّارُ عَذَابي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أشَاءُ، ولِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤها» رواه مسلم.

الشرح

هذه أحاديث ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ في (باب تحريم الكبر والعجب)، وقد سبق لنا الكلام على الآيات الواردة في هذا وكذلك الكلام على الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الباب.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل النار؟**»، وهذا من الأسلوب الذي كان النبي ﷺ يستعمله، أن يورد الكلام على صيغة الاستفهام، من أجل أن ينتبه المخاطب ويعي ما يقول، فهو يقول: «**ألا أخبركم**»، الكل سيقول: نعم أخبرنا يا رسول الله. قال: **كل عتل جواظ مستكبر**».

العتل: معناها الشديد الغليظ، ومنه العتلة التي تحفر بها الأرض، فإنها شديدة غليظة، فالعتل هو الشديد الغليظ، والعياذ بالله.

الجواظ: يعني أنه فيه زيادة من سوء الأخلاق.

والمستكبر: وهذا هو الشاهد ـ هو الذي عنده كبر والعياذ بالله وغطرسة، كبر على الحق، وكبر علي الخلق، فهو لا يلين للحق أبدًا، ولا يرحم الخلق والعياذ بالله.

هؤلاء هم أهل النار، أما أهل الجنة فهم الضعفاء المساكين الذين ليس عندهم ما يستكبرون به، بل هم دائمًا متواضعون ليس عندهم كبرياء ولا غلظة، لأن المال أحيانًا يفسد صاحبه، ويحمله على أن يستكبر على الخلق ويرد الحق، كما قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴾ [العلق: ٦، ٧].

وكذلك أيضًا ذكر حديث احتجاج النار والجنة؛ احتجت النار والجنة، فقالت النار: إن أهلها هم الجبارون المتكبرون، وقالت الجنة: إن أهلها هم الضعفاء والمساكين، فاحتجت كل واحدة منهما على الأخرى.

فحكم الله بينهما عز وجل، وقال في الجنة: «**أنت رحمتي أرحم بك من أشاء**» وقال للنار: «**أنت عذابي أعذب به من أشاء**» فصارت النار دار العذاب والعياذ بالله والجنة دار الرحمة، فهي رحمة الله ويسكنها الرحماء من عباده، كما قال النبي ﷺ: «**وإنما يرحم**

(٥/ ٦١٦) صحيح رواه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

Marfat.com

الله من عباده الرُحماء»(١) .

وقال: «**ولكل منكما علي ملؤها**» فوعد الله عز وجل النار ملأها، ووعد الجنة ملأها ، هو يخلف الميعاد عز وجل.

ولكن أتدرون ماذا تكون العاقبة ؟ تكون العاقبة ـ كما ثبتت بها الأحاديث الصحيحة ـ أن النار لا يزال يلقى فيها، وهي تقول: «**هل من مزيد**» كما قال تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]. يعني : تطلب الزيادة لأنها تمتلئ ، فيضع الرب عز وجل عليها قدمه، فينزوي بعضها إلى بعض ـ أي ينضم بعضها إلى بعض وتقول: «**قط قط**»(٢) أي: حسبي، حسبي، لا أريد زيادة فصارت تملأ بهذه الطريقة .

أما الجنة: فإن الجنة ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ويسكنها أولياء الله، جعلني الله وإياكم منهم، ويسكنها أهلها ويبقى فيها فضل ـ يعني مكان ليس فيه أحد ـ فينشئ الله لها أقوامًا فيدخلهم الجنة برحمته.

وهذه هي النتيجة؛ امتلأت النار بعد الله عز وجل، وامتلأت الجنة بفضل الله ورحمته.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديثًا في الإنسان المسبل، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء**» وهذه مسألة خطيرة وذلك أن الرجل منهي عن أن ينزل ثوبه أو سرواله أو مشلحه أو إزاره عن الكعب، لابد أن يكون من الكعب فما فوق، فمن نزل عن الكعب؛ فإن فعله هذا من الكبائر والعياذ بالله.

لأنه إن نزل كبرًا وخيلاء فإنه لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يكلمه ، ولا يزكيه، وله عذاب أليم، وإن كان نزل لغير ذلك كأن يكون طويلاً ولم يلاحظه، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار**»(٣) .

فكانت العقوبة حاصلة على كل حال فيما نزل عن الكعبين، لكن إن كان بطرًا وخيلاء فالعقوبة أعظم؛ لا يكلم الله صاحبه يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم وإن كان غير خيلاء، فإنه يعذب بالنار والعياذ بالله.

فإن قال قائل: ما هي السنة؟ قلنا: السنة من الكعب إلى منتصف الساق هذه هي

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢٨٤) ومسلم (٩٢٣).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٧).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٥٧٨٧).

Marfat.com

السنة، نصف الساق سنة، وما دونه سنة، وما كان إلى الكعبين فهو سنة، لأن هذا هو لبس النبي ﷺ وأصحابه، فإنهم كانوا لا يتجاوز لباسهم الكعبين، ولكن يكون إلي نصف الساق أو يرتفع قليلاً ، وما بين ذلك كله سنة.

* * *

[٦/ ٦١٧] ـ وعنه قال: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: « ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَة، ولا يُزَكِّيهِمْ، ولا يَنْظُرُ إليْهِمْ، ولَهُمْ عَـذابٌ أليمٌ: شَيْخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَـذَّابٌ، وعَـائِـلٌ مُسْتَكْبِرٌ » رواهُ مسلم. « العَائِلُ »: الفقير.

[٧/ ٦١٨] ـ وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: « قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: العزُّ إزَارِى، والكِبْرِياءُ رِدَائى، فَمَنْ يُنازِعُنى عَذَّبْتُه ». رواه مسلم.

[٨/ ٦١٩] ـ وعَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: « بَيْنَما رَجلٌ يَمْشى فى حُلَّة تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجّلٌ رأسَه، يَخْتَال فى مِشْيَتِهِ، إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فهو يَتَجَلْجَلُ فى الأرْضِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » متفقٌ عليه.

« مُرَجّلٌ رأسَهُ » أى: مُمَشَّطُهُ. « يَتَجَلْجَلُ » بالجيمين، أىْ: يَغُوصُ ويَنْزِلُ.

الشرح

هذه الأحاديث ساقها النووي ـ رحمه الله ـ في (باب تحريم الكبر والإعجاب)، فذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم»**.

ثلاثة: يعني ثلاثة أصناف، وليس المراد ثلاثة رجال، بل قد يكونون آلافًا من الناس، لكن المراد ثلاثة أصناف. وهكذا كلما جاءت كلمة ثلاثة أو سبعة أو ما أشبه ذلك فالمراد أصنافًا لا أفرادًا.

فهؤلاء الثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم.

الأول: «شيخ زان» يعني رجلاً كبيرًا مُسنًا زنى، فهذا لا يكلمه الله يوم القيامة، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه وله عذاب أليم، وذلك لأن الشيخ ليس هناك شهوة تجبره على أن

(٦/ ٦١٧) صحيح: رواه مسلم (١٠٧) وأحمد (٢/ ٤٨٠).

(٧/ ٦١٨) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٠) وأحمد (٢/ ٢٤٨) وأبوداود (٤٠٩٠) وابن ماجه (٤١٧٤).

(٨/ ٦١٩) صحيح: رواه البخاري (٥٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨).

Marfat.com

يفعل هذا الفعل، فالشاب قد يكون عنده شهوة ويعجز أن يملك نفسه ، لكن الشيخ قد بردت شهوته وزالت أو نقصت كثيرًا، فكونه يزني هذا يدل علي أنه والعياذ بالله سيئ للغاية، لأنه فعل الفاحشة من غير سبب قوي يدفعه إليها.

والزني كله فاحشة سواء من الشاب أو الشيخ، لكنه من الشيخ أشد وأعظم والعياذ بالله، إلا أن هذا الحديث مقيد بما ثبت في الصحيحين(١) أن من أتى شيئًا من هذه القاذورات، وأقيم عليه الحد في الدنيا فإن الله تعالى لا يجمع عليه عقوبتين بل يزول عنه ذلك، ويكون الحدُّ تطيهرًا له.

الثاني: «ملك كذاب» وكذاب هذه صيغة مبالغة أي كثير الكذب، وذلك لأن الملك لا يحتاج إلي أن يكذب، كلمته هي العليا بين الناس ، فلا حاجة إلي أن يكذب، فإذا كذب صار يَعِدُ الناس ولكن لا يوفي ، يقول: سأفعل كذا ولكن لا يفعل ، سأترك كذا ولكن لا يترك، ويحدث الناس يلعب بعقولهم ويكذب عليهم، فهذا والعياذ بالله داخل في هذا الوعيد، لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم.

والكذب حرام من الملك وغير الملك، لكنه من الملك أعظم وأشد لأنه لا حاجة إلي أن يكذب، كلمته بين الناس هي العليا فيجب عليه أن يكون صريحًا، إذا كان يريد الشيء يوافق عليه ويفعل، وإذا كان لا يريده يرفضه ولا يفعل ، الواحد من الرعية، قد يحتاج إلي الكذب فيكذب ، ولكن الملك لا يحتاج.

والكذب حرام، ومن صفات المنافقين والعياذ بالله، فإن المنافق إذا حدث كذب، ولا يجوز لأحد أن يكذب مطلقًا، وقول بعض العامة: إن الكذب إذا كان لا يقطع مُحلاً من حلاله فلا بأس به، هذه قاعدة شيطانية، ليس لها أساس من الصحة ولا من الدين، والصواب أن الكذب حرام بكل حال.

الثالث: «عائل مستكبر» ، وهذا هو الشاهد من الحديث، عائل يعني فقيرًا، مستكبر يعني يتكبر على الناس والعياذ بالله فإن هذا العائل الفقير ليس عنده ما يوجب الكبر، فالغني ربما يخدعه غناه ويغره؛ فيتكبر على عباد الله، أو يتكبر على الحق ، لكن الفقير حشف وسوء كيلة، ما دام فقيرًا يستكبر! فالعائل المستكبر هذا لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم.

والكبر حرام من الغنى ومن الفقير، لكنه من الفقير أشد ولهذا تجد الناس إذا رأوا غنيا

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٧٨٤) ومسلم (١٧٠٩).

Marfat.com

متواضعًا استغربوا ذلك منه، ورأوا أن هذا الغنى في غاية الخلق النبيل، لكن لو يجدون فقيرًا متواضعًا لكان من سائر الناس، لأن الفقر يوجب للإنسان أن يتواضع ، لأنه لأي شيء يستكبر!.

فإذا جاء إنسان والعياذ بالله عائل فقير يستكبر على الخلق، أو يستكبر عن الحق، فليس هناك ما يوجب الكبرياء في حقه، فيكون والعياذ بالله داخلاً في هذا الحديث.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ فيما ساقه من الأدلة على تحريم الكبر والإعجاب وأنه من كبائر الذنوب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني عذبته»**(١) .

هذا من الأحاديث القدسية التي يرويها النبي ﷺ عن الله، وهي ليست في مرتبة القرآن، فالقرآن له أحكام تخصه، منها أنه معجزٌ للبشر عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور منه، أو بسورة أو بحديث مثله، وأنه لا يجوز للجنب أن يقرأ القرآن وأن الصلاة تصح إذا قرأ المصلي من القرآن، بل تجب القراءة بالفاتحة، أما الأحاديث القدسية فليست كذلك.

ثم القرآن محفوظ لا يزداد فيه ولا ينقص ، ولا يروي بالمعنى، وليس فيه شيء ضعيف، أما الأحاديث القدسية فإنها تُروي بالمعنى وفيها أحاديث ضعيفة، وفيها أحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ ليست بصحيحة وهو كثير ، فالمهم أنها ليست في منزلة القرآن إلا أنه: يقال إن النبي ﷺ يرويه عن ربه.

فالله تعالى يقول: **«العز إزاري والكبرياء ردائي»** وهذا من الأحاديث التي تمر كما جاءت عن النبي ﷺ ، ولا يتعرض لمعناها بتحريف أو تكييف، وإنما يقال هكذا قال الله تعالى فيما رواه النبي ﷺ عنه، فمن نازع الله في عزته وأراد أن يتخذ سلطانًا كسلطان الله، أو نازع الله في كبريائه وتكبر على عباد الله، فإن الله يعذبه، يعذبه على ما صنع ونازع الله تعالى فيما يختص به.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث أبي هريرة الآخر عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«بينما رجل يمشي في حلة ، تعجبه نفسه، مرجل رأسه، يختال في مشيته»** أي عنده من الخيلاء والكبرياء والغطرسة ما عنده **«إذا خسف الله به»** أي: خسف به الأرض **«فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة»** يعني: انهارت به الأرض وانغمس فيها واندفن، فهو يتجلجل فيها إلي يوم القيامة، لأنه والعياذ بالله لما صار عنده هذا الكبرياء وهذا التيه وهذا الإعجاب خُسف به.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٦٢٠) وابو داود (٤٠٩٠).

Marfat.com

وهذا نظير قارون الذي ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ في صدر الباب، فإن قارون خرج على قومه في زينته ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص: ٧٩ ـ ٨١].

وقوله: «يتجلجل في الأرض» يحتمل أنه يتجلجل وهو حي حياة دنيوية، فيبقى هكذا معذبًا إلى يوم القيامة، معذبًا وهو في جوف الأرض وهو حي، فيتعذب كما يتعذب الأحياء، ويحتمل أنه لما اندفن مات، كما هي سنة الله عز وجل، مات ولكن مع ذلك يتجلجل في الأرض وهو ميت، فيكون تجلجله هذا تجلجلاً برزخيًا لا تُعلم كيفيته، والله أعلم. المهم أن هذا جزاؤه والعياذ بالله.

وفي هذا: وما قبله وما يأتي بعده دليل على تحريم الكبر وتحريم الإعجاب، وأن الإنسان يجب أن يعرف نفسه وينزلها منزلتها.

* * *

[٩/ ٦٢٠] ـ وعن سَلَمَةَ بن الأكْوعِ رضي اللهُ عنه قال: قال رسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزَالُ الرَّجلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ في الجَبَّارِينَ، فَيُصِيبُهُ مَا أصَابهُمْ» رواهُ الترمذى وقال: حديث حسن.

«يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ» أى: يَرْتَفِعُ ويَتَكَبَّرُ.

الشرح

في هذا الحديث الأخير من الباب أن النبي ﷺ حذر الإنسان من أن يعجب بنفسه، فلا يزال في نفسه يترفع ويتعاظم حتى يكتب من الجبارين، فيصيبه ما أصابهم.

والجبارون والعياذ بالله لو لم يكن من عقوبتهم إلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب﴾ [غافر: ٣٥]. لكان عظيمًا. فالجبار والعياذ بالله يطبع علي قلبه، حتى لا يصل إليه الخير، ولا ينتهي عن الشر.

وخلاصة هذا الباب أنه يدور على شيئين.

الأول: تحريم الكبر وأنه من كبائر الذنوب.

والثاني: تحريم الإعجاب، إعجاب الإنسان بنفسه، فإنه أيضًا من المحرمات وربما يكون سببًا لحبوط العمل إذا أعجب الإنسان بعبادته، أو قراءته القرآن، أو غير ذلك، ربما يحبط أجره وهو لا يعلم.

(٩/ ٦٢٠) ضعيف: رواه الترمذي (٢٠٠٠) وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٣٤٣).

Marfat.com

٧٣ـ باب حسن الخلق

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤) ،وقال تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ الآية (آل عمران:١٣٤) .

[١/ ٦٢١]ــ وعن أنسٍ رضى الله عنه قال : كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ أحْسَنَ النَّاسِ خُلقاً. متفقٌ عليه .

الشرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ : (باب حسن الخلق) يعني: باب الحث عليه، وفضيلته ، وبيان فضل من اتصف به من عباد الله وحسن الخلق يكون مع الله ويكون مع عباد الله.

أما حسن الخلق مع الله فهو: الرضا بحكمه شرعًا وقدرًا، وتلقي ذلك بالانشراح وعدم التضجر، وعدم الأسى والحزن ، فإذا قدر الله على المسلم شيئًا يكرهه رضي بذلك واستسلم وصبر، وقال بلسانه وقلبه: رضيت بالله ربًا، وإذا حكم الله عليه بحكم شرعي رضي واستسلم . وانقاد لشريعة الله عز وجل بصدر منشرح ونفس مطمئنة ، فهذا حسن الخلق مع الله عز وجل.

أما مع الخلق: فيحسن الخلق معهم بما قاله بعض العلماء من: كف الأذى، وبذل الندى وطلاقة الوجه.

كف الأذى: بألا يؤذي الناس لا بلسانه ولا بجوارحه، وبذل الندى: يعني العطاء، فيبذل العطاء من مال وعلم وجاه وغير ذلك . وطلاقة الوجه: بأن يلاقي الناس بوجه منطلق ، ليس بعبوس ولا مصعر خده وهذا هو حسن الخلق.

ولا شك أن الذي يفعل هذا، فيكف الأذى ويبذل الندى ويجعل وجهه منطلقًا، لا شك أنه سيصبر على أذى الناس أيضًا، فإن الصبر على أذى الناس لا شك أنه من حسن الخلق، فإن من الناس من يؤذي أخاه، وربما يعتدي عليه بما يضره؛ بأكل ماله أو جحد حق له أو ما أشبه ذلك، فيصبر ويحتسب الأجر من الله سبحانه وتعالى، والعاقبة للمتقين، وهذا كله من حسن الخلق مع الناس.

ثم صدر المؤلف ـ رحمه الله ـ هذا الباب بقوله تعالى: مخاطبًا نبيه ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]. وهذا معطوف علي جواب القسم ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ

(١/ ٦٢١) صحيح : رواه البخاري (٦٢٠٣) ومسلم (٢١٥٠).

Marfat.com

﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ① مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ② وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ③ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ١-٤] ﴿إِنَّكَ﴾ يعني يا محمد، ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ : لم يتخلق أحد بمثله، في كل شيء؛ خلق مع الله، خلق مع عباد الله، في الشجاعة، والكرم، وحسن المعاملة، وفي كل شيء، وكان عليه الصلاة والسلام خلقه القرآن يتأدب بآدابه، يمتثل أوامره ويجتنب نواهيه.

ثم ساق المؤلف جزءًا من آية آل عمران في قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤]. وهذه من صفات المتقين الذين أعد الله لهم الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ⑬③ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣، ١٣٤].

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ ، يعني الذين يكتمون غضبهم، فإذا غضب، ملك نفسه وكظم غيظه، ولم يتعد على أحد بموجب هذا الغضب.

﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، إذا أساءوا إليهم، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، فإن من الإحسان أن تعفوا عمن ظلمك، ولكن العفو له محل؛ إن كان المعتدي أهلاً للعفو فالعفو محمود، وإن لم يكن أهلاً للعفو فإن العفو ليس بمحمود ، لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

فلو أن رجلاً اعتدى عليك بضربك أو أخذ مالك أو إهانتك أو ما أشبه ذلك، فهل الأفضل أن تعفو عنه أم لا؟

نقول في هذا تفصيل: إن كان الرجل شريرًا، سيئًا إذا عفوت عنه ازداد في الاعتداد عليك وعلي غيرك، فلا تعف عنه، خذ حقك منه بيدك، إلا أن تكون تحت ولاية شرعية فترفع الأمر إلى من له الولاية الشرعية ، وإلا فتأخذه بيدك ما لم يترتب على ذلك ضرر أكبر.

والمهم أنه إذا كان الرجل المعتدي سيئًا شريرًا فهذا ليس أهلاً للعفو فلا تعف عنه، بل والأفضل أن تأخذ بحقك لأن الله يقول: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ﴾ ، والعفو في مثل هذه الحال ليس بإصلاح.

أما إذا كان الرجل حسن الخلق، لكن بدرت منه هذه الإساءة، فالأفضل العفو عنه ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ .

Marfat.com

والنفس ربما تأمرك أن تأخذ بحقك، ولكن كما قلت : إذا كان الإنسان أهلاً للعفو فالأفضل أن تعفو عنه وإلا فلا.

* * *

[٢/ ٦٢٢] ـ وعنه قال : مَا مَسِستُ ديباجاً ولا حَريراً ألْيَنَ منْ كَفِّ رسُولِ اللهِ ﷺ، ولاَ شَمَمْتُ رَائحَةً قَطُّ أطيَبَ منْ رَائحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ولَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عشْرَ سنينَ ، فما قالَ لي قَطُّ : أُفٍّ ، ولا قالَ لشَيْءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَهُ ؟ ولاَ لشيْءٍ لَمْ أفْعَلْهُ : ألا فَعَلْتَ كَذَا ؟ متفقٌ عليه .

[٣/ ٦٢٣] ـ وعن الصَّعب بن جَثَّامَةَ رضيَ اللهُ عنه قال : أهْدَيْتُ رسُولَ اللهِ ﷺ حمَاراً وَحْشيّا ، فَرَدَّهُ عَليَّ ، فلمَّا رَأى مَا في وجْهي قالَ : « إنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلا أنَّا حُرُمٌ » . متفقٌ عليه .

الشرح

ذكر المؤلف الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في (باب حسن الخلق) ما نقله عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما مست حريرًا ولا ديباجًا ألين من يدي رسول الله ﷺ .

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه قد خدم النبي ﷺ عشر سنين؛ جاءت به أمه حين قدم النبي ﷺ المدينة ، فقالت : يا رسول الله، هذا أنس بن مالك يخدمك ، فقبل ﷺ أن يخدمه، ودعا له أن يبارك الله له في ماله وولده، فبارك الله في ماله وولده(١) ، حتى قيل : إنه كان له بستان يثمر في السنة مرتين، من بركة المال الذي دعا له رسول الله ﷺ به، أما أولاده من صلبه فبلغوا مائة وعشرين ولدًا ، كل هذا ببركة دعوة النبي ﷺ .

يقول: إنه ما مس ديباجًا ولا حريرًا ألين من يد رسول الله ﷺ ، فكانت يده ﷺ لينة إذا مسها الإنسان فإذا هي لينة.

وكما ألان الله يده ألان الله سبحانه وتعالى قلبه، قال الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ يعني صرت لينا لهم ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١/ ٦٢٢) صحيح : رواه البخاري (٣٥٦١) ومسلم (٢٣٣٠).
(٢/ ٦٢٣) صحيح : رواه البخاري (٢٥٧٣)، ومسلم (١١٩٣).
(١) صحيح : رواه البخاري (٦٣٣٤) ومسلم (٢٤٨٠).

Marfat.com

وكذلك أيضًا رائحته ﷺ ، ما شم طيبًا قط أحس من رائحة النبي ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام طيب الريح كثير استعمال الطيب، قال: «**حُبِّبَ إليَّ من دُنياكم النساء والطيب وجُعلت قرة عيني في الصلاة**»(١) هو نفسه ﷺ طيب، حتى كان الناس يتبادرون إلى أخذ عرقه ﷺ من حسنه وطيبه، ويتبركون بعرقه، لأن من خصائص الرسول ﷺ أن نتبرك بعرقه وبريقه وبثيابه(٢) ، أما غير الرسول فلا يتبرك بعرقه ولا بثيابه ولا بريقه.

يقول: ولقد خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي: أف قط ـ يعني ما تضجر منه أبداً ـ عشر سنوات يخدمه ما تضجر منه ، والواحد منا إذا خدمه أحد ، أو صاحبه أحد لمدة أسبوع أو نحوه لابد أن يجد منه تضجراً ، لكن الرسول ﷺ عشر سنوات وهذا الرجل يخدمه ومع ذلك ما قال له أف قط.

ولا قال لشيء فعلته: لمَ فعلت كذا؟ حتى الأشياد التي يفعلها أنس اجتهاداً منه ما كان الرسول ﷺ يؤنبه أو يوبخه أو يقول: لم فعلت كذا، مع أنه خادم ، وكذلك ما قال لشيء لم أفعله: لم لَمْ تفعل كذا وكذا؟ فكان عليه الصلاة والسلام يعامله بما أرشده الله سبحانه وتعالى إليه في قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

أتدرون ما العفو؟ العفو، ما عفا من أخلاق الناس وما تيسر ، يعني: خذ من الناس ما تيسر، ولا تريد أن يكون الناس لك علي ما تريد في كل شيء، من أراد أن يكون الناس له على ما يريد في كل شيء فاته كل شيء، ولكن خذ ما تيسر ، عامل الناس بما إن جاءك قبلت، وإن فاتك لم تغضب، ولهذا قال: «**ما قال لشيء لم أفعله لم لَمْ تفعل كذا، وكذا؟**» وهذا من حسن خلقه عليه الصلاة والسلام.

ومن حسن خلقه ﷺ أنه كان لا يُداهن الناس في دين الله، ولا يفوته أن يطيب قلوبهم فالصعب بن جثامة رضي الله عنه مر به النبي ﷺ ، والنبي ﷺ مُحرم ، وكان الصعب بن جثامة عداًء راميًا ، عداء: يعني سبوقًا، راميًا: يعني يجيد الرمي.

فلما نزل به النبي ﷺ ضيفًا رأى أنه لا أحد أكرم ضيفًا منه، فذهب يصيد للرسول ﷺ صيداً، فصاد له حماراً وحشيا وكان في الجزيرة العربية في ذلك الوقت كثير من الصيد لكنها قلت صاد له حماراً وحشيًا وجاء به إليه فرده النبي ﷺ فصعب ذلك على الصعب؛ كيف يرد النبي ﷺ هديته؟ فتغير وجهه، فلما رأى ما في وجهه طيب قلبه وقال: «**إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم**» يعني محرمون، والمحرم لا يأكل من الصيد الذي صيد من أجله.

فلو أن محرمًا مر بك وأنت في بلدك وهو محرم وصدت له صيداً أو ذبحت له صيداً

(١) صحيح : رواه النسائي (٣٩٣٩) واحمد (٣/ ١٢٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) [illegible] في [illegible] البخاري (١٢٥١) ومسلم (٢٣٣١). (٣٩٦٠).

Marfat.com

عندك، فإنه لا يحل له أن يأكل منه، وذلك لأنه ممنوع، من أكل ما صيد من أجله، أما إذا لم تصده من أجله، فالصحيح أنه حلال له.

ولهذا أكل النبي ﷺ من الصيد الذي صاده أبو قتادة (١) رضي الله عنه ؛ لأن أبا قتادة لم يصده من أجل الرسول ﷺ ، وهذا أحسن ما قيل في هذه المسألة، أنه إذا صيد الصيد من أجل المحرم كان حرامًا عليه، وإن صاده الإنسان لنفسه وأطعم منه المحرم فلا بأس.

على أن بعض العلماء(٢) قال: إن المحرم لا يأكل من الصيد مطلقًا صيد من أجله أم لم يصد، قالوا: لأن حديث الصعب بن جثامة متأخر عن حديث أبي قتادة، فإن حديث أبي قتادة كان في غزوة الحديبية في السنة السادسة ، وحديث الصعب بن جثامة في حجة الوداع في السنة العاشرة ، ويؤخذ بالآخر فالآخر.

ولكن القاعدة الأصولية الحديثية تأبى هذا القول؛ لأنه لا يصار إلي النسخ إلا إذا تعذر الجمع، فإذا أمكن الجمع فلا نسخ، والجمع هنا ممكن، وهو أن يقال: إن صيد لأجل المُحرم فحرام، وإن صاده الإنسان لنفسه وأطعم منه المحرم فلا بأس.

ويؤيد هذا حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«صيد البر حلالٌ لكم ما لم تصيدوه أو يُصد لكم»**(٣). وهذا تفصيل واضح؛ ما لم تصيدوه أو يُصد لكم.

الحاصل أن هذا الحديث حديث الصعب بن جثامة رضي الله عنه فيه فائدتان عظيمتان:

الأولى: أن النبي ﷺ لا يداهن أحدًا في دين الله، وإلا لكان قبل الهدية من الصعب، وسكت إرضاءً له ومداهنة له، لكنه عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يفعل هذا.

الثانية: أنه ينبغي للإنسان أن يجبر خاطر أخيه إذا فعل معه ما لا يحب ، ويبين السبب؛ لأجل أن تطيب نفسه، ويطمئن قلبه، فإن هذا من هدى النبي ﷺ .

* * *

[٤/ ٦٢٤] ــ وعن النَّواسِ بن سمعانَ رضيَ اللّهُ عنه قال : سألتُ رسُولَ اللّهِ ﷺ عن البرّ والإثمِ فقالَ : « البِرُّ : حُسْنُ الخُلُقِ ، والإثمُ : مَا حَاكَ فِى نَفْسِكَ ، وكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رواهُ مسلم .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١٨٢٤) ومسلم (١١٩٦).

(٢) انظر بداية المجتهد (٢/ ٨١١).

(٣) ضعيف : رواه أبو داود (١٨٥١) والترمذي (٨٤٦) وضعفه الألباني في المشكاة (٢٧٠٠).

(٤/ ٦٢٤) صحيح : رواه مسلم (٢٥٥٣) والترمذي (٢٣٨٩) وأحمد (٤/ ١٨٢).

Marfat.com

[٥/ ٦٢٥] ــ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : لم يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشاً ولا مُتَفَحّشاً . وكان يَقُولُ : « إنَّ مِن خِيارِكُم أحْسَنُكُم أخْلاقاً » متفقٌ عليه .

[٦/ ٦٢٦] ــ وعن أبى الدرداء رضى الله عنه : أن النبىَّ ﷺ قالَ : « ما من شَىء أثْقَلُ فى ميزانِ المؤمنِ يومَ القِيامَةِ من حُسْنِ الخُلُقِ ، وإنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِىَّ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

« البَذِىُّ » هو الَّذى يَتَكَلَّم بالفُحشِ ، ورديء الكلامِ .

الشَرح

هذه الأحاديث التي ساقها النووي ـ رحمه الله ـ في (باب حسن الخلق) وقد سبق شيء من هذه الأحاديث.

أما حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «البر حسن الخلق»، وقد تقدم شرح هذه الجملة، وبينا أن حسن الخلق يحصل فيه الخير الكثير، لأن البر هو الخير الكثير.

وأما الإثم فقال هو «ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس» يعني بما حاك في النفس: ما لم تطمئن إليه نفسك، بل ترددت فيه، وكرهت أن يطلع عليه الناس.

ولكن هذا خطاب للمؤمن، أما الفاسق فإن الإثم لا يحيك في صدره، ولا يهمه أن يطلع عليه الناس، بل يجاهر به ولا يبالي المؤمن لكن الله سبحانه وتعالى قد أعطاه نورًا في قلبه، إذا هم بالإثم حاك في صدره، وتردد فيه، وكره أن يطلع عليه الناس، فهذا الميزان إنما هو في حق المؤمنين. أما الفاسقون فإنهم لا يهمهم أن يطلع الناس على آثامهم، ولا تحيك الآثام في صدورهم؛ بل يفعلونها ـ والعياذ بالله ـ بانطلاق وانشراح، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].

فقد يزين للإنسان سوء العمل فينشرح له صدره، مثل ما نرى من أهل الفسوق الذين يشربون الخمر، وتنشرح صدورهم له، والذين يتعاملون بالربا وتنشرح صدورهم لذلك، والذين يتعودون العهر والزنا وتنشرح صدورهم لذلك، ولا يبالون بهذا، بل ربما إذا فعلوا ذلك سرًا ذهبوا يشيعونه ، ويعلنونه، مثل ما يوجد من بعض الفساق إذا ذهبوا إلى البلاد الخارجية الماجنة الفاجرة ورجعوا ، قاموا يتحدثون فعلت كذا وفعلت كذا، يعني : أنهم

(٥/ ٦٢٥) صحيح: رواه البخاري (٦٥٥٩)، (٦٠٣٥)، ومسلم (٢٣٣١).

(٦/ ٦٢٦) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٠٢) ، وصححه الالباني في صحيح الترمذي (١٦٢٨).

Marfat.com

زنوا ـ والعياذ بالله ـ وشربو الخمر وما أشبه ذلك.

وفي هذه الأحاديث بيان صفة الرسول ﷺ وأنه «لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا»، يعني: أنه ﷺ بعيد عن الفحش طبعا وكسبا، فلم يكن فاحشا فى نفسه ولا فى غزيزته بل هو لين سهل، ولم يكن متفحشا أى: متطبع بالفحشاء بل كان ﷺ أبعد الناس عن الفحش في مقاله وفي فعاله ﷺ.

الحث على حسن الخلق، وأنه من أثقل ما يكون في الميزان يوم القيامة، وهذا من باب الترغيب فيه، فعليك يا أخي المسلم أن تحسن خلقك مع الله عز وجل، في تلقي أحكامه الكونية والشرعية، بصدرٍ مُنشَرِحٍ منقادٍ راضٍ مُستسلمٍ، وكذلك مع عباد الله فإن الله تعالى يحب المحسنين.

* * *

[٧/ ٦٢٧] ـ وعن أبى هُريرة رضى الله عنه قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثر ما يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قال: «تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ» وَسُئِلَ عَن أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ». رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

[٨/ ٦٢٨] ـ وعَنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أكمَلُ المُؤمنينَ إيماناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِم» رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

الشرح

هذه الأحاديث في بيان فضل حسن الخلق، ومنها عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ سئل: ما أكثر ما يُدخل الجنة ـ يعني ما هو الشيء الذي يكون سببًا لدخول الجنة كثيرًا ـ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق». تقوى الله تعالى، وهذه كلمة جامعة لفعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه، فأن تفعل ما أمرك الله به وأن تدع ما نهاك عنه، هذه هي التقوى؛ لأن التقوى مأخوذة من الوقاية، وهي أن يتخذ الإنسان ما يقيه من عذاب الله ولا شيء يقي من عذاب الله إلا فعل الأوامر واجتناب النواهي.

وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج. الفم يعني بذلك قول اللسان فإن الإنسان قد يقول كلمة لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفًا[(١)]، والعياذ بالله أي سبعين

(٧/ ٦٢٧) حسن: رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وقال: صحيح غريب وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٤٢٤)، والصحيحة (ح/ ٩٧٧).

(٨/ ٦٢٨) صحيح: رواه الترمذي (١١٦٢) وأبو داود (٤٦٨٢) وصححه الألباني في المشكاة (٣٢٦٤).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦١٦)، ابن ماجه (٣٩٧٣) وصححه الألباني في الإرواء (٤١٣).

Marfat.com

سنة، ولهذا قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «**أفلا أخبرك بملاك ذلك كله؟**» قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلساني وقال: «**كف عليك هذا**». قلت: يا رسول الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به - يعني هل نؤاخذ بالكلام - قال: «**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار علي وجوههم - أو قال - علي مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم**»(١) .

ولما كان عمل اللسان سهلاً صار إطلاقه سهلاً، لأن الكلام لا يتعب به الإنسان، ليس كعمل اليد وعمل الرجل وعمل العين يتعب فيه الإنسان. فعمل اللسان لا يتعب فيه الإنسان فتجده يتكلم كثيرًا بأشياء تضره؛ كالغيبة، والنميمة، واللعن، والسب ، والشتم، وهو لا يشعر بذلك، فيكتسب بهذا آثامًا كثيرة.

أما الفرج فالمراد به الزنا، وأخبث من اللواط، فإن ذلك أيضًا تدعو النفس إليه كثيرًا - ولا سيما من الشباب - فتهوى بالإنسان وتدرجه حتى يقع في الفاحشة وهو لا يعلم.

ولهذا سد النبي ﷺ كل باب يكون سببًا لهذه الفاحشة، فمنع خلوة الرجل بالمرأة(٢) ، ومنع المرأة من كشف وجهها أمام الرجال الأجانب(٣) ، ونهى المرأة أن تخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، إلى غير ذلك من السياج المنيع الذي جعله النبي ﷺ حائلاً دون فعل هذه الفاحشة؛ لأن هذه الفاحشة تدعو إليها النفس، فهذا أكثر ما يدخل الناس النار: أعمال اللسان، وأعمال الفرج، نسأل الله الحماية.

ثم ذكر أيضًا من فضائل حسن الخلق أن أحسن الناس أخلاقًا هم أكمل الناس إيمانًا، قال النبي ﷺ : «**أكمل الناس إيمانًا أحسنهم خلقًا**».

وفي هذا: دليل على أن الإيمان يتفاوت، وأن الناس يختلفون فيه فبعضهم في الإيمان أكمل من بعض بناء علي الأعمال، وكلما كان الإنسان أحسن خلقًا كان أكمل إيمانًا، وهذا حث واضح على أن الإنسان ينبغي له أن يكون حسن الخلق بقدر ما يستطيع.

قال: «**وخياركم خياركم لنسائهم**» المراد خيركم خيركم لأهله، كما جاء ذلك في السنن أن النبي ﷺ قال: «**خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي**»(٤) فينبغي للإنسان أن يكون مع أهله خير صاحب وخير محب، وخير مربي، لأن الأهل أحق بحسن خلقك من غيرهم. فابدأ بالأقرب فالأقرب.

على العكس من ذلك حال بعض الناس اليوم وقبل اليوم، تجده مع الناس حسن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٢٣٣) ومسلم(١٣٤١).
(٢) انظر سورة النور: (٣١).
(٣) صحيح: رواه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٦٠٣٩) والترمذي (٢٤٨٩) وأحمد (٦/ ٤٩).

Marfat.com

الخلق، لكن مع أهله سيء الخلق ـ والعياذ بالله ـ وهذا خلاف هدي النبي ﷺ، والصواب أن تكون مع أهلك حسن الخلق ومع غيرهم أيضًا، لكن هم أولى بحسن الخلق من غيرهم.

ولهذا لما سئلت عائشة: ماذا كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ قالت: كان في مهنة أهله(١) ـ أي يساعدهم على مهمات البيت ـ، حتى إنه ﷺ كان يحلب الشاة لأهله، ويخصف نعله، ويرقع ثوبه، وهكذا ينبغي للإنسان مع أهله أن يكون من خير الأصحاب لهم.

* * *

[٩/ ٦٢٩]ــ وعن عائشةَ رضىَ اللّه عنها، قالت: سمعتُ رسولَ اللّه ﷺ يقول: « إنَّ المؤمنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِم القَائم » رواه أبو داود.

[١٠/ ٦٣٠]ــ وعن أبى أُمَامَةَ الباهلىّ رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «أنا زَعِيمٌ بِبيْت فى ربَضِ الجنَّة لمَنْ تركَ المِراءَ، وإن كَانَ مُحقًا، وبِبَيت فى وَسَط الجنَّة لمن ترَكَ الكَذبَ، وإن كَانَ مازحاً، وبِبَيْتٍ فى أعلى الجَنَّة لمن حَسُنَ خُلُقُهُ » حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

« الزَّعيمُ »: الضَّامنُ.

[١١/ ٦٣١]ــ وعن جابر رضى اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: « إنَّ منْ أحبكُم إلىَّ، وأقربكم منى مَجلساً يوْمَ القيامَة، أحَاسنُكُم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكُم إلىَّ، وأبعدكُم منى يَوْمَ القيامَة الثَرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهقُونَ » قالوا: يا رسول اللّه، قَدْ علِمْنَا: الثَّرْثَارُونَ والمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهقُونَ؟ قال: « المُتَكَبرُونَ » رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسن.

« الثَّرْثَارُ »: هُوَ كَثيرُ الكَلام تكلُّفاً. وَ « المُتَشَدِّقُ »: المُتطاول على النَّاس بكَلامه، ويَتَكَلَّمُ بملء فيه تَفَاصُحاً وتعْظيماً لكَلامه؛ وَ « المُتَفَيْهِقُ »: أصلُهُ مِنَ الفَهْق، وهُوَ الامْتلاء، وهُوَ الَّذى يَمْلأ فَمَهُ بِالكَلامِ، وَيَتَوَسَّعُ فيه، ويُغْرِبُ بِهِ تكَبُّراً وارتفَاعاً، وإظهَاراً للفَضيلَة علَى غَيرِه.

وروى التِّرمذيُّ عن عبد اللّه بنِ المبارك رحمه اللّه فى تَفْسيرِ حُسْنِ الخُلُقِ قال: هُوَ طَلاقَةُ الوَجه، وَبَذلُ المَعْروف، وكَفُّ الأذى(٢).

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٧٦) والترمذي (٢٤٨٩) وأحمد (٦/ ٤٩).

(٩/ ٦٢٩) صحيح: راوه أبو داود (٤٧٩٨) وصححه الألباني في أبي داود (٤٠١٣).

(١٠ / ٦٣٠) حسن: رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠١٥).

(١١/ ٦٣١) صحيح: رواه الترمذي (٢٠١٨) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٦٤٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٠٠٥) وقال الألباني في صحيح الترمذي صحيح الإسناد.

Marfat.com

الشرح

هنا ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أحاديث متعددة في بيان حسن الخلق، وأن من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ أحاسنهم أخلاقًا، فكلما كنت أحسن خلقًا كنت أقرب إلى الله ورسوله من غيرك، وأبعد الناس منزلة من رسول الله ﷺ الثرثارون والمتشدقون المتفيهقون.

الثرثارون: الذين يكثرون الكلام ويأخذون المجالس عن الناس، فإذا جلس في المجلس أخذ الكلام عن غيره، وصار كأن لم يكن في المجلس إلا هو، ولا يدع غيره يتكلم، وهذا لا شك أنه نوع من الكبرياء.

لكن لو فرضنا أن أهل المجلس فوضوه وقالوا: أعطنا نصيحة، أعطنا موعظة فتكلم فلا حرج ، إنما في الكلام العادي كونك تملك المجلس ولا تدع أحدًا يتكلم، حتى إن بعض الناس يحب أن يتكلم لكن لا يستطيع أن يتكلم، يخشى من مقاطعة هذا الرجل الذي ملك المجلس بكلامه.

كذلك أيضًا المتشدقون، والمتشدق: هو الذي يتكلم بملء شدقيه، تجده يتكلم وكأنه أفصح العرب تكبرًا وتبخترًا، ومن ذلك من يتكلم باللغة العربية أمام العامة، فإن العامة لا يعرفون اللغة العربية، لو تكلمت بينهم باللغة العربية لعدوا ذلك من باب التشدق في الكلام والتنطع، أما إذا كنت تدرس لطلبة فينبغي أن تتكلم باللغة العربية، لأجل أن تمرنهم على اللغة العربية وعلى النطق بها، أما العامة الذين لا يعرفون فلا ينبغي أن تتكلم بينهم باللغة العربية، بل تكلم معهم بلغتهم التي يعرفون ولا تغرب في الكلمات ـ يعني لا تأتي بكلمات غريبة تشكل عليهم فإن ذلك من التشدق في الكلام.

أما المتفيهقون: فقد وصفهم النبي ﷺ بالمتكبرين، المتكبر الذي يتكبر على الناس ويتفيهق ، وإذا قام يمشي كأنه يمشي على ورق من تكبره وغطرسته، فإن هذا لا شك خلق ذميم، ويجب على الإنسان أن يحذر منه، لأن الإنسان بشر فينبغي أن يعرف قدر نفسه، حتى لو أنعم الله عليه بمال، أو أنعم عليه بعلم، أو أنعم عليه بجاه، ينبغي أن يتواضع، وتواضع هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بالمال والعلم والجاه أفضل من تواضع غيرهم ممن لا يكون كذلك.

ولهذا جاء في الحديث من الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم: «**عائل مستكبر**» (١)، **لأن العائل لا داعي لاستكباره، والعائل هو الفقير، فهؤلاء من الله عليهم**

---

(١) صحيح رواه مسلم (١٠٧) وأحمد (٢/ ٤٨٠).

Marfat.com

بالعمل والمال والجاه كلما تواضعوا صاروا أفضل ممن تواضع من غيرهم الذين لم يمن الله عليهم بذلك.

فينبغي لكل من أعطاه الله نعمة أن يزداد شكرًا لله، وتواضعًا للحق وتواضعًا للخلق، وفقني الله والمسلمين لأحاسن الأخلاق والأعمال وجنبنا والمسلمين سيئات الأخلاق والأعمال إنه جواد كريم.

* * *

Marfat.com

٧٤ـ باب الحلم والأناة والرفق

قال الله تعالى : ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ **(آل عمران:١٣٤)** ، **وقال تعالى :** ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ **(الأعراف:١٩٩)** ، **وقال تعالى :** ﴿ وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ **(فصلت:٣٤ ، ٣٥)** ، **وقال تعالى :** ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ **(الشورى:٤٣)** .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : (باب الحلم والأناة والرفق).

هذه ثلاثة أمور متقاربة: الحلم والأناة والرفق .

أما الحلم: فهو أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب، إذا حصل غضب وهو قادر فإنه يحلم، ولا يعاقب ، ولا يعجل بالعقوبة.

وأما الأناة: فهو التأني في الأمور، وعدم العجلة، وألا يأخذ الإنسان الأمور بظاهرها فيتعجل ، ويحكم على الشيء قبل أن يتأنى فيه وينظر.

وأما الرفق: فهو معاملة الناس بالرفق والهون، حتى وإن استحقوا ما يستحقون من العقوبة والنكال فإنه يرفق بهم.

ولكن هذا فيما إذا كان الإنسان الذي يرفق به محلاً للرفق، أما إذا لم يكن محلاً للرفق فإن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النور: ٢].

ثم ساق المؤلف آيات، **الآية الأولى:** قوله الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]. هذه من جملة الأوصاف التي يتصف بها المتقون الذين أعدت لهم الجنة: أنهم إذا غضبوا كظموا الغيظ.

وفي قوله: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾ ، دليل على أنهم يشق عليهم ذلك، لكنهم يغلبون أنفسهم فيكظمون غيظهم، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«ليس الشديد بالصرعة»** الصرعة: يعني الذي يصرع الناس إذا صارعوه: **«وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**[1] .

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

Marfat.com

وأما قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ ، فقد سبق الكلام عليه، وبيان التفصيل فيمن يستحق العفو ومن لا يستحق، فالإنسان الشرير الذي لا يزداد بالعفو عنه إلا سوءًا وشراسة ومعاندة هذا لا يعفى عنه.

والإنسان الذي هو أهل للعفو ينبغي للإنسان أن يعفو عنه، لأن الله يقول: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وأما الآية الثانية: فقوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. قال خذ العفو ولم يقل اعف ولا افعل العفو، بل قال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ والمراد بالعفو هنا: ما عفا وسهل من الناس؛ لأن الناس يعامل بعضهم بعضًا، فمن أراد من الناس أن يعاملوه على الوجه الذي يحب وعلى الوجه الأكمل، فهذا شيء يصعب عليه ويشق عليه ويتعب وراء الناس.

وأما من استرشد بهذه الآية، وأخذ ما عفا من الناس وما سهل؛ فما جاء منهم قبله، وما أضاعوه من حقه تركه، إلا إذا انتهكت محارم الله، فإن هذا هو الذي أرشد الله إليه؛ أن نأخذ العفو ، فخذ ما تيسر من أخلاق الناس ومعاملتهم لك ، والباقي أنت صاحب الفضل فيه إذا تركته.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ ، يعني اؤمر بما يتعارفه الناس ويعرفه الشرع من أمور الخير، ولا تسكت عن الأمر بالخير إذا كان الناس أخلوا به، فيما بينك وبينهم. حقك افعل به ما تشاء، لكن الشيء المعروف ينبغي أن تأمر به.

﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ المراد بالجاهل هنا: ليس هو الذي لا يعلم الحكم، بل الجاهل السفيه في التصرف ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٧].

فالجاهلون هنا: هم السفهاء الذين يجهلون حقوق الغير، ويفرطون فيها، فأعرض عنهم ولا تبال بهم ، وأنت إذا أعرضت عنهم ولم تبال بهم فإنهم سوف يملون ويتعبون، ثم بعد بعد ذلك يرجعون إلى صوابهم، ولكنك إذا عاندتهم أو خاصمتهم أو أرادت منهم أن يعطوك حقك كاملاً، فإنهم ربما بسفههم يعاندوك ولا يأتون بالذي تريد.

فهذه ثلاثة أوامر من الله عز وجل فيها الخير لو أننا سرنا عليها: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾[الشورى: ٤٣]. ﴿صَبَرَ﴾ يعني على الأذى، ﴿ وَغَفَرَ﴾ يعني تجاوز عنه إذا وقع به، ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي لمن معزومات الأمور، أي من الأمور التي تدل على عزم الرجل ، وعلى حزمه وعلى

Marfat.com

أنه قادر على نفسه مسيطر عليها، وذلك لأن الناس ينقسمون إلى أقسام بالنسبة لسيطرتهم على أنفسهم.

فمن الناس من لا يستطيع أن يسيطر على نفسه أبدًا، ومن الناس من يستطيع لكن بمشقة شديدة، ومن الناس من يستطيع لكن بسهولة يكون قد جبله الله عز وجل على مكارم الأخلاق، فيسهل عليه الصبر والغفران.

فالذي يصبر على أذى الناس ويتحمل ويحتسب الأجر من الله ويغفر لهم، هذا هو الذي صنع هذا المعزوم من الأمور أي من الشئون، وهذا حث واضح على أنه ينبغي للإنسان أن يصبر ويغفر، وقد سبق لنا التفصيل في مسألة العفو عن الجناة والمعتدين، وأنه لا يمدح مطلقًا ولا يذم مطلقًا، بل ينظر إلى الإصلاح.

* * *

[١/ ٦٣٢] ـ وعَن ابنِ عبَّاس رَضى اللَّه عَنهُما قال: قال رَسُولُ الله ﷺ لأشَجّ عَبْدِ القَيْس: « إنَّ فيك خَصْلَتَيْنِ يُحبُّهُمَا اللَّهُ: الحِلْمُ والأَنَاةُ » رواهُ مُسْلم.

[٢/ ٦٣٣] ـ وعَن عائشَة رضى اللَّه عَنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: « إنَّ اللَّه رفيقٌ يُحبُّ الرِّفْقَ فى الأمْرِ كُلِّه » متفقٌ عليه.

[٣/ ٦٣٤] ـ وعنها أن النبى ﷺ قال: « إنَّ اللَّه رَفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ، ويُعْطى على الرِّفق ما لا يُعْطى على العُنف ومَا لا يُعْطى عَلى مَا سواهُ » رواه مسلم.

[٤/ ٦٣٥] ـ وعنها أنَ النبيَّ ﷺ قال: « إنَّ الرفقَ لا يَكُونُ فى شَىءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنْزعُ مِنْ شَىءٍ إلا شَانَهُ » رواه مسلم.

الشرح

ذكر المؤلف هنا في سياق الأحاديث ما قاله ﷺ لأشج عبد القيس، قال له: «**إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة**».

الحلم: عندما يثار الإنسان ويجني عليه ويعتدي عليه يحلم، لكنه ليس كالحمار لا يبالي بما فعل به، يتأثر لكن يكون حليمًا لا يتعجل العقوبة، حتى إذا صارت العقوبة خيرًا من العفو أخذ بالعقوبة.

والأناة: التأني في الأمور وعدم التسرع، وما أكثر ما يهلك الإنسان ويزل بسبب

(١/ ٦٣٢) صحيح: رواه مسلم (١٧) والترمذي (٢٠١١) وابو داود (٥٢٢٥).

(٢/ ٦٣٣) صحيح: رواه البخاري (٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

(٣/ ٦٣٤) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٣) والبيهقي في السنن (١٠/ ١٩٣).

(٤/ ٦٣٥) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤) واحمد (٦/ ١٢٥).

Marfat.com

التعجل في الأمور، وسواء في نقل الأخبار ، أو في الحكم على ما سمع ، أو في غير ذلك. فمن الناس مثلاً من يتخطف الأخبار بمجرد ما يسمع الخبر يحدث به وينقله، وقد جاء في الحديث «**كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع**»(١) .

ومن الناس من يتسرع في الحكم يسمع عن شخص شيئا من الأشياء، ويتأكد أنه قاله أو أنه فعله ، ثم يتسرع فى الحكم ، أنه أخطأ أو أضل أو ما أشبه ذلك، وهذا غلط، التأني في الأمور كله خير.

ثم ذكر المؤلف أحاديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ الثلاثة في باب الرفق، وأن الرفق محبوب إلي الله عز وجل، وأنه ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه، ففيه الحث على أن يكون الإنسان رفيقًا في جميع شئونه، رفيقًا في معاملة أهله، وفي معاملة إخوانه، وفي معاملة أصدقائه، وفي معاملة الناس يرفق بهم ، فإن الله تعالى رفيق يحب الرفق. ولهذا فإن الإنسان إذا عامل الناس بالرفق يجد لذة وانشراحًا، وإذا عاملهم بالشدة والعنف ندم، ثم قال: ليتني لم أفعل، لكن بعد أن يفوت الأوان، أما إذا عاملهم بالرفق واللين والأناة انشرح صدره، ولم يندم على شيء فعله.

وفق الله الجميع لما فيه الخير والصلاح وحسن الأخلاق والآداب.

* * *

[٥/ ٦٣٦]ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : **بَال أعْرَابىٌّ فى المسجِدِ ، فَقَامَ النَّاسُ إلَيْهِ لِيَقَعُوا فيه ، فقال النبى ﷺ: « دَعُوهُ وأرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاء ، أوْ ذَنُوباً مِن ماء ، فإنَّمَا بُعِثتم مُيَسِّرِينَ ولَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رواه البخارى .**

« السَّجْلُ » بفتح السين المهملة وإسكان الجيم : وَهِىَ الدَّلْو المُمْتَلِئَةُ ماءً ، وكذلكَ الذَّنُوبُ .

الشرح

ساق المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في (باب الحلم والأناة والرفق) في كتابه «رياض الصالحين»، حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًا بال في المسجد ـ أعرابي: يعن بدوي، والبدوي في الغالب لا يعرف أحكام الشرع، لأنه يعيش في البادية في إبله أو في غنمه، وليس له علم بشريعة الله، كما قال الله تعالى: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ

(١) صحيح ... م (٥).
(٥/ ٦٣٦) صحيح : رواه البخاري (٢٢٠).

Marfat.com

يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [التوبة:٩٧]. يعني: أقرب ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لأنهم في باديتهم بعيدون عن الناس وعن العلم والشرع.

فهذا الأعرابي دخل المسجد واحتاج إلى أن يبول، فبال في طائفة المسجد ـ أي تنحى وبال في المسجد ـ فهم النا[illegible] قعوا فيه وزجروه، ولكن النبي ﷺ، قال لهم: «دعوه» أي يقضي بوله «وأريقوا على [illegible] سجلاً من ماء أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» فتركه الناس.

فلما قضى بوله صبوا عليه ذنوبًا من الماء ـ يعني دلوًا من الماء ـ فطهر المحل، وزال المحذور، ثم دعا بالأعرابي وقال له: «إن هذه المساجد لا يصلح فيه شيء من الأذى أو القذر، وإنما هي للصلاة، وقراءة القرآن والتكبير»(١) كما قال الرسول ﷺ.

ففي هذا الحديث فوائد كثيرة:

منها: العذر بالجهل، وأن الإنسان الجاهل لا يعامل كما يعامل العالم، لأن العالم معاند، والجاهل متطلع للعمل فيعذر بجهله، ولهذا عذره النبي ﷺ ورفق به.

ومنها: أن الشرع يقتضي دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، يعني إذا كان هناك مفسدتان لابد من ارتكاب أحدهما، فإنه يرتكب الأسهل فهنا أمامنا مفسدتان:

الأولى: استمرار هذا الأعرابي في بوله، وهذه مفسدة.

الثانية: إقامته من بوله وهذه مفسدة أيضًا لكن هذه أكبر، لأن هذه يترتب عليها.

أولاً: الضرر علي هذا البائل، لأن البائل إذا منع البول المتهيئ للخروج ففي ذلك ضرر، فربما تتأثر مجاري البول ومسالك البول.

ثانيًا: أنه إذا قام فإما أن يقطع رافعًا ثوبه، لئلا تصيبه قطرات البول، وحينئذ تكون القطرات منتشرة في المكان، وربما تأتي على أفخاذه ويبقى مكشوف العورة أمام الناس وفي المسجد، وإما أن يدلي ثوبه، وحينئذ يتلوث البدن وهذه أيضًا مفسدة.

فلهذا ترك النبي ﷺ هذا الرجل يبول حتى انتهى، ثم أمر بأن يصب عليه ذنوبًا من ماء.

وعلى هذا فيكون لدينا قاعدة: إذا اجتمعت مفسدتان لابد من ارتكاب أحدهما فإنه يرتكب الأسهل والأخف، دفعًا للأعلى، كما أنه إذا اجتمعت مصالح ولا يمكن فعل جميعها، فإنه يؤخذ الأعلى فالأعلى، ففي المصالح يقدم الأعلى، وفي المفاسد يقدم الأسهل والأدنى.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٥) وأحمد (٣/ ٩١).

Marfat.com

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب تطهير المسجد وأنه فرض كفاية، لقول الرسول ﷺ: «أريقوا علي بوله سجلاً من ماء» فيجب علي من رأى نجاسة في المسجد أن يطهرها بنفسه، أو يبلغ من هو معنى بالمسجد ومسئول عنه حتى يقوم بتطهيرها.

ومنها: اشتراط طهارة مكان المصلي، فالمصلي يجب عليه أن يطهر ثوبه وبدنه ومكان صلاته، لابد من ذلك سواءً أرضًا كانت أو فراشًا أو غير ذلك، المهم أنه لا بد من طهارة مكان المصلى.

ومنها: أن الأرض يكفي في تطهيرها أن يصب على النجاسة ماء مرة واحدة، فإذا غمرت بالماء طهرت، لكن إن كانت النجاسة ذات جرم كالغائط والروث وما أشبهها، فلابد من زوال هذا الجرم، وبعدها يطهر المحل بصب الماء عليه.

ومنها: أنه لابد من الماء في تطهير النجاسة لقوله: «أريقوا على بوله سجلاً من ماء» وأن النجاساة لا تطهر بغير الماء، وهذا ما عليه أكثر العلماء.

والصحيح أن النجاسة تطهر بكل ما يزيلها من ماء أو بنزين أو غيره، وإنما أمر النبي ﷺ بصب الماء على مكان البول لأنه أسرع في تطهير المكان، وإلا فمن الممكن أن يبقي المكان لا يصب عليه الماء، ثم مع الرياح والشمس تزول النجاسة ويطهر، لكن هذا أسرع وأسهل.

ومن المعلوم أنه في عهد الرسول ﷺ لا توجد هذه المزيلات الكيماوية أو البترولية، فلذلك كانوا يعتمدون في إزالة النجاسة على الماء، ولكن متى زالت النجاسة طهر المحل بأي مزيل كان لأن النجاسة عين خبيثة نجسة، متى زالت عاد المحل إلى طهارته بأي شيء كان.

ولهذا يطهر البول والغائط بالأحجار؛ يستجمر الإنسان بالحجر ثلاث مرات مع الإنقاء ويكفي.

وثوب المرأة الذي تجره إذا مر بالنجاسة ثم مر بعد ذلك بأرض طاهرة طهرته، وكان من عادة النساء في عهد الرسول ﷺ أن المرأة إذا خرجت واتخذت ثوبًا ضافيًا يستر قدميها، وينجر من ورائها إلى شبر أو شبرين أو ذراع، ولكن لا يزاد على ذراع. هذا في عهد الرسول ﷺ، عهد النساء الطاهرات فى الزمن الطاهر فما بالك اليوم! لكن مع الأسف أن المسلمين اليوم لا ينظرون إلي من سلف من هذه الأمة، ولكنهم ينظرون إلي من تأخر من هذه الأمة؛ إلى الخلف الذين قال الله فيهم:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

Marfat.com

صرنا ننظر الآن إلى من خلف، بل ننظر إلى ما دون ذلك؛ ننظر إلى أعدائنا ، إلى اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين وما أشبه ذلك، فتقتدي بهم في مثل هذه الألبسة، فترى النساء الآن كلما جاءت المجلة التي يسمونها البردة، ذهبن ينظرن إليها تذهب المرأة وتفعل مثل ما فعلوا.

وأقول يجب على أولياء الأمور أن يمنعوا من تداول هذه المجلات، وهذه البردات بين أيدي النساء؛ لأن المرأة ضعيفة؛ ضعيفة العقل وضعيفة الدين كما وصفها بهذا الرسول ﷺ : «**ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن**»(١) . فتغتر وتنخدع بهذه المظاهر.

وكثير من الرجال مع الأسف الشديد هم رجال في ثياب رجال وإلا فهم نساء، التدبير للنساء عليهم، وهن القوامات عليهم، عكس ما أمر الله : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣٤]. لكن أصبح الآن بين كثير من الناس النساء قوامات على الرجال، هي التي تدبر الرجل، وهي التي تلبس ما شاءت وتفعل ما شاءت، ولا تبالي بزوجها ولا بوليها.

فالواجب على الأولياء أن يمنعوا من تداول هذه المجلات التي تأتينا بهذه الأزياء البعيدة عن الزي الإسلامي، فالنساء في عهد الرسول ﷺ إذا خرجن إلى السوق لبسن ثيابًا طويلة حتى لا تبدو أقدامهن.

وأما في البيوت فكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: المرأة في بيتها في عهد الرسول ﷺ عليها لباس يستر من كف اليد إلي كعب الرجل ، وهي في البيت، ما عندها إلا النساء أو رجال محارم، ومع ذلك تتستر من الكف إلى الكعب فكلها متسترة(٢) .

وبهذا نعرف فساد تصور من تصور قول الرسول ﷺ : «**لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة**»(٣) أن المرأة يجوز لها أن تقتصر في لباسها علي لباس يستر ما بين السرة والركبة، يردن أن تخرج المرأة كاشفة كل بدنها إلا ما بين السرة والركبة، فمن قال هذا!

إن الرسول ﷺ يخاطب الناظرة لا اللابسة : «**لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة**»، يعني ربما تكون اللابسة قد كشفت ثوبها لقضاء حاجة من بول أو غائط فيقول: لا تنظر لعورتها، لم يقل الرسول ﷺ للمرأة: أن تلبس ما يستر ما بين السرة والركبة فقط، ومن توهم هذا فإنه من وحي الشيطان، ولننظر كيف كانت النساء في عهد الرسول ﷺ تلبس الثياب.

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١٤٦٢) ومسلم(٧٩).
(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٥ / ٣٧١).
(٣) صيح : رواه مسلم (٣٣٨) وابن ماجه (٦٦١) واحمد (٣/ ٦٣).

Marfat.com

لذلك يجب أن نصحح هذا المفهوم الذي تدندن به كل امرأة ليس عندها فهم، وليس عندها نظر لمن سبق، نقول لها: هل تظنين أن الشرع الإسلامي يبيح للمرأة أن تخرج بين النساء ليس عليها إلا سروال قصير يستر ما بين السرة والركبة ، فمن قال: إن هذا هو الشرع الإسلامي، ومن قال: إن هذا هو معنى قول رسول الله ﷺ : «لا تنظر المرأة إلى عورة المرأة»!

والرسول ﷺ قال: «ولا الرجل إلى عورة الرجل» ومع ذلك كان الرجال في عهده يلبسون رداءً وإزارًا ، أو يلبسون قميصًا، ولا يلبسون إزارًا فقط.

حتى أن الرجل الفقير الذي طلب من النبي ﷺ أن يزوجه المرأة التي وهبت نفسها له ولم يردها قال: زوجنيها ، قال : «ما معك من صداق؟» قال : إزاري ، لأنه فقير، كيف يكون الإزار مهرًا للمرأة ! إن أعطيتها إياه بقيت بلا إزار ، وإن بقي عليك بقيت بلا مهر!

ارجع فالتمس ولو خاتمًا (١) من حديد ولكنه لم يجد ، فلم يكونوا وهم رجال يقتصرون على ما بين السرة والركبة أبدًا.

والحاصل أن العلم يحتاج إلى فقه، ويحتاج إلى نظر في حال الصحابة ـ رضي الله عنهم كيف فهموا النصوص فنطبقها ، حتى دول الغرب الكافرة الآن أكثرهم يلبس ما يستر الصدر والفخذين ، ولم يفهم أحد من هذا الحديث أن المعنى للمرأة أن تبقي مكشوفة البدن إلا ما بين السرة والركبة، ما فهم هذا أحد أبدًا.

فالحاصل أن الرسول ﷺ جعل ذيل المرأة أي: طرف ثوبها الذي يمشي علي الأرض إذا التقى بنجاسة ثم مرت على أرض طاهرة فإن الطاهر يطهره(٢) ، فدل ذلك على أن النجاسة تطهر بكل ما يزيلها من ماء وغيره.

ومن فوائد حديث الأعرابي : حسن خلق الرسول ﷺ ، وتعليمه ، ورفقه ، وأن هذا هو الذي ينبغي لنا إذا دعونا إلى الله، أو أمرنا بمعروف أو نهينا عن منكر أن نرفق، لأن الرفق يحصل به الخير، والعنف يحصل به الشر، ربما إذا عنفت أن يحصل من قبيلك ما يسمونه برد الفعل ولا يقبل منك شيئًا، يرد الشرع من أجلك ، لكن إذا رفقت وتأنيت فهذا هو الأقرب إلى الإجابة.

ومنها : أن الرسول ﷺ جعل هذه الأمة مبعوثة، فقال: «فإنما بعثتم» مع أن المبعوث هو، لكن أمته يجب أن تقوم مقامه في الدعوة إلي دينه ﷺ ، وأن يكون الإنسان كأنه

---

(١) صحيح : انظر البخاري (٥١٢١) وابو داود (٢١١١) والترمذي (١١١٣).

(٢) صحيح : رواه ابن ماجه (٥٣١، ٥٣٣) وصححه الألباني في المشكاة (٥٠٤).

Marfat.com

المبعوث وكأنه الرسول في تبليغ الشرع، ولهذا قال الرسول ﷺ: «ليبلغ الشاهد منكم الغائب»(١) فنحن أمة محمد ﷺ علينا أن نبلغ شرعه إلى جميع الناس، ولهذا قال: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

وفي هذا الحديث: أن الرسول ﷺ لما كلم الأعرابي بهذا اللطف واللين، وقال: «إن هذه المساجد لا يصلح فيها شيءٌ من الأذى والقذر» قال الأعرابي : اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً(٢) ، انظر كيف انشرح صدره بكلام محمد ﷺ .

أما الجماعة من الصحابة رضي الله عنهم لما أغضبوه وانتهروه رأى ـ وهو أعرابي لا يعرف ـ أن الجنة والرحمة تكون له ولمحمد، وغيرهما لا يُرحمون، وليته قال: اللهم ارحمني ومحمداً وسكت ، بل قال: ولا ترحم معنا أحداً، فتحجر الرحمة ، لكنه جاهل، والجاهل له حُكمه.

فالحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يرفق في الدعوة ، وفي الأمر، وفي النهي. وجربوا وانظروا أيهما أصلح ، ونحن نعلم علم اليقين أن الأصلح هو الرفق، لأن هذا هو الذي قاله الرسول ﷺ ، وهو الذي اتبعه في هديه ﷺ .

* * *

[٦٣٧/٦] ـ وعن أَنَسٍ رضِيَ الله عنه عن النبى ﷺ قال : « يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا . وبَشِّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا » متفقٌ عليه .

الشرح

هذا الحديث ذكره النووي ـ رحمه الله ـ في (باب الحلم والرفق والأناة) في كتابه «رياض الصالحين»، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا».

هذه أربع جمل: الأولى قوله: «يسروا» يعني اسلكوا ما فيه اليسر والسهولة سواء كان فيما يتعلق بأعمالكم أو معاملاتكم مع غيركم ، ولهذا كان النبي ﷺ من هديه أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس عنه(٣) .

فأنت اختر الأيسر لك حتى في كل أحوالك، حتي في العبادات ، وفي المعاملات مع الناس، وفي كل شيء؛ لأن اليسر هو الذي يريده الله عز وجل منا، ويريده بنا: ﴿يريد

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٠٥) ومسلم (١٣٥٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود (٣٨٠) الترمذي (١٤٧) وابن ماجه (٥٢٩) وصححه الألباني في الإرواء (١٧١).

(٦٣٧/٦) صحيح: رواه البخاري (٦٩) ، واللفظ له، ومسلم (١٧٣٤) بلفظ: «واسكنوا ولا تنفروا».

(٣) صحيح: انظر البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٧).

Marfat.com

اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فمثلاً إذا كان لك طريقان إلى المسجد؛ أحدهما صعب فيه حصى وأحجار وأشواك والثاني سهل، فالأفضل أن تسلك الأسهل، وإذا كان هناك ماءان وأنت في الشتاء، وكان أحدهما بارد يؤلمك والثاني ساخن ترتاح له، فالأفضل أن تستعمل الساخن لأنه أيسر وأسهل، وإذا كان يمكن أن تحج على سيارة أو تحج على بعير، والسيارة أسهل، فالحج على السيارة أفضل.

فالمهم أنه كل ما كان أيسر فهو أفضل ما لم يكن إثمًا، لأن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: كان الرسول ﷺ ما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا.

أما إذا كان فعل العبادة لا يتأتى إلا بمشقة، وهذه المشقة لا تسقطها عنك ففعلتها على مشقة، فهذاأجر يزداد لك، فإن إسباغ الوضوء علي المكاره مما يرفع الله به الدرجات ويكفر به الخطايا ، لكن كون الإنسان يذهب إلي أصعب من إمكان الأسهل هذا خلاف الأفضل، فالأفضل اتباع الأسهل في كل شيء.

وانظر إلي الصوم، قال فيه الرسول ﷺ : **«لايزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»**(١) ، وفي حديث آخر: **«وأخروا السحور»**(٢) لماذا؟ لأن تأخير السحور أقوى على الصوم مما لو تقدم، والمبادرة بالفطر أسهل وأيسر على النفس لا سيما مع طول النهار وشدة الظمأ.

فهذا وغيره من الشواهد يدل علي أن الأيسر أفضل، فأنت يسر على نفسك.

كذلك أيضًا في مزاولة الأعمال فإذا رأيت أنك إذا سلكت هذا العمل فهو أسهل وأقرب ويحصل به المقصود ، فلا تتعب نفسك في أعمال أخرى أكثر من اللازم وأنت لا تحتاج إليها، بل افعل ما هو أسهل في كل شيء ، وهذه قاعدة : أن اتباع الأسهل والأيسر هو الأرفق بالنفس والأفضل عند الله.

«ولا تعسروا» يعني لا تسلكوا طرق العسر لا في عبادتكم ، ولا في معاملاتكم، ولا في غير ذلك، فإن هذا منهي عنه فلا تعسر، ولهذا لما رأى النبي ﷺ رجلاً واقفًا في الشمس ، سأل عنه، قالوا: يا رسول الله ، هو صائم ؛ نذر أن يصوم ويقف في الشمس، فنهاه ، وقال له: لا تقف في الشمس(٣) ؛ لأن هذا فيه عسر على الإنسان ومشقة، والرسول ﷺ يقول: **«لا تعسروا»**.

«وبشروا» يعني: اجعلوا طريقكم دائمًا البشارة، بشروا أنفسكم وبشروا غيركم، يعني

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١٩٥٧) ومسلم (١٠٩٨).

(٢) حسن : عبد الرزاق في المصنف (٧٦١٥) ومجمع الزوائد (٣/ ١٥٥).

(٣) صحيح : رواه البخاري (٧/ ٦٠٠٤).

Marfat.com

إذا عملت عملاً فاستبشر وبشر نفسك، فإذا عملت عملاً صالحًا فبشر نفسك بأنه سيقبل منك إذا اتقيت الله فيه، لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. وإذا دعوت الله فبشر نفسك أن الله يستجيب لك، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

ولهذا قال: بعض السلف: من وُفق للدعاء فليُبشر بالإجابة، لأن الله قال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]. فأنت بشر نفسك في كل عمل.

وهذا يؤيده أن النبي ﷺ كان يكره الطيرة ويعجبه الفأل(١) ، لأن الإنسان إذا تفاءل نشط واستبشر وحصل له خير، وإذا تشاءم فإنه يتحسر، وتضيق نفسه، ولا يقدم علي العمل، ويعمل وكأنه مكره، فأنت بشر نفسك، كذلك بشر غيرك، فإذا جاءك إنسان قال: فعلت كذا وفعلت كذا، وهو خائف فبشره، وأدخل عليه السرور.

لا سيما في عيادة المريض؛ فإذا عدت مريضًا فقل له: أبشر بالخير، وأنت على خير، ودوام الحال من المحال، والإنسان عليه أن يصبر ويحتسب ويؤجر على ذلك، وما أشبه ذلك، وبشره قائلاً: أنت اليوم وجهك طيب، وما أشبه ذلك، لأنك بهذا تدخل عليه السرور، وتبشره، فأنت اجعل طريقك هكذا فيما تعامل به نفسك وفيما تعامل به غيرك ، الزم البشارة تدخل السرور على نفسك، وتدخل السرور علي غيرك، فهذا هو الخير.

«ولا تنفروا» يعني: لا تنفروا الناس عن الأعمال الصالحة، ولا تنفروهم عن الطرق السليمة بل شجعوهم عليها، حتى في العبادات لا تنفروهم.

ومن ذلك أن يطيل الإمام بالجماعة أكثر من السنة، فإن معاذ بن جبل رضي الله عنه كان إذا صلى مع النبي ﷺ صلاة العشاء ، ذهب إلى قومه فصلى بهم تلك الصلاة فدخل يومًا من الأيام فى الصلاة فشرع في سورة طويلة، فانصرف رجل وصلى وحده، فقيل: نافق فلان، فذهب الرجل للنبي ﷺ ، ثم إن معاذًا أتى إلى الرسول ﷺ ، فقال: **«أفتانٌ أنت يا معاذ؟»**(٢) .

وكذلك الرجل الآخر قال له الرسول ﷺ : **«إن منكم مُنَفرين؛ فأيكم أم الناس فليخفف»**(٣) .

فالتنفير لا ينبغي؛ فلا تنفر الناس بل لن لهم، حتى في الدعوة إلى الله عز وجل لا

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٧٠٧) ومسلم (٢٢٢٠).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٧٠٥). ومسلم (٤٦٥).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٧٢) والبيهقي في السنن (٣/ ١١٥).

Marfat.com

تدعهم إلى الله دعوة منفر، لا تقل إذا رأيت إنسانًا على خطأ: يا فلان أنت خالفت، أنت عصيت، أنت فيك. . . إلى آخره، هذا ينفرهم، ويزيدهم في التمادي في المعصية، ولكن ادعهم بهون ولين حتى يألفك ويعرف ما تدعو إليه، وبذلك تمتثل أمر النبي ﷺ في قوله: «بشروا ولا تنفروا».

فخذ هذا الحديث أيها الأخ رأس مال لك «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» سر إلي الله عز وجل علي هذا الأصل، وعلى هذا الطريق، وسر مع عباد الله على ذلك تجد الخير كله.

* * *

[٧/ ٦٣٨] ـ وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ» رواه مسلم.

[٨/ ٦٣٩] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنَّ رَجُلاً قال للنبىِّ ﷺ أوْصِنى، قال: «لا تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِراراً؛ قال: «لا تَغْضَبْ». رواه البخارى.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديثًا فيه الأمر بالرفق والحث عليه، حيث قال النبي ﷺ: «من يُحرم الرفق يحرم الخير كله» يعني أن الإنسان إذا حرم الرفق في الأمور فيما يتصرف فيه لنفسه، وفيما يتصرف فيه مع غيره، فإنه يحرم الخير كله أي فيما يتصرف فيه، فإذا تصرف الإنسان بالعنف والشدة فإنه يحرم الخير فيما فعل.

وهذا شيء مجرب ومشاهد أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق، والحلم والأناة وسعة الصدر حصل علي خيرٍ كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائمًا رفيقًا حتى ينال الخير.

أما حديث أبي هُريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله، أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مرارًا وهو يقول: أوصني، فقال: «لا تغضب» والمعنى لا تكن سريع الغضب يستثيرك كل شيء، بل كن مطمئنًا متأنيًا، لأن الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان حتى يغلي القلب، ولهذا تنتفخ الأوداج ـ عروق الدم ـ وتحمر العين ثم ينفعل الإنسان حتى يفعل شيئًا يندم عليه.

وإنما أوصى النبي ﷺ هذا الرجل ألا يغضب دون أن يوصيه بتقوى الله أو بالصلاة أو بالصيام أو ما أشبه ذلك، لأن حال هذا الرجل تقتضي ذلك، ولهذا أوصى غيره بغير هذا

(٧/ ٦٣٨) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٢) وأبو داود (٤٨٠٩) وابن ماجه (٣٦٨٧).

(٨/ ٦٣٩) صحيح: رواه البخاري (٦١١٦) وأحمد (٢/ ١٧٥، ٣٦٢).

Marfat.com

الشيء؛ أوصى أبا هريرة أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وأن يوتر قبل أن ينام[١] ، وأوصى أبا الدرداء[٢] بمثل ذلك ، أما هذا فأوصاه ألا يغضب، وأوصاه ألا يغضب؛ لأن النبي ﷺ علم من حاله أنه غضوب كثير الغضب، فلذلك قال: «**لا تغضب**» .

والغضب يحمل الإنسان على أن يقول كلمة الكفر، أو أن يطلق زوجته، أو أن يضرب أمه، أو أن يعق أباه، كما هو مشاهد ومعلوم، ثم تجد الإنسان من حين أن يتصرف يبرد ثم يندم ندمًا عظيمًا، وما أكثر الذين يسألون: غضبت على زوجتي فطلقتها ثلاثًا، وما أشبه ذلك، فأنت لا تغضب، لا تغضب؛ فإن الغضب لا شك أنه يؤثر على الإنسان حتى يتصرف تصرف المجانين.

ولهذا قال بعض العلماء: إن الإنسان إذا غضب غضبًا شديدًا حتى لا يدري ما يقول، فإنه لا عبرة بقوله، ولا أثر لقوله؛ إن كان طلاقًا فإن امرأته لا تطلق ، وإن كان دعاء فإنه لا يستجاب ؛ لأنه يتكلم بدون عقل وبدون تصور. نسأل الله لنا وللمسلمين العافية والسلامة.

* * *

[٩/ ٦٤٠] ـ وعن أبي يَعلَى شدَّاد بن أوس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: « إنَّ اللَّه كَتَبَ الإحسَانَ عَلَى كُلِ شَيء ، فإذا قَتَلتُم فَأحسِنُوا القِتلَة وَإذَا ذَبَحتُمْ فَأحْسِنُوا الذِّبحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أحَدُكُم شَفْرَتَه ، وَلْيُرِح ذَبيحَتَهُ » رواه مسلم .

الشرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه «رياض الصالحين» في (باب الحلم والرفق والأناة) في سياق الأحاديث الواردة في ذلك، نقل عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**».

كتبه على كل شيء يعنى كتب الإحسان فى كل شىء أى أن الله عز وجل شرع الإحسان فى كل شىء ، حتى في القتل، وحتى في الذبح، وفي غير ذلك من الأمور. عليك أن تكون مُحسنًا لما تقوم به. «**فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**» وذلك لأن إزهاق النفوس يكون بالقتل أحيانًا، وبالذبح أحيانًا.

فالذبح والنحر يكونان فيما يحل أي فيما يؤكل، ويكون النحر للإبل والذبح فيما

(١) صحيح : رواه البخاري (١١٧٨) ومسلم (٧٢٦).

(٢) صحيح : رواه مسلم (٧٢٢).

(٩/ ٦٤٠) صحيح : رواه مسلم (١٩٥٥) وابو داود (٢٨١٥) الترمذي (١٤٠٩).

Marfat.com

سواها ، والنحر يكون في أسفل الرقبة مما يلي الصدر ، والذبح يكون في أعلى الرقبة مما يلي الرأس ، ولابد في الذبح والنحر من قطع الودجين، وهما العرقان الغليظان اللذان يجري منهما بقية الدم إلى بقية البدن، لأن النبي ﷺ قال: «**ما أنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا**»(١) .

ولا ينهر الدم إلا قطع الودجين، فالشرط في حل المذكي أو المنحور أن يُقطع الودجان، أما الحلقوم الذي هو مجرى النفس ، والمريء الذي هو مجرى الطعام، فقطعهما أكمل في الذبح والنحر ، ولكن ليس ذلك بشرط.

أما القتل فيكون فيما لا يحل أكله، فيما أمر بقتله، وفيما أبيح قتله، ومما أمر بقتله الفأر وكذلك العقرب، وكذلك الحية، وكذلك الكلب العقور(٢) ، فتقتل هذ الأشياء وكذلك كل مؤذٍ فإنه يقتل.

وعند العلماء قاعدة تقول: ما آذى طبعًا قتل شرعًا، يعني ما كان طبيعته الأذى فإنه يقتل شرعًا، وما لم يؤذ طبعًا ولكنه صار منه أذية فلك قتله، لكن هذا الأخير مقيد، فلو آذاك النمل في البيت، فصار يحفر البيت ويفسده فلك قتله وإن كان منهيًا عنه في الأصل، لكن إذا آذاك فلك قتله، وكذلك غيره مما لا يؤذي طبعًا ولكن تعرض منه الأذية فاقتله إذا لم يندفع إلا بالقتل.

فمثلاً إذا أردت أن تقتل فأرة - وقتلها مستحب - فأحسن القتلة، اقتلها بما يزهق روحها حالاً، ولا تؤذها ، ومن أذيتها ما يفعله الناس حيث يضع لها شيئًا لا صقًا تلتصق به ثم يدعها تموت جوعًا وعطشًا، وهذا لا يجوز فإذا وضعت هذا اللاصق فلابد أن تكرر مراجعته ومراقبته، حتى إذا وجدت فيه شيئًا لاصقًا قتلته.

أما أن تترك هذا اللاصق يومين أو ثلاثة وتقع فيه الفأرة وتموت عطشًا أو جوعًا، فإنه يخشى عليك أن تدخل النار بذلك، لأن النبي ﷺ قال: «**دخلت النار امرأة في هرة حبستها، حتى ماتت لا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض**»(٣) .

المهم أن ما يشرع قتله فاقتله بأقرب ما يكون من إهلاكه وإتلافه، ومن ذلك الوزغ الذي يسمى السام الأبرص، ويسمى البرصي أيضًا، اقتله واحرص على أن تقتله بأن يموت في أول مرة ، فهو أفضل وأعظم أجرًا وأيسر له، وكذلك بقية الأشياء التي تُقتل .

ومن ذلك من يقتل قصاصًا ، لكن الذي يُقتل قصاصًا فإنه يُفعل به ما فعل بالمقتول

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٣١٤) ومسلم (١٩٦٨).
(٢) صحيح : رواه مسلم (١١٩٨) وأحمد (٤/ ١٤٢).
(٣) صحيح : رواه البخاري (٣٣١٨) مسلم (٢٦١٩).

Marfat.com

ودليل ذلك أن النبي ﷺ رفع إليه قضية امرأة أتاها يهودي، وكان معها حلي، فقتلها وأخذ الحلي ، لكن كيف قتلها؟ وضع رأسها على حجر وقتلها بحجر ثان ، فرض رأسها بين حجرين.

فأُتي إليها وفيها رمق من حياة، فقيل لها من قتلك، حتى ذكروا اليهودي فأشارت برأسها أن نعم، فأخذوا اليهودي فاعترف ، فأمر النبي ﷺ أن يرض رأسه بين حجرين، فوضع رأسه على حجر ثم ضرب بالحجر الثاني حتى مات[1] ، لأن هذا قصاص، والله عز وجل يقول: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٤].

لكن لو وجب قتله بالحرابة يعني أنه صار يقطع الطريق على الناس؛ يأخذ الأموال، ويقتل الناس، فهذا يقتل ، لكن يقتل بالسيف، إلا إذا كان قد مثل بمن قتله فيمثل به حسبما فعل، فيفعل به كما فعل.

فإن قال قائل: ما تقولون في الرجل إذا زنى وهو محصن فإنه يرجم بالحصى، أي بالحجر الصغير حتى يموت، وهذا يؤلمه ويؤذيه قبل أن يموت، فهل يعارض ذلك هذا الحديث؟

فالجواب لا. لا يعارضه ، لأنه يُحمل على أحد أمرين:

الأول: إما أن يراد بإحسان القتلة ما وافق الشرع، وحينئذ يكون الرجم من إحسان القتلة لأنه موافق للشرع.

والثاني: إما أن يقال: هذا مستثنى دلت عليه السنة، بل دل عليه القرآن الذي نسخ لفظه وبقي حكمه، ودل عليه صريح السنة.

فالزاني المحصن الذي تزوج وجامع زوجته إذا زنى ـ والعياذ بالله ـ فإنه يؤتى به، وتؤخذ حجارة صغيرة أقل من البيضة ومثل التمرة تقريبًا أو أكبر قليلا ويرجم حتى يموت، ويتقي المقاتل يعني لا يضرب في موضع يموت به سريعًا، بل يضرب على ظهره وبطنه وما أشبه ذلك حتى يموت ، لأن هذا هو الواجب.

والحكمة من هذا أن البدن الذي تلذذ بالشهوة المحرمة ، عمت الشهوة جميع بدنه، فمن الحكمة أن تعم العقوبة جميع بدنه، وهذا من حكمة الله عز وجل.

ثم قال النبي ﷺ : **«وليحد أحدكم شفرته»** ، اللام هنا للأمر ، ويحد : يعني يجعلها حديدة سريعة القطع، والشفرة: السكين.

يعني إذا أردت أن تذبح فاذبح بسكين مشحوذة، أي: مسنونة بحيث يكون ذلك أقرب

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤١٣) ومسلم (١٦٧٢).

Marfat.com

إلى القطع بدون ألم. «وليرح ذبيحته» هذا أمر زائد على شحذ الشفرة، وذلك بأن يقطع بقوة فيضع السكين، علي الرقبة ثم يجرها بقوة، حتى يكون ذلك أسرع من كونه يجرها مرتين أو ثلاث، وبعض الناس يوفقه الله ومن مرة واحدة يقطع الودجين والحلقوم والمريء، لأنه يأخذ السكين بقوة، وتكون السكين جيدة مشحوذة، فيسهل على الذبيحة أو المنحورة الموت. ومن إراحة الذبيحة أن تضع رجلك على رقبتها، وتمسك الرأس باليد اليسرى وتذبح باليمنى، وحينئذ تكون مضطجعة على الجنب الأيسر، ودع القوائم - اليدين والرجلين - وخلها تتحرك - بسهولة، لأنك إذا أمسكت بها فإن هذا ضغط عليها، وإذا تركتها تحرك يديها ورجليها كان هذا أيسر لها، وهناك فائدة أيضًا من ذلك وهي تفريغ الدم بهذه الحركة لأن مع الحركة والاضطراب يتفرغ الدم أكثر، وكلما تفرغ فهو أحسن.

وأما ما يفعله بعض العامة من أنه يأخذ بيدها اليسرى ويلويها على عنقها، ثم يبرك على قوائمها الثلاث رجل، ويمسك بها حتى لا تتحرك أبدًا؛ فهذا خلاف السنة، والسنة أن تضع الرجل على الرقبة ثم تدع القوائم تتحرك؛ لأن ذلك أيسر لها وأشد تفريغًا للدم. فالشاهد من هذا الحديث قوله: «**إذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة**» فإن هذا من الرفق.

ولنتنبه إلى أن الإنسان إذا قتل بحد، يعني قتل وهو زان أو قتل قصاصًا، فإنه يصلي عليه، ويدعى له بالرحمة والعفو مثل سائر المسلمين، لعل الله أن يعفو عنه ويرحمه.

أما من قتل كافرًا مرتدًا فإنه لا يدعى له بالرحمة، ولا يغسل. مثل أن يقتل إنسانًا لا يصلي، فإنه يقتل مرتدًا كافرًا، فلا يغسل ولا يكفن، ولا يصلي عليه، ولا يدفن مع المسلمين، ولا يدعى له بالرحمة، ومن دعا له بالرحمة فإنه آثم متبع غير سبيل المؤمنين، لقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

١٠/ ٦٤١ ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت: مَا خُيِّرَ رسول اللهِ ﷺ بَيْنَ أمرين قَطُّ إلا أخَذَ أيسَرَهُمَا، مَا لَم يكُن إثماً، فَإن كَانَ إثماً، كَانَ أبعَدَ النَّاسِ مِنهُ، وما انتَقَمَ رسول اللهِ ﷺ لِنَفسِهِ فى شَيء قَطُّ، إلا أن تُنتَهكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنتَقِمَ للهِ تعالى. متفقٌ عليه.

١١/ ٦٤٢ ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ على النارِ؟ ـ أو بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ ـ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ**». رواه الترمذى وقال: حديثٌ حسنٌ.

* * *

(١٠/ ٦٤١) صحيح: رواه البخارى (٣٥٦٠) مسلم (٢٣٢٧).

(١١/ ٦٤٢) صحيح: رواه الترمذى (٢٤٨٨) وصححه الألبانى فى الصحيحة (٩٣٥).

Marfat.com

٧٥ - باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف:١٩٩) ، وقال تعالى: ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ (الحجر:٨٥) ، وقال تعالى: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (النور:٢٢) ، وقال تعالى: ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران:١٣٤) ، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ﴾ (الشورى:٤٣) ، والآيات فى الباب كثيرة معلومة.

[١/ ٦٤٣] ـ وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبيّ ﷺ: هل أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أشدَّ مِنْ يَوْمِ أحُد ؟ قال: « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِك ، وكَانَ أشدُّ ما لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَة ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْد يَالَيْلَ بنِ عَبْد كُلالَ ، فَلَمْ يُجِبْنى إلى ما أرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأنَا مَهْمُومٌ على وَجْهى ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلا وَأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِب ، فَرَفَعْتُ رَأسى ، فَإذا أنا بِسَحَابَة قَد أظَلَّتْنى ، فَنَظَرتُ فَإذا فِيهَا جِبْرِيلُ عليه السَلامَ ، فَنَادَانى فقال: إنَّ اللّه تعالى قَد سَمِعَ قَوْلَ قَومكَ لَكَ ، وَما رَدُّوا عَلَيْكَ ، وقَد بعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجبَال لتَأمُرَهُ بما شئْتَ فيهم . فَنَاداني مَلَكُ الجبال فَسَلَّمَ عَلَىَّ ثُمَّ قالَ: يا محمدُ ،إنَّ الله قدْ سَمِعَ قولَ قَوْمكَ لَكَ ، وَأنا مَلَكُ الجبَال ، وَقَدْ بعَثَنى رَبى إلَيْكَ لتَأمُرَنى بأمْرِكَ ، فَمَا شئتَ : إنْ شئْتَ أطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأخْشَبَيْن » فقال النبى ﷺ: « بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أصْلابهم مَنْ يَعْبُدُ اللّه وَحدَهُ لا يُشْرِكُ به شَيْئاً » متفقٌ عليه .

« الأخْشَبَان » : الجَبَلان المحيطَان بمكَّة . والأخْشَبُ : هو الجبل الغليظ .

الشرح

قال المؤلف النووي في كتابه «رياض الصالحين» (باب العفو والإعراض عن الجاهلين). ثم ساق آيات تكلمنا عليها سابقًا في أبواب سبقت.

ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ: هل مر عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ لأن يوم أحد كان شديدًا على رسول الله ﷺ.

ويوم أحد كان غزوة غزاها النبي ﷺ حين تجمعت قريش لغزوه، لينتقموا من النبي ﷺ فيما حصل من قتل زعمائهم في بدر، لأنه قتل في بدر ـ وهي في السنة الثانية من الهجرة ـ من زعمائهم أناس لهم شرفٌ وجاه في قريش.

وفي شوال من السنة التي تلتها، وهي الثالثة من الهجرة، اجتمعت قريش فجاءوا إلى

(١/ ٦٤٣) صحيح: رواه البخاري (٣٢٣١) ، ومسلم (١٧٩٥).

Marfat.com

المدينة ليغزوا النبي ﷺ ، ولما سمع بهم النبي ﷺ ، استشار أصحابه هل يخرج إليهم، أم يبقى بالمدينة، فإذا دخلوا المدينة قاتلهم، فأشار عليه الشباب والذين لم يحضروا بدرًا أن يخرج إليهم، فخرج إليهم ﷺ في نحو ألف مقاتل.

إلا أنه انخذل نحو ثلث الجيش لأنهم كانوا منافقين والعياذ بالله. وقالوا: ولو نعلم قتالاً لاتبعناك ، فبقي النبي ﷺ في نحو سبعمائة نفر، ورتبهم النبي ﷺ أحسن ترتيب في سفح جبل أحد، وحصل القتال، وانهزم المشركون في أول النهار، وبدأ المسلمون يجمعون الغنائم.

وكان النبي ﷺ قد جعل على ثغر الجبل خمسين رجلاً راميًا يحمون ظهور المسلمين، ولما رأى هؤلاء الرماة أن المسلمين هزموا المشركين وصاروا يجمعون الغنائم، قالوا لننزل من هذا الجبل نساعد المسلمين على جمع الغنائم، هكذا ظنوا ، فذكرهم أميرهم عبد الله بن جبير، بما قاله النبي ﷺ ، حيث إن النبي ﷺ لما وضعهم في هذا المكان قال لا تبرحوا مكانكم، ولا تتعدوه سواءٌ لنا أو علينا، لكنهم ـ عفا الله عنهم ـ تعجلوا ونزل أكثرهم.

فلما رأى فرسان قريش مكان الرماة خاليًا كروا على المسلمين من الخلف، ومنهم خالد ابن الوليد وعكرمة بن أبي جهل، اللذان أسلما فيما بعد وصاروا فارسين من فوارس المسلمين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

فدخلوا على المسلمين من خلفهم واختلطوا بهم، واستشهد من المسلمين سبعون رجلاً، على رأسهم أسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ يحبه ويجله.

وحصل للنبي ﷺ ما حصل، ضربوا وجهه وشجوه وصار الدم ينزف على وجهه، وفاطمة رضي الله عنها تغسل الدم حتى إذا لم يتوقف أحرقت حصيرًا ـ يعني خصيفًا من سعف النخل ـ ودرته عليه حتى وقف، وكسروا رباعيته ﷺ ، وحصل من البلاء ما حصل.

حصل بلاء عظيم قال الله تعالى فيه: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٥ ـ ١٦٦].

فما دام الأمر بإذنه فهو خير، وحصل في هذا ما حصل من الشدة على النبي ﷺ وعلى أصحابه، وحملوا الشهداء إلى المدينة، ولكن النبي ﷺ أمر أن يردوا إلى مصارعهم إلى المكان الذي استشهدوا فيه ودفنوا هناك، ليخرجوا يوم القيامة من هذا المكان الذي استشهدوا فيه رضي الله عنهم وأرضاهم.

Marfat.com

فقال النبي ﷺ لعائشة لما سألته: هل مر عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: «**نعم**» ، وذكر لها قصة ذهابه إلى الطائف ، لأن النبي ﷺ لما دعا قريشًا في مكة، ولم يستجيوا له خرج إلى الطائف ، ليبلغ كلام الله عز وجل، ودعا أهل الطائف لكن كانوا أسفه من أهل مكة، حيث اجتمعوا هم وسفهاؤهم، وصاروا صفين متقابلين في طريق النبي ﷺ ،وجعلوا يرمونه بالحجارة، يرمونه بالحصى حتى أدموا عقبه ﷺ وخرج مغمومًا مهمومًا.

ولم يفق ﷺ إلا وهو في قرن الثعالب، فأظلته غمامة فرفع رأسه، فإذا في هذه الغمامة جبريل عليه السلام، وقال له هذا ملك الجبال يقرئك السلام ، فسلم عليه وقال: إن ربي أرسلني ، فإن شئت أطبق عليهم ـ يعني الجبلين ـ فعلت.

ولكن النبي ﷺ لحلمه وبعد نظره وتأنيه في الأمر قال: لا، لأنه لو أطبق عليهم الجبلين هلكوا ، فقال : «**لا، وإني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**».

وهذا الذي حصل؛ أن الله قد أخرج من أصلاب هؤلاء المشركين الذين آذوا الرسول ﷺ هذه الأذية العظيمة، أخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا.

فهذا يبين أن الرسول ﷺ حصل له أشد مما حصل له في أحد، وحصل له أنواع من الأذى لكنه صابر.

ومن أعظم ما كان أنه كان ذات يوم ساجدًا تحت الكعبة، يصلي لله ـ والمسجد الحرام لو يجد الإنسان فيه قاتل أبيه ما قلته ـ فقال بعض السفهاء من قريش والمعتدين منهم:اذهبوا إلي جزور آل فلان فأتوا بسلاها فضعوه على محمد وهو ساجد ، فذهبوا وأتوا بسلا الجزور، والرسول ﷺ ساجدٌ تحت الكعبة ، فوضعوه على ظهره إهانة له وإغاظة له.

فبقي الرسول ﷺ ساجدًا حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها وألقت السلا عن ظهره، فقام من السجود، ولم سلم رفع يديه يدعو الله تعالى على هؤلاء الملأ من قريش (١).

فالشاهد أن الرسول ﷺ كان يؤذي أشد الأذى، ومع ذلك يعفو ويصفح ويتانى ويترجى، فبلغه الله ـ ولله الحمد ـ مراده وحصل له النصر المبين المؤزر.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى، لا سيما إذا أوذي في الله، فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج، وقد قال النبي ﷺ : «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**»(٢) .

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٩٣٤) وأحمد (١/ ٤١٧).

(٢) حسن: رواه أحمد (١/ ٣٠٧).وانظر تحقيقي للحديث في كتاب «الأربعين النووية» للشيخ ابن عثيمين.

Marfat.com

[٢/ ٦٤٤] ــ وعنها قالت : ما ضَرَبَ رسولُ اللهِ ﷺ شيْئاً قَطُّ بيدِه ، ولا امْرَأَةً ولا خَادماً ، إلا أن يُجَاهِدَ في سَبيل اللهِ ، وما نِيلَ منْهُ شيءٌ قطُّ فَيَنتَقِمَ منْ صَاحِبِه ، إلا أنْ يُنْتَهكَ شيءٌ منْ مَحَارِمِ اللهِ تعالى ، فَيَنْتَقِمُ للهِ تعالى . رواه مسلم .

[٢/ ٦٤٥] ــ وعن أنس رضي الله عنه قال : كُنْتُ أمشي مَعَ رسول اللهِ ﷺ ، وعليه بُرْدٌ نَجْرَانيٌّ غَليظُ الحَاشيَة ، فأدركَهُ أعْرابيٌّ ، فَجَبَذَهُ بردائه جَبْذَةً شَديدَةً ، فَنَظَرْتُ إلى صَفْحَة عَاتق النبيِّ ﷺ ، وقد أثَّرَت بها حَاشيَةُ الرِّداء منْ شدَّة جَبْذَته ، ثُمَّ قال : يَا مُحَمَّدُ ، مُرْ لي منْ مَالِ اللهِ الَّذي عنْدَكَ ، فالتَفَتَ إليه فَضَحِكَ ، ثُمَّ أمَرَ لَهُ بعَطَاءٍ . متفقٌ عليه .

الشرح

هذه الأحاديث ساقها النووي ـ رحمه الله ـ في (باب العفو والإعراض عن الجاهلين).

منها حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ ما ضرب أحدًا لا خادمًا ولا غيره بيده، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وهذا من كرمه ﷺ ،أنه لا يضرب أحدًا على شيءٍ من حقوقه هو الخاصة به؛ لأن له أن يعفو عن حقه، وله أن يأخذ بحقه.

ولكن إذا انتهكت محارم الله فإنه ﷺ لا يرضى بذلك، ويكون أشد ما يكون أخذًا بها، لأنه ﷺ لا يقر أحدًا على ما يغضب الله سبحانه وتعالي، وهكذا ينبغي للإنسان أن يحرص على أخذ العفو ، وما عفى من أحوال الناس وأخلاقهم ويعرض عنهم، إلا إذا انتهكت محارم الله، فإنه لا يقر أحدًا على ذلك.

ومن الأحاديث التي ساقها قصة هذا الأعرابي، الذي لحق النبيﷺ وعليه جبة نجرانية غليظة الحاشية فجبذه ـ يعني : جذبه جذبًا شديدًا ـ حتى أثرت حاشية الجبة في عنق الرسولﷺ من شدة الجذب، فالتفت فإذا هو أعرابي يطلب منه عطاءً، فضحك النبيﷺ وأمر له بعطاء.

فانظر إلى هذا الخلق الرفيع؛ لم يوبخه النبيﷺ ، ولم يضربه، ولم يكفهر في وجهه، ولم يعبس، بل ضحكﷺ ومع هذا أمر له بعطاء، ونحن لو أن أحدًا فعل بنا هذا الفعل ما أقررناه عليه بل لضاربناه ، وأما الرسولﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. فإنه التفت إليه، وضحك إليه، وأعطاه العطاء.

وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون ذا سعة ، وإذا اشتد الناس أن يسترخي هو.

وسئل معاوية رضي الله عنه بم سست الناس؟ وذلك لأن معاوية معروف بالسياسة

(٢/ ٦٤٤) صحيح : رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٢/ ٦٤٥) صحيح : رواه البخاري (٣١٤٩) ومسلم (١٠٤٧).

Marfat.com

والحكمة. فقال: أجعل بيني وبين الناس شعرة؛ إذا جذبوها تبعتهم، وإن جذبتها تبعوني لكن لا تنقطع.

ومعنى كلامه أنه سهل الانقياد، لأن الشعرة إذا جعلتها بينك وبين صاحبك إذا جذبها أدني جذب انقطعت ، لكن من حسن سياسته رضي الله عنه كان يسوس الناس بهذه السياسة ؟ إذا رآهم مقبلين استقبلهم وإذا رآهم مدبرين تبعهم حتى يتمكن منهم.

فهكذا ينبغي للإنسان أن يكون دائمًا في سياسته رفيقًا حليمًا، كما كان النبي ﷺ هكذا، نسأل الله تعالى أن يرزقنا حسن الآداب والأخلاق.

* * *

[٦٤٦/٤] ـ وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كأنّى أنظر إلى رسول الله ﷺ يَحكى نَبيًا منَ الأنبياء ، صَلَواتُ الله وَسَلامُه عَلَيهم ، ضَرَبَهُ قَومُهُ فَأدمَوهُ ، وَهُوَ يَمسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجهِه ، ويقول : « اللّهُمَّ اغفر لِقَومى فَإنَّهُم لا يَعْلَمُونَ » متفقٌ عليه .

[٦٤٧/٥] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لَيسَ الشَّديدُ بِالصُّرعَةِ ، إنَّمَا الشَّديدُ الَّذِى يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ » متفقٌ عليه .

الشرح

ومن الأحاديث التي نقلها النووي ـ رحمه الله ـ في باب (العفو والإعراض عن الجاهلين) هذا الحديث، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كأني أنظر إلي النبي ﷺ يحكى نبيًا من الأنبياء، ضربه قومه حتى أدموا وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه، ويقول : **«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»**.

وهذا من حلم الأنبياء وصبرهم على أذي قومهم، وكم نال الأنبياء من أذي قومهم؟! قال الله تعالى: **﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾** [الأنعام: ٣٤].

فهذا النبي ﷺ الذي ضربه قومه حتى أدموا وجهه يقول: **«اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون»** وكأن هؤلاء القوم كانوا مسلمين، لكن حصل منهم مغاضبة مع نبيهم ففعلوا هذا معه، فدعا لهم بالمغفرة ، إذا لو كانوا غير مسلمين لكان يدعو لهم بالهداية، فيقول : اللهم اهد قومي ، لكن الظاهر أنهم كانوا مسلمين.

والحق حقه؛ فله أن يسمح عنه وله أن يتنازل عنه، ولهذا كان القول الراجح فيمن

(٤/ ٦٤٦) صحيح : رواه البخاري (٣٤٧٧) ومسلم (١٧٩٢).

(٥/ ٦٤٧) صحيح : رواه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

Marfat.com

سب النبي ﷺ ، ثم تاب أن توبته تقبل، ولكنه يقتل، وأما سب الله ثم تاب فإن توبته تقبل ولا يقتل ، وليس هذا يعني أن سب الرسول ﷺ أعظم من سب الله، بل سب الله أعظم، لكن الله قد أخبرنا أنه يعفو عن حقه لمن تاب منه، فهذا الرجل تاب فعلمنا أن الله تعالى قد عفا عنه.

أما الرسول ﷺ فهو قد مات، فإذا سبه أحد فقد امتهن حقه، فإذا تاب فإن الله يتوب عليه ويغفر له كفره الذي كفره بسبب سبه، ولكن حق الرسول باق فيقتل.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ليس الشديد بالصرعة»** يعني ليس القوي الذي يصرع الناس إذا صارعهم، والمصارعة معروفة وهي من الرياضة النبوية المباحة، فإن الرسول ﷺ صارع ركانة بن يزيد ، وكان هذا الرجل لا يصرعه أحد، فصارعه النبي ﷺ فصرعه النبي ﷺ.

فالصرعة هو الذي إذا صارع الناس صرعهم، ولس هذا هو الشديد حقيقة، لكن الشديد الذي يصرع غضبه، فإذا غضب غلبه غضبه، ولهذا قال: **«إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»** هذا هو الشديد.

وذلك لأن الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم فيفور دمه، فإن كان قويًا ملك نفسه، وإن كان ضعيفًا غلبه الغضب، وحينئذ ربما يتكلم بكلام يندم عليه، أو يفعل فعلاً يندم عليه.

ولهذا قال رجل للرسول ﷺ : أوصني، قال: **«لا تغضب»** قال أوصني، قال: **«لا تغضب»**، قال أوصني، قال: **«لا تغضب»**[1] ردد مرارًا وهو يقول : **«لا تغضب»** لأن الغضب ينتج عنه أحيانًا مفاسد عظيمة؛ ربما سب الإنسان نفسه، أو سب دينه، أو سب ربه. أو أطلق زوجته، أو كسر إناءه، أو أحرق ثيابه، وكثير من الوقائع تصدر من بعض الناس إذا غضبوا، كأنما صدرت من المجنون.

ولهذا كان القول الراجح أن الإنسان إذا غضب حتى لا يملك نفسه، ثم طلق زوجته، فإنها لا تطلق، لأن هذا حصل عن غلبة ليس عن اختيار، والطلاق عن الغلبة لا يقع كطلاق المكره.

* * *

---

(١) سبق تخريجه انظر الحديث رقم (٦٣٩).

Marfat.com

٧٦ ـ باب احتمال الأذى

قال الله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(آل عمران :١٣٤) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(الشورى:٤٣).

وفى الباب : الأحاديث السابقة فى الباب قبله .

[٦٤٨/١]ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال : يا رسولَ الله إنَّ لى قَرَابَةً أصلُهم ويَقْطَعونى ، وأُحْسِنُ إليهم ويُسيئونَ إلىَّ ، وأحلُمُ عنهم ويَجهَلُون علَىَّ ! فقال : «لَئِن كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكأنَّمَا تُسِفُّهم المَلَّ ولا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله تعالى ظَهيرٌ عَلَيهم مَا دُمْتَ عَلَى ذلكَ » رواه مسلم . وقد سَبَقَ شَرْحُهُ فى « بَابِ صلة الأرحام » .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب الصبر على الأذى» الأذى: هو ما يتأذى به الإنسان من قول أوعمل أو غير ذلك، والأذى إما أن يكون في أمر ديني أو دنيوي، فإذا كان في أمر ديني، بمعنى أن الرجل يؤذي من أجل دينه، كان في هذا الصبر على الأذى أسوة بالرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، لأن الله يقول: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ﴾[الأنعام: ٣٤]. أوذوا حتى أتاهم نصر الله عز وجل.

والإنسان إذا كان معه دين، وكان معه أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر فلابد أن يؤذي ولكن عليه بالصبر، وإذا صبر فالعاقبة للمتقين، ويُبتلى المرء على قدر دينه، فيسلط الله عليه من يؤذيه امتحانًا واختبارًا ، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾[العنكبوت: ١٠]. يعني إذا أوذى في الله من جهة دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ودعوته للخير، جعل هذه الفتنة كالعذاب ، فنكص على عقبيه والعياذ بالله.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[الحج: ١١].

يعني أن بعض الناس يعبد الله على حرف، وليس عنده عبادة متمكنة، فإن أصابه خير ولم تأته فتنة ولا أذية استمر واطمأن، وإن أصابته فتنة من شبهة أو أذية أو ما أشبه ذلك، انقلب، على وجهه ـ والعياذ بالله ـ خسر الدنيا والآخرة.

(١/ ٦٤٨) صحيح رواه مسلم (٢٥٥٨).

Marfat.com

وأما الأذى فيما يتعلق بأمور الدنيا ومعاملة الناس، فأنت بالخيار إن شئت فاصبر وإن شئت فخذ بحقك، والصبر أفضل، إلا إذا كان في الصبر عدوان واستمرار في العدوان، فالأخذ بحقك أولى.

فلنفرض أن لك جارًا يؤذيك، بأصوات مزعجة، أو دق الجدار، أو إيقاف السيارة أمام بيتك، أو ما أشبه ذلك، فالحق إذن لك، وهو لم يؤذك في ذات الله، فإن شئت فاصبر وتحمل وانتظر الفرج، والله سبحانه وتعالى يجعل لك نصيرًا عليه، وإن شئت فخذ بحقك، لقول الله تعالى: ﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٤١]. ولكن الصبر أفضل ما لم يحصل بذلك زيادة عدوان من المعتدي، فحينئذ الأفضل أن يأخذ بحقه ليردعه عن ظلمه.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آيتين سبق الكلام عليهما؛ قوله تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٤]. وقوله تعالى: ﴿ولَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣]. وسبق الكلام عليهما.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه في رجل قال للنبي ﷺ : إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عليهم ويجهلون علي ـ يعني: فماذا أصنع؟ ـ فقال النبي ﷺ : «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل، ولا يزال لك من الله تعالى ظهيرٌ عليهم ما دمت على ذلك» يعني ناصر، فينصرك الله عليهم ولو في المستقبل.

لأن هؤلاء القرابة والعياذ بالله يصلهم قريبهم لكن يقطعونه، ويحسن إليهم فيسيئون إليه، ويحلم عليهم ويعفو ويصفح ولكن يجهلون عليه ويزدادون، فهؤلاء قال النبي ﷺ : «فكأنما تسفهم المل»، «المل»: الرماد الحار، «وتسفهم»: يعني تلقمهم إياه في أفواههم، وهو كناية عن أن هذا الرجل منتصر عليهم.

وليس الواصل لرحمه من يكافئ من وصله، ولكن الواصل حقيقة هو الذي إذا قطعت رحمه وصلها، فهذا هو الواصل حقًا، (١) فعلى الإنسان أن يصبر ويحتسب على أذية أقاربه وجيرانه وغيرهم، فلا يزال من الله ظهيرٌ عليهم، وهو الرابح، وهم الخاسرون، وفقنا الله لما فيه الخير والصلاح في الدنيا والآخرة.

* * *

(١) انظر البخاري (٧٠٤) ومسلم (٤٦٦).

Marfat.com

٧٧ ـ باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ (الحج:٣٠) . وقال تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:٧) وفى الباب حديث عائشة السابق فى باب العفو .

[١/ ٦٤٩] ــ وعن أبى مسعود عقبة بن عمرو البدريّ رضى الله عنه قال : جاءَ رَجُلٌ إلى النبيﷺ ، فقال : إنّى لأتأخَّر عَن صَلاة الصُّبح من أجْلِ فلان ممَّا يُطيل بنَا! فَمَا رَأيتُ النَّبيَّﷺ غضبَ فى موعظَة قَطُّ أشَدَّ مِمَّا غَضبَ يومئذ ؛ فقال : « يَا أيُّهَا النَّاس، إنَّ منْكُمْ مُنَفِّرِين ، فأيُّكم أمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ ؛ فإنَّ منْ ورائه الكَبيرَ والصَّغيرَ وذا الحَاجَة » متفقٌ عليه .

الشَّرح

قال الحافظ النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «رياض الصالحين»: (باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع، والانتصار لدين الله).

والغضب له عدة أسباب، منها: أن ينتصر الإنسان لنفسه؛ بفعل أحدٌ معه ما يغضبه فيغضب لينتصر لنفسه، وهذا الغضب، منهي عنه، لأن رجلاً سأل النبي ﷺ قال له: أوصني، قال: «لا تغضب» فردد مرارًا يقول: أوصني ، وهو يقول : «لا تغضب»(١) .

والثاني: من أسباب الغضب لله عز وجل، بأن يرى الإنسان شخصًا ينتهك حرمات الله فيغضب غيرة لدين الله، وحمية لدين الله، فإن هذا محمود ويثاب الإنسان عليه، لأن الرسول ﷺ كان هذا من سنته، ولأنه داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]. ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]. فتعظيم شعائر الله وتعظيم حرمات الله أن يجدها الإنسان عظيمة ، وأن يجد امتهانها عظيمًا فيغضب ويثأر لذلك، حتى يفعل ما أمر به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك.

ثم ذكر المؤلف آية ثانية، وهي قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. والمراد بنصر الله نصر دينه، فإن الله تعالى بنفسه لا يحتاج إلى نصر، هو غني عمن سواه، لكن النصر هنا نصر دين الله بحماية الدين، والذب عنه، والغيظ عند انتهاكه ، وغير ذلك من أسباب نصر الشريعة.

(١/ ٦٤٩) صحيح : رواه البخاري (٧٠٢، ٧٠٤) ، ومسلم (٤٦٦).

(١) انظر الحديث رقم (٦٣٩).

Marfat.com

ومن هذا الجهاد في سبيل الله، القتال لتكون كلمة الله هي العليا، هذا من نصر الله، وقد وعد الله سبحانه وتعالى من ينصره بهذين الأمرين: ﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ ينصركم على من عاداكم، ويثبت أقدامكم على دينه حتى لا تزولوا، فتأمل الآن إذا نصرنا الله مرة أثابنا مرتين؛ ﴿يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ .

ثم قال بعدها: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد:٨]. يعني: أن الكافرين أمام المؤمنين الذين ينصرون الله لهم التعس، وهو الخسران والذل والهوان، ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ يعني يكون تدبيرهم تدميرًا عليهم، وتكون أعمالهم ضالة لا تنفعهم ولا ينتفعون بها.

ثم ذكر حديث عقبة بن عمرو البدري رضي الله عنه، أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، وكان هذا الإمام يطيل بهم إطالة أكثر من السنة، فغضب النبي ﷺ ، يقول: فما رأيته غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ.

وقال: «يا أيها الناس إن منكم منفرين فأيكم أم الناس فليوجز» منفرين يعني ينفرون الناس عن دين الله، وهذا الرجل لم يقل للناس: لا تصلوا صلاة الفجر، لكنه نفرهم بفعله، بالتطويل الذي هو خارجٌ عن السنة، فنفر الناس، وفي هذا إشارة إلى أن كل شيء ينفر الناس عن دينهم - ولو لم يتكلم الإنسان بالتنفير - فإنه يدخل في التنفير عن دين الله.

ولهذا كان الرسول ﷺ يداري في الأمور الشرعية، فيترك ما هو حسن لدرء ما هو أشد من تركه فتنة وضررًا، فإنه ﷺ هم بأن يبني الكعبة على قواعد إبراهيم ، ولكن خاف من الفتنة فترك ذلك(١) ، وكان يصوم في السفر فإذا رأى أصحابه صائمين - وقد شق عليهم الصوم - أفطر ليسهل عليهم.

فكون الإنسان يحرص على أن يقبل الناس دين الله بطمأنينة ورضى وإقبال بدون محذور شرعي ، فإن هذا هو الذي كان من هدي الرسول ﷺ .

والشاهد من هذا الحديث غضب النبي ﷺ من هذا الفعل الذي فعله هذا الإمام، وفيه أيضًا: إشارة إلي أن النبي ﷺ كان يغضب عند الموعظة لانتهاك حرمات الله، وقد قال جابر رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا خطب يوم الجمعة احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه ، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم(٢) .

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٣٦٨) ومسلم (١٣٣٣).
(٢) صحيح : انظر البخاري (١٩٤٤) ومسلم (١١١٣).

Marfat.com

ثم قال ﷺ : «فأيكم أم الناس فليوجز» يعني فليخفف الصلاة، على حسب ما جاءت به السنة.

«فإن من ورائه الصغير والكبير وذا الحاجة» أي في المأمومين ضعيف البنية، وضعيف القوة، وفيهم المريض، وفيهم ذو حاجة؛ قد وعد أحدًا أن يذهب إليه، أو ينتظر أحدًا أو ما أشبه ذلك، فلا يجوز للإمام أن يثقل بالناس أكثر مما جاءت به السنة.

وأما صلاته بالناس بحسب ما جاء في السنة فليفعل ، غضب من غضب، ورضي من رضي ، والذي لا ترضيه السنة فلا أرضاه الله، السنة تتبع ولكن ما زاد عليها فلا.

والأئمة في هذه المسألة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

قسم مفرط، يسرع سرعة تمنع المأمومين فعل ما يُسن، وهذا مخطئ، وآثم، ولم يؤد الأمانة التي عليه.

وقسم مفرط ـ أي زائد ـ يثقل بالناس وكأنه يصلي لنفسه، فتجده يثقل القراءة والركوع والسجود، والقيام بعد الركوع، والجلوس بين السجدتين، وهذا أيضًا مُخطيء ظالمٌ لنفسه.

والثالث: يصلي بهم كصلاة النبي ﷺ ، فهذا خير الأقسام ، وهو الذي قام بالأمانة على الوجه الأكمل.

* * *

[٢/ ٦٥٠] ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت:قَدمَ رسول الله ﷺ منْ سَفَر ، وقَد سَتَرْتُ سَهْوَةً لى بقرام فيه تَمَاثيلُ ، فَلَمَّا رآه رسول الله ﷺ هتكَهُ وتَلَوَّنَ وجهُهُ وقَال:« يا عَائشَةُ ، أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً عندَ الله يومَ القيامة الَّذينَ يُضَاهُونَ بخَلْق الله » متفقٌ عليه .

« السَّهْوَةُ » : كَالصفَّة تَكُونُ بين يدى البَيت . و « القرام » بكسر القاف : ستر رقيق، و « هتكه » : أفسد الصورة التى فيه .

[٣ / ٦٥١] ـ وعنها أنَّ قريشاً أهَمَّهُمْ شَأنُ المَرأة المَخْزوميَّة التى سَرَقَت فقالوا : من يُكَلِّمُ فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا : مَن يَجْتَرئُ عَلَيْه إلا أُسَامَةُ بنُ زَيْد حِبُّ رسول الله ﷺ فكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ؛ فقال رسول الله ﷺ: « أتَشفَعُ في حَدٍّ من حُدُود الله تعالى ؟! » ثم قامَ فَاخْتَطَبَ ثم قال: « إنما أهْلَكَ مَن قَبْلَكم أنَّهُم كانُوا إذاَ سَرَقَ فيهمُ الشَّريفُ تَرَكُوهُ، وإذا سَرَقَ فيهم الضَّعيفُ أقامُوا عَلَيه الحَدَّ ! وَايْمُ الله ، لو أنَّ فاطمَةَ بنتَ محمد سَرَقَت لَقَطَعْتُ يَدَهَا» متفقٌ عليه .

(٢/ ٦٥٠) صحيح: رواه البخاري (٥٩٥٤) ومسلم (٢١٠٧).

(٣/ ٦٥١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٧٥) ومسلم (١٦٨٨).

Marfat.com

الشرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع أحاديث عائشة رضي الله عنها ، والأول أن النبي ﷺ قدم من سفر فوجدها قد سترت سهوةً لها بقرام فيه تماثيل، يعني فيه صور ، فهتكه النبي ﷺ ، وأخبر **«أن أشد الناس عذابًا الذين يضاهئون بخلق الله»**، يعني المصورين، فهم أشد الناس عذابًا، لأنهم أرادوا أن يضادوا الله سبحانه وتعالى في خلقه، وفي تصويره.

وكانوا فيما سبق يصورون باليد، لأنه ليس عندهم آلات وأجهزة تلتقط الصورة بدون عمل يدوي، فكانوا يخططون بأيديهم ، فيأتي الحاذق منهم ويصور صورة بيده ويتقنها لتشابه صورة الله ، ليقال: ما أشد مهارة هذا الرجل، وما أعرفه، كيف استطاع أن يقلد خلق الله عز وجل؟

فهم يريدون بذلك أن يشاركوا الله سبحانه وتعالى في تصويره، وهو سبحانه وتعالى لا شريك له: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران:٦]. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر:٦٤]. فهتكه: يعني مزقه عليه الصلاة والسلام.

وفي هذا: دليل على مشروعية تمزيق الصور التي تصور باليد لأنه يضاهي بها خلق الله عز وجل ، وإقرار المنكر كفعل المنكر.

وفيه: الغضب إذا انتهكت حرمات الله عز وجل، لأن النبي ﷺ غضب وهتكه.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها في قصة المخزومية وهي امرأة من بني مخزوم كانت تستعير المتاع فتجحده ، يعني تأتي للناس تقول: أعرني قدرًا، أعرني إناء، أعرني كذا، أعرني كذا، فإذا أعاروها جحدت وقالت: لم آخذ منكم شيئًا فأمر النبي ﷺ أن تقطع يدها، لأن هذا نوع من السرقة.

وكانت هذه المرأة من بني مخزوم من قبيلة من أشرف قبائل العرب ذات الأهمية والشان ، فأهم قريشًا شأنها، وقالوا: كيف تُقطع يد مخزومية، ثم طلبوا شفيعًا إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا: أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ حبه يعني محبوبه، يعني أنه يحبه.

وأسامة هو ابن زيد بن حارثة، وزيد بن حارثة كان عبدًا وهبته خديجة للنبي ﷺ فأعتقه ، وأسامة ابنه، وكان النبي ﷺ يحبهما ، فقالوا: ليس إلا أسامة بن زيد ، فتقدم أسامة بن زيد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ ليشفع، فأنكر عليه وقال: **«أتشفع في حد من حدود الله!»**.

ثم قام فاختطب ، فخطب الناس وقال لهم عليه الصلاة والسلام: **«إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم**

Marfat.com

الله ـ يعني قسم ـ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

والشاهد من هذا أن الرسول عليه الصلاة والسلام غضب لشفاعة أسامة بن زيد في حد من حدود الله. فالغضب لله عز وجل محمود، وأما الغضب للانتقام وحظ النفس فإنه مذموم، وقد نهى عنه النبي ﷺ حين طلب أحد الصحابة أن يوصيه، فقال: «لا تغضب». قال أوصني، قال: «لا تغضب». قال أوصني، قال: «لا تغضب»(١) فالفرق بين الغضبين ظاهر.

فالغضب لله ولشرائع الله محمود، وهو من هدي الرسول ﷺ ، ودليل على غيرة الإنسان وعلى محبته لإقامة شريعة الله، أما الغضب للنفس فينبغي للإنسان أن يكتمه وأن يحلم، وإذا أصابه فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، وإذا كان قائمًا فليجلس، وإن كان جالسًا فليضطجع، كل هذا مما يخفف عنه الغضب والله الموفق.

* * *

[٤/ ٦٥٢] ـ وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ رأى نُخَامَةً فى القِبْلَة ، فشقَّ ذلكَ عَلَيْه حتَّى رُؤِىَ فى وَجهه ، فَقَامَ فَحكَّهُ بيَده فقال : « إن أحَدَكم إذَا قَامَ فى صَلاته فَإنَّهُ يُنَاجى ربَّهُ وإنَّ ربَّهُ بيْنَهُ وبَيْنَ القِبْلَة ، فَلا يَبْزُقَنَّ أحَدُكُم قبَلَ القِبْلَة ، ولكن عَنْ يَساره ، أوْ تَحتَ قَدمه » ثُمَّ أخَذَ طَرَفَ ردَائه فَبصَقَ فيه ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فقال: « أو يَفْعَلُ هكَذَا » متفقٌ عليه .

والأمرُ بالبُصَاق عَنْ يَسارِه أو تَحْتَ قَدمِه هُوَ فيمَا إذا كانَ فى غيْرِ المَسجِد ، فَأمَّا فى المسجِد فلا يَبصُقُ إلاَ فى ثَوبه .

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره النووي ـ رحمه الله ـ في باب الغضب إذا انتهكت حرمات الله عز وجل، أن النبي ﷺ رأى نخامة في القبلة ـ أي في قبلة المسجد ـ فغضب عليه الصلاة والسلام وحكاها بيده وقال: «إن أحدكم يناجي ربه» يعني إذا كان يصلي فإنه يناجي الله أي: يخاطبه، والله عز وجل يرد عليه.

فقد ثبت في «الصحيح» أن العبد إذا قال: ﴿الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . أجابه الله فقال: «حمدني عبدي»، وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ . قال: «أثنى علي عبدي»، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: «مجدني عبدي»، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

(١) سبق تخريجه برقم (٦٣٩).

(٤/ ٦٥٢) صحيح: رواه البخاري (٤٠٥) ومسلم (٥٥١).

Marfat.com

قال: «هذا بيني وبين عبدي نصفين»، فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: «هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل»(١).

فأنت تناجي الله عز وجل، بكلامه، وتدعوه سبحانه وتعالى، وتسبحه، وتمجده، وتعظمه، فهو سبحانه وتعالى أمامك بينك وبين القبلة، وإن كان الله سبحانه وتعالى في السماء فوق عرشه، فإنه أمامك، لأنه محيط بكل شيء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ثم إن النبي ﷺ لما ذكر منع التنخم في قبلة المسجد ذكر الشيء المباح؛ لأن هذا هو الهدي، وهذه هي الحكمة، أنك إذا ذكرت للناس ما هو ممنوع أن تذكر لهم ما هو جائز، حتى لا تسد الأبواب عليهم، فأمر الإنسان أن يبصق عن يساره، أو تحت قدمه، أو في ثوبه ويحك بعضه ببعض؛ ثلاثة أمور: إما تحت قدمه يبصق ويطأ عليها، وإما عن يساره، وهذا والذي قبله متعذر إذا كان الإنسان في المسجد لأنه يلوثه، وقد قال النبي ﷺ: «البصاق في المسجد خطيئة»(٢)، وإما في ثوبه، فيبطق في ثوبه ويحك بعضه ببعض.

وفي هذا الحديث: دليل على أن النخامة ليست نجسة، لأن النبي ﷺ أمر أن يبطق المصلي تحت قدمه أو في ثوبه، ولو كانت نجسة ما أذن له أن يبصق في ثوبه، وفيه التعليم بالفعل لقول النبي ﷺ: «أو يقول هكذا، وبصق في ثوبه وحك بعضه في بعض»(٣).

وفيه أيضًا: إطلاق القول على الفعل في قوله: «أن يقول هكذا» وهو يريد الفعل.

وفيه أيضًا: أن الإنسان لا حرج عليه أن يبصق أمام الناس، ولا سيما إذا كان للتعليم.

وفيه أن من المروءة ألا يرى في ثوبك شيء يستقذره الناس؛ لأنه حك بعضها ببعض؛ لئلا تبقى صورتها في ثوبك، وإذا رآها الناس تأذوا منك وكرهوك، فالإنسان ينبغي أن يكون نظيفًا في مظهره وفي ثيابه وفي غير ثيابه، حتى لا يتقزز الناس بما يشاهدونه منه.

والشاهد من هذا أن الرسول ﷺ تأثر وعرف في وجهه الكراهية لما رأى النخامة في قبلة المسجد.

* * *

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٩٥).

(١) صحيح: رواه البخاري (٤١٥) ومسلم (٥٥٢).

(١) صحيح: انظر (٤٠٠).

Marfat.com

٧٨ ـ باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهى عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قال الله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:٢١٥) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل:٩٠) .

[٦٥٣/١] ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «كُلُّكُم رَاعٍ ، وكُلُّكُم مَسؤولٌ عَنْ رعيَّته ، الإمامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعيَّته ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فى أهْله ومَسؤولٌ عَنْ رَعيَّته ، والمَرأةُ رَاعيَةٌ فى بَيت زَوجهَا وَمَسؤُولَةٌ عَنْ رَعيَّتها ، وَالخادمُ رَاعٍ فى مَال سيِّده ومَسؤولٌ عَنْ رَعيَّته ، وكُلُّكُم رَاعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعيَّته » متفقٌ عليه .

[٦٥٤/٢] ـ وعن أبى يَعْلَى مَعْقل بن يَسَار رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « ما منْ عَبْد يَسْترعيه اللّه رَعيَّةً ، يَمُوتُ يوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌ لرَعيَّته ، إلا حَرَّمَ اللّهُ عَلَيه الجَنَّةَ » متفقٌ علَيه .

وفى روايةٍ : « فَلَمْ يَحُطْهَا بنُصْحه لَمْ يَجدْ رَائحَةَ الجَنَّة » .

وفى روايةٍ لمسلم : « ما منْ أميرٍ يَلى أُمورَ المُسلمينَ ، ثُمَّ لاَ يَجْهَدُ لَهُم ، ويَنْصَحُ لَهُم ، إلا لَم يَدخُل مَعَهُمُ الجَنَّةَ » .

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه هو باب عظيم مهم يُخاطب به ولاة الأمور ويخاطب به الرعية، ولكل منهم علي الآخر حق يجب مراعاته.

أما ولاة الأمور فيجب عليهم الرفق بالرعية، والإحسان إليهم، واتباع مصالحهم وتولية من هو أهل للولاية، ودفع الشر عنهم وغير ذلك من مصالحهم، لأنهم مسئولون عنهم أمام الله عز وجل.

وأما الرعية فالواجب عليهم السمع والطاعة في غير المعصية، والنصح للولاة، وعدم التشويش عليهم، وعدم إثارة الناس عليهم، وطي مساوئهم، وبيان محاسنهم، لأن المساويء يمكن أن ينصح فيها الولاة سرًا بدون أن تُنشر على الناس، لأن نشر مساويء ولاة

(١/ ٦٥٣) صحيح : رواه البخاري (٢٥٥٨) ، ومسلم (١٨٢٩).

(٢/ ٦٥٤) صحيح : رواه البخاري (١٧٥١) ومسلم (١٤٢٩) والرواية الأخرى ..ـها البخاري (١٣ / ١٧٥٠) والرواية الثالثة رواها مسلم (١٤٢).

Marfat.com

الأمور أمام الناس لا يُستفاد منه، بل لا يزيد الأمر إلا شدة ؛ فتحمل صدور الناس الكراهية والبغضاء لولاة الأمور. وإذا كره الناس ولاة الأمور وأبغضوهم وتمردوا عليهم، ورأوا أمرهم بالخير أمرًا بالشر، ولم يسكتوا عن مساوئهم، وحصل بذلك إيغار للصدور وشر وفساد. والأمة إذا تفرقت وتمزقت حصلت الفتنة بينها ووقعت مثل ما حصل فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه حين بدأ الناس يتكلمون فيه ، فأوغروا الصدور عليه، وحشدوا الناس ضده، وحصل ما حصل من الفتن والشرور إلى يومنا هذا.

فولاة الأمور لهم حق وعليهم حق.

ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ بآيات من كتاب الله فقال: وقول الله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعني لا تتعالى عليهم، ولا ترتفع في الجو، بل اخفض الجناح، حتى وإن كنت تستطيع أن تطير في الجو فاخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين.

وأما من خالفك وعصاك فأقم عليه العقوبة اللائقة به، لأن الله تعالى لم يقل اخفض جناحك لكل أحد، بل قال: ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

وأما المتمردون والعصاة فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣، ٣٤]. وقوله الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

إن الله يأمر بهذه الأمور الثلاثة:

بالعدل: وهو واجب، فيجب على الإنسان أن يقيم العدل في نفسه، وفي أهله، وفيمن استرعاه الله عليهم. فالعدل في نفسه بألا يثقل عليها في غير ما أمر الله، وأن يراعيها حتى في أمر الخير، فلا يثقل عليها أو يحملها فوق ما تطيقه. ولهذا لما قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أصوم ولا أفطر ، وأصلي ولا أنام، دعاه النبي عليه الصلاة والسلام ونهاه عن ذلك وقال: «**إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه**»

وكذلك يجب العدل في أهل الإنسان ، فمن كان له زوجتان وجب عليه العدل

Marfat.com

بينهما، «**ومن كان له امرأتان فمال إلي إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل**»(١) .

ويجب العدل بين الأولاد؛ فإذا أعطيت أحدهم ريالاً، فأعط الآخر مثله، وإذا أعطيت الابن ريالين، فأعط البنت ريالاً، وإذا أعطيت الابن ريالاً فأعط البنت نصف ريال.

حتى إن السلف ـ رحمهم الله ـ كانوا يعدلون بين الأولاد في القُبَل ، فإذا قبَّل الولد الصغير وأخوه عنده قبَّل الولد الثاني، لئلا يجحف معهم في التقبيل.

وكذلك أيضًا في الكلام ، يجب أن تعدل بينهم، فلا تتكلم مع أحدهم بكلام خشن ومع الآخر بكلام لين. وكذلك يجب العدل فيمن ولاك الله عليهم ، فلا تحاب قريبك لأنه قريبك ، ولا الغني لأنه غنى، ولا الفقير لأنه فقير، ولا الصديق لأنه صديق ، لا تحاب أحدًا ، فالناسُ سواء. حتى إن العلماء ـ رحمهم الله ـ قالوا: يجب العدل بين الخصمين إذا دخلا على القاضي؛ في لفظه ولحظه وكلامه ومجلسه ودخولهما عليه . لا تنظر لهذا نظرة غضب ولهذا نظرة رضا ، لا تلن الكلام لهذا والثاني بعكسه. لا تقل لأحد: كيف أنت؟ كيف أهلك؟ كيف أولادك والثاني تتركه، بل اعدل بينهما حتى في هذا(٢) .

وكذلك في المجلس لا تجعل أحدهما يجلس على اليمين قريبًا منك والثاني تجعله بعيدًا عنك، بل اجعلهما أمامك على حد سواء.

حتى المؤمن والكافر إذا تخاصما عند القاضي ، يجب أن يعدل بينهما في الكلام والنظر والجلوس ، فلا يقل للمسلم تعال بجواري والكافر يبعده ، بل يجعلهما يجلسان جميعًا أمامه، فالعدل في كل الأمور.

أما الإحسان: فهو فضل زائد على العدل، ومع ذلك أمر الله به، لكن أمره بالعدل واجب وأمره بالإحسان سنة وتطوع.

﴿**وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ**﴾ أي: إعطاء القريب حقه. فإن القريب له حقه. فإن القريب له حق؛ حق الصلة، فمن وصل رحمه وصله الله، ومن قطع رحمه قطعه الله.

﴿ **وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ ﴿**يَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ**﴾ الفحشاء هي كل ما يستفحش من الذنوب، كعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والزنى، ونكاح المحارم، وغير ذلك مما يُستفحش شرعًا وعُرفًا ﴿**وَالْمُنكَرِ**﴾ هو ما يُنكر، وهو دون الفحشاء كعامة المعاصي. ﴿**وَالْبَغْيِ**﴾ : تجاوز الحد، وهو الاعتداء على الخلق بأخذ أموالهم، والاعتداء على دمائهم وأعراضهم كل هذا يدخل في البغي.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦١٣٤) مسلم (١١٥٩).

(٢) صحيح : رواه الترمذي (١١٤١) ابن ماجه (١٩٦٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٠٧٧) الارواء (٢٠١٧).

Marfat.com

وبين الله عز وجل أنه أمر ونهى ليعظنا ويصلح أحوالنا ، ولهذا قال: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

وسبق لنا الكلام على حديث «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»، وأما حديث معقل بن يسار الذي ذكره المؤلف فإن فيه التحذير من غش الرعية، وأنه «**ما من عبد يسترعيه الله على رعيته ثم يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة**»، وأنه إذا لم يحطهم بنصيحته فإنه لا يدخل معهم الجنة.

وهذا يدل على أن ولاة الأمور مسئولون عن الصغيرة والكبيرة ، وعليهم أن ينصحوا لمن ولاهم الله أمرهم، وأن يبذلوا لهم النصيحة، وأهمها النصيحة في دين الله، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير.

ومن النصيحة لهم أن يسلك بهم الطريق التي فيها صلاحهم في معادهم ومعاشهم، فيمنع عنهم كل ما يضرهم في دينهم ودنياهم، يمنع عنهم الأفكار السيئة، والأخلاق السافلة، وما يؤدي إلى ذلك من المجلات والصحف وغيرها؛ ولهذا يجب علي ولي الأمر في البيت وهو الرجل في بيته أن يمنع من وجود هذه الأشياء في البيت ؛ الصحف السيئة الفاسدة الأفكار المنحرفة، الأخلاق السافلة.

وكذلك فإن ولي الأمر العام يجب عليه أن يمنع هذه الأشياء ، وذلك لأن هذه الأشياء إذا شاعت بين الناس صار المجتمع بهيميًا ؛ لا يهمه إلا إشباع البطن وشهوة الفرج، وتحصل الفوضى، ويزول الأمن، ويكون الشر والفساد، فإذا منع ولي الأمر ما يفسد الخلق، حصل بهذا الخير الكثير.

لو أن كل واحد منا في بيته منع أهله من اقتناء هذه الصحف والمجلات الخليعة الفاسدة، ومن مشاهدة التمثيليات الفاسدة، والمسلسلات الخبيثة، لصلح الناس ، لأن الناس هم أفراد الشعب؛ أنت في بيتك، والثاني في بيته ، والثالث في بيته، وهكذا إذا صلحوا صلح كل شيء. نسأل الله أن يصلح ولاة أمورنا وأن يرزقهم البطانة الصالحة.

* * *

[٣/ ٦٥٥] ــ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا : « اللَّهُمَّ مَن وَلِيَ من أمرِ أُمَّتي شيئاً ، فَشَقَّ عَلَيهم ، فَاشْقُق عليه ، وَمَن وَلِيَ مِنْ أمر أُمَّتي شيْئاً ، فرَفَقَ بِهِم ، فَارْفُق بِهِ » رواه مسلم .

(٣/ ٦٥٥) صحيح : رواه مسلم (١٨٢٨) والبيهقي في الكبرى: (٩/ ٤٣).

Marfat.com

[٤/ ٦٥٦] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَالَ رسولَ اللّه ﷺ : « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائيلَ تَسُوسُهُمُ الأنبِيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ ، وإِنَّهُ لا نبيَّ بَعْدي ، وَسَيَكُون بَعْدي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ » قالوا : يَا رسولَ اللّه ،فَمَا تَأمُرُنَا ؟ قال : « أوفُوا بِبَيْعَةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ ، ثُمَّ أعْطُوهُم حَقَّهُم ، وَاسألوا اللّه الَّذِى لَكُم ، فَإِنَّ اللّه سَائِلُهُم عَمَّا استَرعَاهُم» متفقٌ عليه.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب أمر ولاة الأمور بالرفق واللين، ورعاية مصالح من استرعاهم الله عليهم في سياق الأحاديث ما نقله عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سمعت النبي ﷺ في بيتي هذا يقول: «اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه».

وهذا دعاء من النبي ﷺ على من تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة، فيقع على الإنسان يتولى أمر بيته، وعلى مدير المدرسة يتولى أمر المدرسة، وعلى المدرس يتولى أمر الفصل، وعلى الإمام يتولى أمر المسجد.

ولهذا قال: «من ولي من أمر أمتي شيئًا» . و«شيئًا» نكرة في سياق الشرط، وقد ذكر علماء الأصول أن النكرة في سياق الشرط تفيد العموم؛ أي شيء يكون، «فرفق بهم فارفق به»، ولكن ما معنى الرفق؟

قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون ،وليس الأمر كذلك ، بل الرفق أن تسير بالناس حسب أمر الله ورسوله، ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق بالناس ، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله فإنك تدخل في الطرف الثاني من الحديث؛ وهو الدعاء عليك بأن يشق الله عليك والعياذ بالله.

يشق عليك إما بآفات في بدنك، أو في قلبك، أو في صدرك أو في أهلك، أو في غير ذلك؛ لأن الحديث مطلق «فاشقق عليه» بأي شيء يكون، وربما لا يظهر للناس المشقة، قد يكون في قلبه نار تلظى والناس لا يعلمون، لكن نحن نؤمن بأنه إذا شق على الأمة بما لم ينزل الله به سلطانًا فإنه مستحق لهذه العقوبة من الله تعالى.

أما الحديث الثاني فإن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر بأن بني إسرائيل كانت تسوسهم الأنبياء، أي تُبعث فيهم الأنبياء فيصلحون من أحوالهم، «وإنه لا نبي بعدي» فإن النبي ﷺ خاتم النبيين بالنص والإجماع، كما قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ

(٤/ ٦٥٦) صحيح: رواه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢).

Marfat.com

وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولهذا من ادعى النبوة بعده فهو كافر مرتد يجب قتله، ومن صدق من ادعى النبوة بعد فهو كاذب مرتد يجب قتله إلا أن يتوب، فالنبي عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء،ولكن جعل الله له خلفاء في العلم، وخلفاء في السلطة، والمراد بالخلفاء في هذا الحديث: خلفاء السلطة.

ولهذا قال: «سيكون خلفاء ويكثرون» قالوا: يا رسول الله ، فما تأمرنا؟ ـ يعني: من نفي ببيعته؟ قال: «الأول فالأول» ، فإذا بايعوا الخليفة وجب عليهم أن يقوا على بيعتهم، وأن ينبذوا كل من أراد الخلافة وهو حي ، وأن يعينوا الخليفة الأول على من أراد الخلافة في حياته، لأن كل من نازع السلطان في سلطانه فإنه يجب أن يقاتل؛ حتى تكون الأمة واحدة، فإن الناس لو تركوا فوضى، وصار كل من لا يريد هذا السلطان يذهب ويتخذ له حزبًا يقاتل به السلطان فسدت الأمور.

وفي آخر الحديث حمل النبي ﷺ هؤلاء الخلفاء ما عليهم، وأمرنا نحن أن نوفي لهم بحقهم، وأن نسأل الله الذي لنا ، لا نقول : هؤلاء ظلموا ، هؤلاء جاروا ، هؤلاء لم يقوموا بالعدل، ثم ننابذهم ولا نطيعهم فيما أمرنا الله به، لا هذا لا يجوز، فيجب أن نوفي لهم بالحق وأن نسأل الله الحق الذي لنا، كالإنسان الذي له قريب إذا قطعك فصِلْهُ واسأل الله الذي لك، أما أن تقول لا أصل إلا من وصلني ، أو لا أطيع من السلطان إلا من لا يظلم ولا يستأثر بالمال ولا غيره، فهذا خطأ قم أنت بما يجب عليك، واسأل الله الذي لك.

وفي قول النبي ﷺ : «تسوسهم الأنبياء» : دليل علي أن دين الله ـ وهو دين الإسلام في كل مكان وفي كل زمان ـ هو السياسة النافعة، وليست السياسة التي يفرضها أعداء الإسلام من الكفار.

السياسة حقيقة ما جاء في شرع الله، ولهذا نقول: إن الإسلام شريعة وسياسة، ومن فرق بين السياسة والشريعة فقد ضل؛ ففي الإسلام سياسة الخلق مع الله وبيان العبادات ، وسياسة الإنسان مع أهله، ومع جيرانه، ومع أقاربه، ومع أصحابه، ومع تلاميذه، ومع معلميه ومع كل أحد؛ كل له سياسة تخصه، سياسة مع الأعداء الكفار، ما بين حربيين ومعاهدين ومستأمنين وذميين.

وكل طائفة قد بين الإسلام حقوقهم، وأمر أن نسلك بهم كما يجب، فمثلاً الحربيون نحاربهم، ...هم حلال لنا، وأموالهم حلال لنا، وأراضيهم حلال لنا.

والمستأمنون يجب أن نؤمنهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ

Marfat.com

حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة: ٦].

والمعاهدون يجب أن نوفي لهم بعهودهم، ثم أن نطمئن إليهم، أو نخاف منهم، أو ينقضوا العهد.

ثلاث حالات كلها مبـ القرآن؛ فإن اطْمَأْنَنَّا إليهم وجب أن نفي لهم بعهدهم، وإن خفناهم فقد قال الله تعـ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨]. قل لهم : ما بيننا عهدٌ إذا خفت منهم، ولا تنقض العهد بدون أن تخبرهم.

والثالث هم الذين نقضوا العهد ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [التوبة: ١٢]. إذا نقضوا العهد فلا أيمان لهم ولا عهد لهم، فالمهم أن الدين دين الله وأن الدين سياسة: سياسة شرعية، سياسة اجتماعية، سياسة مع الأجانب، ومع المسالمين، ومع كل أحد.

ومن فصل الدين عن السياسة فقد ضل؛ فهو بين أمرين:

إما جاهل بالدين ولا يعرف، يظن أن الدين عبادات بين العبد وربه، وحقوق شخصية وما أشبه ذلك؛ يظن أن هذا هو الدين فقط.

أو أنه قد بهره الكفرة وما هم عليه من القوة المادية ، فظن أنهم هم المصيبون.

وأما من عرف الإسلام حق المعرفة عرفة أنه شريعة وسياسة.

* * *

[٥/ ٦٥٧] ــ وعن عائذ بن عمرو رضى الله عنه أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ الله بن زِيَاد ، فقال له : أَىْ بُنَيَّ ، إِنِّى سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةَ » فَإِيَّاكَ أن تكُونَ مِنهُم . متفقٌ عليه .

[٦/ ٦٥٨] ــ وعن أبى مَرْيمَ الأزدىّ رضى الله عنه ، أنه قال لمُعَاوِيَة رضى الله عنه: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول : « منْ وَلاهُ اللَّهُ شَيْئاً من أمور المُسْلمينَ ، فَاحتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِم وخلَّتِهِم وفَقْرِهِم ، احتَجَبَ الله دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وفَقْرِهِ يومَ القِيامَة » فَجَعَلَ مُعَاوِيَة رجُلاً عَلَى حَوائِجِ النَّاسِ . رواه أبو داود ، والترمذى .

(٥/ ٦٥٧) صحيح: رواه مسلم (١٨٣٠).

(٦١/ ٦٥٨ صحيح: رواه أبو داود (٢٩٤٨)، والترمذي (١٣٣) وصححه الألباني في صحيح ابي داود (٢٥٥٥) والصحيحة (٦٢٩).

Marfat.com

الشرح

هذان الحديثان في بيان ما يجب على الرعاة لرعيتهم من الحقوق، من ذلك قول النبي ﷺ : «إن شر الرعاء الحطمة» الرعاء: جمع راع. والحطمة: الذي يحطم الناس ويشق عليهم ويؤذيهم، فهذا شر الرعاء. فإذا كان هذا شر الرعاء؛ فإن خير الرعاء اللين السهل، الذي يصل إلى مقصوده بدون عنف.

فيستفاد من هذا الحديث فائدتان:

الفائدة الأولى: أنه لا يجوز للإنسان الذي ولاه الله على أمر من أمور المسلمين أن يكون عنيفًا عليهم، بل يكون رفيقًا بهم.

الفائد الثانية: وجوب الرفق بمن ولاه الله عليهم بحيث يرفق بهم في قضاء حوائجهم وغير ذلك، مع كونه يستعمل الحزم والقوة والنشاط، يعني لا يكون لينًا مع ضعف ولكن لينًا بحزم وقوة ونشاط.

وأما الحديث الثاني ففيه: التحذير من اتخاذ الإنسان الذي يوليه الله تعالى أمرًا من أمور المسلمين حاجبا يحول دون خلتهم وفقرهم وحاجتهم، وأن من فعل ذلك فإن الله تعالى يحول بينه وبين حاجته وخلته وفقره.

لما حدث معاوية رضي الله عنه بهذا الحديث اتخذ رجلاً لحوائج الناس يستقبل الناس وينظر في حوائجهم ، ثم يرفعها إلي معاوية رضي الله عنه بعد أن كان أميرًا للمؤمنين.

وهكذا أيضًا من له نوع من الولاية وللناس حاجةٌ عنده فإنه لا ينبغي أن يحتجب دون حوائجهم، ولكن له أن يرتب أموره بحيث يجعل لهؤلاء وقتًا ولهؤلاء وقتًا، حتى لا تنفرط عليه الأمور.

* * *

Marfat.com

٧٩ - باب الوالي العادل

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠) ، وقال تعالى : ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الحجرات: ٩).

[١/ ٦٥٩] - وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى ﷺ قال : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فى ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه : إمامٌ عادلٌ ، وشابٌّ نشأ فى عبادة الله تعالى ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فى المَسَاجد ، ورَجُلان تَحابَّا فى الله ، اجتمعَا عليه ، وتفرَّقَا عَلَيه ، ورجُلٌ دعَتْهُ امرأةٌ ذاتُ مَنْصب وجَمَال ، فقال : إنى أخافُ الله ، ورَجُلٌ تصدَّقَ بصدقَة ، فأخفَاها حتَّى لا تعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يمينُهُ ، ورَجُلٌ ذكَرَ الله خاليًا ففاضَتْ عيْنَاهُ » متفقٌ عليه .

[٢/ ٦٦٠] - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ المُقْسطينَ عندَ الله على مَنَابرَ مِنْ نُورٍ : الَّذينَ يَعدلُونَ فى حُكْمِهِمْ وأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا » رواهُ مسلم .

الشرح

قال النووي - رحمه الله تعالى - : (باب الوالي العادل) . والوالي هو الذي يتولى أمرًا من أمور المسلمين الخاصة أو العامة ، حتى الرجل في أهل بيته يعتبر واليًا عليهم لقول النبي ﷺ : **«الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته»** والعدل واجب حتى في معاملة الإنسان نفسه لقول النبي ﷺ : **«إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، ولزورك - أي الزائر لك - عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه»** (١) .

فالعدل واجب في كل شيء لكنه في حق ولاة الأمور أوكد وأولى وأعظم لأن الظلم إذا وقع من ولاة الأمور حصلت الفوضى والكراهة لهم حيث لم يعدلوا .

لكن موقفنا نحو الإمام أو نحو الوالي لم يعدل أو ليس بعادل أن نصبر ؛ نصبر على ظلمه وعلى جوره وعلى استئثاره ، حتى إن النبي ﷺ أوصى الأنصار رضي الله عنهم وقال لهم : **«إنكم ستلقون بعدي أثرة»** يعني استئثارًا عليكم **«فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»** (١) ؛ ذلك لأن منازعة ولي الأمر يحصل بها الشر والفساد الذي هو أعظم من جوره وظلمه ، ومعلوم أن العقل والشرع ينهى عن ارتكاب أشد الضررين ، ويأمر بارتكاب

(١/ ٦٥٩) صحيح: رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١).

(٢/ ٦٦٠) صحيح: رواه مسلم (١٨٢٧) وعنده زيادة «وكلتا يديه يمين».

(١) صحيح: رواه البخاري (٦١٣٤) ومسلم (١١٥٩).

Marfat.com

أخف الضررين إذا كان لابد من ارتكاب أحدهما.

ثم ساق المؤلف ـ رحمه الله ـ آيات وأحاديث منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ العدل واجب والإحسان فضل وزيادة فهو سنة. وحسبته سيذكر قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩]. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:٥٨].

العدل من الوالي ألا يفرق بين الناس؛ لا يجور على أحد، ولا يحابي غنيًا لغناه، ولا قريبًا لقرابته، ولا فقيرًا لفقره، ولكن يحكم بالعدل ، حتى إن العلماء ـ رحمهم الله ـ قالوا: يجب علي القاضي أن يستعمل العدل مع الخصمين، ولو كان أحدهما كافرًا؛ يعني لو دخل كافر ومسلم على القاضي، فإن الواجب أن يعدل بينهم في الجلوس والمكالمة والملاحظة بالعين وغير ذلك، لأن المقام مقام حكم يجب فيه العدل، وإن كان بعض الجهال يقول: لا قدم المسلم. نقول: لا يجوز أن نقدم المسلم؛ لأن المقام مقام محاكمة ومعادلة، فلا بد من العدل في كل شيء.

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» سبعة يظلهم الله ، وليس هذا على سبيل الحصر هناك أناس آخرون يظلهم الله غير هؤلاء ، وقد جمعهم الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فزادوا على العشرين(٢) .

لكن الرسول عليه الصلاة والسلام يتحدث أحيانًا بما يناسب المقام، فتجده يقول ثلاثة، أو سبعة، أو أربعة، أو ما أشبه ذلك، مع أن هناك أشياء أخر لم يذكرها ، لأنه عليه الصلاة والسلام أفصح الخلق وأقواهم بلاغة فيتحدث بما يناسب المقام.

وقوله: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» وذلك يوم القيامة، فإن الناس يُحشرون حفاة عراة غرلاً ليس هناك ظل إلا ظل الله، أي ظل يخلقه الله عز وجل يظل فيه من يظلهم الله تعالى في ذلك اليوم، لأنه ليس هناك ظل بناء، ولا ظل شجر، ولا ظل ثياب ولا ظل مصنوعات أبدًا، ليس هناك إلا الظل الذي ييسره الله تعالى للإنسان ، يخلقه جل وعلا ظلاً من عنده، الله أعلم بكيفيته ويظلل الإنسان.

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١).

(٢) انظر فتح الباري (٢/ ١٤٣ ـ ١٤٤).

Marfat.com

بدأ بالإمام: الذي يعدل بين الناس، وأهم عدل في الإمام أن يحكم بين الناس بشريعة الله، لأن شريعة الله هي العدل، وأما من حكم بالقوانين الوضعية المخالفة للشريعة فهو من أشد الولاة جوراً ـ والعياذ بالله ـ وأبعد الناس من أن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، لأنه ليس من العدل أن تحكم بين عباد الله بشريعة غير شريعة الله، من جعل لك هذا؟ احكم بين الناس بشريعة ربهم عز وجل، فأعظم العدل أن يحكم الإمام بشريعة الله.

ومن ذلك أن يأخذ الحق من نفسه ومن أقرب الناس إليه، لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٣٥].

ومن ذلك أيضًا ألا يفرق بين قريبه وغيره فتجده إذا كان الحق علي القريب تهاون في تنفيذه وجعل يسوف ويؤخر، وإذا كان لقريبه على غيره بادر فاقتص منه. فإن هذا ليس من العدل. والعدل بالنسبة لولي الأمر له فروع كثيرة وأنواع كثيرة لا يتسع المقام الان لذكرها.

أما الثاني فهو «شاب نشأ في طاعة الله»، الشاب : صغير السن الذي نشأ في طاعة الله واستمر على ذلك، هذا أيضًا ممن يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، لأنه ليس له صبوة، والغالب أن الشباب يكون لهم صبوة وميل وانحراف ، ولكن إذا كان هذا الشاب نشأ في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والثالث: «رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه» رجلان تحابا في الله، يعني ليس بينهما صلة من نسب أو غيره، ولكن تحابا في الله. كل واحد منهم رأى أن صاحبه ذو عبادة وطاعة الله عز وجل، وقيام بما يجب لأهله ولمن له حق عليه، فرآه على هذه الحال فأحبه.

«اجتمعا عليه وتفرقا عليه» يعني اجتمعا عليه في الدنيا ، وبقيا على ذلك إلى أن ماتا فتفرقا على ذلك؛ هذان أيضًا ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والرابع: «رجل قلبه معلق بالمساجد» يعني أنه يألف الصلاة ويحبها ، وكلما فرغ من صلاة إذا هو يتطلع إلى صلاة أخرى، فالمساجد : أماكن السجود، سواء بنيت للصلاة فيها أم لا، المهم أنه دائمًا يرغب الصلاة، قلبه معلق بها؛ كلما فرغ من صلاة تطلع للصلاة الأخرى.

وهذا يدل علي قوة صلته بالله عز وجل، لأن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، فإذا أحبها الإنسان وألفها فهذا يدل علي أنه يجب الصلة التي بينه وبين الله، فيكون ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والخامس: «رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال» يعني دعته لنفسها ليفجر بها، ولكنه كان قوي العفة ، طاهر العرض «قال: إني أخاف الله » فهو رجل ذو شهوة، والدعوة

Marfat.com

التي دعته إليها هذه المرأة تُوجب أن يفعل ، لأنها هي التي طلبته، والمكان خالٍ ليس فيه أحد، ولكن منعه من ذلك خوف الله عز وجل. قال: إني أخاف الله، لم يقل: أخشى أن يطلع علينا أحد، ولم يقل ذلك إنه لا رغبة له في الجماع، ولكن قال: «**إني أخاف الله**»، فهذا يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ لكمال عفته.

والسادس: « **رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه**» تصدق بصدقة مخلصًا بذلك لله عز وجل، حتي إنه لو كان أحد على يساره ما علم بذلك من شدة الإخفاء، فهذا عنده كمال الإخلاص ، فيظله الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا ما لم يكن إظهار الصدقة فيه مصلحة وخير، فإذا كان في إظهار الصدقة مصلحة وخير كان إظهارها أولى، لكن إذا لم يكن فيه مصلحة فالإسرار أولى.

والسابع: «**رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**» ذكر الله خاليًا في مكان لا يطلع عليه أحد، خاليًا قلبه من التعلق بالدنيا ، فخشع من ذلك وفاضت عيناه. هؤلاء السبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قد توجد صفتان فأكثر في شخص واحد، وقد لا يوجد في الإنسان إلا صفة واحدة وهي كافية.

ثم ذكر المؤلف حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**المقسطون على منابر من نور يوم القيامة الذين يعدلون في أهليهم وما ولوا**» يعني أن المقسطين العادلين في أهليهم وفيمن ولاهم الله عليه، يكونون على منابر من نور يوم القيامة علي يمين الله عز وجل.

وهذا: دليل علي فضل العدل في الأهل، وكذلك في الأولاد، وكذلك أيضًا في كل من ولاك الله عليه، اعدل حتى تكون على منبر من نور عن يمين الله عز وجل يوم القيامة.

* * *

[٣/ ٦٦١] ـ وعَن عَوف بن مَالك رَضِيَ اللّه عنه قال: سَمِعتُ رسُولَ اللّهِ ﷺ يقول: « خِيَارُ أئمتِكُمُ الَّذينَ تُحبُونَهُمْ وَيُحِبُونَكُمْ ، وتصلُّونَ علَيهِم ويُصلُّونَ عَلَيْكُمْ؛ وَشِرَارُ أئمتِكُمُ الَّذينَ تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونَكُمْ ، وتَلْعَنُونَهُمْ ويَلْعَنُونَكُمْ ! » قال : قُلْنَا: يا رَسُولَ اللّهِ، أفَلا نُنَابِذُهُمْ ؟ قال: « لا ، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا ، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ » رواه مسلم.

قوله : « تُصَلُّونَ علَيْهِمْ » : تَدْعُونَ لَهُمْ .

(٣/ ٦٦١) صحيح: رواه مسلم (١٨٥٥) وأحمد (٦/ ٢٤، ٢٨).

[٤/ ٦٦٢] ـ وعنْ عياض بن حمار رَضىَ الله عنْهُ قال : سَمعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ : « أهلُ الجنَّة ثلاثةٌ : ذُو سُلْطان مُقْسطٌ مُوَفَّقٌ ، ورَجُلٌ رَحيمٌ رَفيقُ القَلْب لكُلّ ذى قُرْبى ومُسْلمٍ ، وعَفيفٌ مُتعفّفٌ ذُو عيالٍ » رواه مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب فضل الإمام العادل: عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيارك أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » الأئمة: يعني ولاة الأمـور، سواء أكان الإمام الكبير في البلد وهو السلطان الأعلى أم كان من دونه.

هؤلاء الأئمة الذين هم ولاة أمورنا، ينقسمون إلي قسمين: قسم نحبهم ويحبوننا، فتجدنا ناصحين لهم وهم ناصحون لنا، ولذلك نحبهم، لأنهم يقومون بما أوجب الله عليهم من النصيحة لمن ولاهم الله عليه، ومعلوم أن من قام بواجب النصيحة فإن الله تعالى يحبه، ثم يحبه أهل الأرض.

فهؤلاء الأئمة الذين قاموا بما يجب عليهم محبوبون لدي رعيتهم.

وقوله: «ويصلون عليكم وتصلون عليهم». الصلاة هنا بمعنى الدعاء ، يعني تدعون لهم ويدعون لكم، تدعون لهم بأن يهديهم الله ويصلح بطانتهم، ويوفقهم للعدل إلى غير ذلك من الدعاء الذي يدعي به للسلطان، وهم يدعون لكم: اللهم أصلح رعيتنا، اللهم اجعلهم قائمين بأمرك ، وما أشبه ذلك.

أما شرار الأئمة: فهم «الذين تبغضونهم ويبغضونكم» تكرهونهم لأنهم لم يقوموا بما أوجب الله عليهم من النصيحة للرعية، وإعطاء الحقوق إلى أهلها، وإذا فعلوا ذلك فإن الناس يبغضونهم، فتحصل البغضاء من هؤلاء وهؤلاء؛ تحصل البغضاء من الرعية للرعاة، لأنهم لم يقوموا بواجبهم، ثم تحصل البغضاء من الرعاة للرعية، لأن الرعية إذا أبغضت الوالي تمردت عليه وكرهته، ولم تطع أوامره ولم تتجنب ما نهى عنه، وحينئذ «تلعنونهم ويلعنونكم» والعياذ بالله؛ يعني يسبونكم وتسبونهم، أو يدعون عليكم باللعنة وتدعون عليهم باللعنة.

إذن الأمة ينقسمون إلي قسمين: قسم وفقوا وقاموا بما يجب عليهم فأحبهم الناس وأحبوا الناس، وصار كل واحد منهم يدعو للآخر . وقسم آخر بالعكس شرار الأئمة،

(٤/ ٦٦٢) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٥) ، وأحمد (٤/ ١٦٢).

Marfat.com

يبغضون الناس والناس يبغضونهم، ويسبون الناس والناس يسبونهم.

أما حديث عياض بن حمار رضي الله عنه فهو أن النبي ﷺ قال: «**أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق**» وهذا هو الشاهد؛ يعني صاحب سلطان، والسلطان يعم السلطة العليا وما دونها.

«**مقسط**»: أي عادل بين من ولاه الله عليهم.

«**موفق**»: أي مهتدٍ لما فيه التوفيق والصلاح، قد هُدي إلى ما فيه الخير، فهذا من أصحاب الجنة.

وقد سبق أن الإمام العادل ممن يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وهذا هو الشاهد من هذا الحديث «**ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربي ومسلم**» رجل رحيم يرحم عباد الله، يرحم الفقراء ، يرحم العجزة، يرحم الصغار يرحم كل من يستحق الرحمة، «**رقيق القلب**» ليس قلبه قاسيًا «**لكل ذي قربى ومسلم**»، وأما للكفار فإنه غليظ عليهم.

هذا أيضًا من أهل الجنة، أن يكون الإنسان رفيق القلب يعني فيه لين، وفيه شفقة على كل ذي قرب ومسلم.

والثالث: «**رجل عفيف متعفف ذو عيال**» يعني أنه فقير ولكنه متعفف ، لا يسأل الناس شيئًا، يحسبه الجاهل غنيًا من التعفف.

«**ذو عيال**» أي أنه مع فقره عنده عائلة، فتجده صابرًا محتسبًا يكد على نفسه، فربما يأخذ الحبل ويحتطب ويأكل منه، أو يأخذ المخلب يحتش فيأكل منه، المهم أنه عفيف متعفف ذو عيال، ولكنه صابر على البلاء، صابر على عياله، فهذا من أهل الجنة. نسأل الله أن يجعلنا من أحد هؤلاء الأصناف.

* * *

Marfat.com

٨٠ ـ باب وجوب طاعة ولاة الأمر فى غير معصية وتحريم طاعتهم فى المعصية

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ **(النساء:٥٩) .**

[١/ ٦٦٣] ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما عَن النبىّ ﷺ قال : « عَلى المَرْء المُسْلم السَّمْعُ والطاعة فِيما أحَبَّ وكَرِهَ ، إلا أنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فإذا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ ولا طَاعَةَ » متفقٌ عليه .

[٢/ ٦٦٤] ـ وعنه قال : كُنَّا إذا بَايَعْنا رَسُولَ اللّه ﷺ على السَّمْع والطَّاعة يقولُ لَنَا: « فِيما اسْتَطَعْتُمْ » متفقٌ عليه .

[٣/ ٦٦٥] ـ وعنهُ قال :سَمِعْتُ رَسُولَ اللّه ﷺ يقول :« مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طاعة لَقِىَ اللّه يَوْمَ القِيامَةِ وَلا حُجَّةَ لَهُ ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فى عُنُقه بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جاهلِيَّةً»رواه مسلم.

وفى رواية له : « وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ للجَمَاعَةِ ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلَيَّةً » . «المِيتَةُ » بكسر الميم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم في معصية الله». واستدل لذلك بقوله: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

ولاة الأمور ، ذكر أهل العلم أنهم قسمان: العلماء والأمراء.

أما العلماء: فهم ولاة أمور المسلمين في بيان الشرع، وتعليم الشرع، وهداية الخلق إلى الحق، فهم ولاة أمور في هذا الجانب، وأما الأمراء فهم ولاة الأمور في ضبط الأمن وحماية الشريعة وإلزام الناس بها، فصار لهؤلاء وجهة ولهؤلاء وجهة.

والأصل: العلماء ، لأن العلماء هم الذين يبينون الشرع ويقولون للأمراء هذا شرع الله فاعملوا به، ويلزم الأمراء بذلك، لكن الأمراء لا طريق لهم إلى علم الشرع إلا عن طريق العلماء، وهم إذا علموا الشرع نفذوه على الخلق.

(١/ ٦٦٣) صحيح: رواه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).
(٢/ ٦٦٤) صحيح: رواه البخاري (٧٢٠٢) ومسلم (١٨٧٦).
(٣/ ٦٦٥) صحيح: رواه مسلم (١٨٥١).

Marfat.com

والعلماء يؤثرون على من في قلبه إيمان ودين، لأن الذي في قلبه إيمان ودين ينصاع للعلماء ويأخذ بتوجيهاتهم وأمرهم.

والأمراء ينصاع لهم من خاف من سطوتهم وكان عنده ضعف إيمان، فيخاف من الأمير أكثر مما يخاف من العالم، وبعضهم يخاف أكثر مما يخاف من الله والعياذ بالله.

فلذلك كان لابد للأمة الإسلامية من علماء وأمراء، وكان واجبًا على الأمة الإسلامية أن يطيعوا العلماء وأن يطيعوا الأمراء، ولكن طاعة هؤلاء وهؤلاء تابعة لطاعة الله لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩] ولم يقل أطيعوا أولى الأمر منكم، لأن طاعة ولاة الأمر تابعة لا مستقلة، أما طاعة الله ورسوله فهي مستقلة، ولهذا أعاد فيها الفعل فقال: أطيعوا وأطيعوا، أما طاعة ولاة الأمور فهي تابعة ليست مستقلة.

وعلى هذا فإذا أمر ولاة الأمور بمعصية الله فإنه لا سمع لهم ولا طاعة، لأن ولاة الأمور فوقهم ولي الأمر الأعلى جل وعلا وهو الله، فإذا أمروا بمخالفته فلا سمع لهم ولا طاعة.

أما الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ فمنها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وفيما كره، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصة فلا سمع ولا طاعة»**.

قوله: **«على المرء»** هذه كلمة تدل على الوجوب، وأنه يجب على المرء المسلم بمقتضى إسلامه أن يسمع ويطيع لولاة الأمور فيما أحب وفيما كره، حتى لو أمر بشيء يكرهه فإنه يجب عليه أن يقوم به ولو كان يرى خلافه، ولو كان يكره أن ينفذه.

فالواجب عليه أن ينفذ، إلا إذا أمر بمعصية الله، فإذا أمر بمعصية الله فطاعة الله فوق كل طاعة، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفي هذا دليل على بطلان مسلك من يقول: لا نطيع ولاة الأمور إلا فيما أمرنا الله به، يعني إذا أمرونا أن نصلي صلينا، إذا أمرونا أن نزكي زكينا. أما إذا أمرونا بأمر ليس فيه أمر شرعي فإنه لا تجب علينا طاعتهم، لأننا لو وجبت علينا طاعتهم لكانوا مشرعين، فإن هذه نظرة باطلة مخالفة للقرآن والسنة، لأننا لو قلنا: إننا لا نطيعهم إلا فيما أمرنا الله به لم يكن بينهم وبين غيرهم فرق، كل إنسان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فإنه يطاع بالمعروف.

ثم نقول: بل نحن قد أمرنا بطاعتهم فيما لم يأمرنا الله عز وجل، إذا لم يكن ذلك منهيًا عنه أو محرمًا، فإننا نطيعهم حتى في التنظيم إذا نظموا شيئًا من الأعمال، يجب علينا أن نطيعهم؛ وذلك أن بطاعتهم يكون امتثال أمر الله عز وجل وامتثال أمر رسول الله

Marfat.com

ﷺ ، وحفظ الأمن، والبعد عن التمرد على ولاة الأمور، وعن التفرق، فإذا قلنا: لا نطيعهم إلا في شيء أمرنا به، فهذا معناه أنه لا طاعة لهم.

هناك بعض الأنظمة مثلاً تنظم الحكومة أنظمة لا تخالف فيها الشرع، لكن لم يأت به الشرع بعينه، فيأتي بعض الناس ويقول: لا نطيع في هذا، فيقال: بل يجب عليك أن تطيع، فإن عصيت فإنك آثم مستحق لعقوبة الله، ومستحق لعقوبة ولاة الأمور.

وعلى ولاة الأمور أن يعزروا مثل هؤلاء الذي يعصون أوامرهم التي يلزمهم أن يقوموا بها لأنهم إذا عصوا أوامر ولاة الأمور ـ وقد أمر الله بطاعتهم فيها ـ فهذا معصية لله. وكل إنسان يعصى الله فإنه مستحق للتعزير، يعني: التأديب، بما يراه ولي الأمر.

من ذلك مثلاً: أنظمة المرور ؛ فأنظمة المرور مما نظمه ولي الأمر، وليس فيها معصية، فإذا خالفها الإنسان فهو عاصٍ وآثم مثلاً السير على اليسار، والسير على اليمين والسير في الاتجاه الفلاني، وفي السير يجب أن يقف إذا كانت الإشارة حمراء وما أشبه ذلك، كل هذا يجب أن ينفذ وجوبًا، فمثلاً إذا كانت الإشارة حمراء وجب عليك الوقوف. لا تقل: ما أمرنا الله بذلك، ولاة الأمور نظموا لك هذا التنظيم وقالوا: التزم به، فإذا تجاوزت فإنك عاصٍ آثم لأنك قلت لربك لا سمع ولا طاعة والعياذ بالله.

فإن الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]. كذلك أيضًا في التقاطع، معروف أن الذي في الخط العام هو الذي له الحق أن يتجاوز إذا كنت أنت في خط فرعي ووجدت إنسانًا مقبلاً من الخط العام فلا تتجاوز لأن النظام يقتضي منع ذلك.

وهكذا أيضًا الأنظمة في الإمارة، والأنظمة في القضاء، وكل الأنظمة التي لا تخالف الشرع، فإنه يجب علينا أن نطيع ولاة الأمور فيها، وإلا أصبحت المسألة فوضى، وكل إنسان له رأي، وكل إنسان يحكم بما يريد، وأصبح ولاة الأمور لاقيمة لهم، بل هم أمراء بلا أمر، وقضاة بلا قضاء.

فالواجب على الإنسان أن يمتثل لأمر ولاة الأمور إلا فيما كان فيه معصية الله. فلو قالوا مثلاً: لا تخرجوا إلى المساجد لتصلوا الجمعة، لا تصلوا الجمعة والجماعة، قلنا لهم: لا سمع ولا طاعة. ولو قالوا: اظلموا الناس في شيء قلنا: لا سمع ولا طاعة، كل شيء أمر به أو نهي عنه الله فإنه لا سمع ولا طاعة لهم في ضده أبدًا.

كذلك لو قالوا مثلاً: احلقوا اللحى، مثل لبعض الدول يأمرون رعاياهم بحلق اللحى ولاسيما جنودهم الذين عندهم، لو قالوا: احلقوا اللحى قلنا: لا سمع لكم ولا طاعة. وهم آثمون في قولهم لجنودهم: احلقوا اللحى، وهم بذلك آثمون مضادون لله ورسوله

Marfat.com

منابدون لله ورسوله.

كذلك لو قالوا مثلاً: أنزلوا ثيابكم إلى أسفل من الكعبين، فإننا نقول: لا ، لا سمع ولا طاعة، لأن هذا مما حرمه الله وتوعده عليه، فإذا أمرتمونا بمعصية فإننا لا نسمع لكم ولا نطيع؛ لأن لنا ولكم ربًا حكمه فوق حكمنا وحكمكم.

فإذن أوامر ولاة الأمور تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: أن يأمروا بما أمر الله به، فهنا تجب طاعتهم لوجيهن:

الوجه الأول: أنه مما أمر الله به.

الوجه الثاني: أنه مما أمروا به، كغيرهم من الناس؛ إذا أمرك شخص بالمعروف وهو واجب، فالواجب عليك أن تقوم به.

الثاني: أن يأمروا بمعصية الله، فهنا لا سمع لهم ولا طاعة مهما كان ، وأنت إذا نالك عذاب منهم بسبب هذا فسيعاقبون عليه يوم القيامة.

أولاً: لحق الله، لأن أمرهم بمعصية الله منابذة لله عز وجل.

ثانيًا: لحقك أنت، لأنهم اعتدوا عليك، وأنت وهم كلكم عبيد الله، ولا يحل لكم أن تعصوا الله.

الثالث: إذا أمروا بشيء ليس فيه أمر ولا نهي، فيجب عليك أن تطيعهم وجوبًا، فإن لم تفعل فأنت آثم، ولهم الحق أن يعزروك وأن يؤدبوك بما يرون من تعزير وتأديب، لأنك خالفت أمر الله في طاعتهم ، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وما كره، ما لم يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»**.

ثم أشد من ذلك من لا يعتقد للإمام بيعة، من يقول: أنا ما بايعت الإمام، ولا له بيعة علي ، لأن مضمون هذا الكلام أنه لا سمع له ولا طاعة ولا ولاية ، وهذا أيضًا من الأمر المنكر العظيم؛ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن من مات من غير بيعة وليس له إمام فإنه يموت ميتة جاهلية، يعني ليست ميتة إسلامية، بل ميتة أهل الجهل والعياذ بالله، وسيجد جزاءه عند الله عز وجل.

فالواجب أن يعتقد الإنسان أن له إمامًا، وأن له أميرًا يدين له بالطاعة في غير معصية الله، فإذا قال مثلاً: أنا لن أبايع، قلنا: البيعة لا تكون في رعاع الناس وعوام الناس، إنما تكون لأهل الحل والعقد.

ولهذا نقول: هل بايع كل الناس أبا بكر وعمر وعثمان وعلي؟ هل بايعهم حتى الأطفال والعجوز والمرأة في خدرها؟ أبدًا ما بايعوهم . ولم يأت أهل مكة يبايعون أبا بكر،

Marfat.com

ولا أهل الطائف ولا غيرهم، إنما بايعه أهل الحل والعقد في المدينة، وتمت البيعة بذلك.

وليست البيعة لازمة لكل واحد أن يجيء يبايع، ولا يمكن لعوام الناس، فعوام الناس تابعون لأهل الحل والعقد، فإذا تمت البيعة من أهل الحل والعقد صار المُبايع إمامًا، وصار ولي أمر تجب طاعته في غير معصية الله، فلو مات إنسان وهو يعتقد أنه ليس له ولي أمر، وأنه ليست له بيعة، فإنه يموت ميتة جاهلية. نسأل الله العافية.

* * *

[٦٦٦/٤] ـ وعَنْ أنَس رضى الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللّه ﷺ: « اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وإنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ » رواه البخارى

[٦٦٧/٥] ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قالَ رسُولُ اللّه ﷺ: « عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فى عُسْرِكَ ويُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وأثَرَةٍ عَلَيْكَ » رواهُ مسلم.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في سياق الأحاديث الواردة في وجوب طاعة ولاة الأمور.

قال فيما نقله عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة**»، «**اسمعوا وأطيعوا**: يعنى الزموا السمع والطاعة لولاة الأمور، حتى لو استعمل عليكم عبد حبشي.

والنبي ﷺ هنا يخاطب العرب يقول: ولو استعمل عليكم عبد حبشي غير عربي، عبد أصلاً وفرعًا وخلقة، كأن رأسه زبيبة، لأن شعر الحبشة غير شعر العرب؛ فالحبشة يكون في رءوسهم حلق كأنها الزبيب، وهذا من باب المبالغة في كون هذا العامل عبدًا حبشيًا أصلاة وفرعًا، وهذا يشمل قوله: **وإن استعمل**» فيشمل الأمير الذي هو أمير السلطان، وكذلك السلطان.

فلو فُرض أن السلطان غلب الناس واستولى وسيطر وليس من العرب، بل كان عبداً حبشيًا فعلينا أن نسمع ونطيع، لأن العلة واحدة، وهي أن لم نسمع ونطع حصلت الفوضى، وزال النظام، وزال الأمن، وحل الخوف فالمهم أن علينا أن نسمع ونطيع لولاة أمورنا إلا إذا أمروا بمعصية.

وكذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**عليك السمع والطاعة**

(٤/ ٦٦٦) صحيح: رواه البخاري (٧١٤٢) أحمد (٣/ ١١٤).
(٥/ ٦٦٧) صحيح: رواه مسلم (١٨٣٦) وأحمد (٢/ ٣٨١، ٣٢١).

Marfat.com

في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك» السمع والطاعة لولاة الأمور في المنشط والمكره؛ «في المنشط» : يعني الأمر الّذي إذا أمروك به نشطت عليه لأنه يوافق هواك، و «في المكره» في الأمر الذي إذا أمروك به لم تكن نشيطًا فيه لأنك تكرهه ، اسمع في هذا وهذا ، وفي العسر واليسر، حتى إذا كنت غنيًا فأمروك فاسمع ولا تستكبر لأنك غني، وإذا كنت فقيرًا فاسمع ولا تقل : لا أسمع وهم أغنياء وأنا فقير.

اسمع وأطع في أي حال من الأحوال ، حتى في الأثرة؛ يعني إذا استأثر ولاة الأمور على الناس، فعليهم أيضًا السمع والطاعة في غير معصية الله عز وجل.

فلو أن ولاة الأمور سكنوا القصور الفخمة، وركبوا السيارات المريحة، ولبسوا أحسن الثياب، وتزوجوا وصار عندهم الإماء، وتنعموا في الدنيا أكبر تنعم، والناس سواهم في بؤس وشقاء وجوع، فعليهم السمع والطاعة، لأننا لنا شيء والولاة لهم شيء آخر.

فنحن علينا السمع والطاعة، وعلى الولاة النصح لنا، وأن يسيروا بنا على هدى رسول الله ﷺ ، لكن لا نقول إذا استأثروا علينا وكانت لهم القصور الفخمة والسيارات المريحة والثياب الجميلة وما أشبه ذلك، لا نقول: والله ما يمكن أن نسمع وهم في قصورهم وسياراتهم ونحن في بؤس وحاجة، والواحد منا لا يجد السكن وما أشبه ذلك. هذا حرام علينا، يجب أن نسمع ونطيع حتى في حال الأثرة.

وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام للأنصار ـ رضي الله عنهم ـ: «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**»(١) يقول للأنصار ذلك منذ ألف وأربعمائة سنة، من ذاك الوقت والولاة يستأثرون على الرعية، ومع هذا يقول: «**اصبروا حتى تلقوني على الحوض**»، فليس استئثار ولاة الأمور بما يستأثرون به مانعًا من السمع والطاعة لهم، الواجب السمع والطاعة في كل ما أمروا به ما لم يأمروا بمعصية.

نسأل الله أن يصلحنا جميعًا رعية ورعاة وأن يهبنا منه رحمة إنه هو الوهاب.

* * *

[٦/ ٦٦٨] ـ وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : كُنَّا مَعَ رسولَ اللهِ ﷺ فى سَفَرٍ ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً ، فَمِنَّا مَنْ يُصلِحُ خِباءَهُ ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فى جَشَرِه ، إذْ نَادَى مُنَادِى رسول الله ﷺ : الصَّلاةُ جَامِعَةً . فَاجْتَمَعْنَا إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ فقال : « إنَّهُ لَمْ يكُن نَبِىٌّ قَبْلى إلا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ على خَيرِ مَا يَعْلَمُهُ لهُم ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٣٣٠) ومسلم (١٠٦١).

(٦/ ٦٦٨) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٤) وأحمد (٢/ ١٩١).

Marfat.com

لهُمْ ، وإنَّ أُمَّتكُمْ هذه جُعلَ عَافِيَتُهَا فى أولِّها ، وسَيُصيبُ آخرِهَا بَلاءٌ وأُمُورٌ تُنْكرُونَها ، وتجىءُ فتنٌ يُرقِّقُ بعضُها بعضاً ، وتجىءُ الفتنَةُ فيقولُ المؤمنُ : هذه مُهْلكَتى، ثُمَّ تنْكشفُ ، وتَجىءُ الفتنَةُ فيَقولُ المؤمنُ : هذه هذه ، فَمَنْ أحبَّ أنْ يُزحزحَ عَنِ النَّار ، ويدْخلَ الجنَّةَ ، فلْتَأْته منيَّتهُ وهُوَ يؤمنُ باللّه واليوْمِ الآخرِ ، وليأتِ إلى النَّاسِ الَّذى يُحبُّ أنْ يُؤتى إليْه .

ومَنْ بَايعَ إماماً فأعطاهُ صفقَةَ يَده ، وثمرةَ قلْبه ، فلْيُطعْهُ إن اسْتطَاعَ ؛ فإنْ جاءَ آخرُ يُنَازعُهُ ، فاضْربُوا عُنُقَ الآخرِ » رواه مسلم

قَوله : « يَنْتَضِلُ » أى : يُسَابقُ بالرَّمْى بالنَّبْلِ والنُّشَّاب . وَ « الجَشَرُ » بفتح الجيم والشين المعجمة وبالراء : وهىَ الدَّوابُّ التى ترْعَى وتَبيتُ مكانَها . وقوله : « يُرقِّقُ بعْضُها بعْضاً » أى: يُصيِّر بعْضَهَا رَقيقاً ، أي: خفيفاً لعظَمِ ما بَعدَهُ ، فَالثَّانى يُرقِّقُ الأوَّلَ. وقيلَ معنَاهُ : يُشوِّقُ بَعْضُهَا إلى بَعْضٍ بتحْسينِها وتَسويلِهَا ، وقيلَ : يُشْبِهُ بَعضُها بعْضاً .

الشرح

هذا الحديث ذكره المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب وجوب ولاة الأمور. عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فنزل الناس فتفرقوا ، منهم من كان يصلح خباءه، ومنهم من ينتضل، ومنهم من هو في جَشَرة كالعادة أن الناس نزلوا وهم سفرٌ كل يشتغل بما يرى أنه لابد من الاشتغال فيه.

فنادى منادي رسول الله ﷺ يقول: الصلاة جامعة، وهذا النداء يُنادى به لصلاة الكسوف ، وينادى به إذا أراد الإمام أو الأمير أن يجتمع بالناس، بدلاً من أن يقول: يا أيها الناس ، هلموا إلى المكان الفلاني.

فاجتمع الناس ، فخطبهم النبي عليه الصلاة والسلام ، وأخبرهم أنه ما من نبي بعثه الله إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم، وأنذرهم شر ما يعلمه لهم؛ كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان منهم النصيحة لاقوامهم، يعلمونهم الخير ويدلونهم عليه ويحثونهم عليه، ويبينون الشر ويحذروهم منه.

وهكذا يجب على أهل العلم وطلبة العلم أن يبينوا للناس الخير ويحثوهم عليه، ويبينوا الشر ويحذروهم منه؛ لأن علماء هذه الأمة ورثة الأنبياء، فإن النبي ﷺ ليس بعده نبي، ختمت النبوة به، فلم يبق إلا العلماء الذين يتلقون شرعه ودينه، فيجب عليهم ما يجب على الأنبياء من بيان الخير والحث عليه ودلالة الناس إليه، وبيان الشر والتحذير منه.

ثم أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ـ يعني أمة محمد ـ جعل الله عافيتها في أولها، يعني أن أول الأمة في عافية ليس فيها فتن، ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام لم تكن هناك

Marfat.com

فتن، وكذلك في عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

وحين قتل عمر رضي الله عنه قتله غلام المغيرة ، غلال يقال له أبو لؤلؤة ، وهو مجوسي خبيث، كان في قلبه غل على أمير المؤمنين عمر، فلما تقدم لصلاة الصبح ضربه بخنجر له رأسان، وقيل: إنه كان مسومًا، فضربه حتى قد بطنه رضي الله عنه، وحمل وبقي ثلاثة أيام ثم مات رضي الله عنه.

ثم إن هذا الرجل الخبيث هرب، فلحقه الناس فقتل ثلاثة عشر رجلا، لأن الخنجر الذي معه مقبضه في الوسط وله رأسان ، فهو يقول به هكذا وهكذا، ويضرب الناس يمينًا وشمالاً، حتى ألقى عليه أحد الصحابة بساطًا فقتل نفسه والعياذ بالله.

من ذاك الوقت بدأت الفتنة ترفع رأسها، وأخبر عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث أنه تأتي فتن فيرقق بعضها بعضًا، أي أن بعضها يجعل ما قبلها رقيقًا وسهلاً، لأن الثانية أعظم من الأولى، كل واحدة أعظم من الأخرى فترقق ما قبلها، ولهذا قال: **«يرقق بعضها بعضًا»** فتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن: هذه مُهلكتي، لأن أول ما تأتي يستعظمها فيقول: من هنا نهلك.

ثم تأتي الأخرى فترقق الأولى وتكون الأولى سهلة بالنسبة إليها ، فيقول المؤمن: هذه هذه ، يعني هذه التي فيها البلاء كل البلاء، نسأل الله أن يُعيذنا من الفتن، ولكن المؤمن يصبر ويحتسب ويلجأ إلى الله عز وجل، ويستعيذ بالله من الفتنة، وفي كل صلاة يقول: **«أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»**(١) .

ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر»**... نسأل الله أن يميتنا على ذلك - من كان يحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة - وكلنا يحب ذلك - فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر.

«وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» يعني: يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، فينصح للناس كما ينصح لنفسه، ويكره للناس ما يكره لنفسه، فيكون هذا قائمًا بحق الله، مؤمنًا بالله واليوم الآخر، وقائمًا بحق الناس، لا يعامل الناس إلا بما يحب أن يعاملوه به، فلا يكذب عليهم، ولا يغشهم، ولا يخدعهم ، ولا يحب لهم الشر، يعني يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، فإذا جاء يسأل مثلاً هل هذا حرام أم حلال؟ قلنا له:

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٣٧٧).

Marfat.com

هل تحب أن يعاملك الناس بهذا؟ إذا قال: لا. قلنا له: اتركه سواء كان حلالاً أم حرامًا.

ما دمت لا تحب أن يعاملك الناس به، واجعل هذا ميزانًا بينك وبين الناس في معاملتهم؛ لا تأت الناس إلا بما تحب أن يؤتى إليك، فتعاملهم باللطف كما تحب أن يعاملوك باللطف واللين، بحسن الكلام، بحسن المنطق، باليسر كما تحب أن يفعلوا بك هذا، هذا الذي يزحزح عن النار ويدخل الجنة: نسأل الله أن يجعلنا منهم.

* * *

[٧/ ٦٦٩]ــ وعن أبي هُنَيْدَةَ وائلِ بن حُجْر رضَى الله عنه قال: سَأَلَ سَلَمَةُ بنُ يَزِيدَ الجُعفيُّ رَسُولَ الله ﷺ، فقالَ: يَانَبِيَّ الله، أرأَيْتَ إنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، ويمنَعُونَا حقَّنَا، فَمَا تَأمُرُنَا؟ فَأعْرَضَ عنه، ثمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا؛ فَإنَّما عَلَيْهِمْ ما حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ ما حُمِّلْتُمْ» رَوَاهُ مسلم.

[٨/ ٦٧٠]ــ وَعَنْ عَبْدِ الله بن مَسْعُود رضىَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّهَا ستَكُونُ بَعْدِى أَثَرَةٌ، وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!» قَالوا: يا رسُولَ الله، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذلكَ؟ قَالَ: «تُؤَدُّونَ الحقَّ الَّذى عَلَيْكُمْ، وتَسْأَلُونَ الله الَّذى لَكُمْ» متفقٌ عليه.

٩/ ٦٧١ ــ وعن أبى هريرة رضىَ اللهُ عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أطَاعَنى فَقَدْ أطَاعَ الله، وَمَنْ عصَانى فَقَدْ عصَى الله، وَمَنْ يُطِعِ الأمِيرَ فَقَدْ أطَاعَنى، وَمَنْ يَعْصِ الأمِيرَ فَقَدْ عَصَانى» متفقٌ عليه.

[١٠/ ٦٧٢]ــ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَرِهَ مِن أمِيرِهِ شَيْئاً فَلْيَصْبِر، فإنَّهُ مَن خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبراً مَاتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً» متفقٌ عليه.

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف في باب طاعة ولي الأمر، فيها دليل على أمور:

أولاً: حديث وائل بن حُجر أن النبي ﷺ سئل عن أمراء يسألون حقهم الذي لهم، ويمنعون الحق الذي عليهم؛ سُئل عن هؤلاء الأمراء ماذا نصنع معهم؟ والأمراء هنا يشمل الأمراء الذين هم دون السلطان الأعظم ويشمل السلطان الأعظم أيضًا، لأنه أمير، وما من أمير إلا فوقه أمير حتى ينتهي الحكم إلى الله عز وجل.

(٧/ ٦٦٩) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٦). والترمذي (٢١٩٩).
(٨/ ٦٧٠) صحيح: رواه البخاري (٧٠٥٢)، ومسلم (١٨٤٣).
(٩/ ٦٧١) صحيح رواه البخارى (٢٩٥٧) مسلم (١٨٣٥).
(١٠/ ٦٧٢) صحيح: رواه البخاري (٧٠٥٣) ومسلم (١٨٤٩).

Marfat.com

سئُل عن هؤلاء الأمراء ، أمراء يطلبون حقهم من السمع والطاعة لهم، ومساعدتهم في الجهاد ، ومساعدتهم فى الأمور التى يحتاجون إلى المساعدة فيها، ولكنهم يمنعون الحق الذي عليهم؛ لا يؤدون إلى الناس حقهم، ويظلمونهم ويستأثرون عليهم، فأعرض النبي ﷺ عنه، كأنه عليه الصلاة والسلام كره هذه المسائل، وكره أن يفتح هذا الباب، ولكن أعاد السائل عليه ذلك. فأمر النبي ﷺ أن نؤدي لهم حقهم، وأن عليهم ما حملوا وعلينا ما حملنا، فنحن حملنا السمع والطاعة، وهم حملوا أن يحكموا فينا بالعدل، وألا يظلموا أحدًا، وأن يقيموا حدود الله على العباد وأن يقيموا شريعة الله في أرض الله، وأن يجاهدوا أعداء الله، هذا الذي يجب عليهم، فإن قاموا به فهذا هو المطلوب، وإن لم يقوموا به فإننا لا نقول لهم: أنتم لم تؤدوا الذي عليكم فلا تؤدى الذي لكم، هذا حرام، يجب أن نؤدي الحق الذي علينا فنسمع ونطيع، ونخرج معهم في الجهاد، ونصلي وراءهم في الجمع والأعياد وغير ذلك، ونسأل الله الحق الذي لنا.

وهذا الذي دل عليه هذا الحديث وأقره المؤلف ـ رحمه الله ـ هو مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب السلف الصالح، السمع والطاعة للأمراء وعدم عصيانهم فيما تجب الطاعة فيه، وعدم إثارة الضغائن عليهم، وعدم إثارة الأحقاد عليهم هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

حتى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ يضربه السلطان، يضربه ويجره بالبغال ، يُضرب بالسياط حتى يغمى عليه في الأسواق ، وهو إمام أهل السنة ـ رحمه الله ورضي عنه ـ، ومع ذلك يدعو للسلطان ويسميه أمير المؤمنين، حتى إنهم منعوه ذات يوم، قالوا له: لا تحدث الناس، فسمع وأطاع ولم يحدث الناس جهرًا، بدأ يخرج يمينًا وشمالاً ثم يأتيه أصحابه يحدثهم بالحديث.

وكل هذا من أجل ألا ينابذ السلطان، لأنه سبق لنا أنهم قالوا: يا رسول الله، أفلا ننابذهم؟ لما قال: **«خيرأئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشر أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم»** قالوا: أفلا ننابذهم؟ قال: **«لا ما أقاموا فيكم الصلاة ـ مرتين ـ»** فما داموا يصلون فإننا لا ننابذهم، بل نسمع ونطيع ونقوم بالحق الذي علينا وهم عليهم ما حملوا.

وفي آخر الأحاديث قال النبي ﷺ : **«من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر»** ليصبر وليتحمل ولا ينابذه ولا يتكلم **«فإن من خرج عن الجماعة مات ميتة جاهلية»** يعني ليست ميتة الإسلام والعياذ بالله.

وهذا يحتمل معنيين:

Marfat.com

الأول: يحتمل أنه يموت ميتة جاهلية بمعنى أنه يزاغ قلبه والعياذ بالله، حتى تكون هذه المعصية سببًا لردته.

الثاني: ويحتمل المعنى الآخر أنه يموت ميتة جاهلية، لأن أهل الجاهلية ليس لهم إمام وليس لهم أمير، بل لهم رؤساء وزعماء لكن ليس لهم ولاية كولاية الإسلام، فيكون هذا مات ميتة جاهلية.

والمهم أن الواجب أن نسمع ونطيع لولاة الأمر إلا في حال واحدة فإننا لا نطيعهم؛ إذا أمرونا بمعصية الخالق فإننا لا نطيعهم. لو قالوا: احلقوا لحاكم. قلنا لا سمع ولا طاعة، لو قالوا: نزلوا ثيابكم أو سراويلكم إلى أسفل الكعبين، قلنا: لا سمع ولا طاعة، لان هذه معصية. لو قالوا لا تقيموا صلاة الجماعة، قلنا: لا سمع ولا طاعة. لو قالوا: لا تصوموا رمضان، قلنا: لا سمع ولا طاعة، كل معصية لا نطيعهم فيها مهما كان. أما إذا أمروا بشيء ليس معصية وجب علينا أن نطيع.

ثانيًا: لا يجوز لنا أن ننابذ ولاة الأمور.

ثالثًا: لا يجوز لنا أن نتكلم بين العامة فيما يثير الضغائن على ولاة الأمور، وفيما يسبب البغضاء لهم، لأن في ذلك مفسدة كبيرة. قد يتراءى للإنسان أن هذه غيرة، وأن هذا صدع بالحق؛ والصدع بالحق لا يكون من وراء حجاب، الصدع بالحق أن يكون ولي الأمر أمامك وتقول له: أنت فعلت كذا وهذا لا يجوز، تركت هذا، وهذا واجب.

أما أن تتحدث من وراء حجاب في سب ولي الأمر والتشهير به، فهذا ليس من الصدع بالحق، بل هذا من الفساد، هذا مما يوجب إيغار الصدور وكراهة ولاة الأمور والتمرد عليهم، وربما يفضي إلى ما هو أكبر إلى الخروج عليهم ونبذ بيعتهم والعياذ بالله.

وكل هذه أمور يجب أن نتفطن لها، ويجب أن نسير فيها على ما سار عليه أهل السنة والجماعة، ومن أراد أن يعرف ذلك فليقرأ كتب السنة المؤلفة في هذا.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في آخر كتاب «العقيدة الواسطية» ـ وهي عقيدة مختصرة ولكنها كبيرة جدًا في المعنى ـ ذكر أن من هدي أهل السنة والجماعة وطريقتهم، أنهم يدينون بالولاء لولاة الأمور، وأنهم يرون إقامة الحج والجهاد والأعياد والجمع مع الأمراء أبرارًا كانوا أو فجارًا، حتى لو كان ولي الأمر فاجرًا فإن أهل السنة والجماعة يرون إقامة الجهاد معه وإقامة الحج وإقامة الجمع وإقامة الأعياد.

---

(١) قال الشيخ ابن عثيمين: إذا تمت هذه الشروط ـ وهي أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان ـ فهذه الشروط مسوغة للخروج على الإمام لكنها ليست موجبة، فإذا ثبت أنها مسوغة نظرنا هل يمكن زحزحة هذا الحاكم عن سلطته أولاً: إذا كان لايمكن إلا بإراقة دماء، واستحلال أعراض، وإتلاف أموال فإنه لا يجوز =

Marfat.com

إلا إذا رأينا كفرًا بواحًا صريحًا عندنا فيه من الله برهان والعياذ بالله، فهنا يجب[1] علينا ما استطعنا أن نزيل هذا الحاكم، وأن نستبدله بخير منه، أما مجرد المعاصي والاستئثار وغيرها؛ فإن أهل السنة والجماعة يرون أن ولي الأمر له الولاية حتى مع هذه الأمور كلها، وأن له السمع والطاعة، وأنه لا تجوز منابذته، ولا إيغار الصدور عليه، ولا غير ذلك مما يكون فساده أعظم وأعظم. والشر ليس يُدفع بالشر؛ ادفع الشر بالخير، أما أن تدفع الشر بالشر، فإن كان مثله فلا فائدة، وإن كان أشر منه كما هو الغالب في مثل هذه الأمور، فإن ذلك مفسدة كبيرة. نسأل الله أن يهدي ولاة أمورنا وأن يهدي رعيتنا على ما يلزمها، وأن يوفق الجميع للقيام بما يجب عليه.

١٠/ ٦٧٢ ــ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ كَرِه مِن أميرِهِ شَيئاً فَلْيَصبِر، فإنَّهُ مَن خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبراً مَاتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً » متفقٌ عليه.

[١١/ ٦٧٣] ــ وعن أبى بكرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن أهَانَ السُّلطَانَ أهَانَهُ الله » رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

وفى الباب أحاديث كثيرة فى الصحيح ،وقد سبق بعضها فى أبواب.

الشرح

هذان الحديثان بقية باب وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية الله، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصى الأمير فقد عصاني»**.

ففي هذا الحديث بين الرسول ﷺ أن طاعته من طاعة الله. قال الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. والنبي عليه الصلاة والسلام لا يأمر إلا بالوحي، إلا بالشرع الذي شرعه الله تعالى له ولأمته، فإذا أمر بشيء فهو شرع الله سبحانه وتعالى، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله.

الأمير إذا أطاعه الإنسان فقط أطاع الرسول، لأن النبي ﷺ أمر في أكثر من حديث

= الخروج ، وإنما يحاول تنحيته بأساليب أخرى لا يحصل بها هذه المفاسد. العظيمة ثم لابد من شرط دس: القدرة على إزاحته.

(أسئلة أبي الحسن المأربي للشيخ ابن باز وابن عثيمين رحمهما الله).

(١٠/ ٦٧١) صحيح: رواه البخاري (٧١٣٧) ومسلم (١٨٣٥).

(١١ / ٦٧٣) صحيح: رواه الترمذي (٢٢٢٤) وأحمد (٥/ ٤٢، ٤٩) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨١٢). وفي الترمذي «سلطان الله في الأرض».

Marfat.com

بطاعة ولي الأمر وقال: «**اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك**»[١] وقال «**اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي رأسه زبيبة**»[٢] وقال: «**على المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه**»[٣] .

والأحاديث في هذا كثيرة فقد أمر بطاعة ولي الأمر، وإذا أطعت ولي الأمر فقد أطعت الرسول عليه الصلاة والسلام، وإذا أطعت الرسول فقد أطعت الله.

وهذا الحديث وما سبقه وما لم يذكره المؤلف كلها تدل على وجوب طاعة ولاة الأمور إلا في معصية الله ، لما في طاعتهم من الخير والأمن والاستقرار وعدم الفوضى وعدم اتباع الهوى.

أما إذا عُصي ولاة الأمور في أمر تلزم طاعتهم فيه فإنه تحصل الفوضى،ويحصل إعجاب كل ذي رأي برأيه ويزول، الأمن وتفسد الأمور ، وتكثر الفتن، فلهذا يجب علينا أن نسمع ونطيع لولاة أمورنا إلا إذا أمرونا بمعصية؛ فإذا أمرونا بمعصية الله فربنا وربهم الله له الحكم ، فلا نطيعهم فيها؛ بل نقول لهم: يجب عليكم أن تتجنبوا معصية الله فكيف تأمروننا بها؟ فلا نسمع لكم ولا نطيع.

وقد سبق لنا أن قلنا: إن ما أمر به ولاة الأمور ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يكون الله قد أمر به، مثل أن يأمرونا بإقامة الجماعة في المساجد، وأن يأمرونا بفعل الخير وترك المنكر وما أشبه ذلك، فهذا واجب من جهتين:

أولاً: أنه واجب أصلاً.

والثاني: أنه أمر به ولاة الأمور.

القسم الثاني: أن يأمرونا بمعصية الله، فهذا لا يجوز لنا طاعتهم فيه مهما كان، مثل أن يقولوا: لا تصلوا الجماعة، احلقوا لحاكم، أنزلوا ثيابكم إلى أسفل، اظلموا المسلمين بأخذ المال أو الضرائب أو ما أشبه ذلك، فهذا أمر لا يطاع ولا يحل لنا طاعتهم فيه، لكن علينا أن نناصحهم وأن نقول: اتقوا الله، هذا أمر لا يجوز لا يحل لكم أن تأمروا عباد الله بمعصية الله .

القسم الثالث: أن يأمرونا بأمر ليس فيه أمر من الله ورسوله بذاته، وليس فيه نهي بذاته، فيجب علينا طاعتهم فيه، كالأنظمة التي يستنونها وهي لا تخالف الشرع، فإن الواجب علينا طاعتهم فيها واتباع هذه الأنظمة وهذا التقسيم، فإذا فعل الناس ذلك فإنهم

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٨٤٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٧١٤٢) احمد (٣/ ١١٤).

(٣) صحيح: رواه مسلم (١٨٣٦) واحمد (٢/ ٣٨١، ٣٢١).

Marfat.com

سيجدون الأمن والاستقرار والراحة والطمأنية، ويحيون ولاة أمورهم، ويحبهم ولاة أمورهم.

ثم ذكر المؤلف آخر حديث في هذا الباب؛ حديث أبي بكرة أن الرسول ﷺ قال: «من أهان السلطان أهانه الله» وإهانة السلطان لها عدة صور:

منها: أن يسخر بأوامر السلطان، فإذا أمر بشيء قال: انظروا ماذ يقول!

ومنها: إذا فعل السلطان شيئًا لا يراه هذا الإنسان. قال: انظروا، انظروا ماذا يفعل! يريد أن يهون أمر السلطان على الناس ، لأنه إذا هون أمر السلطان على الناس استهانوا به، ولم يمتثلوا أمره، ولم يجتنبوا نهيه.

ولهذا فإن الذي يهين السلطان بنشر معايبه بين الناس وذمه والتشنيع عليه والتشهير به يكون عرضة لأن يهينه الله عز وجل، لأنه إذا أهان السلطان بمثل هذه الأمور تمرد الناس عليه فعصوه ، وحينئذ يكون هذا سبب شر فيهينه الله عز وجل.

فإن أهانه في الدنيا فقد أدرك عقوبته، وإن لم يهنه في الدنيا فإنه يستحق أن يُهان في الآخرة والعياذ بالله. ، لأن كلام الرسول ﷺ حق: «من أهان السلطان أهانه الله» ، ومن أعان السلطان أعانه الله، لأنه أعان على خير وعلى بر، فإذا بينت للناس ما يجب عليهم للسلطان وأعنتهم على طاعته في غير معصية فهذا خير كثير، بشرط أن يكون إعانة على البر والتقوى وعلى الخير.

* * *

Marfat.com

٨١ـ باب النهى عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة إليه

قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(القصص:٨٣).

[١/ ٦٧٤]ـ وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضى الله عنه ، قال : قال لى رسول الله ﷺ : « يَا عَبْدَ الرَّحمن بْنَ سَمُرَةَ ، لا تَسأل الإمَارَةَ ، فَإنَّكَ إن أُعْطِيتَهَا عَن غَيْرِ مَسألَة أُعنتَ عَلَيها ، وإن أُعطيتَها عَن مَسألَة وُكلْتَ إليها ، وإذا حَلَفتَ عَلى يَمينٍ ، فرَأيتَ غَيرهَا خَيراً منهَا ، فَأتِ الذى هوَ خَيْرٌ ، وَكَفِّرْ عَنْ يَمينكَ » متفقٌ عليه .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه «رياض الصالحين»: (باب النهي عن طلب الإمارة وترك الولايات إلا من حاجة أو مصلحة).

الإمارة معناها التآمر علي الناس والاستيلاء عليهم. وهي كبرى وصغرى.

أما الكبري: فهي التي تكون إمارة عامة على كل المسلمين، كإمارة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو خليفة رسول الله ﷺ ، وكإمارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طلب، وغيرهم من الخلفاء، هذه إمارة عامة وسلطة عامة.

وإمارة خاصة دون ذلك: تكون إمارة على منطقة من المناطق تشتمل على قرى ومدن أو إمارة أخص من ذلك على قرية واحدة أو مدينة واحدة وكلها ينهى الإنسان أن يطلب فيها أن يكون أميرًا كما سيأتي في حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

ثم صدر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ هذا الباب بقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يعني الجنة ﴿ نجعلها للذين لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ ﴾[القصص: ٨٣].

وطلب الإمارة ربما يكون قصد الطالب للإمارة أن يعلو على الناس، ويملك رقابهم ويأمر وينهى، فيكون قصده سيئًا، فلا يكون له حظ في الآخرة والعياذ بالله، ولهذا نُهي عن طلب الإمارة.

وقوله: ﴿وَلا فَسَادًا ﴾ أي فسادًا في الأرض بقطع الطريق وسرقة أموال الناس، والاعتداء على أعراضهم وغير ذلك من الفساد ﴿ والعاقبة للمتقين﴾ عاقبة الأمر للمتقين،

(٦/ ٦٧٤) صحيح رواه البخاري (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

Marfat.com

فإما أن تظهر هذه العاقبة في الدنيا، وإما أن تكون في الآخرة، فالمتقون هم الذين لهم العاقبة سواء في الدنيا أو في الآخرة أو في الدنيا والآخرة.

ثم ساق المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث عبد الرحمن بن سمرة أن رسول الله ﷺ قال له: **«يا عبد الرحمن بن سمرة»** ناداه باسمه واسم أبيه من أجل أن ينتبه لما يُلقى إليه؛ لأن الموضوع ليس بالهين **«لا تسأل الإمارة»** يعني لا تطلب أن تكون أميراً **«فإنك إن أعطيتها عن مسألة»** يعني بسبب سؤالك **«وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»** والمعين هو الله.

فإذا أعطيتها بطلب منك وكلك الله إليها وتخلى الله عنك والعياذ بالله، وفشلت فيها ولم تنجح ولم تفلح ، وإن أعطيتها عن غير مسألة بل الناس هم الذين اختاروك وهم الذين طلبوك، فإن الله تعالى يعينك عليها، يعني فاقبلها وخذها.

وهذا يشبه المال، فإن الرسول ﷺ قال لعمر: **«ما جاء من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك»**(١) .

ولهذا ينبغي للإنسان الموفق ألا يسأل شيئًا من الوظائف ، فإن رقي بدون مسألة فهذا هو الأحسن وله أن يقبل حينئذ ، أما أن يطلب ويلح، فإنه يُخشى أن يكون داخلاً في هذا الحديث.

فالورع والاحتياط ألا تطلب شيئا من ترقية أو انتداب أو غير ذلك، إن أعطيت فخذ، وإن لم تعط فالأحسن والأورع والأتقى ألا تطالب، فكل الدنيا ليست بشيء، وإذا رزقك الله رزقًا كفافًا لا فتنة فيه، فهو خير من مال كثير تفتن فيه، نسأل الله السلامة.

«لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير»، يعني إذا حلفت ألا تفعل شيئًا، ثم تبين لك أن الخير في فعله، فكفر عن يمينك وافعله، وإذا حلفت أن تفعل شيئًا ثم بدا لك أن الخير في تركه فاتركه وكفر عن يمينك.

وإنما قال له النبي ﷺ ذلك، لأنه إذا كان الإنسان أميراً فحلف على شيء فربما تملي عليه أنفة الإمارة أن يتحول عن حلفه، ولكن ينبغي ـ وإن كان أميرًا ـ إذا حلف على شيء ورأي الخير في تركه أن يتركه، أو حلف ألا يفعل شيئًا ورأى الخير في فعله أن يفعله، وهذا شامل للأمير وغيره.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٧١٦٣) ومسلم (١٠٤٥).

Marfat.com

إذا حلفت على شيء ورأيت أن الخير في خلافه فكفر عن يمينك وافعل الخير. مثال ذلك : رجل حلف ألا يزور قريبه لأنه صار بينه وبينه شيء، فقال: والله لا أزوره؛ فهذا حلف على قطع الرحم؛ وصلة الرحم خير من القطيعة، فنقول: يجب عليك أن تكفر عن يمينك وأن تزور قريبك، لأن هذا من الصلة والصلة واجبة.

مثال آخر: رجل حلف ألا يكلم أخاه المسلم ويهجره ، نقول: هذا غلط، كفر عن يمينك وكلمه.

وهكذا كل شيء تحلف عليه ويكون الخير بخلاف ما حلفت، فكفر عن يمينك وافعل الخير، وهذه قاعدة في كل الأيمان ، ولكن الذي ينبغي للإنسان ، ألا يتسرع في الحلف؛ فإن كثيرًا من الناس يتسرعون في الحلف أو في الطلاق أو ما أشبه ذلك، ويندمون بعد ذلك، فنقول: لا تتعجل ولا تتسرع، إذا كنت عازمًا على الشيء فافعله أو اتركه بدون يمين وبدون طلاق، ثم إن ابتليت بكثرة الحلف فاقرن حلفك بقولك: إن شاء الله، فإنك إن حلفت وقلت: إن شاء الله، فأنت في حل حتى لو خالفت ما حلفت عليه فإنه لا يضر.

فلو قلت: والله إن شاء الله لا أفعل هذا الشيء، ثم فعلته فليس عليك شيء، لأن من قال في يمينه: إن شاء الله فلا حنث عليه، والله الموفق.

* * *

[٢/ ٦٧٥]ــ وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يَا أبَا ذَرٍّ، إنِّي أرَاكَ ضَعِيفاً ، وَإنِّي أُحِبُّ لَكَ ما أُحِبُّ لِنَفسي ، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ وَلا تَوَلَّيَنَّ مال يَتِيمٍ» رواه مسلم .

[٣/ ٦٧٦]ــ وعنه قال : قلت : يا رسول الله ، ألا تَستَعملُني ؟ فَضَرَبَ بيَده عَلى مَنْكِبي ثُمَّ قالَ : « يَا أبَا ذَرٍّ ، إنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإنَّها أمَانَةٌ ، وإنَّها يَوْمَ القِيامَة خِزيٌ وَنَدَامَةٌ ، إلا مَنْ أخَذَهَا بِحَقِّهَا ، وَأدَّى الذي عَلَيهِ فِيها » رواه مسلم .

الشرح

ذكر الحافظ النووي ـ رحمه الله ـ في باب النهي عن سؤال الإمارة ما نقله عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: **«إنك امرؤ ضعيف وإني أحب لك ما أحب لنفسي، فلا تأمرن علي اثنين ولا تولين على مال يتيم»** هذه أربع جمل بين الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي ذر فيها ما بين:

(٢/ ٦٧٥) صحيح : رواه مسلم (١٨٢٦) وأبو داود (٢٨٦٨).
(٣/ ٦٧٦) صحيح : اخرجه مسلم (١٨٢٥).

Marfat.com

الأولى: قال له: «إنك امرؤ ضعيف» ، وهذا القول إذا كان مصارحة أمام الإنسان فلا شك أنه ثقيل علي النفس، وأنه يؤثر فيك أن يُقال لك: إنك امرؤ ضعيف، لكن الأمانة تقتضي هذا، أن يُصرح للإنسان بوصفه الذي هو عليه؛ إن قويًا فقوى وإن ضعيفا فضعيف.

هذا هو النصح: «إنك امرؤ ضعيف» ، ولا حرج على الإنسان إذا قال لشخص مثلاً: إن فيك كذا وكذا، من باب النصيحة لا من باب السب والتعيير ، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال: «إنك امرؤ ضعيف».

الثانية: قال: «وإني أحب لك ما أحب لنفسي» وهذا من حسن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، لما كانت الجملة الأولى فيها شيء من الجرح قال: «وإني أحب لك ما أحب لنفسي» يعني لم أقل ذلك إلا أني أحب لك ما أحب لنفسي.

الثالثة: «فلا تأمرن على اثنين»، يعني لا تكن أميرًا على اثنين وما زاد فهو من باب أولى.

والمعنى أن النبي ﷺ نهاه أن يكون أميرًا لأنه ضعيف، والإمارة تحتاج إلى إنسان قوي أمين، قوي بحيث تكون له سلطة وكلمة حادة؛ إذا قال فعل، لا يكون ضعيفًا أمام الناس، لأن الناس إذا استضعفوا الشخص لم يبق له حرمة عندهم، وتجرأ عليه لكع بن لكع، وصار الإنسان ليس بشيء، لكن إذا كان قويًا حادًا في ذات الله لا يتجاوز حدود الله عز وجل ، ولا يقصر عن السلطة التي جعلها الله له فهذا هو الأمير حقيقة.

الرابعة: «ولا تولين مال يتيم» واليتيم هو الذي مات أبوه قبل أن يبلغ. فنهاه الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتولى على مال اليتيم؛ لأن مال اليتيم يحتاج إلى عناية ويحتاج إلى رعاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]. وأبو ذر رضي الله عنه ضعيف لا يستطيع أن يرعي هذا المال حق رعايته؛ فلهذا قال: «ولا تولين مال يتيم» يعني لا تكن وليًا عليه دعه لغيرك.

ففي هذا: دليل على أنه يشترط للإمارة أن يكون الإنسان قويًا وأن يكون أمينًا، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «إنها أمانة»، فإذا كان قويًا أمينًا فهذه هي الصفات التي يستحق بها أن يكون أميرًا، فإن كان قويًا غير أمين ، أو أمينًا غير قويًا، أو ضعيفًا غير أمين، فهذه الأحوال الثلاثة لا ينبغي ان يكون صاحبها أميرًا.

ولكن يجب أن نعلم أن الأشياء تتقيد بقدر الحاجة، فإذا لم نجد إلا أميرًا ضعيفًا أو أميرًا غير أمين، وكان لا يوجد في الساحة أحد تنطبق عليه الأوصاف كاملة ، فإنه يولي

Marfat.com

الأمثل فالأمثل، ولا تترك الأمور بلا إمارة، لأن الناس محتاجون إلى أمير، ومحتاجون إلى قاضٍ، ومحتاجون إلى من يتولى أمورهم، فإن أمكن وجود من تتم فيه الشروط فهذا هو الواجب وإن لم يوجد فإنه يولي الأمثل فالأمثل لقول الله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦].

وتختلف الأنظار فيما إذا كان لدينا رجلان: أحدهما أمين غير قوي، والثاني قوي غير أمين، كل منهما معين من وجه ، لكن في باب الإمارة يفضل القوي وإن كان فيه ضعف في الأمانة، لأن القوي ربما يكون أمينًا، لكن الضعيف الذي طبيعته الضعف فإن الطبع لا يتغير ولا يتحول غالبًا.

فإذا كان أمامنا رجلان: أحدهما ضعيف ولكنه أمين ، والثاني قوي لكنه ضعيف في الأمانة، فإننا نؤمر القوي لأن هذا أنفع للناس، فالناس يحتاجون إلي سلطة وإلى قوة ، وإذا لم تكن قوة ولا سيما مع ضعف الدين ضاعت الأمور.

٤/ ٦٧٧ ــ وعن أبى هُريرة رضىَ الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « **إنَّكُم ستَحرِصونَ علَى الإمارَةِ ، وستَكُونُ نَدامَةً يَوْمَ القِيامَةِ** » رواه البخارى .

* * *

(٤ / ٦٧٧) صحيح: رواه البخارى (٧١٤٨) .

Marfat.com

٨٢ ـ باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قال الله تعالى: ﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف:٦٧).

[١/ ٦٧٨] ـ عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ من نَبيٍّ، ولا استَخْلَفَ منْ خَليفة إلا كَانَتْ لَهُ بطَانَتَان: بطَانَةٌ تَأمُرُه بالمَعْروف وَتَحُضُّهُ عليه، وبِطَانَةٌ تـأمُرُهُ بالشَّرِّ وتَحُضُّهُ عليهِ، والمَعصُومُ مَن عصَمَ اللهُ» رواه البخاري.

[٢/ ٦٧٩] ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا أَرادَ اللهُ بالأمير خَيراً، جعَلَ له وزيرَ صدق، إن نَسيَ ذَكَّرَهُ، وَإن ذَكَرَ أعَانَهُ، وإذَا أرادَ به غَيرَ ذلك جعَلَ لَه وَزيرَ سُوءٍ، إن نَسيَ لَم يُذَكِّرْه، وَإن ذَكَرَ لم يُعِنْهُ» رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ على شرط مسلم.

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه «رياض الصالحين» (باب حث القاضي والسلطان وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح والتحذير من قرناء السوء)، ثم ذكر المؤلف قول الله تعالى﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾.

الأخلاء: جمع خليل، والخليل هو الذي أحبك وتحبه حبًا عظيمًا، حتى يتخلل حبه جميع البدن، وفي ذلك يقول الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سُمي الخليل خليلاً

فإذا صدق الودُّ واشتد فإن أعلى أنواع المحبة هي الخلة، ولهذا اتخذ الله إبراهيم خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً. ولا نعلم أنه اتخذ خليلاً من خلقه إلا هذين النبيين إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم.

ولهذا نقول: من قال: إن إبراهيم خليل الله، وموسى كليم الله ومحمد حبيب الله، فقد هضم محمداً ﷺ حقه؛ لأنه إذا جعله حبيب الله فقط فقد نزل رتبته؛ بل هو عليه الصلاة والسلام أعلى من الحبيب، فالله تعالى يحب المؤمنين، ويحب المقسطين ويحب المتقين، فمحبته أوسع، لكن الخُلة لا تحصل لكل أحد.

(١/ ٦٧٨) صحيح : رواه البخاري (٧١٩٨).

(٢/ ٦٧٩) صحيح : رواه أبو داود (٢٩٣٢). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٥٤٤).

Marfat.com

فهؤلاء المساكين الجهال يقولون : محمد حبيب الله وإبراهيم خليل الله. سبحانه الله! يقولون ذلك مع أنه يروي أن النبي ﷺ قال: «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»(١) ، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر**»(٢) ، ومع هذا سئل أي الرجال أحب إليك؟ قال: «أبو بكر»(٣) .

ففرق بين الخلة والمحبة؛ الخلة أعظم من المحبة.

فالأخلاء في الدنيا والأصدقاء في الدنيا هم على صداقتهم، لكنهم في الآخرة أعداء قال تعالى: ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧].

فإن المتقين محبتهم في الله، والرجلان إذا تحابا في الله ـ اجتمعا عليه وتفرقا عليه ـ كانا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله(٤) ، جعلنا الله منهم.

ويدل الله على أن الأخلاء سيكونون أعداء إلا المتقين قوله تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: تقطعت بهم المحبة، فكانت المحبة بينهما في الدنيا، وفي الآخرة تتلاشى وتتقطع.

ثم إنه يجب أن نعلم أن الله سبحانه وتعالى يبتلي العبد، فتارة ييسره لأخلاء صدق يدعونه للخير؛ يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر، ويعينونه على ما يعجز عنه. وتارة يبتلي بقوم خلاف ذلك ، ولهذا جاء في الحديث : «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»(٥) .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**مثل الجليس الصالح كحامل المسك إما أن تبتاع منه**» أي يبيع لك مسكًا «**وإما أن يحذيك**» أي يعطيك مجانًا «**وإما أن تجد منه رائحة طيبة**»، أما الجليس السوء ـ والعياذ بالله ـ فإنه «**كنافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك**» بما يتطاير عليك من شرار النار، «**وإما أن تجد منه رائحة كريهة**»(١) .

وفي حديث عائشة الذي ساقه المؤلف ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ قال: «**إذا أراد الله بأمير خيرًا جعل له وزير صدق إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه ، وإذا أراد به غير ذلك جعل له**

---

(١) ضعيف : رواه ابن ماجه (١٤١) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٥٣٠).
(٢) صحيح : رواه البخاري (٤٤٦ ، ٤٦٧) ومسلم (٥٣٢).
(٣) صحيح : رواه البخاري (٣٦٦٢).
(٤) صحيح : رواه البخاري (٦٥٩) ومسلم (١٠٣١).
(٥) صحيح : رواه أبو داود (٤٨٣٣) الترمذي (٢٣٧٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٧).

Marfat.com

وزير سوء، إن نسي لم يذكره، وإن ذكر لم يعنه».

وكذلك أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن الله ما بعث من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كان له بطانتان؛ بطانة خير تأمره بالخير وتحثه عليه وبطانة سوء تدله على السوء وتأمر به. قال: **«والمعصوم من عصمه الله»** وهذا مشاهد، تجد الأمراء بعضهم يكون صالحًا في نفسه، حريصًا على الخير، لكن يقيض الله له قرناء سوء - والعياذ بالله - فيصدونه عما يريد من الخير ، ويزينون له السوء ويبغضونه لعباد الله.

وتجد بعض الأمراء يكون في نفسه غير صالح ، لكن عنده بطانة خير تدله على الخير وتحثه عليه، وتدله على ما يوجب المحبة بينه وبين رعيته حتى يستقيم وتصلح حاله، والمعصوم من عصمه الله.

وإذا كان هذا في الأمراء، ففتش نفسك أنت. فأنت بنفسك إذا رأيت من أصحابك أنهم يدلونك على الخير ويعينونك عليه، وإذا نسيت ذكروك وإذا جهلت علموك فاستمسك بحجزهم وعض عليهم بالنواجذ.

وإذا رأيت من أصحابك من هو مهمل في حقك ولا يبالي هل هلكت أم بقيت، بل ربما يسعى لهلاكك، فاحذره فإنه السم الناقع والعياذ بالله، لا تقرب هؤلاء بل ابتعد عنهم، فر منهم فرارك من الأسد، والإنسان الموفق هو الذي لا يكون بليدًا كالحجر بل يكون ذكيًا كالزجاجة فإنها صلبة ولكن يُرى ما وراءها من صفاء، فيكون عنده قوة وصلابة، لكن عنده يقظة بحيث يعرف - وكأنما يرى بالغيب - ما ينفعه مما يضره، فيحرص على ما ينفعه ويتجنب ما يضره. نسأل الله لنا وللمسلمين التوفيق.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٥٣٤). ومسلم (٢٦٢٨).

Marfat.com

٨٣ـ باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرض بها

[١/ ٦٨٠] ـ عن أبي موسى الأشعَرىِّ رضى الله عنه قال : دَخَلتُ على النَّبىِّ ﷺ أنا وَرَجُلانِ من بَنى عَمِّى ، فقالَ أحَدُهمَا : يا رسولَ الله ، أمِّرنا علَى بَعض مَا وَلاكَ الله عَزَّ وجَلَّ ، وَقَال الآخَرُ مثلَ ذلكَ ، فقال : « إنَّا وَاللهِ لا نُوَلِّى هذا العَمَلَ أحَداً سَألَهُ، أو أحَداً حَرَصَ عليه » متفقٌ عليه .

الشرح

هذا الباب الذي ذكره النووي ـ رحمه الله ـ في «رياض الصالحين»: (النهي عن توليه من طلب الإمارة أو حرص عليها). وقد سبق في حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها»**.

كذلك أيضًا لا ينبغي لولي الأمر إذا سأله أحد أن يؤمره على بلد أو علي قطعة من الأرض فيها بادية أو ما أشبه ذلك أن يؤمره، حتى وإن كان الطالب أهلاً لذلك، لأن النبي ﷺ كما في حديث أبي موسى الذي ذكره المصنف لما سأله الرجلان أن يؤمرهما على بعض ما ولاه الله عليه، قال: **«إنا والله لا نولي هذا الأمر أحدًا سأله أو أحدًا حرص عليه»**، يعني لا نولي أحدًا سأل أن يتأمر على شيء وحرص عليه، وذلك لأن الذي يطلب أو يحرص علي ذلك ربما يكون غرضه بهذا أن يجعل لنفسه سلطة لا أن يصلح الخلق، فلما كان قد يُتهم بهذه التهمة منع النبي ﷺ أن يولي من طلب الإمارة وقال: **«إنا والله لا نولي هذا الأمر أحدًا حرص عليه»**.

وكذلك أيضًا لو أن أحدًا سأل القضاء؛ فقال لولي الأمر في القضاء كوزير العدل مثلاً: ولني القضاء في البلد الفلاني. فإنه لا يولي، وأما من طلب النقل من بلد إلى بلد أو ما أشبه ذلك فلا يدخل في هذا الحديث، لأنه قد تولى من قبل ولكنه طلب أن يكون في محل آخر، إلا إذا علمنا أن نيته وقصده هي السلطة على أهل هذه البلدة فإننا نمنعه فالأعمال بالنيات.

فإن قال قائل: كيف تجيبون عن قول يوسف عليه الصلاة والسلام للعزيز: ﴿اجعلني عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥].

(١/ ٦٨٠) صحيح: رواه البخاري (٧١٤٩) ومسلم (١٧٣٣).

Marfat.com

فإننا نجيب بأحد جوابين :

أولاً: إما أن يقال: إن شرع من قبلنا إذا خالفه شرعنا فالعمدة على شرعنا، بناء علي القاعدة المعروفة عند الأصوليين «**شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه**» وقد ورد شرعنا بخلافه: أننا لا نولي الأمر أحدًا طلب الولاية عليه.

ثانيًا: أو يقال: إن يوسف عليه الصلاة والسلام رأى أن المال ضائع وأنه يفرط فيه ويُلعب فيه، فأراد أن ينقذ البلاد من هذا التلاعب ، ومثل هذا يكون الغرض منه إزالة سوء التدبير وسوء العمل، ويكون هذا لا بأس به؛ فمثلاً إذا رأينا أميرًا في ناحية لكنه قد أضاع الإمراة وأفسد الخلق ، فللصالح لهذا الأمر - إذا لم يجد أحدًا غيره - أن يطلب من ولي الأمر أن يوليه علي هذه الناحية، فيقول له: ولني هذه البلدة لأجل دفع الشر الذي فيها ويكون هذا لا بأس به، متفقًا مع القواعد.

ويحضرني في هذا حديث عثمان بن أبي العاص، أنه قال للنبي ﷺ : اجعلني إمام قومي؛ يعني في الصلاة، فقال: «**أنت إمامهم**»(١) فولي الأمر ينظر ما هو السبب في أن هذا الرجل طلب أن يكون أميرًا، أو طلب أن يكون قاضيًا، أو طلب أن يكون إمامًا، ثم يعمل بما يرى أن فيه المصلحة.

---

(١) صحيح ...بو داود (٥٣١) وأحمد (٤/ ٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٤٨٠) والإرواء (١٤٨٧).

Marfat.com

(١) كتاب الأدب

٨٤ ـ باب الحياء وفضله والحث على التخلق به

[١/ ٦٨١] ـ عن ابن رضىَ الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ عَلى رَجُلٍ منَ الأنصَار وهُوَ يَعِظُ أخَاهُ فى الحَياء ، فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ : « دَعْـهُ ، فَإنَّ الحَياءَ منَ الإيمَانِ » متفقٌ عليه .

[٢/ ٦٨٢] ـ وعن عِمْرانَ بن حُصَيْنٍ ، رضى الله عنهما ، قال : قال رسولُ الله ﷺ: « الحَياءُ لا يأتى إلا بخَيْرٍ » متفقٌ عليه .

وفى روايةٍ لمسلمٍ : « الحَياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ » أوْ قالَ : « الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ » .

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في كتابه «رياض الصالحين» : (كتاب الأدب)، (باب الحياء وفضله والحث عليه).

الأدب: الأخلاق التي يتأدب بها الإنسان، وله أنواع كثيرة.

منها: الكرم، والشجاعة، وطيب النفس، وانشراح الصدر، وطلاقة الوجه، وغير ذلك كثير.

فالأدب هو عبارة عن أخلاق يتخلق بها الإنسان يمدح عليها، ومنها الحياء.

والحياء صفة في النفس تحمل الإنسان على فعل ما يجمل ويزين ، وترك ما يدنس ويشين، فتجده إذا فعل شيئًا يخالف المروءة استحيا من الناس، وإذا فعل شيئًا مُحرمًا استحيا من الله عز وجل ، وإذا ترك واجبًا استحيا من الله، وإذا ترك ما ينبغي فعله استحيا من الناس.

فالحياء من الإيمان، ولهذا ذكر ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر برجل من الأنصار يعظ أخاه في الحياء ـ يعني أنه يحثه عليه ويرغبه فيه، فبين النبي عليه الصلاة والسلام أن الحياء من الإيمان.

وقال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[١] .

(١/ ٦٨١) صحيح: رواه البخاري (٢٤) ومسلم (٣٦).

(٢/ ٦٨٢) صحيح: رواه البخاري (٦١١٧) ومسلم (٣٧).

(١) صحيح: رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥).

Marfat.com

وإذا كان عند الإنسان حياء وجدته يمشي مشيًا مستقيمًا، ليس بالعجلة التي يذم عليها، وليس بالتماوت الذي يذم عليه أيضًا، كذلك إذا تكلم تجده لا يتكلم إلا بالخير وبكلام طيب، وبأدب، وبأسلوب رفيع حسب ما يقدر عليه.

وإذا لم يكن حييًا فإنه يفعل ما شاء ، كما جاء في الحديث الصحيح: **«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت»**(١) .

وكان النبي ﷺ أشد حياءً من العذراء في خدرها ـ العذراء:(٢) المرأة التي لم تتزوج؛ وعادتها أن تكون حيية ـ فالرسول عليه الصلاة والسلام أشد حياء من العذراء في خدرها، ولكنه لا يستحي من الحق، يتكلم بالحق ويصدع به ولا يبالي بأحد.

أما ما لا تضيع به الحقوق فإنه ﷺ كان أحيي الناس فعليك يا أخي باستعمال الحياء والأدب والتخلق بالأخلاق الطيبة التي تمدح بها بين الناس.

* * *

[٦٨٣/٣] **ـ وعن أبي هُريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « الإيمانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأفْضَلُها قَوْلُ لا إله إلا اللهُ ، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ » متفقٌ عليه .**

« البِضْعُ » بكسر الباء ، ويجوز فتحها : وَهُوَ مِنَ الثَّلاثَةِ إلى العَشَرَةِ ،وَ « الشُّعْبَةُ »: القِطْعَةُ وَالخَصْلَةُ . وَ « الإمَاطَةُ » : الإزَالَةُ . وَ « الأذَى » : مَا يُؤْذِي كَحَجَرٍ وَشَوْكٍ وَطِينٍ وَرَمَادٍ وَقَذَرٍ وَنَحْوِ ذَلكَ .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ فيما نقله عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة»**؛ شك من الراوي هل قال النبي ﷺ : **«بضع وسبعون»**، أو قال: **«بضع وستون»**؟ **«فأفضلها»** وفي لفظ: **«فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»** وهذا هو الشاهد لهذا الباب (باب الحياء وفضله).

في هذا الحديث: بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الإيمان شعب كثيرة؛ بضع وستون أو بضع وسبعون ، ولم يبينها الرسول عليه الصلاة والسلام لأجل أن يجتهد

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦١٢٠).

(٢) صحيح : رواه البخاري (٦١١٩) ومسلم (٢٣٢٠).

(٣/ ٦٨٣) صحيح : رواه البخاري (٩) بلفظ: «الإيمان بضع وستون شعبة» ومسلم (٣٥) .

Marfat.com

الإنسان بنفسه، ويتتبع نصوص الكتاب والسنة حتى يجمع هذه الشعب ويعمل بها، وهذا كثير أي أنه يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة يبهمها الله ورسوله من أجل امتحان الخلق ليتبين الحريص من غير الحريص.

فمثلاً ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، أو في السبع الأواخر من رمضان، لكن لاتعلم في أي ليلة هي، من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي رجاء هذه الليلة، ولو عُلمت بعينها لاجتهد الناس في هذه الليلة وكسلوا عن بقية الليالي. ومن ذلك ساعة الإجابة في يوم الجمعة: **«فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله إلا أعطاه»**(١) هذه أيضًا مبهمة من أجل أن يحرص الناس على التحري والعمل. كذلك في كل ليلة ساعة إجابة لا يوافقها أحد يدعو الله سبحانه وتعالى إلا استجاب له.

كذلك أخبر النبي عليه الصلاة والسلام: **«أن لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدامن أحصاها دخل الجنة»**(٢) ولم يعدها، والحديث الوارد في سردها حديث ضعيف(٣) لا تقوم به حجة.

وعلى هذا فإن قول النبي ﷺ هنا: **«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة»**، ترك تعيينها من أجل أن نحرص نحن على تتبعها في الكتاب والسنة، حتى نجمع هذه الشعب، ثم نقوم بالعمل بها، وهذا من حكمة النبي ﷺ التي آتاه الله تعالى. .

يقول الرسول ﷺ عن هذه الشعب: **«أفضلها»** أو **«أعلاها قول: لا إله إلا الله»** هذه الكلمة العظيمة لو وزنت السموات السبع والأرضين السبع وجميع المخلوقات لرجحت بهن، لأنها أعظم كلمة، وهي كلمة التوحيد التي إذا قالها الإنسان صار مسلمًا، وإذا استكبر عنها صار كافرًا، فهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر.

ولذلك كانت أعلى شعب الإيمان وأفضلها: **«لا إله إلا الله»**؛ أي لا معبود بحق إلا الله عز وجل، فكل المعبودات من دون الله باطلة إلا الله وحده لا شريك له، فهو الحق كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

والإيمان بهذا التوحيد العظيم ـ بأنه لا معبود بحق إلا الله ـ يتضمن الإيمان بأنه لا خالق إلا الله، ولا رازق إلا الله، ولا مدبر للخلق إلا الله، ولا يملك الضر والنفع إلا الله.

---

(١) صحيح: البخاري (٩٣٥) ومسلم (٨٥٢).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧).
(٣) ضعيف: رواه الترمذي (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٨٦١) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩٤٦).

Marfat.com

ويتضمن كذلك الإيمان بأسماء الله وصفاته إذ لا يعبد إلا من عُلم أنه أهل للعبادة، ولا أهل للعبادة سوى الخالق عز وجل، لهذا كانت هذه الكلمة أعلى شعب الإيمان وأفضلها، ومن خُتم له بها في الحياة الدنيا فإنه يكون من أهل الجنة فإن: **«من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»**(١) ، نسأل الله أن يختم لنا بها إنه على كل شيء قدير. **«أعلاها قول لا إله إلا الله»**. **«وأدناها»** يعني الشيء الهين **«إماطة الأذى عن الطريق»**؛ **«الأذى»**: ما يؤذي المارة من شوك أو خرق أو خشب أو حجر أو غير ذلك، فإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان وهذا يدل على سعة الإيمان وأنه يشمل الأعمال كلها .

«والحياء شعبة من الإيمان» الحياء انكسار يكون في القلب، وخجل لفعل ما لا يستحسنه الناس ، والحياء من الله، والحياء من الخلق من الإيمان؛ فالحياء من الله يوجب للعبد أن يقوم بطاعة الله، وأن ينتهي عما نهى الله ، والحياء من الناس يوجب للعبد أن يستعمل المروءة، وأن يفعل ما يجمله ويزينه عند الناس، ويتجنب ما يدنسه ويشينه، فالحياء كله من الإيمان.

وسئل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإيمان قال: **«أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره»**(٢) ، فإذا جمعت هذا الحديث بذاك الحديث الآخر تبين لك أن الإيمان كما ذهب إليه أهل السنة والجماعة يشمل العقيدة، ويشمل القول، ويشمل الفعل؛ فيشمل عمل القلب ـ عقيدة القلب وعمل القلب ـ وقول اللسان وعمل الجوارح. **«لا إله إلا الله»**: هي قول اللسان، **«إماطة الأذى عن الطريق»**: عمل الجوارح، **«الحياء»**: عمل القلب، **«الإيمان بملائكته وكتبه»**: اعتقاد القلب. فالإيمان عند أهل السنة والجماعة يتضمن كل هذه الأربعة: اعتقاد القلب، وعمل القلب، وقول اللسان، وعمل الجوارح، وأدلة ذلك من الكتاب والسنة كثيرة.

في هذا الحديث: حث على إماطة الأذى عن الطريق، لأنه إذا كان من الإيمان فافعله يزدد إيمانك ويكمُل ، فإذا وجدت أذى في الطريق، حجرًا أو زجاجًا أو شوكًا أو غير ذلك، فأزله فإن ذلك من الإيمان، حتى السيارة إذا جعلتها في وسط الطريق وضيقت على الناس فقد وضعت الأذى في طريق الناس، وإزالة ذلك من الإيمان، وإذا كان إماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، فوضع الأذى فى الطريق من الخسران والعياذ بالله ، ومن نقص الإيمان ولذلك يجب أن يكون الإنسان حيي القلب، يشعر بشعور الناس.

تجد بعض الناس الآن يوقف السيارة في أي مكان بالطول أو بالعرض ما يهتم، المكان

---

(١) صحيح رواه أبو داود (٣١١٦) وأحمد (٥/ ٢٣٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٧٩).
(٢) صحيح رواه مسلم (٨) واللفظ له والبخاري (٥٠)..

Marfat.com

ضيق أو المكان واسع ما يبالي. ليست هذه خصال المؤمن، المؤمن هو الذي يكون حيي القلب، يشعر بشعور الناس، يحب للناس ما يحب لنفسه، كيف تأتي مثلاً وتوقف سيارتك في عرض الطريق ولا تبالي بتضييق الطريق على الناس!.

أحيانًا يسدون الطريق، يقفون عند باب مسجد جامع ويكون الطريق ضيقًا، فإذا خرج الناس يوم الجمعة ضيقوا عليهم، وهذا غلط، فإماطة الأذى عن الطريق صدقة.

فعلى هذا ينبغي للإنسان أن يقوم بإماطة الأذى عن الطريق ، وإذا كان لا يستطيع كما لو كانت أحجارًا كبيرة أو أكوامًا من الرمل أو ما أشبه ذلك فليبلغ المسئولين، ليبلغ البلدية مثلاً لأنها المسئولة عن هذا، يبلغها حتى يكون ممن تعاونوا على البر والتقوى.

الحياء شعبة من الإيمان، فإذا كان الإنسان حييًا لا يتكلم بما يدنسه عند الناس، ولا يفعل ما يدنسه عند الناس، بل تجده وقورًا ساكنًا مطمئنًا، فهذا من علامة الإيمان . والله الموفق .

* * *

[٤/ ٦٨٤] ـ وعن أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ أشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا ، فَإِذَا رَأى شَيْئاً يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ . متفقٌ عليه .

الشرح

ثم ذكر النووي ـ رحمه الله ـ في (باب الحياء وفضله) فيما نقله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ «كان أشد حياءً من العذراء في خدرها». «العذراء»: هي المرأة التي لم تتزوج وهي أشد النساء حياءًا لأنها لم تتزوج ولم تعاشر الرجال فتجدها حيية في خدرها، فرسول الله ﷺ أشد حياءً منها، ولكنه ﷺ إذا رأي ما يكره عُرف ذلك في وجهه، يتغير وجهه، لكن يستحي عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ينبغي للمؤمن أن يكون حييًا لا يتخبط، ولا يفعل ما يخجل، ولا يفعل ما ينتقد عليه، ولكن إذا سمع ما يكره أو رأى ما يكره، فإنه يتأثر ، وليس من الرجولة ألا تتأثر بشيء لأن الذي لا يتأثر بشيء هو البليد الذي لا يحس، لكن تتأثر ويمنعك الحياء. أن تفعل ما يُنكر، أو أن تقول ما يُنكر.

ثم إن الحياء لا يجوز أن يمنع الإنسان من السؤال عن دينه فما يجب عليه ، لأن ترك السؤال عن الدين فيما يجب ليس حياء، ولكنه خور، فالله سبحانه وتعالى لا يستحي من الحق.

(٤/ ٦٨٤) صحيح: رواه البخاري (٣٥٦٢) ، (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

Marfat.com

قالت عائشة رضي الله عنها: «**نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين**»(١) فكانت المرأة تأتي تسأل النبي ﷺ عن الشيء يستحي(١) من ذكره الرجال، فلا بد أن يسأل الإنسان عن دينه ولا يستحي.

ولهذا لما جاء ماعز بن مالك رضي الله عنه إلى النبي عليه الصلاة والسلام جاء يُقر بالزنى يقول: إنه زنى، فأعرض عنه النبي عليه الصلاة والسلام، ثم جاء ثانية، وقال: إنه زنى، فأعرض عنه، ثم جاء ثالثة وقال: إنه زنى، فأعرض عنه النبي عليه الصلاة والسلام يريد أن يتوب فيتوب الله عليه(١) .

فلما جاء الرابعة ناقشه عليه الصلاة والسلام قال: «**أبك جنون؟**» قال: لا يا رسول الله. قال: «**أتدري ما الزنا؟**» قال: نعم، الزنا أن يأتي الرجل من المرأة حرامًا ما يأتي الرجل من زوجته حلالاً، فقال له: «**أنكتها**»(٢) ؛ لا يكني، بل صرح هنا مع أن هذا مما يُستحي منه، لكن الحق لا يُستحى منه، قال له: «**أنكتها**» قال: نعم، قال: «**حتى غاب ذاك منك في ذلك منها كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟**» قال: نعم. فهذا شيء يُستحى منه لكن في باب الحق لا تستحي.

جاءت أم سليم إلى رسول الله ﷺ تسأله فقالت: يا رسول الله إن الله لا يستحي من الحق ، هل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت ؟قال: «**نعم إذا هي رأت الماء**»(٣) هذا السؤال ربما يخجل منه الرجال أن يسأله، ولا سيما في المجلس، لكن أم سليم لم يمنعها الحياء من أن تعرف دينها وتتفقه فيه.

وعلى هذا فالحياء الذي يمنع من السؤال عما يجب السؤال عنه حياء مذموم ، ولا ينبغي أن نسميه حياء، بل نقول: إن هذا خور وجبن، وهو من الشيطان، فاسأل عن دينك ولا تستح.

أما الأشياء التي لا تتعلق بالأمور الواجبة فالحياء خير من عدم الحياء، «**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»(٤) .

ومما يجانب الحياء ما يفعله بعض الناس الآن في الأسواق من الكلام البذيء السيئ، أو الأفعال السيئة أوما أشبه ذلك، فلذلك يجب على الإنسان أن يكون حييًا إلا في أمر يجب عليه معرفته فلا يستحي من الحق.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٣٣).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٨٢٤) وأحمد (١/ ٢٧٠).
(٣) صحيح: البخاري (٦٠٩١) ومسلم (٣١٣).
(٤) صحيح: رواه البخاري (٦١٢٠).

Marfat.com

٨٥ - باب حفظ السر

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ **(الإسراء:٣٤).**

[١/ ٦٨٥] **- عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» رواه مسلم.**

الشرح

قال الإمام النووي - رحمه الله -: (باب حفظ السر).

والسر: هو ما يقع خفية بينك وبين صاحبك، ولا يحل لك أن تفشي هذا السر أو أن تبينه لأحد، سواء قال لك: لا تبينه لأحد، أو عُلم بالقرينة الفعلية أنه لا يجب أن يطلع عليه أحد، أو عُلم بالقرينة الحالية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد.

مثال الأول: اللفظ؛ أن يحدثك بحديث ثم يقول: لا تخبر أحدًا، هو معك أمانة.

ومثال الثاني: القرينة الفعلية؛ أن يحدثك وهو في حال تحديثه إياك يلتفت؛ يخشى أن يكون أحد يسمع، لأن معنى التفاته أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد.

ومثال الثالث: القرينة الحالية؛ أن يكون هذا الذي حدثك به أو أخبرك به من الأمور التي يستحي من ذكرها أو يخشى من ذكرها أو ما أشبه ذلك، فلا يحل لك أن تبين وتفشي هذا السر.

ثم استدل المؤلف - رحمه الله - لذلك بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ يعني إذا عاهدتم على شيء بلسان الحال أو بلسان المقال، فإنه يجب عليكم أن توفوا بالعهد، ومن العهود: الشروط التي تقع بين الناس في الشراء والإجارة والاستئجار والرهن وغير ذلك، فإن هذه الشروط من العهد.

وكذلك ما يجري بين المسلمين والكفار من العهد، فإنه يجب على المسلمين أن يوفوا به. والمعاهدون من الكفار بين الله في سورة التوبة أنهم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

قسم: لا يزالون يوفون بالعهد، فهؤلاء يجب أن نوفي بعهدهم.

وقسم ثان: نقضوا العهد، فهؤلاء لا عهد بيننا وبينهم لأنهم نقضوا العهد، قال الله تعالى: ﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [التوبة: ١٣].

(١/ ٦٨٥) صحيح: رواه مسلم (١٤٣٧) وأبو داود (٤٨٧٠).

Marfat.com

وقسم ثالث: لم ينقضوا العهد ولم يتبين لنا أنهم سيستمرون في الوفاء، بل نخاف منهم أن يخونوا وينقضوا العهد، فهؤلاء قال الله فيه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ [الأنفال:٥٨]. يعني قل لهم: لا عهد بيننا وبينكم حتى يكون الأمر صريحًا.

فالمهم أن جميع ما يشترط بين الناس فإنه من العهود، ومن ذلك التزام الموظفين بأداء عملهم، فإن الموظف قد التزم بالشروط التي تشترطها الحكومة على الموظفين؛ من الحضور في أول الدوام وعدم الخروج إلا بعد انتهاء الدوام، والنصح في العمل، وما أشبه ذلك مما هو معروف في ديوان الخدمة.

فالواجب الوفاء بهذه العهود وإلا فاترك الوظيفة وكن حرًا فيما تعمل، لأن الوظيفة لم تُلزم بها، بل أنت الذي أتيت وتوظفت، فيجب أن تلتزم بما تقتضيه شروط هذه الوظيفة من كل شيء، وإلا فدعها وكن حرًا فيما تريد، ولا أحد يحاسبك إلا الله عز وجل.

ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن من أشر الناس منزلة يوم القيامة»** أشر: هذه لغة قليلة؛ لأن اللغة الكثيرة حذف الهمزة، فخير وشر الأكثر فيهما في اللغة حذف الهمزة، لا يقال: أخير ولا أشير إلا قليلاً، وإنما يقال خير وشر. قال الله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان:٢٤]. وقال تعالى: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم:٧٥].

حذف الهمزة في خير وشر لكن يأتي ذكرها أحيانًا بناء علي الأصل.

فهنا **«إن من أشر الناس منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه»** يعني بذلك الزوجة **«فيصبح ينشر سرها»** أو هي أيضًا تصبح تنشر سره، فيقول: فعلت في امرأتي البارحة كذا وفعلت كذا ـ والعياذ بالله ـ فالغائب كأنه يشاهد، كأنه بينهما في الفراش ـ والعياذ بالله ـ يخبره بالشيء السر الذي لا تحب الزوجة أن يطلع عليه أحد.

أو الزوجة كذلك تخبر النساء بأن زوجها يفعل بها كذا وكذا، وكل هذا حرام ولا يحل، وهو من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة.

فالواجب أن الأمور السرية في البيوت وفي الفرش وفي غيرها تحفظ وألا يطلع عليها أحد أبدًا. فإن من حفظ سر أخيه حفظ الله سره، فالجزاء من جنس العمل.

٢/ ٦٨٦ ـــ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمرَ رضي الله عنه حينَ تأيَّمتْ بنتُهُ حفصةُ قال: لَقِيتُ عثمانَ بنَ عفَّان رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ عليه حفصةَ فقلتُ: إنْ شِئتَ أنكحتُكَ حفصةَ بنتَ عمرَ؟ قال: سأنظرُ في أمرِي، فلَبِثْتُ ليالِيَ، ثُمَّ

(٢/ ٦٨٦) صحيح: رواه البخاري (٤٠٠٥).

Marfat.com

لَقِيَنِى ، فقال : قَدْ بَدَا لِى أنْ لا أتزوَّجَ يَوْمِى هذَا ، فَلَقِيتُ أبا بَكرٍ الصِّدِّيقَ رَضِىَ اللّهُ عنه ، فقلْتُ : إنْ شئتَ أنْكَحتُكَ حَفصةَ بنتَ عُمَر فَصمَتَ أبو بكر رضى الله عنه ، فَلَمْ يَرْجِعْ إلىَّ شيْئاً ! فكُنْتُ عليْهِ أوْجَدَ مِنِّى على عُثْمانَ ، فَلَبِثْتُ لَيالِىَ ، ثُمَّ خطَبَهَا النَّبِىُّ ﷺ ، فأنكحتُها إيَّاهُ ،فَلَقِيَنِى أَبُو بكرٍ فقالَ : لَعلَّكَ وَجَدْتَ علَىَّ حِينَ عَرَضْتَ علَىَّ حفصةَ فَلَمْ أرْجِعْ إلَيْكَ شيْئاً ؟ فقلت : نَعَمْ . قال : فَإنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِى أن أرْجِعَ إلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ علَىَّ إلا أنِّى كُنْتُ عَلِمْتُ أنَّ النبىَّ ﷺ ذَكَرَهَا ،فَلَمْ أكُنْ لأُفْشِىَ سِرَّ رسول الله ﷺ ، ولَوْ تَرَكَهَا النَّبِىُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا . رواه البخارى .قوله : « تَأيَّمتْ » أىْ : صَارَتْ بِلا زَوْجٍ ، وكَانَ زَوْجُهَا تُوُفِّىَ رضى الله عنه «وَجَدْتَ » : غَضِبْتَ .

٣/ ٦٨٧ ــ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كُنَّ أزْواجُ النَّبِىِّ ﷺ عِنْدَهُ ، فَأقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضى الله عنها تَمْشِى ، مَا تخطئُ مِشْيَتُها من مِشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئاً ، فَلَمَّا رَآها رَحَّبَ بِهَا وقال : « مَرْحَباً بِابْنَتِى » ثُمَّ أجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِه أوْ عَنْ شِمَالِه ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيداً ، فَلَمَّا رَأى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ ، فقلتُ لَهَا : خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسائِه بالسِّرَارِ ، ثُمَّ أنتِ تَبْكِينَ ! فَلَمَّا قَامَ رسول الله ﷺ سَألتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ ؟ قالت : مَا كُنْتُ لأفْشِىَ علَى رسول الله ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّىَ رسولُ الله ﷺ قلتُ : عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِى عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ ، لَمَا حَدَّثْتِنِى ما قال لكِ رسولُ الله ﷺ ؟ فقالتْ: أمَّا الآنَ فَنَعَمْ ، أمَّا حِينَ سَارَّنِى فى المَرَّةِ الأولَى فَأخبَرَنِى : « أنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ فى كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أوْ مَرَّتَيْنِ ، وأنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ ، وَإنِّى لا أُرَى الأجَلَ إلا قَدِ اقْتَرَبَ ، فَاتَّقِى اللهَ واصبرِى ، فَإنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ » فَبَكَيْتُ بُكَائِىَ الذى رَأيْتِ ، فَلَمَّا رَأى جَزَعِى سَارَّنِى الثَّانِيَةَ ، فقال : « يا فَاطِمَةُ أمَا تَرْضَيْنَ أنْ تَكُونِى سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ ، أوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هذه الأُمَّةِ » فَضَحِكْتُ ضَحِكِى الذى رَأيْتِ . متفقٌ عليه . وهذا لفظ مسلم .

[٤/ ٦٨٨] ــ وعن ثابت عن أنس ، رضى الله عنه قال : أتَى عَلَيَّ رسولُ اللّه ﷺ وأنا ألعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَبَعَثَنِى فى حاجَةٍ ، فَأبْطَأتُ على أُمِّى ، فَلَمَّا جِئْتُ قالت : مَا حَبَسَكَ ؟ فقلتُ : بَعَثَنِى رسولُ اللّهِ ﷺ لحاجةٍ ، قالت : مَا حَاجَتُهُ ؟ قلتُ : إنَّهَا سِرٌّ ، قالتْ : لا تُخْبِرَنَّ بِسِرِّ رسول الله ﷺ أحداً ، قالَ أنَسٌ : وَاللّهِ لَوْ حَدَّثْتُ به أحداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ . رواه مسلم ، وروى البخارى بَعْضَهُ مُخْتَصراً .

(٣ / ٦٨٧) صحيح : رواه البخارى (٣٦٢٣) مسلم (٢٤٥٠).

(٤/ ٦٨٨) صحيح : رواه مسلم (٢٤٨٢) وهذا لفظه والبخارى مختصرا (٦٢٨٩).

Marfat.com

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب حفظ السر فيما نقله عن ثابت عن أنس خادم رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ مر به وهو يلعب مع الصبيان فسلم عليهم، يعني سلم على الصبيان وهم يلعبون ؛ لأن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس خلقا فكان يمر بالصبيان فيسلم وهم يلعبون؛ ثم لأن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس خلقًا، فكان يمر بالصبيان فيسلم عليهم، ثم دعا أنس بن مالك رضي الله عنه وأرسله في حاجة . فأبطأ علي أمه، وأمه هي أم سليم امرأة أبي طلحة، فلما جاء إليها سألته: ما الذي أبطأ بك؟ قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة يعني أرسلني بها ـ قالت : ما حاجته؟ قال: ما كنت لأخبر بسر رسول الله ﷺ ، فقالت: لا تخبرن أحدًا بسر رسول الله ﷺ قال أنس لثابت وكان ملازمًا له: لو كنت مخبرًا أحدًا بذلك لأخبرتك به؛ أي بالحاجة التي أرسله النبي ﷺ بها. ففي الحديث فوائد:

أولاً: حسن خلق النبي ﷺ وتواضعه الجم، وأنه على شرفه ومكانته وجاهه عند الله وعند خلقه يتواضع حتى يسلم على الصبيان وهم يلعبون في السوق . ومن منا يفعل ذلك إلا من يشاء الله.

ثانيًا: من فوائد هذا الحديث أنه يسن للإنسان أن يسلم على من مر به ولو كان من الصبيان، لأن السلام دعاء تدع لأخيك به تقول: السلام عليك، ورده دعاء لك يقول: عليك السلام، ولأنك إذا سلمت على الصبيان عودتهم التربية الحسنة حتى ينشئوا عليها ويعيشوا عليها، ويكون لك أجر في كل ما اهتدوا بك فيه، فكل شيء يهتدي فيه بك الناس من أمور الخير لك فيه أجر.

ثالثًا: جواز إرسال الصبي بالحاجة لكن بشرط أن يكون مأمونًا ، أما إذا كان غيرمأمون؛ بأن يكون الصبي كثير اللعب ولا يهتم بالحوائج فلا تعتمد عليه.

رابعًا: ما ذكره الفقهاء ـ رحمهم الله ـ أن الصبي إذا جاءك بحاجة وقال: هذه من أبي هذه من أمي وما أشبه ذلك، فلك أن تقبلها وإن كان هو بنفسه لا يملك أن يتبرع من ماله بشيء ، لكن إذا جاء على أنه مرسل وقال: هذا من أبي؛ جاءك مثلاً بتمر، جاءك ببطيخ، جاءك بثوب بأي شيء، إذا جاءك فاقبله ولا تقل : هذاصبي ربما سرقها، ربما كذا، ربما كذا، أخذًا بالظاهر.

خامسًا: مراعاة الوالدة والأهل، وأن الإنسان إذا أراد أن يقضي حاجة وخاف أن يبطيء عليهم، أن يخبرهم إذا لم تفت الحاجة بذلك، يعني إذا خرجت من أهلك فينبغي أن تقول: خرجت للجهة الفلانية حتى يطمئنوا ولا تنشغل خواطرهم ، والإنسان لا يدري ربما يذهب إلى الجهة الفلانية ويصاب بحادث أو مرض أو غيره، فإذا لم يكن معلومًا بقي أمره مشكلاً عند أهله، فينبغي إذا أردت أن تذهب إلى بلد قريب من بلدك قلت لهم: اليوم أذهب إلى المكان الفلاني أو تريد أن تذهب إلى شيء غير معتاد أن تخبرهم بوجهتك ، أما الشيء المعتاد مثل الخروج إلى المسجد وما أشبه فلا بأس. مثلاً إذا أردت أن تذهب في نزهة قل: اذهب اليوم في نزهة، فأخبرهم حتى يطمئنوا.

سادسًا: أنه لا يجوز للإنسان أن يبدى سر شخص حتى لأمه وأبيه.

Marfat.com

فلو أن إنسانًا أرسلك في حاجة، ثم قال لك أبوك: ما الذي أرسلك به؟ لا تخبره ولو كان أباك، أو قالت أمك: ما الذي أرسلك به؟ لا تخبرها ولو كانت أمك، لأن هذا من أسرار الناس ولا يجوز إبداؤها لأحد.

سابعًا: حسن تربية أم سليم لابنها حيث قالت: لا تخبرن أحدًا بسر رسول الله ﷺ وإنما قالت له ذلك ـ مع أنه لم يخبرها ولم يخبر غيرها ـ تأييدًا له وتثبيتًا له وإقامة للعذر له، لأنه أبي أن يخبرها بسر رسول الله ﷺ، فقالت: لا تخبرن به أحدًا، كأنها تقول: أنا أوافقك على هذا فاستمسك به.

ثامنًا: إظهار محبة أنس لثابت لأنه ملازم له، ولهذه تجده يروي عنه كثيرًا، ولهذا قال له: لو كنت مخبراً أحدًا بذلك لأخبرتك، هذا يدل على المحبة بين أنس وبين تلميذه ثابت.

وهكذا أيضًا تنبغي أن تكون المودة بين التلاميذ ومعلمهم متبادلة، لأنه إذا لم يكن بين التلميذ والمعلم مودة فإن التلميذ لا يقبل كل ما قاله معلمه، كذلك المعلم لا ينشط لتعليم تلميذه ولا يهتم به كثيرًا، فإذا صارت المودة بينهم متبادلة حصل بهذا خير كثير.

* * *

Marfat.com

٨٦ـ باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ (الإسراء:٣٤)».

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ (النحل:٩١)».

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ (المائدة:١)».

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون ﴾ (الصف:٢،٣) .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد).

العهد: ما يعاهد الإنسان به غيره، وهو نوعان:

عهد مع الله عز وجل: فإن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف:١٧٢]. فقد أخذ الله العهد على عباده جميعًا أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا لأنه ربهم وخالقهم.

وعهد مع عباد الله: ومنه العهود التي تقع بين الناس؛ بين الإنسان وبين أخيه المسلم، بين المسلمين وبين الكفار، وغير ذلك من العهود المعروفة. فقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد فقال عز وجل: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]. يعني أن الوفاء بالعهد مسئول عنه الإنسان يوم القيامة، يُسأل عن عهده، هل وفى به أم لا؟

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ ﴾ [النحل:٩١]. يعني ولا تخلفوا العهد.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ . كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُون﴾ [الصف:٢، ٣]. والإنسان إذا عاهد ولم يف فقد قال ما لا يفعل.

فمثلاً لو قلت لشخص: عاهدتك ألا أخبر بالسر الذي بيني وبينك،أوعاهدتك ألا أخبر بما صنعت في كذا وكذا ثم نقضت وأخبرت، فهذا من القول بما لا يفعل ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ .

وقوله: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ ﴾ [الصف:٣] . يعني كبر بغضًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون، فإن الله يبغض هذا الشيء ويحب الموفين بالعهد إذا عاهدوا.

* * *

Marfat.com

[١/ ٦٨٩] ـ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنَّ رسول الله ﷺ قال : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاثٌ : إذَا حدَّثَ كَذَبَ ، وإذَا وعَدَ أخلَفَ ، وإذَا اؤْتُمِنَ خَانَ » متفقٌ عليه .

زَادَ فى روايةٍ لمسلم : « وإنْ صَامَ وَصَلَّى وزعَمَ أنَّهُ مسلمٌ » .

[٢/ ٦٩٠] ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، أنّ رسول الله ﷺ قال : « أربَعٌ مَنْ كُنَّ فيه كَانَ مُنَافقاً خَالصاً ، ومَنْ كَانَتْ فيه خَصلَةٌ منهُنَّ كَانَتْ فيه خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعهَا : إذا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وإذا حدَّثَ كَذَبَ ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ ، وإذَا خَاصَمَ فَجَرَ » متفقٌ عليه .

[٣/ ٦٩١] ـ وعن جابر رضى الله عنه قال : قال لى النبى ﷺ : « لَوْ قَدْ جَاءَ مالُ البَحْرَيْنِ أعْطَيْتُكَ هكَذا وَهكَذاً وَهكَذَا » فَلَمْ يَجِئْ مَالُ البَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النبىُّ ﷺ ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ أمَرَ أبُو بَكْرٍ رضى الله عنه فَنَادَى : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عدةٌ أوْ دَيْنٌ فَلْيأتنا ، فَأتَيْتُهُ وقُلتُ لَهُ : إنَّ النبى ﷺ قال لى كَذَا وكَذَا ، فَحَثَى لى حَثْيَةً، فَعَدَدْتُها ، فَإذا هِىَ خَمْسُمائَةٍ ، فقال لى : خُذْ مِثْلَيْهَا . متفقٌ عليه .

الشرح

نقل المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث» آيته: يعني علامته ثلاث «إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان» يعني أن هذه من علامات المنافقين.

إذا رأيت الرجل يكذب إذا حدث ، ويخلف إذا وعد، ويخون إذا اؤتمن ، فهذه من علامات المنافقين، لأن أصل النفاق مبني على التورية والستر، المنافق يستر الخبيث ويظهر الطيب، يستر الكفر ويظهر الإيمان.

والكاذب كذلك يخبر بخلاف الواقع، والواعد الذي يعد ويخلف كذلك، وكذلك الذي يخون إذا اؤتمن فهذه علامات النفاق والعياذ بالله.

وفي هذا : التحذير من الكذب وأنه من علامات المنافقين، فلا يجوز للإنسان أن يكذب، لكن إن اضطر إلى التورية وهي التأويل فلا بأس، مثل أن يسأله أحد عن أمر لا يحب أن يطلع عليه غيره فيحدث بشيء خلاف الواقع، لكن يتأول فهذا لا بأس به.

وأما إخلاف الوعد فحرام، يجب الوفاء بالوعد سواء وعدته مالاً، أو وعدته إعانة

(١/ ٦٨٩) صحيح : رواه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢/ ٦٩٠) صحيح : رواه البخاري (٣٤)، ومسلم (٥٨).

(٣/ ٦٩١) صحيح : رواه البخاري (٢٢٩٦)، ومسلم (٢٣١٤).

Marfat.com

تعينه في شيء، أوأي أمر من الأمور إذا وعدت فيجب عليك أن تفي بالوعد.

وفي هذا ينبغي للإنسان أن يحدد المواعيد ويضبطها فإذا قال لأحد إخوانه: أواعدك في المكان الفلاني، فليحدد الساعة الفلانية حتى إذا تأخر الموعود وانصرف الواعد يكون له عذر، حتى لا يربطه في المكان كثيرًا.

وقد اشتهر عند بعض السفهاء أنهم يقولون: أواعدك ولا أخلفك، وعدي إنجليزي، يظنون أن الذين يوفون بالوعد هم الإنجليز، ولكن الوعد الذي يُوفي به هو وعد المؤمن، ولهذا ينبغي لك أن تقول إذا وعدت أحدًا وأردت أن تؤكد: إنه وعد مؤمن، حتى لا يخلفه، لأنه لايخلف الوعد إلا المنافق.

«وإذا اؤتمن خان» يعني إذا ائتمنه الناس على أموالهم أو على أسرارهم أو على أولادهم أو علي أي شيء من هذه الأشياء، فإنه يخون والعياذ بالله، فهذه أيضًا من علامات النفاق.

وأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ففيه: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كان فيه خلصة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها**» المراد به أن هذ الأربع لا تجتمع إلا في المنافق الخالص، وإن كان المؤمن قد يحصل له واحدة منها، لكنه لا يكون منافقًا خالصًا ، بل يكون فيه خصلة من نفاق حتى يدعها.

وهذه الأربع هي:

«**إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب**» وسبق الكلام على هاتين الجملتين.

والثالثة: «**إذا عاهد غدر**» وهو قريب من قوله فيما سبق: «**إذا وعد أخلف**» أي إذا عاهد أحدًا غدر به، ولم يف بالعهد الذي عاهده عليه.

والرابعة: «**إذا خاصم فجر**» والخصومة: هي المخاصمة عند القاضي ونحوه، فإذا خاصم فجر. والفجور في الخصومة على نوعين:

أحدهما: أن يدعي ما ليس له.

والثاني: أن ينكر ما يجب عليه.

مثال الأول: ادعى شخص على آخر، فقال عند القاضي: أنا أطلب من هذا الرجل ألف ريال ـ وهو كاذب ـ وحلف على هذه الدعوى، وأتى بشاهد زور، فحكم له القاضي، فهذا خاصم ففجر، لأنه ادعى ما ليس له، وحلف عليه.

مثال الثاني: أن يكون عند شخص ألف ريال فيأتيه صاحب الحق فيقول: أوفني حقي فيقول: ليس لك عندي شيء، فإذا اختصما عند القاضي ولم يكن للمدعي بينة، حلف هذا المنكر الكاذب في إنكاره أنه ليس في ذمته له شيء، فيحكم القاضي ببراءته، فهذه

Marfat.com

خصومة فجور والعياذ بالله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من حلف على يمين صبر ليقتطع بها حق امريء مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**»(١) نعوذ بالله.

وهذه الخاص الأربع إذا اجتمعت في المرء كان منافقًا خالصًا، لأنه استوفى خصال النفاق والعياذ بالله، وإذا كان فيه واحدة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها.

وفي هذا الحديث: دليل على الإنسان قد يجتمع فيه خصال إيمان وخصال نفاق لقوله: «**كان فيه خصلة من النفاق**» ، هذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن الإنسان يكون فيه خصلة من خصلة نفاق ، وخصلة إيمان، وخصلة فسوق، وخصلة عدالة، وخصلة عداوة، وخصلة ولاية، يعني أن الإنسان ليس بالضروري أن يكون كافرًا خالصًا أو مؤمنًا خالصًا، بل قد يكون فيه خصال من الكفر وهو مؤمن، وخصال من الإيمان.

ثم ذكر حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**لو قد جاء مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا**» مال البحرين يعني مال الإحساء وما جاورها، كلها تسمى البحرين في ذلك العهد. يقول: «**لو قد جاء لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا**» يقول بيديه عليه الصلاة والسلام، وهذا وعد من رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله أن يعطيه من مال البحرين هكذا وهكذا وهكذا.

فلما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام قبل أن يأتي مال البحرين وكان الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه بإجماع الصحابة؛ بايعوه كلهم على أنه هو الخليفة، بعد رسول الله ﷺ. فجاء مال البحرين في خلافة أبي بكر، فقال رضي الله عنه: «**من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين**» عدة: يعني وعد، أو دين : يعني على الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنه ربما يكون الرسول اشتري من أحد شيئًا فلزمه دين، أو وعد أحدًا شيئًا ، وفعلاً توفي الرسول عليه الصلاة والسلام ودرعه مرهونة عند رجل يهودى فى المدينة بثلاثين صاعا من شعير اشتراها لأهله عليه الصلاة من السلام (٢) ؛ فهو ﷺ ليس عنده مال ولم يُبعث جابيًا للمال ولا يبقي عنده المال إلا بمقدار ما يفرقه على المسلمين.

المهم أن أبا بكر نادى: من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتنا، فجاء جابر رضي الله عنه إلى أبي بكر وقال: إن النبي ﷺ قال: «**لو قد جاء مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا**» فقال : خذ فأخذ بيديه فعدها فإذا هي خمسمائة ، فقال: خذ مثليها، لأن الرسول قال: «**هكذا وهكذا وهكذا**» ثلاث مرات، فأعطاه أبو بكر رضي الله

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦٧٦) ومسلم (١٣٨).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٦٧) الترمذي (١٢١٤).

Marfat.com

عنه العدة التي وعده إياها رسول الله ﷺ

وفي هذا الحديث من الفوائد:

جواز تخصيص بعض المسلمين بشيء من بيت المال لأن النبي ﷺ خصص جابرًا، ولكن بشرط ألا يكون ذلك لمجرد الهوى بل للمصلحة العامة أو الخاصة.

وفيه: دليل على كرم النبي ﷺ حيث يحثو المال حثيًا ، ولا يعده عدًا لأنه قال بيديه، وهذا يدل على الكرم وأن المال لا يساوي عنده شيئًا صلوات الله وسلامه عليه، بخلاف الذي جمع مالاً وعدده ، يعدد «الهلل» قبل «الريالات» من حرصه على المال.

وفي هذا : دليل أيضًا على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، لأنه وعد وتُوفي قبل أن يفي بالوعد، لأن المال لم يأت.

وفيه أيضًا: دليل على فضيلة أبي بكر رضي الله عنه لمبايعة الصحابة له.

وفيه: دليل أيضًا على قبول دعوى المدعي إذا لم يكن له منازع يرد دعواه وكان هذا المدعي ثقة، أما إذا كان له منازع، فإن البينة على المدعي واليمين على من أنكر.

وفي هذه القصة لا منازع لجابر رضي الله عنه، لأن أبا بكر هو المسئول عن بيت المال، وقد عرض علي الناس: من كان له عدة أو دين فليأتنا ، فجآء جابر ولم يقل له أبو بكر: أين البينة على أن الرسول ﷺ وعدك؟ ما طلب منه البينة، لأنه واثق به ولا منازع له.

وفيه: دليل أيضًا على اعتبار الشيء بنظيره، وأن الإنسان إذا وزن شيئًا في إناء وكان وزنه مثلاً مائة كيلو، فله أن يملاء الإناء مرة ثانية بشيء آخر ويعتبره مائة كيلوا إذا تساوى الموزون في الخفة والثقل ، لأن أبا بكر رضي الله عنه لما عد الحثية الأولى اعتبر الحثية الثانية والثالثة بمثلها في العدد.

فإذا فرضنا أن شخصًا وجب عليه خمسمائة صاع مثلاً، ثم كان في إناء عشرة أصواع، وأراد أن يعتبر الباقي بهذا الإناء فإن ذلك لا بأس به، لأنه إذا تساوى الشيء فإنه لا بأس أن يُعتبر هذا الاعتبار لفع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه. والله الموفق.

* * *

Marfat.com

٨٧ـ باب المحافظة على ما اعتاده من الخير

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ (النحل:٩٢) .

و « الأَنْكَاثُ » : جَمْعُ نِكْث ، وَهُوَ الغَزْلُ المَنْقُوضُ .

وقال تعالى : ﴿ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (الحديد:١٦) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (الحديد:٢٧) .

[١/ ٦٩٢] ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يَا عَبْدَ الله ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ ! » متفقٌ عليه .

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب المحافظة على ما اعتاده من الخير).

يعني أن الإنسان إذا اعتاد فعل الخير فينبغي أن يداوم عليه، فمثلاً إذا اعتاد ألا يدع الرواتب ـ يعني الصلوات النوافل التي تتبع الصلوات الخمس ـ فليحافظ على ذلك، وإذا كان يقوم الليل فليحافظ على ذلك، وإذا كان يصلي ركعتين من الضحى فليحافظ على ذلك، وكل شيء من الخير إذا اعتاده فإنه ينبغي أن يحافظ عليه.

وكان من هدي النبي ﷺ أن عمله ديمة ، يعني يداوم عليه؛ فكان إذا عمل عملاً أثبته ولم يغيره؛ وذلك لأن الإنسان إذا اعتاد الخير وعمل به ثم تركه ، فإن هذا يؤدي إلى الرغبة عن الخير، لأن الرجوع بعد الإقدام شر من عدم الإقدام ، فلو أنك لم تفعل الخير ابتداء لكان أهون مما إذا فعلته ثم تركته، وهذا شيء مشاهد مجرب.

وذكر المؤلف رحمه الله تعالى عدة آيات من القرآن ، كلها تدل على أن الإنسان ينبغي أن يحافظ على ما اعتاده من الخير، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل:٩٢]. يعني: لا تكونوا كالمرأة الغازلة التي تغزل الصوف، ثم إذا غزلته وأتقنته نقضته أنكاثًا ومزقته ، بل داوموا على ما أنتم عليه.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ

(١/ ٦٩٢) صحيح : رواه البخاري (١١٥٢) ومسلم (١١٥٩).

Marfat.com

فقست قلوبهم﴾ [الحديد:١٦]. أي: أنهم كانوا يعملون العمل الصالح لكن طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وتركوا العمل فلا تكونوا مثلهم.

وأما الأحاديث التي ذكرها المؤلف فمنها: حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: **«يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل»** كلمة فلان يكنى بها عن الإنسان البشر الرجل، والمرأة يقال لها: يا فلانة، وهذا الكلمة يحتمل أنها من كلام الرسول ﷺ وأن الرسول لم يذكر اسمه لعبد الله بن عمرو ستراً عليه، لأن المقصود القضية دون صاحبها، ويحتمل أن الرسول ﷺ عينه لكن أبهمه عبد الله ابن عمرو رضي الله عنه وأيًا كان فالمهم العمل.

والقضية أن رجلاً كان يقوم من الليل فلم يثبته ولم يداوم عليه، مع أن قيام الليل في الأصل سنة، فلو لم يفعله الإنسان لم يُلم عليه؛ يعني لو لم يقم من الليل ما لامه ولا قال له: **«لماذا لم تقم من الليل؟»** لأنه سُنة لكن كونه يقوم ثم يرجع ويترك، هذا هو الذي يلام عليه، ولهذا قال الرسول ﷺ : **«لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل»**.

ومن ذلك وهو أهم وأعظم أن يبدأ الإنسان بطلب العلم الشرعي، ثم إذا فتح الله عليه بما فتح تركه، فإن هذا كفر نعمة أنعمها الله عليه، فإذا بدأت بطلب العلم فاستمر إلا أن يشغلك عنه شيء على وجه الضرورة ، وإلا فداوم لأن طلب العلم فرض كفاية، كل من طلب العلم فإن الله تعالى يثيبه على طلبه ثواب الفرض.

وثواب الفرض أعظم من ثواب النافلة، كما جاء في الحديث الصحيح أن الله تعالى قال: **«ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»**(١) فطلب العلم فرض كفاية إذا قام به الإنسان قام بفرض عن عموم الأمة، وقد يكون فرض عين فيما إذا احتاج الإنسان إليه في نفسه، كمن أراد أن يصلي فلا بد أن يتعلم أحكام الصلاة، ومن كان عنده مال فلابد أن يتعلم أحكام الزكاة ، والبائع والمشتري لابد أن يتعلما أحكام البيع والشراء ومن أراد أن يَحُجَّ فلابد أن يتعلم أحكام الحج، هذا فرض عين.

أما بقية العلوم فهي فرض كفاية، فإذا شرع الإنسان في طلب العلم فلا يرجع وإنما يستمر إلا أن يصده عن ذلك شيء ضروري، فهذا شيء آخر، ولهذا كان المنافقون هم الذين إذا بدءوا بالعمل تركوه.

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٥٠٢)..

Marfat.com

في غزوة أحد خرج مع النبي ﷺ نحو ألف رجل وكان ثلثهم تقريبًا من المنافقين فرجعوا من الطريق وقالوا: ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٧]. قال الله تعالى: ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

فالحاصل أنه ينبغي للمسلم إذا من الله عليه بعمل مما يُتعبد به لله من عبادات خاصة كالصلاة، أو عبادات متعدية للغير كطلب العلم ألا يتقاعس وألا يتأخر، ليستمر على ذلك؛ فإن ذلك من هدي النبي ﷺ ومن إرشاده بقول: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل فترك قيام الليل**» والله الموفق.

* * *

Marfat.com

٨٨ - باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء

قال الله تعالى :﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الحجر:٨٨) ، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران:١٥٩) .

[١/ ٦٩٣] ـ عَنْ عَدى بن حَاتِم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِق تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » متفقٌ عليه .

[٢/ ٦٩٤] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « وَالكلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ » متفقٌ عليه . وهو بعض حديث تقدم بطوله .

[٣/ ٦٩٥] ـ وعن أبى ذَرٍّ رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ : « لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئاً ، وَلَوْ أنْ تَلْقَى أخَاكَ بِوَجه طَلِيق » رواه مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء). يعني: إذا لاقي الإنسانُ أخاه، فإنه ينبغي له أن يلاقيه بالبشر وطلاقة الوجه وحسن المنطق، لأن هذا من خُلُق النبي ﷺ ، ولا يعد هذا تنزلاً من الإنسان، ولكنه رفعة وأجر له عند الله عز وجل، واتباع لسنة النبي ﷺ ، فإن النبي ﷺ كان دائم البشر، كثير التبسم صلوات الله وسلامه عليه.

فالإنسان ينبغي له أن يلقى أخاه بوجه طلق، وبكلمة طيبة، لينال بذلك الأجر والمحبة والألفة، والبعد عن التكبر والترفع على عباد الله.

ثم ذكر المؤلف آيات منها: قوله تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ اخفض جناحك: يعني لِنْ وتواضعْ للمؤمنين ، لأن المؤمن أهل لأن يتواضع له.

أما الكفار فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]. فالذي يُتلقى بالبشر وطلاقة الوجه هو المؤمن ، أما الكافر فإن كان يُرجى إسلامه إذا عاملناه بطلاقة الوجه والبشر ، فإننا نعامله بذلك رجاء إسلامه وانتفاعه بهذا اللقاء.

(١/ ٦٩٣) صحيح: رواه البخاري (٦٠٢٣) ومسلم (١٠١٦).
(٢/ ٦٩٤) صحيح: رواه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩).
(٣/ ٦٩٥) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢٦).

Marfat.com

وأما إذا كان هذا التواضع وطلاقة الوجه لا يزيده إلا تعاليًا على المسلم وترفعًا عليه، فإنه لا يقابل بذلك.

ثم إن طلاقة الوجه توجب سرور صاحبك ، لأنه يُفرق بين شخص يلقاك بوجه معبس وشخص يلقاك بوجه منطلق، لهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام لأبي ذر: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق**»، فهذا من المعروف لأنه يدخل السرور على أخيك، ويشرح صدره.

ثم إذا قرن ذلك بالكلمة الطيبة حصل بذلك مصلحتان: طلاقة الوجه والكلمة الطيبة التي قال عنها النبي ﷺ : «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» يعني اجعلوا بينكم وبين النار وقاية «**ولو بشق تمرة**» يعني: ولو أن تصدقوا بنصف تمرة، فإن ذلك يقيكم من النار إذا قبلها الله عز وجل.

«**فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»؛ كلمة طيبة مثل أن تقول له: كيف أنت؟ كيف حالك؟ كيف إخوانك؟ كيف أهلك؟ وما أشبه ذلك؛ لأن هذه الكلمات الطيبة التي تدخل السرور على صاحبك، كل كلمة طيبة فهي صدقة لك عند الله وأجر وثواب وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**البر حسن الخلق**»(١) وقال : «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا»(٢) .

* * *

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٥٣).

(١) صحيح : رواه الترمذي (١١٦٢) وابو داود (٤٦٨٢) واحمد (٢/ ٢٥٠) وصححه الالباني في الصحيحة (٢٨٤).

Marfat.com

٨٩ـ باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك

[١/ ٦٩٦] ـ وعن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ كانَ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلاثاً حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ ، وَإذَا أتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلاثاً . رواه البخارى .

[٢ / ٦٩٧] ـ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كَانَ كَلامُ رسول الله ﷺ كَلاماً فَصْلاً يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ . رواه أبو داود .

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك).

والمعنى: أنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس أن يكلمهم بكلام بين، لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئًا في شيء ويكون حقه الإظهار، بل يكون كلامه فصلاً بينًا واضحًا حتى يفهم المخاطب بدون مشقة وبدون كلفة.

فبعض الناس تجده يسرع في الكلام ويأكل الكلام حتى إن الإنسان يحتاج إلى أن يقول له: ماذا تقول؟ فهذا خلاف السنة، فالسنة أن يكون الكلام بينًا واضحًا يفهمه المخاطب، وليس من الواجب أن يكون خطابك باللغة الفصحى .

فعليك أن تخاطب الناس بلسانهم، وليكن كلامك بينًا واضحًا، كما في حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بالكلمة أعادها ثلاثًا حتى تُفهم عنه.

فقوله: «حتى تُفهم عنه» يدل على أنها إذا فهمت بدون تكرار فإنه لا يكررها، وهذا هو الواقع، فإن الرسول عليه الصلاة والسلام نسمع عنه أحاديث كثيرة يقولها في خطبة وفي المجتمعات ولا يكرر ذلك.

لكن إذا لم يفهم الإنسان؛ بأن كان لا يعرف المعنى جيداً فكرر عليه حتى يفهم ، أو كان سمعه ثقيلاً لا يسمع، أو كان هناك ضجة حوله لا يسمع، فهنا يستحب أن تكرر حتى يفهم عنك.

وكان ﷺ إذا سلم على قوم «سلم عليهم ثلاثًا» معناه أنه كان لا يكرر أكثر من ثلاث؛ يسلم مرة فإذا لم يجب سلم الثانية، فإذا لم يجب سلم الثالثة، فإذا لم يجب تركه.

وكذلك في الاستئذان كان ﷺ يستأذن ثلاثًا، يعني إذا جاء للإنسان يستأذن في

(١/ ٦٩٦) صحيح : رواه البخاري (٩٥) وأحمد (٣/ ٢١٣).

(٢/ ٦٩٧) حسن: رواه أبو داود (٤٨٣٩) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٥١).

Marfat.com

الدخول على بيته ، يدق عليه الباب ثلاث مرات، فإذا لم يجب انصرف، فهذه سنته عليه الصلاة والسلام أن يكرر الأمور ثلاثًا ثم ينتهي.

وهل مثل ذلك إذا دق جرس الهاتف ثلاث مرات؟ يحتمل أن يكون من هذا الباب، وأنك إذا اتصلت بإنسان ودق الجرس ثلاث مرات وأنت تسمعه وهو لم يجبك، فأنت في حل إذا وضعت سماعة الهاتف.

ويحتمل أن يُقال: إن الهاتف له حكم آخر وأنك تبقى حتى تيأس من أهل البيت، لأنهم ربما لا يكونون حول الهاتف عند اتصالك، فربما يكونون في طرف المكان ويحتاجون إلى خطوات كثيرة حتى يصلوا إلى الهاتف، فلذلك قلنا باحتمال الأمرين.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان كلامه «فصلاً» يعني مفصلاً، لا يدخل الحروف بعضها على بعض، ولا الكلمات بعضها على بعض، حتى لو شاء العادُّ أن يحصيه لأحصاه من شدك تأنيه ﷺ في الكلام.

وهكذا ينبغي للإنسان ألا يكون كلامه متداخلاً بحيث يخفي على السامع، لأن المقصود من الكلام هو إفهام المخاطب، وكلما كان أقرب إلى الإفهام كان أولى وأحسن.

ثم إنه ينبغي للإنسان إذا استعمل هذه الطريقة؛ يعني إذا جعل كلامه فصلاً بينًا واضحًا، وكرره ثلاث مرات لمن لم يفهم، ينبغي أن يستشعر في هذا أنه متبع لرسول الله ﷺ حتى يحصل له بذلك الأجر وإفهام أخيه المسلم.

وهكذا جميع السنن اجعل على بالك أنك متبع فيها لرسول الله ﷺ حتى يتحقق لك الاتباع.

* * *

Marfat.com

٩٠ - باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذى ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضرى مجلسه

[٦٩٨/١] - عن جَرِير بن عبد الله رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله ﷺ فى حَجَّةِ الوَدَاعِ : « اسْتَنْصِتِ النَّاسَ » ثُمَّ قال : « لا تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » متفقٌ عليه .

الشرح

ذكر المؤلف النووي - رحمه الله تعالى - هذا الباب في إصغاء الإنسان إلى جليسه إذا لم يكن يتكلم بشيء محرم، واستنصاب العالم والمعلم الناس - يعني: ليستمعوا إلى كلامه، وقد سبق لنا أن النبي ﷺ كان إذا سلم سلّم ثلاثًا، والمراد أنه لم يسمع المسلم عليه سلم ثلاثًا؛ فإنه يسلم أول مرة، فإذا لم يجب سلم ثانية، فإذا لم يجب سلم الثالثة، فإذا لم يجب تركه.

أما إذا رد المسلم عليه من أول مرة فإنه لا يعيد السلام مرة ثانية.

أما هذا الباب ففيه أنه ينبغي للإنسان أن يكون حسن الإصغاء إلى كلام جليسه ، إذا لم يكن يتكلم بمحرم.

وحسن الإصغاء يكون بالقول وبالفعل.

أما بالقول: فبألا يتكلم إذا كان جليسه يتكلم، فيحصل بذلك التشويش بأن يكون الكلام كلامًا واحدًا حتى ينتفع الناس جميعًا بما يتكلم به بعضهم.

وأما الإصغاء بالفعل: فينبغي إذا كان الإنسان يحدثك أن تقبل إليه بوجهك، وألا تلتفت يمينًا وشمالاً، لأنك إذا التفت يمينًا وشمالاً وهو يحدثك نسبك إلى الكبرياء، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان:١٨].

فينبغي أن تصغي إليه وأن تقابله بوجهك حتى يعرف أنك قد أحسست به، وأنك قد اهتممت بكلامه، إلا إذا كان يتكلم بشيء محرم؛ كغيبة أو كلام لغو، أو ما أشبه ذلك من الأشياء المحرمة، فإنك لا تصغي إليه، بل انهه عن ذلك الشيء.

فإن استمر يتكلم بالكلام المحرم، ولم يصغ إلى قولك وإلى نصحك، فالواجب عليك أن تقوم من مكانك وأن تفارقه ، لأن الله يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴾ [النساء: ١٤٠].

(١/ ٦٩٨) صحيح : رواه البخاري (١/ ١٢١) ومسلم (٦٥).

Marfat.com

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «**استنصت الناس**» يعني: سكتهم حتى يستمعوا لما يقوله النبي ﷺ.

ثم قال النبي ﷺ: «**لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» يضرب هنا بالرفع، ولا يجوز جزمها على أنها جواب النهي،بل هي بالرفع لأنها حال، يعني لا ترجعوا بعدى كفارًا حال كونكم يضرب بعضكم رقاب بعض، وفي هذا دليل على أن قتال المؤمنين بعضهم بعضًا كفر ، وقد أيد هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»(١) لكنه كفر لا يخرج من الملة، والدليل على أنه لا يخرج من الملة قوله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾ [الحجرات: ٩ـ١٠].

* * *

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٠٤٤) ومسلم (٦٤).

Marfat.com

٩١ ـ باب الوعظ والاقتصاد فيه

قال الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾(النحل:١٢٥) .

[٦٩٩/١]ـ عن أبي وَائِل شَقِيق بن سَلَمَةَ قال : كَانَ ابْنُ مَسْعُود رضي الله عنه يُذَكِّرُنَا فِي كُلِّ خَمِيس ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْد الرَّحْمن ، لَوَدِدتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْم، فقال : أما إِنَّهُ يَمْنَعني مِنْ ذلكَ أني أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَة ، كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بها مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا . متفقٌ عليه .

« يَتَخَوَّلُنَا » : يَتَعَهَّدُنَا .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب الوعظ والاقتصاد فيه) وذلك لعدم إدخال الملل والسآمة على الناس فيما يعظ به.

الوعظ: هو ذكر الأحكام الشرعية مقرونة بالترغيب أو الترهيب، كأن تقول للإنسان مثلاً: إنه يجب عليك كذا وكذا فاتق الله، وقم بما أوجب الله عليك وما أشبه ذلك.

وأعظم واعظ هو كتاب الله عز وجل فإن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧]. فأعظم ما يوعظ به كتاب الله عز وجل، لأنه جامع بين الترغيب والترهيب، وذكر الجنة والنار، والمتقين والفجار،فهو أعظم كتاب يوعظ به.

ولكن إنما يكون كذلك لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد كما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٤]. وهكذا المؤمن كلما قرأ آية من كتاب الله ازداد إيمانًا بالله، واستبشر بما جعل الله في قلبه من النور من هذا الكتاب العظيم ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٥]. نعوذ بالله من ذلك.

فينبغي للإنسان أن يعظ الناس بالقرآن، وبالسنة، وبكلام الأئمة ، وبكل ما يلين القلوب ويوجهها إلى الله عز وجل.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ أنه ينبغي الاقتصاد في الموعظة ، فلا تكثر على الناس فتملهم ، وتكره إليهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم، لأن النفوس إذا ملت كلت، وتعبت، وسئمت، وكرهت الحق وإن كان حقًا، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق

: رواه البخاري (٧٠) ومسلم (٢٨٢١).

Marfat.com

محمد ﷺ يتخول الناس بالموعظة ، ما يكثر عليهم لئلا يملوا ويسأموا ويكرهوا ما يُقال من الحق.

ثم صدر المؤلف هذا الباب بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] . ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ يعني إلى دين الله، لأن سبيل الله هو دين الله حيث إنه يوصل إلى الله تعالى ، فمن سلك هذا الدين أوصله إلى الله سبحانه وتعالى، ولأن هذا الدين وضعه الله عز وجل وشرعه لعباده، ولهذا أضيف إليه فقيل: سبيل الله.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي بثلاثة أمور.

أولاً الحكمة: وذلك بأن تنزل الأمور منازلها ، في الوقت المناسب، والكلام المناسب، والقول المناسب، لأن بعض الأماكن لا تنبغي فيها الموعظة، وبعض الأزمنة لا تنبغي فيها الموعظة وكذلك بعض الأشخاص لا ينبغي أن تعظهم في حال من الأحوال بل تنتظر حتى يكون مهيئًا لقول الموعظة ، ولهذا قال: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ قال العلماء: الحكمة وضع الأشياء في مواضعها.

ثانيًا الموعظة الحسنة: يعني اجعل دعوتك مقرونة بموعظة حسنة، موعظة تلين القلب وترققه وتوجهه إلى الله، بشرط أن تكون حسنة، إن كان الترغيب فيها أولى فبالترغيب ، وإن كان الترهيب والتخويف فيها أولى فبالترهيب والتخويف .وكذلك تكون حسنة من حيث الأسلوب والصياغة ، وكذلك تكون حسنة من حيث الإقناع، بحيث تأتي بموعظة تكون فيها أدلة مقنعة؛ أدلة شرعية وأدلة عقيلة تسند الشرعية، لأن بعض الناس يقنع بالأدلة الشرعية كالمؤمنين الخلص ، فإن الله يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ومن الناس من لا يكتفي بالأدلة الشرعية، بل يحتاج أن تسند الأدلة الشرعية عنهد بأدلة عقلية، ولهذا يستدل الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة بالأدلة العقلية على ما أوحاه إلى نبيه من الأدلة الشرعية. انظر إلى البعث بعد الموت؛ فالبعث بعد الموت أنكره الكفار وقالوا: من يحيي العظام وهي رميم؟ كيف يموت الإنسان وتأكل الأرض عظامه ولحمه وجلده ، ثم يبعث؟ فأجاب الله: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]. من الذي خلق هذه العظام أول مرة؟ هو الله ، وإعادة الخلق أهون من ابتدائه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]. ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِ

Marfat.com

عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ﴾ [يس: ٨١]. هذه أدلة عقلية؛ الاستدلال بالمبدأ على المعاد.

وكذلك يستدل الله سبحانه وتعالى على إمكان البعث بإحياء الأرض بعد موتها، فإن الله تعالى ينزل المطر على أرض هامدة قاحلة، ليس فيها حياة ولا نبات، فتصبح الأرضُ مخضرة بهذا المطر، من الذي أحيا هذا النبات! هو الله ، فالذي أحيا هذا النبات بعد يبسه وموته قادر على إحياء الموتِ.

ولابد من حياة أخرى لأنه ليس من الحكمة أن الله ينشيء هذا الخلق ويمدهم بالنعم والرزق، . وينزل عليهم الكتب، ويرسل إليهم الرسل إليهم ، ويشرع الجهاد لأعدائه ثم تكون المسألة مجرد دنيا تروح، فهذا لا يمكن ، وهذا خلاف الحكمة، بل لا بد من حياة أخرى هي الحياة الحقيقية كما قال تعالى: ﴿ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

ثم قال: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. يعني: إذا وعظت موعظة حسنة وصار الإنسان يجادل ولم يقبل فجادله ، ولا تنسحب، لكن جادل بالتي هي أحسن من حيث الأسلوب، ومن حيث العرض، ومن حيث الإقناع، إذا استدل عليك بدليل فحاول إبطال دليله، فإذا :كان إبطال دليله يطول فانتقل على دليل آخر، ولا تأخذ في الجدال معه، بل انتقل إلى دليل آخر لا يستطيع مجادلتك فيه.

انظر إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما حاجه الرجل في الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. يعني: وأنت لا تستطيع أن تحيي وتميت ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ كيف يحيي ويميت هذا المجادل المعاند؟ كان يؤتى بالرجل المستحق للقتل فيقول: لا تقتلوه ويؤتى بالرجل لا يستحق القتل فيقول: اقتلوه، فجعل هذا التمويه إحياء وإماتة.

فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ولم يجادله على قوله: أنا أحيي وأميت، وإلا لو جادله، لقال: أنت لم تحي ولم تُمت حقيقة وإنما تفعل سبب الموت فيموت، وهو القتل ، وترفع موجب القتل فلا يتقل، لكنه عدل عن هذا إلى شيء لا يستطيع الخصم أن يتحرك معه أو أن ينطق ، قال: ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فلم يستطع ردًا ، ولهذا قال: ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالحاصل أن الله يقول: ﴿ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ وفهم من الآية أن من لا يستطيع المجادلة بالتي هي أحسن فلا يجادل ، لأنه قد يأتي إنسان مؤمن حقًا وليس عنده إشكال لما

Marfat.com

معه من الإيمان، لكن يجادله ألدُ خصمٍ فيعجز عن مقاومته، ففي هذه الحال لا تجادل لأنك إن جادلت لن تجادل بالتي هي أحسن. اتركه إلى وقت آخر أو إلى أن يأتي أحد أقوي منك في المجادلة فيجادله.

* * *

[٢/ ٧٠٠] ـ وعن أبي اليَقْظَان عمَّار بن يَاسر رضى الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: « إنَّ طُولَ صَلاةِ الرَّجُلِ، وقِصَرَ خُطبَتِه، مَئِنَّةٌ مِنْ فقْهِه، فأطيلوا الصَّلاةَ، وأقْصِروا الخُطْبَةَ » رواه مسلم.

« مَئِنَّةٌ » بميم مفتوحة، ثم همزة مكسورة، ثم نون مشدّدة، أيْ: عَلامَةٌ دالَّةٌ على فقْهِه.

[٣/ ٧٠١] ـ وعن مُعَاوِيَةَ بن الحكَم السُّلَمى رضى الله عنه قال: بَيْنَا أنا أُصلِّى مَعَ رسول الله ﷺ، إذْ عَطَسَ رَجُلٌ منَ القَوْمِ فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ الله، فَرَمَانى القَوْمُ بأبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاه! ما شأنُكُمْ تَنظُرُونَ إلىَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيْديهِمْ على أفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنى لكنّى سَكَتُّ، فَلَمَّا صلى رسول الله ﷺ، فَبِأبى هُوَ وَأُمّى، ما رَأيْت مُعلِّماً قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أحْسَنَ تَعْليماً منْهُ، فَوَاللّه ما كَهَرَنى وَلا ضَرَبَنى وَلا شَتَمنى، قال: « إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يَصْلُح فيها شَىءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إنَّمَا هى التَّسْبيحُ والتَّكْبيرُ، وَقِراءَةُ القُرْآنِ » أوَ كما قال رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله، إنى حَديثُ عَهْدٍ بجَاهليَّة، وَقَدْ جَاءَ اللّهُ بالإسْلامِ، وَإنَّ منَّا رجالاً يأتُونَ الكُهَّانَ؟ قال: « فلا تأتهم » قلتُ: وَمنَّا رِجالٌ يتَطَيّرون؟ قال: « ذاك شَىءٌ يَجدونَه فى صُدُورهم، فلا يصدنَّهُمْ » رواه مسلم.

« الثُّكْلُ » بضم الثاء المثلَّثة: المصيبةُ والفجيعةُ. « ما كَهَرَنى » أى: ما نَهَرَنى.

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في (باب الوعظ والاقتصاد فيه، وعدم إدخال الملل والسآمة على الناس فيما يعظ به).

وسبق الكلام عن الآية التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الباب، وهي قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. ثم ذكر المؤلف أحاديث منها حديث عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال: «**طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه**» يعني صلاة الجمعة.

(٢/ ٧٠٠) صحيح: رواه مسلم (٨٦٩) واحمد (٤/ ٢٦٣).
(٣/ ٧٠١) صحيح: رواه مسلم (٥٣٧) واحمد (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨).

Marfat.com

فصلاة الجمعة لها خطبتان قبلها، فيقول النبي ﷺ : «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه**»وهذا وإن كان ظاهرًا في خطبة الجمعة فهو عام أيضًا حتى في الخطب العارضة، لا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس، كلما قصر كان أحسن لوجهين:

الوجه الأول: ألا يمل الناس.

الوجه الثاني: أن يستوعبوا ما قال.

لأن الكلام إذا طال ضيع بعضه بعضًا،فإذا كان قصيرًا مهضومًا مستوعبًا انتفع الناس به، وكذلك لايلحقهم الملل.

وأما طول الصلاة فالمراد أن تكون كصلاة النبي ﷺ ليست طويلة، لأن النبي ﷺ أنكر على معاذ إطالته في صلاة العشاء، وأنكر على الرجل الآخر إطالته في صلاة الفجر، وقال: «**أيها الناس إن منكم منفرين**»[١] .

فالمراد بطول الصلاة هنا الطول الموافق لصلاة رسول الله ﷺ ، هذا إذا كان الإنسان إمامًا، أما إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ، ولا أحد يمنعه يعامل نفسه بنفسه، ثم قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة**» أطيلوها كما ورد وأقصروا الخطبة، لكن لا بد من خطبة تثير المشاعر ويحصل بها الموعظة والانتفاع.

ثم ذكر المؤلف حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه، أنه بينما كان مع النبي ﷺ يصلي إذا عطس رجل من القوم فقال: الحمد لله، فقال له معاوية يرحمك الله، لأنك إذا سمعت العاطس يحمد الله بعد عطاسه، وجب عليك أن تشمته؛ فتقول: يرحمك الله، حتى ولو كنت تقرأ أو تطالع أو تراجع.

أما في الصلاة فلا يجوز، لأن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، ولهذا أنكر الناس بأعينهم على معاوية، فرموه بأبصارهم ، فقال: وا ثكل أمياه. ماذا صنعت؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم يسكتونه، فسكت ومضى في صلاته، فلما انصرف من الصلاة دعاه النبي ﷺ فقال: فبأبي هو وأمي، ما رأيت معلمًا أحسن تعليمًا منه لا قبله ولا بعده، والله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني، وإنما خاطبه بلطف وقال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن**» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فهذه موعظة قصيرة مفيدة، انتفع بها معاوية ونقلها إلى من بعده.

وفي هذا الحديث دليل: على أنه لا بأس أن يلتفت المصلي أو ينظر إذا كان ذلك

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٧٠٢) ومسلم (٤٦٦).

Marfat.com

لمصلحة أو حاجة، وإلا فالأفضل أن يكون نظره إلى موضع سجوده، وفي حال الجلوس يكون نظره إلى موضع إشارته، لأن الجالس في التشهد أو بين السجدتين يرفع إصبعه قليلاً ويشير بها عن الدعاء، فيكون نظره إلى موضع إشارته، وأما في حال القيام والركوع فينظر إلى موضع سجوده.

وقال بعض العلماء: ينظر تِلقاء وجهه، والأمر في هذا واسع؛ إن شاء نظر إلى موضع سجوده، وإن شاء نظر تلقاء وجهه، لكن إذا حصلت حاجة والتفت فإن ذلك لا بأس به.

وفيه أيضًا: أن العمل اليسير في الصلاة لا يضر، لأن الصحابة جعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، ولم ينكر النبي ﷺ عليهم ذلك، إلا أنه ﷺ قال في حديث آخر: «**إذا نابكم شيء فليسبح الرجال ولتصفق النساء**»(١).

وفيه دليل: على أن الكلام في الصلاة لا يجوز وأنه مبطل لها، إلا إذا كان الإنسان جاهلاً أو ناسيًا أو غافلاً، فمثلاً لو أن أحدًا سلم عليك وأنت تصلي، أو دق الباب وأنت تصلي فقلت غافلاً: ادخل. أو قلت: وعليكم السلام ناسيًا أو غافلاً، فصلاتك: صحيحة، لأن الله لا يؤاخذ الإنسان بالجهل أو بالنسيان أو بالغفلة ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

ومن فوائد الحديث: حسن تعليم النبي ﷺ، وأنه يعلم بالرفق واللين، وهذا هديه ﷺ وهو أسوة أمته، فالذي ينبغي للإنسان أن يُنزل الناس منازلهم، فالمعاند المكابر يخاطب بخطاب يليق به، والجاهل الملتمس للعلم يُخاطب بخطاب يليق به.

ومن فوائد هذا الحديث: أن الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين، وإنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن، أو كما قال عليه الصلاة والسلام، والصلاة كما نعلم فيها قراءة قرآن، وفيها تكبير وفيها تسبيح، وفيها دعاء، وفيها تشهد.

وفي الحديث: الثناء على الواعظ إذا كانت عظته جيدة وليس عنده عنف، وهذا يشجع أهل الوعظ على أن يلتزموا بهذه الطريقة التي التزم بها رسول الله ﷺ.

وفي سياق حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وإن الله تعالى قد جاء بالإسلام. قال هذا الكلام ليبين حاله من قبل وحاله من بعده، وليتحدث بنعمة الله عليه، حيث كانوا في جاهلية لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، إلا ما جرت به العادات بينهم.

وجاءنا الله بهذا الإسلام، بالنور المبين، والفرقان العظيم، فبين الحق من الباطل،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (١٢١٨) ومسلم (٤٢١).

Marfat.com

وبين النافع من الضار ، وبين الإيمان من الكفر ، والتوحيد من الشرك إلى غير ذلك مما من الله به على هذه الأمة بالإسلام. ثم قال رضي الله عنه: وإن منا رجالاً يأتون الكهان. قال: «فلا تأتهم».

الكهان كانوا رجالاً تنزل عليهم شياطين الجن بما يسمعون من خبر السماء، ثم يحدثون الناس بما أخبرت به الشياطين، ويضيفون إلى الخبر الحق أشياء كثيرة من الكذب، فإذا صدقوا في واحد من مائة اتخذهم الناس حكامًا، ولهذا يأتون إليهم ويتحاكمون إليهم.

فالكاهن عبارة عن رجل يأتيه الشيطان يخبره بما سمع من خبر السماء، ويضيف إلى هذا الخبر أشياء كثيرة من الكذب، يأتيهم الناس فيسألونهم: ما حالنا؟ ما مستقبلنا؟ يسألونهم عن أمور مستقبلة عامة أو خاصة، فيخبرونهم بما سمعوا من أخبار الشياطين .

قال النبي ﷺ : «فلا تأتهم» كلمة واحدة: لا تأت الكُهان. وهل تظن أن معاوية أو غيره من الصحابة إذا قال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: لا تفعلوا. أن يفعلوا ! لا، لا نظن ذلك، فإنهم ليسوا كحال كثير من الناس اليوم يكرر عليه النهي ولكنه لا ينتهي، أو يتأول ويقول: النهي للكراهة، أو النهي للأدب أو لخلاف الأولى، أو ما أشبه ذلك.

ثم اعلم أن الكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، وإذا أتاه الإنسان فله ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يأتيه يسأله ولا يصدقه، فثبت في «صحيح مسلم» أن من فعل هذا لا تُقبل له صلاة أربعين يومًا(١) .

الحال الثانية: أن يأتيه يسأله ويصدقه فهذا كافر لقوله ﷺ : «من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»(٢) ، ووجه كفره أن تصديقه إياه يتضمن تكذيب قول الله جل وعلا: ﴿ قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]. لأن الكاهن يخبر عن الغيب في المستقبل ، فإذا صدقته فمضمونه أنك تُكذب هذه الآية فيكون ذلك كفرًا.

الحال الثالثة: أن يسأل الكاهن ليكذبه، وإنما يسأله اختبارًا، فهذا لا بأس به. وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد عما أضمر له. فقال له: «الدخ»، يعني الدُّخان، فقال له النبي عليه

(١) صحيح : [illegible]لم (٢٢٣٠).
(٢) صحيح : رواه الترمذي (١٣٥) وابن ماجه (٦٣٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٤٢).

Marfat.com

الصلاة والسلام: «اخسأ فلن تعدو قدرك»[١] .

فإذا سأله ليفضحه ويكشف كذبه وحاله للناس، فإن هذا لا بأس به، بل إن هذا يكون محمودًا مطلوبًا لما في ذلك من إبطال الباطل.

ثم سأل معاوية رضي الله عنه رسول الله ﷺ سؤالاً آخر، قال: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم».

والتطير: هو التشاؤم بالأشياء و وكان العرب يتشاءمون أكثر ما يتشاءمون في الطيور، فإذا طار يمينًا فله حال، إذا طار يسارًا فله حال، وإن اتجه أمامًا فله حال، أو رجع فله حال. حسب اصطلاحات العرب وخرافاتهم.

فكانوا يتطيرون؛ فيجعلون الطيور هي التي تمضيهم أو تردهم، إذا كان الطير مثلاً عن اليسار قال: هذا نذير سوء فلا أسافر ، إذا طار يمينًا قال: هذا سفر مبارك حيث اليمين من اليُمن والبركة، وهكذا اصطلاحات عندهم.

فكانوا يتشاءمون أكثر ما يتشاءمون في الطيور، وربما تشاءموا من الأيام، وربما تشاءموا من الشهور، وربما تشاءموا فيما يصنعون من الأصوات ، وربما يتشاءمون حتى من الأشخاص، حتى إنه يوجد الآن أناس إذا خرج أحدهم من بيته ثم لاقاه شخص قبيح المنظر قال: هذا اليوم يوم سوء وتشاءم، وإذا لقي رجلاً جميل الوجه قال: هذا اليوم خير فتفاءل.

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «هذا شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم».

والإنسان إذا ركن إلى التطير تنغصت عليه حاله، وربما يصنع الجن ما يكره ليبقى دائمًا في غم وهم، ولكن لا تتشاءم.

وكان العرب يتشاءمون من شهر شوال في النكاح، يقولون : الذي يتزوج في شهر شوال لا يوفق في زواجه؛ هكذا كانوا يقولون، فكانت عائشة رضي الله عنها تقول: تزوجني النبي ﷺ في شوال؛ عقد عليها في شوال، ودخل بها في شوال. فتقول أيكم أحظى إليه مني؟[٢] .

لا شك أن عائشة أحب النساء إليه بعد أن تزوجها، ومع ذلك عقد عليها في شوال، ودخل عليها في شوال، والعرب لجهلهم وسخافتهم يقولون: الذي يتزوج في شوال لا يوفق، ونحن الآن نشاهد أناسًا يتزوجون في شوال ولا يكون فيهم إلا الخير.

فالمهم أنه يجب عليك أن تمحو من قلبك التطير والتشاؤم ، وكن دائمًا متفائلاً،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٦١٨) ومسلم (٢٩٣٠).
(٢) صحيح: انظر مسلم (١٤٢٣) والترمذي (١٠٣٩).

Marfat.com

واجعل الدنيا أمامك واسعة، واجعل الطريق أمامك دائمًا مفتوحًا. فإن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يكره الطيرة ويعجبه الفأل الحسن(١) .

فاجعل نفسك دائمًا في تفاؤل ، والذي يريده الله سيكون ، لكن كن مسرورًا فرحًا، فالدنيا أمامك واسعة ، والطريق مفتوح ، ودائمًا كن في تفاؤل، ودائمًا كن واسع الصدر، فهذا هو الخير.

أما التشاؤم والانقباض، وأن يجعل الإنسان باله في كل شيء، فإن الدنيا ستضيق عليه.

فمن محاسن الإسلام أنه ألغي الطيرة وأثبت الفأل ، لأن الفأل خير والطيرة شر.

٤/ ٧٠٢ ــ وعن العِرْبَاض بن سَارِيَةَ رضى الله عنه قال : وَعظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ منْها القُلُوب ، وَذَرَفَتْ منْها العُيُون وَذَكَرَ الحَدِيثَ ، وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِه فى باب الأمْر بالمُحَافَظَة عَلى السُّنَّة ، وَذَكَرْنا أنْ التِّرمِذىَّ قال : إنّه حديث حسنٌ صحيح .

* * *

(١) صحيح : رواه ابن ماجه (٣٥٣٦) وصححه الألباني في الكلم الطيب (٢٤٨).

(٤ / ٧٠٢) صحيح : رواه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) احمد (٤ / ١٢٦) ابن ماجة (٤٢) وصححه الألبانى فى الإرواء (٢٤٥٥).

Marfat.com

٩٢ ـ باب الوقار والسكينة

قال الله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ (الفرقان:٦٣).

[١/ ٧٠٣] ــ عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: مَا رَأيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعاً قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى تُرَى مِنْهُ لَهَوَاتُهُ، إنَّمَا كانَ يَتَبَسَّمُ. متفقٌ عليه.

« اللَّهَوَاتُ » جَمْعُ لَهَاةٍ: وَهِيَ اللَّحْمَةُ التي في أقْصَى سَقْفِ الفَمِ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: باب الوقار والسكينة).

والوقار: هو هيئة يتصف بها العبد يكون وقورًا، بحيث إذا رآه من رآه يحترمه ويعظمه.

والسكينة: هي عدم الحركة الكثيرة وعدم الطيش، بل يكون ساكنًا في قلبه، وفي جوارحه، وفي مقاله.

ولا شك أن هذين الوصفين الوقار والسكينة من خير الخصال التي يمن الله بها على العبد؛ لأن ضد ذلك أن يكون الإنسان لا شخصية له، ولا هيبة له وليس.وقوراً ذا هيبة، بل هو مهين، قد وضع نفسه ونزلها.

وكذلك السكينة ضدها أن يكون الإنسان كثير الحركات، كثير التلفت، لا يُرى عليه أثر سكينة في قلبه ولا قوله ولا فعله. فإذا من الله على العبد بذلك، فإنه ينال بذلك خُلقين كريمين.

وضد ذلك أيضًا العجلة؛ أن يكون الإنسان عجولاً لايتحرى ولا يتأنى، ليس له هم إلا القيل والقال اللذان نهى عنهما رسول الله ﷺ، فقد كان ينهى عن القيل والقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال(١).

فإذا كان الإنسان ليس متأنيًا ولا متثبتًا في الأمور، حصل منه زلل كثير، وأصبح الناس لا يثقون في قوله، وصار عند الناس من القوم الذين يُرد حديثهم ولا يُنتفع به.

ثم استشهد المؤلف بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

(١/ ٧٠٣) صحيح: رواه البخاري (٤٢٨٢٨)، ومسلم (٨٩٩).

(١) صحيح: رواه البخاري (١٤٧٧) ومسلم (١٧١٥).

Marfat.com

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ﴾ : الذين من الله عليهم بالرحمة ووفقهم للخير، هم الذين يمشون على الأرض هونًا. يعني إذا رأيت أحدهم رأيت رجلاً في مشيته وقار، بدون أن يعجل عجلة تقبح.

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ يعني قالوا قولاً يسلمون به من شرهم وليس المعنى أنهم يلقون السلام، بل المعنى أنه إذا خاطبه الجاهل قال قولاً يسلم به من شره، إما أن يدافعه بالتي هي أحسن، وإما أن يسكت إذا رأى السكوت خيراً.

المهم أنه يقول قولاً يسلم به، لأن الجاهل أمره مشكل؛ إذن خاصمته أو جادلته فربما يبدر منه كلام سيء عليك، وربما يبدر منه كلام سيئ على ما تدعو إليه من الخير، فيسب الدين وما أشبه ذلك والعياذ بالله.

فمن توفيق عباد الرحمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، يعني قالوا قولاً يسلمون به ولا يحصل لهم به إثم، وكذلك من أوصافهم ما ذكره في آخر الآيات.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]. يعني لا يشهدون القول الكذب، ولا الفعل القبيح.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي: الذي ليس فيه خير ولا شر ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ أي سالمين منه. وذلك أن الأشياء: إما خير ، وإما شر، وإما لغو. فالشر لا يشهدونه، واللغو يسلمون منه، ويمرون به كرامًا ، والخير يرتعون فيه.

ثم ذكر حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يستجمع قط ضاحكًا تبدو منه لهواته. يعني ليس يضحك ضحكًا فاحشًا يفقهه، يفتح فمه حتى تبدو لهاته، ولكنه ﷺ كان يتبسم أو يضحك حتى تبدو نواجذه أو تبدو أنيابه؛ وهذا من وقار النبي ﷺ.

ولهذا تجد الرجل كثير الكركرة الذي إذا ضحك قهقه وفتح فاه يكون هينًا عند الناس، وضيعًا عندهم ليس له وقار. وأما الذي يكثر التبسم في محله، فإنه يكون محبوبًا تنشرح برؤيته الصدور وتطمئن به القلوب.

* * *

Marfat.com

٩٣ ـ باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار

قال تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج:٣٢) .

[١/ ٧٠٤] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إذا أُقيمَت الصَّلاةُ ، فَلا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ ، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَة ، فَمَا أَدركْتُمْ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فأتموا » متفقٌ عليه .

زاد مسلم فى رواية له : « فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إذا كَانَ يَعمِدُ إلى الصَّلاة فَهُوَ فى صَلاة » .

[٢/ ٧٠٥] ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنَّهُ دفَعَ النَّبىِّ ﷺ يَوْمَ عَرفَةَ فَسمعَ النَّبيُّ ﷺ وراءَهُ زَجْراً شَدِيداً وَضَرْباً وَصَوْتاً للإبل ، فَأَشارَ بِسَوْطه إلَيْهِمْ وقال : « أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَة ، فَإِنَّ البِرَّ لَيْسَ بالإيضَاعِ » رواه البخارى ، وروى مسلم بعضه .

« الْبِرُّ » الطَّاعةُ . وَ « الإيضَاعِ » بِضَادٍ معجمةٍ قبلها ياءٌ وهمزَةٌ مكسورةٌ ، وَهُوَ: الإسراعُ .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار).

الصلاة من المعلوم أنها آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي من أعظم شعائر الله. والإنسان إذا أقبل إلى الصلاة فإنما يقبل إلى الوقوف بين يدي الله عز وجل.

ومن المعلوم أن الإنسان إذا أتى إلى شخص من بني آدم يعظمه، فإنه يأتي إليه بأدب وسكينة ووقار، فكيف إذا أتي ليقف بين يدي الله عز وجل.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يأتي الصلاة في سكينة كما سيأتي في حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم استدل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لهذا الباب بقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

(١/ ٧٠٤) صحيح : رواه البخاري (٩٠٨)، و مسلم (٦٠٢).
(٢/ ٧٠٥) صحيح : رواه البخاري (١٦٧١) ، ومسلم (١٢٨٢).

Marfat.com

الذي يعظم شعائر الله فيرى أنها عظيمة في قلبه، ويقوم بما ينبغي لها من التعظيم بجوارحه، فإن من تقوى القلوب، علامة على صلاح نيته وتقوى قلبه، وإذا اتقى القلب اتقت الجوارح، لقول النبي ﷺ: **«ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب»**(١).

فعليك بتعظيم شعائر الله فإن ذلك تقوى لقلبك، وأيضًا يكون خيرًا لك عن الله عز وجل: ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢].

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون»** يعني إذا سمعتم الإقامة من خارج المسجد، وهذا يدل على أن الإقامة تسمع من خارج المسجد وهو الظاهر، وقد جاء في الحديث أن بلالاً قال للنبي ﷺ لا تسبقني بآمين (٢) مما يدل على أنه يقيم في مكان يسمعه الناس، فيقول النبي عليه الصلاة والسلام: **«ائتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة»** تمشون مشيًا عاديًا وعليكم السكينة.

وفي قوله ﷺ: **«وأنتم تمشون»** دليل غلي أنه يمشي مشيًا معتادًا، وأنه لا يقارب الخطا كما استحبه بعض أهل العلم، وأما قول النبي عليه الصلاة والسلام: **«لم يخط خطوة إلا رفع الله بها درجة»** يعنى أنه يقارب الخطا، لكن يمشي مشية المعتاد بدون إسراع، فإذا أتى الإنسان على هذا الوجه فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»** إلا أن أهل العلم قالوا: إذا خشي فوات الركعة يعني فوات الركوع، فلا بأس أن يسرع قليلاً، سرعة لا تكون سرعة قبيحة، فإنه لا بأس بذلك، لكن لا ينبغي أن تكون سرعة تقبح، يكون لها جلبة وصوت.

يستفاد من هذا الحديث فوائد منها: تعظيم شأن الصلاة، وأن الإنسان ينبغي أن يأتي إليها بأدب وخشوع وسكينة ووقار.

ومنها: أنه لا بأس أن تسمع الإقامة من خارج المسجد، وعلى هذا فإذا أقام المؤذن في مكبر الصوت ليسمع من كان خارج المسجد فلا بأس.

وإن كان بعض الناس قد اعترض على هذا، وقال: إنه أقام من خارج المسجد تكاسل الناس، وصاروا لا يحضرون إلا إذا سمعوا الإقامة، وربما تفوتهم الركعة الأولى، أو يفوتهم أكثر حسب قربهم من المسجد أو بعدهم منه.

ولكن ما دام الأمر قد حدث مثله في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن الإقامة

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).
(٢) ضعيف رواه أبو داود (٩٣٧) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود.

Marfat.com

كانت تسمع من الخارج، فإننا نرى أنه لابأس بذلك، لكن الشيء الذي يُخشى منه الإثم ما يفعله بعض الناس فينقل الصلاة نفسها عبر مكبر الصوت من المنارة، فإن هذا يشوش على من حوله لا سيما في صلاة الليل الجهرية، يشوش على أهل البيوت، ويشوش على المساجد القريبة، حتى إننا سمعنا بعض الناس إذا سمع مكبر الصوت من مسجد قريب وكان الإمام حسن الصوت والقراءة صار المأموم الذي في هذا المسجد يتابع بقلبه الإمام حسن الصوت والقراءة، صار المأموم الذي في هذا المسجد بتابع بقلبه الإمام الذي في المسجد الثاني، حتى سمعنا أن بعضهم أمن على قراءة إمام المسجد الثاني، لما قال إمام المسجد الثاني ﴿ولا الضالين﴾ قال هؤلاء: آمين وهذا ليس ببعيد، لأن القلب إذا انشغل بشيء أعرض عن غيره، فإذا كانوا يتابعون قراءة المسجد المجاور، وكانت قراءة الإمام جيدة في الصوت والأداء، فإن اللقب قد يلهي عن الإمام الذي بين يديه.

وقد ثبت في «موطأ الإمام مالك» ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة وأصحابه في المسجد يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بم يناجيه به، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن**»(١) .

وعند أبي داود : «**ألا كلكم مناج ربه، فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم علي بعض في القراءة**»(١) .

فجعل هذا أذية ونهي عنه، والواقع شاهد بذلك ولهذا نرى أن الذين يفعلون هذا ـ يؤذون عبر مكبر الصوت ـ نرى أنهم إذا كانوا يؤذون من حولهم فإنهم آثمون.

فإذا كان هذا العمل يكون فيه الإنسان إما آثمًا وإما سالمًا، فلا شك أن تركه، أولى، وهو في الحقيقة لا فائدة منه، لأن الإنسان لا يصلي إلى من هم خارج المسجد إنما يصلي لأهل المسجد ، أما الذين في الخارج فلا عليك منهم.

ثم إن هذا العمل فيه مفسدة أخرى وهي أن بعض الناس يتكاسل عن إتيان المسجد للصلاة ما دام أنه يسمع صوت قراءة الإمام فيتكاسل ، وكلما أراد أن يقوم ثبطه الشيطان، وقال له : انتظر الركعة الثانية ، انتظر الثالثة، اجلس حتى لا يبقى إلا ركعة . فيحرم بذلك من الخير.

لهذا نوصي إخواننا لا سيما الأئمة ألا يفعلوا هذا، وأن تسلم ذممهم ويسلم إخوانهم من أذيتهم حتى في البيوت أيضًا.

---

(١) صحيح : رواه مالك في الموطا (٢٩) وأحمد (٢/ ١٦٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٥١).
(٢) صحيح: رواه أبو داود (١٣٣٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

Marfat.com

ربما بعض الناس يكون قد صلى ويجب أن ينام ويرتاح ، قد يكون مريضًا فيزعجه هذا الصوت، وقد يكون المسجد قريبًا من السطوح في أيام القيظ وفيه الصبيان فيفزعهم صوت المكبر.

فالحاصل أن هذه المسألة ابتلي بها بعض الناس ـ نسأل الله أن يعافينا ـ وصاروا يؤذون من بجوارهم من المساجد أو البيوت في أمر لا فائدة منه.

ومعنى قوله ﷺ : «فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» أن الإنسان يكبر تكبيرة الإحرام ثم يدخل مع الإمام على الحال التي فيها، فإذا جئت والإمام راكع فكبر تكبيرة الإحرام وأنت قائم معتدل ثم اركع ، وبذلك تدرك الركعة.

وإذا أتيت وهو قائم من الركوع فكبر وادخل معه واسجد معه، ولا تحسب هذه الركعة، لأن الإنسان إذا لم يدرك ركوع الإمام فاتته الركعة.

وإذا أتيت وهو ساجد فكبر للإحرام وأنت قائم ثم اسجد ولا تنتظر حتى يقوم، وإذا أتيت وهو جالس فكبر وأنت قائم واجلس، أي حال أدركت الإمام عليها فاصنع كما يصنع الإمام.

وإذا أتيت وهو في التشهد الأخير نظرت إن كان معك جماعة في مثل حالك فلا تدخل معه، لأنك لا تدرك صلاة الجماعة بإدراك التشهد، لا تدرك الجماعة إلا إذا أدركت ركعة كاملة، لقول النبي ﷺ : «من أدرك ركعة من الصلاة فقد أدرك الصلاة»[١] .

وإذا لم يكن معك جماعة، أو لا يمكنك أن تدرك مسجدًا آخر فادخل معه ولو في التشهد ، ولا تحسب هذا شيئًا، لأنه فاتك الركوع.

وفي قوله ﷺ : «فأتموا» دليل على أن المسبوق إذا قام يقضي فإنه يقضي آخر صلاته لا أولها، فإذا أدرك الركعتين الأخيرتين من الظهر مثلاً وقام يقضي فإن الركعتين اللتين يقضيهما هما آخر صلاته، فلا يزيد على الفاتحة، لأن السنة في الركعتين الآخيرتين ألا يزيد فيهما على الفاتحة.

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي ذكره المؤلف أن النبي ﷺ دفع من عرفة فسمع وراءه جلبة وضربًا وزجرًا للإبل وأصواتًا للإبل، لأنهم كانوا في الجاهلية إذا دفعوا من عرفة أسرعوا إسراعًا عظيمًا يبادرون النهار قبل أن يظلم الجو، فكانوا يضربون الإبل ضربًا شديدًا فأومأ النبي ﷺ إليهم بسوطه، وقال: «أيها الناس عليكم بالسكينة» يعني

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٨٠) ومسلم (٦٠٧).

Marfat.com

الطمأنينة والهدوء «فإن البر ليس بالإيضاع» يعني أن البر والخير ليس بالإيضاع، أي ليس بالإسراع. والإيضاع نوع من السير سريع.

ففي هذا: دليل على أن الإنسان لا ينبغي له أن يسرع إذا تقدم إلى أماكن العبادة، لأن الذين يدفعون من عرفة يتجهون إلى مزدلفة ، إلي عبادة.

وبهذا يتم المؤلف ـ رحمه الله ـ ما ترجم به من الندب إلى إيتان الصلاة، ومجالس العلم، وغيرها من العبادة بسكينة ووقار.

فإذا أتيت إلى مجالس العلم والخير، فكن ساكنًا وقورًا مهيبًا، حتى لا يستهان بك أمام الناس، ويكون تعظيمك لهذه المجالس من تعظيم الله عز وجل.

* * *

Marfat.com

٩٤ ـ باب إكرام الضيف

قال الله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ (الذاريات:٢٤:٢٧) ، وقال تعالى :﴿ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ (هود:٧٨) .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : (باب إكرام الضيف).

والضيف : هو الذي ينزل بك مسافرًا، لأجل أن تتلقاه بالإيواء والطعام والشراب وما يحتاج إليه.

والضيافة خلق فاضل قديم منذ عهد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، إن لم يكن قبل ذلك.

وسيذكر المؤلف ـ إن شاء الله ـ أحاديث متعددة حول إكرام الضيف، وأن إكرامه من الإيمان بالله واليوم الآخر، ولكنه ـ رحمه الله ـ كعادته يبدأ بالآيات الكريمة ، لأن القرآن مقدم علي السنة، فهو كلام الله، والحديث كلام رسول الله ﷺ ، وكلاهما حق يجب تصديقه إن كان خبرًا، وامتثاله إن كان طلبًا.

فذكر قول الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [الذاريات: ٢٤].

هل أتاك؟: الاستفهام هنا للتشويق من أجل أن ينتبه المخاطب، والخطاب في قوله: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ إما للرسول ﷺ وإما له وللأمة، أي لكل من يصح خطابه.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا ﴾ وهؤلاء الضيف ملائكة أرسلهم الله عز وجل إلى إبراهيم ، ثم إلى لوط.

وقوله: ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾ يعني الذين أكرمهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا﴾ [الذاريات: ٢٥]. قال العلماء إن قولهم: ﴿سَلامًا﴾ . يعني نسلم سلامًا وإن قوله: ﴿سَلامٌ﴾ . يعني عليكم سلامٌ.

والثانية أبلغ من الأولى، لأن المشروع لمن حُيي بتحية أن يحيى بأحسن منها أو بمثلها كما قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ [النساء: ٨٦].

وإنما كانت الثانية أبلغ من الأولى لأن الأولى جملة فعلية، والثانية جملة اسمية، تفيد

Marfat.com

الثبوت والاستمرار.

ثم قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل : أنتم قوم؛ لأن أنتم صريح في الخطاب، وهذا قد يكون مستبشعًا عند بعض الناس، فكان من حسن معاملته لضيفه أنه قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ .

وقوم لو أخذناها هكذا لكان يمكن أن يكون التقدير: هم قوم، أو أنتم قوم، أو هؤلاء قوم، ليست في الصراحة كقوله: أنتم قوم ، فلهذا حذف المبتدأ وصارت : ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ .

ومعنى كونهم منكرين أنه لا يعرفهم لأنه أول مرة يلتقي بهم.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ وكان ـ عليه السلام ـ كريمًا، ومعنى راغ: أي ذهب بسرعة وخفية ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ أي إلى بيته ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ جاء بعجل؛ وهي صغار البقر؛ لأن لحمه خفيف ولذيذ، وكونه سمينًا أحلى للحمه وأطيب، وفي الآية الأخرى أنه جاء بعجل حنيذ، أي محنوذ يعني مشوي لم يخرج من طعمه شيء وهذا ألذ ما يكون من اللحم.

﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾ ولم يضعه بعيدًا عنهم فيقول: تقدموا إلى الطعام، ولكن هو الذي قربه لئلا يكون عليهم عناء ومشقة ، ومع ذلك لم يقل: كلوا. هكذا بصيغة الأمر، ولكن قال: ﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ وهذا عرض وليس بأمر وهو أيضًا من حسن معاملته لضيوفه.

ثم إن هؤلاء الضيوف ذهبوا إلى لوط بصورة شبان مرد ذوي جمال وفتنة ، وكان قوم لوط ـ والعياذ بالله ـ قد ابتلوا بداء اللواط، وهو إتيان الذكر الذكر ، فلما ذهبوا إلى لوط انطلق بعضهم إلى بعض يخبر بعضهم بعضًا ويقولون: جاء إلى لوط مردان شبان ذوو جمال فجاءوا ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يسرعون .

﴿وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يعني كانوا يعملون الفاحشة وهي اللواط.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ قال بعض العلماء: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ يشير إلى بنات القوم ما هن بناته من صلبه، ولكنه يعني بذلك بنات قومه، لأن النبي لقومه بمنزلة الأب لهم، كأنه يقول عندكم النساء. وهذا كقوله في آية أخرى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ (١٦٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم﴾ [الشعراء: ١٦٥ ، ١٦٦]. يعني من النساء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ .

المهم أن عليه الصلاة والسلام قال لهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ﴾ .

وقوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ هذا من باب التفضيل الذي ليس في الجانب المفضل عليه منه شيء؛ لأن إتيان الذكور ليس فيه طهارة، كله خبث وخبائث، كما قال

Marfat.com

تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأنبياء: ٧٤]. لكن هن أطهر لكم لأن فروج النساء تحل بالعقد.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ ولكن لم يكن منهم رجل رشيد، والعياذ بالله.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود: ٧٩]. يعني تعلم أننا نريد هؤلاء الشباب الذين جاءوا إليك.

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠]. فقالت الرسل: ﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١]. ثم أرشدوه إلى أن يسرى بأهله ويدع البلدة.

وفي سورة القمر قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ۝٣٥ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ۝٣٦ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٣٣ ـ ٣٧].

قيل: إن الملائكة صفقوهم على وجوههم فعميت أبصارهم، وقيل: إن الله أعمى أبصارهم في نفس الحال.

وعلى كل حال فإنه قوله: ﴿وَلا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ يدل على أن الضيوف كانوا مكرمين عند لوط، كما هم مكرمون عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

والحاصل أنك إذا نزل بك ضيف فإنه يجب عليك أن تضيفه يومًا وليلة ولكن لا تفعل كما يفعل السفهاء، تذهب وتتكلف وتصنع وليمة كبيرة ترمي معظمها، حتى إنا نسمع عن بعض الناس أنه إذا نزل به الضيف ذهب صاحب البيت من أجل أن يذبح له ذبيحة، فيقول الضيف: لا تذبح، على الطلاق ما تذبح فيقول الثاني: عليَّ الطلاق أن أذبح هذا غلط ومنكر، فلا حاجة إلى اليمين في ذلك، إما أن تذبح وإما ألا تذبح.

وإذا اضطررت إلى اليمين فليس هناك حاجة إلى اليمين بالطلاق؛ لأن الحلف بالطلاق أمره ليس بالهين. فالأئمة الأربعة: مالك وأبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وجمهور أتباعهم يرون أن الحلف بالطلق طلاق إذا حنث فيه الإنسان، يعني إذا قلت: علي الطلاق ما تفعلين كذا، . ففعلت طلقت زوجتك ولو أردت اليمين هذا مذهب جمهور الأمة وجميع الأئمة المتبوعين من هذه الأمة. إذن المسألة خطيرة وتهاون الناس اليوم بهذه المسألة غلط كبير. ما أسرع أن يقول الإنسان علي الطلاق أن أفعل، علي الطلاق ما أفعل، أو امرأتي طالق، إن فعلت، أو امرتي طالق إن لم أفعل، وهذا غلط عظيم. كيف تقول هذا الكلام وأكثر الأئمة يرون أنك إذا حنثت طلقت امرأتك.

* * *

Marfat.com

[٧٠٦/١] ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللّهِ وَالیوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ ، وَمَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللّه وَاليوم الآخِرِ فليَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كانَ يؤمِنُ باللّهِ وَالیَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقلْ خَيْراً أوْ لِيَصْمُتْ » متفقٌ عليه .

[٧٠٧/٢] ـ وعن أبي شُرَيْحٍ خُوَيلِدِ بن عمرو الخُزَاعيّ رضي اللّه عنه قال : سَمِعْتُ رسول اللّه ﷺ يقول : « مَنْ كان يؤمِنُ باللّه وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَهُ جائِزَتَهُ » قالوا : وما جائِزَتُهُ يا رسول اللّه ؟ قال : « يَومُه ولَيْلَتُهُ ، والضيافَةُ ثَلاثَةُ أيَّامٍ ، فما كان وَرَاءَ ذلكَ فهو صَدَقَة عليه » متفقٌ عليه .

وفي روايةٍ لمسلمٍ : « لا يَحِلُّ لِمُسلمٍ أن يُقيمَ عند أخيه حتى يُؤْثِمَهُ » قالوا : يا رسول اللّه ، وكَيْفَ يُؤْثِمُهُ ؟ قال : « يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلا شيْءَ لَهُ يَقْرِيه به » .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب الضيافة وإكرام الضيف، الأحاديث التي تدل على إكرام الضيف وقراه، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»، وهذا من باب الحث والإغراء على إكرام الضيف، يعني أن إكرام الضيف من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن تمام الإيمان بالله واليوم الآخر. وذلك أن الذي يكرم ضيفه يثيبه الله تعالى يوم القيامة، وربما أثابه يوم القيامة وفي الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠]. فيثيبه في الله في الدنيا بالخلف، وفي الآخرة بالثواب، ولهذا قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». وإكرام الضيف يختلف بحسب أحوال الضيف، فمن الناس من هو من أشراف القوم ووجهاء القوم فيُكرم بما يليق به، ومن الناس من هو من سقط القوم فيكرم بما يليق به، ومنهم من هو دون ذلك. فالمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام أطلق الإكرام فيشمل كل الإكرام، فمن الناس إذا نزل بك ضيفًا لا يرضيه أن تأتي له بطعام عليه دجاجتان وما أشبه ذلك، يحتاج إلى أن تأتي له بطعام عليه ذبيحة ويكون من إكرامه أيضًا أن تدعو جيرانك وما أشبه ذلك ومن الناس من هو دون ذلك.

(١/ ٧٠٦) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

(٢/ ٧٠٧) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٩) ، ومسلم (١٧٢٦) . .

Marfat.com

المهم أن النبي ﷺ لم يقيد الإكرام بشيء بل أطلق ، فيكون راجعًا إلى ما يعده الناس إكرامًا.

قال: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه» وفي آخر «فليكرم جاره»[1]، «فليصل رحمه»: الرحم هم الأقارب، وكلما كان القريب إليك أقرب كان حقه أوجب، فعلى المرء أن يصل رحمه، ولم يبين النبي ﷺ بماذ يصله؟ فيرجع أيضًا إلى العرف، فمن الأقارب من تصله بالزيارة والإكرام البدني، ومن الأقارب من تصله بإعطاء المال لحاجته لذلك، ومن الأقارب من تكرمه بالطعام والكسوة، كل بحسب حاله، المهم أكرم أقاربك بما يعد إكرامًا.

فمثلاً إذا كان قريبك غنيًا كريمًا فهذا لا يمكن أن ترسل إليه طبقًا من طعام، إنما تكرمه بالزيارة والكلام اللين وما أشبه ذلك. أما إذا كان قريبك فقيرًا فطبق الطعام أحب إليه من غيره، فترسل له طبقًا من الطعام، أما إذا كان قريبك يحتاج إلى المال فالأفضل أن ترسل إليه المال، وهلم جرا ، فكل إنسان يكرم بما يليق بحاله.

الثالث قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»، وياليتنا نسير على ذلك في حياتنا. «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»: وقد يكون نفس الكلام خيرًا، وقد يكون الخير في المقصود منه، فمثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم مسألة من مسائل العلم والدين، الكلام هنا خير في نفسه.

والكلام الآخر الذي ليس في نفسه خير من حيث هو، لكن تتكلم به من أجل أن تدخل الأنس على مجالسك وأن تشرح صدره، هذا أيضًا خير، وإن كان نفس الكلام ليس مما يتقرب به إلى الله لكنه ليس إثمًا، وتقصد بذلك أن توسع صدر جليسك وأن تدخل عليه الأنس والسرور، فهذا أيضًا من الخير.

وعلم من هذا أن من لم يقل الخير، فإن إيمانه بالله واليوم الآخر يكون ناقصًا، فكيف بمن يقول الشر، وكيف بمن أصبح يأكل لحوم الناس - والعياذ بالله - ويسعى بينهم بالنميمة، ويكذب ويغش ، بل كيف من أصبح يؤلب على أهل العلم ويسب أهل العلم، ويذمهم بأمرهم فيه أقرب إلى الصواب مما يظن! فإن هذا أعظم وأعظم، لأن الكلام في أهل العلم ليس كاكلام في عامة الناس.

الكلام في عامة الناس ربما يخرج الرجل نفسه، لكن الكلام في أهل العلم جرح في العلماء وجرح فيما يحملونه من الشريعة، لأن الناس لن يثقوا بهم إذا كثر القول فيهم

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٤٧) احمد (٤/ ٣١).

Marfat.com

والخوض فيهم، ولهذا يجب عنده كثرة الكلام وخوض الناس في أمر من الأمور أن يحرص الإنسان على كف لسانه، وعدم الكلام إلا فيما كانت مصلحته ظاهرة، حتى لو سئل فإنه يقول: نسأل الله الهداية، نسأل الله أن يهدي الجميع.

أما أن يتكلم ويطلق لسانه في أمور ليس لها أصل البتة، فهذا من عدم الإيمان بالله واليوم الآخر ؛ ولا يكفر الإنسان بهذا لكن إيمانه يكون ناقصًا، لأن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» وكما قيل: إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب. وقيل أيضا الحكمة: الصمت حكمة وقليل فاعله. وقيل أيضًا: من صمت نجا ومن تكلم فإنه على خطر.

فلذلك لزم الصمت إلا في شيء ترى أنه خير فحينئذ تكلم، فالخير مطلوب.

* * *

Marfat.com

٩٥ - باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قال الله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ . الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ (الزمر: ١٧، ١٨)، وقال تعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ (التوبة: ٢١)، وقال تعالى: ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (فصلت: ٣٠)، وقال تعالى: ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ (الصافات: ١٠١)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ﴾ (هود: ٦٩)، وقال تعالى: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود: ٧١)، وقال تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ (آل عمران: ٣٩)، وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ ﴾ الآية (آل عمران: ٤٥)، والآيات في الباب كثيرة معلومة.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير).

والبشارة تكون في الأمور التي تسر، وسميت بذلك لأن الإنسان كان إذا بشر بما يسره ظهر أثر ذلك في وجهه وفي بشرته، وقد تكون البشارة فيما يسوء مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الإنشقاق: ٢٤].

والبشارة فيما يسر تكون فيما يسر في الآخرة، وفيما يسر في الدنيا؛ أما البشارة فيما يسر في الآخرة فكثيرة، ذكرها الله في القرآن في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]. وقوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [يونس: ٦٤]. وقوله: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ (٢١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١، ٢٢]. وقال الله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣]. هذا كله فيما يتعلق بأمور الآخرة.

ومن الأمور التي تبشر بالخير في أمور الآخرة: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له، مثل أن يرى إنسان رؤيا فيقال له في المنام مثلاً: بشر فلانًا بأنه من أهل الجنة فيبشره فهذه بشرى.

كذلك أيضًا الإنسان إذا رأى من نفسه أنه ينقاد للخير والعمل الصالح ويرغب فيه ويحبه، وأنه يكره الشر، فهذه أيضًا بشرى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ - ٧].

Marfat.com

وأما البشارة فيما يتعلق بأمر الدنيا فمثل قوله تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ [الحجر:٥٣]. وفي آية آخرى ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات:١٠١]. والذي بَشر في الآية الأولى غير الذي بُشر في الآية الثانية، التي فيها: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴾ ، هذا إسحاق ، والتي فيها: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ ، هذا إسماعيل عليهما السلام. إسحاق أبو بني إسرائيل، لأن ابنه يعقوب ، ويعقوب هو إسرائيل الذي من ذريته موسى وعيسى عليهم السلام، وأكثر الأنبياء المذكورين في القران كلهم من ذرية إسرائيل.

أما التي ذكر الله فيها: ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ - وهي التي في سورة الصافات ـ فهذا إسماعيل أبو العرب، وليس في ذريته رسول إلا رسول واحد ولكنه ختم جميع الرسالات وبُعث إلى الناس كافة من بعثته إلى يوم القيامة، وغيره من الأنبياء كان يبعث إلي قومه خاصة. هذا الرسول الذي من بني إسماعيل هو محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وكذلك قال تعالى عن امرأة إبراهيم: ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود:٧١] . هذا أيضًا بشارة للأنثى.

فالحاصل أن البشارة تكون في أمور الآخرة وفي أمور الدنيا، وينبغي للإنسان أن يكون متفائلاً مستبشرًا بالخير، وإلا يرى الدنيا أمامه كالحة مظلمة فيستحسر ويقنط.

وينبغي للإنسان أيضًا إذا حصل له خير أن يهنيء به وأن يُبشر به إذا كان مستقبلاً، يُهنيء به بالخير إذا وقع ، ويُبشر بالخير في المستقبل. بشر أخاك، أدخل السرور عليه، حتى لو رأيت مثلاً إنسانًا مغتمًا قد ضاقت عليه الدنيا وتكالبت عليه الأمور ، فقل له: أبشر بالفرج لأن النبي ﷺ يقول: «**واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا**»(١) ، هذا كلام الرسول عليه الصلاة والسلام، ما ينطق عن الهوى.

فإذا رأيت أخاك مكروبًا، فقل له : أبشر فالفرج قريب، وإذا رأيته في عسر فقل له: اليسر قريب، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**لن يغلب عسر يسرين**» في سورة الم نشرح لك صدرك ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ [الشرح:٥، ٦]. العسر ذكر مرتين واليسر ذكر مرتين لكن حقيقة الأمر أن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة واليسر ذكر مرتين لماذا؟ قال العلماء : إذا تكررت الكلمة معرفة بأل فهي واحدة وإذا تكررت غير معرفة بأل فهي اثنتان.

العسر كرر مرتين لكن بأل، فيكون العسر الثاني هو الأول، اليسر كرر مرتين لكن بدون أل فيكون اليسر الثاني غير اليسر الأول، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لن

---

(١) سبق تخريجه.

Marfat.com

يغلب عسر يسرين»(١) .

يقال: إن الحجاج بن يوسف الثقفي وهو رجل معروف ـ نسأل الله أن يعفو عنه ـ رجل ظالم يقتل الناس بغير حق، تكلم عنده أحد الناس، وقال له كلمة استنكرها الحجاج وكان جيدًا في اللغة العربية، فهو الذي شكل القرآن وهذه من حسناته، وإن كان له سيئات كثيرة. قال له الحجاج: ليس هذا في اللغة العربية، فعلة ما تأتي في اللغة العربية، قال: هكذا سمعت من الأعراب. وكانوا يأخذون اللغة من الأعراب، لأن الأعراب في البادية ليسوا في المدن. والمدن دخل فيها الفرس والروم الذين أسلموا فتغير اللسان. فقال الحجاج: اذهب عند الأعراب وائتني بشاهد من كلام العرب ما يدل على أن فُعلة موجودة في اللغة العربية، ولك كذا وكذا يوم ، فإن لم تأتني فأنا أضرب عنقك.

ذهب الرجل مكروبًا والحجاج ينفذ ما يقول ـ وذهب يطلب من الأعراب، فسمع أعرابيًا يقول: ربما تكره النفوس من الأمر له فُرجةٌ كحل العقال ، ففرح بها فرحًا عظيمًا وجاء بها إلى الحجاج، فبينما هو في الطريق قيل له: إن الحجاج قد مات، فقال والله ما أدري هل أنا أشد فرحًا بهذه الكلمة التي وجدتها عن الأعرابي أو بموت هذا الرجل.

فالحاصل أن الإنسان ينبغي له أن يدخل السرور والبشرى على إخوانه حتى يفرجوا. وينشطوا ، ويؤملوا وينتظروا الفرج. نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين ممن له البشرى في الحياة الدنيا والآخرة.

* * *

[١/ ٧٠٨] ــ عن أبي إبراهيم ــ ويُقَالُ أبو محمد ، ويُقالُ أبو مُعَاوِيَةَ ــ عَبد الله بن أبى أوْفَى رضى الله عنه أنَّ رسول اللهﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ ، رضى الله عنها ، بِبَيْتٍ فى الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لا صَخَبَ فيه ولا نَصَبَ . متفقٌ عليه .

«القَصَبُ» هُنَا:اللُّؤْلُؤُ المُجَوَّفُ . وَ«الصَّخَبُ»:الصياحُ وَاللَّغَطُ .وَ«النَّصَبُ»:التَّعَبُ .

[٢/ ٧٠٩] ــ وعن أبى موسى الأشعَرِىِّ رضى الله عنه ، أنَّهُ تَوَضَّأَ فى بَيْتِه ، ثُمَّ خَرَجَ فقال : لألْزَمَنَّ رسول اللهﷺ ، ولأكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِى هذا ، فَجَاءَ المَسْجِدَ ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبى ﷺ ، فَقَالُوا : وَجَّهَ ههنا ، قال : فَخَرَجْتُ على أثَره أسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلَ بئْرَ أرِيس ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ حَتَّى قَضَى رسول اللهﷺ حَاجَتَهُ وتَوَضَّأَ ، فَقُمْتُ إلَيْهِ، فَإذا هُوَ قَدْ

---

(١) ضعيف رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٢٨) وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٣٤٢).

(١/ ٧٠٨) صحيح : رواه البخاري (٣٨١٩) ومسلم (٢٤٣٣).

(٢/ ٧٠٩) صحيح : رواه البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (٢٤٠٣) (٢٩) .

Marfat.com

جلسَ علَى بئرِ أريس ، وتَوسَّطَ قُفَّها ، وكَشفَ عَنْ ساقَيْه ودلاَّهُمَا فى البئرِ ، فَسلَّمْتُ علَيْه ثُمَّ انصرفْتُ ، فَجلَسْتُ عنْدَ البَاب فَقُلْتُ : لأكونَنَّ بوَّابَ رَسُول اللّه ﷺ اليَوْمَ ، فَجاءَ أَبُو بَكْر رضىَ اللّه عنه فَدفعَ البَابَ فَقُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلكَ ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ : يـا رَسُولَ اللّه هـذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتأذنُ ، فَقَالَ : «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجَنَّة» ،فَأَقْبَلْتُ حتَّى قُلْتُ لأبى بَكْر:ادْخُلْ ورَسُولُ اللّه يُبشِّرُكَ بالجَنَّة، فَدخل أَبُو بَكْرٍ حتَّى جلَسَ عَنْ يمين النَّبى ﷺ معَهُ فى القُفِّ ، ودَلَّى رجلَيْه فى البِئْر كَمَا صَنَعَ رَسُولُ اللّه ﷺ ، وَكَشفَ عَنْ سَاقَيْه ، ثُمَّ رَجعْتُ وجلَسْتُ ، وقَدْ تَركْتُ أخى يَتوضَّأ ويَلحقُنى ، فَقُلْتُ : إنْ يُرد اللّه بفُلان ــ يُريدُ أخَاهُ ــ خَيْراً يَأت به ، فَإذا إنْسَانٌ يُحرِّكُ البَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ فَقَالَ : عُمرُ بْنُ الخَطَّاب ، فَقُلْتُ : على رِسْلكَ ، ثُمَّ جئْتُ إلى رَسُول اللّه ﷺ ، فَسلَّمْتُ عَلَيْه وقُلْتُ : هذَا عُمرُ يَسْتَأذنُ ؟ فَقَالَ : « ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجَنَّة » ، فَجئْتُ عُمَرَ ، فَقُلْتُ : أذنَ ويُبَشِّرُكَ رَسُول اللّه ﷺ بالجَنَّة ، فَدَخل فجلَسَ معَ رَسُولَ اللّه فى القُفِّ عَنْ يساره ، ودَلَّى رجلَيْه فى البئْر ، ثُمَّ رجَعْتُ فَجلَسْتُ فَقُلتُ : إنْ يُرد اللّه بفُلان خَيْراً ــ يَعْنى أخَاهُ ــ يَأت به ، فَجاءَ إنْسَانٌ فَحرَّكَ البَابَ ، فَقُلْتُ : مَنْ هذَا ؟ فَقَالَ : عُثْمَانُ بنُ عفَّان ، فقلتُ : عَلَى رِسْلكَ ، وجئْتُ النَّبىَّ ﷺ ، فَأخْبرتُهُ فَقَالَ : « ائْذنْ لَهُ وبَشِّرْهُ بالجَنَّة معَ بَلْوى تُصيبُهُ » ،فَجئْتُ فَقُلْتُ : ادْخُلْ ويُبَشِّرُكَ رسُولُ اللّه ﷺ بالجَنَّة مع بَلْوى تُصيبُكَ ، فَدَخلَ فَوجدَ القُفَّ قَدْ مُلئَ ، فَجلَسَ وجَاهَهُمْ منَ الشِّقِّ الآخَرِ . قَالَ سَعيدُ بنُ المُسَيَّب : فَأوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ . متفقٌ عليه .

وزادَ فى رواية : وأَمرَنى رسولُ اللّه ﷺ بحفظ البَابِ . وَفيها : أنّ عُثْمَانَ حِينَ بَشَّرَهُ حمدَ اللّه تعالى ، ثُمَّ قَالَ : اللّه المسْتعَانُ .

قوله : « وَجَّهَ » بفتحِ الواو وتشديد الجيم ، أىْ : تَوَجَّهَ . وقوله : « بئْرِ أريس »: هو بفتح الهمزة وكسر الراء ، وبعدَهَا ياءٌ مُثَنَّاةٌ من تحتُ ساكنَةٌ ، ثُمَّ سينٌ مهملةَ ، وهو مصروفٌ ومنهم منْ مَنعَ صَرْفَهُ . و « القُفّ » بضم القاف وتشديد الفاء : هُوَ المَبنى حوْلَ البئْرِ .قوله « عَلى رِسْلكَ » بكسر الراء على المشهور ، وقيلَ بفتحها ، أىْ: ارفُقْ.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب استحباب التبشير بالخير والتهنئة به آيات سبق الكلام عليها، وبينا أن البشارة قد تكون بخير في الدنيا وقد تكون في الآخرة.

ثم ذكر حديثين: حديث أبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن النبي ﷺ بشر خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة.

Marfat.com

وكذلك حديث أبي موسى الأشعري وسيأتي - إن شاء الله - .

فقد بشر ﷺ خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة من قصب، ليس فيه صخب ولا نصب، ولكن القصب الذي بُني من قصر خديجة في الجنة ليس كالقصب الذي في الدنيا . الاسم هو الاسم والحقيقة غير الحقيقة، كما أنه في الجنة نخل ورمان وفاكهة ولحم طير وغير ذلك، لكن التشابه في الاسم فقط، فالاسم هو الاسم والحقيقة غير الحقيقة.

وهذا باب يجب على الإنسان أن يتفطن له؛ فإن أمور الغيب التي لها نظير في الدنيا لا تماثل نظيرها في الآخرة.

فمثلاً في صفات الله عز وجل، لله عز وجل وجه كريم، موصوف بالجلال والإكرام ونحن أيضًا لنا وجه ، فالأمر لا يختلف في الاسم، لكن قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. فوجهه يليق بجلاله وعظيمته ، ولا يمكن الإحاطة به؛ لا وصفًا ولا تصورًا في الذهن، ولا نطقًا باللسان، فهو أعظم وأجل من أن تحيط به الأوصاف، وهكذا بقية صفاته عز وجل . اسمها يوافق الاسم الذي نتصف به، ولكن الحقيقة غير الحقيقة.

كذلك أيضًا الجنة فيها عسل، وماء، وخمر ولحم، ونساء، وفاكهة ، ورمان ، وغير ذلك، لكن ليست كالذى في الدنيا لأن الله سبحانه وتعالى قال في القرآن الكريم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٧]. ولو كانت مثل ما في الدنيا لكنا نعلمها، لكنها ليست مثلها ولا قريبًا منها.

وكذلك قال النبيﷺ فيما يرويه عن الله أنه قال: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»(١) ، نسأل الله أن يجعلنا والمسلمين ممن أعد الله لهم ذلك.

فخديجة رضي الله عنها بشرها النبيﷺ بواسطة جبريل، هو الذي أخبر الرسولﷺ بشرها ببيت في الجنة من قصب، ولكن ليس القصب الذي في الجنة مثل القصب الذي في الدنيا، ثم قال: «**ليس فيه صخب ولا نصب**».

والصخب: أي الأصوات المزعجة الشديدة، أهل الجنة كلهم ليس عندهم صخب ولا نصب ولا كلام لغو، كما قال تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٣]. ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم:٢٣]. فكلامهم طيب لأنهم جوار الطيب جل وعلا، فهم طيبون في جنات عدن، مساكن طيبة عند الطيب جل وعلا، كما أن قلوبهم في

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٢٤٤) ومسلم (٢٨٢٤).

Marfat.com

الدنيا طيبة، وأفعالهم طيبة لأن الله لا يقبل إلا الطيب، وأفعالهم مقبولة، فهم كذلك في الآخرة.

فقصر خديجة ليس فيه صخب، وليس فيه نصب، وليس فيه تعب، لا يحتاج إلى كنس القمامة ولا غيره، بل كله طيب. وهذه بشارة لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها.

وأم المؤمنين خديجة هي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ ، تزوجها وهو ﷺ ابن خمس وعشرين سنة، ولها أربعون سنة من زوج سابق قبله، وولدت له بناته الأرب وأولاده الثلاثة أو الاثنان، ولم يتزوج عليها أحدًا حتى ماتت رضي الله عنها وكانت امرأة عاقلة ذكية حكيمة، لها مآثر طيبة معروفة يجدها من يراجع ترجمتها في كتب التاريخ، وكانت تسامي عائشة رضي الله عنها يعني أنها هي وعائشة أفضل نساء الرسول عليه الصلاة والسلام وأحب نسائه إليه.

واختلف العلماء أيهما أفضل؛ فقيل: خديجة ، والصحيح أن لكل واحدة منهما مزية تختص بها، لا تشاركها فيها الأخرى.

فلعائشة رضي الله عنها في آخر الرسالة، وبعد موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، من نشر الرسالة والعلم والشريعة ما ليس لخديجة.

وخديجة لها في أول الرسالة ومناصرة النبي ﷺ ومعاضدته ما ليس لعائشة ، فلكل واحدة منهما مزية.

أما الفضيلة الكبرى فكفى لهما فخرًا أنهما أحب نساء النبي ﷺ إليه، ويكفي هذا، وأما الفضائل فكل واحدة لها فضيلة.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أنه في يوم من الأيام توضأ في بيته وخرج يطلب النبي ﷺ ويقول: «**لألزمن رسول الله ﷺ يومي هذا**». ألزمن يعني أكون معه ذاهبًا وآتيًا.

وفي هذا: دليل على أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضئًا لأجل أن يكون مستعدًا للصلاة وهو خارج البيت، فإذا جاء وقت الصلاة وهو في مكان لا يوجد فيه ماء كان علي طهارة وصلى، وإذا حضرت جنازة صلى عليها وهو خارج البيت، أو على الأقل يكون على طهر، لأن كون الإنسان على طهر أفضل من أن يكون على غير طهر، وربما أيضًا يحصل له الموت في هذا الوقت فيكون على طهر، فالإنسان يحرص ما استطاع أن يكون على طهر لا سيما إذا خرج من بيته.

فخرج رضي الله عنه يطلب النبي ﷺ فاتى المسجد ، لأن الرسول عليه الصلاة

Marfat.com

والسلام إما في المسجد وإما في بيته في مهنة أهله[١] ، وإما في مصالح أصحابه عليه الصلاة والسلام فلم يجده في المسجد ، فسأل عنه فقالوا: وجه ها هنا، وأشاروا، إلى ناحية أريس وهي بئر حول قباء فخرج أبو موسى في إثره حتى وصل إلى البئر ، فوجد النبي ﷺ هنالك فلزم الباب رضي الله عنه.

فقضى النبي ﷺ حاجته وتوضأ ثم جلس على قُف البئر - يعني على حافته - ودلى رجليه وكشف عن ساقيه. والظاهر - والله أعلم - أنه كان في ذلك الوقت حر، وهذا البئر فيه ماء ، والماء قريب وحوله الأشجار والنخل والظلال، وعادة أن الإنسان إذا حصل له مثل ذلك فعل مثل هذا الفعل، فيكشف عن ساقيه ليبرد جسمه، وتأتيه من برودة الماء الذي في البئر، وفي هذا الظل.

فجلس عليه الصلاة والسلام متوسطًا للقف - أي حافة البئر - ودلى رجليه، وكشف عن ساقيه، وكان أبو موسى على الباب يحفظ باب البئر فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه، لكنه لم يأذن له أبو موسى حتى يستشير النبي ﷺ ، فقال للنبي ﷺ : هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «ائذن له وبشره بالجنة» ، فأذن له وقال له: يبشرك رسول الله ﷺ بالجنة.

يا لها من بشارة ، يبشره بالجنة ثم يأذن له أن يدخل ليكون مع الرسول ﷺ .

فدخل ووجد النبي ﷺ متوسطًا القف فجلس عن يمينه؛ لأن النبي ﷺ يعجبه التيامن في كل شيء، فجلس أبو بكر عن يمينه، وصنع مثل ما صنع النبي ﷺ دلى رجليه في البئر، وكشف عن ساقيه كراهة أن يخالف النبي ﷺ في هذه الجلسة، وإلا فليس من المشروع أن يجلس الإنسان علي بئر ويدلي رجليه ويكشف عن ساقيه، لكنه لا يحب أن يجلس مع النبي ﷺ على غير الهيئة التي كان النبي ﷺ يجلس عليها.

فقال أبو موسى - وكان قد ترك أخاه يتوضأ ويلحقه: إن يرد الله به خيرًا يأت به، وإذا جاء واستأذن فقد يحصل له أن يُبشر بالجنة ، ولكن استأذن الرجل الثاني ، فجاء أبو موسى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: هذا عمر. قال: «ائذن له وبشره بالجنة». فأذن له، وقال له: يبشرك رسول الله ﷺ بالجنة.

فدخل فوجد النبي ﷺ وأبا بكر على القف، فجلس عن يسار الرسول عليه الصلاة والسلام والبئر ضيقة، ليست واسعة كثيرًا، فهولاء الثلاثة كانوا، في جانب واحد.

ثم استأذن عثمان وصنع أبو موسى مثل ما صنع من الاستئذان فقال النبي ﷺ: «ائذن له وبشرة بالجنة مع بلوى تصيبه»، فأذن له وقال: يبشرك الرسول ﷺ بالجنة مع بلوي

(١) صحيح: سبق تخريجه.

Marfat.com

تصيبك، فاجتمع في حقه نعمة وبلوى، فدخل فوجد القف قد امتلأ، لأنه ليس واسعًا كثيرًا، فذهب إلى الناحية الأخرى تجاههم وجلس فيها، ودلى رجليه، وكشف عن ساقيه.

أولها سعيد بن المسيب ـ أحد كبار التابعين ـ على أنها قبور هؤلاء؛ لأن قبور الثلاثة كانت في مكان واحد، فالنبي ﷺ وأبو بكر وعمر كلهم كانوا في حجرة واحدة، دفنوا جميعًا في مكان واحد، وكانوا في الدنيا يذهبون جميعًا ويرجعون جميعًا، ودائمًا يقول النبي ﷺ : **«ذهبت أنا وأبو بكر وعمر»، «وجئت أنا وأبو بكر وعمر»**(١) ، فهما صاحباه ووزيراه ، ويوم القيامة يخرجون من قبورهم جميعًا.

فجلس عثمان رضي الله عنه تجاههم، وبشره ﷺ بالجنة مع بلوي تصيبه، وهذه البلوي هي ما حصل له رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه وخروجهم عليه، وقتلهم إياه في بيته رضي الله عنه ، حيث دخلوا عليه في بيته في المدينة وقتلوه وهو يقرأ القرآن، وكتاب الله بين يديه.

ويذكر بعض المؤرخين أن قطرة من الدم نزلت على قوله تعالى: ﴿ **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ [البقرة:١٣٧] ، والله أعلم.

لكن على كل حال هو رضي الله عنه كان معروفًا بكثرة القراءة والتهجد، فدخل عليه أولئك المعتدون الظالمون فقتلوه، فقتل شهيدًا.

وبذلك تحقق قول الرسول عليه الصلاة والسلام حينما صعد على جبل أحد ـ وهو جبل معروف كبير في المدينة ـ هو وأبو بكر وعمر وعثمان ، وارتج بهم الجبل، وهذا من آيات الله، ليس هو ارتجاج نقمة وخسف ، لكنه ارتجاج فرح، فلما ارتاج بهم الجبل قال له النبي ﷺ : **«اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان»**(١) فالنبي هو عليه الصلاة والسلام، والصديق أبو بكر، والشهيدان عمر، وعثمان.

وكلاهما رضي الله عنهما قتل شهيدًا؛ أما عمر فقتل وهو متقدم لصلاة الفجر بالمسلمين، قتل في المحراب وأما عثمان فقتل وهو يتهجد في بيته في صلاة الليل، فرضي الله عنهما، وألحقنا وصالح المسلمين بهما في دار النعيم المقيم.

فهذه القضية فيها بشارة لأبي بكر وعمر وعثمان، ولذلك ذكرها المصنف ـ رحمه الله ـ في هذا الباب ، فرضي الله عنهم جميعًا ، وجعلنا والمسلمين ممن يحشرون في زمرة محمد ﷺ .

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥) والترمذي (٣٦٩٧).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٣٦٧٥) والترمذي (٣٦٩٧).

Marfat.com

[٣/ ٧١٠] ــ وعن أبى هريرة رضى اللهُ عنهُ قال : كُنَّا قُعوداً حوْلَ رسول الله ﷺ ، وَمعنا أبو بكْر وعُمرُ رضى الله عنهما فى نَفَر ، فَقَامَ رسُولُ الله ﷺ منْ بين أظْهُرنَا فأبْطأَ علَيْنا ، وخَشينَا أنْ يُقْتطَعَ دُونَنا وفَزِعْنا فقُمْنَا ، فكُنْتُ أوَّلَ مَنْ فَزِعَ ، فَخَرَجْتُ أبْتغى رسُولَ الله ﷺ ، حَتى أتَيْتُ حَائطاً للأنْصار لبَنى النَّجَّار ، فَدُرْت به هَلْ أجدُ لَهُ بَاباً ، فَلَمْ أجدْ ، فَإذَا ربيعٌ يَدْخُلُ فى جوْف حَائط منْ بئر خَارجَهُ ــ وَالرَّبيعُ :الجَدْوَلُ الصَّغيرُ ــ فَاحْتَفَزْتُ ، فَدَخَلْتُ على رسُول الله ﷺ فقَال : « أَبُو هُرَيْرَةَ ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ الله ، قَال : « مَا شَأْنُكَ ؟ » قلتُ : كُنْتَ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنا ، فخشينا أنْ تُقْطَعَ دُونَنَا ، فَفَزِعْنَا ، فَكُنتُ أوَّلَ مَنْ فَزِعَ ، فأتَيْتُ هذَا الحائطَ ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفزُ الثَّعْلَبُ ، وهؤلاء النَّاسُ وَرَائى ، فقَالَ : « يَا أبَا هُرَيْرَةَ » وأعْطَانى نَعْلَيْه فقَالَ : « اذْهَبْ بنَعْلَيَّ هاتَيْن ، فَمَنْ لَقيتَ منْ وَرَاء هذَا الحائط يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله مُسْتَيْقناً بها قَلْبُهُ ، فَبَشِّرْهُ بالجَنَّة » وَذَكَرَ الحَديثَ بطُوله ، رواه مسلم .

« الرَّبيعُ » : النَّهْرُ الصَّغيرُ ، وَهُوَ الجَدْوَلُ ــ بفتح الجيم ــ كَمَا فَسَّرَهُ فى الحَديث .

وقوله : « احْتَفَزْتُ » : روى بالرَّاء وبالزَّاي ، ومعناهُ بالزاى : تَضامَمْتُ وتَصاغَرْتُ حَتَّى أمكَنَنى الدُّخُول .

الشرح

هذا الحديث الذي نقله المؤلف في باب التبشير والتهنئة بالخير فيه أيضًا البشارة ، فإن النبي ﷺ كان جالسًا في أصحابه في نفر منهم، ومعه أبو بكر وعمر ، فقام النبي ﷺ ثم أبطأ عليهم، فخشوا أن يكون أحد من الناس اقتطعه دونهم ، لأن النبي ﷺ مطلوب من جهة المنافقين ومن جهة غيرهم من أعداء الدين.

فقام الصحابة رضي الله عنهم فزعين ، فكان أول من فزع أبو هريرة رضي الله عنه، حتى أتى حائطًا لبني النجار، فجعل يطوف به لعله يجد بابًا فلم يجد ، ولعله أراد بابًا مفتوحًا فلم يجد لأنه من المعلوم أن الحيطان لابد أن يكون لها أبواب، ولكن لعله أن يكون وجد بابًا مغلقًا، ولكنه وجد فتحة صغيرة في الجدار فضم جسمه حتى دخل فوجد النبي ﷺ

فقال له: «أبو هريرة».قال نعم . فأعطاه نعليه عليه الصلاة والسلام وقال له «اذهب بنعلي هاتين ، فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا به قلبه فبشره

---

(١) رواه مسلم (٣١).

بالجنة».

فخرج أبو هريرة رضي الله عنه ومعه نعلاً رسول الله ﷺ ، وكأن الرسول ﷺ أعطاه النعلين أمارة وعلامة أنه صادق، لأن هذه بشارة عظيمة، أن من شهد أن لا إله إلا الله مستقيمًا بها قلبه دخل الجنة، لأن الذي يقول: هذه الكلمة مستيقنًا بها قلبه لا بد أن يقوم بأوامر الله ويجتنب نواهي الله، لأنه يقول: لا معبود بحق إلا الله، وإذا كان هذا معنى تلك الكلمة العظيمة، فإنه لا بد أن يعبد الله عز وجل وحده لا شريك له.

أما من قالها بلسانه ولم يوقن بها قلبه ـ والعياذ بالله ـ فإنها لا تنفعه، فهاهم المنافقون يشهدون أن لا إله إلا الله، لا يذكرون الله إلا قليلاً، ويقومون ويصلون، ولكنهم يصلون صلاة المنافقين، فالصلاة ثقيلة عليهم ، وأثقفها صلاة العشاء والفجر ، ويأتون للرسول عليه الصلاة والسلام يقولون: نشهد إنك لرسول الله ، ويؤكدون هذا.

ولكن الله يقول: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. لم تستيقن قلوبهم بلا إله إلا الله ولا بمحمد رسو الله ، ولهذا لم تنفعم ، أما من استيقن بها قلبه فهذا هو الذي يبشر بذلك.

ولكن لا يمكن أن يوجد إنسان صادق يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويترك الفرائض، ولهذا لايكون هذا الحديث دليلاً على أن تارك الصلاة لا يكفر لا، ليس فيه دلالة، لأن تارك الصلاة يكفر ولو قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لأنه يقولها من غير يقين. إذ كيف يقولها من يقين ويترك الصلاة ويحافظ على تركها والعياذ بالله.

ولكن قد يرد على القلب وساوس من الشيطان في الله عز وجل، وهذه الوساوس لا تضر المؤمن شيئًا ، فإن النبي ﷺ قال: «هذا صريح الإيمان»[(١)] . ليس معنى ذلك أن الوساوس نفسها صريح الإيمان، لكن الوساوس دليل على خالص الإيمان ، لأن الشيطان يأتي إلى القلب الخالص الصريح الخالي من الشك ويُوقع عليه الوساوس لعله يشك ، أو لعله يفسد إيمانه.

فيأتي الشيطان إلى العامر بالإيمان فإذا دافعه الإنسان ، وقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأخذ يوحد الله عز وجل ويمجده وأعراض عن هذه الوساوس زالت عنه، والشيطان لا يأتي إلى قلب خراب ليفسده ، لأن القلب الخراب خراب.

ويذكر أن ابن مسعود أو ابن عباس رضي الله عنهما جاء إليه ناس يقولون: إن اليهود

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٣٢) واحمد (١/ ٤٤١).

Marfat.com

يقولون: نحن لا نوسوس في الصلاة. فقال ابن عباس أو ابن مسعود : وما يصنع الشيطان بقلب خراب؟

معنى هذا أن قلوبهم خربة، والقلوب الخربة لا يأتي الشيطان لها ، لأنها انتهت إلى ما يريده الشيطان، إنما يأتي الشيطان للقلوب السليمة المخلصة من أجل أن يلقي عليها الوساوس والشكوك.

فدع عنك هذه الوساوس والشكوك والتجيء إلى ربك، وقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فسيزول عنك ذلك بإذن الله.

ففي هذا الحديث: بشارة بالخير، وهو أن من شهد أن لا إله إلا الله موقنًا بها قلبه فليبشر بالجنة.

* * *

[٤/ ٧١١] ـ وعَن ابن شُمَاسَةَ قالَ : حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العَاص رضيَ اللّهُ عنه ، وَهُوَ في سِيَاقَةِ المَوْت فبكى طَويلاً ، وحَوَّلَ وَجْهَهُ إلى الجدار ، فَجعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أبَتَاهُ ، أمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللّه ﷺ بكَذَا ؟ أمَا بَشَّرك رَسُولُ اللّه ﷺ بكذَا ؟ فَأقْبَلَ بوَجْهه فَقَالَ : إنَّ أفْضَلَ مَا نُعدُّ شَهَادَةُ أنْ لا إله إلا اللّهُ ، وأنَّ مُحَمَّداً رَسُولَ اللّه ، إنّى قَدْ كُنْتُ على أطبَاقٍ ثَلاث : لَقَدْ رَأيْتُنى ومَا أحَدٌ أشَدَّ بُغضاً لرَسُول اللّه ﷺ منّى ، ولا أحبَّ إلىَّ منْ أنْ أكُونَ قَدْ استَمْكَنْتُ منْهُ فَقَتَلْتُهُ ، فَلَوْ مُتُّ علَى تلْكَ الحالَ لَكُنْتُ منْ أهْلِ النّار ، فَلَمَّا جَعلَ اللّهُ الإسْلامَ فى قَلْبى أتَيْتُ النّبىَّ ﷺ فَقُلْتُ : ابْسُطْ يمينَكَ فَلأبَايِعْكَ ، فَبَسَطَ يَمينَهُ فَقَبَضْتُ يَدى ، فقالَ : « مالكَ يَا عَمرو ؟ » قلت : أرَدْتُ أن أشْتَرطَ قالَ : « تَشْتَرطُ مَاذَا ؟ » قُلْتُ : أنْ يُغفرَ لى ، قَالَ : « أمَا عَلمْتَ أنَّ الإسْلامَ يَهْدمُ ما كَانَ قَبلَهُ ، وأن الهجرَةَ تهدمُ ما كان قَبْلَهَا ، وَأنَّ الحجَّ يَهدمُ ما كانَ قَبْلَهُ ؟ » وما كان أحَدٌ أحبَّ إلىَّ منْ رسول اللّه ﷺ ولا أجَلَّ فى عَينى منْهُ ، ومَا كُنتُ أُطيقُ أن أملأ عَينى منه إجلالاً له ، ولو سُئلتُ أن أصفَهُ ما أطَقتُ ؛ لأنى لَم أكن أملأ عَينى منه ، ولو مُتُّ علَى تلكَ الحال لَرَجَوتُ أنَ أكُونَ منْ أهْلِ الجَنَّة ، ثم ولينَا أشياءَ ما أدرى ما حَالى فيها ؟ فَإذا أنا مُت فلا تَصحبَنّى نَائحَةٌ ولا نَارٌ ، فإذا دَفَنتمُونى ، فَشُنُّوا علَىَّ التُرابَ شَنّا ، ثم أقيمُوا حَولَ قَبرى قَدرَ ما تُنحَرُ جَزورٌ ، ويُقْسَمُ لَحْمُهَا ، حَتّى أستَأنِس بكُمْ ، وأنظرَ ما أُرَاجعُ بِهِ رسُلَ ربى. رواه مسلم .

(٤/ ٧١١) صحيح : رواه مسلم (١٢١).

Marfat.com

قوله: « شُنُّوا » رُوِيَ بِالشينِ المعجمة وبالمهملةِ ، أي:صُبُّوهُ قلِيلاً قليلاً والله سبحانه أعلم.

الشرح

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في سياق الأحاديث الواردة في التبشير والتهنئة بالخير حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، تلك القصة العظيمة أنه حضرة بعض أصحابه وهو في سياق الموت، فبكى بكاءً شديدًا وحول وجهه نحو الجدار رضي الله عنه، وهو في سياق الموت سيفارق الدنيا، فقال له ابنه: علام تبكي وقد بشرك النبي ﷺ بالجنة؟ فقال: يا بني ، إني كنت على أطباق ثلاث ـ أطباق يعني أحوال ـ ومنه قوله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩]. يعني حالاً بعد حال.

ثم ذكر هذه الأطباق الثلاث؛ أنه كان يُبغض النبي ﷺ بغضًا شديدًا، وأنه لم يكن على وجه الأرض أحد يبغضه كما كان يبغضه هو، وأنه يود أنه لو تمكن منه فقتله، وهذا أشد ما يكون من الكفر، حتى ألقى الله الإسلام في قلبه، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ابسط يدك فلأبايعك على الإسلام، وكان النبي ﷺ أحسن الناس خلقًا، فمد يده ولكن عمرو بن العاص كف يده، كف يده ليس استكبارًا، ولكن استثباتًا لما سيذكره ، فقال له: «**مالك؟**» قال: يا رسول الله ، إني أشترط ـ يعني على الإسلام ـ قال: «**ماذا تشترط**»؟ قال: أشترط أن يُغفر لي.

هذا أكبر همه رضي الله عنه ، يشترط أن الله يغفر له، ظن أن الله لن يغفر له لما كان له من سابقة في محاربة الدين، فقال له النبي ﷺ : «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله**» ثلاثة أشياء.

أما الإسلام فإنه يهدم ما كان قبله بنص الكتاب العزيز، قال الله عز وجل: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ**﴾ [الأنفال:٣٨].

والهجرة: إذا هاجر الإنسان من بلده التي كان يعيش فيها وهي بلد كفر، هدمت ما قبلها.

والحج يهدم ما قبله لقول النبي ﷺ : «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»(١) .

فبايع رضي الله عنه وأحب النبي ﷺ حبًا شديدًا حتى كان أحب الناس إليه، وحتى أنه لا يستطيع أن يحد النظر فيه إجلالاً له عليه الصلاة والسلام. سبحان مقلب القلوب! بالأمس كان يبغضه بغضًا شديدًا ، حتى يتمنى أنه يقدر عليه فيقتله، والآن ما يستطيع أن

(١) صحيح: رواه البخاري (١٥٢١) ومسلم (١٣٥٠).

Marfat.com

يرفع طرفه إليه إجلالاً له، ولا يستطيع أن يصفه لأنه لا يحيط به، حيث إنه لم يدركه إدراكًا جيدًا مهابة له ﷺ .

يقول رضي الله عنه: إنه لو مات على الطبق الأول لكان من أهل النار، يقول: ولو مت على تلك الحال يعني الطبق الثانى، لرجوت أن أكون من أهل الجنة. انظر الاحتياط فقد جزم أنه لو مات على الحال الأولى لكان من أهل النار، أما الحال الثانية فإنه لشدة خوفه قال: لو مت على هذه الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة، ولم يقل: لكنت من أهل الجنة؛ لأن الشهادة بالجنة أمرها صعب، نسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهلها.

ثم إنه بعد ذلك تولى أمورًا رضي الله عنه، تولى إمارات وقيادات، وحصل ما حصل في قصة حرب معاوية وغيره، وكان عمرو بن العاص معروف أنه من أدهى العرب وأذكى العرب، فيقول:أخشى من هذا الذى حدث بعد الطبق الأوسط أن يكون أحاط بعمله.

ثم أوصى رضي الله عنه إذا مات فلا تتبعه نائحة ـ والنائحة: هي المرأة التي تنوح على الميت وتبكي عليه بكاءً يشبه نوح الحمام ـ، وأمر رضي الله عنه إذا دفنوه أن يبقوا عند قبره قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى يراجع رسل ربه وهم الملائكة الذين يأتون إلى الميت إذا دفن.

إذا دفن الميت فإنه يأتيه ملكان يجلسانه في قبره ويسألانه ثلاثة أسئلة ، يقولون: من ربك؟ ومادينك؟ ومن نبيك؟ أما المؤمن الذي ثبته الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ـ جعلنا الله منهم بمنة وكرمه ـ فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيى محمدﷺ يثبته الله في هذا المقام الضنك.

وأما المنافق ـ والعياذ بالله ـ أو المرتاب الذي عنده الشك فيقول: ها ها لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. لأن الإيمان ما دخل إلى قلبه ولا وقر في قلبه، فهو يسمع ويقول، لكن ـ نسأل الله العافية ـ لم يلج الإيمان قلبه، فيضرب بمرزبة، والمرزبة: هي المطرقة العظيمة من حديد؛ يضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان.

وقال النبي ﷺ : **«ولو سمعها الإنسان لصعق»**[(١)] ، لو يسمع الناس من يعذب في قبره لصعقوا ، لأنه يصيح لا نظير له في الدنيا، لأن الصياح في الدنيا مهما كان لا يموت منه أحد، لكن هذه صيحة عظيمة ليس لها نظير ، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق.

(١) صحيح : سبق تخريجه.

Marfat.com

فأمر عمرو بن العاص رضي الله عنه أهله أن يقيموا عليه قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها ليستأنس بهم، وهذا يدل على أن الميت يحس بأهله، وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا من دفنه. قرع النعال الخفي يسمعه الميت إذا انصرفوا (١) من دفنه .

وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام في حديث حسن أنه كان إذا دفن الميت وقف عليه وقال: «**استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل**»(٢) ، فيستحب إذا دُفن الميت أن يقف الإنسان على قبره ويقول: اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم ثبته، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، اللهم اغفر له، لأن النبي ﷺ كان إذا سلم سلم ثلاثًا، وإذا دعا دعا ثلاثًا.

نسأل الله تعالى أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

المهم أن ابن عمرو بن العاص قال له: بشرك الله بالجنة، وهذا من باب البشارة بالخير والتهنئة به.

* * *

(١) صحيح : رواه البخاري (١٣٧٤) مسلم (٢٨٧٠).

(٢) صحيح : رواه مسلم (٩٥١) ابو داود (٣٢٢١).

Marfat.com

٩٦ - باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قال الله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ . أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٢،١٣٣) .

وأما الأحاديث :

[١/ ٧١٢] ـ فمنها حَديثُ زيدِ بنِ أرْقَمَ رضى اللّه عنه ـ الذى سبق فى باب إكرامِ أهْلِ بَيْت رسول الله ﷺ ـ قال : قامَ رسول الله ﷺ فينَا خَطيباً ، فَحَمدَ الله ، وأَثْنى علَيْه ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ ، ثُمَّ قال : « أمَّا بَعْدُ ، ألا أيُّهَا النَّاسُ ، إنَّمَا أنا بَشَرٌ يُوشكُ أنْ يَأتى رَسُولُ ربى فأجيبَ ، وَأنَا تَارِكٌ فيكُمْ ثَقَلَيْن : أولُهمَا : كتَابُ الله ، فيه الهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بكتَاب الله ، واسْتَمْسكُوا به » فَحَثَّ عَلَى كتَاب اللّه ، وَرَغَّبَ فيه ، ثُمَّ قال : «وأهْلُ بيْتى ، أُذَكِّرُكُمُ اللّه فى أهْلِ بيْتى » رواه مسلم . وقَدْ سَبَقَ بطُوله .

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه).

وذلك أن الإنسان إذا سافر فينبغي لذويه وأقاربه وأصحابه أن يودعوه، وأن يوصوه بتقوى الله عز وجل، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وكان النبي ﷺ إذا بعث جيشًا أو سرية وأمر عليهم أميرًا قال له: «أوصيك بتقوى الله ومن معك من المسلمين خيرًا»(١) ، وذلك أن الإنسان يحتاج إلى من يساعده ويعينه على طاعة ربه لا سيما عند السفر، لأن السفر محل الشغل والتقصير لا سيما فيما سبق من الزمان ، لما كانت الأسفار بعيدة على المطايا وعلى الأقدام، فالناس يحتاجون إلى وصية وإلى تثبيت وإلى إعانة.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ الآيات الواردة في ذلك فذكر قوله تعالى:

(١/ ٧١٢) صحيح رواه مسلم (٢٤٠٨) وأحمد (٣/ ٢٦، ٥٩).

(١) صحيح : رواه مسلم (١٧٣١)..

Marfat.com

﴿ ووَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]. وهذه الوصية هو قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ١٣١]. ولم يتردد فأسلم لله وانقاد له.

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ يعني: وصى بهذه الوصية، وهي أن يسلموا لله عز وجل ظاهرًا وباطنًا، فالإسلام الظاهر يكون بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، والإسلام الباطن يكون بالإيمان بالله وملائكته وكتبه إلى آخره.

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ يعني أن إبراهيم ويعقوب كلاً منهما وصى بها بنيه قائلاً: ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ ﴾ أي اختاره لكم ﴿ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ المعنى: استدينوا الإسلام واثبتوا عليه إلى الممات ولا ترتدوا عنه.

﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [البقرة: ١٣٣]. وهذا غاية التوحيد، وهو من نصح يعقوب عليه السلام لنبيه حيث أراد أن يعرف حالهم قبل أن يفارق الدنيا، ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ [البقرة: ١٣٣].

أما إبراهيم فهو أبوه يعني جده، وإسحاق أبوه من صلبه، وأما إسماعيل فهو عمه لكن أطلق عليه لفظ الآباء من باب التغليب؛ لأن العم صنو الأب، كما قال النبي ﷺ لعمر: «أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»(١) يعني شريكه في الأصل والجذر. والصنو هو عبارة عن النخلتين يكون أصلهما واحدًا وهما قرينتان.

فهذه الوصية ينبغي للإنسان أن يوصي بها من أراد سفرًا ، وأن يوصي بها أهله وأن يتعاهدهم عليها، لأنها هي التي عليها بناء كل شيء، فلا دين بدون إخلاص، ولا عبادة بدون إخلاص ، ولا اتباع بدون إخلاص، كل شيء مبناه على الإخلاص لله عز وجل.

* * *

[٢/ ٧١٣] ـ وعن أبي سُلَيْمَانَ مَالِك بْنِ الحُوَيْرِث رضي الله عنه قال: أتيْنَا رسول الله ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فأقمنا عنده عشرين لَيْلَةً، وكانَ رسولُ الله ﷺ رَحِيماً رفيقاً فَظَنَّ أنَّا قد اشْتَقْنَا أهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فقال: «ارْجِعُوا إلى أهْلِيكُمْ، فَأَقِيموا فيهم، وعلموهم ومروهم، وصلوا صلاة كذا في حين كذا، وصَلُّوا كذا

(١) صحيح: رواه مسلم (٩٨٣).

(٢/ ٧١٣) صحيح: رواه البخاري (٦٢٨) ومسلم (٦٧٤).

Marfat.com

في حينِ كَذا ، فَإذا حَضرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤذنْ لكمْ أحَدُكُم ولْيَؤمكُم أكبَرُكُم ». متفقٌ عليه .

زاد البخاري في رواية له : « وَصَلُّوا كما رأيتموني أُصَلِّي » .

قوله : « رَحِيماً رَفِيقاً » رُوِيَ بفاء وقاف ، وروي بقافين .

الشرح

قال المؤلف النووي - رحمه الله تعالى - في باب توديع الصاحب والمسافر ما نقله مالك ابن الحويرث رضي الله عنه قال: أتينا رسول الله ﷺ ونحن شببةٌ متقاربون، وهذا في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، وكانوا شبابًا، فأقموا عند النبي ﷺ عشرين ليلة.

جاءوا من أجل أن يتفقهوا في دين الله، قال مالك : وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فظنَّ أنا قد اشتقنا أهلنا، يعني اشتقنا إليهم، فسألنا عمن تركنا من أهلنا فأخبرناه، فقال: «ارْجعُوا إلى أهْلِيكُمْ ، فَأقيموا فيهم ، وعلموهم ومروهم ، وصلوا صلاة كذا في حينِ كَذا، وَصلُّوا كذا في حينِ كَذا ، فَإذا حَضرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤذنْ لكمْ أحَدُكُم ولْيَؤمكُم أكبَرُكُم» زاد البخاري «وَصلُّوا كما رأيتموني أُصلِّي».

فهذا الحديث فيه فوائد:

منها: أن النبي ﷺ كان مشهورًا بالرحمة والرفق فكان أرحم الناس بالناس، وكان أرفق الناس بالناس عليه الصلاة والسلام. رحيمًا رفيقًا، حتى إن الجارية من أهل المدينة - البنت الصغيرة - كانت تمسك بيده ليذهب معها ليقضي حاجتها، وحتى العجوز كذلك، فكان عليه الصلاة والسلام أرحم الناس بالناس، وأرفق الناس بالناس .

ومنها: أن الإنسان ينبغي له أن يكون شعوره شعور الآخرين، لا يكون أنانيًا إذا تمت له الأمور نسي من سواه، فإن رسول الله ﷺ كان مقيمًا في أهله مستريح البال مطئمن القلب مرتاح النفس، لكن هؤلاء الناس الشببة الذين جاءوا يتعلمون الدين، كانت الفطرة والعادة أن الإنسان يشتاق إلى أهله، فلما رأى أنهم اشتاقوا إلى أهلهم وسألهم: من خلفوا وراءهم واخبروه . أمرمهم أن يرجعوا إلى أهليهم.

فينبغي عليك أن تشعر بشعور الآخرين وأن تجعل نفسك مكانهم حتى تعاملهم بما تحب أن تعامل به نفسك.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان أن يقيم في أهله ما أمكنه، ولا ينبغي أن يتغرب عنهم ولا أن يبتعد عنهم، حتى إن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر المسافر إذا سافر وقضى حاجته أن يرجع إلى أهله؛ لأن بقاء الإنسان في أهله فيه خير كثير، فيه الألفة والمودة والمحبة، والتربية و [illegible] احوالهم، والتأديب والتوجيه، لهم، فلهذا كان الذي ينبغي للإنسان ألا يفارق أهله إلا عند الحاجة ، ومتى انتهت حاجته رجع إليهم.

Marfat.com

ومن فوائد الحديث: أن الإنسان مأمور بأن يعلم أهله ولهذا قال: «ارجعوا إلى أهليكم وعلموهم» ، يعلمونهم ما تعلموه من رسول الله ﷺ ، فالإنسان ينبغي له أن يعلم أهله ما يحتاجون إليه، إما أن يجعل جلسة خاصة لهم، أو إذا جلسوا على الطعام أو على الشراب أو في انتظار النوم أو ما أشب يعلمهم.

ومن فوائد الحديث أيضًا: الإنسان لا يقتصر على التعليم فقط، قال: «علموهم ومروهم» فيعلمهم ويأمرهم، وأهم ما يأمر به: الصلاة، وقد نص الرسول عليه الصلاة والسلام عليها فقال: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»(١) فلا بد من تعليم الأهل ، ولا بد من أمرهم وتأديبهم وتوجيههم.

ومن فوائد الحديث: وجوب الأذان وأنه فرض كفاية؛ لقوله: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم».

ومنها: أنه لا يصح الأذان قبل الوقت، فلو أذن الإنسان قبل الوقت ولو بتكبيرة واحدة من الأذان فإن أذانه لا يصح، ويجب عليه أن يعيده بعد دخول الصلاة، لقوله: « إذا حضرت الصلاة» والصلاة لا تحضر إلا إذا دخل وقتها.

وبهذا نعرف أن قول الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي محذورة: «إذا أذنت بالأول من الصبح فقل: الصلاة خير من النوم مرتين»(٢) المراد به الآذان الذي يكون بعد دخول الوقت، لأنه قال الأول لصلاة الصبح.

خلافًا لما فهمه بعض الناس من أن المراد بذلك الأذان الذي يكون قبل الفجر، لأن الأذان الذي يكون قبل الفجر ليس أذانًا لصلاة الفجر، فقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن الأذان الذي يكون قبل الفجر هو لإيقاظ النائم وإرجاع القائم. فقال: «إن بلالاً يؤذن بليل ليوقظ نائمكم ويرجع قائمكم، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر»(٣) .

هكذا قال النبي ﷺ فبين في هذا الحديث أن الأذان الذي يكون في آخر الليل، والذي يسميه الناس الأذان الأول ليس للفجر وليس للصلاة؛ لأن الأذان للصلاة لا يكون إلا بعد دخول وقتها: «إذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم»، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن هذا الأذان ليس لصلاة الفجر بقوله: «ليرجع قائمكم» يعني: ليرده ليتسحر

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٩٥) والترمذي (٤٠٧) وصححه الالباني في الإرواء (٢٤٧) وصحيح ابي داود (٢٤٧).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٤٠٨) وصححه الالباني في صحيح الجامع (٢٩٨).

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٩١٩) ومسلم (١٠٩٢).

Marfat.com

«ويوقظ نائمكم» ليتسحر.

ومن فوائد هذا الحديث: وجوب صلاة الجماعة لقوله: **«وليؤمكم أكبركم»** واللام هنا للأمر فصلاة الجماعة واجبة.

ومن فوائد الحديث: أن صلاة الجماعة واجبة على المسافرين كما هي واجبة على المقيمين، لأن هؤلاء وفد سيرجعون إلى أهليهم، فهم مسافرون، وأمرهم مع ذلك بالصلاة جماعة، وعلى هذا فإذا كان الإنسان في البلد وهو مسافر، فإنه يجب عليه أن يحضر الجماعة في المساجد.

وبعض العامة إذا قلت له: صل قال: أنا مسافر، والمسافر ما عليه صلاة جماعة. هذا خطأ يجب عليك أن تصلي مع الجماعة في المساجد ولو كنت مسافرًا، فأنت وأهل البلد سواء، قال النبي عليه الصلاة والسلام لرجل: **«أتسمع النداء؟»** قال: نعم. قال: **«فأجب»**(١).

ومن فوائد هذا الحديث: تقديم الكبير في الإمامة لقوله: **«وليؤمكم أكبركم»** وهذا لا ينافي قوله عليه الصلاة والسلام: **«يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله»**(٢)؛ لأن هؤلاء الشباب كلهم وفدوا في وقت واحد، والظاهر أنه ليس بينهم فرق بين في قراءة القرآن، وأنهم متقاربون، ليس بعضهم أقرأ من بعض ولهذا قال: **«وليؤمكم أكبركم»** لأنهم متساوون في القراءة أو متقاربون، فإذا تساووا في القراءة والسنة والهجرة، فإنه يرجع إلى الأكبر سنًا.

وفيه أيضًا: اعتبار الكبر في السن وأن الكبير في السن مقدم على غيره إذا لم يكن لغيره ميزة يفضل بها هذا الكبير في السن.

ومن فوائده أيضًا: أنه ينبغي للإنسان أن يوجه الناس لكل أمر وأن كان يظن أنه معلوم، ولهذا قال: **«صلوا صلاة كذا في حين جذا»** مع أنهم قد صلوا مع النبي عليه الصلاة والسلام وصلوا معه عشرين ليلة، وهم يعلمون ذلك، لكن من أجل التنبيه قال: صلوا الظهر مثلاً في وقت كذا، وصلوا العصر في وقت كذا، صلوا المغرب في وقت كذا، صلوا العشاء في وقت كذا، صلوا الفجر في وقت كذا.

ومن فوائد هذا الحديث: أن النبي ﷺ كان يعلم الناس بالقول وبالفعل، فعلم الذي صلى بغير طمأنينة بالقول، قال: **«إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء، ثم استقبل القبلة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع»**(٣) إلى آخره.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٦٥٣).
(٢) صحيح رواه مسلم (٦٧٣) وأبو داود (٥٨٢).
(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٦٦٧) ومسلم (٣٩٧)

Marfat.com

أما هؤلاء فقال لهم: «صلوا كما رأيتموني أصلي» وهذا تعليم بالفعل، وكما فعل عليه الصلاة والسلام حينما صنع له المنبر ، فصعد عليه وجعل يصلى بالناس وهو على المنبر، فيركع وهو على المنبر فإذا أراد السجود نزل من المنبر وهو مستقبل القبلة ثم سجد، وقال لما سلم : «إنما فعلت هذا لتأتموا بي ولتعلموا صلاتي»(١) .

ومن فوائد هذا الحديث: أنه يجب على الإنسان أن يعرف كيف كان النبي ﷺ يصلي، فيقرأ من كتب العلم التي كتبها من يوثق في علمه كان الرسول ﷺ يصلي ، حتى ينفذ أمر الرسول في قوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي».

* * *

[٣/ ٧١٤] ـ وعن عُمَرَ بن الخطَّاب رضى الله عنه قال : اسْتَأذَنْتُ النبيَّ ﷺ فى العُمْرَة ، فأذنَ ، وقال : « لا تَنسَنَا يَا أخَيَّ مِنْ دُعَائكَ » . فقالَ كَلمَةً مَا يَسُرّنى أنَّ لى بهَا الدُّنيا .وفى روايَة قال : أشْرِكْنَا يَا أخَيَّ فى دُعَائكَ » . رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

[٤/ ٧١٥] ـ وعن سالم بن عَبْد الله بن عُمَرَ أنَّ عبدَ الله بن عُمَرَ رضى الله عنهما كان يَقُولُ للرَّجُلِ إذَا أرادَ سَفَراً : ادْنُ مِنّى حَتَّى أُودعَكَ كَمَا كَانَ رسول الله ﷺ يودّعُنَا، فيقُولُ : « أَسْتَودِعُ اللّه دِينَكَ ، وأمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ » . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

[٥/ ٧١٦] ـ وعن عبد الله بن يَزيدَ الخَطْمىّ الصَّحَابىِّ رضى الله عنه قالَ : كَانَ رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أنْ يُوَدّعَ الجَيْشَ قَالَ : « أَسْتَوْدِعُ اللّه دِينَكُمْ ، وَأمَانَتَكُم ، وخَوَاتِيمَ أعمَالِكُمْ » . حديث صحيح ، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح .

[٦/ ٧١٧] ـ وعن أنس رضى الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إلى النبىّ ﷺ فقال : يا رَسُولَ الله ، إنى أُريدُ سفَراً ، فَزَوِّدْنى ، فَقَال : « زَوَّدَكَ اللّهُ التَّقْوَى » قال : زِدْنى ، قال : «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ » ، قال : زِدْنى ، قال : « وَيَسَّرَ لك الخَيرَ حَيْثُمَا كُنْتَ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٩١٧) ومسلم (٥٤٤).

(٣/ ٧١٤) ضعيف : رواه أبو داود (١٤٩٨) الترمذي (٣٥٦٢) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٢).

(٤/ ٧١٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٤٤٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٣٨).

(٥/ ٧١٦) صحيح: رواه أبو داود (٢٦٠١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٦٦).

(٦/ ٧١٧) حسن صحيح: رواه الترمذي (٣٤٤٤) وقال الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٣٩): حسن صحيح.

Marfat.com

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها النووي ـ رحمه الله ـ في هذا الباب فيما يستحب من وداع الصاحب والدعاء له وطلب الدعاء منه، فذكر حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أراد أن يعتمر، فاستأذن النبي ﷺ فأذن له. وقال: «**لا تنسنا ياأخي من دعائك**» وفي رواية: «**أشكرنا يا أُخي في دعائك**» وذكر أن الترمذي أخرجه وقال: إنه حسن صحيح ولكن الحقيقة أنه ضعيف وأنه لا يصح عن النبي ﷺ.

وطلب الدعاء من الغير ينقسم إلى أقسام:

القسم الأول: أن يطلب من الغير الدعاء لصالح المسلمين جميعًا. ـ أي شيء عام ـ فهذا لا بأس به، وقد دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال: يارسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، ادع الله يُغيثنا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا**» فأنشأ الله سحابة فانتشرت وتوسعت وأمطرت، ولم ينزل النبي ﷺ من المنبر إلا والمطر يتحادر من لحيته، وبقي المطر أسبوعًا كاملاً.

وفي الجمعة الثانية دخل رجل آخر أو الأول فقال: يا رسول الله، غرق المال، وتهدم البناء، فادع الله يمسكها عنا، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**» وجعل يشير إلى النواحي، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت وتمايز السحاب، حتى خرج الناس يمشون في الشمس(١).

فإذا طلبت من شخص صالح مرجو الإجابة شيئًا عامًا للمسلمين فهذا لا بأس به، لأنك لم تسأل لنفسك، مثال ذلك: لو أن رجلاً جاء إليك يطلب منك الشفاعة لتغيث رجلاً ملهوفًا، أو تقضي عنه دينه، أو ترفع الظلم عن رجل ضعيف من المسلمين، فإن هذا لا بأس به لأن المصلحة لغيره.

القسم الثاني: أن يطلب الدعاء من الرجل الصالح من أجل أن ينتفع الرجل بهذا الدعاء، ولا يهمه هو أن ينتفع، لكن يجب من هذا الرجل الذي طلب منه الدعاء أن يلجأ إلى الله، وأن يسأل الله عز وجل، وأن يعلق قلبه بالله، وأن يعلم أن الله سبحانه وتعالى سميع الدعاء، المهم أن يكون قصده مصلحة هذا الرجل، فهذا لا بأس به أيضًا، لأنك لم تسأله لمحض نفعك، ولكن لنفعه هو، فأنت تريد أن يزداد هذا الرجل الصالح خيراً بدعاء الله عز وجل، وأن يتقرب إلى الدعاء وأن يحصل على الأجر والثواب.

القسم الثالث: أن يطلب الدعاء من الغير لمصلحة نفسه هو، فهذا أجازه بعض العلماء

---

(١) صحيح رواه البخاري (١٠٣٣) ومسلم(٨٩٧).

Marfat.com

وقال: لا بأس أن تطلب من الرجل الصالح أن يدعو لك.

لكن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قال: لا ينبغي إذا كان قصدك مصلحة نفسك فقط[١]، لأن هذا قد يدخل في المسألة المذمومة، لأن النبي ﷺ بايع أصحابه ألا يسألوا الناس شيئًا[٢].

وكذلك لأنه ربما يعتمد هذا السائل الذي سأل غيره أن يدعو له؛ ربما يعتمد على دعاء هذا الغير، وينسى أن يدعو هو لنفسه، فيقول: أنا قلت لفلان ـ وهو رجل صالح ـ ادعُ الله لي، وإذا استجاب الله هذا الدعاء فهو كاف. فيعتمد على غيره، وكذلك لأنه ربما يلحق المسئول غرور في نفسه، وأنه رجل صالح يطمع الناس إلى دعائه، فيحصل في هذا شر على المسئول.

وعلى كل حال فإن هذا القسم الثالث مختلف فيه، فمن العلماء من قال: لا بأس أن تقول للرجل الصالح: يا فلان، ادع الله لي، ومنهم من قال: لا ينبغي، والأحسن ألا تقول ذلك، لأنه ربما يمن عليك بهذا، وربما تذل أمامه بسؤالك، ثم إنه من الذي يحول بينك وبين ربك؟ ادع الله بنفسك، لا أحد يحول بينك وبين الله.

لماذا تذهب تفتقر إلي غيرك وتقول: ادع الله لي وأنت ليس بينك وبين ربك واسطة؟ قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

* * *

(١) انظر مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٢).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٤٣) وأبوداود (١٦٤٢) والنسائي (١ / ٢٢٩). وابن ماجه (٢٨٦٧).

Marfat.com

٩٧ ـ باب الاستخارة والمشاورة

قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى:٣٨) أي: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فيه.

[١/٧١٨] ـ عن جابر رضي الله عنه قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا كالسُّورَةِ منَ القُرآنِ، يَقُولُ: «إذا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمر، فَلْيَرْكَعْ رَكعَتَيْنِ من غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثم ليَقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بعلمكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ، وأَسأَلُكَ من فَضْلكَ العَظِيمِ؛ فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلا أَقْدِرُ، وتَعْلَمُ وَلا أعْلَم، وأَنتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إنْ كُنتَ تَعْلَمُ أَنَّ هذا الأمرَ خَيْرٌ لي في دِيني وَمعاشي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي» أوْ قال: «عاجِلِ أمْرِي وآجِله، فاقْدُرْهُ لي ويَسِّرْهُ لي، ثمَّ بَارِكْ لي فيه، وإن كُنْتَ تَعلَمُ أنَّ هذَا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِيني وَمَعَاشي وَعَاقِبَةِ أمري» أو قال: «عَاجِلِ أمري وآجله، فاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفني عَنْهُ، وَاقدُرْ ليَ الخَيرَ حَيْثُ كانَ، ثمَّ أرْضِنِي به» قال: ويسمِّي حاجته. رواه البخاري.

الشرح

قال النووي ـ رحمه الله ـ: (باب الاستخارة والمشاورة).

والاستخارة مع الله، والمشاورة مع أهل الرأي والصلاح، وذلك أن الإنسان عنده قصور أو تقصير، والإنسان خلق ضعيفًا، فقد تشكل عليه الأمور، وقد يتردد فيها، فماذا يصنع؟ لنفرض أنه هم بسفر وتردد هل هو خير أمر شر، أو هم أن يشتري سيارة أو بيتًا، أو أن يصاهر رجلاً يتزوج ابنته أو ما أشبه ذلك، ولكنه متردد. فماذا يصنع؟ نقول: له طريقان:

الطريق الأول: استخارة رب العالمين عز وجل الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

الطريق الثاني: استشارة أهل الرأي والصلاح والأمانة، واستدل المؤلف ـ رحمه الله ـ على المشاورة بآيتين من كتاب الله هما قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ وهذا خطاب للنبي ﷺ قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]. وكان النبي ﷺ وهو أسدُّ الناس رأيًا واصوبهم صوابًا، يستشير أصحابه في بعض الأمور التي تشكل عليه، وكذلك خلفاؤه من بعده كانوا يستشيرون أهل الرأي والصلاح.

(١/ ٧١٨) صحيح: رواه البخاري (٦٣٨٢). وأبو داود (١٥٣٨).

Marfat.com

ولابد من هذين الشرطين فيمن يستشير؛ أن يكون ذا رأي وخبرة في الأمور وتأن وتجربة وعدم تسرع، وأن يكون صالحًا في دينه؛ لأن من ليس بصالح في دينه ليس بأمين، حتي وإن كان ذكيًا وعاقلاً ومحنكًا في الأمور، إذا لم يكن صالحًا في دينه فلا خير فيه، وليس أهلاً لأن يكون من أهل المشورة،لأنه إذا كان غير صالح في دينه فإنه ربما يخون ـ والعياذ بالله ـ ويُشير بما فيه الضرر، أو يشير بما لا خير فيه، فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم.

ولفرض أنه رجل من أهل الفسق والمجون والفجور فلا يجوز أن يستشار لأن هذا يوقعك في هلاك. كذلك لو كان رجلاً صالحًا دينًا أمينًا لكنه مغفل، ما يعرف الأمور، أو متسرع لا خبرة له، فهذا أيضًا لا تحرص على استشارته، لأنه ربما إذا كان مغفلاً لا يدري عن الأمور؛ يأخذ الأمور بظواهرها، ولا يعرف شيئًا مما وراء الظواهر، وكذلك إذا كان متسرعًا فإنه ربما يحمله التسرع علي أن يشير عليك بما لا خير فيه فلا بد من أن يكون ذا خبرة وذا رأي وصلاح في الدين.

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]. يعني أمرهم المشترك الذي هو للجميع، كالجهاد مثلاً فإنه شورى بينهم. فإذا أراد ولي الأمر أن يجاهد أو أن يفعل شيئًا عامًا للمسلمين، فإنه يشاورهم. ولكن كيف تكون المشورة؟

المشورة تكون إذا حدث له أمر يُتردد فيه، جمع الإمام من يرى أنهم أهل للمشورة برأيهم وصلاحهم واستشارهم.

أما الاستخارة فهي مع الله عز وجل، يستخير الإنسان ربه إذا هم بأمر وهو لا يدري عاقبته ولا يدري مستقبله، فعليه بالاستخارة.

والاستخارة معناها طلب خير الأمرين. وقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك، بأن يصلي الإنسان ركعتين من غير الفريضة في غير وقت النهي، إلا في أمر يخشى فواته قبل خروج وقت النهي، فلا بأس أن يستخير ولو في وقت النهي.

أما ما كان فيه الأمر واسعًا فلا يجوز أن يستخير في وقت النهي فلا يستخير بعد صلاة العصر وكذلك بعد الفجر حتى ترتفع الشمس مقدار رمح، وكذلك عند زوالها حتى تزول لا يستخير، إلا في أمر قد يفوت عليه، يصلي ركعتين من غير الفريضة، ثم يسلم، وإذا سلم قال: **«اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيم فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَم، وأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوب، اللَّهُمَّ إِنْ كانَ هَذا الأمر ـ ويسميه ـ خيرًا لي في دِيني وَمَعاشي وَعَاقِبَة أمْري» أوْ قال: «عاجِلِ أمْري وآجله، يعني إما أن تقول هذا أو هذا ـ فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لي، وَإن كُنْتَ تَعلَمُ أنَّ هذَا الأمْرَ شَرٌّ لي في**

Marfat.com

دينى وَمَعَاشى وَعَاقبَة أمرى » أو قال :« عَاجِلِ أمرى وآجِله ، فاصْرِفهُ عنّى ، واصْرِفنى عنْهُ، وَاقدُرْ لىَ الخَيرَ حَيْثُ كانَ ، ثمَّ رَضنى بِه » وينتهي.

ثم بعد ذلك إن انشرح صدره بأحد الأمرين بالإقدام أو الإحجام . فهذا المطلوب يأخذ بما ينشرح به صدره، فإن لم ينشرح صدره لشيء وبقي مترددًا أعاد الاستخارة مرة ثانية وثالثة.

ثم بعد ذلك المشورة إذا لم يتبين له شىء بعد الاستخارة، فإنه يشاور أهل الرأي والصلاح ، ثم ما أشير عليه به فهو الخير إن شاء الله، لأن الله تعالى قد لا يجعل في قلبه بالاستخارة ميلاً إلى شيء معين حتى يستشير، فيجعل الله تعالى ميل قلبه بعد المشورة. وقدا اختلف العلماء هل المقدم المشورة أو الاستخارة.

والصحيح أن المقدم الاستخارة ، فقدم أولاً الاستخارة لقول النبي ﷺ : **«إذا هم أحدكم بالأمر فليصل ركعتين...»** إلى آخره، ثم إذا كررها ثلاث مرات ولم يتبين لك الأمر فاستشر؛ ثم ما أشير عليك به فخذ به، وإنما قلنا : إنه يستخير ثلاث مرات، لأن من عادة النبي ﷺ أنه إذا دعا ثلاثًا[١] ، والاستخارة دعاء، وقد لا يتبين للإنسان خير الأمرين من أول مرة، بل قد يتبين في أول مرة، أو في الثانية، أو في الثالثة وإذا لم يتبين فليستشر.

* * *

(١) سبق تخريجه.

Marfat.com

٩٨ ـ باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

[١/ ٧١٩] ـ عن جابرٍ رضى الله عنه قال : كانَ النبيُّ ﷺ إذا كَانَ يَوْمُ عيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ . رواه البخاري .

قوله : « خَالَفَ الطَّرِيقَ » يعني : ذهَبَ في طَرِيقٍ ، وَرَجَعَ فى طَرِيقٍ آخَرَ .

[٢/ ٧٢٠] ـ وعن ابنِ عُمَرَ رضىَ الله عنهما أن رسول الله ﷺ كانَ يَخرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ ، ويَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ ، وإذا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ العُلْيَا ويَخرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى . متفقٌ عليه .

الشرح

ثم ذكر النووي ـ رحمه الله ـ : (باب استحباب مخالف الطريق في العيد والجمعة وغيرها من العبادات).

ومعنى مخالفة الطريق: أن يذهب إلى العبادة من طريق ويرجع من الطريق الآخر، فمثلاً يذهب من الجانب الأيمن ويرجع من الجانب الأيسر، وهذا ثابت عن النبي ﷺ في العيدين، كما رواه جابر رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق، يعني خرج من طريق ورجع من طريق آخر.

واختلف العلماء لم كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك.

فقيل: ليشهد له الطريقان يوم القيامة؛ لأن الأرض يوم القيامة تشهد على ما عُمل فيها من خير وشر؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]. تشهد الأرض فتقول: عمل علي فلان كذا، وعمل كذا، وعمل كذا. فإذا ذهب من طريق ورجع من آخر شهد له الطريقان يوم القيامة بأنه أدى صلاة العيد.

وقيل: من أجل إظهار الشعيرة شعيرة العيد ـ حتى تكتظ الأسواق هنا وهناك. ومعلوم أن الناس لا يخرجون كلهم من طريق واحد ويرجعون من طريق واحد، تجد هذا يخرج من هذا الطريق ، وهذا من هذا، وهذا من هذا فإذا انتشر الناس في طريق المدينة صار في هذا

(١/ ٧١٩) صحيح: رواه البخاري (٩٨٦).

(٢/ ٧٢٠) صحيح: رواه البخاري (١٥٣٣) ومسلم (١٢٥٧).

Marfat.com

إظهار لهذه الشعيرة، لأن صلاة العيد من شعائر الدين، والدليل علي ذلك أن الناس يؤمرون بالخروج إلى الصحراء إظهارًا لذلك، وإعلانًا له.

وبعضهم **قال:** إنما خالف الطريق من أجل المساكين الذين يكونون في الأسواق، قد يكون في هذا الطريق ما ليس في هذا الطريق من المساكين، فيتصدق على هؤلاء وهؤلاء.

ولكن الأقرب ـ والله أعلم ـ، أنه من أجل إظهار تلك الشعيرة حتي تظهر شعيرة صلاة العيد بالخروج إليها من جميع سكك البلد.

ثم اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ هل يلحق في ذلك صلاة الجمعة ، لأن صلاة الجمعة صلاة عيد.

قالوا: تلحق بصلاة العيدين، فيأتي إلى الجمعة من طريق ويرجع من طريق آخر .

ثم توسع بعض العلماء وقالوا: يُشرع ذلك أيضًا في الصلوات الخمس، فيأتي مثلاً في صلاة الظهر من طريق ويرجع من طريق آخر، وهكذا في صلاة العصر وبقية الصلوات، قالوا: لأن ذلك حضور إلى الصلاة، فيقاس على صلاة العيد.

وتوسع آخرون فقالوا: تُشرع مخالفة الطريق في كل تعبد، كل عبادة تذهب إليها فاذهب إليها من طريق وارجع منها من طريق آخر، حتى عيادة المريض، فإذا عدت مريضًا فاذهب إليه من طريق وارجع من طريق آخر، وكذلك إذا شيعت جنازة، فاذهب من طريق وارجع من طريق آخر.

وكل هذه الأقيسة الثلاثة كلها ضعيفة؛ لا قياس لصلاة الجمعة على العيدين، ولا بقية الصلوات على العيدين، ولا المشي في العبادة على العيدين؛ وذلك لأن العبادات ليس فيها قياس، ولأن هذه الأشياء كانت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، كان في عهده الجمعة، والصلوات الخمس، وعيادة المريض، وتشييع الجنائز، ولم يحفظ عنه أنه كان ﷺ يخالف الطريق في هذا .

والشيء إذا وجد في عهد الرسول ﷺ ولم يسن فيه شيئًا، فالسنة ترك ذلك.

أما في الحج، فإن الرسول ﷺ خالف الطريق في دخوله إلى مكة؛ دخل من أعلاها، وخرج من أسفلها، وكذلك في ذهابه إلى عرفة، ذهب من طريق ورجع من طريق آخر.

واختلف العلماء أيضًا في هذه المسألة ، هل كان النبي ﷺ فعل ذلك على سبيل التعبد، أو لأنه أسهل لدخوله وخروجه؛ لأنه كان الأسهل لدخوله أن يدخل من الأعلى ولخروجه أن يخرج من الأسفل.

Marfat.com

فمن العلماء من قال بالأول قال: إنه سنة أن تدخل من أعلاها ـ أي أعلى مكة ـ وتخرج من أسفلها، وسنة أن تأتي عرفة من طريق وترجع من طريق آخر.

ومنهم من قال: إن هذا حسب تيسر الطريق ، فاسلك المتيسر سواء من الأعلى أو من الأسفل.

وعلى كل حال إن تيسر لك أن تدخل من أعلاها وتخرج من أسفلها فهذا طيب، فإن كان ذلك عبادة فقد أدركته وإن لم يكن عبادة لم يكن عليك ضرر فيه، وإن لم يتيسر كما هو الواقع في وقتنا الحاضر، حيث إن الطرق قد وجهت توجيهًا واحدًا ، ولا يمكن للإنسان أن يخالف ، فالأمر والحمد لله واسع.

* * *

Marfat.com

٩٩ - باب استحباب تقديم اليمين في كل ماهو من باب التكريم

كالوضوء وَالغُسْلِ والتَّيَمُّم ، ولُبْس الثَّوْب والنَّعْلِ والخف والسَّرَاويلِ ودخول المسجد، والسوَاك ، والاكْتحَال ، وتقليم الأظفَارِ ، وقَصِّ الشَّارب ، ونَتْف الإبْط ، وحلقَ الرَّأس، والسلام من الصلاة ، والأكل والشرب ، والمُصافَحَة ، واسْتلام الحَجَرِ الأسود ، والخروج من الخلاء ، والأخذ والعطَاء ، وغير ذلك مما هو في معناه ، ويُستَحبُّ تقديم اليسار في ضد ذلكَ ، كالامْتخَاط والبُصَاق عن اليسار ، ودُخول الخَلاء ، والخروج من المسجد ، وخَلْعِ الخُف والنَّعْلِ والسَراويل والثوب ، والاسْتنْجاء وفعلِ المُسْتَقْذَرات وأشباه ذلك .

قال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِه فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴾ (الحاقة :١٩) الآيات ، وقال تعالى : ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَة ﴾ (الواقعة:٨،٩) .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم). والعكس بالعكس فيما يُقصد به الإهانة فإنه يبدأ باليد اليسرى.

وقد ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ أشياء متعددة مثل الوضوء والغسل والتيمم ولبس الثوب. فالوضوء يبتدئ فيه الإنسان باليمين، يبتدئ باليد اليمني قبل اليد اليسرى، وبالرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى، هذا إذا كانا عضوين متميزين.

أما إذا كان عضواً واحدًا كالوجه مثلاً، فإننا لا نقول: ابدأ بيمين الوجه قبل يساره، بل يغسل الوجه مرة واحدة كما جاءت به السنة.

نعم لو فرض أن الإنسان لا يستطيع أن يغسل وجهه إلا بيد واحدة فهنا يبدأ باليمين، ربما يُقال : يبدأ من اليمين وربما يُقال : يبدأ من الأعلى، وكذلك مسح الأذنين لا تمسح الأذن اليمني قبل اليسرى، بل يمسحان جميعًا ، إلا إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يمسح بيديه جميعًا فيبدأ باليمنى قبل اليسرى.

وكذلك في الغسل إذا أراد الإنسان أن يغتسل من الجنابة، فإنه يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يفيض الماء على رأسه ثلاث مرات حتى يُروى، ثم يغسل سائر جسده، ويبدأ بالشق الأيمن منه قبل الأيسر، لقول النبي ﷺ للنساء اللاتي كن يغسلن ابنته قال: «ابدأن بميامنها

Marfat.com

ومواضع الوضوء منها»[١] .

فإذا كنت تحت الصنبور وهو يصب على رأسك وأنت تريد أن تغتسل ، فإذا غلست رأسك وأرويته فابدأ بغسل الجانب الأيمن من الجسد قبل الأيسر، هذا هو السنة.

كذلك في التيمم، ولكن التيمم جاءت السنة أن الإنسان يمسح وجهه بيديه جميعًا ثم يمسح كل واحدة بالأخرى، فلا يظهر فيها التيامن، لأن التيمم في عضوين فقط، في الوجه والكفين، وإذا كان في الوجه والكفين، فالوجه يمسح مرة واحدة، والكفان يمسح بعضهما ببعض.

كذلك لبس الثوب والنعل والخف والسراويل، وكل هذه يبدأ فيها باليمين إذا أردت أن تلبس الثوب فأدخل اليد اليمني في كمها قبل اليد اليسرى، في السراويل أدخل الرجل اليمنى في كمها قبل أن تدخل الرجل اليسرى، في النعل إذا أردت أن تلبس النعل ابدأ بالرجل اليمنى أدخلها في النعل قبل اليسرى، كذلك في الخف والجوارب ، ابدأ بالرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى ، هذه هي السنة كما جاءت عن النبي ﷺ .

وكذلك دخول المسجد تبدأ بالرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى تقصد ذلك، فإذا أقبلت على المسجد فانتبه حتى تكون رجلك اليمنى هي الداخلة الأولى.

كذلك أيضًا السواك إذا أراد الإنسان أن يتسوك فيبدأ بالجانب الأيمن قبل الأيسر. وكذلك الاكتحال إذا أراد أن يكتحل يبرأ بالعين اليمنى قبل اليسرى .

كذلك تقليم الأظفار يبدأ بالأيمن قبل الأيسر، فيبدأ في اليمني بالخنصر ، ثم البنصر ثم الوسطى ، ثم السبابة، ثم الإبهام، وفي اليد اليسرى يبدأ بتقليم الإبهام، ثم السبابة ، ثم الوسطى، ثم البنصر، ثم الخنصر، ويبدأ بالقدم اليمنى في تقليم أظافرها قبل القدم اليسرى.

كذلك في قص الشارب ابدأ بالجانب الأيمن منه قبل الأيسر.

كذلك نتف الإبط وحلق الرأس، نتف الإبط سنة، فإذا أردت أن تنتف الآباط - يعني تنتف الشعر- فابدأ بالإبط الأيمن قبل الأيسر، وكذلك في حلق الرأس ابدأ بالجانب الأيمن من الرأس قبل الأيسر.

وكذلك أيضًا السلام من الصلاة يلتفت الإنسان عن يمينه قبل أن يلتفت عن يساره.

وكذلك الأكل والشرب فيأكل بيمينه ويشرب بيمينه، ولا يجوز أن يأكل باليسرى أو يشرب باليسرى، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك وقال: **«إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب**

(١) صحيح: رواه البخاري (١٦٧)، ومسلم (٩٣٩).

Marfat.com

بشماله»(١) .

فإذا رأيت رجلين أحدهما يأكل باليمين ويشرب باليمين، والثاني يأكل بالشمال ويشرب بالشمال، فالأول على هدي النبي ﷺ والثاني باليمين على هدي الشيطان، وهل يرضي أحد من الناس أن يتبع هدي الشيطان ويعرض عن هدى محمد ﷺ لا أحد يريد ذلك أبدًا، لكن الشيطان يزين للناس الأكل بالشمال والشرب بالشمال، وربما بعض الناس يظن أن هذا تقدم وحضارة؛ لأن الغربيين الكفرة يقدمون اليسار عن اليمين، ولهذا يجب على الإنسان أن يأكل باليمين وأن يشرب باليمين إلا للضرورة.

ويجب علينا أيضًا أن نعلم أولادنا الصغار أن يأكلوا باليمين ويشربوا باليمين، كذلك المصافحة يصافح باليمين ولا يصافح باليسار فإن مد إليك يده اليسرى للمصافحة فلا تصافحه، اهجره لأنه خالف السنة، إلا إذا كانت اليد اليمنى شلاء لا يستطيع أن يحركها فهذا عذر.

كذلك استلام الحجر الأسود باليمين، وكذلك إذا لم يستطع الإنسان مسحه فإنه يشير إليه، ويكون ذلك باليد اليمني، وكذلك استلام الركن اليماني يكون باليمين.

ونحن نرى الآن بعض الطائفين يمسح الحجر الأسود باليسرى أو يشير إليه باليسرى، أو يشير إليه باليدين جميعًا، أما الركن اليماني فإن استطعت أن تستلمه - يعني تمسحه باليد - فافعل، وإلا فلا تشر إليه لأنه لم يرد عن النبي ﷺ أنه أشار إليه.

والغالب أن هذا جهل منهم فإذا رأيت أحدًا يمسح الركن اليماني أو الحجر الأسود باليد اليسرى فنبهه أن هذا ليس من الإكرام، فليس من إكرام بيت الله أن تمسح الركن اليماني أو الحجر الأسود باليد اليسرى، بل امسحهما باليد اليمنى.

كذلك الخروج من الخلاء يعني إذا دخلت الحمام لقضاء الحاجة من بول أو غائط ثم خرجت فقدم الرجل اليمني ، لأن خارج الخلأء أحق بالتكريم من الخلاء فإذا خرجت فابدأ بالرجل اليمنى. كذلك الأخذ والإعطاء وغير ذلك؛ الأخذ والإعطاء يعني إذا أردت أن تناول صاحبك شيئًا فناوله باليمين، وإذا أردت أن تأخذ شيئًا يناولك إياه فخذه باليمين.

هذه أخلاق الإسلام، لكن بعض الناس يناولك باليسار ويأخذ منك باليسار، ظنًا منه أن هذا هو التقدم، لأن الكفرة يأخذون باليسار ويعطون باليسار، وسبحان الله العظيم، أصحاب الشمال لهم الشمال؛ لأن الكفرة أصحاب الشمال، والمؤمنون هم أصحاب اليمين، ولهذا تجد الكافر دائمًا يفضل باليسار لأنه أهل اليسار وأهل الشمال فهو من أهل اليسار في

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٠٢٠) وأبو داود (٣٧٧٦) والترمذي (١٧٩٩).

Marfat.com

الدنيا وفي الآخرة والعياذ بالله.

إذن كل هذه الأمور ابدأ فيها باليمين، وكذلك غيرها مما يشمله التكريم، كل شيء للتكريم فإنه يبدأ فيه باليمين لأن اليمين أكرم وأفضل، أما اليسار فبالعكس.

ثم ذكر المؤلف أشياء مما يُقدم فيها اليسار ، كالامتخاط والبصاق ، فإنه يكون باليسار.

الامتخاط: يعني إذا استنثر ليخرج ما في أنفه من الأذى، فإنه يكون باليد اليسرى، وكذلك لو أراد أن يمسح المخاط ، فإنه يكون باليد اليسرى.

وكذلك عند دخول الخلاء يقدم الرجل اليسرى ، أما الخروج منه فقد سبق أنه يقدم الرجل اليمنى.

وكذلك إذا خرج من المسجد، فإنه يقدم الرجل اليسرى.

وكذلك إذا أراد أن يخلع النعل ، أو أن يخلع الخف ، أو أن يخلع الثوب، أو أن يخلع السراويل، فإنه يبدأ بإخراج الرجل اليسرى، وتكون اليمنى هي الأولى عند اللبس.

كذلك الاستنجاء يكون باليد اليسرى، وقد نهى النبي ﷺ أن يستنجى الرجل بيمينه؛(١) لأن اليمين محل الإكرام ، ويؤكل بها ويُشرب بها، فينبغي إبعادها عن القاذورات كذلك كل شيء مستقذر، فإنه يكون باليد اليسرى ، وأما اليمنى فهى لما يكون فيه الإكرام، ولغيره مما لا إكرام فيه ولا إهانة. فاليسرى تكون للأذى واليمنى لما سواها.

واعلم أن الناس حينما ظهرت الساعات التي تتعلق باليد، صاروا يلبسونها باليد اليسرى من أجل أن تبقى اليد اليمني طليقة ليس فيها ساعة يتأذى بها الإنسان عند الحركة، لأن حركة اليمنى أكثر من حركة اليسرى ، ويحتاج الإنسان لحركة اليمنى أكثر، فكانوا يجعلونها في اليد اليسرى، لأن ذلك أسهل ولأن اليد اليمنى هي التي يكون فيها العمل غالبًا فربما تتعرض الساعة لشيء يضرها، . ولذلك جعلوها باليسار.

وقد ظن بعض الناس أن الأفضل جعلها في اليمين بناء على تقديم اليد اليمنى ، ولكن هذا ظن ليس مبنيًا على صواب، لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتختم بيمنه ويتختم أحيانًا بيساره، وربما كان تختمه بيساره أفضل ليسهل أخذ الخاتم باليد اليمنى والساعة أقرب ما تكون للخاتم فلا تفضل فيها اليمنى على اليسرى ولا اليسرى على اليمنى، والأمر في هذا واسع، وإن شئت جعلتها باليمين وإن شئت جعلتها باليسار، كل هذا لا حرج فيه.

ثم ذكر المؤلف آيتين من كتاب الله هما قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٣٢٩) وابن ماجه (٥٧٨).

Marfat.com

هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ [الحاقة:١٩]. وهذا يكون يوم القيامة . فإن الناس يؤتون كتبهم - أي كتب أعمالهم التي كُتب فيها عمل الإنسان - إما باليمين وإما بالشمال، ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾ جعلنا الله منهم فإنه يأخذه فرحًا مسرورًا يقول للناس: انظروا إلى ﴿اقرءوا كتابيه﴾ ، كما نشاهد الآن الطالب إذا أخذ ورقة النجاح صار يريها أصدقاءه وأقاربه فرحًا بها، ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ فإنه على العكس من ذلك، يتمنى أنه لم يؤت الكتاب فضلاً عن أن يطلع عليه غيره.

والآية الأخرى التي ذكرها المؤلف فهي قوله تعالى: ﴿فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة (٨) وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ [الواقعة:٨،٩]. فذكر الله سبحانه أن الناس يكونون يوم القيامة ثلاث أقسام: أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة، والسابقون، فالسابقون هم المقربون، وأصحاب الميمنة ناجون ، وأصحاب المشأمة هالكون، فهم يوم القيامة ثلاثة أصناف.

وهم كذلك عند خروج الروح من البدن ثلاثة أصناف . ذكر الله في سورة الواقعة أحوالهم يوم القيامة، وذكر في آخرها أحوالهم عند الاحتضار، فقال: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم (٨٣) وأنتم حينئذ تنظرون (٨٤) ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون (٨٥) فلولا إن كنتم غير مدينين (٨٦) ترجعونها إن كنتم صادقين (٨٧) فأما إن كان من المقربين (٨٨) فروح وريحان وجنة نعيم﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٩].

والمقربون هم السابقون الذين يسبقون إلى الخيرات في كل نوع من أنواع الخير، ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين (٩٠) فسلام لك من أصحاب اليمين (٩١) وأما إن كان من المكذبين الضالين (٩٢) فنزل من حميم (٩٣) وتصلية جحيم﴾ [الواقعة: ٩٠-٩٤]، وهؤلاء هم أصحاب المشأمة والعياذ بالله، فهم المكذبون الضالون ، أعاذنا الله من حالهم.

وأشار المؤلف - رحمه الله - في هاتين الآيتين إلى أن أهل اليمين للفضائل الدائمة في الدنيا، وفي الآخرة، ويأتي إن شاء الله بقية الكلام على هذا.

* * *

[١/٧٢١] - وعن عائشة رضيَ الله عنها قالَتْ : كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ : فِي طُهُورِهِ ، وَتَرَجُّلِهِ ، وتَنَعُّلِهِ . متفقٌ عليه .

(١/ ٧٢١) صحيح : رواه البخاري (١٦٨) ومسلم (٢٦٨).

Marfat.com

[٢/ ٧٢٢] ــ وعنها قالتْ : كانَتْ يَدُ رسول الله ﷺ اليُمْنى لِطُهُورِهِ وطَعَامِهِ ، وكَانَت اليُسْرَى لِخلائهِ ومَا كَانَ مِنْ أذىً .

حديث صحيح ، رواه أبو داود وغيره بإسنادٍ صحيح .

الشرحُ

نقل المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في باب استحباب تقديم اليمين فيما من شأنه التكريم، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في شأنه كله، «في شأنه كله» أي: في جميع أحواله. «يعجبه»: يعني يسره ويستحسن البداءة باليمين في كل شيء، في طهوره وترجله وتنعله.

«في طهوره»: يعني إذا تطهر يبدأ باليمين، فيبدأ بغسل اليد اليمنى قبل اليسرى، ويغسل الرجل اليمنى قبل اليسرى، وأما الأذنان فإنهما عضو واحد داخلان في الرأس، فيمسح بهما جميعًا إلا إذا كان لا يستطيع أن يمسح إلا بيد واحدةٍ فهنا يبدأ بالأذن اليمنى للضرورة.

قالت «وترجله»: والترجل ـ يعني تسريح الشعر ومشطه ودهنه ـ وكان الرسول ﷺ كعادة الناس في ذلك الوقت لا يأخذ رأسه إلا في حج أو عمرة، لكن أحيانًا يأخذ منه وأحيانًا يبقيه، فأحيانًا يكون إلى شحمة أذنيه، وأحيانًا ينزل حتى يضرب على منكبيه، فكان ﷺ يتعاهده بالتنظيف والتسريح والدهن حتى يبقى نظيفًا، لا يكون فيه الغبار ولا القمل ولا غير ذلك مما يستقذر.

وكذلك أيضًا يعجبه التيمن في «تنعله» : أي إذا لبس النعل فإنه يبدأ باليمين قبل اليسار، وإذا خلع يبدأ باليسار قبل اليمين، وكذلك الثوب إذا لبسه يبدأ بإدخال الكم اليمين قبل اليسار، وكذلك السروال يبدأ بإدخال اليمنى قبل اليسرى، والعكس في الخلع.

وفي حديثها الثاني رضي الله عنها أنها بينت ما كان النبي ﷺ يستعمل فيه اليمين ويستعمل فيه اليسار ، فذكرت أن الذي يستعمل فيه اليسار ما كان فيه أذى، كالاستنجاء، والاستجمار والاستنشاق والاستنثار وما أشبه ذلك، كل ما فيه أذى فإنه تُقدَّم فيه اليسرى، وما سوى ذلك فإنه تُقدم فيه اليمنى تكريمًا لها ، لأن الأيمن أفضل من الأيسر كما سبق.

* * *

(٢/ ٧٢٢) صحيح : رواه أبو داود (٣٣) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦).

Marfat.com

[٣/ ٧٢٣] ــ وعن أُمِّ عَطِيَّةَ رضىَ الله عنها أن النَّبىَّ ﷺ قالَ لَهنَّ فى غَسْلِ ابْنَته زينب رضى الله عنها : « ابْدأْنَ بمَيَامنهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا » متفقٌ عليه .

[٤/ ٧٢٤] ــ وعن أبى هُريرة رضىَ الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : « إذا انْتَعَلَ أحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأ باليُمْنى ، وإذا نَزَعَ فَلْيَبْدأ بِالشِّمَالِ ، لِتكُنِ اليُمْنى أوَّلَهُمَا تُنْعَلُ ، وآخِرَهُمَا تُنْزَعُ » متفقٌ عليه .

[٥/ ٧٢٥] ــ وعن حَفْصَةَ رضىَ الله عنها أنَّ رسولَ الله ، ﷺ ، كان يَجْعَلُ يَمِينَه لطَعَامه وَشَرَابه وثيَابه ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لمَا سوىَ ذلكَ . رواه أبو داود والترمذى وغيره .

[٦/ ٧٢٦] ــ وعن أبى هُريرة رضى الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « إذا لَبِسْتُمْ ، وإذا تَوَضَّأتُمْ ، فَابْدَؤُوا بِأيَامنكُمْ » حديث صحيح ، رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح.

[٧/ ٧٢٧] ــ وعن أنس رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ أتى مِنًى ، فَأتَى الجَمْرَةَ فرَمَاهَا ، ثُمَّ أتَى مَنْزلَه بمِنًى ، ونَحَرَ ، ثُمَّ قال للحلاَّق : « خُذْ » وأشارَ إلى جانبه الأيْمَنِ، ثُمَّ الأيْسَرِ ، ثم جعَلَ يُعْطيه النَّاسَ . متفقٌ عليه .

وفى رواية : لَمَّا رَمَى الجَمْرَةَ ، ونَحرَ نُسكَهُ وحَلَقَ : نَاولَ الحَلاَّقَ شقَّهُ الأيْمَنَ فَحلَقَهُ، ثم دعَا أبَا طَلْحَةَ الأنصارىَّ رضى الله عنه ، فَأعْطَاهُ إيَّاهُ ، ثمَّ نَاولَهُ الشِّقَّ الأيْسَرَ فقال : « احْلقْ» فَحلَقَهُ فأعْطَاهُ أبَا طَلْحَةَ فقال : « اقسمْهُ بيْنَ النَّاسِ » .

الشرح

هذه الأحاديث في بيان استحباب البداءة باليمين فيما طريقه التكريم، وتقديم اليسار فيما طريقه الأذى والقذر؛ كالاستنجاء والاستجمار وما أشبه ذلك، فذكر المؤلف حديثًا عن أم عطية رضي الله عنها وكانت أم عطية رضي الله عنها من نساء الأنصار وكان لها أعمال جليلة؛ منها أنها كانت تغسل الأموات من النساء، فلما ماتت زينب بنت محمد ﷺ وحضرن يغلسلنها، فقال لهن النبي ﷺ : **«ابدأن بميامنها ومواضع الوضوء منها»**.

(٣/ ٧٢٣) صحيح : رواه البخاري (١٢٥٥)، ومسلم (٩٣٩).
(٤/ ٧٢٤) صحيح : رواه البخاري (٥٨٥٦) ، ومسلم (٢٠٩٧).
(٥/ ٧٢٥) صحيح : رواه أبو داود (٣٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٥).
(٦/ ٧٢٦) صحيح : رواه أبو داود (٤١٤١) والترمذي (١٧٦٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٨٨).
(٧/ ٧٢٧) صحيح : رواه مسلم (١٣٠٥) به. والبخاري (١٧٠ ، ١٧١) مختصرًا.

Marfat.com

وكيفية تغسيل الميت بأن تُخلع ثيابه بعد أن يوضع على عورته ما يسترها، ثم يضع الغاسل خرقة على يده فينجيه ـ يعني يغسل فرجه القبل والدبر حتى ينظفه ، ثم بعد ذلك يزيل هذه الخرقة ويغسل كفه كما يتوضأ الإنسان في العادة، ثم يأخذ خرقة مبلولة بالماء، فينظف أسنانه وفمه وينظف منخريه بدلاً عن المضمضة والاستنشاق ، ولا يدخل الماء في فمه ولا في أنفه لأنه إذا فعل ذلك نزل الماء إلى جوفه وربما يخرج فيؤذيهم عند التغسيل ، ثم بعد هذا يغسل وجهه، ويديه إلى المرفقين ، ويمسح رأسه، ويغسل رجليه، وضوءاً كاملاً.

ثم بعد ذلك يغسل رأسه برغوة السدر، بعد أن يكون قد أعد ماء فيه سدر مطحون يضربه بيده حتى يكون له رغوة، فيأخذ الرغوة ويغسل بها رأس الميت، ثم يغسل ببقية السدر بقية البدن.

على أن المرأة لا يغسلها إلا نساء، حتى أبوها لا يغسلها ولا ابنها ولا أحد من محارمها ، إلا النساء أو الزوج.

والرجل لا يغسله إلا الرجال ، لا تغسله أمه ولابنته ولا أحد من النساء إلا زوجته ، فالزوج يغسل زوجته والزوجة تغسل زوجها ، وما سوى ذلك لا يغسل الذكر الأنثى ولا الأنثى الذكر.

حضرت النساء لتغسيل زينب بنت رسول الله ﷺ ، فقال ﷺ : **«ابدأن بميامنها»** ـ يعني: بالأيمن قبل الأيسر؛ اليد اليمنى قبل اليسرى، والرجل اليمنى قبل اليسرى، والشق الأيمن قبل الشق الأيسر ـ **«ومواضع الوضوء منها»** ، ففعلن ذلك، وجعلن رأسها ثلاثة قرون ـ يعني ثلاث جدايل: الجانب الأيمن قرن، والأيسر قرن، ووسط الرأس قرن ـ، وألقينه خلفها، ثم أعطاهن النبي ﷺ حقوه ـ يعني إزاره ـ وقال: **«أشعرنها إياه»** يعني الففنه على جسدها مباشرة، تبركًا بإزار النبي ﷺ ففعلن ذلك .

والشاهد من هذا قوله: **«ابدأن بميامنها»**.

ثم ذكر المؤلف أحاديث فيها معنى ما تقدم، ، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه في لبس الثوب والنعل والوضوء، وكذلك حديث حفصة رضي الله عنها ـ.

ثم ذكر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، في قصة النبي ﷺ في حجة الوداع. فإن النبي ﷺ في حجة الوداع لما بات بمزدلفة وصلى الفجر ، وجلس يدعو حتى أسفر جدًا ودفع قبل أن تطلع الشمس، ووصل إلى جمرة العقبة وقد ارتفع النهار، وصار للشمس حرارة ، فرمى الجمرة وذلك يوم العيد.

وذهب ﷺ إلى منزله فدعا بالحلاق فحلق رأسه، واشار ﷺ إلى الشق الأيمن فبدأ

Marfat.com

الحلاق بالشق الأيمن، وكان النبي ﷺ يعفي شعر الرأس ، فكان شعر رأسه كثيراً، فبدأ بالشق الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة رضي الله عنه الأنصاري وأعطاه شعر الشق الأيمن كله، ثم حلق بقية الرأي ودعا أبا طلحة وأعطاه إياه، وقال: «اقسمه بين الناس» فقسمه ، فمن الناس من ناله شعرة واحدة، ومنهم من ناله شعرتان، ومنه من ناله أكثر حسب ما تيسر ، وذلك لأجل التبرك بهذا الشعر الكريم؛ شعر النبي ﷺ .

وكون أبي طلحة خصه الرسول بالجنب الأيمن كله يدل على أن من الناس من يختص بخصيصة يخصه الله بها، وإن كان في الصحابة من هو أفضل منه، فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وكثير من الصحابة أفضل من أبي طلحة ، لكن فضل الله عز وجل يؤتيه من يشاء، وكان الصحابة يتبركون بشعر النبي ﷺ وبثيابه وبعرقه، ولكن غيره لا يتبرك بشعره ولا بثيابه ولا بعرقه.

وكان عند أم سلمة رضي الله عنها إحدى زوجات الرسول ﷺ شعرات من شعر الرسول ﷺ ، وضعتها في جُلجل يعني طابوق من الفضة، وجعلته من الفضة تكريمًا لشعر الرسول ﷺ ، فكان الناس إذا مرض عندهم مريض جاءوا إليها فصبت على الشعر ماء وحركته به، ثم أعطته المريض فيشفى بإذن الله ببركة شعر النبي ﷺ .

لكن هذا ليس لغير النبي ﷺ ، فإن الصحابة لم يتبركوا بشعر أبي بكر وهو أفضل الأمة بعد الرسول ﷺ ، ولا بشعر عمر، ولا غيره من الصحابة ، وكذلك من دونهم لا يُتبرك بشعره ولا بعرقه ولا بثيابه، إنما ذلك خاص برسول الله ﷺ .

والشاهد من حديث أنس أن النبي ﷺ أشار إلى الحلاق أن يبدأ بالجانب الأيمن فإذا حججت وأردت أن تحلق أو تقصر فابدأ بالجانب الأيمن، وكذلك لو حلقت حلقًا عاديًا فابدأ بالجانب الأيمن.

* * *

Marfat.com

(٢) كتاب أدب الطعام

١٠٠ ـ باب التسمية فى أوله والحمد فى آخره

[٧٢٨/١] ـ عن عُمَرَ بن أبى سَلَمَةَ رضى الله عنهما قال : قال لى رسولُ الله ﷺ : « سَمِّ اللّه وكُلْ بِيَمينِكَ ، وكُلْ ممَّا يَليكَ » متفقٌ عليه .

[٧٢٩/٢] ـ وعن عَائشةَ رضىَ الله عنها قَالَتْ : قالَ رسولُ الله ﷺ : « إذا أكلَ أحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللّهِ تعالى ، فإنْ نسيَ أنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللّه تعالى فى أوَّلِه ، فَلْيَقُلْ : بِسْمِ اللّهِ أوَّلَهُ وآخِرَهُ » .

رواه أبو داود ، والترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (كتاب أدب الطعام)، فالطعام ما يطعمه الإنسان أي ما يتذوق طعمه، ويكون شرابًا أكلاً، الدليل على أن الشراب يسمى طعما أو طعامًا قوله تبارك وتعالى: ﴿فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده﴾ [البقرة:٢٤٩].

ثم قال: (باب التسمية في أوله والحمد في آخره). ثم ذكر حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه، وكان ربيب النبي ﷺ يعني ابن زوجته أم سلمة، فإنه قُدِّم للنبي طعام، وكان غلامًا صغيرًا فجعلت يده تطيش في الصحفة من هنا ومن هنا، وكان النبي ﷺ لا يدع مجالاً يحتاج إلى التعليم إلا علم، حتى الصغار، فقال له: «سم الله، وكل بيمينك وكل مما يليك». فهذه ثلاثة آداب في الأكل علمها النبي ﷺ هذا الغلام.

أولاً: قال: «سم الله» ، يعني قل: بسم الله، ولا حرج أن يزيد الإنسان الرحمن الرحيم، لأن هذين الاسمين أثنى الله بهما على نفسه في البسملة في القرآن الكريم؛ بسم الله الرحمن الرحيم، فإن قال: بسم الله الرحمن الرحيم فلا حرج، وإن اقتصر علي بسم الله كفى. والتسمية على الأكل واجبة إذا تركها الإنسان فإنه يأثم ويشاركه الشيطان في أكله، ولا أحد يرضى أن يشاركه عدوه في أكله، فلا أحد يرضى أن يشاركه الشيطان في أكله، فإذا لم تقل: بسم الله فإن الشيطان يشاركك فيه.

(١/ ٧٢٨) صحيح: رواه البخاري (٢٣٧٦) ومسلم (٢٠٢٢).

(٢/ ٧٢٩) صحيح: رواه أبو داود (٣٧٦٧) ، والترمذي (١٨٥٨)، واحمد (٦/ ٢٤٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٠٢) .

Marfat.com

فإن نسيت أن تسمي في أوله وذكرت في أثنائه فقل: «بسم الله أوله وآخره»، كما أرشد إلي ذلك النبي ﷺ في الحديث الذي روته عائشة وأخرجه أبو داود والترمذي.

ثانيًا: قال: «كل بيمينك» والأكل باليمين واجب ، ومن أكل بشماله فهو آثم عاصٍ للرسول ﷺ ، ومن عصى الرسول فقد عصى الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.

ثالثًا: «كل مما يليك» يعني إذا كان معك مشارك فكل من الذي يليك، لا تأكل من جهته، ومن الذي يليه، فإن هذا سوء أدب، قال العلماء: إلا أن يكون الطعام أنواعًا ، مثل أن يكون فيه قرع وباذنجان ولحم وغيره، فلا بأس أن تتخطى يدك إلى هذا النوع أو ذاك، كما كان الرسول ﷺ يتتبع الدُباء من الصحفة ويأكلها(١) . والدباء: يعني القرع.

وكذلك لو كنت تأكل وحدك فلا حرج أن تأكل من الطرف الآخر، لأنك لا تؤذي أحدًا في ذلك، لكن لا تأكل من أعلى الصحفة لأن البركة تنزل في أعلاها، ولكن كل من الجوانب.

وفي هذا الحديث: دليل على أنه ينبغي لنا أن نعلم الصبيان والغلمان آداب الأكل والشرب ، وكذلك آداب النوم، فضلاً عن الأمور الأخرى كالصلاة، فإن الرسول ﷺ قال: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر»(٢) .

* * *

[٣/ ٧٣٠] ــ وعن جابر ، رضي الله عنه قال :سَمِعْتُ رسول الله يقولُ :« إذا دخل الرَّجُل بَيْتَهُ ، فَذَكَرَ الله تعالى عِنْدَ دُخُوله وعنْدَ طَعَامه ، قال الشَّيْطانُ لأصْحَابه : لا مَبيت لَكُم ولا عَشَاءَ ، وإذا دخَل ، فَلَمْ يَذكُرِ الله تعالى عِنْد دخُوله ، قال الشَّيْطَانُ : أدرَكْتُمُ المَبيتَ، وإذا لمْ يذكُرِ الله تعالى عِنْدَ طَعَامه قال : أدْرَكْتُمُ المَبيتَ والعَشاءَ » رواه مسلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في سياق أدب الطعام ، عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند خوله وعند طعامه ، قال الشيطان لأصحابه : لا مبيت لكم ولا عشاء»**، ذلك لأن الإنسان ذكر الله.

وذكر الله تعالى عند دخول البيت أن يقول: **«بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا، وعلى**

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٥٣٧٩) والترمذي (١٨٤٨).

(٢) صحيح : رواه أبو داود (٤٩٥) والترمذي (٤٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٨).

(٣/ ٧٣٠) صحيح : رواه مسلم (٢٠٦٨). وأبو داود (٣٧٦٥) وأحمد (٣/ ٣٤٦).

Marfat.com

الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسألك خير المولج ، وأسألك خير المخرج»(١) هذا الذكر عند دخول المنزل، سواء في الليل أو في النهار.

وأما الذكر عند العشاء، فأن يقول: «بسم الله».

فإذا ذكر الله عنه دخوله البيت، وذكر الله عن أكله عند العشاء، قال الشيطان لأصحابه : لا مبيت لكم ولا عشاء، لأن هذا البيت وهذا العشاء حُمي بذكر الله عز وجل، حماه الله تعالى من الشياطين.

وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء، أي أن الشيطان يشاركه المبيت والطعام لعدم التحصن بذكر الله.

وفي هذا: حث على أن الإنسان ينبغي له إذا دخل بيته أن يذكر اسم الله، والذكر الوارد في ذلك: «بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج» ثم يستاك؛ لأن النبي ﷺ إذا دخل بيته فأول ما يبدأ به السواك، ثم يسلم على أهله(٢) .

أما عند العشاء فيقول: «بسم الله» وبذلك يحترز من الشيطان الرجيم مبيتًا وعشاءً، فإن ذكر اسم الله عند الدخول دون العشاء شاركه الشيطان في عشائه، وإن ذكر اسم الله عند العشاء دون الدخول شاركه الشيطان في المبيت دون العشاء، وإن ذكر اسم الله عند الدخول وعند العشاء فإن الشيطان لا يكون له مبيت ولا عشاء.

* * *

[٤/ ٧٣١] ـ وعن حُذَيْفَةَ رضيَ اللهُ عنه قال : كُنَّا إذَا حَضرْنَا مَعَ رسول الله ﷺ طَعَاماً ، لَم نَضعْ أيدينا حَتَّى يَبْدأ رسولُ الله ﷺ فَيَضعَ يدَه ، وَإنَّا حَضرْنَا مَعهُ مرَّةً طَعَاماً، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كأنَّهَا تُدفَعُ ، فَذَهَبتْ لتَضعَ يَدَهَا فى الطَّعَامِ ، فَأخذَ رسولُ الله ﷺ بيَدهَا ، ثُم جَاءَ أعْرَابىٌّ كأنَّمَا يُدْفَعُ ، فَأخَذَ بيَدِه فقال رسول الله ﷺ : « إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحلُّ الطَّعَامَ أنْ لا يُذْكَرَ اسم الله تعالى عليه ، وَإنَّهُ جَاءَ بهذه الجَارِيَة ليَسْتَحلَّ بهَا ، فَأخَذْتُ بيَدهَا ، فَجَاءَ بهذا الأعْرابى ليَسْتَحِلَّ بِهِ ، فَأخَذْتُ بِيَدِهِ ، وَالَّذى نَفْسى بيَدِه ، إنَّ يَدَه فى يَدى مَعَ يَدَيْهِمَا »

(١) ضعيف : رواه أبو داود (٥٠٩٦) وضعفه الألباني في الضعيفة (٥٦٠٦).
(١) صحيح : رواه مسلم (٢٥٣).
(٤/ ٧٣١) صحيح: رواه مسلم (٢٠١٧) ، وأحمد (٥/ ٣٨٣).

Marfat.com

ثمَّ ذَكَرَ اسمَ اللهِ تَعالى وأكَلَ . رواه مسلم .

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في باب أدب الطعام ما نقله عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعامًا، لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وذلك لكمال احترامهم للنبي ﷺ ، فلا يضعون أيديهم في الطعام حتى يضع يده.

فحضر مع رسول الله ﷺ ذات يوم طعامًا قدم إلى رسول الله ﷺ ، فلما بدءوا جاءت جارية يعني طفلة صغيرة كأنما تدفع دفعًا، يعني كأنها تركض، فأرادت أن تضع يدها في الطعام بدون أن تسمي فأمسك النبي ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كذلك كأنما يدفع دفعًا، فجاء ليضع يده في الطعام فأمسك النبي ﷺ بيده، ثم أخبر النبي ﷺ أن هذا الأعرابي وهذه الجارية جاء بهما الشيطان لأجل أن يستحل الطعام بهما؛ إذا أكلا بدون تسمية . وهما قد يكونان معذورين لجهلهما؛ هذه لصغرها وهذا أعرابي، لكن الشيطان أتي بهما من أجل أنهما إذا أكلا بدون تسمية شارك في الطعام.

ثم أقسم النبي ﷺ أن يد الشيطان مع أيديهما في يد النبي ﷺ .

وهذا الحديث يدل على فوائد:

منها: احترام الصحابة لرسول الله ﷺ وأدبهم معه.

ومنها: أنه ينبغي إذا كان هنا كبير على الطعام الا يتقدم أحدٌ قبل أكله، بل يؤثرون الكبير بالأكل أولاً، لأن التقدم بين يدي الكبير غير مناسب وينافي الأدب.

ومنها: أن الشيطان يأمر الإنسان ويحثه ويزجره على ما فعل ما لا ينبغي ، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة:٢٦٨]. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١]. فدل هذا على أن الشيطان له إمرة على بني آدم، والمعصوم من عصمه الله.

ومنها: أن الإنسان إذا أتى في أثناء الطعام فليسم، ولا يقل: سمى الأولون قبلي، ولكن إذا كانوا جميعا وبدءوا بالطعام جميعًا، فهل يكفي تسمية الواحد؟ والجواب: إن كان الواحد سمى سرًا ، فإن تسميته لا تكفي لأن الآخرين لم يسمعوها، وإن سمى جهراً ونوى عن الجميع فقد يقال: إنها تكفي، وقد يقال الأفضل أن يسمي كل إنسان لنفسه، وهذا أكمل وأحسن.

ومن فوائد هذا الحديث: أن للشيطان يداً، لأن النبي ﷺ أمسك بيده.

Marfat.com

ومنها أيضًا: أن هذا الحديث آيةٌ من آيات الرسول ﷺ ، حيث أعمله الله تعالى بما حصل في هذه القصة وأن الشيطان دفع الأعرابي والجارية، وأنه أمسك بأيديهم، أي بأيدي الثلاثة بيده الكريمة صلوات الله وسلامه عليه.

ومنها: أنه إذا جاء أحد يريد أن يأكل ولم تسمعه سمي فأمسك بيده حتى يسمى لأن النبي ﷺ أمسك بأيديهم ولم يقل : سميًا، بل أمسك بأيديهم حتى يكون في ذلك ذكرى لهم؛ يذكرون هذه القصة ولا ينسون التسمية في المستقبل.

ومن فوائد هذا الحديث: تأكد التسمية عند الأكل، والصحيح أن التسمية عند الأكل واجبة، وأن الإنسان إذا لم يسم فهو عاص لله عز وجل، وراضٍ بأن يشاركه في طعامه أعدى عدو له وهو الشيطان، فلذلك كانت التسمية واجبة ، فإن نسيت التسمية في أوله وذكرت في أثنائه فقل: بسم الله أوله وآخره.

* * *

[٥/ ٧٣٢] ــ وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشيٍّ الصَّحَابى رضىَ الله عنه قال : كانَ رسولُ الله ﷺ جَالساً ، ورَجُلٌ يأكُلُ ، فَلَمْ يُسَمِّ الله حَتَّى لَمْ يَبْقَ منْ طَعَامه إلا لُقْمَةٌ ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إلى فيه ، قالَ : بسم الله أوَّلَهُ وآخرَهُ ، فَضَحكَ النبىُّ ﷺ ، ثمَ قال : « مَا زَال الشَّيْطَانُ يأكُلُ معَهُ ، فَلما ذَكَرَ اسم الله اسْتَقَاءَ مَا فى بَطْنه » .

رواه أبو داود ، والنسائى .

[٦/ ٧٣٣] ــ وعن عائشةَ رضىَ الله عنها قالتْ : كانَ رسولُ الله ﷺ يأكُلُ طَعَاماً فى ستَّة منْ أصحَابه ، فَجَاءَ أعْرَابىٌّ ، فَأكَلَهُ بلُقْمَتَيْنِ ، فقال رسول الله ﷺ : « أما إنَّهُ لوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ » .

رواه الترمذى ، وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

[٧/ ٧٣٤] ــ وعن أبى أمامة رضىَ الله عنه أن النبىَّ ﷺ كانَ إذا رَفَعَ مَائدَتَهُ قال : «الحَمْدُ لله كَثيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فيه ، غَيْرَ مكْفِيٍّ وَلا مُوَدَّعٍ ، وَلا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا » رواه البخارى .

(٥/ ٧٣٢) ضعيف : رواه أبو داود (٣٧٦٨) ، والنسائي في الكبرى (١٠١١٣). وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٠٦).

(٦/ ٧٣٣) صحيح: رواه الترمذي (١٨٥٨) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥١٤).

(٧/ ٧٣٤) صحيح: رواه البخاري (٥٤٥٨).

Marfat.com

[٨/ ٧٣٥] ـ وعن مُعاذ بن أنسٍ رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أكَلَ طَعَاماً فقال: الحَمْدُ لله الَّذي أطْعَمَني هذا، ورَزَقَنيه من غيرِ حوْلٍ منِّي ولا قُوَّة، غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه» رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديثٌ حسنٌ.

الشرح

هذه الأحاديث ساقها المؤلف ـ رحمه الله ـ في (كتاب أدب الطعام).

وفيها دلالة على أمور:

أن الإنسان إذا لم يسم الله على طعامه فإن الشيطان يأكل معه، لحديث أمية بن مخشي، أن رجلاً أكل طعامًا فلم يسم، فلما بقي قلمة واحدة تذكر فسمى الله تعالى، فضحك النبي ﷺ، وأخبر أن الشيطان كان يأكل معه، فلما ذكر الله قاء الشيطان ما أكله. وهذه من نعمة الله سبحانه وتعالى؛ أن الشيطان يُحرم أن يأكل معنا إذا سمينا في أول الطعام، وكذلك إذا سمينا في آخره وقلنا: بسم الله أوله وآخره، فإن ما أكله يتقيؤه فيحرم إياه.

وفي هذا الحديث: دليل على أن الشيطان يأكل، لأنه أكل من هذا الطعام، فالشيطان يأكل ويشرب ويشارك الآكل والشارب إذا لم يسم الله تعالى على أكله وشربه.

وكذلك ذكر حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يأكل في ستة نفر من أصحابه، فجاء أعرابي فدخل معهم فأكل الباقي بلقمتين، هذا كأنه جائع والله أعلم، فجاء منهمًا في الأكل، فأكل الباقي بلقمتين، فقال النبي ﷺ: «أما إنه لو سمى لكفاكم» لكنه لم يسم، فأكل الباقي كله بلقمتين ولم يكفه. وهذا يدل على أن الإنسان إذا لم يسم نزعت البركة من طعامه، لأن الشيطان يأكل معه، فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه، لأن البركة تنزع منه. وبقية الأحاديث فيها دليل علي أن الإنسان ينبغي له إذا أكل أكلاً أن يحمد الله سبحانه وتعالى، وأن يقول: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة. ومعنى ذلك أنه لولا أن الله تعالى يسر لك هذا الطعام ما حصل لك، كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٦].

فالإنسان لولا أن الله ييسر له الطعام من حين أن يبذر، ثم ينبت، ثم يحصد، ثم يُحضر إليه، ثم يطحن، ثم يعجن، ثم يطبخ، ثم ييسر الله له الأكل، ما تيسر له ذلك.

(٨/ ٧٣٥) حسن: رواه أبو داود (٤٠٢٣)، والترمذي (٣٤٥٨)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٩٤) وصحيح الجامع (٦٠٨٦).

Marfat.com

ولهذا قال بعض العلماء : إن الطعام لا يصل إلى الإنسان ويقدم إليه إلا وقد سبق ذلك نحو مائة نعمة من الله لهذا الطعام، ولكننا أكثر الأحيان في غفلة عن هذا، نسأل الله أن يطعمنا وجميع المسلمين الطعام الحلال، وأن يرزقنا شكر نعمته ، إنه على كل شيء قدير.

وفي حديث معاذ بن أنس رضي الله عنه، حث النبي ﷺ على قول: «**الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غير مكفي ولا مودع ولا مستغني عنه ربنا**»، أي أننا لا نستغنى عن الله عز وجل ، ولا أحد يكفينا دونه، فهو سبحانه حسبنا وهو رازقنا جل وعلا.

* * *

Marfat.com

١٠١ ـ باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه

[١/ ٧٣٦]ـ عن أبي هريرة رضيَ الله عنهُ قالَ : مَا عَابَ رسُولُ الله ﷺ طَعَاماً قطُّ، إن اشتَهَاهُ أكَلَهُ ، وإنْ كرِهَهُ ترَكَهُ . متفقٌ عليه .

[٢/ ٧٣٧]ـ وعن جابر رضيَ الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ سألَ أهلهُ الأدْمَ فقالُوا : ما عِندَنَا إلا خَلٌّ ، فَدَعَا بِهِ ، فَجَعَلَ يأكُلُ ويقول : « نِعْمَ الأدْمُ الخَلُّ ، نِعْمَ الأدْمُ الخَلُّ » رواه مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (باب لا يعيب الطعام، واستحباب مدحه).

والطعام: ما يطعمه من مأكول ومشروب، والذي ينبغي للإنسان إذا قدم له الطعام أن يعرف قدر نعمة الله سبحانه وتعالي بتيسيره، وأن يشكره على ذلك ، وألا يعيبه؛ إن كان يشتهيه وطابت به نفسه فليأكله ، وإلا فلا يأكله ، ولا يتكلم فيه بقدح أو بعيب.

ودليل ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما عاب النبي ﷺ طعامًا قط، يعني لم يعب أدبا فيما مضى طعامًا، ولكنه إن اشتهاه أكله وإلا تركه ولا يعيبه.

مثال ذلك: رجل قدم له تمر وكان التمر رديئًا، فلا يقل: هذا تمر رديء، بل يقال له: إن اشتهيته فكل وإلا فلا تأكله، أما أن تعيبه وهو نعمة أنعم الله بها عليك ويسرها لك، فهذا لا يليق . كذلك إذا صُنع طعام فقدم إليه، ولكنه لم يعجبه فلا يعيبه، ويقال له: إن كان هذا الطبخ قد ساغ لك فكل ، وإلا فاتركه.

وأما في مدح الطعام والثناء عليه فذكر حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم ، فقالوا: ما عندنا شيءٌ إلا الخل ـ والخل عبارة عن ماء يوضع في التمر حتى يكون حلوًا ، فجيء إليه بالخل فجعل يأتدم به، يعني يغط فيه الخبز ويأكله ، ويقول: «نعم الأدم الخل، نعم الأدم الخل». وهذا ثناء على الطعام، لأن الخل وإن كان شرابًا يشرب، لكن الشراب يسمى طعامًا ، قال الله تعالى: ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [البقرة:٢٤٩]. وإنما يسمى طعامًا لأن له

(١/ ٧٣٦) صحيح: رواه البخاري (٥٤٠٩) ، ومسلم (٢٠٦٤).
(٢/ ٧٣٧) صحيح: رواه مسلم (٢٠٥٢) وأحمد (٣/ ٣٠١، ٣٦٤).

Marfat.com

طعمًا يطعم.

وهذا أيضًا من هدي النبي ﷺ أنه إذا أعجبه الطعام أثنى عليه، كذلك مثلاً لو أثنيت على الخبز، قلت: نعم الخبز خبز فلان أو ما أشبه ذلك، فهذا أيضًا من سنة الرسول ﷺ.

* * *

Marfat.com

١٠٢ ـ باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

[٧٣٨/١] ـ عن أبي هُريرة رضيَ اللهُ عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا دُعِيَ أحدُكُمْ، فَلْيُجِبْ؛ فَإنْ كَانَ صَائماً فَلْيُصَلِّ، وَإنْ كانَ مُفْطِراً فَلْيَطْعَمْ» رواه مسلم.

قال العلماءُ: مَعْنى «فَلْيُصَلِّ»: فَلْيَدْعُ، ومعنى «فَلْيَطْعَمْ»: فَلْيأكُلْ.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ: (باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر).

ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال فيمن دُعي إلي طعام وهو صائم، قال: «فإن كان صائمًا فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم».

«فليصل»: يعني فليدعُ، لأن الصلاة هنا المراد بها الدعاء، كما هو في اللغة العربية أن الصلاة هي الدعاء، أما في الشرع فالصلاة هي العبادة المعروفة، إلا إذا دل الدليل على أن المراد بها الدعاء فهو على ما دل عليه الدليل.

فالإنسان إذا دعي إلى طعام حضر فلا يكفي الحضور، بل يأكل لأن الرجل الذي دعاك لم يصنع الطعام إلا ليؤكل، فقد تكلف لك وصنع طعامًا أكثر من طعام أهله، ودعاك إليه، فإذا قلنا: لا حرج عليك إن تكرت الأكل لزم من هذا أن يبقى طعامه لم يؤكل، فمثلاً لو دعا عشرة وصنع لهم طعامًا، وقلنا: إن الواجب الحضور دون الأكل، ثم قاموا ولم يأكلوا لصار في ذلك مفسدة لماله، ومضيعة لماله، وصار في قلبه على الحاضرين شيء، لماذا لم يأكلوا طعامي!

فنقول: إذا دعاك داعٍ فالسنة أن تجيبه إلا إذا كان الداعي هو الزوج في وليمة العرس، فإن الواجب أن تجيبه إلى دعوته، ولا يحل لك أن تمتنع، لقول النبي ﷺ: «من لم يجب فقد عصى الله ورسوله»(١) يعني الوليمة، أما غيرها من الدعوات فأنت بالخيار.

مثال ذلك لو أن إنسانًا دعاك في طعامٍ لأنه قدم من سفر، أو لأنه دعا أصحابه، أو ما أشبه ذلك، فأنت بالخيار؛ إن شئت فأجب وإن شئت فلا تجب، لكن الأفضل أن تجيب، وهذا الذي عليه جمهور العلماء.

وقال بعض العلماء: يجب أن تجيب في دعوة الطعام في العرس وغيره، إلا لسبب

(١/ ٧٣٨) صحيح: رواه مسلم (١٤٣١) أبو داود (٢٤٦٠) وأحمد (٢/ ٤٨٩).

(١) صحيح: رواه البخاري (٥١٧٧) ومسلم (١٤٣٢).

Marfat.com

شرعي.

فإذا حضرت فإن كنت مفطرًا فكل، وإن كنت صائمًا فادع لصاحب الطعام، وأخبره بأنك صائم، حتى لا يكون في قلبه شيء، وإن رأيت أنك إذا أفطرت وأكلت صار أطيب لقلبه فأفطر، إلا أن يكون الصوم فريضة، فلا تفطر .

فتبين الآن أن المسألة ثلاثة أحوال:

أولاً: إذا دعاك وأنت مفطر فكل.

ثانيًا: إذا دعاك وأنت صائم صوم فريضة فلا تأكل ولا تفطر.

ثالثًا: إذا دعاك وأنت صائم صوم نفل فأنت بالخيار؛ إن شئت فأفطر وكل ، وإن شئت فلا تأكل، وأخبره بأنك صائم، واتبع في ذلك ما هو الأصلح ، إذا رأيت أن من الخير أن تفطر فأفطر وكل ، وإلا فلزوم الصيام أولى.

أما البطاقات فلا تجب الإجابة فيها، إلا إذا علمت أن الرجل أرسل إليك البطاقة بدعوة حقيقية، لأن كثيرًا من البطاقات ترسل إلى الناس من باب المجاملة، ولا يهمه حضرت أم لم تحضر، لكن إذا علمت أنه يهمه أن تحضر لكونه قريبًا لك أو صديقًا لك فأجب.

* * *

Marfat.com

١٠٣ ـ باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره

[١/ ٧٣٩] ـ عن أبي مسعود البدْرِيِّ رضيَ الله عنه قال: دَعَا رَجُلٌ النَّبيَّ ﷺ لطَعَام صَنَعَهُ لَهُ خَامسَ خَمْسَة، فَتَبعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ الباب، قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا تَبِعَنَا؛ فَإنْ شِئْتَ أنْ تأذَنَ لَهُ، وَإنْ شِئْتَ رَجَعَ» قال: بل آذَنُ لهُ يا رسول الله. متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: (كتاب أدب الطعام): (باب ما يقوله من دعي إلي طعام فتبعه غيره).

ثم ذكر حديث أبي مسعود البدري رضي الله عنه، أن رجلاً دعا النبي ﷺ إلى طعام خامس خمسة، يعني حدد العدد بأنهم خمسة، فتبعهم رجل فكانوا ستة، فلما بلغ النبي ﷺ منزل الداعي استأذن للرجل السادس؛ قال ﷺ: «**إن هذا تبعنا، فإن شئت أن تأذن له، وإن شئت رجع**».

ففي هذا دليل علي فوائد:

أولاً: أنه يجوز للإنسان إذا دعا قومًا أن يحدد العدد ولا حرج في ذلك، وبعض الناس يقول: إنه إذا حدد العدد فإنه بخيل، ولكن يقال: قد يكون الإنسان قليل ذات اليد، يحتاج أن يحدد لأجل أن يصنع الطعام الذي لا يزيد عن كفايتهم، ولا سيما في مكان يكون فيه عامة الناس فقراء، أما الأغنياء فالحمد لله لا يحددون.

وفيه أيضًا: دليل على جواز اتباع الرجل للمدعوين لعله يحصل على طعام، لأن النبي ﷺ لم يمنع هذا الرجل من اتباعهم بل استأذن له، ولأنه ورد أيضًا في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، حين تبع النبي ﷺ من أجل أن يشبع بطنه.

وفيه أيضًا: دليل علي أنه إذا جاء مع الإنسان من لم يدع فإنه يستأذن له، خصوصًا إذا كنت تظن أن صاحب البيت دعاك لغرض خاص لا يحب أن يطلع عليه أحد، فحينئذ لابد أن تستأذن.

وفيه أيضًا: دليل على أنه لا حرج على صاحب البيت إذا لم يأذن للذي تبع المدعو، لأنه لو كان في ذلك حرج ما استأذنه النبي ﷺ، فلما استأذنه دل على أنه بالخيار؛ إن شاء أذن وإن شاء قال: ارجع. وذلك أن الإنسان إذا استأذن على شخص فصاحب البيت بالخيار، إن شاء أذن له وإن شاء قال: ارجع، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا

(١/ ٧٣٩) صحيح . رواه البخاري (٢٠٨١)، ومسلم (٢٠٣٦).

Marfat.com

﴿فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور:٢٨].

فلا يكن في صدرك حرج ولا في نفسك ضيق إذا استأذنت على شخص وقال: ارجع، أنا الآن مشغول . خلافًا لبعض الناس إذا استأذن وقال له: ارجع أنا مشغول. صار في قلبه شيء، وهذا غلط الناس لهم حاجات خاصة في بيوتهم، وقد يكون لهم تعلقات بأناس آخرين أهم ، استأذنت على شخص في البيت، وقال لك: الآن عندي شغل فارجع، وارجع بكل راحة وبكل طمأنينة ، لأن هذا هو الشرع.

* * *

Marfat.com

١٠٤ - باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسىء أكله

[١/ ٧٤٠] - عن عمر بن أبي سَلَمَةَ رضى الله عنهما قال: كُنْتُ غلاماً فى حجْر رسول الله ﷺ، وكَانَتْ يَدى تَطيشُ فى الصَّحْفَة، فقال لى رسولُ الله ﷺ: «يَا غُلامُ سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيَمينك، وَكُلْ ممَّا يَليكَ» متفقٌ عليه.

قوله: «تَطيشُ» بكسر الطاء وبعدها ياءٌ مثناة من تحت، معناه: تتحركُ وتمتدُّ إلى نواحى الصَّحْفَة.

[٢/ ٧٤١] - وعن سَلَمَةَ بن الأكوَع رضيَ الله عنهُ أن رَجُلاً أكلَ عنْدَ رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كُلْ بيَمينكَ» قالَ: لا أَسْتَطيعُ. قالَ: «لا اسْتَطَعْتَ» ما مَنَعَهُ إلاَّ الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَها إلى فيه. رواه مسلم.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى - في (كتاب أدب الطعام): (باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله).

وقد سبق لنا الكلام على أن الأكل باليمين والشرب باليمين واجب، وأنه يحرم على الإنسان أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، وأن من أكل بشماله أو شرب بشماله فإنه عاصٍ وآثم، عاصٍ لله ورسوله، وآثم ومشابه للشيطان ولأولياء الشيطان من الكفار.

والواجب على المسلم أن يأكل باليمين إلا لعذر، كما لو كانت اليمين مشلولة أو ما أشبه ذلك، فاتقوا الله ما استطعتم.

ولهذا ذكر المؤلف حديث سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال لرجل يأكل بشماله: «كل بيمينك»، قال: «لا أستطيع»، قال النبي ﷺ: «لا استطعت»؛ يعني دعا عليه أن يعجز أن يرفع يده اليمنى إلى فمه، لأنه ما منعه إلا الكبر والعياذ بالله فدعا عليه الرسول ﷺ فلم يرفعها بعد ذلك إلى فمه.

ويحتمل قوله: «ما منعه إلا الكبر» يعني إلا التكبر عن أمر الرسول ﷺ، ويحتمل أنه: «ما منعه إلا الكبر» يعني ما منعه أن يأكل بيمينه إلا الكبر، وأيًا كان فإن دعاء الرسول ﷺ عليه بهذه الدعوة التي أوجبت أن تنشل يده حتى لا ترفع إلى فمه، دليل على أن

(١/ ٧٤٠) صحيح: رواه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

(٢/ ٧٤١) صحيح: رواه مسلم (٧٣٢) واحمد (٤/ ٤٥).

Marfat.com

الأكل بالشمال حرام.

وقد أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (١) ، فأنت الآن أمامك هدي النبي ﷺ وهدي الشيطان ، فهل تأخذ بهدي الرسول أو بهدي الشيطان! وكل مؤمن يقول: آخذ بهدي الرسول ﷺ ، والرسول ﷺ يأكل بيمينه وأمر بالأكل باليمين، ويشرب بيمينه وأمر بالشرب باليمين، والشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، فاختر أي الطريقين شئت .

ولهذا كان أولياء الشيطان من اليهود والنصارى والمشركين لا يعرفون الأكل إلا بالشمال، ولا الشرب إلا بالشمال، لأنهم أولياء الشيطان، تولوهم الشيطان ـ والعياذ بالله ـ واستحوذ عليهم ، فإياك أن تكون مثلهم.

وبعض الناس إذا كان يأكل وأراد أن يشرب يمسك الكأس باليسار ويشرب ، وهذا لا يجوز، لأن الحرام لا يباح إلا للضرورة، وهذا ليس له ضرورة ، يستطيع أن يمسك الكأس من أسفله باليد اليمنى ، فغالب كئوس الناس اليوم إما من البلاستيك يُشرب بها ثم ترمى ولا تغسل ، أو من الحديد أو الزجاج فيمكن غسلها حتى لو تلطخت.

ولكن لا يجوز للإنسان أن يأكل بشماله أو يشرب بشماله، فإن فعل فهو عاص لله ورسوله؛ عاصٍ للرسول لأنه نهى عن ذلك، وعاص لله لأن معصية الرسول معصية لله، قال الله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. والرسول ما يتكلم من عند نفسه ، بل يتكلم لأنه رسول رب العالمين سبحانه وتعالى.

وذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ حديث عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله ﷺ ، وعمر ابن أبي سلمة ابن أم سلمة، وأم سلمة مات عنها زوجها أبو سلمة رضي الله عنه، وكانت تحبه حبًا عظيمًا وهو ابن عمها، وحضر النبي ﷺ وفاته ودخل عليه النبي ﷺ وقد شخص بصره أي انفتح انفتاحًا كبيرًا، فقال ﷺ : «إن الروح إذا قبض تبعه البصر»(٢) ، لأن الروح بإذن الله جسم لطيف خفيف يخرج من البدن، ولا يمكن أن نشاهده بل يشاهده الميت، فيشاهد نفسه خرجت من جسده.

قال: «إن الروح إذا قبضت تبعها البصر» ، فضج ناس من أهله لما سمعوا كلام الرسول ﷺعرفوا أنه مات فضجوا كعادة الناس لأنه في الجاهلية إذا مات الميت دعوا بالويل

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٠٢٠) أبو داود (٣٧٧٦).
(٢) صحيح : رواه مسلم (٩٢٠) أحمد (٦/ ٢٩٧).

Marfat.com

والثبور: واثبوراه واويلاه وما أشبه ذلك ، فقال ﷺ : **«لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون »**.

ثم أغمض النبي ﷺ بصره، يعني رد أجفانه بعضها إلى بعض ، لئلا تبقى عيناه مفتوحتين وهكذا ينبغي أن يغمض الميت إذا مات، لأنه إذا برد ما تستطيع أن تغمض عينيه، فما دام حارًا فأغمض عينيه.

وقال ﷺ : **«اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونور له فيه»**. يا لها من دعوات كلنا يتمناها.

«اللهم اغفر لأبي سلمة» يعني ذنوبه، **«وارفع درجته في المهديين»** أي في جنات النعيم - جعلنا الله من أهلها - ، **«وافسح له في قبره»** أي وسع له في قبره، **«ونور له فيه»** لأن القبر ظلمة إلا من نوره الله عليه نور الله قبورنا ، **«واخلفه في عقبه»**: يعني كن خليفته في عقبه.

وكانت أم سلمة رضي الله عنها قد سمعت من النبي ﷺ أن الإنسان إذا أصيب بمصيبة فقال: اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها؛ آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرًا منها، فقالت: لما مات زوجها وابن عمها وأحب الناس إليها، ثم جعلت تفكر في نفسها: من خيرٌ من أبي سلمة؟ فهي مؤمنة بأن الله سيخلف لها خيرًا منه، لكن تقول : من خير من أبي سلمة!

فما أن انتهت عدتها من وفاة زوجها حتى خطبها النبي ﷺ ، فكان النبي ﷺ خيرًا لها من أبي سلمة بلا شك(١) .

ثم إن الله استجاب دعوة الرسول ﷺ لما قال في أبي سلمة: **«اخلفه في عقبه»**، خلفه الله في عقبه، وجعل خليفة أبيهم رسول الله ﷺ ، وهو نعم الخليفة، خلف أبا سلمة في أهله وفي أولاده.

وكان منهم عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه وكان صغيرًا غلامًا، جلس مع الرسول ﷺ يأكل فجعلت يده تطيش في الصحفة؛ صبي صغير ما تعلم تروح يده يمينًا ويسارًا، يأكل مما يليه ومن وسط الصحفة ومن الجانب الآخر.

فقال له النبي ﷺ : **«يا غلام سم الله»** يعني قل: بسم الله عند الأكل، **«وكل بيمينك وكل مما يليك»** .

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٩١٨).

Marfat.com

فعلم الرسول هذا الغلام ثلاث سنن: «سم الله» والتسمية على الأكل واجبة، «وكل بيمينك» والأكل باليمين واجب، «وكل مما يليك» تأدبًا مع صاحبك ، لأن من سوء الأدب أن تأكل من حافة صاحبك، فعلمه النبي ﷺ ثلاث سنن في أكله واحدة ، وهذه من بركات النبي ﷺ ؛ أن يجعل الله فيه بركة فيعلم في كل مناسبة .

وكذلك ينبغي لطالب العلم وغير طالب العلم، كل من علم سنة ينبغي أن يبينها في كل مناسبة، ولا تقل : أنا لست بعالم نعم لست بعالم لكن عندك علم، قال النبي ﷺ : «بلغوا عني ولو آية»[1] ، فينبغي للإنسان في مثل هذه الأمور أن ينتهز الفرص، كلما سمحت لنشر السنة فانشرها يكن لك أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

* * *

(١) صحيح : رواه البخاري (٣٤٦١) الترمذي (٢٦٦٩).

Marfat.com

١٠٥ - باب النهى عن القران بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته

[١/ ٧٤٢] ـ عن جَبَلَةَ بن سُحَيْم قال :أصابنا عامُ سَنَةٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ ،فَرُزِقْنَا تَمْراً ، وَكَانَ عَبْدُ الله بن عمر رضى الله عنهما يَمُرُّ بنا ونَحْنُ نَأكُلُ ، فيقولُ : لا تُقَارِنُوا ، فإن النبى ﷺ نَهى عنِ الإقرانِ ، ثم يقولُ : « إلا أنْ يَسْتأذِنَ الرَّجلُ أخَاهُ » متفقٌ عليه .

١٠٦ - باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

[١/ ٧٤٣] ـ عن وَحْشيِّ بن حرب رضيَ الله عنه أن أصحابَ رسول الله ﷺ قالوا: يا رسولَ الله ، إنَّا نَأكُلُ وَلا نَشْبَعُ قَالَ : « فَلَعَلَّكُمْ تفترِقُونَ » قالُوا : نَعَمْ . قَال : «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ ، وَاذْكُرُوا اسْمَ الله ، يُبَارِكْ لَكُمْ فيه » رواه أبو داود .

الشرح

هذان بابان ذكرهما النووي ـ رحمه الله ـ في (كتاب أدب الطعام).

أما أولهما: فهو في النهي عن القران بين التمرتين ونحوهما مما يؤكل أفرادًا إذا كان مع جماعة إلا بإذن أصحابه، فمثلاً الشيء الذي جرت العادة أن يؤكل واحدة واحدة كالتمر، إذا كان معك جماعة فلا تأكل تمرتين جميعًا، لأن هذا يضر بإخوانك الذين معك، فلا تأكل أكثر منهم إلا استأذنت ، وقلت: تأذنون لي أن آكل تمرتين في آن واحد، فإن أذنوا لك فلا بأس.

وكذلك ما جاء في العادة بأنه يؤكل أفرادًا، كبعض الفواكه الصغيرة التي يلتقطها الناس حبة حبة ويأكلونها ، فإن الإنسان لا يجمع بين اثنتين إلا بإذن صاحبه الذي معه، مخافة أن يأكل أكثر مما يأكل صاحبه.

أما إذا كان الإنسان وحده فلا بأس أن يأكل التمرتين جميعًا، أو الحبتين مما يؤكل أفرادًا، جميعًا، لأنه لا يضر بذلك أحدًا، إلا أن يخشى على نفسه من الشرق أو الغصص، فإن العامة يقولون: من كبر اللقمة غص، فإذا كان يخشى أنه لو أكل تمرتين جميعًا أو حبتين جميعًا مما يؤكل أفرادًا أن يغص فلا يفعل، لأن ذلك يضر بنفسه، والنفس أمانة عندك؛ لا يحل لك أن تفعل ما يؤذيها أو يضرها.

ثم ذكر المؤلف ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه نهى عن القران ـ

(١/ ٧٤٢) صحيح: رواه البخاري (٥٤٤٦) ، ومسلم (٢٠٤٥).

(٢/ ٧٤٣) حسن : رواه أبو داود (٣٦٧٤). وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣١٩٩).

Marfat.com

يعني أن يقرن الإنسان بين تمرتين ـ إلا أن يستأذن من كان معه فلا بأس.

أما الباب الثاني: فهو في الذي يأكل ولا يشبع، ولذلك أسباب:

منها: أنه لا يسمي الله على الطعام؛ فإن الإنسان إذا لم يسم الله على الطعام أكل الشيطان معه، ونزعت البركة من طعامه[١].

ومنها: أن يأكل من أعلى الصحفة فإن ذلك أيضًا مما ينزع البركة من الصحفة، لأن النبي ﷺ نهى أن يأكل الإنسان من أعلى الصحفة فإن مه البركة، فيأكل من الجوانب.

ومنها: التفرق على الطعام، فإن ذلك أيضًا من أسباب نزع البركة، لأن التفرق يستلزم أن كل واحد يجعل له إناءٌ خاصٌ، فيتفرق الطعام، وتنزع بركته، وذلك لأنك لو جعلت لكل إنسان طعامًا في صحن واحد، أو في إناء واحد لتفرق الطعام، لكن إذا جعلته كله في إناءٍ واحد اجتمعوا عليه وصار في القليل بركة.

وهذا يدل على أنه ينبغي للجماعة أن يكون طعامهم في إناء واحد، ولو كانوا عشرة أو خمسة يكون طعامهم في صحن واحد بحسبهم، فإن ذلك من أسباب نزول البركة، والتفرق من أسباب نزع البركة.

* * *

(١) صحيح: انظر أبي داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥) وابن ماجه (٣٢٧٧) وصححه الألباني في الارواء (١٩٨٠).

Marfat.com

١٠٧ ـ باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهى عن الأكل من وسطها

فيه : قوله ﷺ : « وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ » متفقٌ عليه كما سبق .

[١/ ٧٤٤] ــ وعن ابن عباس رضى اللهُ عنهما عنِ النبيِّ ﷺ قال : « البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ ، فَكُلُوا مِنْ حَافتيْهِ وَلا تَأكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ » رواه أبو داود ،والترمذى ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

[٢/ ٧٤٥] ــ وعن عبد الله بن بُسر رضىَ الله عنه قال : كان للنَّبيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لها : الغَرَّاءُ ، يَحْمِلُها أرْبَعةُ رجال ، فَلَمَّا أضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِىَ بِتلْكَ القَصْعَة ، يعنى وقد ثُرِدَ فيها ، فَالتَفُّوا عليها ، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رسولُ الله ﷺ ، فقالَ أعرابىٌّ : ما هذه الجِلْسَةُ ؟ قال رسولُ الله ﷺ : « إنَّ الله جَعَلَنى عَبْداً كَرِيماً ، ولَمْ يَجْعَلْنى جبَّاراً عَنِيداً » ثم قالَ رسولُ الله ﷺ : « كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا ، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فيها » رواه أبوداود بإسناد جيد . « ذِرْوَتها » : أعلاها ، بكسر الذال وضمها .

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف ـ رحمه الله ـ في (كتاب أدب الطعام) يفيد ما أشرنا إليها فيما سبق، وهو أنه ينبغي للناس أن يأكلوا من حواف القصعة، يعني من جوانبها لا من وسطها ولا من أعلاها. ففي حديث عبد الله بن عباس، وعبد الله بن بسر رضي الله عنهما ما يدل علي ذلك، وأن الإنسان إذا قدم إليه الطعام فلا يأكل من أعلاه بل يأكل من الجانب ، وإذا كان معه جماعة فليأكل مما يليه، ولا يأكل مما يلي غيره. وقوله ﷺ : «إن البركة تنزل في وسط الطعام» يدل على أن الإنسان إذا أكل من أعلاه ـ أي من الوسط ـ نزعت البركة من الطعام. قال أهل العلم: إلا إذا كان الطعام أنواعًا، وكان نوعٌ منه في الوسط وأراد أن يأخذ منه شيئا فلا بأس ، مثل أن يوضع اللحم فى وسط الصفحة فإنه لا بأس أن نأكل من اللحم ولو كان في وسطها، لأنه ليس له نظير في جوانبها ، فلا حرج كما أن النبي ﷺ كان يتتبع الدباء يلتقطها من الصحفة كلها، والدباء هي القرع[١] .

(١/ ٧٤٤) صحيح: رواه أبو داود (٣٧٧٢)، والترمذي (١٨٠٥) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٠٦).

(٢/ ٧٤٥) صحيح: رواه أبو داود (٣٧٧٣) الترمذي (١٨٠٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٢٠٧).

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٣٧٩).

Marfat.com

وفي حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه دليل على استحباب ركعتي الضحى، لقوله فلما سجدوا الضحى؛ أي لما صلوا صلاة الضحى، وصلاة الضحى سنة، ووقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، يعني مع ربع ساعة من طلوع الشمس إلى قبيل الزوال يعنى إلى أن يبقى على الظهر عشر دقائق، كل هذا وقت لها. وهي سنة ينبغي للإنسان أن يحافظ عليها لأنها تغني عن الصدقات التي تصبح على كل عضو من أعضاء البدن، كما أخبر النبي ﷺ بأنه يصبح على كل سلامى من الناس صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس، يعني كل عضو من أعضائك عليك به صدقة كل يوم[١] .

لكن ليست صدقة مال فقط، بل التسبيح صدقة، والتكبير صدقة، والتهليل صدقة، وقراءة القرآن صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وإتيان الرجل زوجته صدقة، كل شيء يتقرب به العبد إلي الله فهو صدقة ، ويجزئ عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى، وهذا يدل على أن سنة الضحى سنة في كل يوم .

وفيه أيضًا: دليل على أن الإنسان عند الأكل يأكل متكئًا وإنما يأكل مستوفزًا؛ يعني جاث على ركبتيه حتى لا يكثر من الأكل، لقول النبي ﷺ في الإكثار من الأكل: «**ما ملأ ابن آدم وعاء شرًا من بطنه، فإن كان لا محالة: فثلثٌ لطعامه وثلثٌ لشرابه وثلثٌ لنفسه**»[٢]، هذا هو الأكل النافع الطبيعي وإذا جعت فكل ، فالأمر ليس مقصورًا على ساعات معينة.

ولو قال قائل: إن الإنسان لو اقتصر على ثلث وثلث وثلث ، قد يجوع قبل أن يأتي وقت العشاء . نقول: إذا جعت فكل، لكن كونك تأكل هذا الخفيف يكون أسهل للهضم وأسهل للمعدة، وإذا اشتهيت فكل، وهذا من الطب النبوي.

لكن لا بأس بالشبع أحيانًا لأن النبي ﷺ أقرّ أبا هريرة رضي الله عنه حينما سقاه اللبن وقال: «**اشرب. اشرب. اشرب**»، حتى قال: والله لا أجد له مساغًا[٣] ؛ يعني لا أجد له مكانًا ، فأقره النبي ﷺ على ذلك، وإنما الذي ينبغي أن يكون الأكثر في أكلك كما أرشد إليه النبي ﷺ ، ثلثٌ للطعام وثلثٌ للشراب وثلثٌ للنفس.

* * *

(١) صحيح : رواه البخاري (٢٧٠٧) ومسلم (٧٢٠).

(٢) صحيح: رواه الترمذي (٢٣٨٠) وابن ماجه (٣٣٤٩) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦٥) الإرواء (١٩٨٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤٥٢) والترمذي (٢٤٧٧).

Marfat.com

١٠٨ ـ باب كراهية الأكل متكئاً

[١/٧٤٦] ـ عن أبي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بنِ عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله ﷺ : « لا آكُلُ مُتَّكِئاً » رواه البخاري .

قال الخَطَّابيُّ : المُتَّكِئُ هُنَا : هو الجالسُ مُعْتَمِداً على وطاء تحته ، قال : وأرادَ أنَّهُ لا يَقْعُدُ عَلَى الوطَاء وَالوسَائد كَفعْلِ مَنْ يُريدُ الإكْثَارَ مِنَ الطَّعَامِ ، بلْ يقْعُدُ مُسْتَوْفزاً لا مُسْتَوْطئاً ، وَيأكُلُ بُلْغَةً . هذا كَلَامُ الخَطَّابي ، وَأشار غَيْرُهُ إلى أنَّ المُتَّكِئَ هو المائلُ عَلَى جَنْبِهِ . والله أعلم.

[٢/٧٤٧] ـ وعن أنسٍ رضيَ الله عنه قال : رَأيْتُ رسول الله ﷺ جَالساً مُقْعِياً يَأكُلُ تَمْراً . رواه مسلم .

« المُقْعِي » هو الذي يُلْصِقُ أَليَتَيْهِ بالأرضِ ، وَيَنْصِبُ سَاقَيْهِ .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في (كتاب أدب الطعام): (باب كراهية الأكل متكئًا). الأكل ينقسم بالنسبة للجلوس له إلى قسمين: قسم منهيٌ عنه، وليس من هدي النبي ﷺ ، وهو أن يأكل الإنسان متكئًا؛ إما على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى،وذلك لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء ، وهذا معنى نفسي.

ولأنه إذا أكل متكئًا يتضرر، حيث يكون مجرى الطعام متمايلاً ليس مستقيمًا فلا يكون على طبيعته، فربما حصل في مجاري الطعام أضرار من ذلك.

ولهذا قال النبي ﷺ في حديث أبي جحيفة عبد الله بن وهب السواري رضي الله عنه قال النبي ﷺ : «لا آكل متكئًا» يعني ليس من هديي أن آكل متكئًا، وذلك للسببين اللذين ذكرناهما: سبب معنوي يكون بالنفس وهو الكبرياء، وسبب حسي يتعلق بالبدن وهو الضرر الذي ينتج عن الأكل على هذا الوجه.

وذكر المؤلف حديث أنس أنه رأى النبي ﷺ يزكل تمرًا مقعيًا والإقعاء أن ينصب قدميه ويجلس على عقبيه هذا هو الإقعاء وإنما أكل النبي ﷺ كذلك لئلا يستقر في الجلسة فيأكل أكلاً كثيرًا، لأن الغالب أن الإنسان إذا كان مقعيًا لا يكون مطمئنًا في الجلوس فلا يأكل كثيرًا، وإذا كان غير مطمئن فلن يأكل كثيرًا، وإذا كان مطمئنًا فإنه يأكل كثيرًا، هذا هو

(١/ ٧٤٦) صحيح: رواه البخاري (٥٣٩٨).

(٢/ ٧٤٧) صحيح: رواه مسلم (٢٠٤٤) أحمد (٣/ ١٨٠).

Marfat.com

الغالب، وربما يأكل الإنسان كثيراً وهو غير مطمئن ، وربما يأكل قليلاً وهو مطمئن، لكن من أسباب تقليل الأكل ألا يستقر الإنسان في جلسته، وألا يكون مطمئنًا الطمأنينة الكاملة.

والحاصل أن عندنا جلستين: الجلسة الأولى الاتكاء؛ وهذه ليس من هدي النبي ﷺ أن يأكل متكئًا، وكل أنواع الجلوس الباقية جائزة، ولكن أحسن ما يكون ألا تجلس جلسة الإنسان المطمئن المستقر، لئلا يكون ذلك سببًا لإكثار الطعام ، وإكثار الطعام لا ينبغي ، والأفضل أن يجعل الإنسان ثلثًا للأكل وثلثًا للشرب وثلثا للنفس ، هذا أصح ما يكون في الغذاء، فإن تيسر فهذا هو المطلوب، ولا بأس أن يشبع الإنسان أحيانًا.

* * *

Marfat.com

١٠٩ - باب استحباب الأكل بثلاث أصابع، واستحباب لعق الأصابع، وكراهة مسحها قبل لعقها واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التى تسقط منه وأكلها ومسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

[١/ ٧٤٨] ـ عن ابنِ عباسٍ رضىَ الله عنهما قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: « إذا أكَلَ أحَدُكُمْ طعَاماً، فَلا يَمْسَحْ أصَابعَهُ حتى يَلعقَهَا أو يُلعقَهَا » متفقٌ عليه.

[٢/ ٧٤٩] ـ وعن كعْبِ بنِ مالك رضىَ اللهُ عنه قال: رَأيْتُ رسولَ الله ﷺ يأكُلُ بِثلاثِ أصابعَ، فإذا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم.

[٣/ ٧٥٠] ـ وعن جابر رضىَ الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ أمر بِلَعْقِ الأصَابِعِ وَالصَّحْفَة، وقال: « إنَّكُم لا تدرُونَ فى أىِّ طَعَامِكُمْ البرَكَةُ » رواه مسلم.

[٤/ ٧٥١] ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « إذا وَقَعت لُقْمَةُ أحَدكُمْ، فَليَأخُذْهَا فَلْيُمطْ ما كان بها من الأذى ولْيأكُلهَا، ولا يَدعْها للشَّيطَان، ولا يَمسَحْ يَدَهُ بالمَنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أصَابعَهُ؛ فإنه لا يَدرِى فى أىِّ طعامه البرَكةُ » رواه مسلم.

[٥/ ٧٥٢] ـ وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « إن الشَّيْطَانَ يَحْضرُ أحدَكُم عندَ كُلِّ شَىء مِنْ شأنه، حتى يَحضُرهُ عندَ طَعَامه؛ فإذا سَقطَتْ لُقْمَةُ أحدكم فَلْيأخُذهَا فَلْيُمط ما كانَ بهَا من أذَى، ثُمَّ ليأكُلها ولاَ يدعْهَا لَلشَّيْطَانَ، فإذا فرَغَ فَلْيَلْعَقْ أصابعَهُ؛ فإنه لا يَدرى فى أىِ طعامه البرَكةُ » رواه مسلم.

[٦/ ٧٥٣] ـ وعن أنس رضى الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ إذَا أكَلَ طعَاماً، لعقَ أصَابعَهُ الثَّلاثَ، وقالَ: « إذا سَقطَتْ لُقْمَةُ أحَدكُم فَلْيَأخُذها، وليُمطْ عنها الأذَى، وَلْيأكُلْهَا، ولا يَدعْها للشَّيطَانِ » وَأمَرنَا أن نَسلُتَ القَصعَةَ وقال: « إنَّكم لا تَدرُونَ فى أىِّ طَعَامِكم البرَكةُ » رواه مسلم.

(١/ ٧٤٨) صحيح: رواه البخاري (٥٤٥٦) ومسلم(٢٠٣١).
(٢/ ٧٤٩) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٢).
(٣/ ٧٥٠) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٣).
(٤/ ٧٥١) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٣). أحمد (٣/ ١٧٧).
(٥/ ٧٥٢) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٣).
(٦/ ٧٥٣) صحيح: رواه مسلم (٢٠٣٤).

Marfat.com

[٧/ ٧٥٤] ـ وعن سعيد بن الحارث أنه سأل جابراً رضيَ الله عنه عن الوضوء مماَّ مَسَّت النَّارُ ، فقال : لا ، قد كُنَّا زَمَنَ النبيﷺ لا نجدُ مثلَ ذلك الطعامِ إلا قَليلاً ، فإذا نَحنُ وجدْنَاهُ ، لَم يَكُنْ لنا مَنَادِيلُ إلا أكُفَّنَا وسَوَاعدَنَا وأقْدَامَنَا ، ثُمَّ نُصلِّي ولاَ نَتوضَأ . رواه البخاري .

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في (كتاب آداب الطعام). تضمنت مسائل متعددة:

المسألة الأولى: أنه ينبغي للإنسان أن يأكل بثلاثة أصابع: الوسطى والسبابة والإبهام، لأن ذلك أدل علي عدم الشره ، وأدل على التواضع ، ولكن هذا في الطعام الذي يكفي فيه ثلاثة أصابع ، أما الطعام الذي لا يكفي فيه ثلاثة أصابع مثل الأرز، فلا بأس بأن تأكل بأكثر، لكن الشيء الذي تكفي فيه الأصابع الثلاثة يقتصر عليها، فإن هذا سنة النبيﷺ .

المسألة الثانية: أنه ينبغي للإنسان إذا انتهى من الطعام أن يلعق أصابعه قبل أن يمسحها بالمنديل ، كما أمر بذلك النبيﷺ ؛ يلعقها هو أو يُلْعقها غيره، أما كونه هو يعلقها فالأمر ظاهر، وكونه يُلعقُها غيره هذا أيضًا ممكن، فإنه إذا كانت المحبة بين الرجل وزوجته محبة قوية، يسهل عليه جدًا أن تلعق أصابعة أو أن يلعق أصابعها، فهذا ممكن.

وقول بعض الناس: إن هذا لا يمكن أن يقوله النبي عليه الصلاة والسلام ، لأنه كيف يلعق الإنسان أصابع غيره؟ نقول: إن النبي عليه الصلاة والسلام لا يقول إلا حقًا ، ولا يمكن أن يقول شيئًا لا يمكن ، فالأمر في هذا ممكن جدًا.

وكذلك الأولاد الصغار أحيانًا الإنسان يحبهم ويلعق أصابعهم بعد الطعام هذا شيء ممكن ، فالسنة أن تعلقها أو تُعلقها غيرك، والأمر ـ والحمد لله ـ واسع، ما قال الرسول ﷺ فليعقها غيره حتى نقول : هذا إجبار للناس على شيء يشق عليهم، العقها أنت، أو ألعقها غيرك.

وقال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»، قد تكون البركة ونفع الطعام الكثير بهذا الجزء الذي تلعقه من أصابعك.

حتى إنه ذكر لي بعض الناس الأطباء، أن الأنامل ـ بإذن الله ـ تفرز إفرازات عند الطعام تعين على هضم الطعام في المعدة، وهذه من الحكمة ولكننا نفعلها سنة، إن حصلت لنا هذه الفائدة الطبية حصلت ، وإن لم تحصل فلا يهمنا، الذي يهمنا امتثال أمر النبي عليه

(٧/ ٧٥٤) صحيح: رواه البخاري (٥٤٥٧).

Marfat.com

الصلاة والسلام.

المسألة الثالثة: أنه ينبغي للإنسان أن يلعق الصحن أو القدر أو الإناء الذي فيه الطعام، إذا انتهيت فالحس حافته كما أمر بهذا النبي عليه الصلاة والسلام، فإنك لا تدري في أي طعامك البركة.

ومع الأسف أن الناس يتفرقون عن الطعام بدون تنفيذ هذه السنة، فتجد حافات الآنية عليها الطعام كما هي. والسبب في هذا الجهل بالسنة، ولو أن طلبة العلم إذا أكلوا مع العامة وجهوهم إلى هذه السنة وغيرها من سنن الأكل والشرب لا نتشرت هذه السنن، لكن نسأل الله أن يعاملنا بعفوه، فنحن نتجاوز كثيرًا ونتهاون في الأمر، وهذا خلاف الدعوة إلى الحق.

المسألة الرابعة: أن الإنسان إذا سقطت منه اللقمة فلا يتركها، بل يأخذها، وإذا كان فيها أذى يمسحه، لا يأكل الأذى لأن الإنسان ليس مجبرًا علي أن يأكل شيئًا لا يشتهيه، يمسح الأذى ، كأن يكون فيها عود أو تراب أو ما أشبه ذلك، امسحه ثم كلها، لماذا؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «ولا يدعها للشيطان»، لأن الشيطان يحضر ابن آدم في كل شئونه ، إن أراد أن يأكل حضره، وإن أراد أن يشرب حضره، وإن أراد أن يأتي أهله حضره؛ حتى يشاركه ، كما في الآية الكريمة : ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الإسراء: ٦٤]. فهو يشارك أهل الغفلة.

فإذا قلت وأنت تأكل: بسم الله، منعته من الأكل، ما يقدر على الأكل معك وقد سميت على الطعام أبدًا، إذا لم تقل : بسم الله ، أكل معك ، فإذا قلت: باسم الله، فإن الشيطان يترقب اللقمة إذا سقطت بالأرض، فإن رفعتها أنت فهي لك، وإن تركتها أكلها هو، فصار إذا لم يشاركك في الطعام شاركك فيما يسقط من الطعام، ولهذا فضيِّق عليه في ذلك أيضًا، فإذا سقطت اللقمة أو التمرة أو ما أشبه ذلك في الأرض فخذها، وإذا كان علق بها أذى من تراب أو عيدان أو ما أشبه ذلك فأزل ذلك الأذى ثم كلها ولا تدعها للشيطان.

المسألة الخامسة: الوضوء من الطعام المطبوخ الذي مسته النار، كالخبز والأرز والجريش وغيرها ، هل يتوضأ الإنسان إذا أكله أم لا؟ قال بعض العلماء: إنه يجب على من أكل شيئًا مطبوخًا على النار أن يتوضأ ، لأن النبي ﷺ أمر بالوضوء مما منت النار[١] ، ولكن الصحيح أنه لا يجب ، كما في حديث جابر في «صحيح البخاري» الذي أورده المؤلف -

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٣٥١).

Marfat.com

رحمه الله ـ فالصحيح أنه لا يجب بل هو سنة، يعني الأفضل أن نتوضأ حتى ولو كنت على وضوء؛ إذا أكلت شيئًا مطبوخًا على النار فالأفضل أن تتوضأ ، لكنه ليس بواجب ، لأن آخر الأمرين من النبي ﷺ ترك الوضوء مما مست النار ، يعني عدم الالتزام به[١] .

ويدل لهذا أيضًا أن النبي ﷺ سئل: نتوضأ من لحوم الإبل قال: «نعم»، قال نتوضأ من لحوم الغنم قال: «إن شئت»[٢] ، لأن لحم الإبل إذا أكله الإنسان انتقض وضوءه لو كان على وضوء فلابد أن يتوضأ، ولكن ما يجب غسل الفرج لأنه ما بال ولا تغوط، إنما يجب الوضوء ، سواء كان اللحم نيئًا أو مطبوخًا وسواء أكلت الهبر أو الكبد أو القلب أو الكرش أو الأمعاء، أي شيء تأكله من البعير فإنه يجب عليك أن نتوضأ ، لأنه كله ناقض للوضوء ، أما غيره فإذا أكلته مطبوخًا فالأفضل أن نتوضأ ولا يجب عليك ذلك.

هذه من الآداب ، والحقيقة أن هذا الكتاب «رياض الصالحين» كتاب جامع نافع، ويصدق عليه أنه رياض الصالحين، ففيه من كل زوج بهيج، فيه أشياء كثيرة من مسائل العلم ومسائل الآداب لاتكاد تجدها في غيرها.

باب تكثير الأيدى على الطعام

١/ ٧٥٥ ــ عن أبى هريرة رضىَ اللهُ عنه قالَ : قال رسول الله ﷺ : « طَعَامُ الاثنَينِ كافى الثَّلاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلاثَةِ كافى الأربَعَةِ » متفقٌ عليه .

٢/ ٧٥٦ ــ وعن جابرٍ رضىَ الله عنهُ قالَ : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ : «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِى الاثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِى الأَرْبَعَةَ ، وطعامُ الأَرْبَعةِ يَكْفى الثَّمَانِيَةَ » رواه مسلم .

* * *

(١) صحيح: رواه أبو داود (١٩٢) والنسائي (١٨٥) وصححه الألباني في صحيح ابي داود (١٨٦).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٣٦٠).

(١/ ٧٥٥) صحيح : رواه البخارى (٥٣٩٢) مسلم (٢٠٥٨) .

(٢/ ٧٥٦) صحيح : رواه مسلم (٢٠٥٩) .

Marfat.com

١١١ ـ باب آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثا خارج الإناء وكراهة التنفس فى الإناء واستحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

[١/ ٧٥٧]ـ عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كانَ يَتنفَّسُ فى الشَّرَابِ ثَلاثاً. متفقٌ عليه .

يعنى : يَتَنفَّسُ خَارِجَ الإناءِ .

[٢/ ٧٥٨]ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « لا تَشْرَبُوا وَاحداً كَشُرْبِ البَعِير ، ولَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنى وثُلاثَ ، وسَمُّوا إذا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ ، واَحمدوا إذا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

[٣/ ٧٥٩]ـ وعن أبى قَتَادَةَ رضى الله عنه أن النبى ﷺ نَهَى أن يُتَنَفَّسَ فى الإناء . متفقٌ عليه .

يعنى : يُتَنَفَّسُ فى نَفْسِ الإناءِ .

[٤/ ٧٦٠]ـ وعن أنسٍ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِىَ بلَبَن قد شِيبَ بماء ، وعَنْ يَمِينه أعْرَابِىٌ ، وعَنْ يَسَارِه أبو بَكرٍ رضى الله عنه ، فَشَرِبَ ، ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِىَّ وقالَ : « الأيمَنَ فَالأيمَنَ » . متفقٌ عليه .

قوله : « شِيبَ » أى : خُلِط .

[٥/ ٧٦١]ـ وعن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِىَ بشراب ، فَشَرِبَ مِنْهُ وعَنْ يَمِينه غُلامٌ ، وعن يَسارِه أشْيَاخٌ ، فقال للغُلامِ : « أتَأذَنُ لى أنْ أُعْطِىَ هَؤُلاء ؟ » فقالَ الغُلامُ : لا وَاللهِ ، لا أُوثِرُ بِنَصِيبِى مِنكَ أحَداً ، فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ فى يدِه . متفقٌ عليه .

قوله : « تَلَّهُ » أىْ : وَضَعَهُ ، وهذا الغُلامُ هو ابنُ عباس رضى الله عنهما .

(١/ ٧٥٧) صحيح: رواه البخاري (٥٦٣١)، ومسلم (٢٠٢٨).
(٢/ ٧٥٨) ضعيف: رواه الترمذي (١٨٨٥)، وضعفه الالباني في ضعيف الترمذي (٣١٩).
(٣/ ٧٥٩) صحيح: رواه البخاري (١٥٣)، ومسلم (٢٦٧).
(٤/ ٧٦٠) صحيح: رواه البخاري (٢٣٢٥)، ومسلم (٢٠٢٩).
(٥/ ٧٦١) صحيح: رواه البخاري (٢٣٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

Marfat.com

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء وكراهة التنفس في الإناء، واستحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ.

وقد بين المؤلف في الباب السابق ما يتعلق بالطعام، فقد سبق جمل كثيرة من آداب الأكل ، والله سبحانه وتعالى على عباده نعم لا تحصى كما قال الله تعالى: ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. فالأكل والشرب من نعم الله سبحانه وتعالى.

ولا يعرف قدر هذه النعمة إلا من حرمها، نسأل الله ألا يحرمنا إياها، فمن حرمها وذاق الجوع وذاق العطش عرف قدر نعمة الله تعالى بالأكل والشرب، وهذه إحدى الحكم من الصيام؛ أن الإنسان يمسك عن الأكل والشرب حتى يعرف قدر نعمة الله عليه بتيسير الأكل والشرب.

وللشرب آداب ، منها: أن يسمي الله عز وجل إذا شرب ، فيقول عند الشرب: بسم الله.

ومنها: أن يَتَنَفَّسَ في الشرب ثلاثًا ، لقول أنس بن مالك رضي الله عنه: كان النبي ﷺ إذا شرب تَنَفَّسَ في الشراب ثلاثًا. كيفَ يتنفس في الشراب ثلاثًا؟ يعني يشرب، ثم يفصل الإناء عن فمه، ثم يشرب ، ثم يفصله عن فمه، ثم يشرب الثالثة، ولا يتنفس في الإناء لحديث أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي ﷺ : **«نهى أن يتنفس الإنسان في الإناء»**.

والحكمة من ذلك أن النفس في الإناء مستقذر على من يشرب من بعده ، وربما تخرج مع النفس أمراض في المعدة، أو في المريء ، أو في الفم فتلتصق بالإناء وربما يشرق إذا تنفس في الإناء ، فلهذا نهى النبي ﷺ أن يتنفس الإنسان في الإناء، بل يتنفس ثلاثة أنفاس كل نفس يُبعد فيه الإناء عن فمه.

وقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن هذا أهنأ وأبرأ وأمرأ. أهنأ لأنه يشرب بمهلة. وأبرأ: يعني أبرأ من العطش، وأسلم من المرض. وأمرأ: أسهل في النُزل إلى الأمعاء.

ووجه ذلك أن العطش عبارة عن حرارة المعدة لقلة الماء أو لغير ذلك، وأحيانًا يكون المرض ، فإذا جاءها الماء دفعة واحدة ربما يضر ، فإذا راسله الإنسان عليها مراسلة كان هذا أبرأ في إزالة العطش، وفي السلامة من المرض والأثر الذي يحصل بورود الماء علي المعدة

---

(١) صحيح رواه مسلم (٢٠٢٨) وأبو داود (٣٧٢٧) أحمد (٣/ ١١٨، ١١٩).

Marfat.com

دفعة واحدة.

ولهذا ينبغي أيضًا إذا شرب ألا يعب الماء عبًا ، وإنما يمصه مصًا، لا يعبه عبًا فيأخذ جرعات كبيرة ، بل يمصه مصًا حتى يأتي المعدة شيئًا فشيئًا، فيمصه في النفس الأول، ثم يطلق الإناء، ثم يمصه في النفس الثاني، ثم يطلق الإناء، ثم في النفس الثالث، هذه هي السنة.

وأما التناول ـ يعني بمن يبدأ في إعطاء الإناء أراد أن يعطي الشراب أحدًا؟ مثال ذلك: رجل دخل ومعه شراب، شاي أو قهوة بمن يبدأ ؟ نقول: إذا كان أحد من الناس قد طلب الشراب فقال: هات الماء مثلاً، فإنه يبدأ به هو الأول، وإذا لم يكن أحد طلبه، فإنه يبدأ بالأكبر ثم الأكبر ، يناوله من على يمينه.

وإذا كان لكل واحد إناء كالكئوس مثلاً، فليبدأ بالأكبر ثم يعطي الذي عن يساره، لأن الذي عن يساره هو الذي عن يمين الصاب، والصاب هو الذي سيناول ، فيبدأ بمن على يمينه. والذى عن يمين الصاب هو الذي عن يسار الشارب، لأن الصاب مستقبل للشارب، فيكون من على يسار الشارب هو الذي على يمين الصاب.

مثال ذلك مثلاً: إنسان طلب الماء فجيء إليه بالماء فشرب منه وأراد أن يناوله أحدًا بعده، إن كان الذي جاء بالشراب واقفًا على رأسه يقول أعطني الإناء إذا فرغت فيعطيه إياه، وإن لم يكن فإنه إذا انتهى يعطيه للذي على يمينه، سواء كان صغيراً أو كبيراً شريفًا أو وضيعًا.

والدليل على هذا أن النبي ﷺ أتى بلبن قد شيب بماء فشرب وعلى يمينه رجل من الأعراب ، وعلى يساره أبو بكر وعمر فلما فرغ النبي ﷺ ناوله الأعرابي، فقال عمر للأعرابي: هذا أبو بكر ـ يريد من الأعرابي أن يكرم أبا بكر ويقول: خذه يا أبا بكر، لأن أبا بكرمشهور معروف بين الصحابة، أنه أخص أصحاب النبي ﷺ بالنبي ـ ولكن الأعرابي أخذ الإناء فشرب، فهنا نجد أن النبي ﷺ فضل المفضول على الفاضل، لأن أبا بكر أفضل من الأعرابي ، لكن فضله عليه لأنه عن يمينه وقال: **«الأيمن فالأيمن»**.

والقصة الثانية: أتي النبي ﷺ بشراب فشرب منه، وعلى يمينه غلام، وعلى يساره الأشياخ الكبار، فلما شرب قال للذي على يمينه وهو الغلام: **«أتأذن لي أن أعطي هؤلاء»** يعني الأشياخ، فقال: **والله يا رسول الله، ما أنا بالذي أوثر بنصيبي عليك أحدًا**، ـ يعني ما أوثرهم على، أنا أحب أن أشرب فضلتك ، **فتله رسول الله ﷺ ـ في يده**، يعنى أعطاه الإناء في يده.

Marfat.com

فهذا دليل على أنه إذا كان الذي على اليمين أصغر سنًا فإنه يفضل على الذي على اليسار ولو كان أكبر سنًا. والأول يدل على أنه إذا كان الذي على اليمين أقل قدرًا، فإنه يعطى ويقدم على الذي هو أعظم قدرًا إذا كان على اليسار، لقول الرسول ﷺ : «**الأيمنون الأيمنون الأيمنون ، ألا فيمنوا ألا فيمنوا ألا فيمنوا ألا فيمنوا**»[(١)] . هكذا جاء الحديث. لكن هذا فيمن إذا شرب يريد أن يناول من على يمينه أو على يساره.

أما ما يفعله الناس اليوم؛ يأتي الرجل بالإبريق ويدخل المجلس، فهنا يبدأ بالأكبر لأن الرسول عليه الصلاة والسلام كانوا يبدءون فيعطونه أولاً، ولأنه لما أراد أن يناول عليه الصلاة والسلام المسواك أحد الرجلين اللذين وقفًا، قيل له: «كبر كبر»[(٢)] ، وقد ورد في ذلك أيضا أحاديث عن النبي عليه الصلاة والسلام، أنك إذا دخلت المجلس تبدأ بالأكبر لا بمن على اليمين.

* * *

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٥٧١) ومسلم (٢٠٢٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٥٢١) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٧١).

Marfat.com

١١٢ - باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

[١/ ٧٦٢] - عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: نَهَى رسول الله ﷺ عن اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ. يعني: أن تُكْسَرَ أَفْوَاهُهَا، ويُشْرَبَ منها. متفقٌ عليه.

[٢/ ٧٦٣] - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نَهَى رسول الله ﷺ أن يُشْرَبَ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ أو القِرْبَةِ. متفقٌ عليه.

[٣/ ٧٦٤] - وعن أُمِّ ثابت كَبْشَةَ بِنْتِ ثَابت أُخْتِ حَسَّانَ بنْ ثابت رضي الله عنه وعنها قالت: دخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ، فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائما، فَقُمْتُ إلى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ. رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

وَإِنَّمَا قَطَعَتْهَا، لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رسول الله ﷺ، وَتَتَبَرَّكَ به، وَتَصُونَهُ عن الابتذَال. وهَذا الحَدِيثُ مَحْمُولٌ عَلَى بيانِ الجَوازِ، والحديثان السابقان لبيانِ الأفضل والأكمل، والله أعلم.

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله تعالى -: (باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم).

من آداب الشرب ألا يشرب الإنسان من فم القربة أو السقاء، لأن النبي ﷺ نهي عن ذلك، والحكمة من هذا أن المياه فيما سبق ليست بتلك المياه النظيفة، فإذا صارت في القربة، أو في السقاء، فإنه يكون فيها أشياء مؤذية عيدان أو حشرات أو غير ذلك مما هو معروف لمن كانوا يستعملون هذا من قبل، فلهذا نهى النبي ﷺ **«عن اختناث الأسقية»** يعني أن الإنسان يكسر أفواهها هكذا ثم يشرب.

وذكر أن رجلاً شرب مرة هكذا فخرجت حية من القربة، وهذا لاشك أنه على خطر، إما أن تلدغه أو تؤذيه، لهذا ينهي عن الشرب من فم القربة، وليس من ذلك الشرب من الصنبور، أو من الجرار التي يخزن فيها الماء، لأن هذه معلومة ونظيفة، فهو كالشرب من الأواني ،لكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس أن يشرب الإنسان من فم القربة، مثل أن يكون محتاجًا إلى الماء وليس عنده إناء، فإنه يشرب من في القربة، وعلى هذا فيكون النهي عن

(١/ ٧٦٢) صحيح: رواه البخاري (٥٦٢٥) ومسلم (٢٠٢٣).

(٢/ ٧٦٣) صحيح: رواه البخاري (٥٦٢٧) ومسلم (١٦٠٩).

(٣/ ٧٦٤) صحيح: رواه الترمذي (١٨٩٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٤٢).

Marfat.com

ذلك كما قال المؤلف ـ رحمه الله ـ للكراهة وليس للتحريم.

ويستفاد من الحديث الأخير: أنه يجوز أن يشرب الإنسان قائمًا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، مع أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن الشراب قائمًا، لكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس كما في هذه الحالة، القربة معلقة، والمعلقة تكون عالية عن القاعدة، وليس عنده إناء، فشرب النبي ﷺ من هذه القربة المعلقة قائمًا.

وفي الحديث أيضًا: دليل علي جواز التبرك بآثار النبي ﷺ وهو كذلك، وقد كان الصحابة يتبركون بعرق النبي ﷺ، ويتبركون بريقه، ويتبركون بثيابه، ويتبركون بشعره[1]، أما غيره ﷺ فإنه لا يتبرك بشيء من هذا منه، فلا يتبرك بثياب الإنسان ولا بشعره ولا بأظفاره ولا بشيء من متعلقاته، إلا النبي صلى الله عليه وعلى اله وسلم.

* * *

(١) سبق تخريج الأحاديث التي تدل على ذلك.

Marfat.com

١١٣ ـ باب كراهة النفخ فى الشراب

[١/ ٧٦٥] ـ عن أبى سعيد الخدرىِّ رضىَ الله عنه أنَّ النبىَّ ﷺ نَهى عَنِ النَّفخِ فى الشَّرَاب ، فقال رَجُلٌ : القَذَاةُ أراهَا فى الإناء ؟ فقال : « أهرِقْهَا » قال : إنِّى لا أرْوَى مِنْ نَفَسٍ واَحِدٍ ؟ قال : « فَأبِنِ القَدَحَ إذاً عَنْ فيكَ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

[٢/ ٧٦٦] ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ نَهى أن يُتَنَفَّسَ فى الإناء، أوْ يُنْفَخَ فِيهِ . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في آداب الطعام والشراب: (باب كراهة النفخ في الشراب).

ثم ذكر حديثين فيهما النهي عن النفخ في الشراب؛ وذلك لأن الإنسان إذا نفخ ربما يحصل من الهواء الذي يخرج منه، أشياء مؤذية أو ضارة كمرض ونحوه، فلهذا نهى النبي ﷺ عن النفخ فيه، فسأله الرجل قال: يا رسول الله، القذاة ـ يعني تكون في الشراب ـ يعني مثل العود الصغير أو ما أشبه ذلك، فينفخه الإنسان من أجل أن يخرج ـ فقال النبي ﷺ : **«أهرقها»** يعني صب الماء الذي فيه القذاة ولا تنفخ فيه.

ثم سأله: أنه لا يروي بنفس واحد فقال: **«أبن الإناء عن نفسك»** المعنى أنه يشرب ويحتاج إلى تنفس ، فأمره النبي ﷺ أن يبين الإناء عن فمه يعني يفصله، ثم يتنفس، ثم يعود فيشرب، إلا أن بعض العلماء استثنى من ذلك ما دعت الحاجة إليه، كما لو كان الشراب حارًا ويحتاج إلى السرعة، فرخص في هذا بعض العلماء، ولكن الأولى ألا ينفخ حتى لو كان حارًا ، إذا كان حارًا وعنده إناء آخر، فإنه يصبه في الإناء ثم يعيده مرة ثانية حتى يبرد.

وفي هذا: دليل على أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع الوجوه، كل شيء قد علمنا إياه رسول الله ﷺ ، كما قال أبو ذر: **«لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»**(١) . حتى الطيور في السماء لنا منها علم بتعليم الله ورسوله إيانا.

(١/ ٧٦٥) حسن : رواه الترمذي (١٨٨٧) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٣٨).
(٢/ ٧٦٦) صحيح: رواه الترمذي (١٨٨٨) ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي(١٥٣٩).
(١) صحيح: رواه أحمد (٥/ ١٥٣، ١٦٢).

Marfat.com

وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة ـ يعني حتى الجلوس على قضاء الحاجة لبول أو غائط ـ قال: أجل، وذكر ما علمه النبي ﷺ في ذلك: ألا نستقبل القبلة بغائط ولا بول، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وألا نستنجى برجيع أو عظم(١).

فالمهم أن شريعتنا ـ ولله الحمد ـ كاملة من كل وجه، ليس فيها نقص، ولا نحتاج إلى أحد يكملها، وفيه ردٌ على السفهاء الذين يزعمون أن الشريعة الإسلامية إنما تنظم العبادة بين الله وبين الخلق فقط، وأما المعاملات بين الناس بعضهم بعضًا، فإن الشريعة لا تعتنى بها، فيقال لهؤلاء: تبًا لكم، وسفهًا لعقولكم، أطول آية في كتاب الله العزيز كلها في المداينة، في التعامل بين الناس، وهل بعد هذا من اعتناء!.

وما أكثر الآيات التي في القرآن الكريم في تنظيم المال وإصلاحه وما أشبه ذلك، وكذلك في السنة، فالشريعة الإسلامية ـ ولله الحمد ـ كاملة من كل وجه.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٦٢) أبو داود (٧) الترمذي (١٦) النسائي (١/ ٣٨، ٤٤) ابن ماجه (٣١٦).

Marfat.com

١١٤ ـ باب بيان جواز الشرب قائما وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدا

فيه حديث كبشة السابق .

[٧٦٧/١] ـ وعن ابن عباس رضى اللهُ عنهما قال : سَقَيْتُ النَّبىَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائمٌ . متفقٌ عليه .

[٧٦٨/٢] ـ وعن النزَّال بن سَبْرَةَ رضىَ اللهُ عنه قالَ : أتى علىٌّ رضى اللهُ عنهُ بَابَ الرَّحْبَةِ فَشَرِبَ قَائماً ، وقَالَ : إنِّى رَأَيْتُ رَسولَ الله ﷺ فَعَلَ كما رَأَيْتُمُونى فَعَلْتُ . رواه البخارى .

[٧٦٩/٣] ـ وعن ابن عمر رضىَ الله عنهما قال : كنَّا نأكُلُ عَلى عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ نَمْشى ، ونَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيامٌ . رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

[٧٧٠/٤] ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه رضىَ الله عنه قال : رَأَيْتُ رسُولَ الله ﷺ يَشْرَبُ قَائماً وقَاعداً . رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

[٧٧١/٥] ـ وعن أنس رَضىَ اللهُ عنه عنِ النبىِّ ﷺ أنَّهُ نهَى أنْ يَشرَبَ الرَّجُلُ قائماً. قال قتادة : فَقُلْنَا لأنس : فالأكْلُ ؟ قال : ذلكَ أشَرُّ ـ أو أخْبَثُ . رواه مسلم .

وفى رواية له : أنَّ النبىَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائماً .

[٧٧٢/٦] ـ وعن أبى هريرة رضىَ اللهُ عنه قال : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يَشْرَبَنَّ أحَدٌ منكُمْ قَائماً ، فَمَنْ نَسِىَ فَلْيَسْتَقِئْ » رواهُ مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ : (باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا).

فالأفضل في الأكل والشرب أن يكون الإنسان قاعدًا، لأن هذا هو هدي النبي ﷺ ، ولا يأكل وهو قائم ولا يشرب وهو قائم.

(٧٦٧/١) صحيح : رواه البخاري (١٦٣٧) ومسلم (٢٠٢٧).
(٧٦٨/٢) صحيح : رواه البخاري (٥٦١٥).
(٧٦٩/٣) صحيح : رواه الترمذي (١٨٨٠) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٣٣).
(٧٧٠/٤) حسن : رواه الترمذي (١٨٨٣) وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (١٥٣٥).
(٧٧١/٥) صحيح : رواه مسلم (٢٠٢٤).
(٧٧٢/٦) صحيح : رواه مسلم (٢٠٢٦) وانظر تعليق الشيخ الألباني على الحديث في مختصر المستدرك (٣٤٣) والسلسلة الصحيحة (١٧٤ ـ ١٧٥) والضعيفة (٩٣١).

Marfat.com

أما الشرب وهو قائم فإنه صح عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذلك. وسئل أنس بن مالك عن الأكل، قال ذاك أشر وأخبث، يعني معناه أنه إذا نهى عن الشرب قائمًا فالأكل قائمًا من باب أولى. لكن في حديث ابن عمر الذي أخرجه الترمذي وصححه قال: كنا في عهد النبي ﷺ نأكل ونحن نمشي ، ونشرب ونحن قيام. فهذا يدل على أن النهي ليس للتحريم ولكنه لترك الأولى، بمعنى أن الأحس والأكمل أن يشرب الإنسان وهو قاعد وأن يأكل وهو قاعد، ولكن لا بأس أن يشرب وهو قائم وأن يأكل وهو قائم. والدليل علي ذلك حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال: سقيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من زمزم فشرب وهو قائم.

وزمزم هي عين الماء التي حول الكعبة، وسببها أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ترك هاجر أم إسماعيل وابنها إسماعيل في مكة، وليس فيها أحد، ليس فيها سكان وليس فيها كعبة، وليس فيها أحد، بل وليس فيها زروع ، هي واد غير ذي زرع ، وجعل عندهما وعاء من تمر وسقاء من ماء وانصرف، لأن الله أمره أن يبقيهما هنالك، فلما انصرف لحقته هاجر وقالت له: كيف تذهب وتتركنا؟ هل أمرك الله بذلك؟ قال: نعم، قالت: إذا كان الله أمرك بذلك فإنه لن يضيعنا، وهذا يدل على كمال إيمان هاجر رضي الله عنها.

وقصتها هذه نظير قصة أم موسى بن عمران: كان فرعون مسلطًا على بني إسرائيل، يقتل أبناءهم ، ويُبقي نساءهم، إذلالاً لهم، وقد قيل: إن المنجمين قالوا له: إنه سيظهر من بني إسرائيل رجل يكون هلاكك على يده، فصار يقتل أبناءهم. فخافت أم موسى عليه ، فأوحى الله إليها وحي إلهام لا وحي نبوة، أنها إذا خافت عليه تجعله في تابوت ـ صندوق من الخشب ـ ، وتلقيه في البحر، وهذا شيء شديد علي النفس، أن تضع ولدها في تابوت، وتلقيه في البحر، لكنها مؤمنة واثقة بوعد الله عز وجل ففعلت جعلته فى التابوت وألقته فى البحر فرآه جند فرعون، فأخذوه ليقتلوه، فلما رأته زوجه فرعون ألقى الله محبته في قلبها وقالت: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ٩].

واضطربت أم موسى، أصبح فؤادها فارغًا، يعني ما كان شيئًا وراءه ، قد فر قلبها على ولدها مع إيمانها بالله، ولكن الله عز وجل بقدرته جعل هذا الابن كلما عرضت عليه امرأة ليرضعها أبي أن يرضعها؛ لا يرضي أن يرضع من أي امرأة، فإذا أخت موسى قد أرسلتها والدته تنظر ماذا حدث له، فرأت الناس يبحثون عن مرضع لهذا الصبي فقالت: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص: ١٢]. فرده الله إلى أمه

Marfat.com

قبل أن يرضع من أي امرأة؛ ما رضع من أحد سوى أمه مع أنها قد ألقته في البحر لكن رده الله عليها.

فهاجر رضي الله عنها لما قال لها إبراهيم : إن الله أمرني بهذا قالت: إذًا لا يضيعنا، ثم بقيت هي وطفلها في هذا المكان الذي ليس فيه أحد من بني آدم، وجعلت تأكل من التمر وتشرب من الماء، وتدر اللبن على الولد ويرضع، حتى نفد التمر والماء وجاعت الأم، ومعلوم أن الأم إذا جاعت لا يكون فيها لبن، وجعل الطفل يصيح ويبكي .

فبحثت بما ألهمها الله عن أقرب جبل لها تصعد عليه لعلها تسمع صوتا أو ترى أحدًا، فوجدت أقرب مكان إليها الصفا ـ والمشاهد الآن أن أقرب جبل للكعبة هو الصفا ـ، فصعدت عليه وتسمعت فما وجدت أحدًا فنزلت وقالت: أذهب إلى الجهة الثانية؛ وأقرب جبل إليها في الجهة الثانية هو المروة، فصعدت على المروة تسمع، فلم تجد أحدًا، وكان بين الصفا والمروة شعيب، وادٍ مجري سيل، ومعروف أن الشعيب يكون نازلاً عن الأرض، فكانت إذا نزلت في الشُعيب ركضت ركضًا عظيمًا، تركض من أجل أن تسمع الولد وتلتفت إليه وتراه فعلت هذا سبع مرات.

فلما أكملت سبع مرات إذا هي تسمع شيئًا ، فقالت : أغث إن كان عندك غواث؛ سمعت حسًا وإذا هو جبريل، أمره ربه عز وجل أن ينزل إلى الأرض فيضرب بعقبه أو بجناحه مكان زمزم، فضربه مرة واحدة، فخرج هذا الماء ينبع ، فجعلت تحوطه تحجر عليه، خافت أن يسيح في الأرض وينقص ، وشربت من الماء وإذا الماء يكفي عن الطعام والشراب وهو ماء، فجعلت تشرب من هذا الماء وترضع الولد، وفرج الله عز وجل عنها.

وكان حولها أناس ولكنهم كانوا بعيدين عنها من جرهم، قبيلة من العرب كانوا حولها، فرأوا الطيور تهوى إلى هذا المكان مكان زمزم الذي فيه الماء، والطير يرى من بعيد، قالوا: ما خبرنا أن هنا ماء حتى تأوي الطيور إليه، لكنهم قالوا: لا يمكن للطيور أن تأوي إلا إلى الماء، فتبعوا هذه الطيور حتى وصلوا إلى المكان، وإذا المكان عين تنبع، فنزلوا حول المرأة وأنست بهم، وكبر إسماعيل وتزوج منهم.

بعد مدة جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فدخل على أهل إسماعيل وعلى هاجر وسأل زوجة إسماعيل كيف حالكم؟ فشكت الحال وتضجرت، فقال لها: إذا جاء زوجك فقولي له: يغير عتبة بابه فجاء إسماعيل وأخبرته بالذي حصل ، قال: هل جاءكم أحد؟ قالت: نعم جاء شيخ صفته كذا وكذا وإنه قال: أقرئيه السلام وقولي له: يغير عتبة بابه. ماذا يريد إبراهيم بهذه الكلمة؟ يريد أن يطلقها لأن المرأة شكاية ، شكت زوجها يعني أن ما عندهم إلا كل بؤس. فقال: هذا أبي وأنت العتبة، فالحقي بأهلك.

Marfat.com

ثم تزوج غيرها، ثم جاء إبراهيم مرة أخرى بعد أن غاب عنه مدة ، ودخل على بيت ابنه إسماعيل ووجد الزوجة فسألها عن حالهم، فأثنت على حالهم وقالت: نحن بخير، وأثنت على الحال، فقال أقرئي زوجك مني السلام وقولي له: يمسك بعتبة بابه، فلما جاء إسماعيل كأنه سأل هل جاء أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ صفته كذا وكذا ، وأنه يقرئك السلام ويقول: يمسك عتبة بابه، قال: ذاك أبي، وأنت عتبة الباب، وأمرني أن أمسكك.

فالحاصل أن زمزم ماء مبارك **«طعام طعم وشفاء سقم»**(١) ، **«وماء زمزم لما شرب له»**(٢) إن شربته لعطش رويت، وإن شربته لجوع شبعت، حتى إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث أن الإنسان إذا كان مريضًا وشربه للشفاء شفي، وإذا كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظًا، وإذا شربه لأي غرض ينفعه، فعلى كل حال هذا الماء ماء مبارك،

فالحال أن الأكمل والأفضل أن يشرب الإنسان وهو قاعد ويجوز الشرب قائمًا، وقد شرب على بن أبي طالب رضي الله عنه قائمًا، وقال: إن النبي ﷺ فعل كما رأيتموني فعلت، فدل ذلك على أن الشرب قائمًا لا بأس به، لكن الأفضل أن يشرب قاعدًا.

بقي أن يقال: إذا كانت البرادة في المسجد ودخل الإنسان المسجد، فهل يجلس ويشرب أو يشرب قائمًا؟ لأنه إن جلس خالف قول النبي ﷺ : **«إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين»**(٣) ، وإن شرب قائمًا ترك الأفضل. فنقول: الأفضل أن يشرب قائمًا ، لأن الجلوس قبل صلاة الركعتين حرام عند بعض العلماء، بخلاف الشرب قائمًا فهو أهون، وعلى هذا فيشرب قائمًا ثم يذهب ويصلي بعض المسجد.

* * *

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٤٧٣).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٤٤٤) ومسلم (٧١٤).

(٣) صحيح: رواه أحمد (٣/ ٥٧) (٣٠٦٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

Marfat.com

١١٥ ـ باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شرابا

[١/ ٧٧٣] ـ عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سَاقِي القَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْباً » .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتاب أدب الطعام: (باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا).

يعني الذي يسقي القوم ماءً أو لبنًا أو قهوة أو شايًا، ينبغي أن يكون هو آخرهم شرباً، من أجل أن يكون مؤثرًا على نفسه، ومن أجل أن يكون النقص ـ إن كان ـ على نفس الساقي، وهذا لا شك أنه أحسن امتثالاً لأمر النبي ﷺ، وأخذًا بأدب النبي ﷺ لكنه إذا كان لا يشتهي أن يشرب فليس بلازم أن يشرب بعدهم ، إن شاء شرب، وإن شاء لا يشرب.

المهم أن يكون هو الأخير إذا أراد أن يشرب، لما في ذلك من الإيثار وامتثال أمر النبي ﷺ ، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يخدم إخوانه بسقيهم ، وإذا كان صاحب البيت فليقدم إليهم الشراب أو الأكل، كما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾[الذاريات: ٢٦ ، ٢٧].

فصاحب البيت يقرب الأكل ويناول الشراب، ويكون هو آخر القوم، ثم هل الأفضل أن يشاركهم في الطعام سواء كان غداء أو عشاء أو فطورًا، أو الأفضل أن ينصرف ولا يشاركهم؟ هذا يرجع إلى عادة الناس، فإذا كانت مشاركته أطيب لقلوب الضيوف وأكثر إيناسًا فليأكل معهم ، وإذا كان الأمر بالعكس وجرت العادة أنه لا يأكل الإنسان من ضيوفه فلا يأكل، فهذا أمر يرجع إلى العرف؛ إن كان العرف أن من إكرام الضيف ألا تأكل معه وأن تجعله حرًا يأكل ما شاء فلا تأكل ، وإن كان الأمر بالعكس فكل، ولقد قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» (١) . ولم يبين نوع الإكرام فيرجع في ذلك إلى ما جرى به عرف الناس.

* * *

(١/ ٧٧٣) صحيح: رواه مسلم (٦٨١) والترمذي (١٨٩٤).

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧).

Marfat.com

١١٦ - باب جواز الشرب من جميع الأوانى الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع - وهو الشرب بالفم من النهر وغيره - بغير إناء ولا يد وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة فى الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

[١/ ٧٧٤] ـ عَنْ أنس رضىَ اللهُ عنه قال : حَضَرت الصَّلاةُ ، فَقَامَ مَنْ كانَ قَرِيبَ الدَّار إلى أهله ، وبَقَىَ قَوْمٌ ، فَأُتِي رَسُولُ الله ﷺ بمخْضَب منْ حجارة ، فَصَغُرَ المخْضَبُ أنْ يَبْسُطَ فيه كفَّهُ ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ ، قالوا : كمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَمانينَ وزِيادَةً . متفقٌ عليه . هذه روايَة البخارى .

وفى رواية له ولمسلم : أنَّ النبىَّ ﷺ دعَا بإنَاء منْ ماء ، فَأتي بقَدَح رَحْرَاح فيه شَىءٌ منْ ماء ، فَوَضَعَ أصَابعَهُ فيه ، قالَ أنس : فَجعلْتُ أنْظُرُ إلى المَاء يَنْبُعُ منْ بيْن أصابعه ، فَحزَرْتُ مَنْ تَوضَّأَ ما بيْنَ السَّبْعينَ إلى الثَّمانينَ .

[٢/ ٧٧٥] ـ وعن عبد الله بن زيد رضى اللهُ عنه قال : أتَانَا النبىُّ ﷺ ، فأخْرَجْنَا لَهُ ماءً فى تَوْرٍ منْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ . رواه البخارىّ .

« الصُّفْر » بضم الصاد ، ويجوز كسرها : وهو النحاس ، و « التَّوْر » : كالقدح ، وهو بالتاء المثناة من فوق .

[٣/ ٧٧٦] ـ وعن جابر رضىَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلى رَجُلٍ منَ الأنْصار ، ومَعَهُ صاحبٌ لَهُ ، فقالَ رسُولُ الله ﷺ : « إنْ كَانَ عنْدكَ ماءٌ بَاتَ هذه اللَّيْلَةَ فى شَنَّة وإلا كَرَعْنَا » رواه البخارى .

« الشَّنُّ » : القرْبَة .

[٤/ ٧٧٧] ـ وعن حذيفة رضى الله عنه قالَ : إنَّ النبىَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الحَرير والدِّيباج والشُّرْبِ فى آنِيَة الذَّهَبِ والفضَّة ، وقالَ : « هىَ لَهُمْ فى الدُّنْيَا ، وهىَ لَكُمْ فى الآخرَة » متفقٌ عليه .

(١/ ٧٧٤) صحيح: رواه البخاري (١٩٥) ومسلم (٢٢٧٩) والراوية الأخرى أخرجها البخاري (٢٠٠) ومسلم (٢٢٧٩).

(٢/ ٧٧٥) صحيح: رواه البخاري (١٩٧).

(٣/ ٧٧٦) صحيح: رواه البخاري (٥٦٢١).

(٤/ ٧٧٧) صحيح: رواه البخاري (٥٦٣٣) ومسلم (٢٠٦٧).

Marfat.com

[٥/ ٧٧٨] ــ وعن أمِّ سلمة رضيَ اللهُ عنها أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «الَّذى يَشْرَبُ فى آنية الفضَّة إنَّما يُجَرْجِرُ فى بَطْنه نَارَ جَهَنَّمَ» متفقٌ عليه.

وفى روايةٍ لمسلم: «إنَّ الَّذى يأكُلُ أوْ يَشْرَبُ فى آنيَة الفضَّة والذَّهَب».

وفى روايةٍ لَه: «مَنْ شَرِبَ فى إنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أوْ فِضَّةٍ فَإنَّما يُجَرْجِرُ فى بَطْنِهِ نَاراً مِنْ جَهَنَّمَ».

الشرح

هذا الباب عقده المؤلف ـ رحمه الله ـ في كتابه لبيان حكم الأواني واستعمالها في الشرب.

وليُعلَمْ أن هناك قاعدة نافعة، وهي أن الأصل في كل ما خلق الله في الأرض أنه حلال، فالأصل أن حكمه الحل، إلا ما قام الدليل على تحريمه، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]. كل ما في الأرض فهو لنا حلال من حيوان وأشجار وأحجار وكل شيء، الذي في الأرض حلال أحله الله لنا إلا ما قام الدليل على تحريمه.

وبناء على هذه القاعدة العظيمة التي بينها الله لنا في كتابه، فإن كل من ادعى أن هذا حرام فعليه الدليل، إذا قال مثلاً: إن هذا الحيوان حرام، نقول: هات الدليل، وإلا فالأصل أنه حلال . إذا قال: هذه الآنية حرام قلنا: هات الدليل، وإلا فالأصل أنها حلال. إذا قال: هذا الشجر حرام، قلنا: هات الدليل، وإلا فالأصل حلال؛ لأن الذي يقول: إنه حلال معه أصل من الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ، وقال عز وجل: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية:١٣]. فهذا هو الأصل.

ولهذا قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : (باب جواز الشرب من جميع الآنية).

من خشب أو حجر أو غير ذلك ، إلا الذهب والفضة، فإن الذهب والفضة لا يجوز فيهما الأكل ولا الشرب، ودليل هذا حديث حذيفة بن اليمان وأم سلمة رضي الله عنهما: أما حديث حذيفة بن اليمان فقد صرح رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن الشرب في آنية الذهب والفض، وكذلك حديث أم سلمة، وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحكمة في ذلك فقال: **«هي لهم في الدنيا ـ يعني الكفار ـ وهي لكم في الآخرة»**.

(٥/ ٧٧٨) صحيح : رواه البخاري (٥٦٣٤) ومسلم (٢٦٥).

Marfat.com

فالكفار في الآخرة في نار جهنم ـ والعياذ بالله ـ إذا استغاثوا وهلكوا من العطش فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]. يؤتي إليهم بالماء كالمهل وهو كرديء الزيت المحمي والعياذ بالله، إذا قربوه إلى وجوههم ليشربوا منه فإنه يشوي وجوههم، ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. والعياذ بالله. لكن أهل الجنة ـ جعلنا الله منهم ـ ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٥، ٢٦]. يسقون بآنية الذهب والفضة، ولذلك نهى النبي ﷺ عن الأكل والشرب فيهما، لأنهما آنية الجنة.

ونهى عن لبس الحرير للرجال؛ لأن الحرير للمؤمنين في الجنة، والرجال لا يليق بهم لبس الحرير في الدنيا وكذلك النساء لولا أن الله تعالى رخص لهن في لباس الحرير من [illegible] يحصل بذلك مصلحة [illegible]، ولذا [illegible] الرجال؛ لأنه لباس بأهل الجنة.

فالحاصل أن جميع الأواني من زجاج وخزف وخشب وأحجار وغير ذلك، الأصل فيها الحل حتى لو كانت من أغلى المعادن، فإنها حلال إلا الذهب والفضة، والعلة في ذلك ليس كما قال بعض الفقهاء: أنها الخيلاء وكسر قلوب الفقراء وما أشبه ذلك، لأنه لو كان هكذا لكان كل إناء يكسر قلوب الفقراء يحرم فيه الأكل والشرب، لكن العلة بينها الرسول عليه الصلاة والسلام: «هي لهم في الدنيا، وهي لكم في الآخرة»، وهذا خاص بآنية الذهب والفضة.

لو أن الإنسان شرب في آنية من معدن أغلى من الذهب والفضة لم يكن هذا حرامًا إذا لم يصل إلي حد السرف، ولكن لو أكل أو شرب في الذهب والفضة كان ذلك حرامًا لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك وبين السبب.

وفي حديث أم سلمة: دليل على أن الأكل في آنية الذهب والفضة من كبائر الذنوب، لأن النبي ﷺ توعد علي ذلك بأن من فعل: «فإنما يجرجر في بطنه نار جهنم» الجرجرة: صوت الطعام والشراب وهو ينحدر في البلعوم، فإذا أكل أو شرب في إناء الذهب والفضة، فإما يجرجر في بطنه نار جهنم، وهذا يدل على أنه من كبائر الذنوب لأن فيه الوعيد، وكل ذنب فيه وعيد، فإنه من كبائر الذنوب.

والمطلي بالذهب والفضة قال العلماء: إنه كالخالص، لا يجوز أن يؤكل فيه ولا أن يُشرب فيه.

* * *

Marfat.com

(٣) كتاب اللباس

١١٧ ـ باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير

قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ **(الأعراف:٢٦).**

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : (كتاب اللباس).

وهذا من أحسن الترتيب فإن الأكل والشرب لباس الباطن، والثياب لباس الظاهر.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه:١١٨، ١١٩]. فقال: ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ لأن الجوع عري الباطن، فخلو البطن من الطعام عري لها. ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾ من لباس الظاهر ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ هذا حرارة الباطن ﴿وَلَا تَعْرَىٰ﴾ هذا حرارة الظاهر، ولهذا أشكل على بعض الناس قال: لماذا لم يقل: إن لك ألا تجوع فيها ولا تظمأ، وأنك لا تعرى فيها ولا تضحى؟ ولكن من تفطن للمعنى الذي أشرنا إليه، تبين له بلاغة القرآن. ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ هذا انتفاء العري في الباطن ﴿لَا تَعْرَىٰ﴾ انفاؤه في الظاهر. ﴿وَلَا تَظْمَأُ﴾ هذا انتفاء الحرارة في الباطن. ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ يعني لا تتعرض للشمس الحارة؛ فيه انفاء للحرارة في الظاهر.

كذلك المؤلف ـ رحمه الله ـ بدأ بآداب الأكل، ثم بآداب الشرب، ثم باللباس الذي هو كسوة الظاهر، وافتتح هذا الكتاب بقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف:٢٦]. فذكر الله تعالى نوعين من اللباس: نوعًا ظاهرًا ونوعًا باطنًا، أو نوعًا حسيًا ونوعًا معنويًا، وذكر أن الحسي قسمان: قسم ضروري تواري به العورة، وقسم كمالي ـ وهو الريش ـ لباس الزينة.

والله سبحانه وتعالى من حكمته أن جعل بني آدم محتاجين للباس لمواراة السوءة، يعني لتغطية السوءة، حتى يتستر الإنسان، وكما أنه محتاج للباس يواري سوءته الحسية، فهو محتاج [illegible] يواري سوءته المعنوية وهي المعاصي، وهذا من حكمة الله تعالى.

ولهذا نجد غالب المخلوقات ـ سوى الآدمي ـ لها ما يستر جلدها من شعر أو صوف أو

Marfat.com

محتاجون إلي أن يتذكروا العورة المعنوية وهي عورة الذنوب ، حمانا الله منها.

﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم ﴾ أي عوراتكم ﴿ وريشا ﴾ أي ثياب زينة وجمال زائدة وجمال زائدة عن اللباس الضروري، ﴿ ولباس التقوى ﴾ هذا هو اللباس المعنوي ﴿ ذلك خير ﴾ أي من اللباس الظاهر؛ سواء كان مما هو ضروري ، كالذي، كالذي يواري السوءة أم الكمالي.

وإذا كان لباس التقوى خيرًا من لباس الظاهر، فيجب على الإنسان أن يفكر، حيث تجدنا نحرص على نظافة اللباس الظاهر - فالإنسان إذا أصاب ثوبه بقعة أو وسخ ذهب يغلسها بالماء والصابون، وبما يقدر عليه من المنظف - لكن لباس التقوى كثير من الناس لا يهم به، يتنظف أو يتسخ لايهتم به.

مع أن هذا كما قال الله عز وجل : هو الخير، وهو إشارة إلى أنه يجب الاعتناء بلباس التقوى أكثر مما يجب الاعتناء بلباس البدن الظاهر الحسي، لأن لباس التقوى أهم، وهنا قال: ﴿ ذلك خير ﴾ ، ولم يقل: ولباس التقوى هو خير، لأن ذلك اسم إشارة وجيء بها للبعيد إشارة إلى علو مرتبة هذا اللباس، كما قال تعالى: ﴿الم ۝١ ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ [البقرة: ١، ٢]. ولم يقل: هذا الكتاب ، إشارة إلى علو مرتبة القرآن، كذلك قوله: ﴿ ذلك خير ﴾ إشارة إلى علو مرتبة لباس التقوى.

فينبغي للإنسان أن يعتني بهذها اللباس، بأن يتقي الله عزوجل، وأن يفكر دائما في سيئاته ومعاصيه، وتنظيف السيئات والمعاصي أسهل من تنظيف الثياب الظاهرة، الثياب الظاهرة تحتاج إلى عمل وتعب وأجرة وتحضير ماء ومنظف ، لكن هذا الأمر سهل جدًا ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ [آل عمران: ١٣٥]. بالاستغفار والتوبة يمحي كل ما سلف، نسأل الله تعالى أن يتوب علينا بمنه وكرمه.

* * *

وقال تعالى : ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ **(النحل: ٨١).**

[١/ ٧٧٩] **ـ وعن ابن عبَّاس رضىَ الله عنهما أنَّ رسولَ الله ﷺ قال : « البسُوا من ثِيَابكُم البَيَاضَ ؛ فإنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ ، وكَفِّنُوا فِيها مَوْتَاكُمْ » رواهُ أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن صحيح .**

(١/ ٧٧٩) صحيح : رواه أبو داود (٤٠٦١) ، والترمذي (٩٩٤) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٢٦).

Marfat.com

[٢/ ٧٨٠] ـ وعنْ سَمُرَةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «البَسُوا البَيَاضَ؛ فإنَّهَا أطهَرُ وأطيَبُ، وكفِّنُوا فيها مَوْتَاكُمْ» رواهُ النسائى، والحاكم وقال: حديث صحيح.

[٣/ ٧٨١] ـ وعن البراء رضيَ اللهُ عنه قال: كَانَ رسُولُ الله ﷺ مَرْبُوعاً ولَقَدْ رأيْتُه فى حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأيْتُ شَيْئاً قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ. متفقٌ عليه.

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ آية أخرى، وهي قوله تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾، السرابيل: هي الدروع، يعني مثل لباسنا هذا يسمى سرابيل: القميص والدروع وشبهها.

﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾، أما السرابيل التي تقينا البأس فيه سرابيل الحديد، الدروع من الحديد، كانوا في السابق يلبسونها عند الحرب والقتال لأنها تقي الإنسان السهام الواردة إليه؛ فإنها عبارة عن حلق من حديد منسوج، كما قال الله تعالى وهو يعلم داود: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١]. فيصفون هذه الدروع بأنها إذا لبسها الإنسان وجاءته السهام أو الرماح أو السيوف، ضربت على هذا الحديد، ووقته الشر.

أما قوله: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ﴾ فهي الثياب من القطن وشبهها تقي الحر، وقد يقول قائل: لماذا لم يقل تقيكم البرد؟ أجاب العلماء عن ذلك بأن هذا على تقدير شيء محذوف أي تقيكم الحر وتقيكم البرد، لكنه ذكر الحر لأن السورة مكية نزلت في مكة وأهل مكة ليس عندهم برد، فذكر الله منته عليهم بهذه السرابيل التي تقي الحر، وقيل إنه ليس في الآية شيء محذوف، وأن الدروع التي تقي البأس تقي الإنسان حر السهام ونحوها، والسرابيل الخفيفة تقي الحر الجوي؛ وذلك أن الإنسان في الجو الحار لو لم يكن عليه سرابيل تقيه الحر للفحه واسود جلده وتأذى وجف، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل السرابيل التى تقي الحر من نعمته تبارك وتعالى.

ثم ذكر حديث ابن عباس وحديث سمرة رضي الله عنهم في أن النبي ﷺ حث على لبس الثياب البيض وقال: «**إنها خير ثيابكم**» وقال: «**كفنوا فيها موتاكم**». وصدق النبي عليه الصلاة والسلام؛ فإن الثوب الأبيض خير من غيره من جهة الإضاءة والنور، ومن جهة أنه إذا اتسخ أدنى اتساخ ظهر فيه، فبادر الإنسان إلى غسله.

(٢/ ٧٨٠) صحيح: رواه النسائي في الكبرى (٢٠٢٣)، والحاكم (٤/ ١٨٥)، وصححه وقال الذهبي: على شرط البخاري، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٤٩١٥).

(٣/ ٧٨١) صحيح: رواه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧).

Marfat.com

أما الثياب الأخرى فربما تتراكم فيها الأوساخ والإنسان لا يشعر بها ولا يغسلها، وإذا غسلها فلا يدري ؛ هل تنظفت أم لا، فلهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم».

وهو شامل للبس الثياب البيض: القمص، والأزر ، والسراويل، كلها ينبغي أن تكون من البياض، فإنه أفضل، ولكن لو أنه لبس من لون آخر فلا بأس، بشرط ألا يكون مما يختص لبسه بالنساء، فإن كان مما يختص لبسه بالنساء فإنه لا يجوز أن يلبسه الرجل، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء(١) ، وكذلك بشرط ألا يكون أحمر، لأن الأحمر قد نهى عنه النبي ﷺ إذا كان أحمر خالصًا ، فإن كان أحمر وفيه بياض فلا بأس.

وعلى هذا يحمل الحديث الثالث الذي ذكره المؤلف أن النبي ﷺ كان مربوعًا، وأنه كان عليه حلة حمراء، هذه الحلة الحمراء ليس معناها أنها كلها حمراء، لكن معناها أن أعلامها حمر، مثل ما تقول الشماغ أحمر وليس هو كله أحمر، بل فيه بياض كثير، لكن نقطه ووشمه الذي فيه أحمر ، كذلك الحلة الحمراء يعني أن أعلامها حمر، أما أن يلبس الرجل أحمر خالصًا ليس فيه شيء من البياض، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك.

* * *

[٤/ ٧٨٢] ـ وعن أبي جُحَيْفَةَ وهْب بنِ عبد الله رضيَ اللهُ عنهُ قال : رأيْتُ النَّبيَّ ﷺ بمكَّةَ وَهُو بالأبْطَحِ في قُبَّة لَهُ حَمْرَاءَ منْ أدَم ، فَخَرَجَ بلالٌ بوَضُوئه ، فَمنْ نَاضح ونَائل فَخرَجَ النبي ﷺ وَعلَيْه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ، كأنِّي أنْظُرُ إلى بَيَاضِ سَاقَيْه ، فَتوَضأ وأذَّنَ بلالٌ ، فَجعَلْتُ أتَتَبَّعُ فَاهُ ههُنَا وههُنا ، يقولُ يَميناً وشمَالاً : حَيَّ عَلى الصَّلاَة ، حَيَّ عَلى الفَلاحِ ، ثُمَّ رُكزَتْ لَهُ عنَزةٌ ، فَتقَدَّمَ فَصلَّى يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْه الكَلْبُ وَالحِمَارُ لا يُمْنَعُ . متفقٌ عليه .

« العَنَزَةُ » بفتحِ النون : نحْوُ العُكَّازَة .

[٥/ ٧٨٣] ـ وعن أبي رِمْثَةَ رفاعَةَ التَيْميّ رضيَ اللهُ عنه قالَ : رَأيْتُ رسُولَ الله ﷺ وعلَيْه ثوبانِ أخْضَرانِ . رواه أبو داود ، والترمذي بإسنادٍ صحيح .

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٥٨٨٥) وأبو داود (٤٠٧٩).

(٤/ ٧٨٢) صحيح: رواه البخاري (١٨٧)، ومسلم (٥٠٣).

(٥/ ٧٨٣) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٦٥)، والترمذي (٢٨١٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٣٠).

Marfat.com

[٦/ ٧٨٠] ــ وعن جابر رضيَ اللهُ عنه ، أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ دَخلَ يوْمَ فَتحِ مكَّةَ وَعلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ . رواهُ مسلم .

الشرح

هذه الأحاديث ذكرها النووي - رحمه الله - في «رياض الصالحين» في (كتاب اللباس)، وقد سبق ذكر شيء من هذه الأحاديث ، وهنا حديث وهب بن عبد الله السوائي أبي جحيفة رضي الله عنه، أنه رأى النبي ﷺ في قبة له حمراء من أدَم أو من أُدُم، ولكن الصواب من أدَم.

وذلك في الأبطح في حجة الوداع، فإن النبي ﷺ لما قدم مكة في حجة الوداع في السنة العاشرة من الهجرة، قدمها ضحى يوم الأحد، الرابع. من ذي الحجة، ونزل إلى المسجد الحرام فطاف وسعي ثم خرج إلى الأبطح ، فنزل فيه إلى اليوم الثامن، وكان في هذه القبة التي ضربت له عليه الصلاة والسلام.

يقول: فخرج، يعني حين زالت الشمس، فخرج النبي ﷺ وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بياض ساقيه. وهذ الحلة حلة حمراء يعني أعلالها حمر ليست سوداً ولا خضراً، لأن الأحمر الخالص قد ثبت نهى النبي ﷺ عن لبسه، فتحمل هذه على أن المراد أن أعلامها يعني خطوطها ونقشها حمر.

خرج بلال رضي الله عنه بوضوء النبي عليه الصلاة والسلام يعني بما بقي من مائه الذي توضأ به، فجعل الناس يأخذون منه من ناضح ونائلٍ ، يعني بعضهم أخذ كثيراً وبعضهم أخذ قليلاً؛ يتبركون بفضل وضوئه ﷺ ، فخرج النبي ﷺ ، من هذه القبة، وأذن بلال ثم ركزت العنزة لرسول الله ﷺ ، والعنزة رمح في طرفه زج، يعني رمح طرفه حديدة محددة، كان النبي ﷺ يصحبها معه في السفر، ركزت العنزة من أجل أن يصلي إليها، لأن الإنسان إذا كان في السفر فإنه ينبغي أن يصلي إلى شيء قائم؛ كعصا يركزها في الأرض أو ما أشبه ذلك.

يقول: فتقدم فصلى الظهر ركعتين ، والعصر ركعتين، وهذا يدل على جواز الجمع للمسافر وإن كان نازلاً، لكن الأفضل ألا يجمع إلا من حاجة، كما لو كان سائراً يمشي أو كان نازلاً ولكن يحتاج إلى راحة؛ فيجمع جمع تأخير أو جمع تقديم، وإلا فالأفضل للنازل ألا يجمع.

ثم ذكر وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة كيف كان أذان بلال؛ يقول: جعلت

(٦/ ٧٨٤) صحيح : رواه مسلم (١٣٥٨)

Marfat.com

أتبع فاه ها هنا وها هنا؛ يعني: يمينًا وشمالاً، يقول: حي على الصلاة ، حي على الفلاح.

واختلف العلماء[1] ـ رحمهم الله ـ هل يقول: حي على الصلاة على اليمين، حي على الصلاة على اليسار، ثم حي على الفلاح على اليمين ، حي على الفلاح على اليسار، أم أنه يجعل حي على الصلاة كلها على اليمين، وحي على الفلاح كلها على اليسار؟ والأمر في هذا واسع، وإن فعل هذا أو هذا فكله على خير ولا بأس به.

ثم ذكر حديثين آخرين ؛ أحدهما: أن النبي ﷺ كان عليه لباس أخضر، والثاني: كان عليه عمامة سوداء، وهذا يدل أيضًا على جواز لباس الأخضر ولباس الأسود.

* * *

[٧/ ٧٨٥] ـ وعن أبي سعيد عمرو بن حُرَيْث رضي الله عنه قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعلَيْه عمامةٌ سَوْداءُ ، قدْ أرْخَى طَرَفَيها بَيْنَ كتفيْه . رواه مسلم .

وفي رواية له أن رَسول الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ ، وَعَلَيْه عمامَة سَوْدَاءُ .

[٨/ ٧٨٦] ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كُفِّنَ رسول الله ﷺ في ثلاثة أثْوَابٍ بيضٍ سَحُولِيَّة منْ كُرْسُفٍ ، لَيْسَ فيهَا قَميصٌ وَلا عمَامَةٌ . متفقٌ عليه .

« السَّحوليَّةُ » بفَتحِ السين وضمها وضم الحاء المهملَتين : ثيابٌ تُنْسَب إلى سَحُولٍ : قَرْيَة باليَمنِ ، و « الكرْسُف » : القُطن .

[٩/ ٧٨٧] ـ وعنها قالت : خَرَجَ رسول الله ﷺ ذات غَدَاة ، وَعَلَيْه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ منْ شَعْرٍ أسْوَد . رواه مسلم .

« المرط » بكسر الميم : وهو كساء ، و « المُرَحَّل » بالحاء المهملة : هُو الذي فيه صورةُ رِحال الإبل ، وَهيَ الأكْوَارُ .

[١٠/ ٧٨٨] ـ وعن المُغيرة بن شُعْبَةَ رضي الله عنه قال : كُنتُ مع رسول الله ﷺ ذاتَ لَيلَةَ في مسير ، فقال لي : « أمعَكَ ماءٌ ؟ » قلت : نَعَمْ ، فَنزَلَ عن راحلَته فَمَشى حَتى تَوَارَى في سَوادِ اللَّيْلِ ، ثُم جاءَ فأفْرَغْتُ عَلَيْهُ منَ الإداوَةِ ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعلَيْه جُبَّةٌ مِنْ

---

(١) انظر المغني (١/ ٤٧٢).

(٧/ ٧٨٥) صحيح : رواه مسلم (١٣٥٩) وأبو داود (٤٠٧٧) والنسائي (٨/ ٢١١) وابن ماجه (١١٠٤).

(٨/ ٧٨٦) صحيح : رواه البخاري (٣/ ١٢٦٤) ، ومسلم (٩٤١).

(٩/ ٧٨٧) صحيح : رواه مسلم (٢٠٨١) وأبو داود (٤٠٣٢) والترمذي (٢٨١٣).

(١٠/ ٧٨٨) صحيح : رواه البخاري (٥٧٩٩) ، ومسلم (٢٧٤).

Marfat.com

صُوف ، فلم يَستَطعْ أنْ يُخرجَ ذراعَيْه منها حتى أخْرجَهُمَا منْ أسفَلِ الجُبَّة ، فَغَسَلَ ذرَاعَيْه وَمَسَحُ بَرأسه ، ثم أهوَيْت لأنزعَ خُفَّيْه فقال : « دَعهُمَا فَإنِّي أدْخَلتهُمَا طَاهِرَتَينِ » وَمَسَحَ عَلَيْهمَا . متفقٌ عليه .

وفي روايةٍ : وعَلَيْه جُبَّةٌ شامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْن .

وفي روايةٍ : أن هذه القَضيَّةَ كانت في غَزْوَة تَبُوكَ.

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها المؤلف ـ رحمه الله ـ في (كتاب اللباس) فيها الإشارة ـ كما سبق ـ إلى أنه يجوز للإنسان أن يلبس ما شاء من الثياب، البيض، والسود، والخضر، والصفر ، والحمر، إلا أن الأحمر الخالص قد ثبت فيه النهي عن النبي ﷺ، فلا يلبس الأحمر الخالص إلا مشوبًا بلون آخر.

وفي حديث عمرو بن حريث، أنه رأي النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم وعليه عمامة سوداء، وسبق أنه ﷺ دخل مكة وعليه عمامة سوداء، فهو يدل على جواز لبس العمامة السوداء، وكذلك الشماغ الذي نقشه أسود أو أخضر أو أحمر كل هذا جائز.

وفيه دليل: على جواز لبس العمامة، وأن من الأفضل أن يجعل الإنسان لها ذؤابة، وأن يرخي طرفها من خلف، كما فعل النبي ﷺ . والعمامة التي لبس لها ذؤابة تسمى العمامة الصماء، لأنه ليس لها طرف مرخي، وكلاهما جائز، وكلاهما أيضًا يجوز المسح عليه على القول الراجح.

وفي حديث عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف؛ ليس فيها قميص ولا عمامة.

ففيه : دليل على أن الأفضل أن يكفن الأموات في الثياب البيض، وهذا إن تيسر، لكن لو فرض أنه لم يتيسر فيكفن الميت في مثل ما يلبسه الحي، من أي لون كان إلا الأحمر الخالص.

وفي حديث عائشة: دليل على أن الميت لا يجعل عليه قميص ولا عمامة، وإنما توضع القطع واحدة فوق الأخرى، ثم يوضع عليها الميت، ثم تلف القطع العليا عليه، ثم الوسطي، ثم السفلى ، ثم تثنى من عند رأسه ومن عند الرجلين، وتربط وتحزم حتى يدخل الميت القبر، فإذا أدخل القبر فإن الحزائم تفك، قال العلماء: تفك الحزائم لأن الميت إذا مات انتفخ ، فإذا انتفخ وقد ربط فربما يتفجر ، فتفك الحزائم من أجل الا يتفجر.

Marfat.com

وفي حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن النبي صلي الله وعلى آله وسلم في غزوة تبوك من بعيرة وأخذ الإداوة ـ والإداوة: إناء يوضع فيه الماء ـ فأخذ الإداوة عليه الصلاة والسلام وانطلق حتى توارى في سواد الليل، لأنه عليه الصلاة والسلام أشد الناس حياءً، فلا يجب أن يراه أحد وهو جالس على قضاء حاجته، وإن لم تر عورته.

وهذا من كمال الأدب ؛ أنك إذا أردت أن تقضي حاجتك فابعد عن الناس حتى تتوارى عنهم لا من أجل ألا يروا عورتك، لأن ستر العورة واجب ولا يجوز أن تنكشف أمام الناس، لكن هذا فوق ذلك، يعني الأفضل ألا يُرى الإنسان وهو على حاجته. وهذا من هدي النبي ﷺ ، لأن هديه أكمل الهدي. ثم أراد أن يتوضأ وكان عليه جبة من صوف ضيقة الأكمام، لبسها عليه الصلاة والسلام لأن الوقت كان باردًا، لأن تبوك قريبة من الشام والشام يبرد، [illegible] عليه جبة لبسها عليه الصلاة والسلام [illegible] يغسل وجهه وأراد أن يخرج ذراعيه من الكم، وكان الكم ضيقًا لم يستطع أن يخرج، فأخرجها من أسفل وغسلها عليه الصلاة والسلام.

ولما أراد أن يغسل قدميه، أهوى المغيرة بن شعبة لينزع خفيه ، قياسًا على أن الرسول لم يمسح على الكمين لما كان ضيقين، وإنما أخرج يده من أسفل حتى غسلها ، فظن المغيرة ابن شعبة أن الخفين مثل ذلك، وأنها تنزع من أجل غسل الرجل، ولكن النبي ﷺ قال له: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما، وقوله: «أدخلتهما طاهرتين» أي لبستهما على طهارة، فمسح عليهما.

ففي هذا الحديث عدة فوائد:

منها: أن رسول الله ﷺ بشر يناله ما ينال البشر من الأمور الطبيعية، يبرد كما يبرد الناس ، ويحتر كما يحتر الناس، ولهذا رآه مرة معاوية وقد فك أزرار القميص(١) ـ لأنه والله أعلم كان محترًا ففك الأزرار ـ فظن معاوية رضي الله عنه أن هذا من السنة، وهو ليس من السنن المطلقة، لكن من السنة إذا كان فيه تخفيف على البدن، لأن كل ما يخفف عن البدن فهو خير. فإذا كان الإنسان محترًا وأراد أن يفتح الأزرار الأعلى والذي يليه فلا بأس ويكون هذا من السنة، أما بدون سبب فإنه ليس من السنة، لأنه لو كان من السنة لكان وضع الأزرار عبثًا لا فائدة منه؛ والدين الإسلامي ليس فيه شيء عبث ، فكله جد.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا حرج على الإنسان أن يتوقي ما يؤذيه من حر أو برد،

---

(١) صحيح : رواه أحمد (١/ ٤٥٢) ابن ماجه (٣٥٧٨) وصححه الالباني في مختصر الشمائل المحمدي (٤٨).

Marfat.com

كما فعل النبي ﷺ ، بل الأفضل للإنسان أن يتوقي ما يؤذيه؛ لأن هذا من تمام الرعاية للنفس، حتى إن شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ قال: الأكل إذا خفت أن يؤذيك صار حرامًا عليك؛ الأكل الذي هو الغذاء إذا خفت أن يؤذيك ؛ إما بكثرته وإما بكونك أكلت قريبًا فتخشى أن تتأذى بالأكل الجديد ، فإنه يحرم عليك ، بمعني أنك تأثم إذا أكلته لأن الإنسان يجب أن يرعي نفسه حق الرعاية.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه لا يجوز أن يمسح على حائل سوى الخفين أو العمامة، فلو كان على الإنسان ثوب ضيق الأكمام ولا تخرج اليد إلا بصعوبة وقال: أمسح على هذا الثوب كما أمسح على الخف ، قلنا: هذا لا يجوز ، لابد أن تخرج يدك حتى تغسلها، حتي لو فرض أنها لم تخرج إلا بشق الكم فإنه يشق حتى يؤدي الإنسان ما فرض الله عليه من غسل اليد ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة:٦].

ومن فوائد الحديث : بيان جهل بعض الناس الذين يظنون أن ما يسمي بالمانيكير مثل الخفين، إذا وضعته المرأة على طهارة تغسلها يومًا وليلة وهذا خطأ ليس بصحيح، فالمانيكير يجب أن يزال عند الوضوء حتي يصل الماء إلى الأصافر وأطراف الأصابع.

ومن فوائد هذا الحديث: جواز استخدام الأحرار لأن النبي ﷺ كان المغيرة يخدمه، ولكن لا شك أن خدمة الرسول ﷺ شرف ، كل يفخر بخدمة الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان للنبي ﷺ خدم من الأحرار كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وأنس بن مالك وغيرهما؛ فالمغيرة كان يخدم النبي ﷺ .

ومن فوائد الحديث: جواز إعانة المتوضيء على وضوئه يعني تصب عليه ، أو تقرب له الإناء وما أشبه ذلك. وكذلك لو فرض أنه لا يستطيع أن يغسل أعضاءه فاغسلها أنت، فلو فرض أن في يده كسرًا أو شللاً أو ما أشبه ذلك، فلا حرج أن تغسل أعضاءه أنت.

ومن فوائد الحديث: أن الإنسان إذا كان لابسًا خفين أو جوارب على طهارة، فإنه يمسح عليهما، وأن المسح أفضل من أن يخلعهما ويغسل قدميه، لأن الرسول ﷺ قال: «دعهما ـ أي اتركهما لا تخلعهما ـ فإني أدخلتهما طاهرتين» فمسح عليهما.

ومن فوائد هذا الحديث: ما ذهب إليه بعض العلماء من أن المسح على الخفين يكون مرة واحدة على القدمين؛ إذ إن المغيرة لم يذكر أنه بدأ باليمنى قبل اليسرى، فاستنبط بعض العلماء من أن المسح على الخفين يكون باليدين جميعا مرة واحدة ولكن لا حرج، أن الإنسان يفعل هذا أو يمسح على الرجل اليمنى قبل اليسرى، لأن المسح بدل عن الغسل ، والغسل تقدم فيه اليمنى على اليسرى والبدل له حكم المبدل، فإن فعل الإنسان هذا أو هذا

Marfat.com

فلا حرج والأمر في هذا واسع.

ومن فوائد الحديث: أنه لا يجوز المسح على الخفين أو الجوربين إلا إذا كان لبسهما على طهارة، فإن لبسهما على طهارة وجب عليه أن يخلعهما عن الوضوء ويغسل قدميه. ومنه فوائد أخرى.

* * *

Marfat.com

١١٨ ـ باب استحباب القميص

[١/ ٧٨٩] ـ عن أُمِّ سلمةَ رضى الله عنها قالت : كان أَحَبَّ الثِّيابِ إلى رسول الله ﷺ القَميصُ . رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن .

* * *

١١٩ ـ باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

[١/ ٧٩٠] ـ عن أسماءَ بن يزيدَ الأنصاريَّةِ رضى الله عنها قالت : كان كُمُّ قميصِ رسول الله ﷺ إلى الرُّسغِ ، رواه أبود داود ، والترمذى وقال : حديثٌ حسن .

[٢/ ٧٩١] ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما أنَّ النبى ﷺ قال : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إليه يَوْمَ القِيَامَةِ » فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إنَّ إزارى يَسْتَرْخى إلا أنْ أتَعَاهَدَهُ، فقال له رسول الله ﷺ : « إنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاءَ » رواه البخارى ، وروى مسلم بعضه .

[٣/ ٧٩٢] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إلى مَنْ جَرَّ إزارهُ بَطَراً » متفقٌ عليه .

[٤/ ٧٩٣] ـ وعنه عن النبى ﷺ قال : « مَا أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإزار ففِى النَّارِ» رواه البخارى .

[٥/ ٧٩٤] ـ وعن أبى ذرٍّ رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاثةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ ، ولا يَنْظُرُ إلَيْهِم ، ولا يُزَكيهِمْ ، ولَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ » قال : فقرأها رسولُ الله ﷺ

(١/ ٧٨٩) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٢٥) ، والترمذي (١٧٦٢) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٩٦).

(١/ ٧٩٠) ضعيف : رواه أبو داود (٤٠٢٧) ، والترمذي (١٧٦٥) ، وقال: حسن غريب أ. هـ. وفي إسناده حوشب وهو ضعيف ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٧٠٠).

(٢/ ٧٩١) صحيح : رواه البخاري (٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥).

(٣/ ٧٩٢) صحيح : رواه البخاري (٥٧٨٨)، ومسلم (٢٠٨٧).

(٤/ ٧٩٣) صحيح : رواه البخاري (٥٧٨٧)،وأحمد (٢/ ٤٦١، ٥/ ٩) وابن ماجه (٣٥٧٣)

(٥/ ٧٩٤) صحيح : رواه مسلم (١٠٦) ، وابو داود (٤٠٨٧) والترمذي (١٢١١) والنسائي (٥/ ٨١) (٧/ ٢٤٥) وابن ماجه (٢٢٠٨).

Marfat.com

ثَلاث مرَار ، قال أبو ذرٍّ : خابُوا وخَسِرُوا ! مَنْ هُمْ يا رسول الله ؟ قال : «المُسْبِلُ ، والمَنَّانُ ، والمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بالحَلف الكاذب » رواه مسلم .

وفي روايةٍ له : « المُسْبِلُ إزارَهُ » .

الشرح

هذه الأحاديث التي ذكرها النووي - رحمه الله - في (كتاب اللباس) ، فيها أحاديث تدل على أن أحب الثياب إلى رسول الله ﷺ القميص، وذلك أن القميص أستر من الإزار والرداء، وكانوا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يلبسون الإزار والرداء أحيانًا، وأحيانًا يلبسون القميص، وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحب القميص لأنه أستر، ولأنه قطعة واحدة يلبسها الإنسان مرة واحدة ، فهي أسهل من أن يلبس الإزار أولاً ثم الرداء ثانيًا.

ولكن مع ذلك لو كنت في بلد يعتادون لباس الأزار والأردية ولبست مثلهم فلا حرج، والمهم ألا تخالف لباس أهل بلدك فتقع في الشهرة وقد نهى النبي ﷺ عن لباس الشهرة.

وفي هذه الأحاديث أيضًا دليل على أن كم القميص يكون إلى الرسغ، والرسغ هو الوسط بين الكوع والكرسوع، لأن الإنسان له مرفق وهو المفصل الذي بين العضد والذراع، وله كوع وكرسوع ورسغ، فالكوع: هو طرف الذراع مما يلي الكف من جهة الإبهام. والكرسوع: طرف عظم الذراع مما يلي الكف من جهة الخنصر ، وأما الرسغ فهو ما بينهما، وعلى هذا قول الناظم:

وعظم يلي الإبهام كـــوعٌ وما يلي الخنصر الكرسوع والرسغ ما وسط

وعظم يلي إبهام رجلٍ ملقبٌ ببوع فخـــذ بالعلم واحذر من الغلط

والعوام إذا أرادوا ضرب المثل بالإنسان الأبله، قالوا: هذا لا يعرف كوعه من كرسوعه.

وأكثر الناس يظنون أن الكوع: هو المرفق الذي إليه منتهى الوضوء ، ولكن ليس كذلك، فما عند مفصل الكف من الذراع؛ مما يلي الخنصر هو الكرسوع، وما يلي الإبهام فهو الكوع، وما بينهما فهو الرسغ. والنبي عليه الصلاة والسلام كان قميصه إلى الرسغ.

ثم ذكر المؤلف حديث ابن عمر، وحديث أبي هريرة رضي الله عنهم في إسبال الثياب، وإسبال الثياب يقع علي وجهين:

الوجه الأول: أن يجر الثوب خيلاء.

الوجه الثاني: أن ينزل الثوب أسفل الكعبين من غير خيلاء.

Marfat.com

أما الأول: وهو الذي يجر ثوبه خيلاء، فإن النبي ﷺ ذكر له أربع عقوبات والعياذ بالله: لا يكلمه الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليه ـ يعني نظر رحمة ـ ولا يزكيه، وله عذاب أليم. أربع عقوبات يعاقب بها المرء إذا جر ثوبه خيلاء.

ولما سمع أبو بكر بهذا الحديث قال: يا رسول الله ، إن أحد شقي إزاري يسترخي على إلا أن أتعاهده ـ يعني فهل يشملني هذا الوعيد؟ ـ فقال ﷺ : **«إنك لست ممن يصنع هذا خيلاء»** فزكاه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه لا يصنع هذا خيلاء، وإنما العقوبة على من فعله خيلاء.

أما من لم يفعله خيلاء، فعقوبته أهون، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«ما أسفل الكعبين ففي النار»** ، ولم يذكر إلا عقوبة واحدة، ثم هذه العقوبة أيضًا لا تعم البدن كله، إنما تختص بما فيه المخالفة؛ وهو ما نزل من الكعب، فإذا نزل ثوب الإنسان أو «مشلحه» أو سرواله إلى أسفل من الكعب، فإنه يعاقب على هذا النازل بالنار، ولا يشمل النار كل الجسد، إنما يكوى بالنار ـ والعياذ بالله ـ بقدر ما نزل.

ولا تستغرب أن يكون العذاب على بعض البدن الذي حصلت فيه المخالفة ، فإنه ثبت في «الصحيحين» أن النبي ﷺ رأى أصحابه توضئوا ولم يسبغوا الوضوء،فنادى بأعلى صوته: **«ويل للأعقاب من النار»**[1] فهنا جعل العقوبة على الأعقاب، يعني العراقيب التي لم يسبغوا وضوءها، فالعقاب بالنار يكون عامًا؛ كأن يحرق الإنسان كله بالنار ـ والعياذ بالله ـ ويكون في بعض البدن الذي حصلت فيه المخالفة ، ولا غرابة في ذلك.

وبهذا نعرف ضعف قول النووي[2] ـ رحمه الله ـ : بتحريم الإسبال خيلاء وكراهيته لغير الخيلاء، والصحيح أنه حرام سواء أكان لخيلاء أم لغير خيلاء، بل الصحيح أنه من كبائر الذنوب ، لأن كبائر الذنوب: كل ذنب جعل الله عليه عقوبة خاصة به وهذا عليه عقوبة خاصة ؛ ففيه الوعيد بالنار إذا كان لغير الخيلاء، وفيه وعيد بالعقوبات الأربع إذا كان خيلاء: لا يكلمه الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليه، ولا يزكيه ، وله عذاب أليم.

وختم المؤلف بحديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم»** قرأها ثلاث مرات، وإنما فعل النبي عليه الصلاة والسلام هذا من أجل أن يتنبه الإنسان ، لأن اللفظ إذا جاء مجملاً ـ ولا سيما مع التكرار ـ ينتبه له الإنسان ، حتى إذا جاءه التفصيل والبيان ورد على نفس متشوقة تطلب البيان.

فقال أبو ذر: يا رسول الله، خابوا وخسروا من هؤلاء؟ قال: **«المسبل ، والمنان، والمنفق**

---

(١) صحيح : رواه البخاري (١٦٣) مسلم (٢٤٠)

(٢) انظر شرح النووي لمسلم (١٤ / ٦٢).

Marfat.com

سلعتة بالحلف الكذب».

الأول المسبل: يعني الذي يجر ثوبه خيلاء.

والثاني المنان: الذي يمن بما أعطى، إذا أحسن إلى أحد بشيء جعل يمن عليه: فعلت بك كذا وفعلت بك كذا.

والمن من كبائر الذنوب، لأن عليه هذا الوعيد، وهو مبطل للأجر لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والثالث المنفق سعلته بالحلف الكاذب: يعني الذي يحلف وهو كاذب ليزيد ثمن السلعة، فيقول: والله لقد اشتريتها بعشرة وهو لم يشترها إلا بثمانية، أو يقول: أعطيت فيها عشرة، وهو لم يعط فيها إلا ثمانية فيحلف علي هذا، فهذا ممن يستحق هذه العقوبات الأربع؛ لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه، ولا يزكيه، وله عذاب أليم. نسأل الله العافية.

٦/ ٧٩٥ ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «الإسْبَالُ فى الإزارِ، وَالقَمِيص، وَالعِمَامَةِ؛ مَنْ جَرَّ شَيْئاً خُيلاء لَم يَنظُرِ اللهُ إليهِ يومَ القِيامَةِ» رواه أبوداود، والنسائى بإسناد صحيح.

❊ ❊ ❊

[٧/ ٧٩٦] ــ وعن أبى جُرَىٍّ جَابِر بن سُلَيم رضى الله عنه قال: رَأيتُ رَجُلاً يصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأيه؛ لا يَقُولُ شَيْئاً إلا صَدَرُوا عنه؛ قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: رسول الله ﷺ، قلتُ: عَلَيكَ السَّلامُ يَا رسول الله ــ مَرَّتَيْن ــ قال: «لا تقُل عَليكَ السَّلامُ. عَلَيكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوتَي، قُل: السَّلامُ عَلَيكَ» قال: قلتُ: أنتَ رسولَ الله؟ قال: «أنا رسول الله الذى إذا أصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإذا أصَابَكَ عَامُ سَنَة فَدَعَوتَهُ أنبَتَها لكَ، وإذا كُنتَ بأرْضٍ قَفْرٍ أوْ فَلاة، فَضَلَّت رَاحِلَتُكَ، فَدَعَوتَهُ رَدَّهَا عَلَيكَ» قال: قلتُ: اعْهَدْ إليَّ، قال: «لا تَسُبَّنَّ أحَداً» قال: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرّاً، ولا عبدا، وَلا بَعيراً، وَلا شاة «وَلا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئاً، وأنْ تُكَلِّمَ أخاكَ وأنتَ مُنْبَسِطٌ إليه وجهُكَ؛ إنَّ ذلكَ مِنَ المَعْرُوف، وارفَعْ إزَارَكَ إلى نِصْفِ السَّاقِ، فَإن أبيتَ فَإلى الكَعْبين، وَإيَّاكَ وإسْبَالَ الإزَارِ فَإنَّها من المَخيلة وإنَّ الله لا يحبُّ المَخيلَةَ، وإن امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بما يَعْلَمُ فيكَ فلا تُعيِّرهُ بما تَعلَم فيه؛ فإنَّما وَبَالُ ذلكَ عليه» رواه أبو داود والترمذى بإسناد صحيح، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(٦/ ٧٩٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٩٤).

(٧/ ٧٩٦) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٨٤)، والترمذي (٢٧٢٢) مختصرًا. وصححه الالباني في صحيح أبى داود (٣٤٤٢).

Marfat.com

الشرح

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ في «رياض الصالحين» في (كتاب اللباس)، عن جابر بن سُليم رضي الله عنه أنه قدم المدينة فرأى رجلاً يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئًا إلا صدروا عنه ـ يعني أنهم يأخذون بما يقول وبما يوجه، لأنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فسأل من هذا؟ لأنه رجل لا يعرف النبي ﷺ قالوا: رسول الله، فجاء إليه فقال: أنت رسول الله؟ قال: نعم.

ولكنه قال: عليك السلام، فقدم الخبر، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا تقل عليك السلام، عليك السلام تحية الموتى، ولكن قل: السلام عليك». ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام: «عليك السلام تحية الموتى». يعني أنهم كانوا في الجاهلية يسلمون على الأموات هكذا كما قال الشاعر:

عليك سلام الله [illegible] بن عاصم [illegible] ورحمته ما [illegible]

فكانوا في الجاهلية إذا سلموا على الأموات يقولون عليك السلام، لكن الإسلام نسخ هذا وصار السلام يقال لمن ابتدئ به، السلام عليك، حتى الموتى كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخرج إليهم إلى المقبرة يسلم عليهم فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين ولا يقول: عليك السلام.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: «قل السلام عليك»(١) دليل على أن الإنسان إذا سلم على الواحد يقول: السلام عليك، هكذا جاء أيضًا في حديث الرجل الذي يسمى المسيء صلاته، أنه جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: السلام عليك؛ بالإفراد ، وهذا هو الأفضل.

وقال بعض العلماء: تقول: السلام عليكم، تريد بذلك أن تسلم علي الإنسان الذي سلمت عليه ومن معه من الملائكة، ولكن الذي وردت به السنة أولى وأحسن؛ أن تقول: السلام عليك، إلا إذا كانوا جماعة فإنك تسلم عليهم بلفظ السلام عليكم.

ثم إن النبي ﷺ بين له أنه رسول رب العالمين الذي يكشف الضر ويجلب النفع، فإذا ضاعت البعير في فلاة من الأرض فدعوت الله سبحانه وتعالى ردها عليك، يقول: «وإذا أصابك سنةٌ» يعني جدبا في الأرض وعدم نبات، «فدعوت الله كشفه عنك» أنبت الأرض لك، وكذلك إذا أصابك الضر فدعوت الله كشفه عنك، كما قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢].

---

(١) سبق تخريجه.

Marfat.com

فبين له أنه - أي الرب عز وجل - يجلب لعباده الخير، وأنه إذا دعاه عبده لم يخب، وهكذا كل دعاء تدعو به ربك فإنك لا تخيب، لو لم يأتك من هذا إلا أن الدعاء عبادة تؤجر عليه؛ الحسنة بعشر أمثالها إلي سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة لكفى.

وإذا لم يكن هناك موانع تمنع إجابة الدعاء، فإن الله تعالى إما أن يعطيك ما سألت وتراه رأى العين، تدعو الله بالشيء فيحصل ، وإما أن يكشف عنك من الضر ما هو أعظم، وإما أن يدخر ذلك لك عنده، وإلا فلن يخيب من دعا الله عز وجل أبداً.

ولكن إياك أن تستبطئ الإجابة فتقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لى، فإن الشيطان قد يلقى فى قلبك هذا ويقول : كم دعوت الله من مرة وما جاءك مطلوب ؟ ثم يقنطك من رحمة الله - والعياذ بالله - وهذه من كبائر الذنوب؛ القنوط من رحمة الله من كبائر الذنوب. لا تقنط من رحمة الله ولو تأخرت إجابة الدعاء، فأنت لا تدري ما هو الخير؟ ما أمرك الله تعالى بالدعاء إلا وهو يريد أن يستجيب لك، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]. لكنك تستعجل ، انتظر وألح على الله بالدعاء، فربما أن الله عز وجل يؤخر إجابتك لأجل أن تكثر من الدعاء فتزداد حسناتك، وتعرف قدر نفسك، وتعرف قدر حاجتك إلى الله عز وجل، فهذا خير.

فإياك أن تستعجل، وألح علي الله في الدعاء، والله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء المبالغين فيه، لأن الإنسان يدعو من إليه المنتهى عز وجل، من بيده ملكوت كل شيء.

وسواء كان ذلك في صلاتك أو في خلواتك، ادع الله بما شئت حتى وأنت تصلي، ادع الله بما شئت لأن النبي ﷺ - قال : «**أما السجود فأكثروا فيه من الدعاء**»(١) وقال حين ذكر التشهد: «**ثم ليتخذ من الدعاء ما شاء**»(٢) ، فليس للإنسان أحد سوى الله، فليلجأ إليه في كل دقيق وجليل، حتى إنه جاء في الحديث : «**ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى يسأل شراك نعله إذا انقطع**»(٣) ، وشراك النعل أدنى شيء يسأله الله عز وجل، لأن السؤال عبادة والتجاء إلى الله عز وجل وإنابة إليه وارتباط به سبحانه وتعالى، يكون قلبك دائمًا مع الله سبحانه وتعالى، فأكثر من الدعاء.

ثم إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر جابر بن سليم الا يحقرن من المعروف شيئًا، فإن المعروف من الإحسان، والله سبحانه وتعالى يحب المحسنين.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٤٧٩).

(٢) صحيح : رواه البخاري (٨٣٥) ومسلم (٤٠٢).

(٣) سبق تخريجه.

Marfat.com

فلو ساعدت إنسانًا على تحميل متاعه في السيارة فهذا معروف ، لو أدنيت له شيئًا يحتاج إليه فهذا من المعروف، لو أعطيته القلم يكتب به فهذا من المعروف، لو أعطيته حافظة من أجل أن يحفظ بها شيئًا من الأشياء ، فهذا من المعروف، أحسن فإن الله يحب المحسنين. واعلم أن هناك قاعدة إذا ذكرها الإنسان سهل عليه الإحسان ، وهي ما ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قوله: «**ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته**»[(١)] . وما ظنك إذا كان الله في حاجتك؟ هل تتعثر الأمور؟ الجواب: لا، إذا كان الله في حاجتك يساعدك على حاجتك ويعينك عليها، فلا شك أنها سوف تسهل، فأنت كلما كنت في حاجة أخيك كان الله في حاجتك، فأكثر المعروف، أكثر من المعروف، أكثر من الإحسان، ولا تحقرن شيئًا ولو كان قليلاً، قال النبي ﷺ : «**لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة**»[(٢)] ، أي لا تحقر ولو هذا الشيء القليل.

ثم قال النبي ﷺ لجابر بن سليم: «**وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف**». لما قال: «**لا تحقرن من المعروف شيئًا**» بين أن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق لا معبس ولا مكفهر، بل يكون منبسطا، وذلك لأن هذا يدخل السرور على أخيك، وكل ما أدخل السرور على أخيك فإنه معروف وإحسان ، والله يحب المحسنين، وهذا لا شك أنه خير، إلا أنه في بعض الأحيان قد يكون المرء الذي يخاطبك من المصلحة ألا تلقاه بوجه منبسط ، كأن يكون قد فعل شيئا لا يجد عليه، فلا تلقه بوجه منبسط تعزيراً له، لأجل أن يرتدع ويتأدب ، ولكل مقام مقال.

ثم إن النبي ﷺ أمره أن يرفع إزاره إلى نصف الساق، فإن أبي فإلي الكعبين ، وهذا يدل على أن رفع الإزار إلى نصف الساق أفضل، ولكن لا حرج أن ينزل إلى الكعبين؛ وذلك لأن هذا من باب الرخصة، وليس بلازم أن يرفع الإنسان إزاره إلى نصف الساق، أو يرى أن ذلك حتم عليه، وأن الذي لا يرفع قد خالف السنة، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**فإن أبيت فإلى الكعبين**» ولم يقل فإن أبيت فعليك كذا وكذا، من الوعيد فدل ذلك على أن الأمر في هذا واسع.

وقد دمر علينا أنا أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال للنبي ﷺ : «**إن أحد شقي إزاري يسترخي على إلا أن أتعاهده**»[(٣)] .

وقلنا: إذن هذا يدل على أن إزار أبي بكر رضي الله عنه نازلاً عن نصف الساق، وأن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦٩٥١) ومسلم (٢٥٨٠).
(٢) صحيح: رواه البخاري (٦٠١٧) رواه مسلم (١٠٣٠).
(٣) سبق تخريجه.

Marfat.com

هذا لا بأس به، فلا ينبغي للإنسان أن يشدد على نفسه أو على الناس، بحيث يرى أنه لزام عليه أن يجعل سرواله أو ثوبه أو (مشلحه) إلى نصف الساق، فالأمر في هذا واسع، هو سنة ولكن مع ذلك الأمر فيه واسع ولله الحمد بترخيص النبي ﷺ .

ثم حذر النبي ﷺ جابر بن سليم من المخيلة ، يعني أن يختال في مشيته أو ثوبه أو عمامته أو (مشلحه) أو كلامه أو أي شيء يفعله خيلاء، فإن الله لا يحب ذلك ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨]. فالإنسان ينبغي له أن يكون متواضعًا دائمًا في لباسه ومشيته وهيئته وكل أحواله، لأن من تواضع لله رفعه الله.

فهذاه الآداب التي علمها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته، ينبغي للإنسان أن يتأدب بها، لأنه يحصل على أمرين:

أولا: امتثال أمر النبي ﷺ ، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾ [النساء: ١٣].

ثانيًا: التحلي بحسن الخلق من خلال التأدب بهذه الآداب الراقية التي لا يستطيع أحد من البشر أن يوجه الناس إلى آداب مثلها أبدًا، لأن الآداب التي جاء بها الشرع هي خير الآداب . ثم إن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم ، فإنما وبال ذلك عليه**» وذلك أن الإنسان ينبغي له أن يعفو ويصفح ولا يجعل كل كلمة يسمعها مقياسًا له في الحكم على الناس، تغاض عن الشيء واعف واصفح، فإن الله تعالى يحب العافين عن الناس ويثيبهم على ذلك ، أنت إذا عيرته أو سببته بما تعلم فيه طال النزاع ، وربما حصل بذلك العداوة والبغضاء ، فإذا كففت وسكت هدأت الأمور.

وهذا شيء مجرب؛ أن الإنسان إذا ساب أحدًا قد سبه طال السباب بينهما وحصل تفرق وتباغض ، وإذا سكت فإنه قد يكون أنفع، كما قال الله تبارك وتعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]. يعني قالوا قولاً يسلمون به، إما أن يقولوا مثلاً: جزاك الله خيرًا، عن هذا اترك الكلام وما أشبه ذلك.

وقال عز وجل : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]. ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ يعني ما عفى وسهل من أخلاق الناس، ولا تُرد من الناس أن يكونوا على أكمل حال بالنسبة لك، الناس ليسوا على هواك، لكن خذ منهم ما عفي وما سهل، وما صعب فلا تطلبه، ولهذا قال: ﴿ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ الجاهل إذا سابك أو شتمك أو ما أشبه ذلك، فأعرض عنه، فإن هذا هو الخير وهو المصلحة والمنفعة.

* * *

Marfat.com

[٨/ ٧٩٧] ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يُصلّي مُسْبلٌ إزارَه ، قال له رسول الله ﷺ : « اذهَب فتَوضّأ » فَذَهَبَ فَتوضأ ، ثم جاءَ ، فقال : « اذهَبْ فَتَوضّأ » فقال له رجُلٌ : يا رسول الله ، مالك أمَرْتَه أن يَتَوَضّأ ثم سكَتّ عنه ؟ قال : «إنه كانَ يُصَلّي وهو مُسبلٌ إزَارَهُ ، وإن اللّه لا يَقْبَلُ صَلاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ » رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح على شرط مسلم .

الشرح

في الأحاديث السابقة بين النبي ﷺ أن من جر ثوبه خيلاء لا ينظر الله إليه، ولا يكلمه يوم القيامة ، ولا يزكيه، وله عذاب أليم، وأن ما أسفل الكعبين ففي النار، وبينا أن هذا من كبائر الذنوب، وأنه لا يحل للإنسان أن يلبس ثوبًا نازلاً عن الكعب، وأما ما كان على حذاء الكعب يعني على وزن الكعب فلا بأس به، وكذلك ما ارتفع إلى نصف الساق، فما بين نصف الساق إلى الكعب كله من الألبسة المرخص فيها.

والإنسان في حل وفي سعة إذا لبس إزارًا أو سروالاً أو قميصًا أو (مشلحًا) يكون فيما بين ذلك ، وأما ما نزل عن الكعب فحرام بكل حال، بل هو من كبائر الذنوب.

ثم اختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ فيما لو صلى الإنسان وهو مسبل، يعني قد نزل ثوبه أو سرواله أو إزاره أو (مشلحه) الذي يستتر ولا يشف ، اختلف في هذا أهل العلم، هل تصح صلاته أو لا تصح.

فمن العلماء من قال: إنها لا تصح صلاته لأنه ليس ثوبًا محرمًا، والله سبحانه وتعالى إنما أباح لنا أن نلبس ما أحل الله لنا، فإن قوله : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]. يعني ثيابكم ، يريد بها ما أباح لنا وما أحله لنا، وأما ما حرمه علينا فلسنا مأمورين به، بل نحن منهيون عنه.

واستدل الذين يقولون: إن الله لا يقبل صلاته إذا أسبل بهذا الحديث الذي ذكره المؤلف عن أبي هريرة؛ أن النبي ﷺ رأى رجلا مسبلاً فقال له النبي ﷺ : «اذهب فتوضأ» فذهب فتوضأ، ثم رجع فقال: «اذهب فتوضأ» ، ثم سأل النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله، ما لك أمرته أن يتوضأ؟ قال: «**إنه كان يصلي وهو مسبل إزاره، وإن الله لا يقبل صلاة مسبل**». وهذا نص صريح في أن الله لا يقبل صلاة المسبل؛ يعني فتكون صلاته فاسدة ، ويلزم بإعادتها.

والمؤلف يقول: رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم. ولكن هذا فيه نظر،

(٨/ ٧٩٧) ضعيف : رواه أبو داود (٦٣٨ ، ٤٠٨٦) وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٨٤).

Marfat.com

فإن الحديث ضعيف لا يصح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

والصحيح من أقوال العلماء أن صلاة المسبل صحيحة، ولكنه آثم ، ومثل ذلك أيضًا من لبس ثوبًا محرمًا عليه؛ كثوب سرقه الإنسان فصلى به ، أو ثوب فيه تصاوير؛ فيه صليب مثلاً، أو فيه صور حيوان ، فكل هذا يحرم لبسه في الصلاة وفي خارج الصلاة، فإذا صلى الإنسان في مثل هذا فالصلاة صحيحة، لكنه آثم بلبسه.

هذا هو القول الراجح في هذه المسألة؛ لأن النهي هنا ليس نهيًا خاصًا بالصلاة، فلبس الثوب المحرم عام في الصلاة وغيرها، فلا يختص بها فلا يبطلها، هذه هي القاعدة التي أخذ بها جمهور العلماء - رحمهم الله - وهي القاعدة الصحيحة.

وهذا الحديث لو صح لكان فاصلاً للنزاع ، لكنه ضعيف، فمن ضعفه قال: صلاة المسبل صحيحة. ومن صححه قال: صلاة المسبل غير صحيحة، وعلى كل حال فإن الإنسان يجب عليه أن يتقي الله عز وجل وألا يتخذ من نعمته وسيلة لغضبه - والعياذ بالله - فإن من بارز الله بالعصيان وقيل له : إن الثوب النازل عن الكعب حرام ومن كبائر الذنوب ولكنه لم يبال بهذا استعان بنعمة الله على معصية الله نسأل الله العافية.

* * *

[٧٩٨/٩] ــ وعن قَيس بن بشر التَّغْلبيِّ قال : أخْبَرَنى أبى ــ وكان جَليساً لأبى الدَّرداَء ــ قال : كان بدمشقَ رَجُلٌ من أصحَابِ النبى ﷺ يقال له : سهل بن الحَنْظَلِيَّة ، وكان رَجُلاً مُتَوحِّدًا قَلَّمَا يُجالِسُ النَّاسَ ، إنمَّا هوَ صلاةٌ ، فإذا فَرغَ فإنَّما هو تَسبيحٌ وتَكبيرٌ حتى يَأتى أهْلَهُ ، فَمرَّ بنا ونَحْنُ عند أبى الدرداء ، فقال له أبو الدَّرداء : كَلمةً تَنفَعُنا ولا تَضرُّكَ ، قال : بَعثَ رسول الله ﷺ سريَّةً فَقدمَتْ ، فجاءَ رَجُلٌ منهم فَجلَسَ في المَجلسِ الذى يَجْلسُ فيه رسول الله ﷺ ، فقال لرجُلٍ إلَى جَنْبه : لوْ رأيْتنا حينَ التَقَيْنا نَحنُ والعَدُو ، فَحمَلَ فُلانٌ وطَعنَ ، فقال : خُذْهَا منى ، وأنا الغلامُ الغفَارىُّ، كَيفَ تَرى فى قوْله ؟ قال : مَا أراهُ إلا قَدْ بَطَلَ أجرهُ ، فَسمِعَ بذَلكَ آخرُ فقال : مَا أرَى بذلكَ بَأساً ، فَتَنازَعَا حتى سَمِعَ رسول الله ﷺ فقال : « سُبْحَانَ اللَّه ؟ لا بَأسَ أنْ يُؤْجَرَ ويُحْمَدَ » فَرأيْتُ أبَا الدَّرْداء سر بذلكَ ، وجَعَلَ يَرفَعُ رأسَهُ إليْه ويَقولُ : أنْتَ سَمعْتَ ذلكَ منْ رسول الله ﷺ ؟! فيقول: نَعمْ ، فما زَالَ يعيد عَلَيْه حتى إنِّى لأقولُ لَيبركَنَّ عَلَى ركبَتَيْه.

قال : فَمرَّ بنَا يَوماً آخرَ ، فقال لَه أبو الدَّرْداء : كَلمةً تَنفَعُنا ولا تَضرُّكَ ، قال : قال لنا رسول الله ﷺ : « المُنفِقُ عَلَى الخَيْلِ كالبَاسِطِ يَدَه بالصَّدَقَة لا يَقْبضُهَا » .

(٧٩٨/١) ضعيف : رواه أبو داود (٤٠٨٩) ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٨٨٤).

Marfat.com

ثم مَرَّ بنا يوماً آخرَ ، فقالَ لَهُ أبو الدَّرداء : كلمةٌ تنفعُنا ولا تضرُّكَ ، قال : قال رسول الله ﷺ : « نعمَ الرَّجلُ خريمٌ الأسديُّ ! لولا طولُ جُمَّته وإسبالُ إزاره ! » فبلغَ خُريماً ، فعجَّلَ ، فأخذَ شفرةً فقطعَ بها جُمَّتَهُ إلى أذنيه ، ورفعَ إزارَه إلى أنصاف ساقيه.

ثم مَرَّ بنا يوماً آخرَ ، فقالَ لَهُ أبو الدَّرداء : كلمةً تنفعُنا ولا تضرُّكَ ، قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : « إنَّكُمْ قادمونَ على إخوانكُمْ ، فأصلحُوا رحالَكُمْ ، وأصلحُوا لباسكُمْ حتى تكونُوا كأنَّكُمْ شامةٌ في النَّاس ؛ فإنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ الفُحشَ ولا التَّفحُّشَ » .

رواه أبو داود بإسناد حسنٍ ، إلا قيس بن بشر فاختلفوا في توثيقه وتضعيفه ، وقد روى له مسلم .

الشرح

هذا الحديث الذي ذكره المؤلف في قصة ابن الحنظلية رضي الله عنه عبر وفوائد ، حيث كان رجلاً يحب التفرد ، ما هو إلا صلاة ثم تسبيح ثم في شأن أهله، يعني أنه لا يحب أن يذهب عمره سدى مع الناس في القيل والقال والكلام الفارغ ليس فيه فائدة، يصلي ويسبح ويكون في أهله.

فمر ذات يوم بأبي الدرداء رضي الله عنه وهو جالس مع أصحابه ، فقال له أبو الدرداء رضي الله عنه: كلمة تنفعنا ولا تضرك؛ يعني أعطنا كلمة أو قل لنا كلمة تنفعنا ولا تضرك، فذكر ابن الحظلية أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعث سرية ثم قدمت السرية ـ والسرية يعني الجيش القليل، أقل من أربعمائة نفر، يذهبون يقاتلون الكفار إذا لم يسلموا ـ، فقدموا إلى النبي عليه الصلاة والسلام فجلس أحدهم في المكان الذي يجلس فيه الرسول عليه الصلاة والسلام، وجعل يتحدث عن السرية وما صنعته، وذكر رجلاً راميًا يرمي ويقول: خذها وأنا الغلام الغفاري ، يفتخر.

والحرب لا بأس أن الإنسان يفتخر فيها أمام العدو ، ولهذا جاز للإنسان في مقابلة الأعداء أن يمشي الخيلاء وأن يتبختر في مشيته، وأن يضع على عمامته ريش النعام وما أشبه ذلك، مما يعد مفخرة، لأن هذا يغيظ الأعداء، وكل شيء يغيظ الكفار فلك فيه أجر عند الله، حتى الكلام، الذي يغيظ الكافر ويذله هو عز لك عند الله عز وجل وأجر.

هذا الغلام الغفاري كان يفتخر ويقول: خذها، يعني خذ الرمية وأنا الغلام الغفاري.

فقال بعض الحاضرين بطل أجره، لأنه افتخر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:١٨]. وهذا صحيح أن الله لا يحب كل مختال فخور إلا في الحرب ، فقال الآخر. لا بأس في ذلك.

فصار بينهم كلام، فخرج النبي ﷺ وهم يتنازعون فقال: «سبحان الله» يعني تنزيهًا

Marfat.com

لله عز وجل عن كل عيب ونقص، لأن الله تعالى كامل الصفات من كل وجه، ليس في علمه قصور، ولا في قدرته قصور، ولا في حكمته قصور، ولا في عزته قصور، كل صفاته جلا وعلا كاملة من جميع الوجوه.

قال: «**سبحان الله**» يعني كيف تتنازعون في هذا؟ ـ «**لا بأس أن يُحمد ويؤجر**» يعني يجمع الله له بين خيري الدين والدنيا يُحمد بأنه رجل شجاع رامٍ وأنه يؤجر عند الله عز وجل ، فلا بأس في هذا.

وكان عامر بن الأكوع رضي الله عنه لما لحق القوم في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كان يقول: خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع، فلا بأس أن يفتخر الإنسان في حال الحرب بنفسه وقوته وعشيرته وما أشبه ذلك.

ومر ابن الحنظلية بأبي الدرداء يومًا آخر فقال له أبو الدرداء: كلمة تنفعنا ولا تضرك، يعني علمنا كلمة تنفعنا ولا تضرك، فأخبره أن النبي ﷺ قال: «**المنفق على الخيل كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها**»، لأن الخيل في ذلك الوقت هي المركوب الذي يركب به في الجهاد في سبيل الله، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة لا يقبضها، فيكون الإنفاق على الخيل من الصدقات، لأنها تستعمل في الجهاد في سبيل الله.

ثم مر به مرة أخرى فقال: كلمة تنفعنا ولا تضرك ، فأخبر أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أثنى على رجل إلا أنه قال: «**لولا طول جمته وإسبال إزاره**» ، الجمة: الشعر؛ يعني أنه عنده شيء من الخيلاء.

هذا الرجل قد أطال شعره وأطال ثوبه، فسمع الرجل بذلك فقص جمته حتى صارت إلى كتفه وقصر ثوبه.

وفي هذا: دليل على أن طول الجمة ـ يعني الشعر للرجال ـ من المخيلة ، وأن الشعر للرجل لا يتجاوز الكتف أو شحمة الأذن أو ما أشبه ذلك ، لأن الذي يحتاج إلى التجمل بالرأس هي المرأة ، فإن المرأة هي التي تحتاج إلى التجمل، وفي هذا إشارة إلى أن الرجال لا يجوز لهم أن يتشبهوا بالنساء في الشعر أو في غير الشعر، لأن النبي ﷺ لعن المتشبهين من الرجال بالنساء و المتشبهات من النساء بالرجال(١) .

والله سبحانه وتعالي جعل الذكور جنسًا والإناث جنسًا ، وأحل لكل واحد منهما ما يناسبه، فلا يجوز أن يلحق الرجال بالنساء، ولا أعلم أن أحدًا من المسلمين ألحق النساء بالرجال في كل شيء.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤١٩٤) ومسلم (١٨٠٧).

Marfat.com

لكن الكفار الذين انتكسوا ونكس الله فطرتهم وطبيعتهم هم الذين يقدمون النساء، ويقولون لابد أن تشارك المرأة الرجل حتى لا يحصل فرق، ولا شك أن هذا خلاف الفطرة التي جبل الله عليها الخلق، وخلاف الشريعة التي جاءت بها الرسل، فالنساء لهن خصائص والرجال لهم خصائص.

ثم إن الرجل سمع ذلك فقص جمته، وفيه دليل على امتثال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ لأمر النبي ﷺ واسترشادهم بإرشاده ، وأنهم كانوا يتسابقون إلى تنفيذ ما يقول: وهذا علامة الإيمان.

أما المتباطئ في تنفيذ أمر الله ورسوله، فإن فيه من المنافقين الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، تجده مثلاً يخبر عن حكم الله ورسوله في شيء، ثم يتباطأ ويتثاقل وكأنما وضع على رأسه صخرة ـ والعياذ بالله ـ ثم يذهب إلى كل عالم لعله يجد رخصة، مع أن العلماء قالوا: إن تتبع الرخص من الفسق ـ والعياذ بالله ـ والمتتبع للرخص فاسق، حتى إن بعضهم قال: إن من تتبع الرخص فقد تزندق أي صار زنديقًا.

فعلى الإنسان إذا بلغه أمر الله ورسوله من شخص يثق به في علمه وفي دينه ألا يتردد، وأقول: في علمه ودينه لأن من الناس من هو دين ملتزم لكن ليس عنده علم، تجده يحفظ حديثًا من أحاديث الرسول ثم يقوم يتكلم في الناس وكأنه إمام من الأئمة، وهذا يجب الحذر منه ومن فتاواه، لأنه قد يخطئ كثيرًا لقلة علمه.

ومن الناس من يكون عنده علم واسع لكن له هوى والعياذ بالله، يفتي الناس بما يرضي الناس لا بما يرضي الله، وهذا يسمى عالم الأمة.

فالعلماء ثلاثة أقسام: عالم ملة، وعالم دولة، وعالم أمة.

إما عالم الملة: فهو الذي ينشر دين الإسلام، ويفتي بدين الإسلام عن علم، ولا يبالى بما دل عليه الشرع أوافق أهواء الناس أم لم يوافق.

وأما عالم الدولة: فهو الذي ينظر ماذا تريد الدولة فيفتي بما تريد الدولة، ولو كان في ذلك تحريف كتاب الله وسنة رسوله.

وأما عالم الأمة: هو الذي ينظر ماذا يرضي الناس، إذا رأى الناس على شيء أفتى بما يرضيهم ، ثم يحاول أن يحرف نصوص الكتاب والسنة من أجل موافقة أهواء الناس نسأل الله أن يجعلنا من علماء الملة العاملين بها.

فالمهم أن الإنسان يجب عليه الا يغرر بدينه وألا يغتر ، بل يكون مطمئنًا حتى يجد من يثق به في علمه ودينه ويأخذ دينه منه. كما قال أحد السلف : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

Marfat.com

فهذا العلم دين وطريق إلى الله عز وجل، ثم إن هؤلاء المغرمين بالكفار وتقليدهم ـ والعياذ بالله ـ تجدهم يقلدون الكفار في الملابس ، فإذا جاءت هذه المجلات التي يسمونها البردة وغيرها اشتروها مباشرة وذهبوا بها إلى البيت وقالوا: انظروا إلى هذه الملابس. فتجد صورًا خليعة وألبسة مخالفة للشريعة ، والنساء لقصرهن نظرًا ونقصهن عقلا ودينا إذا رأت شيئا يعجبها يمليه عليها هواها قالت لزوجها: أريد مثل هذا ، أو ذهبت بنفسها إلى الخياط ليصنع لها مثل هذه الألبسة الفاضحة، فيصبح الشعب المسلم في زية كزي الشعب الكافر والعياذ بالله، وهذه مسألة خطيرة قال ﷺ : «**من تشبه بقوم فهو منهم**»(١) .

ومن ذلك الآن ما تفعله النساء برؤوسهن ، كان النساء إلى عهد قريب تفرح المرأة إذا إذا طال شعرها، والخاطب إذا خطب امرأة كان يسأل عن شعرها أطويل أم قصير؟ أما الآن فصار الأمر بالعكس، المرأة تقص رأسها حتى يكون قريبًا من رأس الرجل أو مثل رأس الرجل، نسأل الله العافية.

ثم بدأن أيضًا يستعملن ما يسمى بالخنفسة ، تجد المرأة تقص سوالف رأسها ـ مقدم الرأس ـ والباقي يبقى مقصرًا مشرفًا ، كل هذا تقليد كل هذا بسبب الغفلة من الرجال عن النساء، والواجب أن تكون رجلاً في بيتك، رجلاً بمعنى الكلمة فلا تكون كأنك خشبة عند أهلك.

إذا رأيت أهلك مقصرين في واجب الله عز وجل مُرهم به، وإذا كان الشرع يجيز لك أن تضرب فاضرب، إذا رأيتهم يخالفون الشرع في شيء من الأمور الأخرى فألزمهم بالشرع ، لأنك مسئول أعطاك النبي ﷺ إمارة على أهلك «**الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته**»(٢) ؛ ما نصبك فلان وفلان، ما نصبك أمير البلد ولا الوزير ولا الملك ولا غيره نصبك محمد رسول الله ﷺ .فأنت أمير في بيتك . الرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته، ولم يقل: راعٍ وسكت، لو كان كذلك لهان الأمر، لكن قال: «**ومسئول عن رعيته**» ، فانظر ماذا يكون جوابك إذا وقفت يوم القيامة بين يدي الله، فعلينا أن ننتبه إلى هذه الأمور ، قبل أن يجترفنا السيل الجرار الذي لا يبقي ولا يذر ـ والعياذ بالله ـ ثم تنقلب عاداتنا وأحوالنا كأحوال النصارى.

ثم ذكر في بقية الحديث أن النبي ﷺ أرشدهم إلى أن يخرج الرجل على وجه يرضي قال: «**إنكم قادمون على إخوانكم**» يعني فأصلحوا أحوالكم وأصلحوا ثيابكم، لأنه من المعروف فيما سبق أن المسافر تكون ثيابه رثة، ويكون شعره شعثًا، ويكون عليه الغبار ،

---

(١) صحيح: رواه أبو داود (٤٠٣١) أحمد (٢/ ٩٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري (٢٤٠٩) ومسلم (١٨٢٩).

Marfat.com

ليس الأمر كاليوم ، فاليوم المسافر بالطائرات تنظيفة ونزيهة وليس فيها شيء ، لكن فيما سبق كان الأمر على العكس من هذا، فأمرهم أن يصلحوا أحوالهم، يعني الشعر الشعث يُرجَّل ويصلح، وكذلك يتنظف الإنسان ويلبس الثياب التي ليست ثياب سفر، حتى يلقي الناس دون أن يشمئزوا منه .وفي هذا: إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يلاحظ نفسه في هذه الأمور ولا يكون غافلاً، حتى جمال الثياب؛ فإنه لما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردل من كبر» قالوا: يا رسول الله كلنا يُحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله جميل يحب الجمال» يعني يحب التجمل، ليكن ثوبك حسنًا ونعلك حسنا وهيئتك حسنة.«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»[(١)] ، بطر الحق يعني رد الحق؛ أن الإنسان يستكبر عن الحق، يقال: هذا حق؛ فيعرض والعياذ بالله. وغمط الناس؟ احتقارهم وازدراؤهم وألا يراهم شيئا ، قال رجل لابنه: يا بنى كيف ترى الناس قال: أراهم ملوكًا . قال : هم يرونك كذلك . وقال آخر لابنه: كيف ترى الناس؟ قال: لا أراهم شيئًا. قال: هم كذلك يرونك . يعني إذا رأيت الناس ملوكًا فهم يجعلونك ملكًا. وإذا لم ترهم شيئًا لا تكون أنت شيئًا عندهم ، فالناس ينظرون إليك بقدر ما تنظر إليهم .

* * *

[١٠/ ٧٩٩] ـ وعن أبى سعيد الخدْرِيِّ رضىَ اللّه عنه قال : قال رسُولُ اللّه ﷺ : «إزرةُ المُسلِمِ إلى نِصفِ السَّاقِ ، ولا حَرَجَ ـ أوْ لا جُنَاحَ ـ فيما بيْنهُ وبَيْنَ الكَعْبَيْنِ ، فَما كانَ أسْفَلَ مِنَ الكَعْبَينِ فهو فى النَّارِ ، ومَنْ جرَّ إزارَهُ بَطَراً لَمْ يَنْظُرِ اللّهُ إلَيْه » رواهُ أبُوداود بإسنادٍ صحيح .

[١١/ ٨٠٠] ـ وعن ابن عمر رضى اللّهُ عنهما قال : مَرَرْتُ عَلى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَفى إزَارى اسْتِرْخَاءٌ ، فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللّه ، ارْفَعْ إزارَكَ » فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ : « زِدْ » فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أتحرَّاهَا بَعْد ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ : إلى أيْنَ ؟ فَقَالَ :« إلى أنْصَافِ السَّاقَيْنِ » . رواه مسلم .

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٩١) واحمد (٤/ ١٣٣ ، ١٣٤).
(١٠ / ٧٩٩) صحيح : رواه ابو داود (٤٠٩٣) وصححه الالباني في صحيح ابي داود (٣٤٤٩).
(١١ / ٨٠٠) صحيح : رواه مسلم (٢٠٨٦).

Marfat.com

[٨٠١/١٢] ـ وعنه قالَ: قالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ جرَّ ثوبَهُ خيلاءَ لَمْ ينظُرِ اللهُ إليْه يوْمَ القيامَة» فقالَتْ أُمُّ سلَمَةَ: فكيْفَ تصنَعُ النِّساءُ بذُيُولِهنَّ، قالَ: «يُرْخِينَ شبْراً» قالَتْ: إذاً تنْكَشفُ أقْدامُهُنَّ، قال: «فيُرْخِينَهُ ذِراعاً لاَ يَزِدْنَ» رواهُ أبو داود والترمذي وقال: حديثٌ حسن صحيح.

الشرح

هذه أحاديث ثلاثة ساقها النووي ـ رحمه الله ـ في «رياض الصالحين» في (كتاب اللباس).

منها: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**إزرة المسلم إلى نصف الساق، ولا جناح ، أو قال: لا حرج فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل الكعبين فهو في النار، ومن جر إزاره بطرًا لم ينظر الله إليه**». فقسم النبي ﷺ طول القميص إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: السنة: إلى نصف الساق.

والقسم الثاني: الرخصة وهو ما نزل من نصف الساق إلى الكعب.

والقسم الثالث: كبيرة من كبائر الذنوب: وهو ما نزل عن الكعبين ولكنه لم يكن بطرًا.

القسم الرابع: من جر ثوبه خيلاء أو بطرًا، وهو أشد من الذي قبله.

فصارت الأقسام أربعة: قسم هو السنة، وقسم جائز، وقسم محرم بل من كبائر الذنوب، لكنه دون الذي بعده، والقسم الرابع من جره خيلاء، فإن الله تعالى لا ينظر إليه.

وفي هذا: دليل على أن من أنزل ثوبه إزارًا أو قميصًا أو سروالاً أو (مشلحًا) إلى أسفل الكعبين فإنه قد أتي كبيرة من كبائر الذنوب، سواء فعل ذلك خيلاء أو لغير الخيلاء، لأن النبي ﷺ فرق في هذا الحديث بين ما كان خيلاء وما لم يكن كذلك، فالذي جعله خيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة.

وإذا ضممنا هذ الحديث إلى حديث أبي ذر السابق قلنا: لا ينظر الله إليه، ولا يكلمه ولا يزكيه، وله عذاب أليم.[1]

أما ما دون الكعبين، فإنه يعاقب عليه بالنار فقط، ولكن لا تحصل له العقوبات

(١٢ / ٨٠١) صحيح: رواه أبو داود (٤١١٧)، والترمذي (١٧٣١) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٦٧)..

(١) سبق تخريجه برقم (٧٩٤).

Marfat.com

الأربع.

ثم ذكر حديث ابن عمر أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمره أن يرفع إزاره، فرفعه ثم قال: «زد» ثم قال: «زد» حتي قال رجل: إلى أين يا رسول الله؟ قال: «إلي أنصاف الساقين» يعني الزيادة إلى فوق لا تتجاوز نصف الساق من فوق ، لكنها من نصف الساق إلى الكعب كل هذا جائز ، وكلما ارتفع إلى نصف الساق فهو أفضل.

وأما حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رخص للنساء أن يرخين ذيولهن - يعني أسفل ثيابهن إلى شبر - فقالت : إذن تنكشف أقدامهن، فقال عليه الصلاة والسلام: «فيرخينه ذراعًا لا يزدن» لأن المرأة قدمها عورة ، فإذا برز للناس ورأوه فإن ذلك قد يكون فيه فتنة، فإذا نزلت ثوبها وجعلت تمشي سترت قدمها.

دليل علي وجوب تغطية الوجه، لأنه إذا كانت القدم يجب سترها مع أن الفتنة فيها أقل من الفتنة في الوجه، فستر الوجه من باب أولى، ولا يمكن للشريعة التي نزلت من لدن حكيم خبير أن تقول للنساء يغطين أقدامهن ولا يغطين وجوههن، لأن هذا تناقض، بل هذا إعطاء للحكم في شيء وحجب الحكم عن شيء أولى منه، وهذا لا يتصور في الشريعة العادلة التي هي الميزان، ولهذا جانب الصواب من قال من العلماء: إنه يجب أن تُستر القدمان، ولا يجب أن يُستر الوجه والعينان. هذا لا يمكن أبدًا ، والصواب الذي لا شك عندنا فيه، أنه لا يحل للمرأة أن تكشف وجهها إلا لزوجها أو محارمها.

* * *

Marfat.com

١٢٠ ـ باب استحباب ترك الترفع فى اللباس تواضعا

قد سبق فى باب فضل الجوع وخشونة العيش جمل تتعلق بهذا الباب .

[١/ ٨٠٢] ـ وعن معاذ بن أنس رضىَ اللّه عنه أنَّ رسُولَ اللّه ﷺ قال : « مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَواضُعاً لله وَهْوَ يَقْدرُ عَلَيْه ، دَعَاهُ اللّهُ يَومَ القيامَة عَلى رؤوسِ الخَلائقِ حتى يُخيِّرَهُ مِنْ أىِّ حُلَلِ الإيمَانِ شاءَ يَلْبَسُهَا » رَواهُ الترمذى وقال : حَديث حسن .

* * *

١٢١ ـ باب استحباب التوسط فى اللباس

ولا يقتصر على ما يزرى به لغير حاجة ولا مقصود شرعى

[١/ ٨٠٣]ـ عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه عَنْ جَدِّه رضىَ اللّهُ عنه قال : قالَ رسُولُ اللّهِ ﷺ : « إنَّ اللّه يُحبُّ أنْ يُرى أثَرُ نعْمَته عَلَى عَبْده » رَواهُ الترمذى وقال : حديثٌ حسن.

الشرح

عقد المؤلف ـ رحمه الله ـ في (كتاب اللباس) هذين البابين؛ الباب الأول: في استحباب ترك رفيع الثياب تواضعًا لله عز وجل. والثاني: في التوسط في اللباس.

أما الأول: فعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«من ترك اللباس ـ يعني اللباس الجميل الطيب ـ تواضعًا لله عز وجل وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من أي حلل الإيمان شاء يلبسها»**.

وهذا يعني أن الإنسان إذا كان بين أناس من متوسطي الحال لا يستطيعون اللباس الرفيع فتواضع وصار يلبس مثلهم؛ لئلا ينكسر قلوبهم، ولئلا يفخر عليهم ، فإنه ينال هذا الأجر العظيم ، أما إذا كان بين أناس قد أنعم الله عليهم ويلبسون الثياب الرفيعة لكنها غير محرمة ، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم، لأن الله تعالى جميل يحب الجمال.

ولا شك أن الإنسان إذا كان بين أناس رفيعي الحال يلبسون الثياب الجميلة ولبس دونهم ، فإن هذا يعد لباس شهرة ، فالإنسان ينظر ما تقتضيه الحال، فإذا كان ترك رفيع الثياب تواضعًا لله ومواساة لمن كان حوله من الناس، فإن له هذا الأجر العظيم، أما إذا كان بين أناس قد أغناهم الله ويلبسون الثياب الرفيعة، فإنه يلبس مثلهم.

ثم ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ الاقتصاد في اللباس، وأن الإنسان يقتصد في جميع

(١/ ٨٠٢) حسن: رواه الترمذي (٢٤٨١) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٠١٧).

(٢/ ٨٠٣) حسن: رواه الترمذي (٢٨١٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٦٠).

Marfat.com

أحواله؛ في لباسه ، وطعامه ، وشرابه، لكن لا يجحد النعمة، فإن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، إذا أنعم على عبده نعمة فإنه يحب أن يرى أثر هذه النعمة عليه.

فإن كانت مالاً فإنه يحب سبحانه وتعالى أن يرى أثر هذا المال على من أنعم الله عليه به بالإنفاق، والصدقات، والمشاركة في الإحسان ، والثياب الجميلة اللائقة به وغير ذلك.

وإذا أنعم الله على عبده يعلم فإنه يحب أن يرى أثر هذه النعمة عليه بالعمل بهذا العلم، في العبادة وحسن المعاملة ونشر الدعوة، وتعليم الناس وغير ذلك.

وكلما أنعم الله عليك نعمة فأر الله تعالى أثر هذه النعمة عليك، فإن هذا من شكر النعمة.

وأما من أنعم الله عليه بالمال وصار لا يُرى عليه أثر النعمة؛ يخرج إلى الناس بلباس رث وكأنه أفقر عباد الله ، فهذا في الحقيقة قد جحد نعمة الله عليه، كيف ينعم الله عليك بالمال والخير وتخرج إلى الناس بثياب كلباس الفقراء أو أقل، وكذلك ينعم الله عليك بالمال ثم تمسك ولا تنفق لا فيما أوجب الله عليك ، ولا فيما ندب لك أن تنفق فيه.

ينعم الله عليك بالعلم فلا يُرى أثر هذه النعمة عليك ، لا بزيادة عبادة أو خشوع أو حسن معاملة، ولا بتعليم الناس ونشر العلم.

كل هذا نوع من كتمان النعمة التي ينعم الله بها على العبد، والإنسان كلما أنعم الله عليه بنعمة ، فإنه ينبغي أن يظهر أثر هذه النعمة عليه حتى لا يجحد نعمة الله.

* * *

Marfat.com

١٢٢ ـ باب تحريم لباس الحرير على الرجال وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

[١/ ٨٠٤] ـ عن عمر بن الخطَّاب رضىَ الله عنه قال : قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ : « لاَ تَلْبَسُوا الحَرِيرَ ؛ فَإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ فى الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فى الآخرَةِ » متفقٌ عليه .

[٢/ ٨٠٥] ـ وعنه قال : سمِعتُ رسُولَ اللَّه ﷺ يقولُ : « إنَّما يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لاَ خلاَقَ لَهُ » متفقٌ عليه .

وفى رواية للبُخارى : « مَنْ لا خَلاَقَ لَهُ فى الآخرَة » .

قولُه : « مَنْ لا خَلاَقَ لَهُ » ، أىْ : لاَ نَصيبَ لَهُ .

[٣/ ٨٠٦] ـ وعن أنس رضىَ اللَّهُ عنه قال : قالَ رسُولُ اللَّه ﷺ : « مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فى الدُّنيا لَمْ يَلْبَسْهُ فى الآخرَة » متفقٌ عليه .

[٤/ ٨٠٧] ـ وعن علىّ رضىَ الله عنه قال : رَأيْتُ رسُولَ اللَّه ﷺ أخَذَ حَرِيراً ، فَجَعَلَهُ فى يَمينه ، وذَهَباً فَجعَلَهُ فى شمَاله ، ثمَّ قَالَ : « إنَّ هذَيْنِ حَرَامٌ علَى ذُكُورِ أُمَّتى » . رواه أبو داود بإسناد حسن .

[٥/ ٨٠٨] ـ وعن أبى مُوسى الأشْعَرىّ رضىَ اللَّهُ عنه أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قال : « حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ والذَّهَبِ علَى ذُكُورِ أُمَّتِي ، وَأُحِلَ لإنَاثِهِمْ » رواه الترمذى وقال حديثٌ حسن صحيحٌ .

[٦/ ٨٠٩] ـ وعن حُذَيْفَةَ رَضِىَ الله عنه قال : نَهَانَا النَّبىُّ ﷺ أن نَشْرَبَ فى آنِيَة الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ ، وَأنْ نَأكُلَ فِيهَا ، وعنْ لُبْس الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ ، وَأنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ . رواهُ البخارى .

الشرح

(باب تحريم الحرير على الرجال وافتراشه والاستناد إليه) ، هذه ثلاثة أمور : لباس

(١/ ٨٠٤) صحيح: رواه البخاري (٥٨٣٤)، ومسلم (٢٠٦٩).
(٢/ ٨٠٥) صحيح: رواه البخاري (٥٨٣٥)، ومسلم (٢٠٦٨)، (٢٠٦٩).
(٣/ ٨٠٦) صحيح: رواه البخاري (٥٨٣٢)، ومسلم (٢٠٧٣).
(٤/ ٨٠٧) صحيح رواه أبو داود (٤٠٥٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٢٢).
(٥/ ٨٠٨) صحيح رواه الترمذي (١٧٢٠)،وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٤٠٤).
(٦/ ٨٠٩) صحيح رواه البخاري (٥٨٣٧).

Marfat.com

الحرير وافتراشه والاستناد إليه، وقد جزم المؤلف بأن هذا حرام على الرجال، وذلك للأحاديث التي أوردها عن عمر بن الخطاب ، وعلى بن أبي طالب، وأنس بن مالك، وأبي موسى الأشعري، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم، وكلها تدل على تحريم لباس الذهب، وعلى تحريم لباس الحرير للرجال.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة، يعني إذا لبس الرجل حريرًا في الدنيا، فإنه لا يلبسه في الآخرة، وهذا وعيد يدل علي أن لباس الحرير للرجال من كبائر الذنوب لأن فيه الوعيد في الآخرة، وكل ذنب فيه وعيد الآخرة فهو كبيرة من كبائر الذنوب عن أهل العلم، ولا فرق بين أن يكون قميصًا أو سراويل أو غترة أو طاقية أو غير ذلك مما يلبس ، كل هذا حرام على الرجال إذا كان من الحرير، ولا يجوز للرجال أن يلبسوا شيئًا من الحرير لا قليلاً ولا كثيرًا.

وفي حديث علي أن النبي ﷺ أخذ ذهبًا وحريرًا بيديه وقال: «**هذان حرام على ذكور أمتي حلٌ لإناثها**» والحكمة في ذلك أن المرأة محتاجة إلى التجمل لزوجها ، فأبيح لها الذهب والحرير. وأما الرجل فليس في حاجة إلى ذلك، فلهذا حَرُمَ عليه لبس الذهب والحرير.

وفي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه «**إنما يلبسه من لا خلاق له في الآخرة**»، يعني من لا نصيب له في الآخرة ، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الإنسان إذا لبس الحرير في الدنيا ، فإنه لا يدخل الجنة ـ والعياذ بالله ـ لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**لا خلاق له في الآخرة**» أي لا نصيب له.

وقال أيضًا: «**من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**» وهذا يعني أنه لا يدخل الجنة، ولكن قال بعض العلماء: إنه يدخلها ، ولكن لا يتمتع بلباس الحرير مع أن أهل الجنة لباسهم فيها حرير، وإنما يلبس شيئًا آخر وهذا ما لم يتب، فإن تاب من ذنوبه فإن التائب من الذنب يغفر الله له ذنبه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

وهذا الحرير الطبيعي الذي يخرج من دود القز، وأما الحرير الصناعي فليس حرامًا، لكن لا ينبغي للرجل أن يلبسه لما فيه من الميوعة والتنزل بحال الرجل الذي ينبغي أن يكون فيها خشنًا ، يلبس ثياب الرجولة لا ثياب النعومة.

لكن الفائدة من قولنا : إن الحرير الصناعي ليس حرامًا ، يعني لو لبس طاقية من الحرير الصناعي أو سروالاً لا يرى، فهذا لا بأس به، وأما القميص والغترة فلا ينبغي ـ وإن كان حلالاً ـ لا ينبغي أن يلبسه الرجل لما فيه من الميوعة والتدني ، ولأن الجاهل إذا رآه يظنه

Marfat.com

حريراً طبيعيًا، فيظن أن ذلك سائغ للرجال وربما يقتدي به والسلامة أسلم للإنسان.

وكذلك الذهب فإنه محرم على الرجال حلال للنساء؛ لأنهن يحتجن إلى التجمل لأزواجهن.

وأما «**الدبلة**» من الذهب فهي حرام على الرجل لا شك، وأما المرأة فإن قارن ذلك عقيدة ، كاعتقادها أنها تحببها إلى زوجها ـ فهي حرام، وإن كان بدون عقيدة فهي خاتم من الخواتم.

* * *

Marfat.com

١٢٣ ـ باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

[١/ ٨١٠] ـ عن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال : رَخَّصَ رسُولُ الله ﷺ ، للزُّبيرِ وعَبْدِ الرَّحْمنِ بنِ عَوْفٍ رضيَ اللهُ عنهما في لُبْسِ الحَريرِ لحكَّةٍ بهمَا . متفقٌ عليه .

* * *

١٢٤ ـ باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عليها

[١/ ٨١١] ـ عن مُعَاوِيَةَ رضيَ الله عنه قال : قال رسُولُ اللهِ ﷺ : « لاَ تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلاَ النمَارَ » . حديث حسن ، رواهُ أبو داود وغيره بإسناد حسن .

[٢/ ٨١٢] ـ وعن أبي المَلِيحِ عن أبيه ، رضِيَ اللهُ عنه ، أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ . رواهُ أبو داود ، والترمذي ، والنسائي بأسانيدَ صحاحٍ .

وفي رواية الترمذي : نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ .

* * *

١٢٥ ـ باب ما يقول إذا لبس ثوبا جديدا أو نعلا أو نحوه

[١/ ٨١٣] ـ عن أبي سعيد الخُدْري رضيَ اللهُ عنه قال : كانَ رسُولُ اللهِ ﷺ إذَا اسْتَجَدَّ ثَوْباً سَمَّاهُ باسْمه ـ عِمَامَةً ، أوْ قَميصاً ، أوْ رِدَاءً ـ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنْتَ كَسَوْتَنيه ، أسْألُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَر مَا صُنِعَ لَهُ » رواهُ أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

الشرح

هذه الأبواب التي ذكرها المؤلف هي آخر أبواب كتاب اللباس في كتاب «رياض الصالحين» .

فالباب الأول: جواز لبس الحرير لمن به حكة .

وقد سبق أن النبي ﷺ نهى الرجال عن لبس الحرير وقال: «إنما يلبسه من لا خلاق له»

(١/ ٨١٠) صحيح : رواه البخاري (٥٨٣٩) ، ومسلم (٢٠٧٦).

(١/ ٨١١) صحيح : رواه أبو داود (٤١٢٩) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٧٧).

(٢/ ٨١٢) صحيح : رواه أبو داود (٤١٣٢) ، والترمذي (١٧٧٠، ١٧٧١) ، والنسائي (٧/ ١٧٦) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٤٨٠).

(١/ ٨١٣) صحيح : رواه أبو داود (٤٠٢٠) ، والترمذي (١٧٦٧) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٣٣٩٣).

Marfat.com

وقال: «من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة».

لكن إذا دعت الحاجة إلى ذلك فإنه لا بأس به، مثل أن يكون في الإنسان حكة، يعني حساسية واحتاج إلى لبس الحرير، فإنه يلبسه ويكون مما يلي الجسد، لأن الحرير لين وناعم وبارد يناسب الحكة فيطفئو لهذا رخص النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف والزبير أن يلبسا الحرير من حكة كانت .

كذلك أيضًا إذا كان الحرير أربعة أصابع فأقل، يعني عرضه أربعة أصابع فأقل، فإنه لا بأس به، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رخص في ذلك، يعني مثلاً لو كان إنسان عنده جبة وفي فتحتها خيوط من الحرير أو تطريز من الحرير لا يتجاوز أربعة أصابع، فإن ذلك لا بأس به(١) .

وكذلك لو كانت الثوب مختلطًا بين الحرير والقطن، أو بين الحرير والصوف، وكان الأكثر الصوف أو القطن، يعني أكثر من الحرير، فإنه لا بأس به. فهذه ثلاثة أمور.

الأمر الرابع: إذا كان في الحرب ، يعني التقى الصفان بين المسلمين والكفار فلا بأس أن يلبس الإنسان ثياب الحرير لأن ذلك يغيظ الكفار، وكل شيء يغيظ الكفار فإنه مطلوب.

فهذه أربعة أشياء تستثنى:

الأول: إذا كان لحاجة كالحكة ، ويكون مما يلي الجسد، والحكمة في ذلك واضحة.

الثاني: إذا كان أربعة أصابع فأقل.

الثالث: إذا كان مختلطًا والأكثر ظهورًا ما سوى الحرير.

الرابع: في الحرب من أجل إغاظة الكفار.

فهذه المواضع الأربعة لا بأس فيها من الحرير.

أما الباب الثاني: فهو لباس جلود النمار. والنمار جمع نَمِر؛ وهو حيوان معروف، فلا يجوز للإنسان أن يلبس فروًا من جلود النمار، وكذلك لا يجوز للإنسان أن يلبس فروًا من جلود السباع، كما يدل عليه الحديث الآخر، لأن جلود السباع نجسة، كل السباع نجسة، وأخبثها الكلب، لأن نجاسة الكلب مغلظة، لا يكفي فيه إلا الغسل سبع مرات إحداها بالتراب (٢) ، أما ما سواه من السباع فهو نجس، لكن ليس بهذه الغلظة.

وعلى كل حال فجلود الذئاب ، وجلود النمور ، وأي جلود أخرى للسباع حرام كجلد الأسد مثلاً يحرم لبسها، وكذلك يحرم افتراشها؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى عن ذلك، يعني لو جعلتها مقاعد تجلس عليها فإن ذلك حرام.

(١) ويدل علي هذا الحديث الذي رواه البخاري (٥٨٢٨) واحمد (٤/ ٩٢).

(٢) صحيح رواه مسلم (٢٨٠) أبو داود (٧٣) والنسائي في السنن (١/ ٥٤) وابن ماجه (٣٦٤).

Marfat.com

أما جلود الضأن وجلود ما تحله الزكاة، فلا بأس أن يفترشها الإنسان ، ولا بأس أن يلبسها أيضًا لأنها طاهرة ، والطاهر لا بأس باستعماله.

وأما الباب الثالث : فهو ما يقوله الإنسان إذا لبس ثوبًا جديدًا، ولا شك أن الإنسان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله، ولا شك أن ما نأكله ونشربه ونلبسه من نعمة الله عز وجل ، وأنه هو الذي خلقه لنا، ولولا أن الله يسره ما تيسر ، لو شاء الله تعالى لفُقد المال من بين أيدينا فلم نستطع أن نحصل شيئًا، ولو شاء الله لوجد المال بيننا لكن لا نجد شيئًا نطعمه أو نلبسه أو نشربه ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك : ٣٠].

فكل ما بنا من نعمة الله وحده ومن ذلك اللباس، فإذا من الله عليك بلباس جديد ، قميص أو سروال أو غترة أو مشلح أو نحوها ولبستها، فقل: **«اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه»** وتسميه باسمه، اللهم لك الحمد أنت كسوتني هذا القميص ، أنت كسوتنى هذا السروال، أنت كسوتني هذه الغترة، أنت كسوتنى هذه الطاقية، أنت كسوتني هذا المشلح، أي شيء تلبسه وهو جديد فاحمد الله قل: **«اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له»**.

فربما يكون هذا سبب شر عليك ، ربما تأكل النار طرفه ثم تتقد حتي تشمل هذا اللباس، وتقضي عليك أنت أيضًا، ربما تكون فيه أشياء سامة ما تعلم عنها شيئًا، فالمهم أنك تقول: **«اللهم إني أعوذ بك من شره وشر ما صنع له»** لأنه قد يصنع ويكون سببًا للشر؛ كأن يحمل صاحبه على الكبر والترفع على الناس، أو قد يكون سببًا للفتنة وهي من أعظم الشر والفساد، كتلك التي تتفنن النساء في صنعها مضاهاة لغيرهن من نساء الغرب الكافرات.

* * *

Marfat.com

(٤) كتاب آداب النوم

والقعود والمجلس والجليس والرؤيا

١٢٧ - باب ما يقوله عند النوم

[١/ ٨١٤] - عن البَرَاء بن عَازِب رضى الله عنهما قال: كَانَ رسول الله ﷺ إذا أوَى إلى فراشه نَامَ على شقِّه الأيمَنِ، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ أسلَمْتُ نَفسى إلَيْكَ، وَوَجَّهتُ وَجْهى إلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أمْرى إلَيْكَ، وَألجَأتُ ظَهْرى إلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجأ وَلا مَنْجى منْكَ إلا إلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذى أنْزَلْتَ، وَنَبيكَ الَّذى أرْسَلْتَ». رواه البخارى بهذا اللفظ فى كتاب الأدب من صحيحه.

[٢/ ٨١٥] - وعنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «إذَا أتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأ وُضُوءَكَ للصَّلاة، ثُمَّ اضْطَجعْ عَلى شِقِّكَ الأيمَنِ، وَقُلْ ...» وَذَكَرَ نَحْوَهُ، وَفيه: «وَاجْعَلْهنَّ آخِرَ مَا تَقُول» متفقٌ عليه.

الشرح

عقد المؤلف - رحمه الله - كتابًا في آداب النوم والجلوس، وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان في حياته، وهذا يدل على أن هذا الكتاب - أعني رياض الصالحين - كتاب شامل عام ينبغي لكل مسلم أن يقتنيه وأن يقرأه وأن يفهم ما فيه.

فذكر المؤلف - رحمه الله - آداب النوم، والنوم من آيات الله عز وجل الدالة علي كمال قدرته ورحمته وحكمته، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ [الروم:٢٣]. وهو نعمة من الله تعالى على العبد، لأنه يستريح فيه من تعب سابق، وينشط فيه لعمل لاحق، فهو ينفع الإنسان فيما مضى وفيما يستقبل، وهو من كمال الحياة الدنيا، وذلك لأن الدنيا ناقصة، فتكمل بالنوم لأجل الراحة.

لكنه نقص من وجه آخر بالنسب للقيوم عز وجل وهو الله، فإن الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، لكمال حياته فهو لا يحتاج إلى النوم ولا يحتاج إلى شيء، وهو الغني الحميد عز وجل.

لكن الإنسان في هذه الحياة الدنيا بشر ناقص يحتاج إلى تكميل، والنوم عبارة عن أن الله سبحانه وتعالى يقبض النفس حين النوم، لكنه ليس القبض التام الذي تحصل به المفارقة

(١/ ٨١٤) صحيح: رواه البخاري (٦٣٢٥).

(٢/ ٨١٥) صحيح: رواه البخاري (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠).

Marfat.com

التامة ، ولذلك تجد الإنسان حيًا لم تخرج نفسه من بدنه الخروج الكامل.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر:٤٢]. وهذه الوفاة الكبرى ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ ، يتوفاها في منامها.﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ وهي الأولى ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ﴾ وهي النائمة ، يعني يطلقها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ، لأن كل شيء عند الله تعالى بمقدار ، وكل شيء عنده بأجل مسمى، كل فعله جل وعلا حكمة في غاية الإتقان.

فهذا النوم من آيات الله عز وجل، تأتي القوم مثلاً في حجرة أو سطح أو في بر، وهم نيام كأنهم جثث موتى لا يشعرون بشيء، ثم هؤلاء القوم يبعثهم الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠].

ثم إن الإنسان يعتبر بالنوم اعتبارًا آخر وهو إحياء الأموات بعد الموت، فإن القادر على رد الروح حتى يصحو الإنسان ويستيقظ ويعمل عمله في الدنيا، قادر على أن يبعث الأموات من قبورهم، وهو على كل شيء قدير.

ومن آداب النوم: أن ينام الإنسان على الشق الأيمن، لأن هذا فعل النبي ﷺ وأمره، فالبراء بن عازب رضي الله عنه روى أن النبي ﷺ كان يضطجع على شقه الأيمن(١) ، والنبي ﷺ أمر البراء بن عازب أن ينام على شقه الأيمن، هذا هو الأفضل، سواءٌ كانت القبلة خلفك أو أمامك أو عن يمينك أو عن شمالك، النوم على الأيمن هو المهم لأمر النبي ﷺ به.

بعض الناس اعتاد أن ينام على الجنب الأيسر ولو نام على الأيمن ربما لا يأتيه النوم، لكن عليه أن يعود نفسه؛ لأن المسألة ليست بالأمر الهين، ثبتت من فعل الرسول ﷺ وأمره، فأنت إذا نمت على الجنب الأيمن تشعر بأنك متبع للرسول عليه الصلاة والسلام حيث كان ينام على جنبه الأيمن، وممتثل لأمره حيث أمر به عليه الصلاة والسلام فعود نفسك وجاهدها على ذلك يومًا أو يومين أو أسبوعًا حتى تستطيع النوم وأنت ممتثل لسنة النبي ﷺ.

ومن السنن أيضًا إذا تيسر أن تضع يدك اليمنى تحت خدك الأيمن(٢) ، لأن هذا ثبت من فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، فإن تيسر لك ذلك فهو جيد وأفضل، وإن لم يتيسر

---

(١) صحيح : رواه البخاري (٦٣١٠) واحمد (١/ ٤٠٠).

(٢) صحيح : رواه البخارى (٦٣١٤) رواه النسائي (٤/ ٢٠٣، ٢٠٤) واحمد (٦/ ٢٨٨).

Marfat.com

فليس هو بالتأكيد كمثل النوم على الجنب الأيمن.

ومن ذلك أيضًا أن تقول هذا الذكر الذي قاله النبي ﷺ وأمر به: «**اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت**»(١) .

واجعل هذا آخر ما تقول يعني بعد الأذكار الأخرى مثل : «**اللهم بك وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فاغفر لها وارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين**»(١) . وما أشبه ذلك .

المهم اجعل هذا الذكر الذي علمه النبي ﷺ البراء بن عازب آخر ما تقوله.

وقد أمر النبي ﷺ البراء بن عازب أن يعيد عليه هذا الذكر ، فأعاده لكن قال: وبرسولك الذي أرسلت فقال له النبي ﷺ لا، قل: وبنبيك الذي أرسلت ولا تقول وبرسولك.

قال أهل العلم : وذلك لأن الرسول يطلق على الرسول البشري والرسول الملكي جبريل، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير: ١٩ ، ٢٠].

والنبي للنبي البشري، وأنت إذا قلت نبيك الذي أرسلت، جمعت بين الشهادة للرسول صلي الله عليه وعلى آله وسلم بالنبوة والرسالة، فكان هذا اللفظ أولى من قولك وبرسولك الذي أرسلت، لأنك لو قلت وبرسولك الذي أرسلت يمكن أن يكون جبريل، لأن جبريل رسول الله إلى الأنبياء بالوحي.

فينبغي علكيم أن تحفظوا هذا الذكر، وأن تقولوه إذا اضطجعتم على فرشكم، وأن تجعلوه آخر ما تقولون امتثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واتباعًا لسنته وهديه. هذه من آداب النوم.

ومن حكمة الله عز وجل ورحمته أنك لا تكاد تجد فعلاً للإنسان إلا وجدته مقرونًا بذكر، اللباس له ذكر، الأكل له ذكر، الشرب له ذكر، النوم له ذكر، حتى جماع الرجل لامرأته له ذكر، كل شيء له ذكر. وذلك من أجل ألا يغفل الإنسان عن ذكر الله، يكون ذكر الله على قلبه دائمًا، وعلى لسانه دائمًا، وهذه من نعمة الله التي نسأل الله تعالى أن يرزقنا شكرها، وأن يعيننا عليها.

* * *

(١) صحيح : رواه البخاري (٧٣٩٣) ومسلم (٢٧١٤).

Marfat.com

[٨١٦/٣] ـ وعن عائشةَ رضى الله عنها قالتْ : كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصلِّى من اللَّيْلِ إحدَى عشرةَ ركْعَةً ، فإذَا طَلَعَ الفَجرُ صلَّى ركعتَينِ خَفيفتَيْنِ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ على شِقِّهِ الأيمنِ حتَّى يَجيءَ المُؤذِّنُ فيُؤذِنَه . متفقٌ عليه .

[٨١٧/٤] ـ وعن حُذَيْفَةَ رضى الله عنه قال : كان النبى ﷺ إذا أخَذَ مَضْجَعَهُ من اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ، ثُمَّ يقُولُ : « اللَّهُمَّ باسْمكَ أمُوتُ وأحْيَا » وإذا استَيْقَظَ قالَ: « الحَمْدُ لله الَّذى أحيَانا بَعْدَ ما أمَاتَنَا وَإلَيْه النُّشُورُ » رواه البخارى .

الشرح

هذه الأحاديث التي ساقها النووي ـ رحمه الله ـ فى (كتاب آداب النوم)، وقد سبق أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمر البراء بن عازب أن يضطجع على جنبه الأيمن، وأن يقول: «اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك...» إلى آخر الحديث وبينّا أن السنة والأفضل أن ينام الإنسان على جنبه الأيمن.

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: أنه ينبغي أن يضع الإنسان يده تحت خده. ومعلوم أنها اليد اليمنى تكون تحت الخد الأيمن، وهذا ليس على سبيل الوجوب ، ولكن على سبيل الأفضلية ، فإن تيسر لك هذا وإلا فالأمر واسع ولله الحمد.

فكان النبي ﷺ : أنه ينبغي أن يضع الإنسان يده تحت خده. ومعلوم أنها اليد اليمنى تكون تحت الخد الأيمن، وهذا ليس على سبيل الوجوب، ولكن على سبيل الأفضلية، فإن تيسر لك هذا وإلا فالأمر واسع ولله الحمد.

فكان النبي ﷺ يضع يده تحت خده ويقول: «باسمك اللهم أموت وأحيا» يعني أنني أموت وأحيا بإرادة الله عز وجل ، والمراد بالموت هنا ـ والله أعلم ـ موت النوم، لأن النوم يسمى وفاة، أو أنه الموت الأكبر الذي هو مفارقة الروح للبدن ، ويكون كقوله تعالى: ﴿قُلْ إنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» وهذا يؤيد أن المراد بالموت في قوله: «باسمك اللهم أموت وأحيا» يعني موت النوم، وهو الموت الأصغر.

أما حديث عائشة رضي الله عنها فقد أخبرت أن النبي ﷺ كان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة، وهذا أكثر ما كان يصلي؛ إما إحدى عشرة، وإما ثلاث عشرة، وقد ينقص عن ذلك ، حسب ما تكون حاله عليه الصلاة والسلام من النشاط وعدم النشاط.

(٨١٦/٣) صحيح: رواه البخاري (٦٣١٠) ، ومسلم (٧٣٦).

(٨١٧/٤) صحيح: رواه البخاري (٦٣١٤).

Marfat.com

ثم كان إذا طلع الفجر صلى ركعتين خفيفتين وهما سنة الفجر، فإن السنة أن يخففها، فيقرأ في الأولى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون:١]. وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(١) [الإخلاص:١]. أو في الأولى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة:١٣٦]. إلى آخر الآية في سورة البقرة، وفي الثانية: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾(٢) في آل عمران.

والمهم أن يخففهما؛ فيخفف في الركوع والسجود والقيام والقعود، لكن بشرط ألا يخل بالطمأنينة ، لأنه لو أخل بالطمأنينة لفسدت، ثم يضطجع على جنبه الأيمن عليه الصلاة والسلام بعد أن يصلي الركعتين سنة الفجر، يضطجع على الجنب الأيمن حتى يؤذنه المؤذن ، يعني حتى يعلمه بأن وقت الإقامة قد جاء ، فيخرج ويصلي.

ففي هذا الحديث فوائد:

منها: أن من نعمة الله عز وجل أن أطلعنا على ما كان النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم يعمله في السر في الليل بواسطة زوجاته رضي الله عنهن وهذا من الحكمة في كثرة تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فإنه مات عن تسع نسوة.

ومن فوائد ذلك: أن كل امرأة منهن تأتي بسنة لا يطلع عليها إلا هي.

ومنها: أن النبي ﷺ يصلي في الليل إحدى عشرة ركعة، وكان يطيل القيام عليه الصلاة والسلام، كان يقوم إذا انتصف الليل، وأحيانًا، بعد ذلك حسب نشاطه، وكان ﷺ إذا قام من نصف الليل ينام في آخر الليل، كما قالت عائشة رضي الله عنها في حديث آخر، وإلا صلى إلي الفجر إذا تأخر ، فإذا طلع الفجر صلى الركعتين ثم اضطجع على جنبه الأيمن.

وفيه دليل: على أنه يسن تخفيف ركعتي الفجر كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام، وفيه أن الأفضل للإمام ألا يحضر إلى المسجد إلا عند إقامة الصلاة، وأن يجعل صلاة الرواتب في بيته، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل، أما المأموم فإنه يتقدم، لكن الإمام لما كان يُنتظر ولا ينتظر كانت السنة أن يتأخر في بيته حتى يصلي النوافل المشروعة ثم يأتي .

وفيه دليل: على استحباب الاضطجاع على الجنب الأيمن بعد سنة الفجر لمن تطوع في بيته كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (١٢١٨).

(٢) صحيح : رواه مسلم (٧٢٧).

Marfat.com

واختلف العلماء ـ رحمهم الله ـ في هذه الضجعة:

فمنهم: من قال إنها سنة بكل حال.

ومنهم: من قال إنها ليس بسنة إلا إذا كان الإنسان صاحب صلاة في آخر الليل، فإنه يضطجع ليعطي بدنه شيئًا من الراحة.

ومنهم: من شدد فيها حتى جعلها بعض العلماء من شروط صلاة الفجر، وقال: من لم يضطجع بعد السنة فلا صلاة له، لكن هذا قول شاذ، وإنما ذكرناه لنبين لكم أن بعض العلماء يأتون بأقوال شاذة بعيدة من الصواب.

والصواب أنها سنة لمن كان له تهجد من الليل وصلاة وطول قيام، فهذا يضطجع حتى يُؤذن بالصلاة وهذا في حق الإمام ظاهر ، أما المأموم فإنه ربما لو اضطجع يقيمون الصلاة، فيفوته شيء منها وهو لا يشعر، لأن المأموم يَنْتَظر ، ولا ينتظر، لكن الإمام هو الذي ينتظره الناس، فإذا اضطجع بعد سنة الفجر في بيته ، فإن هذا من السنة إذا كان ممن يجتهد في التهجد، أما من لا يقوم إلا متأخرًا، أو لا يقوم إلا مع أذان الفجر فهذا لا حاجة إلى أن يضطجع بعد سنة الفجر.

* * *

[٥/ ٨١٨] ـ وعن يَعيشَ بن طِخْفَةَ الغفَاريّ رضى الله عنه قال: قال أبى: بيْنَمَا أنَا مضْطَجعٌ فى المَسْجد على بَطْنى إذا رَجُلٌ يُحرِّكُنى برِجْله فقال: « إنَّ هذه ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا الله » قال: فَنَظَرْتُ، فإذا رسولُ الله ﷺ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

[٦/ ٨١٩] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ قَعَدَ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرِ الله تعالى فيه، كَانَتْ عَلَيْه من الله ترَةٌ » رواه أبو داود بإسناد حسن.

« التِرَةُ » بكسر التاءِ المثناة من فوق، وهى: النَّقْصُ، وقيل: التَّبِعَةُ.

الشرح

هذه بقية الأحاديث الواردة في آداب النوم والاضطجاع، ذكر فيها المؤلف يعيش بن طخفة الغفاري أنه قال: حدثني أبي أنه كان نائمًا في المسجد على بطنه، فإذا رجل يركضه برجله ويقول: «**إن هذه ضجعة يبغضها الله عز وجل**» فنظرت فإذا رسول الله ﷺ.

ففي هذا الحديث دليل: على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه لا سيما في

(٥/ ٨١٨) ضعيف: رواه أبو داود (٥٠٤٠) وقال الألباني: الحديث ضعيف مضطرب غير أن الاضطجاع على البطن منه صحيح، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٠٦٩).

(٦/ ٨١٩) حسن صحيح: رواه أبو داود (٤٨٥٦)، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٦٥): حسن صحيح.

Marfat.com

الأماكن التي يغشاها الناس، لأن الناس إذا رأوه على هذه الحال فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنه أريح له، فإن هذا لا بأس به ، لأن هذه حاجة.

وفي هذا: دليل على جواز ركض الإنسان بالرجل ـ يعني نخسه برجله ـ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فعل ذلك وهو أشد الناس تواضعًا، ولا يعد هذا من الكبر، اللهم إلا أن يكون في قلب الإنسان شيء من كبر فهذا شيء آخر، لكن مجرد أن تركض الرجل برجلك لا يعتبر هذا كبرًا، إلا أنه ينبغي مراعاة الأحوال إذا كنت تخشى أن الرجل الذي تركضه برجلك يرى أنك مستهين به، وأنك محتقر له فلا تفعل، لأن الشيء المباح إذا ترتب عليه محظور فإنه يمنع.

ثم ذكر حديث أبي هريرة في الرجل يجلس مجلسًا لا يذكر الله فيه، أو يضطجع مضطجعًا لا يذكر الله فيه، كان عليه من الله ترة.

والترة يعني الخسارة ؛ أن تجلس مجلسًا لا تذكر الله فيه فهذا خسارة ، لأنك لم تربح فيه.

وفيه : دليل علي أنه ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الله؛ قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، وكذلك إذا اضجعت مضطجعًا لم تذكر اسم الله فيه فإنه يكون عليك من الله ترة أي خسارة.

فأكثر من ذكر الله دائمًا وأبدًا، كن كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٩١]. لتكون ممتثلاً لقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢]. أعاننا الله على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

Marfat.com

١٢٨ ـ باب جواز الاستلقاء على القفا ووضع إحدى الرجلين على الأخرى إذا لم يخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعا ومحتبيا

[١/ ٨٢٠] ـ عن عبد اللّه بن زيد رضى الله عنهما أنَّهُ رأى رسول الله ﷺ مُسْتَلقياً فى المَسْجد ، وَاضعاً إحْدى رجْلَيْه عَلى الأخرى . متفقٌ عليه .

[٢/ ٨٢١] ـ وعن جابر بن سَمُرَةَ رضى الله عنه قال : كان النبيُّ ﷺ إذا صَلَّى الفَجْرَ تَرَبَّعَ فى مَجْلسه حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ . حديث صحيح ، رواه أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة .

[٣/ ٨٢٢] ـ وعن ابن عمر رضى اللّه عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ بفناء الكَعْبَة مُحْتَبِياً بيدَيْه هكَذا ، وَوَصَفَ بيدَيْه الاحْتبَاءَ ، وَهُو القُرْفُصَاءُ . رواه البخارى .

[٤/ ٨٢٣] ـ وعن قَيْلَةَ بنت مَخْرَمَةَ رضى الله عنها قالت : رَأيْتُ النبى ﷺ وَهُوَ قَاعدٌ القُرْفُصاءَ ، فَلَمَّا رَأيْتُ رسول اَللّه ﷺ المتَخشعَ فى الجلْسَة أرعدْتُ مِنَ الفَرَقَ . رواه أبو داود ، والترمذى .

[٥/ ٨٢٤] ـ وعن الشَّريد بن سُوَيد رضى اللّه عنه قال : مَرَّ بى رسول الله ﷺ وَأنا جَالسٌ هكَذا ، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدي اليُسْرَىَ خَلفَ ظَهْرِى ، وَاتَّكَأت عَلى ألْيَة يَدى فقال : «أتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوب عَلَيْهِمْ ؟ ! » رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ .

الشرح

هذا الباب عقده النووي ـ رحمه الله ـ في بيان النوم على الظهر، وقد سبق أن الأفضل لمن أراد أن ينام أن ينام على الجنب الأيمن، وسبق أن النوم على البطن لا ينبغي إلا لحاجة.

وبقي النوم على الظهر وهو لا بأس به بشرط أن يأمن انكشاف العورة، فإن كان يخشى من انكشاف عورته، بحيث يرفع إحدى رجليه فيرتفع الإزار وليس عليه سراويل فإنه لا ينبغي، لكن إذا أمن من انكشاف العورة فإن ذلك لا بأس به.

(١/ ٨٢٠) صحيح : رواه البخاري (٤٧٥) ، ومسلم (٢١٠٠).

(٢/ ٨٢١) صحيح : رواه أبو داود (٤٨٥٠) ، وصححه الألباني في صحيح أبى داود (٤٠٦٠) .

(٣/ ٨٢٢) صحيح : رواه البخاري (٦٢٧٢).

(٤/ ٨٢٣) حسن : رواه أبو داود (٤٨٤٧) ، الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٥٧).

(٥/ ٨٢٤) صحيح : رواه أبو داود (٤٨٤٨) وأحمد (٤/ ٣٨٨) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٥٨).

Marfat.com

وبقي شيء رابع وهو النوم على الجنب الأيسر ، فهذا أيضًا لا بأس به، فالنوم على الظهر لا بأس به، والنوم على الجنب الأيسر لا بأس به، والنوم على الجنب الأيمن أفضل، والنوم منبطحا لا ينبغي إلا لحاجة.

أما القعود فإن جميع أنواع القعود لا بأس بها، فلا بأس أن يعقد الإنسان متربعًا، ولا بأس أن يجلس وهو محتبي القرفصاء - يعني يقيم فخذيه وساقيه ، ويجعل يديه مضمومتين على الساقين - هذا أيضًا لا بأس به، لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قعد هذه القعدة.

ولا يكره من الجلوس إلا ما وصفه النبي ﷺ بأنه قعدة المغضوب عليهم، بأن يجعل يده اليسرى من خلف ظهره ويجعل بطن الكف على الأرض ويتكئ عليها، فإن هذه القعدة وصفها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنها قعدة المغضوب عليهم.

أما لو وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس، إنما التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام بأنها قعدة المغضوب عليهم أن يجعل اليد اليسرى من خلف ظهره ويجعل باطنها - أي أليتها - علي الأرض، ويتكئ عليها، فهذه هي التي وصفها النبي ﷺ بأنها قعدة المغضوب عليهم.

* * *

Marfat.com

١٢٩ ـ باب آداب المجلس والجليس

[١/ ٨٢٥] ـ عن ابن عُمَرَ رضى اللّه عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : « لا يُقيمَنَّ أحدُكُمْ رَجُلاً منْ مَجْلسه ثُمَّ يَجْلسُ فيه ، وَلَكنْ توسَّعُوا وتَفَسَّحُوا » وكَانَ ابن عُمَرَ إِذَا قامَ له رَجُل منْ مَجْلسه لَمْ يَجْلسْ فيه . متفقٌ عليه .

[٢/ ٨٢٦] ـ وعن أبي هُرَيرَةَ رضى اللّه عنه أنَّ رسولَ اللّه ﷺ قال : « إذا قامَ أحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إلَيْهِ ، فَهُوَ أحَقُّ بِهِ » رواه مسلم .

الشرح

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : (باب آداب المجلس والجليس) هذا الباب عقده المؤلف ـ رحمه الله ـ لبيان الآداب التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان في مجالسه، ومع جليسه.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه شيئًا من آداب المجالس، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

والشريعة الإسلامية شريعة شاملة لكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم ودنياهم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله صلى الله عليه وعلي آله وسلم ، وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا[(١)] .

ولهذا تجد الشريعة بينت مسائل الدين الهامة الكبيرة، كالتوحيد وما يتصل به من العقيدة والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما كان دون ذلك من آداب النوم، والأكل، والشرب ، والمجالس.

ثم ذكر المؤلف حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **«لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا»** يعني إذا دخلت مكانًا ووجدت المكان ممتلئًا، فلا تقل: يا فلان ، قم ثم تجلس في مكانه، ولكن إذا كنت لابد أن تجلس ، فقل: تفسحوا توسعوا ، فإذا تفسحوا وتوسعوا فإن الله تعالى يوسع لهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

أما أن تقيم الرجل وتجلس مكانه فإن هذا لا يجوز ، حتى في مجالس الصلاة؛ لو رأيت إنسانًا في الصف الأول فإنه لا يحل لك أن تقول له: قم ، ثم تجلس في مكانه، حتى لو كان صبيًا لكه يصلي ، فإنه لا يحل لك أن تقيمه في مكانه وتصلي فيه، لأن

---

(١) صحيح : رواه أحمد (٥/ ١٥٣).

Marfat.com

الحديث عام، والصبي لابد أن يصلي مع الناس، ويكون في مكانه الذي يكون فيه.

وأما قول النبي ﷺ : «ليلني منكم أولو الأحلام والنهى»(١) فهو أمر للبالغين العقلاء أن يتقدموا حتى يلوا الرسول عليه الصلاة والسلام، وليس نهيًا أن يكون الصغار قريبين منه، ولو كان أراد ذلك لقال ﷺ : لا يلني إلا أولو الأحلام والنهي، أما إذا أمر أن يليه أولو الأحلام والنهى، فالمعنى أنه يحثهم على التقدم حتى يكونوا وراء النبي ﷺ ، يلونه ويفهمون عنه شريعته وينقلونها إلى الناس.

وكان ابن عمر رضي الله عنهما من ورعه إذا قام أحد له وقال له: اجلس في مكاني. لا يجلس فيه، كل هذا من الورع، يخشى أن هذا الذي قام قام خجلاً وحياءً من ابن عمر، ومعلوم أن الذي يهدي إليك أو يعطيك شيئًا خجلاً وحياءً أنك لا تقبل منه، لأن هذا كالمكره، ولهذا قال العلماء رحمهم الله: يحرم قبول الهدية إذا علمت أنه أهداك حياءً أو خجلاً.

ومن ذلك أيضًا إذا مررت ببيت وفيه صاحبه وقال: تفضل ، وأنت تعرف أنه إنما قال ذلك حياءً وخجلاً فلا تدخل عليه، لأن هذا يكون كالمكره.

هذا من آداب الجلوس التي شرعها النبي ﷺ لأمته؛ ألا يقيم الرجل أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه.

* * *

[٨٢٧/٣] ـ وعن جَابِر بنِ سَمُرَةَ رضى اللهُ عنهما قال : كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ ، جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِى . رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن .

[٨٢٨/٤] ـ وعن أبى عبد الله سَلمَان الفارسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَة ، ويَتَطَهَّرُ ما استَطَاعَ مِنْ طُهْر ، ويَدَّهِنُ مِنْ دُهْنه ، أوْ يَمَسُّ مِنْ طيب بَيْته ، ثُمَّ يَخْرجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، ثُمَّ يُصَلِّى ما كُتبَ لَهُ ، ثُمَّ يُنْصتُ إذا تَكَلَّمَ الإمامُ ، إلا غُفِرَ لَهُ ما بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَة الأخْرَى » رواه البخارى .

الشرح

هذان الحديثان نقلهما النووي ـ رحمه الله ـ في (باب آداب المجلس والجليس)، فمن آداب المجلس أن الإنسان إذا دخل على جماعة يجلس حيث ينتهي به المجلس ، هكذا كان

---

(١) سبق تخريجه.

(٣/ ٨٢٧) صحيح : رواه أبو داود (٤٨٢٥) ، والترمذي (٢٧٢٥) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٤٠).

(٤/ ٨٢٨) صحيح : رواه البخاري (٨٨٣).

Marfat.com

فعل النبي ﷺ ، وفعل الصحابة إذا أتوا مجلس النبي ﷺ ، يعني لا يتقدم إلى صدر المجلس إلا إذا آثره أحد بمكانه، أو كان قد تُرِك له مكان في صدر المجلس فلا بأس.

وأما أن يشق المجلس وكأنه يقول للناس: ابتعدوا وأجلس أنا في صدر المجلس، فهذا خلاف هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه رضي الله عنهم وهو يدل علي أن الإنسان عنده شيء من الكبرياء والإعجاب بالنفس.

ثم إن كان الرجل صاحب خير وتذكير وعلم فإن مكانه الذي هو فيه سيكون هو صدر المجلس، فسوف يتجه الناس إليه إن تكلم، أو يسألونه إذا أرادوا سؤاله ، ولهذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا دخل المجلس جلس حيث ينتهي به، ثم يكون المكان الذي هو فيه الرسول ﷺ هو صدر المجلس.

وهكذا أيضًا ينبغي للإنسان إذا دخل المجلس ورأي الناس قد بقوا في أماكنهم فليجلس حيث ينتهي به المجلس، ثم إن كان من عامة الناس فهذا مكانه، وإن كان من خاصة الناس فإن الناس سوف يتجهون إليه ويكون مكانه هو صدر المجلس.

كذلك أيضًا من آداب المجلس ألا يفرق بين اثنين - يعني لا يجلس بينهما فيضيق عليهما - فإن النبي ﷺ ذكرالرجل يتطهر في بيته يوم الجمعة ويدهن ويأخذ من طيب أهله، ثم يأتي إلى الجمعة ولا يفرق بين اثنين، ويصلي ما كتب له حتى يحضر الإمام ، فإنه يغفر له ما بين الجمعة والجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام.

فدل ذلك على أنه يجب على الإنسان في يوم الجمعة أن يتطهر، والمراد بذلك الاغتسال لأن غسل الجمعة واجب ويأثم من لم يغتسل إلا لضرورة [١] ، لأن النبي ﷺ قال: «**غسل الجمعة واجب على كل محتلم**»[٢] ، يعني علي كل بالغ، فكل بالغ يأتي إلى الجمعة فإنه يجب عليه أن يغتسل إلا أن يخاف ضررًا أو لا يجد ماءً ، كما لو مر مثلاً بقرية وهو مسافر، وأراد أن يصلي الجمعة معهم ولم يجد مكانًا يغتسل فيه، فهذا يسقط عنه لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

كذلك أيضًا: مما يسن في هذا اليوم أن يدهن[٣] وذلك إذا كان له شعر رأس، فإنه يدهن رأسه ويصلحه حتى يكون على أجمل حال[٤] .

ومن ذلك أيضًا: أن يلبس أحسن ثيابه.

---

(١) انظر المجموع (٤/ ٥٣٥) والمغني (٢/ ٣٤٦).
(٢) صحيح : رواه البخاري (٨٧٩) ومسلم (٨٨٧).
(٣) صحيح : البخاري (٨٨٠).
(٤) صحيح البخاري (٨٨٦).

Marfat.com

ومن ذلك أيضًا: أن يتسوك ، يخصها بسواك الجمعة وليس السواك العادي، ولهذا لو أن الإنسان استعمل يوم الجمعة الفرشاة التي تطهر الفم لكان هذا حسنًا وجيدًا.

ومن ذلك: أن يتقدم إلى المسجد، فإن من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، ومن أتى بعد دخول الإمام فليس له أجر التقدم، ولكن له أجر الجمعة(١) ، لكن أجر التقدم حرم منه.

وكثير من الناس ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ ليس لهم شغل في يوم الجمعة، ومع ذلك تجده يقعد في بيته أو في سوقه بدون أي حاجة وبدون أي سبب، ولكن الشيطان يثبطه من أجل أن يفوت عليه هذا الأجر العظيم، فبادر من حين تطلع الشمس، واغتسل وتنظف، والبس أحسن الثياب، وتطيب ، وتقدم إلى المسجد، وصل ما شاء الله، واقرأ القرآن إلى أن يحضر الإمام.

وكذلك أيضًا من آداب الجمعة: ألا يفرق بين اثنين(٢) ، يعني لا تأتي بين اثنين تدخل بينهما وتضيق عليهما، أما لو كان هناك فرجة فهذا ليس بتفريق، لأن هذين الاثنين هما اللذان تفرقا، لكن أن تجد اثنين متراصين ليس بينهما مكان لجالس ثم تجلس بينهما!! هذا من الإيذاء، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطى الرقاب يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال له: «اجلس فقد آذيت»(٣) ، كل هذه من آداب الحضور إلى الجمعة.

* * *

[٥/ ٨٢٩] ـ وعن عَمْرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جَده رضى الله عنه أن رَسول اللّه ﷺ قال : « لا يَحلُ لِرَجُلٍ أن يُفَرِّق بَيْنَ اثْنَيْنِ إلا بإذْنهمَا » رواه أبو داود ، والترمذى وقال : حديث حسن . وفى رواية لأبى داود : « لا يَجْلسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إلا بإذْنهمَا » .

[٦/ ٨٣٠] ـ وعن حُذَيْفَةَ بن اليَمَانِ رضى اللّه عنه أن رسولَ الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَس

---

(١) انظر البخاري (٨٨١). (٢) انظر البخارى (٩١٠) .

(٣) صحيح: رواه أبو داود (١١١٨) وابن ماجه (١١١٥) النسائي (٣/ ١٠٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥).

(٥/ ٨٢٩) حسن صحيح: رواه أبو داود (٤٨٤٥) ، والترمذي (٢٧٥٢) ، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٥٥): حسن صحيح.

(٦/ ٨٣٠) ضعيف : رواه أبو داود (٤٨٢٦) ، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (١٠٢٨) ورواية الترمذي رواها (٢٧٥٣) ، وضعفها الألباني في ضعيف الترمذي (١٠٢٨).

Marfat.com

وَسَطَ الحَلْقَة . رواه أبو داود بإسناد حسن .

وروى الترمذى عن أبى مجلَز : أنَ رَجُلاً قَعَدَ وَسَطَ حَلْقَة ، فقال حُذَيْفَةُ : مَلْعُونٌ على لسَان مُحمَّد ﷺ ــ أوْ : لَعَنَ اللهُ على لِسَانِ مُحَمَّد ﷺ ــ مَنْ جلَس وَسَطَ الحَلْقَة. قال الترمذى : حَديث صحيح .

[٧/ ٨٣١]ــ وعن أبى سعيد الخُدْرى رضى الله عنه قال : سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « خَيْرُ المَجَالسِ أوْسَعُهَا » . رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخارى .

[٨/ ٨٣٢]ــ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قالَ : قال رسول اللَّه ﷺ: « مَنْ جلَسَ فى مَجْلس ، فَكَثُرَ فيه لَغَطُهُ فقال قَبْل أنْ يَقُومَ منْ مَجْلسه ذلكَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدكَ، أشْهدُ أنْ لا إله إلا أنْتَ ، أسْتَغفرُكَ وأتُوبُ إلَيْكَ ؛ إلا غُفرَ لَهُ مَا كانَ فى مَجْلسه ذلكَ » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

الشرح

ومن آداب المجالس ما ذكره المؤلف عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما»**.

يعني إذا جئت ووجدت شخصين جلس أحدهما إلى جنب الآخر فلا تفرق بينهما ، إلا إذا أذنا لك في هذا، إما إذنًا باللسان ، يعني إذا قال أحدهما: تعال اجلس هنا، أو بالفعل بأن يتفرق بعضهما عن بعض؛ إشارة إلى أنك تجلس بينهما، وإلا فلا تفرق بينهما؛ لأن هذا من سوء الأدب إن قلت: تفسح، ومن الأذية إن جلست وضيقت عليهما.

ومن الآداب أيضًا: أن يجلس الإنسان حيث انتهى به المجلس كما سبق، فلا يجوز للإنسان أن يجلس وسط الحلقة ، يعني إذا رأيت جماعة متحلقين سواء كانوا متحلقين على من يعلمهم، أو على من يتكلم معهم، المهم إذا كانوا حلقة فلا تجلس في وسط الحلقة، وذلك لأنك تحول بينهم وبين من معهم،ثم إنهم لا يرضون في الغالب أن يجلس أحد في الحلقة يتقدم عليهم، فيكون في ذلك عدوان عليهم وعلى حقوقهم، إلا إذا أذنوا لك، بأن وقفت مثلاً وكان المكان ضيقًا وقالوا: تفضل اجلس هنا فلا حرج، أما بدون إذن ، فإن حذيفة بن اليمان أخبر بأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: **«لعن من جلس في وسط الحلقة»**.

(٧/ ٨٣١) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٢٠) ، وصححه الالباني في صحيح أبي داود (٤٠٣٥)..

(٨/ ٨٣٢) صحيح: رواه الترمذي (٣٤٣٣) واحمد (٢/ ٤٩٤)، وصححه الالباني في صحيح الترمذي (٢٧٣٠).

Marfat.com

كذلك أيضًا من آداب المجالس: أن الإنسان إذا جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه، فإنه يكفره أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك، قبل أن يقوم من مجلسه، فإذا قال ذلك، فإن هذا يمحو ما كان منه من لغط، وعليه فيستحب أن يُختم المجلس الذي كثر فيه اللغط بهذا الدعاء: سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك.

ومما ينبغي في المجالس أيضًا أن تكون واسعة ، فإن سعة المجالس من خير المجالس كما قال ﷺ : «**خير المجالس أوسعها**»؛ لأنها إذا كانت واسعة حملت أناسًا كثيرين، وصار فيها انشراح وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس حجر بيته ضيقة لكن إذا أمكنت السعة فهو أحسن؛ لأنه يحمل أناسًا كثيرين ولأنه أشرح للصدر.

* * *

[٩/ ٨٣٣] ـ وعن أبي بَرْزَةَ رضى الله عنه قال : كَانَ رسول الله ﷺ يقولُ بآخِرَةِ إذا أرَادَ أنْ يَقُومَ منَ المَجْلسِ : « سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ وبحَمْدكَ ، أشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا أنْتَ أستَغفِرُك وأتوب إليك » فقال رَجلٌ : يا رسول الله ، إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مَضى ؟ قال « ذلك كَفَّارَةٌ لمَا يَكُونُ فى المَجْلس » رواه أبو داود .

ورواه الحَاكم أبو عبد اللّه فى « المستدرك » من رواية عائشة رضى اللّه عنها وقال : صحيح الإسناد .

الشرح

بقي أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «**من جلس مجلسًا فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذاك**».

وفي حديث أبي برزة رضي الله عنه الذي وصله المؤلف بالحديث السابق دليل على أن النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم كان يفعله، وبين أن هذا كفارة المجلس ، وقلما يجلس الإنسان مجلسًا إلا ويحصل له فيه شيء من اللغط، أو من اللغو، أو من ضياع الوقت، فيحسن أن يقول ذلك كلما قام من مجلسه: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك**» حتى يكون كفارة للمجلس.

أما الحديث الآخر عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قلما كان يقوم من

(٩/ ٨٣٣) حسن صحيح: رواه أبو داود (٤٨٥٩) ، وقال الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٨٦) حسن صحيح.

Marfat.com

مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك...**» وذكر تمام الحديث، فهذا سيأتي الكلام عليه إن شاء الله في موضع آخر.

والمقصود بهذا أن الرسول ﷺ كان يقول ذلك في أكثر أحيانه ، ولكن هل هو فى كل مجلس حتى مجالس الوعظ ومجالس الذكر؟ هذا نظر، وابن عمر رضي الله عنهما لا يتابع النبي ﷺ في كل مجلس، بل قد يفوته بعض المجالس، فإن قال الإنسان: هذا الذكر في أثناء المجلس أو في أوله أو في آخره حصل بذلك السنة التي كان النبي ﷺ يفعلها.

❊ ❊ ❊

[٨٣٤] ــ وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: فلَّما كان رسول الله ﷺ يَقومُ من مَجْلس حتى يَدْعوَ بهؤُلاء الدَّعَوات :« اللَّهُمَّ اقسم لَنا من خَشْيتكَ ما تَحولُ به بيْنَنا وبَيْنَ مَعْصيتكَ ، ومن طَاعَتكَ ما تُبَلِّغُنَا به جنَّتَكَ ، ومِنَ اليَقين ما تُهَوِّنُ علَينا مَصَائبَ الدُّنيا ، اللَّهُم متِّعنا بأسْمَاعنَا ، وأبصارنَا ، وقُوَّتنا ما أحْييْتَنَا، واجعلْهُ الوَارثَ منَّا ،واجعلْ ثأرنَا على مَنْ ظَلَمنا ، وانصرْنَا على مَنْ عَادَانَا ، وَلا تَجعَل مُصيبَتَنَا فى دينِنَا ، وَلا تَجْعَلِ الدُّنيا أكْبَر همِّنَا ، ولا مَبلَغ عِلمنَا ، وَلا تُسَلِّطْ علَينَا مَنْ لا يَرْحَمُنَا »رواه الترمذى وقال :حديث حسن.

الشرح

نقل الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في (باب آداب المجلس والجليس) عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان قلما يقوم من مجلس إلا ويقول: «**اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك**» اقسم بمعنى قدر ، والخشية هي الخوف المقرون بالعلم، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر:٢٨].

وقوله: «**تحول به بيننا وبين معصيتك**»لأن الإنسان كلما خشي الله عز وجل، منعته خشيته من الله أن ينتهك محارم الله، ولهذا قال: «**ما تحول به بيننا وبين معصيتك**».

ثم قال : «**ومن طاعتك**» يعني واقسم لنا من طاعتك «**ما تبلغنا به جنتك**» فإن الجنة طريقها طاعة الله عز وجل، فإذا وفق العبد لخشية الله واجتناب محارمه والقيام بطاعته نجا من النار بخوفه ودخل الجنة بطاعته.

«**ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا**». واليقين: هو أعلى درجات الإيمان، لأنه إيمان لا شك معه ولا تردد ، تتيقن ما غاب عنك كما تشاهد ما حضر بين يديك.

فإذا كان عند الإنسان يقين تام بما أخبر الله تعالى به من أمور الغيب، فيما يتعلق بالله عز وجل أو بأسمائه أو صفاته أو اليوم الآخر أو غير ذلك ، وصار ما أخبر به من الغيب

---

(٨٣٤) حسن : رواه الترمذي (٣٥٠٢) ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٧٨٣).

Marfat.com

عنده بمنزلة المشاهد ، فهذا هو كمال اليقين.

وقوله: «**ما تهون به علينا مصائب الدنيا**» لأن الدنيا فيها مصائب كثيرة، لكن هذه المصائب إذا كان عند الإنسان يقين أنه يكفر بها من سيئاته، ويرفع بها من درجاته، إذا صبر واحتسب الأجر من الله، هانت عليه المصائب ، وسهلت عليه المحن مهما عظمت سواء كانت في بدنه، أو في أهله، أو في ماله، ما دام عنده اليقين التام فإنها تهون عليه المصائب.

«**ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا**» تسأل الله تعالى أن يمتعك بهذه الحواس: السمع والبصر والقوة ما دمت حيًا، لأن الإنسان إذا متع بهذه الحواس حصل على خير كثير، وإذا افتقد هذه الحواس فاته خير كثير لكن لا يلام عليه إذا كان لا يقدر عليها.

«**واجعله الوارث منا**» يعني اجعل تمتعنا بهذه الأمور ـ السمع والبصر والقوة ـ الوارث منا، يعني اجعله يمتد إلى آخر حياتنا حتى يبقي بعدنا، ويكون كالوارث لنا، وهو كناية عن استمرار هذه القوات إلى الموت.

«**واجعل ثأرنا على من ظلمنا**» يعني اجعلنا نستأثر ، ويكون لنا الأثرة على من ظلمنا، بحيث تقتضي لنا منه، إما بأشياء تصيبه في الدنيا أو في الآخرة ولا حرج على الإنسان أن يدعو على ظالمه بقدر ظلمه، وإذا دعا على ظالم بقدر ما ظلمه فهذا إنصاف ، والله سبحانه وتعالى يستجيب دعوة المظلوم.

قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لمعاذ وقد بعثه إلى اليمن وبين له ما يدعوهم إليه، فقال: «**فإن أجابوك لذلك** ـ أي للصدقة من أموالهم ـ **فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[1].

لان الله تعالى حكم عدل ينتقم من الظالم إذا رفع المظلوم الشكوى إليه، فإذا رفع المظلوم الشكوى إلى الله انتقم الله من الظالم، لكن لا يتجاوز في دعائه فيدعو بأكثر من مظلمته، لأنه إذا دعا بأكثر من مظلمته صار هو الظالم.

«**وانصرنا على من عادانا**» وأكبر عدو لنا من عادانا في دين الله؛ من اليهود والنصاري والمشركين البوذيين والملحدين والمنافقين وغيرهم . هؤلاء هم أعداؤنا؛ قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ [الممتحنة: ١]. وقال الله في المنافقين: ﴿هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [المنافقون: ٤].

فتسأل الله تعالى أن ينصرك على من عاداك، وينصرك على اليهود والنصارى

---

(١) [illegible]: رواه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

والمشركين والبوذيين وجميع أصناف الكفرة، والله سبحانه وتعالى هو الناصر ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠].

«ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولامبلغ علمنا» المصائب في الحقيقة تكون في مال الإنسان ؛ بأن يحترق ماله، أو يسرق ، أو يتلف ، فهذه مصيبة.

وتكون أيضًا في أهل الإنسان، فيمرض أهله، أو يموتون.

وتكون في العقل: بأن يصاب هو أو أهله بالجنون، نسأل الله العافية.

وتكون في كل ما من شأنه أن يصاب به الإنسان.

لكن أعظم مصيبة هي مصيبه الدين ـ نسأل الله أن يثبتنا علي دينه الحق ـ فإذا أصيب الإنسان بدينه ـ والعياذ بالله ـ فهذه أعظم مصيبة.

والمصائب في الدين مثل المصائب في البدن، هناك مصائب خفيفة في البدن كالزكام والصداع اليسير وما أشبه ذلك، وهناك مصائب في الدين خفيفة كشيء من المعاصي، وهناك مصائب في الدين مهلكة مثل الكفر، والشرك، والشك، وما أشبه ذلك، هذه مهلكة مثل الموت للبدن، فأنت تسأل الله ألا يجعل مصيبتك في دينك.

أما المصائب التي دون الدين فإنها سهلة، فإن المصاب من حرم الثواب، نسأل الله العافية.

«ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا» فلا تجعل الدنيا أكبر همنا، بل اجعل الآخرة أكبر همنا، ولا ننسى نصيبنا من الدنيا، فلا بد للإنسان من الدنيا، لكن لا تكون الدنيا أكبر همه، ولا مبلغ علمه، بل يسأل الله أن يجعل مبلغ علمه علم الآخرة، أما علم الدنيا وما يتعلق بها فهذه مهما كانت فإنها ستزول ، يعني لو كان الإنسان عالمًا في الطب، عالمًا في الفلك، عالمًا في الجغرافيا، عالمًا في أي شيء من علوم الدنيا؛ فهي علوم تزول وتفنى، فالكلام على علم الشرع؛ علم الآخرة، فهذا هو المهم.

ولا تسلط علينا من لا يرحمنا» لا تسلط علينا أحدًا من خلقك لا يرحمنا، يعني وكذلك من يرحمنا، لا تسلط علينا أحدًا . لكن الذي يرحمك لا ينالك منه السوء، أما الذي ينالك منه السوء هو أن يسلط الله عليك من لا يرحمك، نسأل الله ألا يسلط علينا من لا يرحمنا.

فكان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا جلس مجلسًا يقول هذا الذكر لكنه ليس بلازم كما سبق أن قلنا، وإنما المقصود أنه ﷺ كان يقول ذلك كثيرًا.

* * *

Marfat.com

[٨٣٥ /١١] ـ وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَا من قوْمٍ يَقومُونَ منْ مَجْلسٍ لا يَذكُرُونَ اللّه تعالى فِيهِ ، إلا قَامُوا عَنْ مِثلِ جيفَةِ حِمَارٍ ، وكَانَ لَهُم حَسرَةٌ » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

[٨٣٦ /١٢] ـ وعنه عن النبى ﷺ قال : « ما جَلَس قَومٌ مَجْلساً لم يَذكُرُوا اللّه تعالى فيه ، ولَم يُصلُّوا على نَبيِّهم فيه ، إلا كانَ عليهِمْ تِرةٌ ؛ فَإن شاءَ عَذَّبَهُم ، وإن شَاءَ غَفرَ لَهُم» رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

[٨٣٧ /١٣] ـ وعنه عن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَعَدَ مَقعَداً لم يذكر اللّه تعالى فيه كَانَتْ عَليه مِنَ اللّه تِرَةٌ ، ومَنِ اضطَجعَ مَضْجَعاً لا يَذْكُرُ اللّه تعالي فِيهِ كانتْ عَلَيْهِ مِنَ اللّه تِرَةٌ » رواه أبو داود .

وقد سبق قريباً ، وشرحنا « التِّرَةَ » فيه .

الشرح

هذه ثلاثة أحاديث في بيان آداب المجلس، وكلها تدل على أنه ينبغي للإنسان إذا جلس مجلسًا أن يغتنم ذكر الله عز وجل والصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حيث إنها تدل على أنه ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا كان عليهم من الله ترة، يعني قطيعة وخسارة إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.

ويتحقق ذكر الله عز وجل في المجالس بصور عديدة ، فمثلاً إذا تحدث أحد الأشخاص في المجلس عن آية من آيات الله عز وجل ، فإن هذا من ذكر الله، مثل أن يقول : نحن فى هذه الأيام فى دفء ، كأننا فى الربيع وهذا من آيات الله لأننا في الشتاء وفي أشد ما يكون من أيام الشتاء بردًا، ومع ذلك فكأننا في الصيف فهذا من آيات الله.

ويقول مثلاً: لو اجتمع الخلق على أن يدفئوا هذا الجو في هذه الأيام التي جرت العادة أن تكون باردة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وما أشبه ذلك، أو مثلاً يذكر حال من أحوال النبي عليه الصلاة والسلام مثل أن يقول: كان النبي عليه الصلاة والسلام أخشى الناس لله وأتقاهم لله، فيذكر الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم يصلي عليه والحاضرون يكونون إذا

(١١ / ٨٣٥) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٥٥) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٦٤).

(١٢ / ٨٣٦) صحيح: رواه الترمذي (٣٣٨٠) ، أحمد (٢/ ٤٦٣) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٦٩١).

(١٣ / ٨٣٧) صحيح: رواه أبو داود (٤٨٥٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٠٦٥).

Marfat.com

استمعوا إليه مثله في الأجر.

هكذا يكون ذكر الله عز وجل والصلاة على رسول الله ﷺ ، وإن شاء ذكر الله من الأصل، إذا جلس قال: ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، وما أشبه ذلك.

المهم أن الإنسان العاقل يستطيع أن يعرف كيف يذكر الله، ويصلي علي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في هذا المجلس.

ومن ذلك أيضًا أنه إذا انتهى المجلس وأراد أن يقوم يقول: **«سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك»**.

وفي هذه الأحاديث الثلاثة دليل على أنه ينبغي للإنسان ألا يفوت عليه مجلسًا ولا مضجعًا إلا يذكر الله، حتى يكون ممن قال الله فيهم: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

* * *

Marfat.com

١٣٠ ـ باب الرؤيا وما يتعلق بها

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ (الروم:٢٣) .

[١/ ٨٣٨] ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول:« لم يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إلا المُبَشِّرَاتُ » قالوا :وَمَا المُبَشِّرَاتُ ؟ قال:« الرُّؤيَا الصَّالِحَةُ »رواه البخارى.

[٢/ ٨٣٩] ـ وعنه أن النبىَّ ﷺ قال : « إذا اقترَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا المُؤْمِنِ تَكذِبُ، وَرُؤْيَا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ » متفقٌ عليه .

وفى رِوَاية : « أَصْدَقُكُم رُؤيَا أَصْدَقُكُم حَدِيثاً » .

[٣/ ٨٤٠] ـ وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ رَآنى فى المَنَامِ فَسَيَرَانى فى اليَقَظَةِ ـ أَوْ كأَنَّمَا رَآنى فى اليَقَظَةِ ـ لا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بى » متفقٌ عليه .

[٤/ ٨٤١] ـ وعن أبى سعيد الخدْرى رضى الله عنه أنهُ سمعَ النبىَّ ﷺ يقول : «إذا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا ، فَإِنَّمَا هِىَ مِنَ اللَّهِ تعالى ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيهَا ، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا ـ وفى روايةَ : فَلَا يُحَدِّثْ بهَا إلا مَنْ يُحِبُّ ـ وَإذا رأى غيرَ ذَلكَ ممَّا يكرهُ ، فَإنَّمَا هِىَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا ، وَلَا يَذكُرْها لأحَدٍ ، فإنها لا تضُرُّهُ » متفقٌ عليه.

الشرح

قال المؤلف النووي ـ رحمه الله ـ في (كتاب الرؤيا وما يتعلق بها):

الرؤيا: يعني رؤيا المنام، فالإنسان إذا نام فإن الله تعالى يتوفى روحه، لكنها وفاة صغرى، قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: ٦٠]. وقال الله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر:٤٢]. وهذ الوفاة الصغرى تذهب فيها الروح إلى حيث يشاء الله.

ولهذا كان من أذكار المنام أن نقول: «اللهم بك وضعت جنبي وبك أرفعه، فإن أمسكت روحي فاغفر لها وارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»(١).

(١/ ٨٣٨) صحيح: رواه البخاري (٦٩٩٠).

(٢/ ٨٣٩) صحيح: رواه البخاري (٧٠١٧) ، ومسلم (٢٢٦٣) وفي بعض الفاظ مسلم «جزء من خمس وأربعون جزءًا».

(٣/ ٨٤٠) صحيح: رواه البخاري (٦٩٩٣) ، ، ومسلم (٢٢٦٧).

(٤/ ٨٤١) صحيح: رواه البخاري (٦٩٨٥) ولم أجده فى مسلم.

(١) سبق تخريجه.

Marfat.com

ثم إن الروح في هذه الحال ترى منامات ومرائي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: رؤيا محبوبة، ورؤيا مكروهة، ورؤيا عبارة عن أشياء ليس لها معنى وليس لها هدف، قد تكون من تلاعب الشيطان، وقد تكون من حديث النفس، وقد تكون من أسباب أخرى.

القسم الأول: الرؤيا الصالحة الحسنة، وهي إذا رأى الإنسان ما يحب ، فهذه من الله عز وجل، وهي من نعمة الله على الإنسان أن يريه ما يحب، لأنه إذا رأى ما يحب نشط وفرح وصار هذا من البشرى، فمن عاجل بشرى المؤمن الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**». الرؤيا الصالحة يراها الإنسان أو ترُى له، هذه بشرى وخير، وهي من الله عز وجل.

القسم الثاني: الرؤيا المكروهة، وهي من الشيطان، حيث يضرب الشيطان للإنسان أمثالاً في منامه يزعجه بها، لكن دواءها أن يستعيذ بالله من شر الشيطان ومن شر ما رأى، ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره، ولا يحرص على أن تُعبر ، لأن بعض الناس إذا رأى ما يكره حرص على أن تُعبرَ وذهب إلى العابرين، أو يطالع في الكتب لينظر ما هذه الرؤيا المكروهة، ولكنها إذا عُبرت فإنها تقع على الوجه المكروه.

وإذا استعاذ الإنسان من شر الشيطان ومن شر ما رأى، ولم يحدث بها أحداً، فإنها لا تضره مهما كانت، وهذا دواء سهل أن الإنسان يتصبر ويكتمها ويستعيذ من شر الشيطان ومن شرها حتى لا تقع.

أما القسم الثالث: وهو الذي ليس له هدف معين، فهذا أحيانًا يكون من حديث النفس، حين يكون الإنسان متعلقًا قلبه بشيء من الأشياء يفكر فيه وينشغل به ثم يراه في المنام، أو أحيانًا يلعب به الشيطان في منامه، يريه أشياء ليس لها معنى، كما ذكر رجل للنبي ﷺ قال: يا رسول الله، رأيت في المنام أن رأسي قد قطع، وذهب رأسي يركض وأنا أسعى وراءه فقال النبي صلى الله عليه وعلى وآله وسلم: «**لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك**»[1] ، فهذا ليس له معنى ، رأس يقطع ويركض الرأس وهذا يركض بجسده وراءه، هذا ليس له معنى.

المهم أن هذه هي أقسام الرؤيا ، وإذا ضرب للإنسان مثل بأبيه أو أمه أو أخيه أو عمه أو غير ذلك، فقد يكون هذا هو الواقع، وقد يكون من الشيطان، يتمثل الشيطان للنفس بصورة هذا الإنسان ويراه النائم، إلا النبي صلي الله عليه وعلى آله وسلم، فإن الإنسان إذا رأى النبي على هذا الوصف المعروف فإنه قد رآه حقًا، لأن الشيطان لا يتمثل بالنبيﷺ أبدًا ولا يجرؤ.

---

(١) صحيح : رواه مسلم (٢٢٦٨).

Marfat.com

فإذا رأى الإنسان شخصًا ووقع في نفسه أنه النبي ﷺ فليبحث عن أوصاف هذا الذي رأى، هل تطابق أوصاف النبي عليه الصلاة والسلام؟ فهو هو، وإن لم تطابق فليس النبي ﷺ ، وإنما هذه أوهام من الشيطان، أوقع في نفس النائم أن هذا هو الرسول ﷺ ، وليس هو الرسول، ولذلك دائمًا يأتي أحد يقول: رأيت الرسول عليه الصلاة والسلام وقال كذا وفعل كذا، ثم إذا وصفه إذ أوصافه لا تطابق أوصاف النبي ﷺ ، مع أنه في منامه وقع عليه أنه النبي ﷺ ، لكن إذا تحدث عن أوصافه فإذا هو ليس النبي ﷺ ، فنجزم أن هذا ليس هو الرسول ﷺ .

أما لو وصف لنا من رآه، وانطبقت أوصافه على النبي فهو النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكن يجب أن نعلم أنه لا يمكن أن يحدثه النبي ﷺ بشيء يخالف شريعته، يعني لو جاء إنسان وقال: رأيت الرسول، وقال لي: كذا وأوصاني بكذا، فإن كان يخالف الشريعة فهو كذب، ويكون الكذب ممن تحدث به إذا انطبقت أوصاف من رآه على أوصاف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

* * *

[٥/ ٨٤٢] ــ وعن أبي قَتَادَةَ رضى الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: « الرُّؤيَا الصَّالحةُ ــ وفى رواية: الرُّؤيَا الحَسَنَةُ ــ منَ الله، والحُلم منَ الشَّيطَان، فَمَن رأى شيئاً يكرهُهُ فَلينفُثْ عَن شمَاله ثَلاثاً، وليَتَعوَّذ منَ الشَّيطَان فإنَّها لا تَضرُّه » متفقٌ عليه.

« النَّفث »: نَفخٌ لطيفٌ لا ريقَ مَعَهُ.

[٦/ ٨٤٣] ــ وعن جابر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « إذا رأى أحَدُكُم الرُّؤيَا يكرهُهَا، فَليَبصُق عَن يَسَاره ثَلاثاً، وليَستَعذ بالله منَ الشَّيطَان ثَلاثاً، وليَتَحوَّلْ عَن جَنبِه الذى كان عليه » رواه مسلم.

[٧/ ٨٤٤] ــ وعن أبي الأسقَعِ وَاثلَةَ بن الأسقَع رضى الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: « إنَّ من أعظَمِ الفرَي أن يَدَّعِىَ الرَّجُلُ إلى غَيْرِ أبِيه، أوْ يُرِىَ عَينَهُ ما لم تَرَ، أوْ يَقُولَ على رسول الله ﷺ مَا لَم يَقُلْ » رواه البخارى.

---

(١) انظر البخاري (٦٩٩٤) مسلم (٢٢٦٤).

(٥/ ٨٤٢) صحيح: رواه البخاري (٦٩٨٦، ٧٠٤٤) ومسلم (٢٢٦١).

(٦/ ٨٤٣) صحيح: رواه مسلم (٢٢٦٢) وأبو داود (٥٠٢٢) ابن ماجه (٣٩٠٨).

(٧/ ٨٤٤) صحيح: رواه البخاري (٣٥٠٩).

Marfat.com

الشرح

هذه الأحاديث فيما يتعلق بالرؤيا، وسبق شيء من ذلك، وقد بينا أن الرؤيا ثلاثة أقسام:

القسم الأول: رؤيا حسنة صالحة فهذه من الله عز وجل، وذكرنا أنها فيما يَسُرُّ، وأنها من عاجل بشرى المؤمن.

القسم الثاني: الحلم، وهذا من الشيطان، والغالب أنه يكون فيما يكره الإنسان، أي أن الشيطان يُرى الإنسان ما يكره حتى يفزع ويتكدر ويحزن وربما يمرض، لأن الشيطان عدو للإنسان؛ يحب ما يسوء الإنسان وما يحزنه، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المجادلة: ١].

فالحلم هو الذي يراه الإنسان في منامه يكرهه، ويزعجهُ، ولكن من نعمة الله عز وجل أن جعل لكل داء دواء.

ودواء الحلم فيما يلي:

أولاً: أن يبصق الإنسان على يساره ثلاث مرات، ويستعيذ بالله من شر الشيطان ثلاث مرات، ومن شر ما رأى، يقول: أعوذ بالله من شر الشيطان ومن شر ما رأيت ثلاث مرات، ويتحول إلى الجنب الثاني، فإذا كان على جنبه الأيسر يتحول إلى الأيمن، وإذا كان على الأيمن يتحول إلى الأيسر.

ثانيًا: وإذا لم ينفع هذا ، يعني لو أنه تحول عن جنبه الأول إلى الثاني ثم عادت هذه الرؤيا التي يكرهها فليقم ويتوضأ ويصلي.

ولا يخبر بها أحدًا، فلا يقول: رأيت ورأيت، ولا يذهب إلى الناس يعبرونها، ولا يذهب إلى أحد يفسرها، فإنها لا تضره أبدًا حتى وكأنها ما وقعت ، وفي هذا راحة له.

وبعض الناس إذا رأى شيئًا يكرهه ذهب يتلمس من يفسر له هذه الرؤيا ، ونحن نقول له: لا تفعل ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الرؤيا يكرهونها، فلما حدثهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذا الحديث استراحوا؛ فصار الإنسان إذا رأى الرؤيا التي يكرهها بصق عن يساره ثلاث مرات، واستعاذ بالله من شرها وشر الشيطان ، ولم يحدث بها أحدًا، ثم لا تضره وكأنه ما رآها.

أما القسم الثالث: فهو الحلم الذي يكون من حديث النفس، حيث يكون الإنسان متعلقا بشيء من الأشياء دائما ، فهذا أر بما يراه في المنام ، وهذا أيضا لا حكم له ولا أثر له .

وينبغي للإنسان إذا رأى رؤيا تسره وهي الرؤيا الصالحة أن يؤولها على خير ما يقع في

Marfat.com

نفسه، لأن الرؤيا إذا عبرت بإذن الله فإنها تقع.

ثم إن من المهم ألا نعتمد على ما يوجد في بعض الكتب؛ ككتاب تفسير الأحلام لابن سيرين، وما أشبهها، فإن ذلك خطأ، وذلك لأن الرؤيا تختلف بحسب الرائي وبحسب الزمان وبحسب المكان وبحسب الأحوال ، يعني ربما يرى الشخص رؤيا فتفسرها له بتفسير، ويرى آخر رؤيا هي نفس الرؤيا فتفسرها له بتفسير آخر غير الأول ، وذلك لأن هذا رأى ما يليق به وهذا رأى ما يليق به، أو لأن الحال تقتضي أن نفسر هذه الرؤيا بهذا التفسير.

فالمهم ألا يرجع الإنسان إلى الكتب المؤلفة في تفسير الأحلام لأن الأحلام والرؤى تختلف.

ويذكر أن رجلاً رأى رؤيا ففسرت له بتفسير، ثم رأى آخر نفس الرؤيا ففسرت بتفسير آخر، فسئل الذي فسرهما في ذلك فقال لأن هذا يليق به ذلك التفسير لما رأى ، وهذا يليق به ذلك التفسير لما رأى. كل إنسان يفسر له بما يليق به.

ولهذا فإن النبي ﷺ في غزوة أحد قبل الوقعة أو في أثنائها، رأى في المنام أن في سيفه ثلمة، ورأى بقرًا تنحر، ففسرها بأنه يقتل أحد من أهل بيته ، وأنه يقتل نفر من أصحابه[1] ، فالثلمة هي أن يقتل أحد من أهل بيته، لأن الإنسان يحتمي بقبيلته ويحتمي بسيفه فلما صار في السيف ثلمة فمعنى ذلك أنه سيكون ثلمة في أهل بيته.

ووقع كذلك؛ فقد استشهد حمزة عم النبي ﷺ في أحد، أما البقر التي تنحر فالذين قتلوا من الصحابة رضي الله عنهم في أحد نحو سبعين رجلاً، وإنما رآه بقرًا لأن البقر فيها منافع كثيرة، فهي أنفع ما يكون من بهيمة الأنعام؛ للحرث وللسمن وللنماء ، وللبن، وفيها مصالح كثيرة، والصحابة رضي الله عنهم كلهم خير، ففيهم خير كثير لهذه الأمة، ولو لم يكن من خيرهم إلا أن الله سبحانه وتعالى وفقهم لحمل الشريعة إلى الأمة لكان ذلك يكفيهم، إذ إنه لا طريق لنا إلى شريعة الله إلا بواسطة الصحابة رضي الله عنهم.

* * *

(١) صحيح : رواه البخاري (٧٠٣٥).

Marfat.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
٢٨ ـ باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة	
١ / ٢٤٠ ـ حديث: «لا يستر عبدٌ عبد في الدنيا»	٨
٢ / ٢٤١ ـ حديث: «كل أمتي معافى...»	٩
٣ / ٢٤٢ ـ حديث: «إذا زنت الأمة فتبين زناها...»	١٠
٤/ ٢٤٣ ـ حديث: «لا تقولوا هكذا...»	١١
٢٩ ـ باب قضاء حوائج المسلمين	
١ / ٢٤٤ ـ حديث: «المسلم أخو المسلم...»	١٢
٢ / ٢٤٥ ـ حديث: «من نفس عن مؤمن كربة...»	١٢
٣٠ ـ باب الشفاعة	
١ / ٢٤٦ ـ حديث: «اشعفوا تؤجروا»	١٥
٢/ ٢٤٧ ـ حديث: «لو راجعته»	١٥
٣١ ـ باب الإصلاح بين الناس	
١ / ٢٤٨ ـ حديث: «كل سلامى من الناس عليه صدقة»	١٩
٢/ ٢٤٩ ـ حديث: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس...»	٢٢
٣ / ٢٥٠ ـ حديث: «أين المتالى على الله...»	٢٣
٣٢ ـ باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين	
١ / ٢٥٢ ـ حديث: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟»	٢٧
٢/ ٢٥٣ ـ حديث: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»	٢٩
٣/ ٢٥٤ ـ حديث: «احتجت الجنة والنار...»	٣٠
٤/ ٢٥٥ ـ حديث: «إنه ليأتي الرجل السمين العظيم...»	٣٢
٥/ ٢٥٦ ـ حديث: «أفلا كنتم آذنتموني...»	٣٤
٦ / ٢٥٧ ـ حديث: «رب أشعث أغبر...»	٣٦
٧ / ٢٥٨ ـ حديث: «قمت على باب الجنة...»	٣٦
٨ / ٢٥٩ ـ حديث: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة...»	٣٨

Marfat.com

٣٣ - باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

١ / ٢٦٠ - سبب نزول قوله تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم ...﴾ ٥١
٢/ ٢٦١ - حديث: «يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ...» ٥٢
٣ / ٢٦٢ - حديث: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» ٥٤
٤ / ٢٦٣ - حديث: «كافل اليتيم له أو لغيره...» ٥٥
٥ / ٢٦٤ - حديث: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان» ٥٥
٦ / ٢٦٥ - حديث: «الساعي على الأرملة والمسكين» ٥٦
٧/ ٢٦٦ - حديث: «شر الطعام طعام الوليمة، يُمنعها من يأتيها...» ٥٧
٨ / ٢٦٧ - حديث: «من عال جاريتين حتى تبلغا ..» ٥٩
٩ / ٢٦٨ - حديث: «من ابتلى من هذه البنات بشيء» ٦٠
١٠ / ٢٦٩ - حديث: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة» ٦٢
١١ / ٢٧٠ - حديث: «اللهم إني أحرج حق الضعيفين اليتيم والمرأة» ٦٢
١٢ / ٢٧١ - حديث: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم» ٦٣
١٣ / ٢٧٢ - حديث: «ابغوني الضعفاء..» ٦٣

٣٤ - باب الوصية بالنساء

١ / ٢٧٣ - حديث: «استوصوا بالنساء خيرًا...» ٦٥
٢ / ٢٧٤ - حديث: «يعمد أحدكم فيجلد امرأته...» ٦٦
٣ / ٢٧٥ - حديث: «لا يفرك مؤمن مؤمنة...» ٦٨
٤ / ٢٧٦ - حديث: «ألا واستوصوا بالنساء خيرًا...» ٧٠
٥ / ٢٧٧ - حديث: «أن تطعمها إذا طعمت...» ٧٣
٦ / ٢٧٨ - حديث: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا...» ٧٣
٧ / ٢٧٩ - حديث: «لا تضربوا إماء الله» ٧٦
٨ / ٢٨٠ - حديث: «الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة» ٧٦

٣٥ - باب حق الزوج على المرأة

١ / ٢٨١ - حديث: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه...» ٧٨
٢ / ٢٨٢ - حديث: «لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد...» ٨١
٣ / ٢٨٣ - حديث: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» ٨٣

Marfat.com

٤ / ٢٨٤ ـ حديث: «إذا دعا الرجل زوجته لحاجته» ٨٣
٥ / ٢٨٥ ـ حديث: «لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد . . .» ٨٣
٦ / ٢٨٦ ـ حديث: «أيما امرأة ماتت . . .» ٨٣
٧ / ٢٨٧ ـ حديث : « لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا . . .» ٨٥
٨ / ٢٨٨ ـ حديث: «ما تركت بعد فتنة هي أضر على الرجال من النساء» ٨٥

٣٦ ـ باب النفقة علي العيال

١ / ٢٨٩ ـ حديث: «دينار أنفقته في سبيل الله. . .» ٨٨
٢ / ٢٩٠ ـ حديث: «أفضل دينار ينفقه الرجل. . .» ٨٨
٣ / ٢٩١ ـ حديث: «نعم، لك أجر ما أنفقت عليهم» ٨٨
٤ / ٢٩٢ ـ حديث: «وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا . . .» ٨٨
٥ / ٢٩٣ ـ حديث: «إذا أنفق الرجل على أهله نفقة. . .» ٨٨
٦ / ٢٩٤ ـ حديث: «كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت. . .» ٨٨
٧ / ٢٩٥ ـ حديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان. . .» ٨٩
٨ / ٢٩٦ ـ حديث: «اليد العليا خير من اليد السفلى» ٨٩

٣٧ ـ باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد

١/ ٢٩٧ ـ حديث: « بخ ذلك مال رابح . . .» ٩١

٣٨ ـ باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى، وينهيهم عن المخالفة ، وتأديبهم، ومنعهم من ارتكاب منهي عنه

١/ ٢٩٨ ـ حديث: «كخ كخ، ارم بها. . .» ٩٥
٢/ ٢٩٩ ـ حديث: «يا غلام سم الله تعالى. . .» ٩٦
٣/ ٣٠٠ ـ حديث : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . . .» ٩٨
٤/ ٣٠١ ـ حديث: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين. . .» ٩٨
٥ / ٣٠٢ ـ حديث: «علموا الصبي الصلاة لسبع سنين. . .» ٩٨

٣٩ ـ باب حق الجار والوصية به

١/ ٣٠٣ ـ حديث: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى . . .» ١٠٠
٢ / ٣٠٤ ـ حديث: «يا أبا ذر ، إذا طبخت مرقة. . .» ١٠٠
٣ / ٣٠٥ ـ حديث: «والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن» ١٠٠
٤ / ٣٠٦ ـ حديث: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها» ١٠٠

Marfat.com

٥ / ٣٠٧ ـ حديث: «لايمنع جار جاره» ١٠٠
٦/ ٢٠٨ ـ حديث : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر . . . » ١٠٢
٧/ ٣٠٩ ـ حديث « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره.» ١٠٢
٨/ ٣١٠ ـ حديث عائشة : قلت يا رسول الله إن لى جارين . . . ١٠٢
٩/ ٣١١ ـ حديث : « خير الأصحاب عند الله تعالى . . . » ١٠٢
٤٠ ـ باب بر الوالدين وصلة الأرحام
١/ ٣١٢ ـ حديث: «الصلاة على وقتها» ١٠٣
٢/ ٣١٣ ـ حديث: «لا يجزي ولد عن والداً» ١٠٣
٣/ ٣١٤ ـ حديث : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . .» ١٠٣
٤/ ٣١٥ ـ حديث: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم. . .» ١٠٤
٥/ ٣١٦ ـ حديث: «أمك ثم أمك. . .» ١٠٥
٦/ ٣١٧ ـ حديث : «رغم أنف ثم رغم أنف . . . » ١٠٥
٧/ ٣١٨ ـ حديث: «لئن كنت كما قلت. . .» ١٠٧
٨/ ٣١٩ ـ حديث: «من أحب أن يبسط له في رزقه» ١٠٧
٩/ ٣٢٠ ـ حديث: «بخ ذلك مال رابح» ١٠٧
١٠ / ٣٢١ ـ حديث: «فهل لك من والديك أحد حي؟» ١٠٨
١١ / ٣٢٢ ـ حديث: «ليس الواصل بالمكافئ. . .» ١٠٨
١٢ / ٣٢٣ ـ حديث: «الرحم معلقة بالعرش تقول. . .» ١٠٨
١٣/ ٣٢٤ ـ حديث : « أما إنك لو أعطيتها احوالك . . . » ١٠٨
١٤ / ٣٢٥ ـ حديث: «نعم ، صلي أمك» ١٠٩
١٥ / ٣٢٦ ـ حديث: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن» ١٠٩
١٦ / ٣٢٧ ـ حديث: «اعبدو الله وحده. . .» ١١١
١٧ / ٣٢٨ ـ حديث: «إنكم ستفتحون أرضًا. . .» ١١١
١٨ / ٣٢٩ ـ حديث: «يا بني عبد شمس. . .» ١١٢
١٩ / ٣٣٠ ـ حديث: «إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي» ١١٢
٢٠ / ٣٣١ ـ حديث: «تعبد الله ولا تشرك به شيئًا. . .» ١١٤
٢١ / ٣٣٢ حديث: «إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر. . .» ١١٤
٢٢ / ٣٣٣ ـ حديث: «طلقها» ١١٤

Marfat.com

٢٣ / ٣٣٤ ـ حديث: «الوالد أوسط أبواب الجنة...» ١١٤
٢٤ / ٣٣٥ ـ حديث: «الخالة بمنزلة الأم» ١١٥
٤١ ـ باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم
١ / ٣٣٦ ـ حديث: «ألا بأكبر الكبائر؟ » ١١٧
٢ / ٣٣٧ ـ حديث: « الكبائر. الإشراك بالله ...» ١١٩
٣ / ٣٣٨ ـ حديث: «من الكبائر شتم الرجل والديه!» ١١٩
٤/ ٣٣٩ ـ حديث: «لا يدخل الجنة قاطع» ١١٩
٥/ ٣٤٠ ـ حديث: «إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات» ١٢٠
٤٢ ـ باب فضل بر أصدقاء الأب والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه
١/ ٣٤١ ـ حديث: «إن أبر البر أن يصل الرجل ود أبيه» ١٢٣
٢/ ٣٤٢ ـ حديث: «إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه» ١٢٣
٣/ ٣٤٣ ـ حديث: «نعم . الصلاة عليهما والاستغفار لهما...» ١٢٤
٤/ ٣٤٤ ـ حديث: «إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد» ١٢٥
٥/ ٣٤٥ ـ حديث: «إني قد رأيت الأنصار تصنع بـرسول اللهﷺ شيئًا آليت على نفسي» ١٢٧
٤٣ ـ باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم
١/ ٣٤٦ ـ حديث: «أما بعد،.. ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر...» ١٣٠
٢/ ٣٤٧ ـ حديث أبي بكر قال: ارقبوا محمد ﷺ في أهل بيته ١٣٠
٤٤ـ باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم ، وإظهار مرتبتهم
١/ ٣٤٨ ـ حديث: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله...» ١٣٢
٢/ ٣٤٩ ـ حديث: «استووا ولا تختلفوا...» ١٣٢
٣/ ٣٥٠ ـ حديث: «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى..» ١٣٥
٤/ ٣٥١ ـ حديث: «كبر كبر» ١٣٥
٥/ ٣٥٢ ـ حديث: «أيهما أكثر أخذًا للقرآن؟» ١٣٦
٦/ ٣٥٣ ـ حديث: «أراني في المنام أتسوك بسواك» ١٣٦
٧/ ٣٥٤ ـ حديث: «إن من إجلال الله تعالى...» ١٣٦
٨/ ٣٥٥ ـ حديث : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ... » ١٣٦

Marfat.com

٩/ ٣٥٦ ـ حديث : « أنزلوا الناس منازلهم » ١٣٦
١٠/ ٣٥٧ ـ حديث ابن عباس : قدم عينية من حض فنزل على ابن أخيه ١٣٧
١١/ ٣٥٨ ـ حديث سمرة بن جندب قال : لقد كنت على عهد رسول الله ١٣٧
١٢/ ٣٥٩ ـ حديث : « ما أكرم شاب شيخا لسنه ١٣٧
٤٥ ـ باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة.
١ / ٣٦٠ ـ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ ١٤٠
٢/ ٣٦١ ـ حديث: «إن رجلاً زار أخًا له في. .» ١٤١
٣/ ٣٦٢ ـ حديث: «من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله. . .» ١٤١
٤/ ٣٦٣ ـ حديث: «إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء. . .» ١٤١
٥/ ٣٦٤ ـ حديث: «تنكح المرأة لأربع. .» ١٤٢
٦/ ٣٦٥ ـ حديث: «ما يمنعك أن تزورنا. . .» ١٤٢
٧/ ٣٦٦ ـ حديث: «لا تصاحب إلا مؤمنًا» ١٤٣
٨/ ٣٦٧ ـ حديث: «الرجل على دين خليله. . .» ١٤٣
٩/ ٣٦٨ ـ حديث: «المرء من مع أحب» ١٤٣
١٠ / ٣٦٩ ـ حديث: «ما أعددت لها؟» ١٤٤
١١ / ٣٧٠ ـ حديث: «المرء مع من أحب» ١٤٤
١٢ / ٣٧١ ـ حديث: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. .» ١٤٤
١٣ / ٣٧٢ ـ حديث: «يأتي عليكم أويس بن عامر. . .» ١٤٥
١٤ / ٣٧٣ ـ حديث: «لا تنسنا يا أخي من دعائك» ١٤٦
١٥ / ٣٧٤ ـ حديث: «كان النبي ﷺ يزور قباء راكبًا وماشيًا» ١٤٦
٤٦ ـ باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه وماذا يقول له إذا أعلمه
١ / ٣٧٥ ـ حديث: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان» ١٤٩
٢/ ٣٧٦ ـ حديث: « سبعة يظلهم الله في ظله. . .» ١٤٩
٣ / ٣٧٧ ـ حديث: «إن الله تعالى يقول يوم القيامة. . .» ١٥٤
٤/ ٣٧٨ ـ حديث: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا. .» ١٥٤
٥/ ٣٧٩ ـ حديث: «أن رجلاً زار أخًا له في قرية أخرى. . .» ١٥٥

Marfat.com

٦/ ٣٨٠ ـ حديث : «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق » ١٥٥
٧/ ٣٨١ ـ حديث : « قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى . . . » ١٥٥
٨/ ٣٨٢ ـ حديث: «قال الله تعالى: وجبت محبتي» ١٥٥
٩/ ٣٨٣ ـ حديث: «إذا أحب الرجل أخاه» ١٥٥
١٠ / ٣٨٤ ـ حديث: «يا معاذ، والله إني لأحبك» ١٥٥
١١ / ٣٨٥ ـ حديث: «أأعلمته؟» ١٥٦
٤٧ ـ باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها
١/ ٣٨٦ ـ حديث: «إن الله تعالى قال: من عادي لي وليًا» ١٥٨
٢/ ٣٨٧ ـ حديث: «إذا أحب الله تعالى العبد. . .» ١٥٨
٣/ ٣٨٨ ـ حديث: «سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟» ١٥٨
٤٨ ـ باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين
١/ ٣٨٩ ـ حديث: «من صلى صلاة الصبح. . .» ١٦١
٤٩ ـ باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى
١ / ٣٩٠ ـ حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا» ١٦٣
٢/ ٣٩١ ـ حديث: «من قال لا إله إلا الله. . .» ١٦٣
٣/ ٣٩٢ ـ حديث: «لا تقتله » ١٦٣
٤/ ٣٩٣ ـ حديث: «يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله» ١٦٣
٥/ ٣٩٤ ـ حديث : « لم قتلته » ١٦٧
٦ / ٣٩٥ ـ حديث عمر رضي الله عنه قال: إن ناسًا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله ﷺ ١٦٧
٥٠ ـ باب الخوف
١/ ٣٩٦ ـ حديث: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه. . .» ١٧٠
٢/ ٣٩٧ ـ حديث: «يؤتى بجهنم يومئذ لها. . .» ١٧٥
٣/ ٣٩٨ ـ حديث: «إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة. . .» ١٧٥
٤/ ٣٩٩ ـ حديث: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه. . .» ١٧٥
٥/ ٤٠٠ ـ حديث: «يقوم الناس لرب العالمين. . .» ١٧٥
٦/ ٤٠١ ـ حديث: «لو تعلمون ما أعلم. . .» ١٧٥

Marfat.com

٧/ ٤٠٢ ـ حديث: «تدني الشمس يوم القيامة...» ١٧٧
٨/ ٤٠٣ ـ حديث: «يعرق الناس يوم القيامة...» ١٧٧
٩/ ٤٠٤ ـ حديث: «هل تدرون ما هذا؟» ١٧٧
١٠ / ٤٠٥ ـ حديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه...» ١٧٧
١١ / ٤٠٦ ـ حديث: «إني أرى ما لا ترون...» ١٧٧
١٢ / ٤٠٧ ـ حديث: «لا تزول قدما عبد حتى ...» ١٧٨
١٣/ ٤٠٨ ـ حديث: «أتدرون ما أخبارها» ١٧٩
١٤/ ٤٠٩ ـ حديث: «كيف أنعم وصاحب القرن ...» ١٧٩
١٥ / ٤١٠ ـ حديث: «من خاف أدلج...» ١٧٩
١٦ / ٤١١ ـ حديث: «يحشر الناس يوم القيامة» ١٧٩

٥١ ـ باب الرجاء

١/ ٤١٢ ـ حديث: «من شهد أن لا إله إلا الله...» ١٨١
٢/ ٤١٣ ـ حديث: «يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة» ١٨١
٣/ ٤١٤ ـ حديث: «من مات لا يشرك بالله شيئًا» ١٨١
٤/ ٤١٥ ـ حديث: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله...» ١٨٢
٥/ ٤١٦ ـ حديث: «خذوا فى أوعيتكم ...» ١٨٣
٦/ ٤١٧ ـ حديث: «أين تحب أن أصلي من بيتك؟» ١٨٣
٧/ ٤١٨ ـ حديث: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟» ١٨٨
٨/ ٤١٩ ـ حديث: «لما خلق الله الخلق...» ١٨٨
٩/ ٤٢٠ ـ حديث: «جعل الله الرحمة مائة جزء...» ١٨٨
١٠/ ٤٢١ ـ حديث: «أذنب عبد ذينا ...» ١٨٩
١١ / ٤٢٢ ـ حديث: «والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا» ١٨٩
١٢ / ٤٢٣ ـ حديث: «لولا أنكم تذنبون...» ١٨٩
١٣ / ٤٢٤ ـ حديث: «اذهب فمن لقيت وراء هذا الحائط يشهد...» ١٨٩
١٤ / ٤٢٥ ـ حديث: «اللهم أمتي أمتي» ١٨٩
١٥ / ٤٢٦ ـ حديث: «يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده» ١٩١
١٦ / ٤٢٧ ـ حديث: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد...» ١٩١
١٧ / ٤٢٨ ـ حديث: «إن الكافر إذا عمل حسنة...» ١٩٢

Marfat.com

١٨/ ٤٢٩ ـ حديث : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار . . . » ١٩٢
١٩/ ٤٣٠ ـ حديث: «ما من رجل مسلم يموت. . .» ١٩٢
٢٠ / ٤٣١ ـ حديث: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة» ١٩٢
٢١ / ٤٣٢ ـ حديث: «إذا كان يوم القيامة دفع الله. .» ١٩٢
٢٢ / ٤٣٣ ـ حديث: «يدني المؤمن يوم القيامة من ربه. .» ١٩٣
٢٣ / ٤٣٤ ـ حديث: «لجميع أمتي كلهم» ١٩٥
٢٤ / ٤٣٥ ـ حديث: «هل حضرت معنا الصلاة؟» ١٩٥
٢٥ / ٤٣٦ ـ حديث: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة» ١٩٥
٢٦ / ٤٣٧ ـ حديث: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل» ١٩٥
٢٧ / ٤٣٨ ـ حديث: «أرسلني بصلة الأرحام. . .» ١٩٦
٢٨/ ٤٣٩ ـ حديث : « إذا أراد الله تعالى رحمة أمة قبض نبيها قبلها . . . » ١٩٨

٥٢ ـ باب فضل الرجاء

١ / ٤٤٠ ـ حديث: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي. . .» ١٩٩
٢/ ٤٤١ ـ حديث: «لا يموتن أحدكم إلا وهو . . .» ١٩٩
٣/ ٤٤٢ ـ حديث: «قال الله تعالى: يا بن آدم ، إنك ما دعوتني. . .» ١٩٩

٥٣ ـ باب الجمع بين الخوف والرجاء

١/ ٤٤٣ ـ حديث: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة. . .» ٢٠١
٢/ ٤٤٤ ـ حديث: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الناس. . .» ٢٠١
٣/ ٤٤٥ ـ حديث: «الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله. . .» ٢٠١

٥٤ ـ باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقا إليه

١/ ٤٤٦ ـ حديث: «إني أحب أن أسمعه من غيري» ٢٠٤
٢/ ٤٤٧ ـ حديث: «لو تعلمون ما أعلم. . .» ٢٠٤
٣/ ٤٤٨ ـ حديث: «لا يلج النار رجل بكى من . . .» ٢٠٤
٤/ ٤٤٩ ـ حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله. . .» ٢٠٤
٥/ ٤٥٠ ـ حديث: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه. .» ٢٠٨
٦/ ٤٥١ ـ حديث: «إن الله عز وجل أمرني أن أقرأ عليك» ٢٠٩
٧/ ٤٥٢ ـ قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : انطلق بنا إلى أم أيمن ٢٠٩
٨/ ٤٥٣ ـ حديث: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» ٢٠٩

Marfat.com

٩/ ٤٥٤ ـ أتى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بطعام وكان صائمًا ٢٠٩
١٠/ ٤٥٥ ـ حديث : «ليس شيء أحب إلى الله تعالى من قطرتين» ٢١١
١١/ ٤٥٦ ـ حديث العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ٢١١
٥٥ ـ باب فضل الزهد في الدنيا، والحث على التقلل منها، وفضل الفقر
١/ ٤٥٧ ـ حديث: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة» ٢١٤
٢/ ٤٥٨ ـ حديث: «إن مما أخاف عليكم» ٢١٥
٣/ ٤٥٩ ـ حديث: «إن الدنيا حلوة خضرة» ٢١٥
٤/ ٤٦٠ ـ حديث: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة» ٢١٧
٥/ ٤٦١ ـ حديث: «يتبع الميت ثلاثة. . .» ٢١٧
٦/ ٤٦٢ ـ حديث: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار» ٢١٧
٧/ ٤٦٣ ـ حديث: «ما الدنيا في الآخرة. . .» ٢١٧
٨/ ٤٦٤ ـ حديث: «أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم؟» ٢١٨
٩/ ٤٦٥ ـ حديث: «ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبًا. . .» ٢١٩
١٠ / ٤٦٦ ـ حديث: «لو كان لي مثل أحد هذا ذهبًا. . .» ٢١٩
١١ / ٤٦٧ ـ حديث: «انظروا إلى من هو أسفل منكم» ٢٢٠
١٢ / ٤٦٨ ـ حديث: «تعس عبد الدينار والدرهم. . .» ٢٢٠
١٣ / ٤٦٩ ـ حديث أبي هريرة، قال: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ٢٢٠
١٣ / ٤٧٠ ـ حديث: «الدنيا سجن المؤمن. . .» ٢٢٠
١٤ / ٤٧١ ـ حديث: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ٢٢٢
١٥/ ٤٧١ ـ حديث : «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» ٢٢٢
١٦/ ٤٧٢ ـ حديث : «ازهد فى الدنيا يحبك الله . . .» ٢٢٣
١٧/ ٤٧٣ حديث : النعمان بن بشير قال : ذكر عمر بن الخطاب ٢٢٣
١٨/ ٤٧٤ ـ حديث عائشة قالت : توفى رسول الله ﷺ وما فى بيتى من شيء يأكله ٢٢٣
١٩/ ٤٧٥ ـ حديث عمرو بن الحارث قال : ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارًا ٢٢٣
٢٠ / ٤٧٦ ـ حديث خباب بن الأرت قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ ٢٢٣

Marfat.com

٢١ / ٤٧٧ ـ حديث: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله...» ٢٢٣
٢٢ / ٤٧٨ ـ حديث : «ألا إن الدنيا ملعونة ...» ٢٢٤
٢٣ / ٤٧٩ ـ حديث: «لا تتخذوا الضيعة...» ٢٢٤
٢٤ / ٤٨٠ ـ حديث: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك» ٢٢٤
٢٥ / ٤٨١ ـ حديث: «إن لكل أمة فتنة» ٢٢٥
٢٦ / ٤٨٢ ـ حديث: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال...» ٢٢٥
٢٧ / ٤٨٣ ـ حديث: «يقول ابن آدم: مالي، مالي...» ٢٢٥
٢٨ / ٤٨٤ ـ حديث: «إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافًا» ٢٢٦
٣٠ / ٤٨٦ ـ حديث: «مالي وللدنيا؟...» ٢٢٦
٣١ / ٤٨٧ ـ حديث: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء» ٢٢٧
٣٢ / ٤٨٨ ـ حديث: « اطلعت في الجنة فرأيت...» ٢٢٧
٣٣ / ٤٨٩ ـ حديث: «قمت على باب الجنة...» ٢٢٧
٣٤ / ٤٩٠ ـ حديث: «أصدق كلمة قالها شاعر» ٢٢٧
٥٦ ـ باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرهما من حظوظ النفس وترك الشهوات
١/ ٤٩١ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قال: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير» ٢٢٩
٢/ ٤٩٢ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ٢٢٩
٣/ ٤٩٣ ـ حديث: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا» ٢٢٩
٤/ ٤٩٤ ـ حديث أنس قال: لم يأكل النبى ﷺ على خوان حتى مات ٢٣١
٥/ ٤٩٥ ـ حديث النعمان بن بشير قال لقد رأيت نبيكم ﷺ وما يجد من الدقل ٢٣١
٦/ ٤٩٦ ـ حديث سهل بن سعد قال: ما رأى رسول الله ﷺ النقى ٢٣١
٧/ ٤٩٧ ـ حديث: «ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟» ٢٣١
٨/ ٤٩٨ ـ حديث خالد بن عمر العدوى قال: خطبنا عتيمة بن عزاوايه ٢٣٢
٩/ ٤٩٩ ـ حديث أبى موسى الأشعرى قال: أخرجت لنا عائشة كساء وإزارًا ٢٣٢
١٠/ ٥٠٠ ـ حديث سعد بن أبى وقاص قال: إنى لأول العرب رمى بسهم ٢٣٢
١١/ ٥٠١ ـ حديث: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا» ٢٣٣
١٢/ ٥٠٢ ـ حديث: «أبا هر ...» ٢٣٣
١٣/ ٥٠٣ ـ حديث أبى هريرة قال: لقد رايتنى وانى لآخر ٢٣٤

Marfat.com

١٤/ ٥٠٤ ـ حديث عائشة قالت : توفى رسول الله ﷺ ودرعه مرهونه عند يهودى ٢٣٤
١٥/ ٥٠٥ ـ حديث أنس : « ما أصبح لآل محمد صاع ... » ٢٣٤
١٦/ ٥٠٦ ـ حديث أبى هريرة قال : لقد رأيت سبعين من أهل الصفة ٢٣٤
١٧/ ٥٠٧ ـ حديث عائشة قالت : كان فراش رسول الله ﷺ من أدم حشوه ليف ٢٣٤
١٨/ ٥٠٨ ـ حديث ابن عمر قال : كنا جلوسا ومع رسول الله ﷺ ٢٣٥
١٩/ ٥٠٩ ـ حديث : « خيركم قرنى ... » ٢٣٥
٢٠/ ٥١٠ ـ حديث : « يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك ... » ٢٣٥
٢١/ ٥١١ ـ حديث : « من أصبح منكم آمنا فى سربه ... » ٢٣٥
٢٢/ ٥١٢ ـ حديث : قد أفلح من أسلم وكان رزقه .... » ٢٣٥
٢٣/ ٥١٣ ـ حديث : « طوبى عن هدى إلى الإسلام ... » ٢٣٦
٢٤/ ٥١٤ ـ حديث ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى ٢٣٦
٢٥/ ٥١٥ ـ حديث : «لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى ... » ٢٣٦
٢٦/ ٥١٦ ـ حديث : « ما ملأ آدمى دعاء شرًا من بطن ... » ٢٣٦
٢٧/ ٥١٧ ـ حديث : « ألا تسمعون ... » ٢٣٦
٢٨/ ٥١٨ ـ حديث جابر بن عبد الله قال : بعثنا رسول الله ﷺ ٢٣٧
٢٩/ ٥١٩ ـ حديث أسماء بنت يزيد قال : كان كم قميص رسول الله ﷺ
إلى الرضع ٢٣٨
٣٠/ ٥٢٠ ـ حديث : جابر بن عبد الله قال إنا كنا يوم الخندق نحفر ... ٢٣٨
٣١/ ٥٢١ ـ حديث : « أرسلك أبو طلحة ؟ ... » ٢٣٩

٥٧ ـ باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق
وذم السؤال من غير ضرورة

١/ ٥٢٢ ـ حديث : « ليس الغنى عن كثرة العرض ... » ٢٤١
٢/ ٥٢٥ ـ حديث « قد أفلح من أسلم ورزق ... » ٢٤١
٣/ ٥٢٤ ـ حديث: «يا حكيم إن هذا المال...» ٢٤١
٤/ ٥٢٥ ـ حديث أبى موسى الأشعرى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة ٢٤١
٥/ ٥٢٦ ـ حديث : « أما بعد فوالله إنى لأعطى الرجل ... » ٢٤١
٦/ ٥٢٧ ـ حديث: «اليد العليا خير من اليد السفلى...» ٢٤٢
٧/ ٥٢٨ ـ حديث: «لا تلحفوا في المسألة...» ٢٤٢

Marfat.com

٨/ ٥٢٩ ـ حديث: «ألا تبايعون رسول الله؟» ٢٤٢

٩/ ٥٣٠ ـ حديث: «لا تزال المسألة بأحدكم...» ٢٤٢

١٠/ ٥٣١ ـ حديث: «اليد العليا خير من اليد السفلى...» ٢٤٣

١١/ ٥٣٢ ـ حديث: «من سأل الناس تكثرًا...» ٢٤٣

١٢/ ٥٣٣ ـ حديث: «إن المسألة كد...» ٢٤٤

١٣/ ٥٣٤ ـ حديث: «من أصابته فاقة فأنزلها بالناس» ٢٤٤

١٤/ ٥٣٥ ـ حديث: «من تكفل لي أن لا يسأل...» ٢٤٤

١٥/ ٥٣٦ ـ حديث: «أقم حتى تأتينا الصدقة...» ٢٤٤

١٦/ ٥٣٧ ـ حديث: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس...» ٢٤٤

٥٨ ـ باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

١/ ٥٣٨ ـ حديث: «خذه، إذا جاءك من هذا المال...» ٢٤٦

٥٩ ـ باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

١/ ٥٣٩ ـ حديث: «لأن يأخذ أحدكم حبله..» ٢٤٦

٢/ ٥٤٠ ـ حديث: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره...» ٢٤٦

٣/ ٥٤١ ـ حديث: «كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده» ٢٤٦

٤/ ٥٤٢ ـ حديث: «كان زكريا عليه السلام نجارًا» ٢٤٦

٥/ ٥٤٣ ـ حديث: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من..» ٢٤٦

٦٠ ـ باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

١/ ٥٤٤ ـ حديث: «لاحسد إلا في اثنتين...» ٢٤٩

٢/ ٥٤٥ ـ حديث: «أيكم مال وارثه أحب إليه...» ٢٤٩

٣/ ٥٤٦ ـ حديث: «اتقوا النار ولو بشق تمرة» ٢٤٩

٤/ ٥٤٧ ـ حديث: «ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا» ٢٤٩

٥/ ٥٤٨ ـ حديث: «ما من يوم يصبح العباد فيه...» ٢٤٩

٦/ ٥٤٩ ـ حديث: «قال الله تعالى: أنفق يابن آدم...» ٢٤٩

٧/ ٥٥٠ ـ حديث: «تطعم الطعام وتقرأ السلام...» ٢٥٢

٨/ ٥٥١ ـ حديث: «أربعون خصلة أعلاها منيحة العنز» ٢٥٢

٩/ ٥٥٢ ـ حديث «يا بن آدم إنك إن تبذل الفضل خير لك...» ٢٥٢

Marfat.com

١٠ / ٥٥٣ ـ حديث: «ما سئل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئًا» ٢٥٢
١١/ ٥٥٤ ـ حديث : « إنهم خيرونى أن يسألونى . . . » ٢٥٢
١٢/ ٥٥٥ ـ حديث : « أعطونى ردائى . . . » ٢٥٢
١٣ / ٥٥٦ ـ حديث: «ما نقصت صدقة من مال. . .» ٢٥٣
١٤/ ٥٥٧ ـ حديث : « ثلاثة أقسم عليهم . . . » ٢٥٦
١٥/ ٥٥٨ ـ حديث : «ما بقى منها ؟ » ٢٥٦
١٦/ ٥٥٩ ـ حديث : « لا توكي فيوكى عليك » ٢٥٦
١٧/ ٥٦٠ ـ حديث : « مثل البخيل والمنفق » ٢٥٧
١٨/ ٥٦١ ـ حديث : « من تصدق بعدل تمرة . . . » ٢٥٧
١٩/ ٥٦٢ ـ حديث : « بينما رجل يمشى بفلاه من الأرض . . . » ٢٥٧

٦١ ـ باب النهي عن البخل والشح

١/ ٥٦٣ ـ حديث: «اتقوا الظلم. . .» ٢٥٩

٦٢ ـ باب الإيثار والمواساة

١/ ٥٦٤ ـ حديث: «من يضيف هذا الليلة؟» ٢٦٣
٢/ ٥٦٥ ـ حديث : «طعام الاثنين كافي الثلاثة. . .» ٢٦٥
٣/ ٥٦٦ ـ حديث: «من كان معه فضل ظهر. . .» ٢٦٥
٤/ ٥٦٧ ـ حديث سهل بن سعد أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة ٢٦٦
٥/ ٥٦٨ ـ حديث: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو. . .» ٢٦٧

٦٣ ـ باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

١/ ٥٦٩ ـ حديث: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» ٢٦٨
٢/ ٥٧٠ ـ حديث : « بينما أيوب عليه السلام يغتسل . . .» ٢٦٩

٦٤ ـ باب فضل الغنى الشاكر وهو من أخذ المال من وجهه
وصرفه في وجوهه المأمور بها

١/ ٥٧١ ـ حديث: «لا حسد إلا في اثنتين. . .» ٢٧١
٢/ ٥٧٢ ـ حديث: «لا حسد إلا في اثنتين. . .» ٢٧٢
٣/ ٥٧٣ ـ حديث: «افلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم. . .» ٢٧٢

٦٥ ـ باب ذكر الموت وقصر الأمل

١/ ٥٧٤ ـ حديث: «كن في الدنيا كأنك غريب. . .» ٢٨٤

Marfat.com

٢/ ٥٧٥ ـ حديث: «ما حق أمرئ مسلم. . .» ٢٨٧
٣/ ٥٧٦ ـ حديث : « هذا الإنسان وهذا أجله . . . » ٢٩١
٤/ ٥٧٧ ـ حديث ابن مسعود قال : خط النبى ﷺ خطا مربعا . . ٢٩١
٥/ ٥٧٨ ـ حديث: «بادروا بالأعمال سبعًا. . .» ٢٩١
٦/ ٥٧٩ ـ حديث : « أكثروا ذكر هاذم اللذات » ٢٩٣
٧/ ٥٨٠ ـ حديث : « يأيها الناس اذكروا الله . . . » ٢٩٤
٦٦ ـ باب استخبار زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر
١/ ٥٨١ ـ حديث: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور . . .» ٢٩٥
٢/ ٥٨٢ ـ حديث: « السلام عليكم دار قوم مؤمنين. . .» ٢٩٥
٣/ ٥٨٣ ـ حديث : « السلام عليكم أهل الديار . . . » ٢٩٨
٤/ ٥٨٤ ـ حديث : « السلام عليكم يا أهل القبور . . . » ٢٩٨
٦٧ ـ باب كراهة تمني الموت بسبب ضر نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين
١/ ٥٨٥ ـ حديث: «لا يتمن أحكم الموت إما محسنًا. . .» ٢٩٩
٢/ ٥٨٦ ـ حديث: «لا يتمن أحدكم الموت لضر أصابه» ٣٠٠
٣/ ٥٨٧ ـ حديث خباب بن الأرت قال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ٣٠٠
٦٨ ـ باب الورع وترك الشبهات
١/ ٥٨٨ ـ حديث: «إن الحلال بين. . .» ٣٠٧
٢/ ٥٨٩ ـ حديث : « لولا أنى أخاف أن تكون من الصدقة . . . » ٣١٠
٣/ ٥٩٠ ـ حديث: «البر حسن الخلق» ٣١٠
٤/ ٥٩١ ـ حديث: «جئت تسأل عن البر؟» ٣١٠
٥/ ٥٩٢ ـ حديث: «كيف وقد قيل!» ٣١١
٦/ ٥٩٣ ـ حديث: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» ٣١٢
٧/ ٥٩٤ ـ حديث عائشة رضي الله عنها كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ٣١٣
٨/ ٥٩٥ ـ حديث نافع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرض للمهاجرين ٣١٦
٩/ ٥٩٦ ـ حديث: «لا يبلغ العبد أن يكون من. . .» ٣١٦
٦٩ ـ باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان
١/ ٥٩٧ ـ حديث: «إن الله يحب العبد التقي الخفي الغني» ٣١٨
٢/ ٥٩٨ ـ حديث: «مؤمن مجاهد بنفسه وماله» ٣١٨

Marfat.com

٣/ ٥٩٩ ـ حديث: «يوشك أن يكون خير مال المسلم...» ٣١٨
٤/ ٦٠٠ ـ حديث: «ما بعث الله نبيًا إلا رعى الغنم» ٣١٩
٥/ ٦٠١ ـ حديث: «من خير معاش الناس» ٣٢٠

٧١ ـ باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

١/ ٦٠٢ ـ حديث: «إن الله أوحى إلي...» ٣٢٧
٢/ ٦٠٣ ـ حديث: «ما نقصت صدقة من مال...» ٣٢٨
٤/ ٦٠٥ ـ حديث أبي هريرة قال: إن الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد النبي ﷺ ٣٢٨
٣/ ٦٠٤ ـ حديث: «أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال» ٣٢٨
٥/ ٦٠٦ ـ حديث سئلت عائشة رضي الله عنها: ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته؟ ٣٣٠
٦/ ٦٠٧ ـ حديث أبي رفاعة قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب ٣٣٠
٧/ ٦٠٨ ـ حديث: «إذا سقطت لقمة أحدكم» ٣٣٢
٩/ ٦١٠ ـ حديث: «لو دعيت إلى كراع...» ٣٣٢
١٠ / ٦١١ ـ حديث: «حق على الله ألا يرتفع شيء...» ٣٣٢

٧٢ ـ باب تحريم الكبر والإعجاب

١/ ٦١٢ ـ حديث: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه...» ٣٣٩
٢/ ٦١٣ ـ حديث: «كل بيمينك» ٣٣٩
٣/ ٦١٤ ـ حديث: «ألا أخبركم بأهل النار...» ٣٤١
٤/ ٦١٥ ـ حديث: «احتجت الجنة والنار» ٣٤٢
٥/ ٦١٦ ـ حديث: «لا ينظر الله يوم القيامة» ٣٤٤
٦/ ٦١٧ ـ حديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله...» ٣٤٤
٧/ ٦١٨ ـ حديث: «قال الله عز وجل: العز إزاري...» ٣٤٤
٨/ ٦١٩ ـ حديث: «بينما رجل يمشي في حلة...» ٣٤٧
٩/ ٦٢٠ ـ حديث: «لا يزال الرجل يذهب بنفسه...» ٣٤٧

٧٣ ـ باب حسن الخلق

١/ ٦٢١ ـ حديث: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا» ٣٤٨
٢/ ٦٢٢ ـ حديث: «ما مسست ديباجًا ولا حريرًا ألين من كف رسول الله ﷺ» ٣٥٠
٣/ ٦٢٣ ـ حديث: «إنا لم نرده عليك إلا...» ٣٥٠
٤/ ٦٢٤ ـ حديث: «البر حسن الخلق» ٣٥٢

Marfat.com

٥/ ٦٢٥ ـ حديث: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا» ٣٥٣
٦/ ٦٢٦ ـ حديث: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن. . .» ٣٥٣
٧/ ٦٢٧ ـ حديث: «تقوى الله وحسن الخلق. .» ٣٥٤
٨/ ٦٢٨ ـ حديث: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا» ٣٥٤
٩/ ٦٢٩ ـ حديث: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه . . .» ٣٥٦
١٠ / ٦٣٠ ـ حديث: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة. . .» ٣٥٦
١١ / ٦٣١ ـ حديث: «إن من أحبكم إلي. . .» ٣٥٦
٧٤ ـ باب الحلم والأناة والرفق
١/ ٦٣٢ ـ حديث: «إن فيك خصلتين يحبهما الله. . .» ٣٦١
٢/ ٦٣٣ ـ حديث: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر. . .» ٣٦١
٣/ ٦٣٤ ـ حديث: «إن الله رفيق ويعطي. .» ٣٦١
٤/ ٦٣٥ ـ حديث: «إن الرفق لا يكون في شيء. . .» ٣٦١
٥/ ٦٣٦ ـ حديث: «دعوه وأريقوا على بوله. .» ٣٦٢
٦/ ٦٣٧ ـ حديث: «يسروا ولا تعسروا. . .» ٣٦٧
٧/ ٦٣٨ ـ حديث: «من يحرم الرفق يحرم الخير. . .» ٣٧٠
٨/ ٦٣٩ ـ حديث: «لا تغضب» ٣٧٠
٩/ ٦٤٠ ـ حديث: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء. . .» ٣٧١
١٠/ ٦٤١ ـ حديث: «عائشة قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين ٣٧٤
١١/٦٤٢ ـ حديث : « الا أخبركم بمن يحرم على النار ؟ » ٣٧٤
٧٥ ـ باب العفو والإعراض عن الجاهلين
١/ ٦٤٣ ـ حديث: «لقد لقيت من قومك. . .» ٣٧٥
٢/ ٦٤٤ ـ حديث: «ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده. .» ٣٧٨
٣/ ٦٤٥ ـ حديث: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني» ٣٧٨
٤/ ٦٤٦ ـ حديث: «اللهم اغفر لقومي. .» ٣٧٩
٥/ ٦٤٧ ـ حديث: «ليس الشديد بالصرعة. .» ٣٧٩
٧٦ ـ باب احتمال الأذى
١/ ٦٤٨ ـ حديث: «لئن كنت كما قلت. . .» ٣٨١
٧٧ ـ باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى
١/ ٦٤٩ ـ حديث: «يا أيها الناس، إن منكم منفرين. . .» ٣٨٣
٢/ ٦٥٠ ـ حديث: «يا عائشة ، أشد الناس عذابًا» ٣٨٥
٣/ ٦٥١ ـ حديث: «أتشفع في حد من حدود الله» ٣٨٥

Marfat.com

٤/ ٦٥٢ ـ حديث: «إن أحدكم إذا قام في صلاته» ٣٨٧

٧٨ ـ باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم

١/ ٦٥٣ ـ حديث: «كلكم راع...» ٣٨٩

٢/ ٦٥٤ ـ حديث: «ما من عبد يسترعيه الله...» ٣٨٩

٣/ ٦٥٥ ـ حديث: «اللهم من ولي من أمر أمتي...» ٣٩٢

٤/ ٦٥٦ ـ حديث: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء...» ٣٩٣

٥/ ٦٥٧ ـ حديث: «إن شر الرعاء الحطمة» ٣٩٥

٦/ ٦٥٨ ـ حديث: «من ولاه الله شيئًا من أمور المسلمين...» ٣٩٥

٧٩ ـ باب الوالي العادل

١/ ٦٥٩ ـ حديث: «سبعة يظلهم الله في ظله...» ٣٩٧

٢/ ٦٦٠ ـ حديث: «إن المقسطين عند الله على منابر...» ٣٩٧

٣/ ٦٦١ ـ حديث: «خيار أئمتكم...» ٤٠٠

٤/ ٦٦٢ ـ حديث: «أهل الجنة ثلاثة...» ٤٠٠

٨٠ ـ باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية

١/ ٦٦٣ ـ حديث: «على المرء المسلم السمع والطاعة...» ٤٠٣

٢/ ٦٦٤ ـ حديث: «فيما استطعتم...» ٤٠٣

٣/ ٦٦٥ ـ حديث: «من خلع يدًا من طاعة...» ٤٠٣

٤/ ٦٦٦ ـ حديث: «اسمعوا وأطيعوا...» ٤٠٧

٥/ ٦٦٧ ـ حديث: «عليك السمع والطاعة...» ٤٠٧

٦/ ٦٦٨ ـ حديث: «إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان...» ٤٠٨

٧/ ٦٦٩ ـ حديث: «اسمعوا وأطيعوا...»ـ ٤١١

٨/ ٦٧٠ ـ حديث: «إنها ستكون بعدي أثرة...» ٤١١

٩/ ٦٧١ ـ حديث: «من أطاعني فقد أطاع الله...» ٤١١

١٠/ ٦٧٢ ـ حديث: «من كره من أميره شيئًا فليصبر...» ٤١١

١١/ ٦٧٣ ـ حديث: «من أهان السلطان أهانه الله...» ٤١٤

٨١ ـ باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات
إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة إليه

١/ ٦٧٤ ـ حديث: «يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة...» ٤١٧

٢/ ٦٧٥ ـ حديث: «يا أبا ذر أراك ضعيفًا...» ٤١٩

٣/ ٦٧٦ ـ حديث: «يا أبا ذر إنك ضعيف...» ٤١٩

٤/ ٦٧٧ ـ حديث: «إنكم ستحرصون على الإمارة...» ٤٢١

Marfat.com

٨٢ ـ باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم
١/ ٦٧٨ ـ حديث: «ما بعث الله من نبي...» ٤٢٢
٢/ ٦٧٩ ـ حديث: «إن أراد الله بالأمير خيراً...» ٤٢٢
٨٣ ـ باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرض بها
١/ ٦٨٠ ـ حديث: «إنا والله لا نولي هذا العمل...» ٤٢٥
كتاب الأدب
٨٤ ـ باب الحياء وفضله والحث على التخلق به
١/ ٦٨١ ـ حديث: «دعه فإن الحياء من الإيمان» ٤٢٧
٢/ ٦٨٢ ـ حديث: «الحياء لا يأتي إلا بخير» ٤٢٧
٣/ ٦٨٣ ـ حديث: «الإيمان بضع وسبعون أو...» ٤٢٨
٤/ ٦٨٤ ـ حديث: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها» ٤٢٨
٨٥ ـ باب حفظ السر
١/ ٦٨٥ ـ حديث: «إن من أشر الناس عند الله منزلة...» ٤٣٣
٢/ ٦٨٦ ـ حديث عبد الله بن عمر أن عمر بن الخطاب حين تأيمت بنته ٤٣٤
٣/ ٦٨٧ ـ حديث: « مرحبا يا بنيتى ... » ٤٣٥
٤/ ٦٨٨ ـ حديث ثابت بن أنس قال: أتي علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان ٤٣٥
٨٦ ـ باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد
١/ ٦٨٩ ـ حديث: «آية المنافق ثلاث...» ٤٣٩
٢/ ٦٩٠ ـ حديث: «أربع كن كن فيه...» ٤٣٩
٣/ ٦٩١ ـ حديث: «لو قد جاء مال البحرين...» ٤٣٩
٨٧ ـ باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير
١/ ٦٩٢ ـ حديث: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان...» ٤٤٤
٨٨ ـ باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء
١/ ٦٩٣ ـ حديث: «اتقوا النار ولو بشق تمرة...» ٤٤٦
٢/ ٦٩٤ ـ حديث: «والكلمة الطيبة صدقة...» ٤٤٦
٣/ ٦٩٥ ـ حديث: «لا تحقرن من المعروف شيئًا...» ٤٤٦
٨٩ ـ باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب،

Marfat.com

وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك
١/ ٦٩٦ ـ حديث أنس قال: كان النبي ﷺ إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثًا ٤٤٨
٢/ ٦٩٧ ـ حديث عائشة: كان كلام رسول الله ﷺ كلامًا فصلاً ٤٤٨
٩٠ ـ باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام، واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه
١ / ٦٩٨ ـ حديث: «لا ترجعوا بعدي كفارًا...» ٤٥٠
٩١ ـ باب الوعظ والاقتصاد فيه
١/ ٦٩٩ ـ حديث: «كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا» ٤٥٢
٢/ ٧٠٠ ـ حديث: «إن طول صلاة الرجل...» ٤٥٥
٣/ ٧٠١ ـ حديث: «إن هذه الصلاة لا يصلح...» ٤٥٥
٤/ ٧٠٢ ـ حديث: العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب ٤٦٠
٩٢ ـ باب الوقار والسكينة
١/ ٧٠٣ ـ حديث: «ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قط ضاحكًا...» ٤٦١
٩٣ ـ باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار
١/ ٧٠٤ ـ حديث: «إذا أقيمت الصلاة، فلا تأتوها وأنتم تسعون...» ٤٦٣
٢/ ٧٠٥ ـ حديث: «أيها الناس عليكم بالسكينة...» ٤٦٣
٩٤ ـ باب إكرام
١/ ٧٠٦ ـ حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم..» ٤٧١
٢/ ٧٠٧ ـ حديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته...» ٤٧١
٩٥ ـ باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير
١/ ٧٠٨ ـ حديث: «أن رسول الله ﷺ بشر خديجة رضي الله عنها ببيت في الجنة» ٤٧٦
٢/ ٧٠٩ ـ حديث: «ائذن له وبشره بالجنة...» ٤٧٦
٣/ ٧١٠ ـ حديث: «اذهب بنعلي هاتين...» ٤٨٢
٤/ ٧١١ ـ حديث: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله...» ٤٨٤
٩٦ ـ باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر

Marfat.com

وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه
١/ ٧١٢- حديث: «أما بعد، ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن...» ٤٨٨
٢/ ٧١٣- حديث: «ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم...» ٤٨٩
٣/ ٧١٤- حديث: «لا تنسنا يا أخي من دعائك..» ٤٩٣
٤/ ٧١٥- حديث: «أستودع الله دينك ...» ٤٩٣
٥/ ٧١٦- حديث: «أستودع الله دينكم...» ٤٩٣
٦/ ٧١٧- حديث: «زودك الله التقوى...» ٤٩٣
٩٧ ـ باب استحباب الاستخارة والمشاورة
١/ ٧١٨- حديث: «إذا هم أحدكم بالأمر...» ٤٩٦
٩٨- باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريق والرجوع من طرق آخر لتكثر مواضع العبادة
١/ ٧١٩- حديث: «كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق» ٤٩٩
٢/ ٧٢٠- حديث: «كان يخرج من طريق الشجرة، ويدخل من طريق المعرس» ٤٩٩
٩٩ ـ باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم
١/ ٧٢١- حديث: «كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمن» ٥٠٦
٢/ ٧٢٢- حديث: «كانت يد رسول الله اليمنى لطهوره» ٥٠٧
٣/ ٧٢٣- حديث: «ابدأن بميامنها...» ٥٠٨
٤/ ٧٢٤- حديث: «إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمنى...» ٥٠٨
٥/ ٧٢٥- حديث: «كان ﷺ يجعل يمينه لطعامه» ٥٠٨
٦/ ٧٢٦- حديث: «إذا لبستم وإذا توضأتم...» ٥٠٨
٧/ ٧٢٧- حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتي منى ٥٠٨
١٠٠ ـ باب التسمية في أوله والحمد في آخره
١/ ٧٢٨- حديث: «سم الله وكل بيمنك...» ٥١١
٢/ ٧٢٩- حديث: «إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى...» ٥١١
٣/ ٧٣٠- حديث: «إذا دخل الرجل بيته...ش ٥١٢
٤/ ٧٣١- حديث: «إن الشيطان يستحل الطعام أن لا...» ٥١٣
٥/ ٧٣٢- حديث: «ما زال الشيطان يأكل معه...» ٥١٥
٦/ ٧٣٣- حديث: «كان رسول الله ﷺ يأكل طعاما في ستة من أصحابه» ٥١٥
٧/ ٧٣٤- حديث: «كان ﷺ إذا رفعت مائدته قال...» ٥١٥

Marfat.com

٨/ ٧٣٥ ـ حديث: «من أكل طعاما فقال...» ٥١٦

١٠١ـ باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه

١/ ٧٣٦ ـ حديث: «ما عاب رسول الله ﷺ طعامًا قط» ٥١٨

٢/ ٧٣٧ ـ حديث: «نعم الأدم الخل...» ٥١٨

١٠٢ ـ باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

١/ ٧٣٨ ـ حديث: «إذا دعي أحدكم فليجب...» ٥٢٠

١٠٣ ـ باب ما يقول من دعي إلى طعام فتبعه غيره

١/ ٧٣٩ ـ حديث: «إن هذا تبعنا...» ٥٢٢

١٠٤ ـ باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكله

١/ ٧٤٠ ـ حديث: «يا غلام سم الله وكل بيمنك» ٥٢٤

٢/ ٧٤١ ـ حديث: «كل بيمينك» ٥٢٤

١٠٥ ـ باب النهي عن القران بين تمرتين ونحوهما
إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته

١ / ٧٤٢ ـ حديث: «نهى ﷺ عن الإقران إلا أن يستأذن الرجل أخاه» ٥٢٨

١٠٦ ـ باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

١/ ٧٤٣ ـ حديث: «فلعلكم تفترقون..» ٥٢٨

١٠٧ ـ باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها

١ / ٧٤٤ ـ حديث: «البركة تنزل وسط الطعام...» ٥٣٠

٢ / ٧٤٥ ـ حديث: «إن الله جعلني عبدًا كريمًا...» ٥٣٠

١٠٨ ـ باب كراهية الأكل متكئًا

١ / ٧٤٦ ـ حديث: «لا آكل متكئًا» ٥٣٢

٢/ ٧٤٧ ـ حديث: «رأيت رسول الله ﷺ جالسًا مقعيًا» ٥٣٢

١٠٩ ـ باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع

١/ ٧٤٨ ـ حديث: «إذا أكل أحدكم طعامًا» ٥٣٤

٢/ ٧٤٩ ـ حذيث: «رأيت رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع» ٥٣٤

٣/ ٧٥٠ ـ حديث: «إنكم لا تدرون في...» ٥٣٤

٤/ ٧٥١ ـ حديث: «إذا وقعت لقمة أحدكم...» ٥٣٤

٥/ ٧٥٢ ـ حديث: «إن الشيطان يحضر أحدكم ..» ٥٣٤

٦/ ٧٥٣ ـ حديث: «إذا سقطت لقمة أحدكم..» ٥٣٥

٧/ ٧٥٤ ـ حديث: «الوضوء مما مست النار» ٥٣٥

١١٠ ـ باب تكثير الأيدى على الطعام

Marfat.com

١/ ٧٥٥ ـ حديث : « طعام الاثنين كافي الثلاثة » ٥٣٧
٢/ ٧٥٦ ـ حديث : « طعام الواحد يكفي الاثنين » ٥٣٧
١١١ ـ باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء
١/ ٧٥٧ ـ حديث: «كان رسول الله ﷺ يتنفس في الشراب ثلاثًا» ٥٣٨
٢/ ٧٥٨ ـ حديث: «لا تشربوا واحدًا كشرب البعير» ٥٣٨
٣/ ٧٥٩ ـ حديث: «نهى النبي ﷺ أن يتنفس في الإناء» ٥٣٨
٤/ ٧٦٠ ـ حديث: «الأيمن فالأيمن» ٥٣٨
٥/ ٧٦١ ـ حديث: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» ٥٣٨
١١٢ ـ باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها
وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم
١/ ٧٦٢ ـ حديث: «نهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية» ٥٤٢
٢/ ٧٦٣ ـ حديث: «نهى رسول الله ﷺ أن يشرب من في السقاء أو القربة» ٥٤٢
٣/ ٧٦٤ ـ حديث: «شرب النبي ﷺ من في قربة معلقة قائمًا» ٥٤٢
١١٣ ـ باب كراهية النفخ في الشراب
١/ ٧٦٥ ـ حديث: «فأبن القدح عن فيك. . .» ٥٤٤
٢/ ٧٦٦ ـ حديث: «نهى ﷺ أن يتنفس في الإناء» ٥٤٤
١١٤ ـ باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا
١/ ٧٦٧ ـ حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: سقيت النبي ﷺ من زمزم ٥٤٦
٢/ ٧٦٨ ـ حديث: «أتي على باب الرحبة فشرب قائمًا وقال إني رأيت
رسول الله ﷺ » ٥٤٦
٣/ ٧٦٩ ـ حديث: «كنا نأكل على عهد رسول الله ﷺ ونحن نمشي» ٥٤٦
٤/ ٧٧٠ ـ حديث: «رأيت رسول الله ﷺ يشرب قائمًا وقاعدًا» ٥٤٦
٥/ ٧٧١ ـ حديث: «نهى رسول الله ﷺ أن يشرب الرجل قائمًا» ٥٤٦
٦/ ٧٧٢ ـ حديث: «لا يشربن أحد منكم قائمًا. . .» ٥٤٦
١١٥ ـ باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا
١/ ٧٧٣ ـ حديث: «ساقي القوم آخرهم. . .» ٥٥٠
١١٦ ـ باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة
١/ ٧٧٤ ـ حديث: «فأتي رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة» ٥٥١
٢/ ٧٧٥ ـ حديث: «أتانا النبي ﷺ فأخرجنا له ماء في تور» ٥٥١
٣/ ٧٧٦ ـ حديث: «إن كان عندك ماء بات ٥٥١
٤/ ٧٧٧ ـ حديث: «هي لهم في الدنيا . .» ٥٥١

Marfat.com

٥/ ٧٧٨ - حديث: «الذي يشرب في آنية الفضة...» ٥٥٢

كتاب اللباس

١١٧ ـ باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر

١/ ٧٧٩ - حديث: «البسوا من ثيابكم البياض..» ٥٥٥

٢/ ٧٨٠ - حديث: «البسوا البياض..» ٥٥٦

٣/ ٧٨١ - حديث: «كان رسول الله ﷺ مربوعًا» ٥٥٦

٤/ ٧٨٢ - حديث: «رأيت النبي ﷺ بمكة وهو بالأبطح» ٥٥٧

٥/ ٧٨٣ - حديث: «رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران ٥٥٨

٦/ ٧٨٤ - حديث: «دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة» ٥٥٩

٧/ ٧٨٥ - حديث: «كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء» ٥٥٩

٨/ ٧٨٦ - حديث: «كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية» ٥٥٩

٩/ ٧٨٧ - حديث: «خرج رسول الله ﷺ ذات غداة وعليه مرط» ٥٥٩

١٠ / ٧٨٨ - حديث: «أمعك ماء؟» ٥٥٩

١١٨ ـ باب استحباب القميص

١/ ٧٨٩ - حديث: «كان أحب الثياب إلى رسول الله القميص» ٥٦٤

١١٩ ـ باب صفة طرف القميص والكم والإزار وطرف العمامة

١/ ٧٩٠ - حديث: «كان كم قميص رسول الله ﷺ إلى الرسغ» ٥٦٤

٢/ ٧٩١ - حديث: «من جر ثوبه خيلاء» ٥٦٤

٣/ ٧٩٢ - حديث: «لا ينظر الله يوم القيامة...» ٥٦٤

٤/ ٧٩٣ - حديث: «ما أسفل من الكعبين ...» ٥٦٤

٥ / ٧٩٤ - حديث: «ثلاثة لايكلمهم الله...» ٥٦٤

٦/ ٧٩٥ - حديث : «الإسبال فى الإزار والقميص والعمامة ...» ٥٦٧

٧/ ٧٩٦ - حديث: «لا تقل عليك السلام...» ٥٦٧

٨/ ٧٩٧ - حديث: «اذهب فتوضأ..» ٥٧٢

٩/ ٧٩٨ - حديث: «سبحان الله! لا بأس أن يؤجر ويحمد» ٥٧٣

١٠ / ٧٩٩ - حديث: «إزارة المسلم إلى نصف الساق...» ٥٧٨

١١ / ٨٠٠ - حديث: «يا عبد الله ارفع إزارك...» ٥٧٨

١٢ / ٨٠١ - حديث: «من جر ثوبه خيلاء...» ٥٧٩

١٢٠ ـ باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعًا

١/ ٨٠٢ - حديث: «من ترك اللباس تواضعًا لله...» ٥٨١

١٢١ ـ باب استحباب التوسط في اللباس

Marfat.com

١/ ٨٠٣ ـ حديث: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته. . .» ٥٨١

١٢٢ ـ باب تحريم لباس الحرير علي الرجال وتحريم
جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

١/ ٨٠٤ ـ حديث: «لا تلبسوا الحرير. . .» ٥٨٣
٢/ ٨٠٥ ـ حديث: «إنما يلبس الحرير من لا خلاق له» ٥٨٣
٣/ ٨٠٦ ـ حديث: «من لبس الحرير في الدنيا. . .» ٥٨٣
٤/ ٨٠٧ ـ حديث: «إن هذين حرام على ذكور أمتي» ٥٨٣
٥/ ٨٠٨ ـ حديث: «حرم لباس الحرير والذهب. . .» ٥٨٣
٦/ ٨٠٩ ـ حديث: «نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة» ٥٨٣

١٢٣ ـ باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

١/ ٨١٠ ـ حديث: «رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبد الرحمن بن عوف» ٥٨٦

١٢٤ ـ باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عليها

١/ ٨١١ ـ حديث: «لا تركبوا الخز ولا النمار. .» ٥٨٦
٢/ ٨١٢ ـ حديث: «نهى رسول الله ﷺ عن جلود السباع» ٥٨٦

١٢٥ ـ باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا أو نعلاً أو نحوه

١/ ٨١٣ ـ حديث: «اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه. . .» ٥٨٦

كتاب آداب النوم والمجلس والجليس والرؤيا

١٢٧ ـ باب يقوله عند النوم

١/ ٨١٤ ـ حديث: «اللهم أسلمت نفسي إليك. . .» ٥٨٩
٢/ ٨١٥ ـ حديث: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ. . .» ٥٨٩
٣/ ٨١٦ ـ حديث: «كان النبي ﷺ يصلي من الليل إحدى عشر ركعة» ٥٩٢
٤/ ٨١٧ ـ حديث: «اللهم باسمك أموت وأحيا» ٥٩٢
٥/ ٨١٨ ـ حديث: «إن هذه ضجعة يبغضها الله» ٥٩٤
٦/ ٨١٩ ـ حديث: «من قعد مقعدًا لم يذكر الله تعالى كانت عليه من الله
تعالى ترة. . .» ٥٩٤

١٢٨ ـ باب جواز الاستلقاء على القفا ووضع إحدى الرجلين
على الأخرى إذا لم يخف انكشاف العورة وجواز القعود متربعًا ومحتبيًا

١/ ٨٢٠ ـ حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنهما أنه رأى رسول الله ﷺ
مستلقيًا في المسجد ٥٩٦
٢/ ٨٢١ ـ حديث: «كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع» ٥٩٦
٣/ ٨٢٢ ـ حديث: «رأيت النبي ﷺ بفناء الكعبة محتبيًا بيديه» ٥٩٦

Marfat.com

٤/ ٨٢٣ ـ حديث: «رأيت النبي ﷺ وهو قاعد القرفصاء» ٥٩٦
٥/ ٨٢٤ ـ حديث: «أتقعد قعدة المغضوب عليهم» ٥٩٦

١٢٩ ـ باب آداب المجلس والجليس

١/ ٨٢٥ ـ حديث: «لا يقيمن أحدكم رجلاً من مجلسه...» ٥٩٨
٢/ ٨٢٦ ـ حديث: «إذا قام أحدكم من مجلس...» ٥٩٨
٣/ ٨٢٧ ـ حديث: «كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي» ٥٩٩
٤/ ٨٢٨ ـ حديث: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع...» ٥٩٩
٥/ ٨٢٩ ـ حديث: «لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين...» ٥٩٩
٦/ ٨٣٠ ـ حديث: «لعن رسول الله ﷺ من جلس وسط الحلقة» ٦٠١
٧/ ٨٣١ ـ حديث: «خير المجالس أوسعها» ٦٠٢
٨/ ٨٣٢ ـ حديث: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه» ٦٠٢
٩/ ٨٣٣ ـ حديث: «سبحانك اللهم وبحمدك» ٦٠٣
١٠ / ٨٣٤ ـ حديث: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به...» ٦٠٤
١١ / ٨٣٥ ـ حديث: «ما من قوم يقومون من مجلس ...» ٦٠٧
١٢ / ٨٣٦ ـ حديث: «ما جلس قومًا مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه...» ٦٠٧
١٣ / ٨٣٧ ـ حديث: «من قعد مقعدًا لم يذكر الله تعالى فيه...» ٦٠٧

١٣٠ ـ باب الرؤيا وما يتعلق بها

١/ ٨٣٨ ـ حديث: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات...» ٦٠٩
٢/ ٨٣٩ ـ حديث: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن..» ٦٠٩
٣/ ٨٤٠ ـ حديث: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة...» ٦٠٩
٤/ ٨٤١ ـ حديث: «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها..» ٦٠٩
٥/ ٨٤٢ ـ حديث: «الرؤيا الصالحة من الله...» ٦١١
٦/ ٨٤٣ ـ حديث: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها..» ٦١١
٧/ ٨٤٤ ـ حديث: «إن من أعظم الفرى أن يدعي..» ٦١١
الفهرس ٦١٥

* * *

Marfat.com

دار الغد الجديد
للنشر والتوزيع

Marfat.com